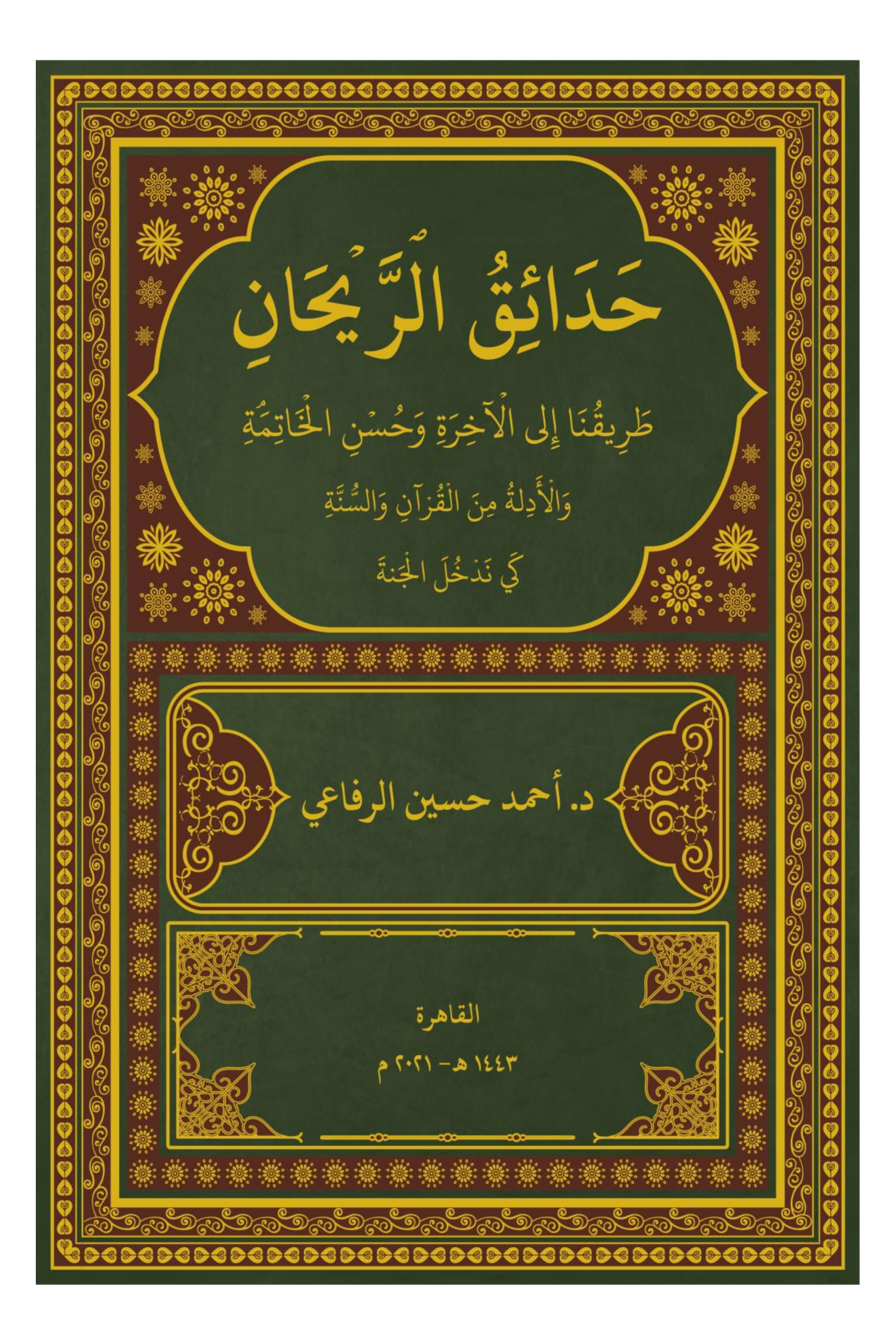


حَدَائِقُ الرَّيحَانِ
طَرِيقُنَا إِلى الْآخِرَةِ وَحُسْنِ الْخَاتِمَةِ
وَالْأَدِلةُ مِنَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ
كَي نَدخُلَ الْجَنةَ
د. أحمد حسين الرفاعي
القاهرة
١٤٤٣ هـ - ٢٠٢١ م



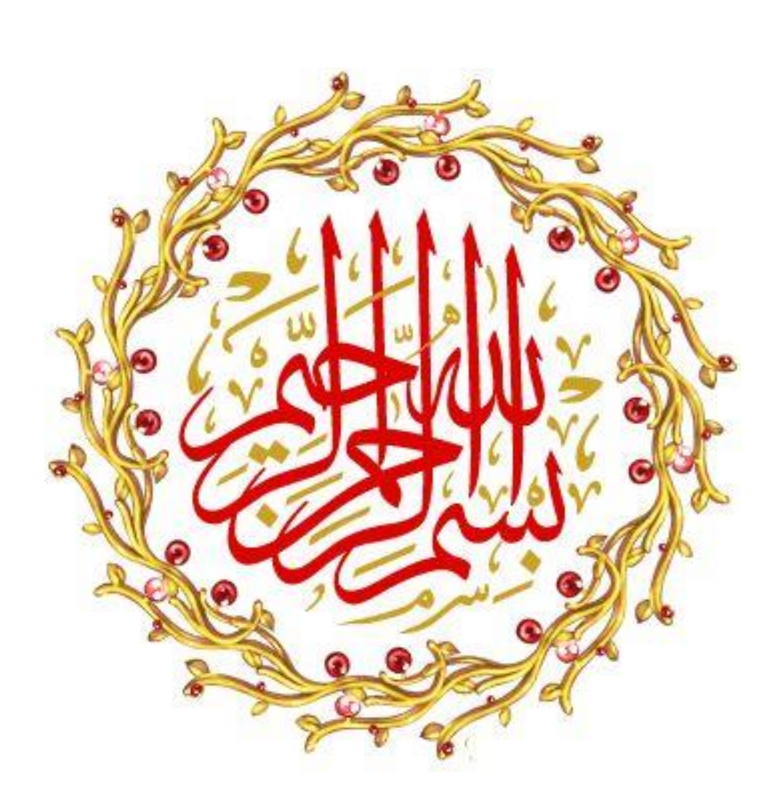
# حَدَائِقُ الرَّيْحَان

## طَرِيقُنَا إِلَى الآخِرَةِ وَحُسْنِ الخَاتِمَةِ وَالأَدِلَّةُ مِنَ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ كَيْ نَدْخُلَ الجَنَّةَ

د. أَحْمَد حُسَيْن الرِّفَاعِي

القاهرة

٢٠٢١م – ١٤٤٣هـ


بسم الله الرحمن الرحيم



# المقدَّمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذريات: ٥٦-٥٧]، وهذا تصريح بأن الخلق كلهم إنما خُلقوا للعبادة، فحق عليهم الاعتناء بما خُلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهد فيها؛ فإنها دار فناء لا بقاء، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»، وقال: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»، وقال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُهُ ذَٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**»، وأنه قال لعليٍّ رضي الله عنه: «**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النِّعِمِ**».

احتوى هذا الكتاب عددًا كبيرًا من الشواهد والآثار من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، تجاوزت الآلاف، منها ما انتقاه في عصره الشيخ الإمام النووي رحمه الله (٦٣١هـ/ ١٢٣٣م) من آيات القرآن الكريم وأمهات كتب الأحاديث، جمعها في كتابه رياض الصالحين، واشترط على نفسه فيه كما ذكر في مقدمة كتابه أن لا يختار من الأحاديث

إلا الصحيح، مشتملًا على ما يكون طريقًا لصاحبه إلى الآخرة، يقصد بذلك طريقًا إلى رضا الله والجنة، ومحصلًا للآداب الباطنة والظاهرة، جامعًا للترغيب والترهيب وسائر أنواع السلوك السليم من أحاديث الزهد، وتهذيب النفوس والأخلاق، وطهارة القلوب وعلاجها، وحاجزًا له عن أنواع القبائح والمهلكات، ثم اقترنت هذه الشواهد فيما بعد بشروحات وتعليقات لعدد من كبار أهل العلم على مختلف الأزمنة، ومن أهمها الشروحات المعاصرة.

كما احتوى هذا الكتاب (حدائق الريحان) على شواهد وفوائد من شروحات كبار علماء العصر الحديث، أهمها كتاب شرح رياض الصالحين لابن عثيمين رحمه الله (١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، كما احتوى شواهد وآثارًا من أقوال الصحابة والتابعين والصالحين، وأقوالًا مأثورة وردت في بطون الكتب القديمة، ذكر بعضها الشيخ فيصل بن حمد المبارك الحريملي النجدي رحمه الله (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) في كتابه تطريز رياض الصالحين.

كما احتوت شروحات هذا الكتاب أحكامًا شرعية كثيرة لقضايا فقهية وعقائدية جديدة ومعاصرة، لأبرز العلماء ممن عاشوا في زماننا، كأمثال الشيخ ابن عثيمين وغيره، مع اختيار أشهر الأقوال منها وإن كانت مرجوحة أحيانًا، إلا أنها أصح الأقوال، مع اجتناب توثيق أقوال هؤلاء العلماء بأسمائهم وألقابهم، حرصًا على سلاسة النص واختصار الكلام، وعدم إرهاق الحواشي بالتعليقات.

كما تعرضت النصوص والشروحات في هذا الكتاب، لأغلب قضايا العبادات والمعاملات الثابتة والمستحدثة، مع ضرب الأمثلة من واقع الحياة اليومية المعاصرة، بالأسلوب البسيط، تسهيلًا للقارئ على الفهم السريع، بعيدًا عن التعقيد والتنطّع في الكلام، بما يتناسب مع الواقع الجديد الذي يعيشه الإنسان المسلم في وقتنا الحاضر، بهدف الوصول إلى المعلومة السريعة.

ونلفت النظر، أن استعمال ضمير المتكلم المفرد والجمع، مما ورد في شروحات الآيات والأحاديث والآثار، بشتى أشكاله، يعود للشارح الإمام ابن عثيمين ﵀، في كتابه شرح رياض الصالحين، وذلك مثل: (قلت، أقول، قلنا، نقول، أرى، نرى، رأينا، حدثني...)، وغيرها من التصريفات.

ويمكن القول إن هذا الكتاب، هو على الأغلب اختصار كتاب (شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين)، طبعة دار الوطن في الرياض، عام (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م)، وهو يقع في ستة مجلدات، احتوت على علوم كثيرة وعظيمة، وشروحات طويلة ومزدحمة، ما أثقل على القارئ في هذا الزمان، وحرصًا على جمع هذه العلوم والفوائد، تمت قراءة هذه المجلدات مرارًا وتكرارًا، ثم انتقاء شواهد منها، وإضافة شواهد أخرى، وفوائد وشروحات من غيرها من أمهات المصادر والمراجع، حتى تكاملت النصوص يُقوِّي بعضها بعضًا، بأشهر الروايات وأصح الأقوال، على منهج السلف الصالح.

أسأل الله تعالى أن يبارك هذا العمل، وأن ينفع هذا الكتاب جميع المسلمين في أنحاء الأرض، وأن ينفعني علمًا أنتفع به بعد موتي، ممن ذكرهم رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحة، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**».

اللهم انفعنا بهذا يوم نلقاك، يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا أماني ولا آمال كنا نلعب ونلهوا بها في هذه الدنيا، ولا سيارات فخمة ولا قصور ضخمة، ولا قريب ولا منصب ولا جاه، اللهم آمين.






## أَوَّلًا: القُرْآنُ

ويُسَمَّى تكريمًا: القُرْآنُ الكَرِيمُ، وهو كتاب الله العظيم عند المسلمين، ويؤمنون أَنَّهُ كلام الله تعالى، وَأَنَّهُ قد أُنزِلَ على النبي محمد ﷺ بهدف التشريع أولًا، وفيه بيان وإعجاز للمناكفين له في جميع العصور، وأنه محفوظ في الصدور والسطور من كل مسٍّ أو تحريف، وبأنه منقول بالتواتر، والمتعبد بتلاوته، وأنه آخر الكتب السماوية بعد صحف إبراهيم والزبور والتوراة والإنجيل.

والقرآن هو أقدم الكتب العربية، تماسكت كلماته وحروفه من دون أي تغيير أو تبديل أو تحريف، ذلك بحفظ الله، وهو الأعلى قيمةً لغويًّا، لما يجمعه من البلاغة والبيان والفصاحة، وبالتالي فإن للقرآن أثرًا وفضلًا في توحيد اللغة العربية، وتطوير آدابها وعلومها الصرفية والنحوية، وتثبيت اللّبنات الأساسية لقواعدها ونحوها وصرفها، إذ يُعدّ مرجعًا وأساسًا لكل مساهمات النوابغ اللغويين في تطوير اللغة العربية، بداية من الفراهيدي وتلميذه سيبويه، إلى علماء اللغة في العصر الحديث، من الذين كان لهم دور كبير في محاولة الدفع بإحياء اللغة والتراث العربي، والفضل في ذلك يعود إلى القرآن الكريم، حيث لم تكن موحَّدة قبل هذا العهد على الرغم من أنها كانت ذات ثراء ومرونة، فقد وحّد القرآن الكريم اللغة العربية توحيدًا كاملًا وحفظها من التلاشي والانقراض، كما حدث مع العديد من اللغات السّامية الأخرى، واللغة اللاتينية التي تفككت وأضحت لغات متفرقة أو بائدة اندثرت مع الزمن، أو إلى لغات بديلة مستحدثة انفصلت عن ماضيها وانقطعت عنه، ومنها ما طالها الضعف والانحطاط، وبالتالي عدم القدرة على مسايرة التغييرات والتجاذبات التي تعرفها الحضارة وشعوب العالم الحديث.

ويحتوي القرآن على (١١٤) سورة تصنف إلى مكّية ومدنية، وفقًا لمكان وزمان نزول الوحي بها، ونحن نؤمن بأن القرآن أنزله الله كلامًا مسموعًا على لسان الملَك جبريل إلى النبي محمد ﷺ على مدى (٢٣) سنة، بعد أن بلغ النبي ﷺ سن الأربعين، وحتى وفاته في العام (١١هـ/ ٦٣٢م)، حسب الحوادث التي كانت تطرأ في المجتمع الإسلامي، كما أننا نؤمن بأن القرآن حُفظ بدقة على يد الصحابة، بعد أن نزل الوحي على النبي محمد ﷺ، فحفظه وقرأه على صحابته بالتواتر، ونؤمن أن آياته محكمات مفصّلات، وأنه يخاطب الأجيال كافة في كل الأماكن والعصور، ويتضمن كل المناسبات، ويحيط بكل الأحوال.

أما تشريعات القرآن، فقد اشتملت على كافة الأحكام، كأحكام العبادات والمعاملات والحدود والكفارات والأحوال الشخصية وغير ذلك، كما أن هذه التشريعات تشمل الأحكام المتعلقة بالفرد والمجتمع في المجالات كافة، وإثبات صدق النبي ﷺ في تبليغه الرسالة، وكذلك إثبات أن القرآن الكريم وحي من عند الله على قلب نبيه الكريم.

ولعل من أبرز ما يميز التشريع القرآني أيضًا، أنه تشريع يوافق الفطرة ولا يناقضها أبدًا، بل إنه يعمل على إحياء الفطرة وإرجاعها إلى طريقها إن خرجت عن أصلها، وبيان ذلك أننا نجد القرآن الكريم قد جاء بالتشريعات التي تتوافق مع طبيعة الناس ورفع الحرج عنهم، وأسقط بعض التكاليف عند عدم القدرة على إتيانها.

### ثانيًا: السُّنَّةُ النَّبَوِيَّةُ

ويسمّى الحديث النبوي، ويطلق عليه السنة النبوية عند أهل السنة والجماعة، وهو ما ورد عن الرسول محمد ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة، خَلقية أو خُلقية، أو سيرة سواء قبل البعثة، أي بدء الوحي والنبوة أو بعدها، والحديث والسنة عند أهل السنة

والجماعة هما المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن، وذلك أن الحديث خصوصًا والسنّة عمومًا موضّحان ومكمّلان لقواعد وأحكام الشريعة وأنظمتها، وفيهما تفصيل لما جاء مجملًا في القرآن، وإضافة لما سكت عنه، وأيضًا توضيح لبيانه ومعانيه ودلالاته، كما جاء في سورة النجم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، فالحديث النبوي هو بمثابة القرآن في التشريع من حيث كونه وحيًا أوحاه الله للنبي ﷺ، والحديث والسنة مرادفان للقرآن في الدليل والحجة ووجوب العمل بهما، حيث يُستمد منهما أصول العقيدة والأحكام المتعلقة بالعبادات والمعاملات، إضافة إلى نظم الحياة من أخلاق وآداب وتربية.

وقد اهتم العلماء على مر العصور بالحديث النبوي؛ جمعًا، وتدوينًا، ودراسة، وشرحًا، واستُنبطت حوله العلوم المختلفة، كعلم الجرح والتعديل، وعلم مصطلح الحديث، وعلم العلل، وغيرها، والتي كان الهدف الأساس منها حفظ الحديث والسنّة، ودفع الكذب عن النبي ﷺ، وتوضيح المقبول والمردود مما ورد عنه، وامتد تأثير هذه العلوم الحديثة في المجالات المختلفة كالتاريخ وما يتعلق به من السيرة النبوية وعلوم التراجم والطبقات، إضافة إلى تأثيره على علوم اللغة العربية والتفسير والفقه وغيرها.

## ثالثًا: الحَدِيثُ القُدُسِيُّ

الحديث القدسي: وهو ما نُقِلَ إلينا عن النبي ﷺ، مع إسناده للحديث إلى الله تعالى، ويُسمّى الأحاديث الإلهية؛ أو الأحاديث الربّانيّة؛ فيُروى على أنه كلام الله، إمّا عن طريق الإلهام، أو عن طريق الوحي جبريل، أو المنام، مثال ذلك: عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: قال الله تعالى: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**». رواه البخاري ومسلم، وما رواه مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبُّ، كَيْفَ أَعُودُكَ، وَأَنْتَ رَبُّ**

**العَالَمِينَ...**»، والأحاديث القدسية الصحيحةُ ليست كثيرة، كونها في أغلبها من باب المواعظ؛ فقد كَثُر فيها من الأحاديث الواهية والموضوعة.

أما أنواع الحديث الأخرى باعتبار الراوي، فإنها تقسم إلى ثلاثة أقسام:

**أولًا: الحديث المرفوع:**

وهو الحديث الذي رواه الصحابي فقط، وينسبُ إلى رسول الله ﷺ، من أقوال أو أفعال أو تقرير أو صفات، مثل: قال رسول الله كذا، أو فعل أو أقرّ رسول الله، سواءً كان سنده صحيحًا أم لم يكن، ولذلك يمكن أن يكون الحديث المرفوع صحيحًا أو ضعيفًا أو غير ذلك، والأمثلة على هذا النوع من الأحاديث كثيرة:

منها قوليٌّ: كما ورد في صحيح البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...**».

ومنها فعليٌّ: كما ورد في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها، عندما سُئِلت عن صلاة الرسول ﷺ في رمضان، قالت: "مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلِّي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «**تَنَامُ عَيْنِي وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**»". وإخبار عائشة رضي الله عنها عن صلاة النبيّ ﷺ في التّطوع: "مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً".

ومنها التَّقرير: أي إقرار الرسول ﷺ على أمر وقبوله، أي إن الصحابي يفعل أو يقول شيئًا بحضور النبي فيسكت عنه ولا يعارضه، أو يمنعه، أو يقول له: لا تفعل هذا حرام، ومن الأمثلة عليه أنّ عمرو بن العاص رضي الله عنه أصابته جنابة وهو في غزوة ذات السلاسل، وكان في ليلةٍ شديدة البرد؛ فلم يغتسل، وإنّما تيمّم وصلّى بالنّاس، ولمّا رجع بمن معه إلى المدينة سأل النبيّ ﷺ وقال: إنّي خشيتُ على نفسِي وتأوّلت قولَ اللهِ سبحانَه:

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، فتبسَّم النبيُّ ﷺ ولم يقلْ له شيئًا، وأقرّه ولم يأمرْه بالإعادة.

ومنها الصِّفات: حيث تصف الرّواية حالًا من أحوال النبيّ ﷺ؛ فقد دخل أعرابيّ مرّة إلى مسجد رسول الله، فقال: أيكم محمد؟ قالوا: هذا الرجلُ الأبيضُ المُتَّكِيءُ.

أو تصف خِلْقَة النبيّ ﷺ، مثال ذلك: قول البراء بن عازب رضي الله عنه: كان رسولُ الله ﷺ أحسنَ الناسِ وجهًا، وأحسنهم خَلقًا، ليسَ بالطَّويلِ البائِنِ، ولا بالقَصير.

أو تصف أخلاق النبيّ ﷺ؛ ومثال ذلك في الحديث المرفوع: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**».

**ثانيًا: الحديث الموقوف:**

هو ما أضيف إلى الصحابي من قول، أو فعل، أو تقرير، حيث ينتهي إسناده عند الصحابيّ.

والصحابي: كل مسلم رأى أو لقي رسول الله ﷺ ومات على الإسلام، ومن رآه ولو لم يجالسه، أو من جالسه ولم يره كالأعمى، وقد بلغ عدد صحابة رسول الله الذين عاصروه حوالي (١١٤) مائة وأربعة عشر ألفًا، وأكثر الصحابة رواية لحديث النبي ﷺ، وهم على الترتيب:

أبو هريرة رضي الله عنه روى (٥٣٧٤) حديثًا، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما روى (٢٦٣٠) حديثًا، وأنس بن مالك رضي الله عنه روى (٢٢٨٦) حديثًا، وأم عبد الله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها روت (٢٢١٠) من الأحاديث، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما روى (١٦٦٠) حديثًا، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما روى (١٥٤٠) حديثًا، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنه روى (١١٧٠) حديثًا، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، روى (٨٤٨) حديثًا، وعبد الله بن عمرو بن العاص، روى (٧٠٠) حديث.

ومثال الحديث الموقوف قول: قال ابن عُمر كذا، أو فعل كذا، كصلاته للوتر على الدّابة وهو مُسافر، كما يُلحق به ما أُضيف إلى الصحابي من تقريره أو صِفاته الخَلقيّة أو الخُلقيّة، كقول بعض الصحابة: ما سبق أبو بكر القوم بكثير صلاة ولا صيام، ولكن سبقهم بشيءٍ وقر في قلبه، فهذا يُطلق عليه الحديث الموقوف.

ومثال القولي: قول الراوي، قال علي بن أبي طالب ﷺ: حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله.

ومثال الفعلي: قول البخاري: وأَمَّ ابنُ عباس وهو متيمّم.

**ثالثًا: الحديث المقطوع:**

وهو كلُّ ما ورد عن التّابعيِّ أو ما دون التّابعي من قول أو فعل، لكنَّه لم يرد عن الرَّسول ﷺ أو عن الصحابي، ويسمّيه علماء الحديث: الأثر.

والتّابعيُّ: هو كلُّ من رأى الصَّحابة ولم يرَ النَّبيَّ ﷺ، والحديث المقطوع ليس وحيًا من الله تعالى ولا حديثًا نبويًّا.

مثال المقطوع القولي: قول الحسن البصري في الصلاة خلف المبتدع: صلِّ خلفه وعليه بدعته.

ومثال المقطوع الفعلي: قول إبراهيم بن محمد بن المنتشر: كان مسروق يرخي الستر بينه وبين أهله، ويُقبل على صلاته، ويُخليهم ودنياهم.



## ١- الإخلاص والنّيَّة

الإخلاص هو: إفراد الله بالقَصْدِ، وهو أن يريد العبد بطاعته التقرُّب إلى الله من دون شيء آخر، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥]، الحنفاء: المائلون عن جميع الأديان إلى دين الإسلام، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ أي: الملة المستقيمة، وَقالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج:٣٧]، قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يلطخون البيت بدماء البُدْن، فأراد المسلمون أن يفعلوا ذلك، فنزلت هذه الآية.

فالنيّة محلها القلب، ولا محل لها في اللسان في جميع الأعمال؛ ولهذا كان من نطق بالنية عند إرادة الصلاة أو الصوم أو الحج أو الوضوء، أو غير ذلك من الأعمال، كان مبتدعاً قائلاً في دين الله ما ليس منه؛ لأن النبي ﷺ كان يتوضأ ويصلي ويتصدق، ويصوم ويحج، ولم يكن ينطق بالنية، فلم يكن يقول: اللهم إني نويت أن أتوضأ، اللهم إني نويت أن أصلي، اللهم إني نويت أن أتصدق، اللهم إني نويت أن أحج، لم يكن يقول هذا؛ والله ﷻ يعلم ما في القلب، ولا يخفى عليه شيء؛ كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ [آل عمران:٢٩].

وينبغي للإنسان أن يستحضر النية في جميع العبادات، فينوى مثلاً الوضوء، وأنه توضأ لله امتثالاً لأمر الله، كذلك في الصلاة: تنوي الصلاة أنها الظهر أو العصر، وتنوي أنك إنما تصلي لله لا لغيره، لا تصلي لتمدح على صلاتك، ولا لتنال شيئاً لأجل الدنيا، والله سبحانه عالم بنية العبد، ربما يعمل العبد عملاً يظهر أمام الناس أنه عمل صالح، وهو عمل فاسد لأن الله يعلم ما في القلب، ولا يجازى الإنسان يوم القيامة إلا على ما في القلب، لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[الطارق: ٨-١٠] يعني: يوم تختبر السرائر، أي ما في

القلوب، كقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ، وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ [العاديات: ٩-١٠].

ففي الآخرة: يكون الثواب والعقاب والعمل والاعتبار بما في القلب، أما في الدنيا: فيعامل الناس بظواهر أحوالهم، فإذا كان القلب منطوياً على نية فاسدة، فما أعظم خسارته! واعلم: أن الشيطان قد يأتيك عند إرادة عمل الخير، فيقول لك: إنك إنما تعمل هذا رياء أو سمعة، فيحبط همتك، ولكن لا تلتفت إلى هذا ولا تطعه، بل اعمل؛ لأنك لو سئلت: هل أنت الآن تعمل هذا رياء وسمعة؟ قلت: لا!

**[١]** عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ قُرْطِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا حديث عظيم، قال العلماء: ينبغي لكل من صنَّف كتابًا أن يبتدئ فيه بهذا الحديث، تنبيهًا للطالب على تصحيح النية، وقال الشافعي: يدخل في سبعين بابًا من العلم، وهاتان الجملتان: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، اختلف العلماء فيهما: فقال بعض العلماء: إنهما جملتان بمعنى واحد، وإن الجملة الثانية تأكيد للجملة الأولى، ولكن هذا ليس بصحيح؛ فالأولى سبب، والثانية نتيجة: الأولى: سبب يبين فيها النبي ﷺ أن كل عمل يعمله الإنسان لا بد فيه من نية؛ حتى قال بعض العلماء: لو كلفنا الله عملاً بلا نية، لكان من تكليف ما لا يطاق! ومن الناس من نيته في القمة، ومن الناس من نيته في القمامة؛ حتى إنك لترى الرجلين يعملان عملاً واحداً في الأقوال والأفعال، وبينهما كما بين السماء والأرض، وكل ذلك باختلاف النية، نتيجة ذلك قال: وإنما لكل أمري ما نوى؛ إن

نوى الله في أعماله حصل له ذلك، وإن نوى الدنيا، قد تحصل وقد لا تحصل، كما قال الله تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ**﴾ [الإسراء: ١٨]، ما قال: عجلنا له ما يريد؛ بل قال: «**مَا نَشَاءُ**»، لا ما يشاء هو؛ «**لِمَنْ نُرِيدُ**»، لا لكل إنسان؛ فمن الناس من يعطى ما يريد، ومنهم من يعطى شيئاً منه، ومنهم من لا يعطى شيئاً أبداً، وقوله: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، هذه الجملة ميزان لكل عمل؛ لكنه ميزان الباطن، وقوله ﷺ فيما أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، هذا ميزان للأعمال الظاهرة، ولهذا قال أهل العلم: هذان الحديثان يجمعان الدين كله.

أما الهجرة: أن ينتقل الإنسان من دار الكفر إلى دار الإسلام، مثل أن يكون رجل في أمريكا دار كفر، فيسلم، ولا يتمكن من إظهار دينه هناك، فينتقل منها إلى البلاد الإسلامية، فهذه هي الهجرة، وقد يكون هاجر من أجل الدنيا، يعني: رجل يحب جمع المال، فسمع أن بلاد الإسلام مرتعاً خصباً لاكتساب الأموال، فهاجر من أجل المال فقط، والثالث: رجل هاجر يريد امرأة يتزوجها، قيل له: لا نزوجك إلا في بلاد الإسلام، ولا تسافر بها إلى بلد الكفر، ولهذا قال النبي ﷺ: «**فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ**»، ولم يقل إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها، لماذا؟ قيل: لطول الكلام؛ وقيل: احتقاراً لهما.

والهجرة لها أقسام:

القسم الأول: هجرة المكان: أي من مكان تكثر فيه المعاصي، وأعظمه الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وتجب إذا كان الإنسان غير قادر على إظهار دينه، وإلا فالبقاء يُستحب، ولا يجوز للإنسان أن يسافر إلى بلد الكفر إلا بشروط ثلاثة:

الشرط الأول: أن يكون عنده علم يدفع به الشبهات؛ فالكفار يُدخلون الشك في قلوب المسلمين، حتى إن بعض زعمائهم قال: لا تحاولوا أن تخرجوا المسلم من دينه، ولكن يكفي أن تشككوه فيه.

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يحميه من الشهوات؛ وإلا انغمس؛ لأنه يجد زهرة الدنيا، من خمر وزني ولواط، فينزلق في هذه الأوحال.

الشرط الثالث: أن يكون محتاجاً إلى ذلك؛ مثل أن يكون مريضاً؛ يحتاج إلى العلاج، أو إلى علم أو تجارة، ولهذا أرى أن الذين يسافرون إلى بلد الكفر من أجل السياحة فقط فهم آثمون، وأن كل قرش يصرفونه في هذا السفر سيحاسبون عنه يوم القيامة؛ لأن هؤلاء يضيعون أوقاتهم ويتلفون أموالهم ويفسدون أخلاقهم، وهذا سبب البلاء والنكبات التي نحن الآن نعيشها، كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى:٣٠]، حتى أصبحت الحوادث المصيرية الآن، تمر على القلب وكأنها ماء بارد، مع أننا في حال حرب مدمرة مهلكة، ومع هذا لا تجد أحداً يحرك ساكناً، ثم تجد أناساً في هذه الظروف العصيبة ذهبوا بأهاليهم يتنزهون في بلاد الكفر!

القسم الثاني: هجرة العمل، وهي أن يهجر الإنسان ما نهاه الله عنه من المعاصي، كما قال النبي ﷺ: «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**»، فتهجر كل ما حرم الله عليك، سواء كان مما يتعلق بحقوق الله أو عباد الله؛ فتهجر السبب والشتم والقتل والغش، وأكل المال بالباطل وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وكل شيء حرمه الله.

القسم الثالث: هجرة العامل، قال أهل العلم: مثل الرجل المجاهر بالمعصية؛ فإنه يشرع هجره؛ إذا كان في هجره فائدة ومصلحة، ومثال ذلك: رجل معروف بالغش بالبيع والشراء؛ فإذا هجروه تاب ورجع وندم؛ فإذا عرف هذا خجل من نفسه وارتدع، أو رجل لا يصلي؛ فهذا مرتد كافر يجب أن يُهجر؛ فلا يُرد عليه السلام، حتى إذا عرف نفسه رجع إلى الله، أما إذا كان الهجر لا يفيد ولا ينفع من أجل معصية، لا من أجل كفر، فإنه لا يحل هجره؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا**

**وَيُعْرِضُ هٰذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»، ومن المعلوم أن المعاصي التي من دون الكفر عند أهل السنة والجماعة، لا تخرج من الإيمان، ودليل ذلك قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، فهجرهم النبي ﷺ وأمر المسلمين بهجرهم، وقد انتفعوا في ذلك انتفاعاً عظيماً.

**[٢]** وعن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: «**يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. بيداء: أي أرض واسعة متسعة، وفي حديث ابن عمر مرفوعًا: «**إِذَا أَنْزَلَ اللهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى نِيَّاتِهِمْ**»، ففي آخر الزمان يغزو جيش عظيم الكعبة، فيخسف الله بأولهم وآخرهم، وفي هذا دليل على أنهم جيش عظيم؛ لأن معهم أسواقهم للبيع والشراء، وفي هذا الحديث عبرة: أن من شارك أهل الباطل وأهل البغي والعدوان، فإنه يكون معهم في العقوبة؛ تعم الصالح والطالح، ولا تترك أحداً، ثم يوم القيامة يبعثون على نياتهم؛ يقول الله ﷻ: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [لأنفال: ٢٥].



**[٣]** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلٰكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فانْفِرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا النفي ليس على عمومه، لكن المراد بالنفي هنا نفي الهجرة من مكة، لأن مكة بعد الفتح صارت بلاد إسلام، وفي هذا دليل على أن مكة ستبقى بلاد إسلام إلى أن تقوم الساعة، والأمر بعد هذا جهاد؛ أي يخرج أهل مكة من مكة إلى الجهاد مع النية الصالحة بأن تكون كلمة الله هي العليا.

الموضع الأول: إذا استنفركم ولي أمركم للجهاد في سبيل الله، فانفروا وجوباً، وحينئذ يكون الجهاد فرض عين، وألا يتخلف أحد إلا من عذره، لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ، إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ [التوبة: من الآية ٣٨-٣٩]، وهذا أحد المواضع التي يكون فيها الجهاد فرض عين.

الموضع الثاني: إذا حضر بلده العدو وحاصره، صار الجهاد فرض عين، حتى على النساء والشيوخ القادرين في هذه الحال، لأن هذا قتال دفاع، فيجب في هذا الحال أن ينفر الناس كلهم للدفاع عن بلدهم.

الموضع الثالث: إذا حضر الصف، والتقى الصفان؛ صار الجهاد حينئذ فرض عين، ولا يجوز لأحد أن ينصرف، كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [لأنفال:١٦]، وقد جعل النبي ﷺ التولي يوم الزحف من السبع الموبقات.

الموضع الرابع: إذا احتيج إلى الإنسان؛ بأن يكون السلاح لا يعرفه إلا هذا الرجل، لاستعمال هذا السلاح الجديد؛ فإنه يتعين عليه أن يجاهد وإن لم يستنفره الإمام، ففي هذه المواطن الأربعة، يكون الجهاد فرض عين، وما سوى ذلك فإنه يكون فرض كفاية.

قال أهل العلم: ويجب على المسلمين أن يكون منهم جهاد في العام مرة واحدة، لتكون كلمة الله هي العليا، لا لأجل أن يدافعوا عن الوطن من حيث إنه وطن، لأن الدفاع عن الوطن من حيث هو وطن يكون من المؤمن والكافر، حتى الكفار يدافعون عن أوطانهم، لكن المسلم يدافع عن دين الله، فيدافع عن وطنه؛ لا لأنه وطنه؛ ولكن لأنه بلد إسلامي؛ ولذلك يجب علينا في مثل هذه الظروف التي نعيشها اليوم أن نذكّر جميع العامة

بأن الدعوة إلى تحرير الوطن دعوة غير مناسبة، وأنه يجب أن يعبأ الناس تعبئة دينية، ويقال إننا ندافع عن ديننا قبل كل شيء؛ لأن بلدنا بلد دين يحتاج إلى حماية، فلابد أن ندافع عنها بهذه النية. أما الدفاع بنية الوطنية، أو بنية القومية، فهذا يكون من المؤمن والكافر، ولا ينفع صاحبه يوم القيامة، وإذا قتل وهو يدافع بهذه النية فليس بشهيد؛ وإذا كنت تقاتل لوطنك؛ فأنت والكافر سواء، لكن لتكون كلمة الله هي العليا، ممثلة في بلدك؛ لأن بلدك بلد إسلام؛ ففي هذه الحال يكون القتال قتالاً في سبيل الله، ويجب إظهار الحقيقة للناس؛ أن القتال للوطن ليس قتالاً صحيحاً، وإنما يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، وأن أقاتل عن وطني لأنه وطن إسلامي؛ فبهذه النية تكون النية صحيحة.



**[٤]** وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «**إِنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا، إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ حَبَسَهُمُ المَرَضُ**». وفي رواية: «**إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ**». رواه مسلم، ورواه البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فقال: «**إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بالمَدِينَةِ مَا سَلَكْنَا شِعْبًا وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا؛ حَبَسَهُمُ العُذْرُ**».

في غزاة: أي في غزوة، فمعنى الحديث: أن الإنسان إذا نوى العمل الصالح، ولكنه منعه عنه شيء فإنه يكتب له أجر ما نوى، أما إذا كان يعمله لّما كان قادراً، ثم عجز عنه فيما بعد؛ فإنه يكتب له أجر العمل كاملاً، لأن النبي ﷺ قال: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**»، فمثلاً: إذا كان الإنسان من عادته أن يصلي مع الجماعة في المسجد، ولكنه منعه شيء كنوم أو مرض، فإنه يُكتب له أجر المصلي مع الجماعة تماماً من غير نقص، وكذلك إذا كان الإنسان من عادته أن يصلي تطوعاً، ولكنه منعه شيء ولم يتمكن منه؛ فإنه يكتب له أجره كاملاً، وكذلك إن كان من عادته أن يصوم من كل شهر

ثلاثة أيام، ثم عجز عن ذلك، ومنعه مانع، فإنه يكتب له الأجر كاملاً، أما إذا كان ليس من عادته أن يفعله، ونوى أن يفعل من دون أن يفعل؛ فإنه يكتب له أجر النية فقط، من دون أجر العمل، ولهذا ذكر النبي ﷺ فيمن آتاه الله مالاً؛ فجعل ينفقه في سبل الخير، وكان رجل فقير يقول: لو أن لي مال فلان لعملت مثل عمل فلان. قال النبي ﷺ: «**فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ**»، أما العمل فإنه لا يكتب له أجره إلا إن كان من عادته أن يعمله.

**[٥]** وَعْن أَبِي يَزِيدَ مَعْنِ بْنِ يَزِيدَ بنِ الأَخْنَسِ رضي الله عنهم، وَهُوَ وَأَبُوهُ وَجَدُّهُ صَحَابِيُّونَ، قَالَ: كَانَ أَبِي يَزِيدُ أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُها فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: وَاللهِ، مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**». رواهُ البخاريُّ.

يدل على أن الأعمال بالنيات، وأن الإنسان إذا نوى الخير حصل له، وإن كان يزيد لم ينوِ أن يأخذ هذه الدراهم ابنه، لكنه أخذها؛ ففي هذا الحديث دليل: أن الإنسان يُكتب له أجر ما نوى؛ وإن وقع الأمر على خلاف ما نوى، وهذه القاعدة لها فروع كثيرة: منها: أن الرجل لو أعطى زكاته شخصاً يظن أنه من أهل الزكاة، فتبين أنه غني وليس من أهل الزكاة فإن زكاته تجزئ، وتكون مقبولة تبرأ بها ذمته. ومنها: أن الإنسان لو أراد أن يوقف بيتاً صغيراً، وأشار إلى الكبير خلاف ما نواه بقلبه، فإنه على ما نوى وليس على ما سبق به لسانه.

ومنها: لو أن إنساناً جاهلاً لا يعرف الفرق بين العمرة والحج، فقال لبيك حجاً، وهو يريد عمرة يتمتع بها إلى الحج؛ فإنه له ما نوى، ولا يضر سبق لسانه بشيء.

ومن فوائد هذا الحديث: أنه يجوز للإنسان أن يتصدق على ابنه، ويجوز أيضاً أن يعطيه من الزكاة، بشرط أن لا يكون في ذلك إسقاط لواجب عليه، يعني مثلاً: لو أعطاه

من أجل أن لا يطالبه بالنفقة؛ فهذا لا يجزي؛ أما لو أعطاه ليقضي ديناً عليه؛ مثل أن يكون على الابن حادث، ويعطيه أبوه من الزكاة ما يسدد به هذه الغرامة؛ فإن ذلك لا بأس به، وتجزئه من الزكاة، لأن ولده أقرب الناس إليه؛ وهو الآن لم يقصد بهذا إسقاط واجب عليه، إنما قصد بذلك إبراء ذمة ولده؛ لا الإنفاق عليه.

**[٦]** وَعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ مَالِكِ بْنِ أُهَيْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ القُرَشِيِّ الزُّهْرِيِّ أَحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بِالجَنَّةِ ﷺ قَالَ: جَاءَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «**لَا**». قُلْتُ: فَالشَّطْرُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**لَا**». قُلْتُ: فَالثُّلُثُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ، إِنَّكَ إِنْ تَذَرْ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكَ**». قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُخَلَّفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ، اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ**». يَرْثِي لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: أفأتصدّق؟: منع النبي ﷺ من ذلك؛ لأن سعداً في تلك الحال كان مريضاً مرضاً يُخشى منه الموت، فلا يجوز أن يتصدق بأكثر من الثلث، لأن ماله قد تعلق به حق الغير؛ وهم الورثة، أما من كان صحيحاً ليس فيه مرض، أو فيه مرض يسير لا يخشى منه الموت، فله أن يتصدق بما شاء؛ بالثلث أو بماله كله.

وقوله: «**الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ**»: في هذا دليل على أنه إذا نقص عن الثلث فهو

أحسن وأكمل؛ وبهذا نعرف أن عمل الناس اليوم؛ وكونهم يوصون بالثلث؛ خلاف الأولى، وإن كان هو جائزاً، قال الفقهاء: الأفضل أن يوصي بالخمس، لا يزيد عليه.

وقوله: «**يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**»: أي كونك تبقي المال ولا تتصدق به؛ هذا خير للورثة من أن تذرهم عالة، لا تترك لهم شيئاً، يسألون الناس بأكفهم؛ أعطونا أعطونا، ولا يظن الإنسان أنه إذا خلف المال، وورث منه قهراً عليه، أنه لا أجر له في ذلك! لا بل له أجر، لأنك إذا تركت المال للورثة انتفعوا به، وهم أقارب، وإن تصدقت به انتفع به الأباعد، والصدقة على القريب أفضل من على البعيد، لأن الصدقة على القريب صدقة وصلة. والشاهد من هذا قوله: «**تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ**»: أي: يعني تقصد به أن تصل إلى الجنة؛ حتى ترى وجه الله ﷻ، لأن أهل الجنة يرون الله وينظرون إليه عياناً بأبصارهم، كما يرون الشمس والقمر. وقوله: «**وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ**»: يعني: هل أتأخر بعد أصحابي فأموت بمكة، فبين النبي أنه لن يخلف، وأنه لو خلف ثم عمل عملاً يبتغي به وجه الله إلا ازداد به عند الله درجة ورفعة. وقوله: «**وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ**»: هنا غير أن تخلف الأولى، أي تُعمّر في الدنيا؛ وهذا هو الذي وقع، فإن سعد ابن أبي وقاص عمّر زماناً طويلاً، حتى إنه خلف سبعة عشر ذكراً واثنتي عشر بنتاً، وكان في الأول ليس عنده إلا بنت واحدة. وقوله: «**حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ**»، وهذا الذي حصل، فإن سعداً خلف وصار له أثر كبير في الفتوحات الإسلامية، وفتح فتوحات عظيمة كبيرة، فانتفع به أقوام وهم المسلمون، وضرّ به آخرون وهم الكفار.

ثم سأل الرسول ﷺ ربه: «**اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ**»، وذلك بالثبات على الإيمان، وأن لا يرجع أحد منهم إلى مكة بعد أن خرج منها؛ لأنك إذا خرجت من البلد مهاجراً إلى الله ورسوله؛ فهو كالمال الذي تتصدق به، وهكذا كل شيء تركه الإنسان لله لا يرجع فيه، من ذلك إخراج التلفاز من البيت توبة إلى الله، بسبب شروره، فهؤلاء قالوا:

هل يمكن أن نعيده إلى البيت؟ نقول: لا، بعد أن أخرجتموه لله لا تعيدوه؛ لأن الإنسان إذا ترك شيئاً لله فلا يعود فيه. ومن فوائد هذا الحديث: إنه ينبغي للإنسان مشاورة أهل العلم، لأن سعد بن أبي وقاص استشار النبي ﷺ حينما أراد أن يتصدق بشيء من ماله، وكل إنسان بحسبه، فمثلاً إذا كنت تريد أن تقدم على شيء من أمور الدين، فشاور أهل العلم؛ وإذا أردت أن تشتري بيتاً فشاور أصحاب المكاتب العقارية، وإذا أردت أن تشتري سيارة فاستشر المتخصصين في السيارات وهكذا، ولهذا يقال: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار، والمستشار عليه أن يتقي الله ولا تأخذه العاطفة؛ لأن بعض الناس إذا استشاره الشخص؛ واستنتج أنه يميل إلى أحد الأمرين ذهب يشير عليه به؛ وهذا خطأ عظيم، بل خيانة، والواجب أن تقول له ما ترى أنه حق، سواء أرضاه أم لم يرضه، وأنت إذا فعلت هذا كنت ناصحاً وأديت ما عليك، ثم إن أخذه فذاك، وإن لم يأخذ به فقد برئت ذمتك .

ومن فوائد الحديث: إنه لا يجوز للإنسان إذا كان مريضاً مرضاً يُخشى منه الموت أن يتبرع بأكثر من الثلث من ماله، لا صدقة ولا مشاركة في بناء مساجد ولا هبة، وإذا كان مال الإنسان قليلاً، وكان ورثته فقراء؛ فالأفضل أن لا يوصي بشيء، لا قليل ولا كثير؛ خلافاً لما يظنه بعض العوام أنه لا بد من الوصية، فهذا خطأ.

من فوائد الحديث: ظهور معجزة لرسول الله ﷺ؛ وهو أنه قال له: «**وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ**»، فإن الأمر وقع كما توقعه النبي ﷺ، فسعدٌ بقي إلى خلافة معاوية وعمر طويلاً.

ومن فوائد هذا الحديث: إن الإنسان إذا أنفق نفقة يبتغي وجه الله فإنه يثاب عليها، حتى النفقات على أهله وعلى زوجته، بل وعلى نفسه، وفيه إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان أن يستحضر نية التقرب إلى الله في كل ما ينفق، حتى يكون له في ذلك أجر، صغيراً كان أم كبيراً، على نفسك أو على أهلك أو على أصحابك أو على أي واحد من الناس.

وقوله: «**لٰكِنِ البَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَة**»، وهذا رجل من المهاجرين الذين هاجروا من مكة ثم رجع إليها ومات فيها، فرثي، أي توجع له النبي ﷺ، وقد كانوا يكرهون للمهاجر أن يموت في الأرض التي هاجر منها.

**[٧]** وعن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**». رواه مسلم.

هذا الحديث يدل على ما يدل عليه قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات:١٣].

فالله لا ينظر إلى أجسام العباد هل هي كبيرة أو صغيرة، صحيحة أو سقيمة، ولا ينظر إلى الصور، هل هي جميلة أو ذميمة، كل هذا ليس بشيء عند الله، وكذلك لا ينظر إلى الأنساب؛ هل هي رفيعة أو دنيئة، ولا ينظر إلى الأموال، ولا ينظر إلى شيء من هذا أبداً، فليس بين الله وبين خلقه صلة إلا بالتقوى، فمن كان لله أتقى كان من الله أقرب؛ إذاً لا تفتخر بمالك ولا بجمالك، ولا ببدنك ولا بأولادك، ولا بقصورك، ولا سياراتك، ولا بشيء من هذه الدنيا أبداً، «**وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ**»، فالقلوب هي التي عليها المدار، وهذا يؤيد الحديث: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

تجد رجلين يصلّيان في صف واحد، بإمام واحد، يكون بين صلاتيهما كما بين المشرق والمغرب؛ لأن القلب مختلف، أحدهما قلبه غافل، يريد الدنيا، والآخر قلبه حاضر يريد بصلاته وجه الله واتّباع سنة رسوله، وبينهما فرق عظيم.

انظر في آيات الله، انظر إلى هذا الكون من يدبره، انظر كيف تتغير الأحوال، كيف يداول الله الأيام بين الناس، حتى تعلم أن لهذا الكون مدبراً، طهر قلبك من الشرك، كيف؟ بأن أقول لنفسي: إن الناس لا ينفعوني إن أطعت الله أو عصيته، فإذا كان الأمر

كذلك، فلماذا تشرك بالله؟ لماذا تنوي بعبادتك أن تتقرب إلى الخلق؟ ولهذا من تقرّب إلى الخلق بما يتقرب به إلى الله ابتعد الله عنه وابتعد عنه الخلق، من أجل هذا؛ عالج القلب دائماً، كن في غسيل للقلب حتى يطهر؛ ولا تكن ممن قال الله فيهم: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ**﴾ [المائدة:٤١].

**[٨]** وعن أبي موسى عبدِ الله بن قيس الأشعري ﵁ قال: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذٰلِكَ فِي سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي لفظ: «**وَيُقَاتِلُ لِيُرِيَ مَكَانَهُ؛ أَيْ ذٰلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، أما الذي يقاتل شجاعة: فمعناه أنه رجل شجاع يحب القتال؛ والشجاعة لا بد لها من ميدان تظهر فيه، والثاني: يقاتل حمية على قوميته، على قبيلته، على وطنه، حمية لأي عصبية كانت، والثالث: يقاتل ليرى مكانه: أي ليراه الناس ويعرفوا أنه شجاع، فعدل النبي ﷺ عن ذلك، وقال كلمة موجزة ميزاناً للقتال، فقال: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، عدَل عن ذكر هذه الثلاثة ليكون أعم وأشمل؛ لأن الرجل ربما يقاتل من أجل الاستيلاء على الأوطان والبلدان، والنيات لا حد لها.

ولذلك؛ على الرغم من قوة الدعاية للقومية العربية لم نستفد منها شيئاً، فاليهود استولوا على بلادنا، ونحن تفككنا، دخل في ميزان هذه القومية قوم من النصارى وغير النصارى، وخرج منها قوم مسلمون من غير العرب، فخسرنا ملايين الناس؛ ملايين العالم، ونحن إذا قاتلنا من أجل الوطن؛ لم يكن هناك فرق بين قتالنا وبين قتال الكافر عن وطنه، حتى الكافر يقاتل ويدافع عن وطنه، والذي يُقتل من أجل الدفاع عن الوطن فقط ليس بشهيد، والواجب أن نقاتل من أجل الإسلام في بلادنا، وانتبه للفرق؛ نقاتل من أجل

الإسلام في بلادنا، فنحمي الإسلام الذي في بلادنا، لو كنا في أقصى الشرق أو الغرب، قاتلنا من أجل الإسلام في وطننا، أو من أجل وطننا لأنه إسلامي؛ ندافع عن الإسلام الذي فيه، أما مجرد الوطنية فإنها نية باطلة لا تفيد الإنسان شيئاً، ولا فرق بين الإنسان الذي يقول إنه مسلم والذي يقول إنه كافر؛ إذا كان القتال من أجل الوطن لأنه وطن.

وما يذكر من أن حب الوطن من الإيمان! وأن ذلك حديث عن رسول الله ﷺ كذب، حب الوطن إن كان لأنه وطن إسلامي فهذا تحبه لأنه إسلامي، ولا فرق بين وطنك الذي هو مسقط رأسك، أو الوطن البعيد من بلاد المسلمين؛ كلها وطن الإسلام يجب أن نحميه، يجب أن نعلم أن النية الصحيحة هي أن نقاتل من أجل الدفاع عن الإسلام في بلدنا، أو من أجل وطننا لأنه وطن إسلامي، لا لمجرد الوطنية، ونرجو منكم أن تنبهوا على هذه المسألة؛ لأننا نرى في الجرائد والصحف: الوطن! الوطن! الوطن! وليس فيها ذكر الإسلام، هذا نقص عظيم، يجب أن توجه الأمة إلى النهج والمسلك الصحيح .

أما قتال الدفاع، أي: لو أن أحداً صال عليك في بيتك، يريد أخذ مالك، أو يريد أن ينتهك عرض أهلك؛ فإنك تقاتله كما أمرك بذلك النبي ﷺ، فقد سئل عن الرجل يأتيه الإنسان ويقول له: أعطني مالك؟ قال: «**لَا تُعْطِهِ مَالَكَ**»، قال: أرأيت إن قاتلته؟ قال: «**قَاتِلْهُ**»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هُوَ فِي النَّارِ**»؛ حتى وإن كان مسلماً، ولا تقل كيف أقتل مسلماً؟ لأنه المعتدي، ولو كتفنا أيدينا أمام المعتدين لكان لهم السلطة، ولأفسدوا في الأرض، مع أنه لا يمكن أبداً أن يكون شخص معه إيمان، يقدم على مسلم يقاتله ليستولي على أهله وماله! فإذا كان الرجل فاقداً الإيمان، أو ناقص الإيمان؛ فإنه يجب أن نقاتله دفاعاً عن النفس وجوباً.

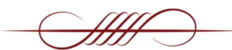
والحاصل أن هناك قتالين: قتالاً للطلب؛ وقتالاً للدفاع، أما الأول: أذهب أنا أقاتل

المسلمين في بلادهم، هذا لا يجوز إلا بشروط معينة، مثلاً، قال العلماء: إذا ترك أهل قرية الأذان؛ وهو ليس من أركان الإسلام، إنما هو شعيرة من شعائر الإسلام، وجب على ولي الأمر أن يقاتلهم حتى يؤذنوا، وإذا تركوا صلاة العيد، وقالوا لا نصليها لا في بيوتنا، ولا في الصحراء؛ يجب أن نقاتلهم، وإذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين، مثل: قبيلتان بينهما عصبية، تقاتلتا، وجب علينا أن نصلح بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى وجب أن نقاتلها.

[٩] وعن أبي بَكرَةَ نُفيع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّارِ**». قُلتُ: يَا رَسُولَ الله، هٰذَا القَاتِلُ فَمَا بَالُ المَقْتُولِ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وكذلك لو أشهر عليه السلاح؛ كالبندقية، أو غيرها مما يقتل؛ كحجر ونحوه! فذكر السيف هنا على سبيل التمثيل وليس على سبيل التعيين، بل إذا التقى المسلمان بأي وسيلة يكون بها القتل، فقتل أحدهما الآخر فالقاتل والمقتول في النار، فإذا سلمنا أن القاتل في النار، فما بال المقتول؟ كيف يكون في النار؟ فقال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»؛ ولهذا جاء بآلة القتل ليقتله، ولكن تفوّق عليه الآخر فقتله.

ففي هذا الحديث دليل على أن الأعمال بالنيات، وبهذا نعرف الفرق بين هذا الحديث وقوله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». وقوله فيمن أتى ليأخذ مالك: «**إِنْ قَتَلْتَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَإِنْ قَتَلَكَ فَأَنْتَ شَهِيدٌ**»، وذلك أن الإنسان الذي يدافع عن ماله وأهله ونفسه وعرضه، إنما دافع رجلاً معتدياً صائلاً لا يندفع إلا بالقتل.



**[١٠]** وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتُهُ فِي سُوقِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذٰلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى المَسْجِدَ، لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**يَنْهَزُهُ**»: أَيْ يُخْرِجُهُ ويُنْهِضُهُ، وقوله: «**لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ**»؛ أي في جماعة، والقول الراجح من أقوال أهل العلم أن صلاة الجماعة فرض عين؛ وأنه يجب على الإنسان أن يصلي مع الجماعة في المسجد، لأحاديث وردت في ذلك، أوجب الله فيها صلاة الجماعة في حال الخوف، فإذا أوجبها في حال الخوف؛ ففي حال الأمن من باب أولى وأحرى، ثم ذكر السبب في ذلك: «**لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ**»، سواء أقرب مكانه من المسجد أم بعد، حتى يدخل المسجد؛ فإذا دخل المسجد فصلى ثم جلس ينتظر الصلاة؛ «**فَإِنَّهُ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ**»؛ لو بقيت منتظراً مدة طويلة، وأنت جالس لا تصلي، بعد أن صليت تحية المسجد، وهناك أيضاً شيء رابع: أن الملائكة تصلي عليه ما دام في مجلسه الذي صلى فيه، وهذا أيضاً فضل عظيم لمن حضر بهذه النية وبهذه الأفعال، والشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ:«**ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى المَسْجِدِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ**»، فإنه يدل على اعتبار النية، أما لو خرج من بيته لا يريد الصلاة، فإنه لا يكتب له هذا الأجر؛ مثل أن يخرج من بيته إلى دكانه؛ ولما أذن ذهب صلى؛ فإنه لا يحصل على هذا الأجر؛ لكن ربما يكتب له الأجر من حين أن ينطلق من دكانه أو مكان عمله إلى أن يصل إلى المسجد؛ ما دام انطلق من هذا المكان وهو على طهارة.



**[١١]** وعن أبي العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ﭬ، عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَٰلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ ﷻ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**». مُتَّفَقٌ عليهِ.

قال ابن مسعود: ويلٌ لمن غلبت وحداته عشراته، وقال العلماء: إن السيئة تعظم أحياناً بشرف الزمان أو المكان، وقد تضاعف بشرف فاعلها وقوة معرفته، كما قال تعالى: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا، وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا**﴾ [الأحزاب:٣٠-٣١].

وكتابة الحسنات والسيئات تشمل معنيين:

المعنى الأول: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ، فإن الله كتب في اللوح المحفوظ كل شي، كما قال الله: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**﴾ [القمر: ٥٣].

والمعنى الثاني: إن السيئات والحسنات إذا عملها العبد فإن الله يكتبها حسب ما تقتضيه حكمته، وحسب ما يقتضيه عدله وفضله، ثم بين النبي ﷺ ذلك كيف يكتب، فبيّن أن الإنسان إذا هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله حسنة كاملة، مثاله: رجل همّ أن يتوضأ ليقرأ القرآن، ثم لم يفعل ذلك وعدل عنه، فإنه يكتب له بذلك حسنة كاملة، مثال آخر: رجل هم أن يتصدق، وعين المال الذي يريد أن يتصدق به، ثم أمسك ولم يتصدق، فيكتب له بذلك حسنة كاملة، أو همّ أن يصلي ركعتين، فأمسك ولم يصل، فإنه يكتب له بذلك حسنة كاملة، فإن قال قائل: كيف يكتب له حسنة وهو لم يفعلها؟ فالجواب على

ذلك: أن يقال إن فضل الله واسع، أما السيئة فقال: «**وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً**»، كرجل همّ أن يسرق، فأدركه خوف الله فترك السرقة، فإنه يكتب له بذلك حسنة كاملة؛ كما جاء ذلك مفسراً في لفظ آخر: «**إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ**»، أي من أجلي، همّ أن يفعل منكراً كالغيبة مثلاً، ولكنه ذكر أن هذا محرم فتركه لله؛ فإنه يعطى على ذلك حسنة كاملة.

**[١٢]** وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى آوَاهُمُ المَبِيتُ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي طَلَب الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ- وَالْقَدَحُ عَلَى يَدِي- أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّى بَرِقَ الفَجْرُ وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِيَّ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُما. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغَاء وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الصَّخْرَةِ، فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهُ.**

**قَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، وفي رواية: كُنْتُ أُحِبُّها كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النِّسَاءَ، فَأَرَدْتُهَا عَلَى نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، وفي رواية: فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجلَيْهَا، قالتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَانصَرَفْتُ عَنْهَا وَهيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيتُها، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا.**

وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَسْتَهْزِئْ بِي! فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيئاً، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذٰلِكَ ابتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ**»: أي صخرة كبيرة ولم يستطيعوا أن يزحزهوها، فرأوا أن يتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم، فذكر أحدهم بره التام بوالديه، وذكر الثاني عفته التامة مع ابنة عمه، وذكر الثالث ورعه ونصحه مع أجيره، فدعوا الله أن يفرج عنهم ما هم فيه، فانفرجت الصخرة، وانفتح الباب، فخرجوا يمشون.

من فوائد هذا الحديث:

بيان قدرة الله تعالى حيث إنه أزاح عنهما الصخرة بإذنه، لم تأت آلة تزيلها، ولم يأت رجال يزحزحونها، وإنما هو أمر الله ﷻ، أمر هذه الصخرة أن تنحدر فتنطبق عليهم ثم أمرها أن تنفرج عنهم، والله على كل شيء قدير، وفيه من العبر: أن الله تعالى سميع الدعاء؛ سمع دعاء هؤلاء واستجاب لهم، وفيه من العبر: أن الإخلاص في الأقوال والأعمال من أسباب تفريج الكربات؛ أما الرياء، كالذي يفعل الأعمال حتى يُمدح عند الناس؛ فإن هذا كالزبد يذهب جفاء، لا ينتفع منه صاحبه.





# ٢-التَّوبة

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح:١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

التَّوبة لغة: من تاب يتوب، إذا رجع، وشرعاً: الرجوع من معصية الله تعالى إلى طاعته، وأعظمها وأوجبها التوبة من الكفر إلى الإيمان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [لأنفال:٣٨]، ثم يليها التوبة من الكبائر؛ كبائر الذنوب، ثم المرتبة الثالثة: التوبة من صغائر الذنوب، والواجب على المرء، أن يتوب إلى الله من كل ذنب.

قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَإِنْ كَانَتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ اللهِ تَعَالَى لَا تَتَعَلَّقُ بِحَقٍّ آدَمِيٍّ فَلَهَا ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ:

الشَّرْطُ الأَوَّل: أَنْ يُقْلِعَ عَنِ المَعْصِيَةِ.

وَالشَّرْطُ الثَّانِي: أَنْ يَنْدَمَ عَلَى فِعْلِهَا.

وَالشَّرْطُ الثَّالِثُ: أَنْ يَعْزِمَ أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهَا أَبَدًا، فَإِنْ فُقِدَ أَحَدُ الثَّلَاثَةِ لَمْ تَصِحَّ تَوْبَتُهُ.

وَإِنْ كَانَتِ المَعْصِيَةُ تَتَعَلَّقُ بِآدَمِيٍّ فَشُرُوطُهَا **أَرْبَعَةٌ**: هٰذِهِ الثَّلَاثَةُ، وَأَنْ يَبْرَأَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِهَا، فَإِنْ كَانَتْ مَالًا أَوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ كَانَتْ حَدَّ قَذْفٍ وَنَحْوَهُ مَكَّنَهُ مِنْهُ أَوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وَإِنْ كَانَتْ غِيبَةً اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا، وَيَجِبُ أَنْ يَتُوبَ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ، فَإِنْ تَابَ مِنْ بَعْضِهَا صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أَهْلِ الحَقِّ مِنْ ذٰلِكَ الذَّنْبِ وَبَقِيَ عَلَيْهِ البَاقِي.

ومن الغريب أن بعض الناس تجلس إليه، وتجده يتأوه من وجود الربا، وهو في نفسه يرابي! أو يتأوه من الغيبة وأكل لحوم الناس؛ وهو من أكثر الناس غيبة! أو يتأوه من الكذب وضياع الأمانة في الناس؛ وهو من أكذب الناس وأضيعهم للأمانة! فالإنسان لا

بد أن يقلع عن الذنب الذي تاب منه، فإن لم يقلع فتوبته مردودة لا تنفعه عند الله، فإذا كان الذنب يتعلق في حق الله، فهذا يكفي أن تتوب بينك وبين ربك، ولا ينبغي بل لا يجوز أن تحدث الناس بما صنعت، فإذا كان الله قد منّ عليك بالستر فلا تحدث أحداً، وقد قال النبي ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ**»، ومن المجاهرة، كما جاء في الحديث: «**أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا... إِلَى آخِرِهِ**»، إلا أن بعض العلماء قال: إذا فعل الإنسان ذنباً فيه حدّ، فإنه لا بأس أن يذهب إلى الإمام ويقول إنه فعل الذنب الفلاني ويريد أن يطهره منه، ومع ذلك فالأفضل أن يستر على نفسه، يعني: إذا فعل معصية فيها حد كالزنا مثلاً، فيقول إنه فعل كذا وكذا؛ يطلب إقامة الحد على نفسه؛ لأن الحد كفارة للذنب، والأفضل أن تستر هذه المعاصي على نفسك كما سترها الله، لا تفضح نفسك. أما إذا كان الذنب بينك وبين الخلق، فإن كان مالاً فلابد أن تؤديه إلى صاحبه، ولا تقبل التوبة إلا بأدائه، مثل أن تكون قد سرقت مالاً من شخص وتبت من هذا، فلا بد أن توصل المال المسروق إلى صاحبه، أو جحدت حقاً لشخص؛ كان يكون في ذمتك دين لإنسان وأنكرته، ثم تبت، فلابد أن تذهب إلى صاحبه، وتقر عنده وتعترف، فإن كان قد مات، فإنك تعطيه ورثته، فإن لم تعرفهم، أو غاب عنك هذا الرجل ولم تعرف له مكاناً، فتصدق به عنه تخلصاً منه، والله ﷻ يعلمه ويعطيه إياه، أما إذا كانت المعصية بالضرب، فاذهب إليه ومكنه من أن يضربك؛ وليقتص منك؛ لقول الله تعالى: ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾ [الشورى:٤٠]، ولقوله تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**﴾ [البقرة:١٩٤].

وإن كانت أذية بالقول، مثل أن تكون قد سببته أمام الناس ووبخته وعيرته، فلابد أن تذهب إليه وتستحلّ منه بما تتفقان عليه، حتى لو قال لا أسمح لك إلا بكذا وكذا من النقود فأعطه، وإن كان الحق غيبة، وقدحت فيه عند الناس وهو غائب، فهذه اختلف فيها

العلماء؛ فمنهم من قال: لا بد أن تذهب إليه، وتقول له يا فلان إني تكلمت فيك عند الناس، فأرجوك أن تسمح عني، وقيل: لا تذهب إليه، بل فيه التفصيل! فإن كان قد علم بهذه الغيبة فلابد أن تذهب إليه وتستحله، وإن لم يكن علم فلا تذهب إليه، واستغفر له، وتحدث بمحاسنه في المجالس التي كنت تغتابه فيها؛ فإن الحسنات يذهبن السيئات، وهذا القول أصح كما جاء في الحديث النبوي: «**كَفَّارَةُ مَنِ اغْتَبْتَهُ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُ**».

أما الشرط الرابع: فهو العزم على أن لا تعود في المستقبل؛ فإن كنت تنوي أن تعود إليه عندما تسمح لك الفرصة فإن التوبة لا تصح؛ مثل: رجل كان يستعين بالمال على معصية الله، يشتري به المسكرات، يذهب إلى البلاد يزني ويسكر، فأصيب بفقر وقال: اللهم إني تبت إليك، وهو كاذب، يقول: تبت إليك، وهو في نيته أنه إذا عادت الأمور إلى مجاريها عاد، فهذه توبة عاجز، لأنه يوجد بعض الناس يصاب بفقر، فيقول: تركت الذنوب، فإذا عاد إليه الغنى رجع إلى الذنوب، فهذه توبة لا تنفعه.

والشرط الخامس: أن تكون في زمن تقبل فيه التوبة، فلابد أن تكون التوبة قبل حلول الأجل وهو الموت، لقول الله تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾ [النساء: ١٨]. هؤلاء ليس لهم توبة! فالإنسان إذا عاين الموت وحضره الأجل؛ فهذا يعني أنه أيس من الحياة، فتكون توبته في غير محلها! وعرف أنه لا بقاء له؛ يذهب فيتوب! هذه توبة اضطرار، فلا تنفعه ولا تقبل منه، أيضاً: إذا طلعت الشمس من مغربها، قال الله **سبحانه**: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾ [الأنعام:١٥٨] وهذا البعض: هو طلوع الشمس من مغربها كما فسر ذلك النبي ﷺ.

ثم اختلف العلماء: هل تقبل التوبة من ذنب مع الإصرار على غيره أو لا؟ في هذا ثلاثة أقوال لأهل العلم؛ منهم من قال: إنها تصح التوبة من الذنب وإن كان مصراً على

ذنب آخر، فتقبل توبته من هذا الذنب، ويبقى الإثم عليه في الذنب الآخر بكل حال، ومنهم من قال: لا تقبل التوبة من الذنب مع الإصرار على ذنب آخر، ومنهم من فصّل فقال: إن كان الذنب الذي أصر عليه من جنس الذنب الذي تاب منه فإنها لا تقبل، وإلا قبلت، مثال ذلك: رجل تاب من الربا ولكنه مصرّ على شرب الخمر، قيل: إن توبته من الربا لا تقبل، وقيل: بل تقبل؛ لأن الربا شيء وشرب الخمر شيء آخر، مثال آخر: رجل مبتلى بالزنا، ومبتلى أيضاً بالنظر إلى النساء بشهوة، فهل تصح توبته من أحدهما مع الإصرار الأخرى؟ منهم من يقول: تصح، ومنهم من يقول: لا تصح، ولكن الصحيح في هذه المسألة أن التوبة تصح من ذنب مع الإصرار على غيره، لكن لا يعطى الإنسان اسم التائب على سبيل الإطلاق، لأن هذا لم يتب توبة تامة بل توبة ناقصة.

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١].

«**لعلّ**»: في الأصل للترجي، وفي كلام الله تعالى للتحقيق؛ لأنَّ وعده واقع، والآية تدل على وجوب التوبة من الصغائر والكبائر، وهذه الجملة ختم الله بها آيتي وجوب غض البصر وحفظ الفرج؛ لأن غض البصر يعني: قصره وعدم إطلاقه، ولأن ترك غض البصر وحفظ الفرج من أسباب الهلاك وأسباب الشقاء، وأسباب البلاء. وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ، وَأَنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»، ولهذا كان أعداؤنا من اليهود والنصارى والمشركين وأذنابهم وأتباعهم، يحرصون غاية الحرص على أن يفتنوا المسلمين بالنساء، يدعون إلى التبرج، ويدعون إلى اختلاط المرأة بالرجل، ويدعون إلى التفسخ في الأخلاق، يدعون إلى ذلك بألسنتهم وأقلامهم وأعمالهم، لأنهم يعلمون أن الفتنة العظيمة التي ينسى بها الإنسان ربه ودينه إنما تكون في النساء، النساء اللاتي يفتنّ أصحاب العقول كما قال النبي ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ**»، هل تريد شيئاً أبينَ من هذا؟! أذهب للب الرجل

الحازم وعقله، فما بالك بالرجل الذي ليس عنده حزم ولا عزم ولا دين، ولا رجولة؛ يكون أشد، وهذا هو الواقع.

[١٣] وعن أبي هريرةَ ﷺ قَالَ: سمعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**». رواه البخاري.

[١٤] وعن الأَغَرِّ بن يسار المزنِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**». رواه مسلم.

وهذا هو الرسول ﷺ، الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة، وفي رواية: «**فَإِنِّي أَتُوبُ فِي اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ**». والتوبة لا بد فيها من صدق، بحيث إذا تاب الإنسان إلى الله أقلع عن الذنب، أما الإنسان الذي يتوب بلسانه وقلبه منطو على فعل المعصية، أو على ترك الواجب، أو يتوب إلى الله بلسانه، وجوارحه مصرة على فعل المعصية؛ فإن توبته لا تنفعه، بل إنها أشبه ما تكون بالاستهزاء بالله ﷻ! كيف تقول أتوب إلى الله من معصية وأنت مصر عليها أو عازم على فعلها؟ فالإنسان لو عامل بشرا مثله بهذه المعاملة لقال: هذا يسخر بي! ويستهزئ بي! فكيف برب العالمين؟

إن من الناس من يقول إنه تائب من الربا، ولكنه يمارس الربا صريحاً، ويمارس الربا مخادعة، وأن الذي يمارس الربا مخادعة أعظم إثماً وجرماً من الذي يمارس الربا صراحة، لأن الذي يمارس الربا بالمخادعة جنى على نفسه مرتين: بالوقوع في الربا، ومخادعة الله، وكأن الله لا يعلم! وهذا يوجد كثيراً في الناس اليوم؛ تجد عنده أموالاً لها سنوات عديدة في الدكان، فيأتي الغني بشخص فقير يوقده للمذبحة! يبيعها بالدين بيعاً صورياً، والكل يعلم أنه ليس بيعاً حقيقياً؛ لأن هذا المشتري لا ينظر إليه، ولا يهمه، ما يهمه

أنه يحتاج قرضاً ليقضي به حاجته، بل لو كان أكياساً من الرمل على أنها رز أو سكر لا يهمه؛ فيبيعها عليه بعشرة آلاف لمدة سنة، وينصرف من دون أن ينقلها من مكانها، ولا يدفع ثمنها، ثم يبيعها هذا المدين لصاحب الدكان بتسعة آلاف، ويقبضها، وتبقى في ذمته عشرة آلاف، يدفعها بالتقسيط لمدة سنة، ويقولون: إن هذا صحيح! بل يسمونه التصحيح! هل هذا تصحيح؟ هذا تلطيخ بالذنوب!



**[١٥]** وعن أبي حمزة أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلم: «**للهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ! أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ**».

رجل كان في أرض فلاة، ليس حوله أحد، لا ماء ولا طعام ولا أناس، ضاع بعيره، فجعل يطلبه فلم يجده، فذهب إلى شجرة ونام تحتها ينتظر الموت! قد أَيِسَ من بعيره، وأيس من حياته؛ لأن طعامه وشرابه على بعيره، فبينما هو كذلك، إذ بناقته عنده قد تعلق خطامها بالشجرة التي هو نائم تحتها، فبأي شيء يقدر هذا الفرح؟ هذا الفرح لا يمكن أن يتصوره أحد إلا من وقع في مثل هذه الحال! لأنه فرح عظيم، فرح بالحياة بعد الموت، فالله تعالى يفرح إذا تاب إليه عبده، ولكن لا لأجل حاجته إلى أعمالنا وتوبتنا؛ فالله غنيّ عنا، ولكن لمحبته سبحانه للكرم؛ فإنه تعالى يفرح ويغضب، ويكره ويحب، لكن هذه الصفات ليست كصفاتنا؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، بل هو فرح يليق بعظمته وجلاله، ولا يشبه فرح المخلوقين، وفيه دليل على أن الإنسان إذا

أخطأ في قول من الأقوال، ولو كان كفراً سبق لسانه إليه؛ فإنه لا يؤاخذ، فهذا الرجل قال كلمة كفر؛ لكن لما صدر عن خطأ صار غير مؤاخذ به، وكذلك غيرها من الكلمات؛ لو سب أحدا على وجه الخطأ من دون قصد، أو طلق زوجته على وجه الخطأ من دون قصد، فكل هذا لا يترتب عليه شيء؛ لأن الإنسان لم يقصده، فهو كاللغو في اليمين، بخلاف المستهزئ فإن المستهزئ يكفر إذا قال كلمة الكفر.

**[١٦]** وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ﵁، عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**». رواه مسلم.

وهذا من كرمه ﷻ، أنه يقبل التوبة حتى وإن تأخرت، لكن يجب المبادرة بالتوبة، لأن الإنسان لا يدري، فقد يفجأه الموت فيموت قبل أن يتوب.

ومن فوائد هذا الحديث: إثبات أن الله تعالى له يد، وهو كذلك، بل له يدان، ولكن لا يجوز أن نتوهم أنها مثل أيدينا؛ لأن الله يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١]، وهكذا كل ما مرّ بك من صفات الله فأثبتها لله، لكن من دون أن تمثلها بصفات المخلوقين؛ لأن الله ليس كمثله شيء؛ لا في ذاته، ولا في صفاته.

**[١٧]** وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيهِ**». رواه مسلم.

قبول التوبة مستمر ما دام بابها مفتوحًا، فإذا أغلق لم تقبل. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، يعني: إذا طلعت الشمس من مغربها، لم ينفع الكافر إيمانه، ولا العاصي

توبته، وقد يسأل سائل: هل الشمس تطلع من مغربها؟ نقول: نعم، في آخر الزمان يأمر الله الشمس أن ترجع من حيث جاءت فتنعكس الدورة، فإذا رآها الناس آمنوا كلهم، حتى الكفار؛ اليهود والنصارى، والبوذيون وغيرهم؛ كلهم يؤمنون، ولكن لا ينفعهم إيمانهم.

**[١٨]** وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﭫ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَقْبَلُ تَوْبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**». رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

«**مَا لَمْ يُغَرْغِرْ**»: أي ما لم تصل الروح الحلقوم، فإذا وصلت الروح الحلقوم فلا توبة، وقد بينت النصوص الأخرى أنه إذا حضر الموت فلا تقبل توبة؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ**﴾ [النساء:١٨].

**[١٩]** وَعَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، قَالَ: أَتَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ عَسَّالٍ ﭬ أَسْأَلُهُ عَنِ المَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكَ يَا زِرُّ؟ فَقُلْتُ: ابْتِغَاءَ العِلْمِ، فَقَالَ: إِنَّ المَلَائِكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًى بِمَا يَطْلُبُ، فَقُلْتُ: إِنَّهُ قَدْ حَكَّ فِي صَدْرِي المَسْحُ عَلَى الخُفَّيْنِ بَعْدَ الغَائِطِ وَالبَوْلِ، وَكُنْتَ امْرَءًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي ذٰلِكَ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ يَأْمُرُنَا إِذَا كُنَّا سَفَرًا، أَوْ مُسَافِرِينَ، أَنْ لَا نَنْزِعَ خِفَافَنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيهِنَّ إِلَّا مِنْ جَنَابَةٍ، لٰكِنْ مِنْ غَائِطٍ وَبَوْلٍ وَنَوْمٍ، فَقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكُرُ فِي الهَوَى شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ نَادَاهُ أَعْرَابِيٌّ بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَجَابَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَحْوًا مِنْ صَوْتِهِ: «**هَاؤُمْ**»، فَقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ! اغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ فَإِنَّكَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ نُهِيتَ عَنْ هٰذَا! فَقَالَ: وَاللهِ لَا أَغْضُضُ، قَالَ الأَعْرَابِيُّ: المَرْءُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى ذَكَرَ بَابًا مِنَ المَغْرِبِ مَسِيرَةُ عَرْضِهِ، أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ أَرْبَعِينَ أَوْ

سَبْعِينَ عَامًا- قَالَ سُفْيَانُ أَحَدُ الرُّوَاةِ: قِبَلَ الشَّامِ- خَلَقَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ. رواه الترمذي وغيره، وقال حديث حسن صحيح.

حك: أي أثَّر، والهوى: الحبّ.

يُستفاد من هذا الحديث: أنه ينبغي إذا أشكل على الإنسان شيء أن يسأل عنه، حتى لا يبقى في قلبه حرج مما سمع، لأن بعض الناس يسمع الشيء من الأحكام الشرعية ويكون في نفسه حرج، ويبقى متشككاً متردداً، لا يسأل أحداً يزيل عنه هذه الشبهة، وهذا خطأ، بل يسأل حتى يصل إلى أمر يطمئن إليه ولا يبقى عنده قلق، ومن ذلك المسح على الخفين، وهو ثابت في كتب السنة، وبعض أهل العلم ذكروا المسح على الخفين في كتاب العقائد؛ وذلك لأن الرافضة خالفوا في ذلك؛ فلم يثبتوا المسح على الخفين وأنكروه، والعجب أن ممن روى عن المسح على الخفين علي بن أبي طالب ﵁.

ولكن لا بد من شروط لجواز المسح على الخفَّين:

الشرط الأول: أن يلبسهما على طهارة؛ فمثلاً: لو توضأ وضوءاً كاملاً، وغسل رجليه، ثم لبس الجوارب أو الخفين، فقد لبسهما على طهارة، كذلك لو كان قد لبس جوارب من قبل ومسح عليهما، ثم احتاج إلى زيادة جورب ولبسه على الجورب الأول الذي مسحه وهو على طهارة، فإنه يمسح على الثاني، لكن يكون ابتداء المدة من المسح على الأول، هذا هو القول الصحيح، ولا بد أن تكون الطهارة بالماء، فلو لبسهما على طهارة تيمم فإنه لا يمسح عليهما؛ مثل رجل مسافر ليس معه ماء، فتيمم ولبس الخفين على طهارة تيمم، ثم بعد ذلك وجد الماء وأراد أن يتوضأ، ففي هذه الحال لا بد أن يخلع الخفين ويغسل قدميه عند الوضوء، ولا يجوز المسح عليهما في هذه الحال.

الشرط الثاني: أن يكون المسح عليهما في الحدث الأصغر، فإذا صار على الإنسان

جنابة؛ فإنه لا يجزئ أن يمسح على الجوربين أو الخفين، بل لابد من نزعهما وغسل القدمين؛ وذلك لأن الطهارة الكبرى ليس فيها مسح إلا للضرورة في الجبيرة.

الشرط الثالث: أن يكون المسح في المدة التي حددها النبي ﷺ وهي يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر، كما صح ذلك من حديث علي بن أبي طالب، فإذا انتهت المدة فلا مسح، لا بد أن يخلع الجوربين أو الخفين.

وقوله: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»: هذه بشرى للإنسان؛ أنه إذا أحب قوماً صار معهم وإن قصر به عمله؛ يكون معهم في الجنة ويجمعه الله معهم في الحشر، ويشربون من حوض الرسول ﷺ جميعاً؛ كما أن من أحب الكفرة فإنه يكون معهم، لأن محبة الكافرين حرام، وأنهم أعداء له ولله مهما أبدوا من الصداقة والمودة والمحبة؛ فإنهم لن يتقربوا إليك لمصلحتك فهذا شيء بعيد، ولهذا يجب عليك أن تكره من قلبك كل كافر مهما كان جنسه، ومهما كان تقربه إليك فاعلم أنه عدوك، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ [الممتحنة:١]، إذا نأخذ من هذه قاعدة ألا وهي: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فعليك يا أخي أن تشد قلبك على محبة الله تعالى، ورسوله، وصحابته، وأوليائه وجميع الصالحين .



**[٢٠]** وعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: «**كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعِينَ نَفْساً فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِئَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِئَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ومَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلى أَرْضِ كَذَا وكَذَا فإِنَّ بِهَا أُناسًا يَعْبُدُونَ اللهَ تَعَالَى فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا**

**نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ المَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ العَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا، مُقْبِلًا بِقَلبِهِ إِلَى اللهِ تَعَالَى، وَقالَتْ مَلَائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، أَيْ حَكَمًا، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية في الصحيح: «**فَكَانَ إِلَى القَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا**»، وفي رواية في الصحيح: «**فَأَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى هٰذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَإِلَى هٰذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي، وَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَهُمَا، فَوَجَدُوهُ إِلَى هٰذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ**». وفي رواية: «**فَنَأَى بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا**».

رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، ثم إنه ندم، وسأل: هل له من توبة؟ فدُلّ على رجل، فإذا هو راهب يعني عابداً، ولكن ليس عنده علم، فاستعظم الراهب هذا الذنب وقال: ليس لك توبة! فغضب الرجل وانزعج وقتل الراهب؛ فأتم به مائة نفس، ثم إنه سأل فدُلّ على رجل عالم فقال: نعم! ومن يحول بينك وبين التوبة؟ باب التوبة مفتوح، فأمره هذا العالم أن يهاجر بدينه إلى هذه قرية يُعبد فيها الله، فخرج تائبا نادماً مهاجراً بدينه، وفي منتصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة، فقبضته ملائكة الرحمة، ففي هذا دليل على فوائد كثيرة: منها: أن القاتل إذا قتل إنساناً عمداً ثم تاب فإن الله يقبل توبته، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨]، يعني ما دون الشرك، فإن الله تعالى يغفره إذا شاء، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم، وما روي عن ابن عباس فإنه يمكن أن يُحمل على أنه ليس توبة بالنسبة للمقتول؛ وذلك لأن القاتل إذا قتل تعلق فيه ثلاثة حقوق: الحق الأول: لله، والثاني: للمقتول، والثالث: لأولياء المقتول، أما حق الله؛ فلا شك أن الله تعالى يغفره بالتوبة، لقول الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ**

**اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾** [الزمر:٥٣]، ولقوله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾** الفرقان:٦٨-٧٠]. وأما حق أولياء المقتول، فإنها لا تصح توبة القاتل حتى يسلم نفسه إلى أولياء المقتول ويقول: أنا بين أيديكم، إن شئتم اقتلوني وإن شئتم خذوا الدية، وإن شئتم اسمحوا، وأما حق المقتول؛ فإن توبة القاتل لا تنفعه لأنه مات، فهذا هو الذي يبقي مطالباً به القاتل ولو تاب، ويوم القيامة فالله يفصل بينهما.



**[٢١]** وعن عبد الله بن كعب بن مالك، وكان قائد كعب ﷺ من بنيه حين عمي، قال: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يُحَدِّثُ بِحَدِيثِهِ حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، قَالَ كَعْبٌ: لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا قَطُّ إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ، وَلَمْ يُعَاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ؛ إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ قُرَيْشٍ حَتَّى جَمَعَ اللهُ تَعَالَى بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، وَلَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ العَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا، وَكَانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَاللهِ مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الغَزْوَةِ وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا حَتَّى كَانَتْ تِلْكَ الغَزْوَةُ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ عَدَدًا كَثِيرًا، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللهِ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ- يُرِيدُ بِذَٰلِكَ الدِّيوَانَ- قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أَنَّ ذَٰلِكَ سَيَخْفَى بِهِ مَا لَمْ

يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ، وَغَزَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تِلْكَ الغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلَالُ، فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ، فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَطَفِقْتُ أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، وَأَقُولُ فِي نَفْسِي: أَنَا قَادِرٌ عَلَى ذٰلِكَ إِذَا أَرَدْتُ، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ الجِدُّ، فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ غَادِيًا وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا، فَلَمْ يَزَلْ يَتَمَادَى بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لَمْ يُقَدَّرْ ذٰلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أَنِّي لَا أَرَى لِي أُسْوَةً، إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ، أَوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَ الضُّعَفَاءِ، وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ! وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَبَيْنَا هُوَ عَلَى ذٰلِكَ رَأَى رَجُلًا مُبْيِضًا يَزُولُ بِهِ السَّرَابُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ**»، فَإِذَا هُوَ أَبُو خَيْثَمَةَ الأَنْصَارِيُّ، وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ.

قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي، فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الكَذِبَ وَأَقُولُ: بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وَأَسْتَعِينُ عَلَى ذٰلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي، فَلَمَّا قِيلَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ أَظَلَّ قَادِمًا، زَاحَ عَنِّي البَاطِلُ حَتَّى عَرَفْتُ أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَدًا، فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذٰلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعًا وَثَمَانِينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُمْ عَلَانِيَتَهُمْ، وَبَايَعَهُمْ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، حَتَّى جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ، ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ**

**ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي وَالله لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ؛ لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا، وَلَكِنِّي وَالله لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وَإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَى الله ﷻ، وَالله مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ، وَالله مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا هٰذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**». وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي، فَقَالُوا لِي: والله مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هٰذَا، لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لَا تَكُونَ اعْتَذَرْتَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِمَا اعْتَذَرَ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ الله ﷺ لَكَ، قَالَ: فَوَالله مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّى أَرَدْتُّ أَنْ أَرْجِعَ إِلَى رسولِ الله ﷺ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هٰذَا مَعِي مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ، قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُمَا؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وَهِلَالُ ابْنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ؟ قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَينِ صَالِحَينِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ، قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي.

وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ كَلَامِنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ، أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا حَتَّى تَنَكَّرَتْ لِي فِي نَفْسِي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَى ذٰلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وَأَمَّا أَنَا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ وَأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رَسُولَ الله ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ، وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَى صَلَاتِي نَظَرَ إِلَيَّ، وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي، حَتَّى إِذَا طَالَ ذٰلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ، مَشَيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ أَبِي قَتَادَةَ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَوَالله مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِالله هَلْ تَعْلَمُنِي

أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ، فَقَالَ: اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَفَاضَتْ عَيْنَايَ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّى تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ المَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ حَتَّى جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيعَةٍ، فَالحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ، فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهٰذِهِ أَيْضًا مِنَ البَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهَا، حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ، وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، إِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ، فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ فَقَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا، وَأَرْسَلَ إِلَى صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذٰلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ فِي هٰذَا الأَمْرِ، فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «**لَا، وَلٰكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ**»، فَقَالَتْ: إِنَّهُ واللهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَى شَيْءٍ، وَوَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَى يَوْمِهِ هٰذَا، فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَو اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يقُولُ رَسولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ، وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ! فَلَبِثْتُ بِذٰلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا.

ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، فَآذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللهِ ﷻ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى

صَلَاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا، وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَى عَلَى الجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ، وَاللهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونَنِي بِالتَّوْبَةِ، وَيَقُولُونَ لِي: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ، حَتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَه النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ رضي الله عنه يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، وَاللهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُذْ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**»، فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ**»، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَٰلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، فَقُلْتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيْبَرَ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمِينَ أَبْلَاهُ اللهُ تَعَالَى فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَٰلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللهُ تَعَالَى، وَاللهِ مَا تَعَمَّدْتُ كِذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذَٰلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَٰذَا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَحْفَظَنِي اللهُ تَعَالَى فِيمَا بَقِيَ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ**﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿**إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ، وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ**﴾ حَتَّى بَلَغَ: ﴿**اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:١١٧- ١١٩].

قَالَ كَعْبٌ: وَاللهِ مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللهُ لِلْإِسْلَامِ أَعْظَمَ فِي

نَفْسِي مِنْ صِدْقِي رَسُولَ الله ﷺ أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ، فَأَهْلِكَ كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا؛ إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أَنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ، فَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٩٥– ٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ رَسُولُ الله ﷺ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللهُ تَعَالَى فِيهِ بِذٰلِكَ، قَالَ اللهَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾، وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفُنَا عَنِ الغَزْوِ، وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقُبِلَ مِنْهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخَمِيسِ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الخَمِيسِ، وفي رواية: وَكَانَ لَا يَقْدِمُ مِنْ سَفَرٍ إِلَّا نَهَارًا فِي الضُّحَى، فَإِذَا قَدِمَ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ.

هذا حديث كعب بن مالك، فيه أكثر من أربعين فائدة، وكانت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، غزا النبي ﷺ الروم وهم على دين النصارى حين بلغه أنهم يجمعون له، وأقام بتبوك عشرين ليلة، ولكنه لم ير عدواً فرجع، وكانت هذه الغزوة في أيام الحرّ حين طابت الثمار، والمنافقون يحبون الدنيا على الآخرة، فتخلف المنافقون عن هذه الغزوة، أما المؤمنون الخلص، فإنهم خرجوا مع النبي ﷺ، إلا أن كعب بن مالك تخلف عن غزوة تبوك بلا عذر، وهو من المؤمنين الخلص.

ورّى: معناه: إذا أراد أن يخرج إلى الجنوب أظهر وكأنه يريد أن يخرج إلى الشمال، حتى لا يطلع العدو على أسراره، إلا في غزوة تبوك، فإن النبي ﷺ بين أمرها لأصحابه؛ لأنها كانت في شدة الحر حين طابت الثمار، والنفوس مجبولة على الركون إلى الكسل

والرخاء، كما أن المدى بعيد من المدينة إلى تبوك، وأن العدو كثير وهم الروم، اجتمعوا في عدد هائل، ولم يتخلف إلا من خذله الله بالنفاق، وثلاثة رجال فقط، تخلفوا لأمر أراده الله.

من فوائد هذا الحديث: ينبغي على الإنسان أن لا يتأخر عن فعل الخير، بل لا بد أن يتقدم ولا يتهاون أو يتكاسل، نخص أولئك الذين يدخلون إلى المسجد ولكن لا يتقدمون إلى الصف الأول، بل يكونون في المؤخرة، قال ﷺ: «**لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»، فإذا عوّد الإنسان نفسه على التأخير آخره الله.

والنبطي: الذي ليس بعربي ولا بعجمي، وسموا بذلك لأنهم كانوا يخرجون في البراري يستنبطون الماء، وقول النبطي: من يدلني على كعب بن مالك! هذا من البلاء، يعني: هذا من الامتحان، رجل مهجور منبوذ حتى من أقرب الناس إليه، لو كان في قلبه ضعف إيمان لانتهز الفرصة بدعوة هذا الملك وذهب إليه، لكنه بدل ذلك ذهب إلى التنور فسجره فيه: يعني أوقدها بالتنور، وإنما أوقدها ولم يجعلها معه لئلا توسوس له نفسه بعد ذلك أن يذهب إلى هذا الملك، فأتلفها حتى ييأس منها، ثم بقي على ذلك مدة.

ومن فوائد الحديث: قوة كعب بن مالك في دين الله، وأنه من المؤمنين الخلص، وليس ممن قال الله فيهم: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ**﴾ [العنكبوت:١٠]، فبعض الناس يقول آمنّا بالله، ولكن إيمانه ضعيف، إذا أوذي في الله ارتد وفسق وترك الطاعة، وكعب بن مالك صبر واحتسب وانتظر الفرج، ففرج الله عنه.

ومن فوائد الحديث: جواز حكاية الحال عند الاستفتاء أو الشهادة، وإن كان المحكي عنه قد لا يحب أن يطلع عليه الناس، لأن امرأة هلال بن أمية ذكرت من حاله أنه ليس فيه حاجة إلى شيء من النساء.

وفيه أيضاً: أن الإنسان إذا حصل له مثل هذه الحال وهجره الناس، وصار يتأذي

من مشاهدتهم ولا يتحمل، فإن له أن يتخلف عن صلاة الجماعة، وإن هذا عذر؛ لأنه إذا جاء إلى المسجد في هذه الحال سوف يكون متشوّشاً غير مطمئن في صلاته؛ ولهذا صلى كعب صلاة الفجر على ظهر بيت من بيوته، وفيه: أنه لا بأس بالقيام إلى الرجل لمصافحته وتهنئته بما يسره إذا أعتاده الناس، لأنه لم يرد النهي عنه؛ وإنما النهي والتحذير من الذي يُقام له، لقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَتَمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».

**[٢٢]** وعن أبي نُجَيد عمران بن الحُصَيْن الخزاعي رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رَسُولَ الله ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَى، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا نَبِيُّ الله ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «**أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي**»، فَفعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ الله ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يَا رَسُولَ الله وَقَدْ زَنَتْ؟ قَالَ: «**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِهَا للهِ ﷻ؟!**». رواه مسلم.

وفي رواية: ثم أمر بها، فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها، فتنضَّح الدم على وجه خالد فسبَّها، فسمع النبي ﷺ سبَّهُ إياها، فقال: «**مَهْلًا يَا خَالِدُ، فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ تَابَهَا صَاحِبُ مكسٍ لَغُفِرَ لَهُ. ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَصَلَّى عَلَيْهَا وَدُفِنَتْ**».

قوله: "**صَاحِبُ مكسٍ**": هو الذي يأخذ من التجار ضريبة بغير حق، وهو محرم بالإجماع. "فَشَدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا": أي لفّت ثيابها وربطت لئلا تنكشف. "ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ" أي: بالحجارة: وهي ليست كبيرة ولا صغيرة، حتى ماتت، ثم صلى عليها النبي ﷺ ودعا لها دعاء الميت، ثم قال: لقد تابت توبة واسعة لو قسمت على سبعين كلهم مذنب لوسعتهم ونفعتهم، وهل وجدت أفضل من هذه الحال؟ أن جادت بنفسها لله؛ يعني

سلمت نفسها من أجل التقرب إلى الله والخلاص من إثم الزنى؟! ففي هذا الحديث فوائد: منها: أن الزاني إذا زنى وهو محصن، يعني تزوج، فإنه يجب أن يرجم وجوباً؛ وقد كان هذا في كتاب الله آية قرأها المسلمون وحفظوها ووعوها ونفذوها، رجم النبي ﷺ ورجم الخلفاء من بعده، ولكن الله بحكمته نسخها من القرآن لفظاً وأبقى حكمها في هذه الأمة، فإذا زنى المحصن، وهو الذي قد تزوج، فإنه يرجم حتى يموت، يوقف في مكان واسع، ويجتمع الناس، ويأخذون من الحصى يرمونه به حتى يموت، وهذه من حكمه الله ﷻ، أي أنه لم يأمر الشرع بأن يقتل بالسيف وينتهي أمره، بل يرجم بهذه الحجارة حتى يتعذب ويذوق ألم العذاب في مقابل ما وجده من لذة الحرام؛ لأن هذا الزاني تلذذ جميع جسده بالحرام، فكان من الحكمة أن ينال هذا الجسد من العذاب بقدر ما نال من اللذة.

فإذا قال قائل: أليس قد قال النبي ﷺ: «**إِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القَتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ**»، والقتلة بالسيف أريح للمرجوم من الرجم بالحجارة؟ قلنا: بلى، لكن إحسان القتلة يكون بموافقتها للشرع، فالرجم إحسان لأنه موافق للشرع، ولذلك لو أن رجلاً جنى على شخص فقتله عمداً وعزر به قبل أن يقتله، فإننا نعزر بهذا الجاني قبل أن نقتله، مثلاً: لو أن رجلاً جانياً قتل شخصاً فقطع يديه، ثم رجليه، ثم لسانه، ثم رأسه، فإننا لا نقتل الجاني بالسيف! بل نقطع يديه، ثم رجليه، ثم لسانه، ثم نقطع رأسه مثلما فعل، ويعتبر هذا إحساناً في القتلة، لأن إحسان القتلة أن يكون موافقاً للشرع على أي وجه كان.

**وفي هذا الحديث**: دليل على جواز إقرار الإنسان على نفسه بالزنى، عند الإمام أو نائبه؛ من أجل إقامة الحد عليه، من أجل تطهيره بالحد لا من أجل فضح نفسه، هذا لا يلام ولا يذم، وأما الإنسان الذي يخبر عن نفسه بأنه زنى، يخبر بذلك عامة الناس؛ فهذا فاضح نفسه، لأن الرسول ﷺ يقول: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ. قَالُوا: مَنِ المُجَاهِرُونَ؟ قَالَ: الَّذِي يَفْعَلُ الذَّنْبَ ثُمَّ يَسْتُرُهُ اللهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصْبِحُ يَتَحَدَّثُ بِهِ**». وإذا قال قائل: هل الأفضل

للإنسان إذا زنى أن يذهب إلى القاضي ليقرّ عنده، فيقام عليه الحد، أو الأفضل أن يستر نفسه؟ فالجواب عن هذا: قد يكون الإنسان تاب توبة نصوحاً، وندم، وعرف من نفسه أنه لن يعود، فالأفضل أن لا يذهب ولا يخبر عن نفسه، بل يجعل الأمر سراً بينه وبين الله، ومن تاب تاب الله عليه، وأما من خاف أن يعود ويرجع إلى الذنب مرة أخرى؛ فالأفضل في حقه أن يذهب إلى ولي الأمر، أو إلى القاضي، ليقر عنده فيقام عليه الحد.



[٢٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّ لِابْنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيانِ، وَلَنْ يَمْلأَ فَاهُ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**». مُتَّفَقٌ عليه.

في هذا الحديث:

دليل على أنَّ الإِنسان لا يزال حريصًا على الدنيا حتى يموت، ومعناه: أن ابن آدم لن يشبع من المال، ولو كان له واد واحد. "لابتغى": أي طلب أن يكون له واديان، ولا يملأ فاه إلا التراب؛ وذلك إذا مات ودفن وترك الدنيا وما فيها؛ حينئذ يقتنع؛ لأنها فاتنة، ولكن مع ذلك حث الرسول ﷺ على التوبة؛ لأن الغالب أن الذي يكون عنده طمع في المال؛ أنه لا يحترز من الأشياء المحرمة من الكسب المحرم، ولكن دواء ذلك بالتوبة إلى الله، ولهذا قال: «**وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ**».



[٢٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَضْحَكُ اللهُ ﷻ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ يَدْخُلَانِ الجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هٰذَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَى القَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُسْتَشْهَدُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فهذا وجه العجب من الله لهذين الرجلين؛ كان بينهما تمام العداوة في الدنيا؛ حتى إن

أحدهما قتل الآخر، فقلب الله هذه العداوة التي في قلب كل واحد منهم، وما في نفوسهما من الغل، لأن أهل الجنة يطهرون من الغل والحقد؛ كما قال الله تعالى في وصفهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧]، ففيه دليل على أن الكافر إذا تاب من كفره ولو كان قد قتل أحداً من المسلمين فإن الله تعالى يتوب عليه؛ لأن الإسلام يهدم ما قبله، وفيه إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له أن يتوب من الذنب الذي اقترفه وإن كان كبيراً، ولا يؤيسه ذلك من رحمة الله، فإن الله واسع المغفرة.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].





## ٣-الصَّبر

قِيلَ: إن الصَّبر ذُكِرَ في مائة موضع من القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وقوله تعالى: ﴿وَصَابِرُوا﴾ أي: غالبوا الكفار بالصبر فلا يكونوا أَشدَّ صبرًا منكم، فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون، وقوله تعالى: ﴿وَرَابِطُوا﴾ أي: أقيموا على الجهاد، قال ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»، وقال ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**». **الصبر في اللغة:** الحبس، والمراد به في الشرع: حبس النفس على أمور ثلاثة:

صبرٌ على طاعة الله، وصبرٌ عن محارم الله، وصبرٌ على أقدار الله، وقد أَمر الله تعالى بالصبر على ذلك كله.

الأمر الأول: أن يصبر الإنسان على طاعة الله، لأن الطاعة ثقيلة على النفس، وربما تكون ثقيلة على البدن بحيث يكون مع الإنسان شيء من العجز والتعب، ويكون فيها مشقة من الناحية المالية؛ كمسألة الزكاة ومسألة الحج، وكل ذلك يحتاج إلى صبر وإلى معاناة.

الأمر الثاني: الصبر عن محارم الله بكف الإنسان نفسه عما حرم الله عليه، مثل الكذب، والغش في المعاملات، وأكل المال بالباطل بالربا، والزنا، وشرب الخمر، والسرقة، وما أشبه ذلك من المعاصي الكثيرة، وهذا أيضاً يحتاج إلى معاناة، ويحتاج إلى كف النفس والهوى.

الأمر الثالث: فهو الصبر على أقدار الله الملائمة والمؤلمة؛ فالملائمة: تحتاج إلى الشكر،

والمؤلمة: بحيث يبتلى الإنسان في بدنه، وفي ماله وفي أهله، وفي مجتمعه، وأنواع البلايا كثيرة تحتاج إلى صبر، فيصبّر الإنسان نفسه من إظهار الجزع باللسان أو بالقلب، أو بالجوارح، لأن الإنسان عند حلول المصيبة له أربع حالات:

الحالة الأولى: أن يتسخط بالقلب أو باللسان أو بالجوارح. والتسخط يكون في القلب: وهو أن يكون في قلبه شيء على ربه من السخط، ويشعر وكأن الله قد ظلمه بهذه المصيبة، وإما أن يتسخط باللسان فيدعو: يا ويلاه، وأن يسب الدهر، وإما يتسخط بالجوارح فيلطم خده، أو يصفع رأسه، أو ينتف شعره، أو يشق ثوبه، هذه حال الهلعين الذين حرموا الثواب، ولم ينجوا من المصيبة، فصار عندهم مصيبتان، مصيبة في الدنيا ومصيبة في الدين.

الحالة الثانية: الصبر على المصيبة بأن يحبس نفسه، هو يكره المصيبة، لكن يصبر نفسه، ولا يكون في قلبه شيء على الله أبداً، فهو صابر لكنه كاره لها.

الحالة الثالثة: الرضا؛ بأن يكون الإنسان منشرحاً صدره بهذه المصيبة، ويرضى بها رضاء تاماً وكأنه لم يصب بها.

الحالة الرابعة: الشكر؛ فيشكر الله عليها، وكان النبي ﷺ إذا رأى ما يكره قال: «**الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**».

قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة:١٥٥].

﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**﴾: أي لنختبرنكم، ﴿**بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ**﴾: لا الخوف كله بل شيء منه؛ لأن الخوف كله مهلك ومدمر. والخوف: هو فقد الأمن، وهو أعظم من الجوع، ولهذا قدمه الله عليه، لكن الخائف لا يستقر لا في بيته ولا في سوقه، وأخوف ما نخاف منه ذنوبنا؛ لأن الذنوب سبب لكل الويلات.

والجوع: يحمل معنيين:

المعنى الأول: أن يحدث الله سبحانه في العباد وباء الجوع، بحيث يأكل الإنسان ولا يشبع، وهذا يمر على الناس، وقد مر بهذه البلاد سنة معروفة عند العامة تسمى سنة الجوع، يأكل الإنسان الشيء الكثير ولكنه لا يشبع! ويأكل الخبز أو التمر الكثير ولا يشبع لمرض فيه

المعنى الثاني: الجدب والسنون المحلة لا يدرّ فيها ضرع ولا ينمو فيها زرع. وقوله: ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ﴾، يعني: نقص الاقتصاد، بحيث تصاب الأمة بقلة المادة والفقر، ويتأخر اقتصادها، وترهق حكومتها بالديون التي تأتي نتيجة لأسباب يقدرها الله ابتلاء وامتحاناً. وقوله: ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾: أي الموت؛ بحيث يحلّ في الناس أوبئة تهلكهم وتقضي عليهم، وهذا أيضاً يحدث كثيراً، ولقد حدث في هذه البلاد وباء عظيم، يُصاب عشرة أنفس أو أكثر في البيت الواحد حتى يموتوا عن آخرهم، وحُدثنا أنه في هذا المسجد، مسجد الجامع الكبير بعنيزة، وكان الناس بالأول في قرية صغيرة، ليس فيها ناس كثير كما هو الحال اليوم، يقدم أحياناً في فرض الصلاة الواحد سبع إلى ثمان جنائز! وقوله: ﴿وَالثَّمَرَاتِ﴾: أي تنقص الثمرات، تنزع بركتها في الزروع والنخيل وفي الأشجار، يُبتلى العباد بهذه الأمور ليذيقهم بعض الذي عملوا، فيقابل الناس هذه المصائب بدرجات متنوعة، بالتسخط، أو بالصبر أو بالرضا، أو بالشكر.

وَقالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر:١٠]، أي يُعطى الصابرون ثوابهم، وقوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وذلك أن الأعمال الصالحة مضاعفة؛ الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، أما الصبر فإن مضاعفته تأتي بغير حساب من عند الله، فلا يقال مثلاً الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف، بل يقال إنه يوفى أجره بغير حساب، وفي هذه الآية من الترغيب في الصبر ما هو ظاهر.

وَقالَ تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣]، أي إن الذي يصبر على أذى الناس ويحتملهم ويغفر لهم سيئاتهم التي يسيئون بها إليه؛ فإن ذلك: ﴿لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من شدائدها التي تحتاج إلى تحمل وصبر، ولا سيما إذا كان الأذى الذي ينال الإنسان بسبب جهاده في الله وبسبب طاعته؛ وفي هذه الآية حث على صبر الإنسان على أذية الناس، ومغفرته لهم ما أساؤوا إليه فيه، ولكن ينبغي أن يُعلم أن المغفرة لمن أساء إليك ليست محمودة على الإطلاق؛ فإن الله تعالى قيّد هذا بأن يكون العفو مقروناً بالإصلاح فقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشورى:٤٠]، أما إذا لم يكن في العفو والمغفرة إصلاح فلا تعف ولا تغفر، مثال ذلك: لو كان الذي أساء إليك شخصاً معروفاً بالشر والفساد، وأنك لو عفوت عنه لكان في ذلك زيادة في شره، ففي هذه الحال الأفضل أن لا تعفو عنه، بل تأخذ بحقك من أجل الإصلاح.

وَقالَ تعالى: ﴿واسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣]، فإنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ أي: المؤمنين حقًّا، وقد أمرنا الله أن نستعين على الأمور بالصبر عليها، لأن الإنسان إذا صبر وانتظر الفرج من الله سهلت عليه الأمور، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً، وأما الصلاة فإنها تعين على الأمور الدينية والدنيوية، حتى إن الرسول ﷺ ذُكر عنه أنه: «إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزِعَ إِلَى الصَّلَاةِ»، وبيّن الله في كتابه أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، لأن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، فيقف الإنسان فيها بين يدي الله، ويناجيه، ويدعوه، ويتقرب إليه؛ فكانت سبباً للمعونة، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ يعني ذلك المعيّة الخاصة، لأن معية الله تنقسم إلى قسمين: معية عامة شاملة لكل أحد من الخلق، وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وهذه المعية العامة شاملة لجميع الخلق، أما المعية الخاصة فهي المعية التي

تقتضي النصر والتأييد؛ وهذه خاصة بالرسل وأتباعهم، ليست لكل أحد، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وَقالَ تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾ [محمد:٣١]، أي: ولنختبرنَّكم بالتكاليف حتى يتميز الصادق في دينه من الكاذب، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج:١١]، يعني: أن الله اختبر العباد في فرض الجهاد عليهم؛ ليعلم من يصبر ومن لا يصبر؛ وقوله: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ﴾ قد يتوهم بعض من قصر علمه أن الله لا يعلم الشيء حتى يقع؛ وهذا غير صحيح؛ فالله تعالى يعلم الأشياء قبل وقوعها، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]

لكن العلم الذي في هذه الآية، أي: علماً يترتب عليه الجزاء، أي: علم ظهور، يعني حتى يظهر الشيء؛ لأن علم الله بالشيء قبل أن يكون علم بأنه سيكون، وعلمه بعد كونه علم بأنه كان.



**[٢٥]** وعن أبي مالكٍ الحارث بن عاصم الأشعريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**». رواه مسلم.

الطُّهُور شَطْرُ الإِيمان: أي: نصفه؛ لأَن خِصال الإيمان قسمان: ظاهرة، وباطنة، فالطهور من الخصال الظاهرة، والتوحيد من الخصال الباطنة.

قال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ،**

**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ فِي أَيِّهَا شَاءَ**»، وذلك لأن الإيمان تخلية وتحلية، يتخلى الإنسان ويبرأ من الشرك، ويتحلى ويتطهر طهارة حسّيه ومعنوية من كل ما فيه أذى، فلهذا جعله النبي ﷺ شطر الإيمان، «**وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ**»: أي أجرها يملأ ميزان الحامد لله تعالى، وفي الحديث الآخر: «**التَّسْبِيحُ نِصْفُ المِيزَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَؤُهُ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَيْسَ لَهَا دُونَ اللهِ حِجَابٌ حَتَّى تَصِلَ إِلَيْهِ**»، وكان النبي ﷺ إذا أصابه ما يُسرّ به قال: «**الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**»، ثم إن هاهنا كلمة شاعت أخيراً عند كثير من الناس؛ وهي قولهم: "الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه"، هذا الحمد ناقص! لأن قولك على مكروه سواه تعبير على قلة الصبر أو عدم كماله، وأنك كاره لهذا الشيء، ولا ينبغي للإنسان أن يعبر هذا التعبير، بل يقول: "الحمد لله على كل حال"، أو يقول: "الحمد لله الذي لا يحمد على كل حال سواه"، أما أن يقول: على مكروه سواه، فلا، ولا أقول: إن الإنسان لا يكره ما أصابه من البلاء، فالإنسان بطبيعته يكره ذلك، لكن لا تعلن هذا بلسانك في مقام الثناء على الله، بل عبّر كما عبّر النبي ﷺ: «**الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ**».

«**وَالصَّلَاةُ نُورٌ**»: أي: لصاحبها في الدنيا وفي القبر وفي حشره يوم القيامة، وفي جميع أحواله، ولهذا تجد أكثر الناس نوراً في الوجوه أكثرهم صلاة، وأخشعهم فيها لله.

«**وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»": الصدقة: بذل المال تقرباً إلى الله، للأهل والفقراء والمصالح العامة، كبناء المساجد وغيرها؛ برهان على إيمان العبد، وذلك أن المال محبوب إلى النفوس، فإذا بذله الإنسان لله، فإن الإنسان لا يبذل ما يحبّ إلا لما هو أحب إليه منه، فيكون دليلاً على صدق الإيمان وصحته، ولهذا تجد أكثر الناس إيماناً بالله أكثرهم صدقة.

«**وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ**»: وهو النور الذي يحصل فيه نوعُ حرارة؛ لأَنَّ الصبر لا يحصل إِلا بمجاهدة النفس، فهو ضياء للإنسان في قلبه، وضياء له في طريقه ومنهاجه وعلمه، يزيده

هدى ويبصره، فالفرق بين النور في الصلاة والضياء في الصبر، أن الضياء في الصبر مصحوب بحرارة؛ لما في ذلك من التعب القلبي والبدني في بعض الأحيان.

«**وَالقُرَآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»: أي: إن عملت به فهو حجة لك، وإلا فهو حجة عليك، يعني إن هجرته لفظاً ومعنًى وعملاً، ولم تقم بواجبه؛ فإنه يكون شاهداً عليك يوم القيامة.

«**فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا**»: أي: كل إنسان يسعى، فمنهم من يبيع نفسه لله بطاعته فيعتقها من النار، ومنهم مَنْ يبيعها للشيطان والهوى فيهلكها، وهذا شيء مشاهد.

قال الحسن: "يا ابن آدم إنك تغدو وتروح في طلب الأَرباح، فليكن هَمُّك نفسك، فإِنك لن تربح مثلها أَبدًا".



**[٢٦]** وعن أبي سعيد سعد بن مالكٍ بن سنان الخدري ﷺ: أَنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ الله ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِيَدِهِ: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذه ثلاثة أمور:

أولاً: من يستغن بما عند الله عما في أيدي الناس؛ أغناه الله عن الناس، وجعله عزيز النفس بعيداً عن السؤال، وأما من يسأل الناس ويحتاج لما عندهم؛ فإنه سيبقي قلبه فقيراً، والغني غني القلب.

ثانياً: من يستعفّ عما حرم الله عليه من النساء يعفه الله، والإنسان الذي يتبع نفسه هواها فإنه يهلك؛ تزني العين، تزني الأذن، تزني اليد، تزني الرجل، ثم يزني الفرج؛ ويقع في الفاحشة.

ثالثاً: إذا تصبرت، وحبست نفسك عما حرم الله، وصبرت على ما عندك، ولم تلح على الناس بالسؤال فإن الله يصبرك ويعينك على الصبر، وهذا هو الشاهد من الحديث: «**وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»، لأن الإنسان إذا كان صبوراً تحمل كل شيء، ولذلك فإن الإنسان الصبور لو أوذي من قبل الناس، تجده هادي البال، لا يتصلب ولا يغضب، تجد قلبه دائماً مطمئناً ونفسه مستريحة.



**[٢٧]** وعن أبي يحيى صهيب بن سنان ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَٰلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». رواه مسلم.

فكل إنسان؛ في قضاء الله وقدره بين أمرين: مؤمن وغير مؤمن، فالمؤمن على كل حال ما قدر الله له فهو خير له، إن أصابته الضراء صبر على أقدار الله، وانتظر الفرج من الله، واحتسب الأجر على الله؛ فكان ذلك خيراً له، وإن أصابته سراء كالمال والبنين والأهل، فيشكر الله فيكون خيراً له، ويكون عليه نعمتان: نعمة الدِّين، ونعمة الدنيا، نعمة الدنيا بالسراء، ونعمة الدين بالشكر، هذه حال المؤمن، وأما الكافر فهو على شرّ، إن أصابته الضراء لم يصبر بل يتضجر، ودعا بالويل، وسب الدهر، وسب الزمن، بل وسب الله! وإن أصابته سراء لم يشكر الله، فكانت هذه السراء عقاباً عليه في الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأعراف:٣٢]، هي للذين آمنوا بخاصة، وهي خالصة لهم يوم القيامة، أما الذين لا يؤمنون فليست لهم، ويأكلونها حراماً عليهم، ويعاقبون عليها يوم القيامة.



**[٢٨]** وعن أنس ﷺ قال: لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ الكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ ﷺ: وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ. فَقَالَ ﷺ: «**لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ**»، فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ الفِرْدَوسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ ﷺ: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ؟! رواه البخاري.

كان ﷺ يوعك كما يوعك الرجلان من الناس، والحكمة في هذا، من أجل أن ينال ﷺ أعلى درجات الصبر، فإذا لم يصب الإنسان بشيء يكرهه فكيف يعرف صبره؟ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ**﴾ [محمد:٣١]، ثم لما حمل ودفن قالت: "أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ التُّرَابَ؟! يعني من شدة وجدها وحزنها عليه، والجواب: أنها طابت؛ لأن هذه إرادة الله ﷻ، وهو شرع الله، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزمر:٣٠].

وفي هذا الحديث: رد على هؤلاء القوم الذين يشركون بالرسول ﷺ؛ يدعونه ويستغيثون به وهو في قبره! بل إن بعضهم لا يسأل الله ويسأل الرسول! ولقد ضلوا في دينهم وسفهوا في عقولهم، فإن الرسول ﷺ لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فكيف يملك لغيره؟! تجدهم في المسجد النبوي عند الدعاء يتجهون إلى القبر، ويصمدون أمام القبر كصمودهم أمام الله في الصلاة أو أشد!



**[٢٩]** وعن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ وحِبِّه وابنِ حِبِّه ﷺ، قال: أَرْسَلَتْ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ ابْنِي قَدِ احْتُضِرَ فَاشْهَدْنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلَامَ، ويقُولُ: «**إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ ﷺ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ، فَأَقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ

وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ الله، مَا هٰذَا؟ فَقَالَ: «**هٰذِهِ رَحمَةٌ جَعلَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ**»، وفي رواية: «**فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ**»: أي تضطرب، تصعد وتنزل. «**فَلْتَصْبِرْ**»: أي تحتسب الأجر على الله بصبرها؛ لأن من الناس من يصبر ولا يحتسب، يصبر على المعصية ولا يتضجر، لكنه لا يؤمل أجرها على الله فيفوته بذلك خير كثير، لكن إذا صبر واحتسب الأجر على الله، فهذا هو الاحتساب، وقوله: «**إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى**»: هذه الجملة عظيمة؛ إذا كان الشيء كله لله، إن أخذ منك شيئاً فهو ملكه، وإن أعطاك شيئاً فهو ملكه، فكيف تتسخط إذا أخذ منك ما يملكه هو؟ ولهذا يسنّ للإنسان إذا أصيب بمصيبة أن يقول «**إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**»، يعني: نحن مُلْكٌ لله يفعل بنا ما يشاء، حتى الذي يعطيك أنت لا تملكه، هو لله، فإذا كان لله ما أخذ، فكيف نجزع؟ كيف نتسخط؟ هذا خلاف المعقول وخلاف المنقول!

«**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى**»: أي معين بمقدار، كما قال الله تعالى: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ [الرعد:٨]، بمقدار في زمانه ومكانه وذاته وصفاته، وكل ما يتعلق به فهو عند الله مقدر، فإذا أيقنت بهذا اقتنعت، كما قال الله: ﴿**لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [يونس:٤٩]، فإذا كان الشيء مقدّراً لا يتقدم ولا يتأخر؛ فلا فائدة من الجزع والتسخط؛ لأنك لن تغير شيئاً من الواقع.

وفيه دليل أيضاً على أن هذه الصيغة من العزاء أفضل صيغة: «**إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»، أفضل من قوله بعض الناس: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك، والتعزية في الحقيقة ليست تهنئة كما ظنها بعض العوام، يحتفل بها، وتوضع لها الكراسي، وتوقد لها الشموع، ويحضر لها القراء والأطعمة، بل هي تسلية وتقوية للمصاب أن يصبر، ولهذا لو أن أحداً لم يصب بالمصيبة،

كما لو مات له ابن عم ولم يهتم به؛ فإنه لا يعزى، ولهذا قال العلماء ﷺ: تسنّ تعزية المصاب، ولم يقولوا تسنّ تعزية القريب، لأن القريب ربما لا يصاب بموت قريبه، والبعيد يصاب لقوة صداقة بينهما، أما الآن مع الأسف، انقلبت الموازين وصارت التعزية للقريب، حتى وإن كان قد فرح وضرب الطبول لموت قريبه، ربما يكون بعض الناس فقيراً، وبينه وبين قريبه خلاف أو ميراث؟ غالباً يفرح، ويقول: الحمد لله الذي خلصني من مشاكله أو ورثني ماله! فهذا لا يعزى، هذا يهنّأ!

**[٣١]** وعن أنس ﷺ قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**»، فَقَالَتْ:إِلَيْكَ عَنِّي؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلم: «**تَبْكِي عَلَى صَبِيٍّ لَهَا**».

وقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى**»: أي الذي يُثاب عليه الإنسان، أما الصبر فيما بعد ذلك، فإن هذا قد يكون تسلية كما تتسلى البهائم، فالصبر حقيقة أن الإنسان أول ما يُصدم يصبر ويحتسب، وأن يقول: "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها"، فإن قال قائل: أليس زيارة القبور حراماً على النساء؟ قلنا بلى هي حرام على النساء، بل هي من كبائر الذنوب! لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج، لكن هذه إنما خرجت لما في قلبها من لوعة فراق هذا الصبي والحزن الشديد، لم تملك نفسها أن تأتي؛ ولهذا عذرها النبي ﷺ ولم يقمها بالقوة، ولم يجبرها على أن ترجع إلى بيتها. ومن فوائد هذا الحديث: أن البكاء عند القبر ينافي الصبر؛ ولهذا قال لها الرسول ﷺ:«**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**»، ويوجد من الناس من يبتلى، فإذا مات له ميت صار يتردد على قبره ويبكي عنده، نقول: إذا شئت أن تنفع الميت فادع الله

وأنت في بيتك، ولا حاجة أن تتردد على القبر، لأن التردد على القبر يجعل الإنسان يتخيل هذا الميت دائماً في ذهنه ولا يغيب عنه، وحينئذ لا ينسى المصيبة أبداً، مع أن الأفضل للإنسان أن يتلهّى وأن ينسى المصيبة بقدر ما يستطيع.

**[٣٢]** وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَّةَ**». رواه البخاري. ويسمّي العلماء هذا القسم من الحديث: الحديث القدسي؛ لأن الرسول ﷺ رواه عن الله.

قوله: «**صَفِيَّهُ**»: الصّفيّ: من يصطفيه الإنسان ويختاره ويرى أنه ذو صلة منه قوية، من ولد، أو أخ، أو عم، أو أب، أو أم، أو صديق، إذا أخذه الله ثم احتسبه الإنسان فليس له جزاء إلا الجنة، وفيه: دليل على فضل الله وكرمه على عباده، فإن الملك ملكه، والأمر أمره، وأنت وصفيك كلاكما لله، ومع ذلك فإذا قبض الله صفيّ الإنسان واحتسب، فإن له هذا الجزاء العظيم وهو الجنة.



**[٣٣]** وَعَنْ عَائِشَةَ ﵂، أَنَّهَا سَأَلَتْ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا: «**إِنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَنْ يشَاءُ، فَجَعَلَهُ اللهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ**». رواه البخاري.

قال بعض العلماء: إِنَّ الصابر في الطاعون يأمن من فَتَّان القبر؛ لأَنه نظير المرابطة في سبيل الله، وقد صحَّ ذلك في المرابط كما في مسلم وغيره.

والطاعون: قيل: إنه اسم وباء معين، وقيل: إنه كل وباء عام يحل بالأرض فيصيب

أهلها ويموت الناس منه، مثل الكوليرا وغيرها؛ وسواء كان وباء معيناً أو غيره، فإن هذا الطاعون عذاب أرسله الله ﷻ، ولكنه رحمة للمؤمنين، فالإنسان إذا صبّر نفسه في الأرض التي نزل فيها الطاعون ثم مات به، كتب الله له مثل أجر الشهيد، فإذا نزل الطاعون في أرضه فإن الحياة غالية عند الإنسان، سوف يهرب، يخاف من الطاعون، فإذا صبر واحتسب الأجر، وعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له، ثم مات به، فإنه يكتب له مثل أجر الشهيد.

**[٣٤]** وعن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**»، يريد عينيه، رواه البخاري.

يعني أنه يصاب بالعمى، ثم يصبر، إلا عوضه الله بهما الجنة، لأن العين محبوبة للإنسان، والجنة تساوي كل الدنيا، بل قد قال النبي ﷺ: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنيَا وَمَا عَلَيْهَا**»، أي مقدار متر في الجنة خير من الدنيا وما فيها؛ لأن ما في الآخرة باق لا يفني ولا يزول، والدنيا كلها فانية زائلة، فلهذا كانت هذه المساحة القليلة من الجنة خيراً من الدنيا وما فيها، واعلم أن الله ﷻ إذا قبض من الإنسان حاسة من حواسه، فإن الغالب أن الله يعوضه في الحواس الأخرى ما يخفف عليه ألم فقد هذه الحاسة التي فقدها، فالأعمى يمنّ الله عليه بقوة الإحساس والإدراك، حتى إن بعض الناس إذا كان أعمى تجده في السوق يمشي وكأنه مبصر يحسّ بالمنعطفات في الأسواق، ويحس بالمنحدرات وبالمرتفعات، حتى أن بعضهم يتفق مع صاحب سيارة الأجرة، يركب معه من أقصى البلد إلى بيته وهو يقول لصاحب السيارة: خذ ذات اليمين، وهكذا حتى يوقفه عند باب بيته، وصاحب السيارة لا يعرف البيت، سبحان الله!



**[٣٥]** وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ ﵄: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هٰذِهِ المَرْأَةُ السَّوْدَاءُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللهَ تَعَالَى لِي، قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوْتُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يُعَافِيَكِ**»، فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، وَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ فَادْعُ اللهَ أَنْ لَا أَتَكَشَّفُ، فَدَعَا لَهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشاهد من هذا الحديث قول النبي ﷺ لهذه المرأة: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ**»، فقالت: أصبر، ففي هذا دليل على فضيلة الصبر، وأنه سبب لدخول الجنة، وأهل الجنة ينقسمون إلى قسمين: قسم نشهد لهم بالجنة بأوصافهم، وقسم نشهد لهم بالجنة بأعيانهم، أما الأول فكل مؤمن وكل متق، فإننا نشهد بأنه من أهل الجنة، كما قال الله ﷻ في الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣] وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﵏ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ [البينة:٧-٨]، فكل مؤمن متق يعمل الصالحات فإننا نشهد بأنه من أهل الجنة، ولكن لا نقول هو فلان وفلان، لأننا لا ندري ما يختم له، ولا ندري هل باطنه كظاهره، فلذلك لا نشهد له بعينه.

فإذا مات رجل مشهود له بالخير قلنا: نرجو أن يكون من أهل الجنة، لكن لا نشهد أنه من أهل الجنة، قسم آخر نشهد له بعينه، وهم الذين شهد لهم النبي ﷺ بأنهم في الجنة، مثل العشرة المبشرين بالجنة، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعيد بن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، والزبير بن العوام، ﵃، ومثل ثابت بن قيس بن شماس، ومثل سعد بن معاذ، ومثل عبد الله بن سلام، ومثل بلال بن رباح، وغيرهم، ممن عينهم الرسول ﷺ، فهؤلاء نشهد لهم بأعيانهم، نقول: نشهد بأن أبا بكر في الجنة، ونشهد بأن عمر في الجنة، وهكذا، ومن ذلك هذه المرأة السوداء، صبرت من أجل أن تكون من أهل الجنة.

والصَّرع نوعان: صرع بسبب تشنج الأعصاب: وهذا مرض عضوي يمكن أن يعالج من قبل الأطباء بإعطاء الأدوية التي تسكنه أو تزيله تماماً، وقسم آخر بسبب الشياطين والجن، يدخل فيه، ويضرب به على الأرض، ويغمى عليه ولا يحس، ويتلبس الشيطان به ويتكلم على لسانه، ولهذا تجد في بعض كلامه الاختلاف، هذا النوع علاجه بالقراءة من أهل العلم والخير، يقرؤون على هذا المصروع، فيخاطبهم الجني ويتكلم معهم، ويبين السبب الذي جعله يصرع هذا الإنسان.

وقد ثبت هذا بالقرآن والسنة والواقع؛ ففي القرآن قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وهذا دليل على أن الشيطان يتخبط من المس وهو الصرع، وفي السنة: روى الإمام أحمد في مسنده: أن النبي ﷺ كان في سفر من أسفاره، فمر بامرأة معها صبي يُصرع، فأتت به إلى النبي ﷺ، وخاطب الجنّي وتكلم معه وخرج الجنّي، فأعطت أم الصبي الرسول ﷺ هدية على ذلك، وكذلك أيضاً كان أهل العلم يخاطبون الجني في المصروع ويتكلمون معه، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله، ذكر ابن القيم؛ وهو تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية؛ أنه جيء إلى شيخ الإسلام برجل مصروع، فجعل يقرأ عليه ويخاطبه ويقول لها: اتقي الله اخرجي، لأنها امرأة، فتقول له: أريد هذا الرجل وأحبه، فقال لها شيخ الإسلام: لكنه لا يحبك اخرجي، قالت إني أريد أن أحج به، قال هو لا يريد أن تحجي به اخرجي، فأبت، فجعل يقرأ عليها ويضرب الرجل ضرباً عظيماً، حتى إن يد شيخ الإسلام أوجعته من شدة الضرب، فقالت الجنية: أنا أخرج كرامة للشيخ، قال: لا تخرجي كرامة لي، اخرجي طاعة لله ورسوله، فما زال بها حتى خرجت، ولما استيقظ الرجل قال: ما الذي جاء بي إلى حضرة الشيخ؟ قالوا: سبحان الله! أما أحسست بالضرب الذي كان يضربك أشد ما يكون؟ قال ما أحسست بشيء! والأمثلة على هذا كثيرة، هذا النوع من الصرع له علاج يدفعه، وله

علاج يرفعه، أما دفعه: فبأن يحرص الإنسان على الأوراد الشرعية الصباحية والمسائية، وهي معروفة منها: آية الكرسي، فإن من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، ومنها سورة الإخلاص والفلق والناس، ومنها أحاديث وردت عن النبي ﷺ، فليحرص الإنسان عليها صباحاً ومساء، فإن ذلك من أسباب دفع أذية الجن، وأما رفعه: فهو إذا وقع بالإنسان، فإنه يقرأ عليه آيات من القرآن فيها تخويف وتحذير وتذكير واستعاذة بالله ﷻ حتى يخرج.

**[٣٦]** وَعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمٰنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**». مُتَّفَقٌ عليَهِ.

الأنبياء كلفهم الله تعالى بالرسالة، لأنهم أهل لها في التحمّل والتبليغ والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على ذلك، كما قال الله تعالى: ﴿**اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ [الأنعام:١٢٤]، وكان الرسل يُؤذَون بالقول وبالفعل، وربما بلغ الأمر إلى قتلهم، حكى نبيّنا ﷺ عن نبي من الأنبياء أن قومه ضربوه، ولم يضربوه إلا حيث كذبوه حتى أدموا وجهه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول:«**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»، وهذا غاية ما يكون من الصبر، لأن الإنسان لو ضرب على شيء من الدنيا لاستشاط غضباً، وانتقم ممن ضربه، وهذا يدعو إلى الله، ولا يتخذ على دعوته أجراً، مع هذا يضربونه حتى يُدموا وجهه، وهذا الذي حدثنا به رسول الله لم يحدثنا به عبثاً، وإنما حدثنا من أجل أن نتخذ منه عبرة، كما قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [يوسف:١١١]، والعبرة من هذا أن نصبر على ما نؤذى به من قول أو فعل في سبيل الدعوة إلى الله، أو ينقل إلينا مما يقال فينا، وأن نرى أن هذا رفعة لدرجاتنا وتكفير

لسيئاتنا، فيكون هذا الأذى الذي نسمع، كفارة لما وقع منا، لأن الإنسان مهما عمل فهو ناقص، لا يمكن أن يكمل عمله أبداً، فإذا أصيب وأوذي في سبيل الدعوة إلى الله، فليصبر وليحتسب، لا يقول لست بملزم، أنا أصابني الأذى، أنا تعبت، بل الواجب الصبر، والدنيا ليست طويلة! أيام ثم تزول، فاصبر حتى يأتي الله بأمره.

**[٣٧]** وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًى، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا من نعمة الله ﷻ، يبتلي ﷻ عبده بالمصائب وتكون تكفيراً لسيئاته وحطًّا لذنوبه، والإنسان في هذه الدنيا لا يمكن أن يبقى مسروراً دائماً، فهو مصاب بمصائب في نفسه ومصائب في بدنه، ومصائب في مجتمعه ومصائب في أهله، ولا تحصى المصائب التي تصيب الإنسان، ولكن المؤمن أمره كله خير، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خير له، فلا تظن أن هذا الهم الذي يأتيك أو هذا الألم ولو كان شوكة، لا تظن أنه يذهب سدى، بل ستعوض عنه خيراً منه، ستحط عنك الذنوب كما تحط الشجرة ورقها، وهذا من نعمة الله، وكلما زاد الإنسان من الصبر والاحتساب، يعني: احتساب الأجر، كان له مع هذا أجر.



**[٣٨]** وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُوْعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قَالَ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**»، قُلْتُ: ذٰلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، ذٰلِكَ كَذٰلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شَوْكَةٌ فَمَا**

**فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أَجَلْ: جوابٌ مثل نعم، إِلّا أَنَّه أَحسن من نعم في التصديق، ونعم، أَحسن في الاستفهام، وفي الحديث الآخر: «**أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ، فَالأَمْثَلُ**».

فالمصائب تكون على وجهين: الأول: إذا أصيب الإنسان تذكّر الأجر واحتسب هذه المصيبة على الله، فيكون فيها فائدتان: تكفير الذنوب؛ وزيادة الحسنات. والثاني: يغفل عن هذا فيضيق صدره، ويصيبه ضجر أو ما أشبه ذلك، ويغفل عن نية احتساب الأجر والثواب على الله، فيكون في ذلك تكفير لسيئاته.

إذاً هو رابح على كل حال في هذه المصائب التي تأتيه، فإما أن يربح تكفير السيئات وحط الذنوب بدون أن يحصل له أجر؛ لأنه لم ينو شيئاً ولم يصبر ولم يحتسب الأجر، وإما أن يربح شيئين: تكفير السيئات، وحصول الثواب من الله ﷻ، ولهذا ينبغي للإنسان إذا أصيب ولو بشوكة، فليتذكر احتساب الأجر من الله على هذه المصيبة، حتى يؤجر عليها، مع تكفيرها للذنوب.



**[٣٩]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**». رواه البخاري. وَضَبَطُوا «**يُصِبْ**» بفَتْح الصَّاد وكَسْرها، وكلاهما صحيح، أما «**يُصِبْ مِنْهُ**» فالمعنى أن الله يقدّر عليه المصائب حتى يبتليه بها: أيصبر أم يضجر، وأما «**يُصَبْ مِنْهُ**» فهي أعم، أي: يصاب من الله ومن غيره، ولكن هذا الحديث المطلق مقيد بالأحاديث الأخرى التي تدل على أن المراد: من يرد الله به خيراً فيصبر ويحتسب، فيصيب الله منه حتى يبلوه، أما إذا لم يصبر، فإنه قد يصاب الإنسان ببلايا كثيرة وليس فيه خير، ولم يرد الله به خيراً، فالكفار يصابون بمصائب كثيرة، ومع هذا يبقون على كفرهم حتى يموتوا عليه، وهؤلاء بلا شك لم يرد بهم خيراً، ومن المعلوم أن تكفير الذنوب والسيئات وحط

الخطايا خير للإنسان، لأن المصائب غاية ما فيها أنها مصائب دنيوية تزول بالأيام، كلما مضت الأيام خفت عليك المصيبة، لكن عذاب الآخرة باق، فإذا كفر الله عنك بهذه المصائب صار ذلك خيراً لك.

**[٤٠]** وعن أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَليَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وذلك أن الإنسان ربما ينزل به ضرّ يعجز عن التحمل ويتعب؛ فيتمنّى الموت، يقول: يا رب أمتني، سواء قال ذلك بلسانه أو بقلبه، فنهى النبي ﷺ عن ذلك، ولكن إذا أصبت بضرّ فقل: اللهم أعنّي على الصبر عليه، حتى يعينك الله فتصبر، ويكون ذلك لك خيراً، أما أن تتمنى الموت فأنت لا تدري، ربما يكون الموت شراً عليك لا يحصل به راحة، ربما يموت الإنسان إلى عقوبة وإلى عذاب القبر، وإذا بقي في الدنيا فربما صلى وسبح وهلل وذكر الله كثيراً فيكون خيراً له؛ فإذا نزل بك ضر فلا تتمنّ الموت، وإذا كان الرسول ﷺ نهى أن يتمنى الإنسان الموت، فكيف بمن يقتل نفسه لضر نزل به، كما يتصرف بعض الحمقى إذا نزلت بهم بعض الأحداث أو المصائب، خنقوا أنفسهم أو نحروها أو ابتلعوا سما، فإن هؤلاء ارتحلوا من وجع إلى أشد منه، انتقلوا من عذاب إلى أشد، لأن الذي يقتل نفسه يعذب بما قتل به نفسه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، كما جاء ذلك عن النبي ﷺ، إن قتل نفسه بأداة أو خنجر أو سكين أو مسمار فإنه يوم القيامة في جهنم يطعن نفسه بهذه الحديدة التي قتل بها نفسه، وإن قتل نفسه بسم فإنه يتحسّاه في نار جهنم، وإن قتل نفسه بالتردي من جبل فإنه ينصب له جبل في جهنم يتردى إلى أبد الآبدين وهكذا!

ولكن الرسول ﷺ لما نهى عن شيء، كان من عادته إذا كان له بديل من المباح أن

يذكر بديله، هنا قال: «**فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيْرًا لِي**»، فتح لك الباب، لأن تمني الموت يدل على ضجر الإنسان وعدم صبره عل قضاء الله، لكن هذا الدعاء وكّل الإنسان فيه أمره إلى الله، لأن الإنسان لا يعلم الغيب، فتمني الموت استعجال من الإنسان بأن يقطع الله حياته، وربما يحرمه من خير كثير، ربما يحرمه من التوبة إن كان عاصياً، أو زيادة الأعمال الصالحة إن كان من أهل التقوى، ولهذا جاء في الحديث الشريف: «**مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدِمَ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ ازْدَادَ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لَا يَكُونَ اسْتَعْتَبَ**»، أي: استعتب من ذنبه وطلب المعذرة، فأنت لا تدري متى تكون الحياة خيراً لك، ومتى تكون الوفاة خيراً لك، ولهذا ينبغي للإنسان إذا دعا لشخص بطول العمر أن يقيد هذا فيقول: أطال الله بقاءك على طاعته.

فإن قال قائل: إنه قد جاء تمني الموت من مريم ابنة عمران حيث قالت: ﴿**يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا**﴾ [مريم:٢٣]، فالجواب عن ذلك أن نقول: إنّ شرع من قبلنا إذا ورد شرعنا بخلافه فليس شرع لنا، وإن مريم لم تتمن الموت في هذه اللحظة، لكنها تمنت الموت قبل هذه الفتنة ولو بقيت ألف سنة.

ومثله قول يوسف عليه السلام: ﴿**أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [يوسف:١٠١].

ليس معناه سؤال الله أن يتوفاه، بل أن يتوفاه الله على الإسلام، وهذا لا بأس به، كأن تقول: اللهم توفني على الإسلام، أو توفني وأنت راض عني وهكذا، فيجب معرفة الفرق بين شخص يتمنى الموت من ضيق نزل به، وبين شخص يتمنى الموت على صفة معينة يرضاها الله عز وجل! فالأول: نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، والثاني: جائز.



**[٤١]** وعن أبي عبد الله خَبَّابِ بن الأَرَتِّ ﷺ قال: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «**قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذٰلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَالله لَيُتِمَّنَّ اللهُ هٰذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلٰكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ**».رواه البخاري. وفي رواية: «**وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً**».

في هذا الحديث: مَدْحُ الصبر على العذاب في الدين، وكراهة الاستعجال، قال الله تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِنْ قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ الله أَلَا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ**﴾ [البقرة:٢١٤].

هذا خباب بن الأرت جاء يحكي للرسول ﷺ ما وجده المسلمون من الأذية من كفار قريش في مكة، فبين النبي ﷺ أن من كان قبلنا ابتلي في دينه أعظم مما ابتلي به هؤلاء، ثم أقسم ﷺ أن الله سيتم هذا الأمر، يعني من دعوة الإسلام، أي: اصبروا وانتظروا الفرج، وقد صار الأمر كما أقسم النبي ﷺ، ووقع الأمر مطابقاً لما أخبر به النبي، وهذه آية من آيات الرسول ﷺ حيث صدقه الله بما أخبر به، وهذه شهادة له من الله، كما قال الله: ﴿**لٰكِنِ اللهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِالله شَهِيدًا**﴾ [النساء: ١٦٦].

فالواجب على الإنسان أن يقابل ما يحدث من أذية الكفار بالصبر وانتظار الفرج، ولا يظن أن الأمر ينتهي هكذا بلا عاقبة، ولكن يصبر وينتظر الفرج من دون فوضى ومن دون استنفار ومن دون إثارة، وبطريق منظمة، فالدرب طويل! لأن أعداء المسلمين

يمشون على خطى ثابتة منظمة ويحصدون ثماراً عظيمة، أما السطحيون الذين تأخذهم العواطف، فإنه قد يفسدوا كل ما بنوا، إن كانوا قد بنوا شيئاً! لكن المؤمن يصبر ويخطط تخطيطاً منظماً، ويفوّت عليهم الفرص؛ لأنهم يتربصون الدوائر بأهل الإسلام، يريدون أن يثيروهم، هذا الذي يريدون، وقد حصل بذلك شر كبير.

**[٤٢]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَاسًا فِي القِسْمَةِ؛ فَأَعْطَى الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِئَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ، فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هٰذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «**فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ؟**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذَا فَصَبَرَ**»، فَقُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لما كان غزوة حنين؛ وهي غزوة الطائف التي كانت بعد فتح مكة، غزاهم الرسول ﷺ وغنم منهم غنائم كثيرة جداً من إبل وغنم وأموال، ثم إن النبي ﷺ نزل بالجعرانة، وهي موقع من جهة الطائف، وصار يقسم الغنائم، وقسم في المؤلفة قلوبهم، وهم كبار القوم في القبائل، يؤلفهم على الإسلام، وأعطاهم عطاء كثيراً، فقال رجل من القوم: والله إن هذه قسمة ما عُدل فيها وما أريد فيها وجه الله! هذه الكلمة كلمة كفر، أن ينسب الله ورسوله إلى عدم العدل، ولا شك أن النبي أراد بهذه القسمة وجه الله، أراد أن يؤلف كبار القبائل والعشائر من أجل أن يتقوى الإسلام، لأن أسياد القوم إذا ألفوا الإسلام وقوي إيمانهم، حصل بذلك منهم خير كثير، وتبعهم على ذلك قبائل وعشائر، واعتز الإسلام بهذا.

عبد الله بن مسعود أخبر الرسول بأن الرجل يقول كذا وكذا، فتغير وجه الرسول ﷺ حتى كان كالصرف، أي كالذهب من صفرته وتغيره، ثم قال: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هٰذَا فَصَبَرَ**».

والشاهد من الحديث هذه الكلمة، وهي أن الأنبياء يؤذون ويصبرون، فهذا نبيّنا ﷺ قيل له هذا الكلام بعد ثماني سنين من هجرته، بعد ما مكّن الله له، وبعدما عُرف صدقُه، وبعدما أظهر الله آياته في الآفاق وفي أنفسهم، ومع ذلك يقال له ذلك! فإذا كان هذا قول رجل من صحابة النبي، فلا تستغرب أن يقول الناس في عالم من العلماء إن فيه كذا وكذا، لأن الشيطان هو الذي يؤزّ هؤلاء، لأنهم إذا قدحوا في العلماء سقطت أقوالهم عند الناس ولم يثقوا بهم! ولذلك كانت غيبة العلماء أعظم بكثير من غيبة غيرهم من عامة الناس، لأن غيبة العلماء تضر الإسلام كله، فإذا سقطت الثقة بأقوالهم؛ صار في هذا ضرر على الأمة الإسلامية.



**[٤٣]** وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**». رواه الترمذي، وَقَالَ حديث حسن.

والإنسان لا يخلو من خطأ ومعصية وتقصير؛ فإذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، إما بماله، أو بأهله، أو بنفسه، أو بأحد ممن يتصل به؛ لأن العقوبة تكفر السيئات، فإذا تعجلت العقوبة وكفّر الله بها عن العبد، فإنه يوافي الله وليس عليه ذنب، قد طهرته المصائب والبلايا، حتى إنه ليشدد على الإنسان موته لبقاء سيئة أو سيئتين عليه، حتى يخرج من الدنيا نقيّاً من الذنوب، وهذه نعمة؛ لأن عذاب الدنيا أهون من عذاب

الآخرة، لكن إذا أراد الله بعبده الشر أمهل له واستدرجه، وأدرّ وأكثر عليه النعم ودفع عنه النقم حتى يبطر ويفرح فرحاً مذموماً بما أنعم الله به عليه، وحينئذ يلاقي ربه وهو مغمور بسيئاته فيعاقب بها، فإذا رأيت شخصاً يبارز الله بالعصيان وقد وقاه الله البلاء وأدرّ وأكثر عليه النعم، فاعلم إنما أراد به شراً؛ لأن الله أخّر عنه العقوبة حتى يوافى بها يوم القيامة، فالبلاء السهل له أجر يسير، والبلاء الشديد له أجر عظيم، ومن ابتلي بالمصيبة فلا يظن أن الله سبحانه يبغضه، بل قد يكون هذا من علامة محبة الله للعبد، يبتليه بالمصائب، فإذا رضي الإنسان وصبر واحتسب فله الرضى، وإن سخط فله السخط.



**[٤٤]** وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه يَشْتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ الصَّبِيُّ، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُو طَلْحَةَ، قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ، وَهِيَ أُمُّ الصَّبِيِّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ، فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ العَشَاءَ فَتَعَشَّى، ثُمَّ أَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا فَرَغَ، قَالَتْ: وَارُوا الصَّبِيَّ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**أَعَرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا**»، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، وَبَعَثَ مَعَهُ بِتَمَرَاتٍ، فَقَالَ: «**أَمَعَهُ شَيْءٌ؟**» قَالَ: نَعَمْ، تَمَرَاتٌ، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ فَجَعَلَهَا فِي فِيِّ الصَّبِيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عَبْدَ الله. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية للبخاري: قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: فَرَأَيْتُ تِسْعَةَ أَوْلَادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرَؤُوا القُرْآنَ، يَعْنِي: مِنْ أَوْلَادِ عَبْدِ الله المَوْلُودِ. وفي رواية لمسلم: مَاتَ ابْنٌ لِأَبِي طَلْحَةَ مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّى أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ، فَجَاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصَنَّعُ قَبْلَ ذٰلِكَ، فَوَقَعَ بِهَا، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وَأَصَابَ مِنْهَا، قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ قَوْمًا أَعَارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيْتٍ فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أَنْ يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لَا، فَقَالَتْ: فَاحْتَسِبْ ابْنَكَ. قَالَ: فَغَضِبَ،

ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّى إِذَا تَلَطَّخْتُ، ثُمَّ أَخْبَرْتِنِي بِابْنِي؟! فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَارَكَ اللهُ فِي لَيْلَتِكُمَا**». قَالَ: فَحَمَلَتْ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ فِي سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَتَى المَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا، فَدَنَوا مِنَ المَدِينَة، فَضَرَبَهَا المَخَاضُ، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ، وَانْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَى. تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا وَضَرَبَهَا المَخَاضُ حِينَ قَدِمَا فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لَا يُرْضِعْهُ أَحَدٌ حَتَّى تَغْدُو بِهِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ.

أصاب منها: جامعها. واروا الصبي: ادفنوا الصبي؛ فإنه قد مات. وسأل ﷺ: «**أَعَرَّسْتُمُ اللَّيْلَةَ؟**»، فولدت غلاماً سماه عبد الله، وكان لهذا الولد تسعة من الولد كلهم يقرؤون القرآن ببركة دعاء النبي ﷺ.

في هذا الحديث: دليل على قوة صبر أم سليم، وأن ابنها الذي مات بلغ بها الحال إلى أن تقول لزوجها هذا القول، وقدمت له العشاء، ونال منها، وفي هذا الحديث: أن النبي مضغ التمرات، ثم جعلها في فيّ الصبي، يعني أدخلها فمه وحنكه، أي: أدخل أصبعه وأداره في حنكه؛ وذلك تبركاً بريق النبي ﷺ، ليكون أول ما يصل إلى بطن الصبي ريق الرسول ﷺ، وهذا التحنيك هل هو لبركة ريق النبي ﷺ؟ أو من أجل أن يصل الطعام إلى معدة الصبي قبل كل شيء؟ إن قلنا بالأول صار التحنيك من خصائص الرسول، فلا يحنك أحد صبياً؛ لأنه لا أحد يتبرك بريقه وعرقه إلا رسول الله، وإن قلنا بالثاني، فإننا نقول: كل مولود يحنّك.

وفي هذا الحديث: آية من آيات النبي ﷺ، حيث دعا لهذا الصبي، فبارك الله فيه وفي عقبه، فكان له تسعة من الولد، كلهم يقرؤون القرآن ببركة دعاء النبي ﷺ، وفيه: أنه

يستحب تسمية عبد الله، فإن التسمية بهذا وبعبد الرحمن أفضل ما يكون. قال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّ أَسْمَائِكُمْ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ**»، وأما ما يروى أن "خير الأسماء ما حمّد وعبّد" فلا أصل له، وليس حديثاً عن رسول الله ﷺ. الحديث الصحيح: «**أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إِلَى اللهِ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ، وَأَصْدَقُهَا حَارِث وَهُمَام**»، وحارث وهمام أصدق الأسماء لأنها مطابقة للواقع، فكل واحد من بني آدم فهو حارث يعمل، وكل واحد من بني آدم فهو همام يهمّ وينوي ويقصد وله إرادة، ولهذا ينبغي للإنسان أن يختار لأبنائه وبناته أحسن الأسماء؛ أما أن تأتي بأسماء غريبة على المجتمع، فإن هذا قد يوجب مضايقات نفسية لأبنائنا وبناتنا في المستقبل، وعليك إثمه ووَبَاله؛ حتى يُقال، انظر إلى هذا الاسم، أنظر إلى هذا الاسم!

وقول أم سليم: أرأيت لو أن قوماً أعاروا عاريتهم، يعني أن الأولاد عندنا عارية، وهم ملك لله، متى شاء أخذهم، وهذا يدل على ذكائها، وعلى أنها امرأة عاقلة صابرة محتسبة، وإلا فإن الأم كالأب ينالها من الحزن على ولدها مثل ما ينال الأب، وربما تكون أشد حزناً؛ لضعفها وعدم صبرها، والشاهد من هذا الحديث: أن أم سليم قالت لأبي طلحة: احتسب ابنك، يعني: أصبر على ما أصابك من فقده، واحتسب الأجر على الله.



[٤٥] وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



[٤٦] وعن سليمان بن صُرَدٍ ﷺ قال: كُنْتُ جَالِسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَرَجُلَانِ يَسْتَبَّانِ، وَأَحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»، فَقَالُوا لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم، فيستشيط غضباً، ويحتمي جسده، وتنتفخ أوداجه، ويحمر وجهه، ويتكلم بكلام لا يعقله أحياناً، ويتصرف تصرفاً لا يعقله، وقوله: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصَّرْعَةِ**»، أي: ليس القوي الذي يصرع الناس فيطرحهم ويغلبهم في المصارعة، هذا يقال عنه عند الناس إنه شديد وقوي، لكن النبي ﷺ يقول: ليس هذا الشديد حقيقة، لكن القوي حقيقة هو الذي يصرع نفسه إذا غضب وتحكم فيها، لأن هذه هي القوة الحقيقة، قوة داخلية معنوية يتغلب بها الإنسان على الشيطان في داخله.

وكثيراً ما يغضب الإنسان فيتلف ماله، إما بالحرق أو بالتكسير، أو يغضب على ابنه فيضربه وربما مات، وكذلك يغضب على زوجته مثلاً فيضربها، وتقع خلافات أسرية قد ينتج عنها الطلاق؛ ولهذا نهى النبي ﷺ أن يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان، لأن الغضب يمنع القاضي من تصوّره للمسألة.



**[٤٧]** وعن معاذ بن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ**».

رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

رُوي أن الحسين بن علي رضي الله عنهما، كان له عبد يقوم بخدمته ويقرب إليه طهره، فقرب إليه طهره ذات يوم في كُوز، فلما فرغ الحسين من طهوره رفع العبد الكوز من بين يديه، فأصاب فم الكوز رباعية الحسين فكسرها، فنظر إليه الحسين، فقال العبد: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾. قال: قد كظمتُ غيظي، فقال: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾. قال: قد عفوت عنك. قال: ﴿**وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾، قال: اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى.

والغيظ: هو الغضب الشديد، والإنسان الغاضب هو الذي يتصور نفسه أنه قادر على أن ينفّذ؛ لأن من لا يستطيع لا يغضب، ولكنه يحزن، والغضب في محله كمال؛ فإذا

اغتاظ الإنسان من شخص وهو قادر على أن يفتك به، ولكنه ترك ذلك ابتغاء وجه الله، وصبر على ما حصل له؛ فله هذا الثواب العظيم؛ يُدعى على رؤوس الخلائق يوم القيامة ويُخيّر من أيّ الحور شاء.

[٤٨] وعن أبي هريرة أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصِني. قال: «**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**». رواه البخاري. هذه وصيةٌ وجيزة نافعة؛ لأن الغضب يجمع الشرَّ كله، ويُخرج الإنسان عن اعتداله.

[٤٩] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنَةِ فِي نَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**». رواه الترمذي، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

هذا الحديث فيه دليل على أن المصائب في النفس والولد والمال تكون كفّارة للإنسان، حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة، ولكن هذا إذا صبر، أما إذا تسخط فله السخط.

[٥٠] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِس عُمَرَ رضي الله عنه وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هٰذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِيهِ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٩]، وَإِنَّ هٰذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا،

وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ الله تَعَالَى. رواه البخاري. قال جعفر الصادق: ليس في القرآن آيةٌ أَجمع لمكارم الأخلاق من هذه.

ورُوي أَن جبريل قال للنبي ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**». وقوله: هيه يا ابن الخطاب، هذه كلمة استنكار وملامة، ثم قال له: إنك لا تعطينا الجزل، ولا تحكم فينا بالعدل، انظر إلى هذا الرجل يتكلم مع هذا الخليفة المشهور بالعدل بهذا الكلام، مع أن عمر كما قال ابن عباس: كان جلساؤه القراء والصالحين من أصحاب رسول الله ﷺ، سواء كانوا شيوخاً أو كهولاً أو شباباً، يشاورهم ويدنيهم، وهكذا ينبغي لكل مسؤول أن يكون جلساؤه من هؤلاء؛ وكان الصحابة والقراء منهم، هم أهل العلم، لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، وإعراض عمر بن الخطاب عنه، ليس ذلاً ولا خنوعاً، فهو قادر على أن يبطش بالرجل الذي تكلم، لكن امتثل هذا الأمر وأعرض عن الجاهلين، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤]. سبحان الله! إنسان بينك وبينه عداوة أساء إليك، ادفع بالتي هي أحسن، وقوله: ﴿**وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾: أي غاية ما يكون من الصداقة والقرب، فينبغي لنا إذا حصلت مثل هذه الأمور، كالغضب والغيظ، أن نتذكر كتاب الله وسنة رسوله، من أجل أن نسير على هديهما، حتى لا نضل.



**[٥١]** وعن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: الصَّبر على جَور الولاة وإِن استأثروا بالأموال، فإن الله سائلهم عما استرعاهم.

والأثرة تعني: الاستئثار بالشيء عمن له فيه حق، يريد بذلك ﷺ أنه سيستولي على المسلمين ولاة يستأثرون بأموال المسلمين يصرفونها كما شاؤوا، ويمنعون المسلمين حقهم فيها، وهذا لا يمنع ما يجب نحوهم من السمع والطاعة وعدم الإثارة وعدم التشويش عليهم، بل اصبروا واسمعوا وأطيعوا، واسألوا الله أن يهديهم حتى يؤدوكم الحق الذي عليهم، وفي هذا دليل على نبوة الرسول ﷺ؛ لأنه أخبر بأمر وقع، وقد استأثروا بمال الناس لمصالح أنفسهم الخاصة.

**[٥٢]** وعن أبي يحيى أُسَيْد بن حُضَير ﷺ: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلَانًا؟ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني: اصبروا ولا تنابذوا الولاة أمرهم حتى تلقوني على الحوض، يعني أنكم إذا صبرتم فإن من جزاء الله لكم على صبركم أن يسقيكم من حوضه، هذا الحوض الذي يكون في يوم القيامة في مكان وزمان أحوج ما يكون الناس إليه؛ يحصل على الناس من الهم والغم والكرب والعرق والحر ما يجعلهم في أشد الضرورة إلى الماء، فيردون حوض النبي ﷺ، وهو نهر في الجنة، من شرب منه شربة واحدة لم يظمأ بعدها أبداً، فأرشده النبي ﷺ أن صبر الناس على ظلم الولاة من أسباب الورود على هذا الحوض والشرب منه. ولكن يجب أن نعلم أن الناس كما يكونون يولى عليهم، إذا أساؤوا فيما بينهم وبين الله فإن الله يسلط عليهم ولاتهم، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، فإذا صلحت الرعية يسّر الله لهم ولاة صالحين، وإذا كانوا بالعكس كان الأمر بالعكس. ويذكر أن رجلاً من الخوارج جاء إلى علي بن أبي طالب وقال له: يا علي، ما بال الناس انتفضوا عليك ولم ينتفضوا على أبي بكر وعمر؟ فقال له: إن رجال أبي بكر

وعمر أنا وأمثالي، أما أنا فكان رجالي أنت وأمثالك، أي: ممن لا خير فيهم، ويذكر أن عبد الملك بن مروان أحد ملوك بني أمية سمع مقالة الناس فيه، فجمع أشراف الناس ووجهاءهم وقال لهم: أيها الناس، أتريدون أن نكون لكم مثل أبي بكر وعمر؟ قالوا: نعم! قال إذا كنتم تريدون ذلك فكونوا لنا مثل رجال أبي بكر وعمر! ومع ذلك، فإن صلاح ولي الأمر هو الأصل، وإنه إذا صلح ولي الأمر صلحت الأمة.

**[٥٣]** وعن أبي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ، انْتَظَرَ حَتَّى إِذَا مَالَتِ الشَّمْسُ قَامَ فِيهِمْ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

انتظر حتى مالت الشمس: زالت عن وسط النهار، وذلك من أجل أن تقبل البرودة ويكثر الظل، قام ﷺ فخطب، ومن جملة ما قال: «**لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ... فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**»، هذا هو الشاهد من الحديث: اصبروا على مقاتلتهم واستعينوا بالله، والشهيد إذا قتل في سبيل الله، فإنه لا يحسّ بالطعنة أو بالضربة، كأنها ليست بشيء، ما يحسّ إلا أن روحه تخرج من الدنيا إلى نعيم دائم أبداً، ولهذا قال الرسول ﷺ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**».

في هذا الحديث عدة فوائد، منها: أن لا يتمنى الإنسان لقاء العدو، وهذا غير تمني الشهادة! تمني الشهادة جائز، بل قد يكون مأموراً به، ومنها: أن الإنسان إذا لقي العدو فإن الواجب عليه أن يصبر، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال: ٤٥]، ومنها: أنه ينبغي لأمير الجيش أن يرفق بهم، وأن لا

يبدأ القتال إلا في الوقت المناسب، فلا ينبغي أن يتحرى القتال في الحر الشديد ولا في أيام البرد الشديد؛ لأن في ذلك مشقّة.





## ٤- الصِّدق

الصِّدق: معناه مطابقة الخبر للواقع، هذا في الأصل، مثل أن تقول: اليوم يوم الأحد، فهذا خبر صدق؛ لأن اليوم يوم الأحد، وإذا قلت: اليوم يوم الاثنين، فهذا خبر كذب، فالخبر إن خالف الواقع فهو كذب، ويكون كذلك أيضاً في الأفعال، فالمنافق ليس بصادق، لأنه يظهر للناس أنه من العابدين وليس كذلك.

قَالَ الله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

هذه الآية نزلت بعد ذكر قصة الثلاثة الذين خُلفوا، أي: تُركوا، فلم يُبتّ في شأنهم، تخلفوا عن غزوة تبوك بلا عذر، فصدقوا الرسول وأخبروه بالصدق بأنهم تخلفوا بلا عذر، فأرجأهم النبي خمسين ليلة: ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِّ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة:١١٨]، ثم أنزل الله توبته عليهم، ثم قال بعد ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فأمر الله تعالى المؤمنين بان يتقوا الله ﷻ، وأن يكونوا مع الصادقين لا مع الكاذبين.

وقال تعالى: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ [الأحزاب:٣٥].

هذه في جملة الآية الطويلة التي ذكرها الله في سورة الأحزاب، وهي، ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمؤْمِنَاتِ﴾إلى أن قال: ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ﴾ إلى أن قال: ﴿أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد:٢١]، ولكن عاملوا الله بالكذب فنافقوا وأظهروا خلاف ما في قلوبهم، وعاملوا النبي ﷺ بالكذب، فأظهروا أنهم متبعون له وهم مخالفون له، فلو أنهم صدقوا الله بقلوبهم وأعمالهم وأقوالهم لكان خيراً لهم، ولكنهم كذبوا الله فكان شراً لهم، ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب:٢٤]، فلا تُداهن الخلق وتبارز الخالق بالكذب، قل الصدق ولا يهمك أحد، وأنت إذا عودت نفسك

الصدق فإنك في المستقبل سوف تصلح حالك، أما إذا أخبرت بالكذب وصرت تكتم عن الناس وتكذب عليهم، فإنك سوف تستمر في ذلك، فعليك بالصدق فيما لك وفيما عليك؛ حتى تكون مع الصادقين الذين أمرك الله أن تكون معهم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

**[٥٤]** عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ، قال: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ**»: أي الزموا الصدق، والصدق: مطابقة الخبر للواقع، ولهذا يذكر أن بعض العامة قال: إن الكذب ينجي، فقال له أخوه: الصدق أنجى وأنجى، وهذا صحيح، و«**البِرُّ**»: يعني كثرة الخير، وهو من نتائج الصدق، والصدّيق في المرتبة الثانية من مراتب الخلق من الذين أنعم الله عليهم، كما قال الله سبحانه: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٩]، فالرجل الذي يتحرى الصدق يكتب عند الله صديقاً، ومن أعظم الكذب: ما يفعله بعض الناس اليوم، يأتي بالمقالة كاذباً يعلم أنها كذب، لكن من أجل أن يُضحك الناس، وقد جاء في الحديث الوعيد على هذا، فقال الرسول ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ القَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**»، وهذا وعيدٌ على أمر سهل عند كثير من الناس، وأشدّ شيء من الكذب أن يكذب ويحلف ليأكل أموال الناس بالباطل؛ فإن ذلك هو اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في الإثم، ثم تغمسه في النار، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ هُوَ فِيهَا فَاجِرٌ؛ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**».



**[٥٥]** عن أبي محمد الحسن بنِ علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ: «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ**». رواه الترمذي، وَقال: حديث صحيح.

وهذا الحديث من أحاديث الأربعين النووية، وهو حديث جامع مهم، من أبواب الورع والاحتياط، وذكروا لذلك أشياء كثيرة منها: إنسان أصاب ثوبه نجاسة، ولا يدري هل في مقدم الثوب أو في مؤخره! فما هو الاحتياط؟ الاحتياط أن يغسل مقدمه ومؤخره، حتى تزول الريبة ويطمئن، ومنها: لو شك الإنسان في صلاته: هل صلى ركعتين أو ثلاث ركعات، ولم يترجح عنده شيء؟ فهنا يعمل بالأقل، ثم إن فيه تربية نفسية، وهي أن الإنسان يكون في طمأنينة ليس قلق، لأن كثيراً من الناس إذا أخذ ما يشك فيه يكون عنده قلق، فهو دائماً يفكر: لعلي فعلت، لعلي تركت، فإذا قطع الشك باليقين زال عنه ذلك.

قوله: «**فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ**»، هذا وجه الشاهد من هذا الحديث، لا يندم صاحبه أبداً، ولا يقول: ليتني وليتني، وتجد الصادق دائما مطمئناً؛ لأنه لا يتأسف على شيء حصل أو شيء يحصل في المستقبل؛ لأنه قد صدق، و«**مَنْ صَدَقَ نَجَا**»، أما الكذب، فإنه ريبة، ولهذا تجد أول من يرتاب في الكاذب نفسه؛ هل يصدقه الناس أو لا يصدقونه؟ ولهذا تجد الكاذب إذا أخبرك بالخبر قام يحلف بالله أنه صادق؛ تجده في ريبة؛ هل علم الناس بكذبه أم لم يعلموا؟ فلا يزال في شك واضطراب.



**[٥٦]** عن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل، قَالَ هِرَقلُ: فَمَاذَا يَأمُرُكُم؟- يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ-، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: قُلْتُ: يَقُولُ: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، ويَأْمُرُنَا بالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، وَالصِّلَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

كان أبو سفيان مشركاً، لم يسلم إلا متأخراً، فيما بين صلح الحديبية وفتح مكة، يعني ما بين السنة السادسة والسنة الثامنة من الهجرة، قدم أبو سفيان ومعه جماعة من قريش إلى هرقل في الشام، وهرقل كان ملك النصارى في ذلك الوقت، وكان قد قرأ في التوراة والإنجيل وعرف الكتب السابقة، وكان ملكاً ذكياً، فلما سمع بأبي سفيان ومن معه دعا بهم، وجعل يسألهم عن حال النبي ﷺ وعن أحواله، وكلما ذكر شيئاً أخبروه، عرف أنه النبي الذي أخبرت به الكتب السابقة، ولكنه شح بملكه فلم يسلم.

وقوله: «**وَكَانَ يَأْمُرُنَا بِالصِّدْقِ**»، هذا هو الشاهد من الحديث، فقد كان النبي ﷺ يأمر أمّته بالصدق، وهذا كقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩].

والصدق خُلق فاضل ينقسم إلى قسمين: صدق مع الله، وصدق مع عباد الله، وضده الكذب، وهو ذميم من أخلاق المنافقين، كما قال الرسول ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ**»، وذكر منها: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**»، وبعض الناس مبتلى بهذا المرض، فلا يستأنس ولا ينشرح صدره إلا بالكذب، يكذب دائماً، إن جلس في المجلس جعل يفتعل الأفاعيل ليضحك بها الناس، وقد قال النبي ﷺ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ**».

وقوله: «**العَفَافِ**»: وهي نوعان: عفّة عن شهوة الفرج، وعفّة عن شهوة البطن، ومنع الله كل ما يوصل إلى الزنا ويكون ذريعة له، فمنع المرأة أن تخرج متبرّجة، فقال: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، أما العفاف عن شهوة البطن، أي عما في أيدي الناس، كما قال تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ [البقرة: ٢٧٣]، يعني: عن سؤال الناس، بحيث لا يسأل الإنسان شيئاً، لأن السؤال مذلة، والسائل يده دنيا، سفلى، والمعطي يده عليا، فلا يجوز أن تسأل أحداً إلا ما لا بد منه، كما لو كنت مضطراً، أما من دون حاجة ملحّة أو ضرورة، فإن السؤال محرم، وقد وردت

أحاديث في التحذير منه، حتى أخبر النبي ﷺ أن السائل يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم، قد ظهر منه العظم أمام الناس في هذا المقام العظيم المشهود.

ثم إن الصحابة ﷺ بايعوا النبي ﷺ على أن لا يسألوا الناس شيئاً، حتى كان سوط أحدهم يسقط من على راحلته ولا يقول لأحد ناولني السوط، بل ينزل ويأخذه، كيف تمد يدك إلى مخلوق وتقول له أعطني وأنت مثله؟ «**وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهِ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ**».

وقوله: «**الصِّلَة**»: جاءت في القرآن غير مقيدة، فإنه يتبع في ذلك العرف، ويختلف هذا باختلاف الأمور كالقرب، وحال الشخص، والزمان، والمكان، وما جرت العادة بأنه صلة فهو صلة؛ وما جرت العادة بأنه قطيعة فهو قطيعة.



**[٥٧]** عن أبي ثابت، وقيل: أبي سعيد، وقيل: أبي الوليد، سهل بن حُنَيْفٍ وهو بدريٌّ، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**». رواه مسلم.

والشاهد منه قوله: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ**»، والشهادة مرتبة عالية بعد الصدّيقية، كما قال الله سبحانه: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ**﴾ [النساء: ٦٩]، ومن الشهداء أيضاً: من يصاب بالطعن والبطن والحرق والغرق: المطعون والمبطون والحريق والغريق وما أشبههم، ومن الشهداء: الذين يقتلون دون أموالهم ودون أنفسهم، ومن الشهداء أيضاً: من قتل ظلماً، كأن يعتدي عليه إنسان فيقتله غيلة ظلما فهذا شهيد، قال النبي ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**»، ولكن أعلى الشهداء هم الذين يقتلون في سبيل الله؛ فإذا سأل الإنسان ربه وقال: اللهم إني

أسألك الشهادة في سبيلك، ولا تكون الشهادة إلا بالقتال؛ لتكون كلمة الله هي العليا، فإن الله تعالى إذا علم منه صدق القول والنية أنزله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه.

بقي علينا الذي يقاتل دفاعاً عن بلده: هل هو في سبيل الله أو لا؟ نقول: إن كنت تقاتل دفاعاً عن بلدك لأنها بلد إسلامي، فتريد أن تحميها من أجل أنها بلد إسلامي، فهذا في سبيل الله، لأنك قاتلت لتكون كلمة الله هي العليا، أما إذا قاتلت من أجل أنها وطن فقط فهذا ليس في سبيل الله؛ لأن الميزان الذي وضعه النبي ﷺ لا ينطبق عليه، ولهذا يجب أن نصحح نيّة الإنسان في القتال للدفاع عن بلده، بأن ينوي بذلك بأن يقاتل عن هذا البلد لأنه بلد إسلامي، فيريد أن يحفظ الإسلام الذي فيه، ثم إن كلمة الجنة وكلمة الشهيد، مصطلحان يتعلقان بالله تعالى وبشرعه، وضع الله لهما قيوداً وشروطاً واضحة ومعروفة، فهؤلاء المقاتلون حينما قرروا التوجه ليخوضوا تلك المعارك والحروب، هل كان الله في بالهم لينالوا الشهادة والجنة؟!



**[٥٨]** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعَنِّي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِي بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلَادَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ القَرْيَةِ صَلَاةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذٰلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ فَجَاءتْ- يَعْنِي النَّارَ- لِتَأْكُلَهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ: إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ فَلْتُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمُ الغَلُولُ، فَجَاؤُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا، فَلَمْ تَحِلَّ الغَنَائِمُ لِأَحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أَحَلَّ اللهُ لَنَا الغَنَائِمَ لَمَّا رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الخَلِفَاتُ: جمع خِلفة وهي الناقة الحامِل، في هذا الحديث: أنَّ فتن الدنيا تدعو النفس إلى الهلع ومحبةِ البقاء، وأنَّ الأمور المهمّة لا ينبغي أن تفوَّض إلا لحازم فارغ البال لها، قال القرطبي: نهي النبيُّ ﷺ قومه عن إتباعه على أحد هذه الأحوال؛ لأنَّ أصحابها يكونون متعلّقي النفوس بهذه الأسباب فتضعف عزائمهم، وتفتر رغباتهم في الجهاد والشهادة، وربّما يفرط ذلك التعلّق فيفضي إلى كراهة الجهاد وأعمال الخير، ومقصود هذا النبي تفرغهم من العوائق والاشتغال إلى تمنِّي الشهادة بنيِّة صادقة وعزم حازم، ليتحصَّلوا على الحظ الأوفر والأجر الأكبر، والجهاد ينبغي أن يكون الإنسان فيه متفرغاً، ليس له هم إلا الجهاد، ولهذا قال الله سبحانه: ﴿**فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ**﴾ [الشرح:٧] أي: إذا فرغت من شؤون الدنيا بحيث لا تنشغل بها فانصب للعبادة، وقال النبي ﷺ: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ**»، فدلّ على أنه ينبغي للإنسان إذا أراد طاعة أن يفرغ قلبه وبدنه لها، حتى يأتيها وهو مشتاق إليها، وحتى يؤديها على مهل وطمأنينة وانشراح صدر.

وكانت الغنائم في الأمم السابقة لا تحل للغزاة، بل حلّ الغنائم من خصائص هذه الأمة، كما قال النبي ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي... وَذَكَر مِنْهَا: وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**». أما الأمم السابقة فكانوا يجمعون الغنائم فتنزل عليها نار من السماء فتحرقها، فجمعت الغنائم فلم تنزل النار ولم تأكلها، فقال هذا النبي: فيكم الغلول، والغلول هو السرقة من الغنيمة، بأن تخفي شيئاً منها .



**[٥٩]** عن أبي خالد حكيم بن حزام ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**البَيِّعَانِ بالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**البَيِّعَانِ**»: يعني: البائع والمشتري، وقوله: «**بِالخِيَارِ**»، أي: كل منهما يختار ما يريد، و«**مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا**»، أي: ما داما في مكان العقد لم يتفرقا بالبدن فإنهما بالخيار، ومثاله:

رجل باع على آخر سيارة بعشرة آلاف، فما داما في مكان العقد ولم يتفرقا فهما بالخيار، إن شاء البائع فسخ البيع، وإن شاء المشتري فسخ البيع، وذلك من نعمة الله وتوسيعه على العباد، لأن الإنسان إذا كانت السلعة عند غيره صارت غالية في نفسه يجب أن يحصل عليها بكل وسيلة، فإذا حصلت له فربما تزول رغبته عنها لأنه أدركها، فجعل الشرع له الخيار، فما دام البائع والمشتري لم يتفرقا فهما بالخيار وإن طال الوقت، حتى لو بقيا عشر ساعات، لعموم قوله ﷺ: «**مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا**»، وفي حديث ابن عمر: «**أَوْ يُخَيِّرُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ**»، أي: أو يقول أحدهما للآخر: الخيار لك وحدك، فحينئذ يكون الخيار له وحده، والثاني لا خيار له. أو يقولا جميعاً: لا خيار بيننا، وقوله: «**فَإِنْ صَدَقَا**»: وهذا هو الشاهد من الحديث، و«**وَبَيَّنَا**»: فيما يصفان به السلعة من الصفات المكروهة، وهذا ما يفعله بعض الذين يبيعون السيارات في المعارض، والبائع يعلم علم اليقين أن فيها عيباً، لكن يكتمه.





# ٥- المراقَبة

المراقبة هي أحد مقامَيْ الإحسان، فراقب الله في هذه المواضع الثلاثة، في فعلك وقولك وسريرتك، ولهذا لما سئل النبي ﷺ عن الإحسان قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». أما مراقبتك لله، فأن تعلم أن الله يعلم كل ما تقوم به من أقوال وأفعال واعتقادات، يراك حين تقوم، أي في الليل حين يقوم الإنسان في مكان خال لا يطلع عليه أحد، فالله ﷻ يراه حتى ولو كان في أعظم ظلمة. قال الله تعالى: ﴿**الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ، وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء:٢١٨-٢١٩]، وذكر القيام لأنه أفضل من السجود بذكره؛ فالذكر المشروع في القيام هو قراءة القرآن، والقرآن أفضل الكلام، أما السجود فهو أشرف من القيام بهيئته؛ لأن الإنسان الساجد أقرب ما يكون من ربه، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَقْرَبَ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»، ولهذا أمرنا أن نكثر من الدعاء في السجود، ومع هذا فإن الذي تتكلم به، خيراً كان أم شراً، علناً أو سراً، فإنه يُكتب لك أو عليك؛ كما قال الله ﷻ: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [قّ: ١٨]، فراقبْ هذا الأمر، وإياك أن تخرجْ من لسانك قولاً تحاسب عليه، اجعل دائما لسانك يقول الحق أو يصمت.

وقال تعالى: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ [الحديد:٤]، فالضمير [هو] يعود على الله، أي إن الله مع عباده أينما كانوا: في بر أو بحر، أو جو، أو في ظلمة أو ضياء، وفي أي حال أينما كنتم، ولا نعني أنه ﷻ معنا في المكان نفسه الذي نحن فيه؛ لأن الله فوق كل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه: ٥]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على أنه فوق كل شيء، لكنه ﷻ ليس كمثله شيء في جميع أوصافه وصفاته، ولكن يجب أن نعلم أنه ليس في الأرض، لأننا لو توهمنا هذا، لكان فيه إبطال لعلو الله، وأيضاً

فإن الله تعالى لا يسعه شيء من مخلوقاته: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فالكرسي محيط بالسماوات والأرض كلها، والكرسي هو موضع قدمي الرحمن ﷻ، والعرش أعظم وأعظم وأعظم، كما جاء في الحديث الشريف: «**إِنَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ بِالنِّسْبَةِ لِلْكُرْسِيِّ كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ**»، أي مكان متسع، ونسبة هذه الحلقة إلى الأرض ليست بشيء، فما بالك بالخالق! فالخالق لا يمكن أن يكون في الأرض، لأنه أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾[آل عمران:٥]. «**شَيْءٌ**» نكرة، تعمّ كل شيء. «**لَا يَخْفَى**» فكل شيء لا يخفى على الله في الأرض ولا في السماء، وقد فصّل الله هذا في قوله ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩]، فإذا كانت الأوراق الساقطة يعلمها؛ فكيف بالأوراق النامية التي ينبتها ويخلقها؛ فهو أعلم بها بالأولى.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤]، يعني: يرصد خلقه فيما يعملون، وسيجازي كلاً بسعيه في الدنيا والآخرة، وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩]، وخائنة الأعين خيانتها، وذلك أن الإنسان ينظر إلى الشيء ولا تظن أنه ينظر إليه نظراً محرماً، ولكن الله يعلم، كذلك ينظر إلى الشخص نظر كراهية، والشخص لا يدري، ولكن الله يدري، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [يونس:٦١].



**[٦٠]** عن عمر بن الخطاب ﵁ قال: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: «**يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟**»، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». قَالَ: «**صَدَقْتَ**»، فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟**». قَالَ: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قَالَ: «**صَدَقْتَ**». قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟**». قَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟**». قَالَ: «**مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: «**فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا؟**». قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**». ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**». رواه مسلم.

هذا الحديث العظيم، الذي قال فيه النبي ﷺ لعمر: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**». إذاً ديننا في هذا الحديث؛ لأنه مشتمل على كل الدين، على الإسلام والإيمان والإحسان.

"بَيْنَمَا": هذه ظرف تدل على المفاجأة، ولهذا تأتي بعدها (إذ) المفيدة للمفاجأة، وكان الصحابة يجلسون عند النبي كثيراً، فهو إما أن يكون في البيت يحلب الشاة ويرقع الثوب ويخصف النعل، وإما مع أصحابه في المسجد، وإما ذاهبا إلى عيادة مريض، أو زيارة قريب، أو غير ذلك من الأمور التي لا يمضي منها لحظة إلا وهو في طاعة الله، فقد يحفظ الوقت، وليس مثلنا نضيع الأوقات، والغريب أن أغلى شيء عند الإنسان هو الوقت، وهو أرخص

شيء عند الإنسان. قال الله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾[المؤمنون: ٩٩-١٠٠]. لم يقل: لعلّي أتمتع في المال، أو بالزوجة أو بالسيارة أو بالقصور، بل يقول: لعلي أعمل صالحاً فيما مضى على الوقت وما استفدت منه، فالوقت هو أغلى شيء، لكن هو أرخص شيء عندنا الآن، نمضي أوقاتاً كثيرة من دون فائدة، بل فيما يضر، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين، اليوم مع الأسف الشديد أنهم في سهو ولهو، وأكثرهم في غفلة وترف، ينظرون ما يترف به أبدانهم وإن أتلفوا أديانهم.

تعجبوا منه، هذا الرجل الذي جاء نظيفاً؛ شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، أي: شاب لا يُرى عليه اثر السفر، لأن المسافر؛ لا سيما في ذلك الوقت؛ يمشي على الدواب أو على الإقدام، والأرض غير مسفلتة كلها غبار، لكن هذا لا يعرفه منا أحد، فهو غريب ليس بغريب! هذا الرجل هو جبريل أحد الملائكة العظام، بل هو أفضل الملائكة فيما نعلم؛ لأنه يقوم بحمل الوحي من الله إلى الرسل، فهو ملك عظيم، رآه النبي ﷺ على صورته التي خلق عليها مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء؛ مرة في الأرض وهو في غار حِراء، رآه وله ستمائة جناح، قد سد الأفق، كل الأفق، والمرة الثانية عند سدرة المنتهى، فقال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم: ١٣-١٤]، وقد جعل الله للملائكة قدرة على أن يتشكلوا بغير أشكالهم الأصلية، فها هو قد جاء في صورة هذا الرجل. قوله: "فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ": أي أسند جبريل ركبتيه إلى ركبتي النبي ﷺ. "وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ": قال العلماء: وضع كفيه على فخذي نفسه، لا على فخذي النبي، وذلك من كمال الأدب في جلسة المتعلم أمام المعلم، بأن يجلس بأدب واستعداد لما يسمع، واستماع لما يقال، جلس هذه الجلسة ثم قال: «**يَا مُحَمَّدُ**» كصنيع أهل البادية ولم يقل: يا رسول الله، قال: «**يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلَامِ؟**» أي: ما هو الإسلام؟ قال النبي ﷺ: «**أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**».

هذا الركن الأول، وهذه الكلمة أرسل الله بها جميع الرسل، فقال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، فهذه الكلمة إذا حققها الإنسان وقالها من قلبه ملتزماً بما تقضيه من الإيمان والعمل الصالح، فإنه يدخل الجنة بها، قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». وقوله: «وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»، أي: إلى الخلق كافة، فهو رسول إلى جميع الخلق ولم يذكر سواه من الرسل؛ لأنه نسخ جميع الأديان قبله، لقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[آل عمران: ٨٥]. إن هؤلاء يتعبون في عبادتهم التي ابتدعوها تعباً عظيماً، وكل هذا هباء لا ينفعهم، فالذين يَدّعون الآن من النصارى هم كذابون، ولو جاء المسيح لقاتلهم، لا يقبل إلا الإسلام، وقد أقسم ﷺ: «أَنَّهُ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ؛ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ». هذه شهادة النبي ﷺ، والجنة حرامٌ عليهم، لأنهم كفرةٌ أعداء لله ولرسله.

ويلزم من هذه الشهادة أن تتبع الرسول ﷺ في شرعه وسنّته، وأن لا تبتدع في دينه ما ليس منه، ولهذا نقول: إن أصحاب البدع لم يحقّقوا معنى الشهادة حتى وإن قالوا إننا نحب الرسول ونعظمه، فإنهم لو أحبوه وعظّموه ما أدخلوا في شريعته ما ليس منها، فالبدعة مضمونها حقيقة كأنما يقول هذا المبتدع: إن الرسول ﷺ لم يكمل الدين؟! لأن هناك ديناً وشريعة ما جاء بها! ثم في البدعة محذور آخر، وهو عظيم جداً، وهو أنه يتضمن تكذيب قول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، وهؤلاء المبتدعون شرعوا في دين الله ما ليس منه، من تسبيحات وتهليلات وحركات وغير ذلك، فالذي يؤمن بالله والرسول حقاً، يقول فيما صح عنه من الأخبار: سمعنا وأطعنا وصدقنا، أما أن يقول: كيف هذا؟ وكيف يكون هذا؟ هذا غير مؤمن حقيقة بالله ورسوله، كما أن لا تغلو

فيه، مثل أولئك الذين يعتقدون أن الرسول ﷺ يكشف الضر، حتى أنهم عند قبره يسألون النبي مباشرة أن يكشف الضر وأن يجلب النفع، هذا غلو في الرسول وشرك بالله! لأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا الله، والنبي بعد موته لا يملك لنفسه شيئاً أبداً، حتى الصحابة لما أصابهم القحط، ما جاؤوا إلى القبر يسألون الرسول، قام عمر يدعو الله: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وأنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، ثم أمر العباس أن يقوم ويدعو الله، لماذا؟ لأن النبي ﷺ ميت لا عمل له بعد موته، وهو الذي قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»، فالنبي ﷺ لا يملك أن يدعو لك وهو في قبره أبداً، فهو عبد كغيره من العباد، والله هو المعبود وهو الرب، إذاً نقول لهؤلاء الذين يغلون برسول الله وينزلونه فوق منزلته، نقول لهم: إنكم لم تحققوا لا شهادة أن لا إله إلا الله، ولا شهادة أن محمداً رسول الله.

**الركن الثاني**: إقام الصلاة، الصلاة سمّيت صلاة لأنها صلة بين العبد وبين الله، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن الله ﷻ قال: «**قُسِّمَتُ الصَّلَاةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَل، فَإِذَا قَالَ: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ﴾ قالَ اللهُ: حَمَدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ قَالَ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَفِي رِوَايَةٍ: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، وَإذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ اللهُ: فَهٰذِهِ الآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قَالَ اللهُ: فَهٰؤُلَاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**». ومع ذلك فالكثير منا في هذه المناجاة معرض بقلبه، تجده يتجول يميناً وشمالاً، وهذا من جهلنا وغفلتنا، ولهذا كلنا يقرأ قول الله ﷻ: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت:٤٥]، ومع ذلك يأتي الإنسان

ويصلي فلا يجد في قلبه إنكاراً لمنكر، هذه الصلاة هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، فرضها الله على نبيه بلا وساطة في أعلى مكان وَصَله بشر، في أشرف ليلة هي ليلة المعراج، فرضها عليه خمسين صلاة في اليوم، ولكن الله جعل لكل شيء سبباً، مرّ بموسى فقال له: إن أمتك لا تطيق ذلك، اذهب إلى ربك وأساله أن يخفف! وجعل الرسول ﷺ يتردد بين موسى وبين الله حتى جعلها الله خمساً، وهي خمسون في الميزان! فهذه خمس صلوات عن خمسين صلاة! صلّ خمساً كأنما صليت خمسين! هي خمس في الفعل وخمسون في الميزان! وهذا يدل على عظم هذه الصلوات، لا بد أن تكون مع الله خمس مرات تناجيه في اليوم والليلة، ولو أن أحداً من الناس حصل على مقابلة بينه وبين الملك خمس مرات باليوم لعدّ ذلك شيئاً عظيماً! وقال: كل يوم أجالس الملك خمس مرات! فكيف وأنت تناجي ملك الملوك في اليوم خمس مرات، فلماذا لا تفرح بهذا؟!

أما أهم شروطها: ورد في كتب الفقه أن شروط الصلاة تسعة: وهي الإسلام، فلا تصح الصلاة من كافر؛ والعقل: فلا تصح من مجنون، والبلوغ: فلا تجب على الصبي، والطهارة من الحَدَثين، ودخول الوقت، وستر العورة مع القدرة بشيء لا يصف البشرة، وعورة الرجل البالغ ما بين السرة والركبة، والأولى والأفضل أن يجعل على عاتقه شيئاً من الثياب؛ أما المرأة فكلها عورة إلا وجهها وكفيها، إلا إذا صلَّت أمام الأجانب فإنها تغطي كل شيء؛ واجتناب النجاسة في بدنه وثوبه ومكان صلاته مع القدرة، واستقبال القبلة مع القدرة، ثم النية، ولا تسقط بأي حال، ونذكر بالتوضيح أبرزها:

الشرط الأول: الوقت: لقول الله سبحانه: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا**﴾ [النساء:١٠٣]، فأوقاتها خمسة لغير أهل الأعذار، وثلاثة لأهل الأعذار الذين يجوز لهم الجمع، فالظهر والعصر يكون وقتاهما وقتاً واحداً، والمغرب والعشاء يكون وقتاهما وقتاً واحداً إذا جاز الجمع، والفجر وقت واحد، وهنا أنبه فأقول: إن تقويم أم

القرى فيه تقديم خمس دقائق في أذان الفجر على مدار السنة، فالذي يصلي أول ما يؤذن يعتبر أنه صلى قبل الوقت، وهذا شيء اختبرناه في الحساب الفلكي، وهذه مسالة خطيرة جداً، وقد حدثني أناس كثيرون ممن يعيشون في البر وليس حولهم أنوار، أنهم لا يشاهدون الفجر إلا بعد هذا التقويم بثلث ساعة، أي: عشرين دقيقة أو ربع ساعة أحياناً، وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، أن النبي ﷺ قال: «**وَقْتَ العِشَاءِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ**»، وليس عنه حديث على أن وقت العشاء يمتد إلى طلوع الفجر أبداً، واعلم أن الصلاة قبل دخول الوقت لا تقبل حتى ولو كبّر المصلي تكبيرة الإحرام، لو أراد الإنسان أن يصوم قبل رمضان ولو بيوم واحد فإنه لا يجزئه عن رمضان.

الشرط الثاني: الطهارة، فإنه لا تقبل صلاة بغيرها، قال النبي ﷺ: «**لَا تُقْبَلُ صَلَاةُ أَحَدِكُمْ إِذَا أَحْدَثَ حَتَّى يَتَوَضَّأَ**»، فإن أحدث حدثاً أصغر مثل: البول والغائط والريح والنوم وأكل لحم الإبل فإنه يتوضأ، وفروض الوضوء كما يلي: غسل الوجه، واليدين إلى المرفقين، ومسح الرأس، وغسل الرجلين إلى الكعبين، كما أمر الله بذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة:٦]، ومن الرأس: الأذنان، ومن الوجه: المضمضة والاستنشاق في الفم والأنف، فلا بد في الوضوء من تطهير هذه الأعضاء الأربعة، غسل في ثلاثة ومسح في واحد، وأما الاستنجاء أو الاستجمار فلا علاقة له بالوضوء، فلو أن الإنسان بال أو تغوط واستنجى ثم ذهب لشغله، ثم عاد بعد وقت، فإنه يتوضأ ولا حاجة لأن يستنجي، لأنه هناك ليس علاقة بين الاستنجاء وبين الوضوء. والوضوء في الغسل سنة وليس بواجب، ويُسنّ أن يتوضأ قبل أن يغتسل، وإذا اغتسل فلا حاجة إلى الوضوء مرة ثانية، لأنه لم يثبت عن النبي أنه توضأ بعد اغتساله، فإذا لم يجد الماء، أو كان مريضاً يخشى من استعمال الماء، أو كان برد شديد وليس عنده ما يسخن به الماء،

فإنه يتيمم، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، أما خوف البرد فدليله قصة عمرو بن العاص: أن النبي ﷺ أرسله في سرية فأجنب، فتيمم وصلى بأصحابه إماماً، فلما رجعوا إلى النبي ﷺ قال له: يا عمرو، صليت بأصحابك وأنت جنب؟ قال: نعم يا رسول الله! ذكرت قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]، فأقرّه النبي على ذلك ولم يأمره بالإعادة، واعلم أن طهارة التيمم تقوم مقام طهارة الماء، وفي الحديث الذي أخرجه أهل السّنن عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الصَّعِيدُ الطَّيِّبُ وُضُوءُ الْمُسْلِمِ وَإِنْ لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ عَشْرَ سِنِينَ، فَإِذَا وَجَدَ الْمَاءَ فَلْيُمِسَّهُ بَشَرَتَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ**».

الشرط الثالث: استقبال القبلة، لا تصح الصلاة إلا به، لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٥٠]، أي: جهته، وكان النبي ﷺ أول ما قدم المدينة يصلي إلى بيت المقدس، ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، فيجعل الكعبة خلف ظهره والشام قبل وجهه، وكان يقلب وجهه في السماء ينتظر متى ينزل عليه جبريل بالوحي في استقبال بيت الله الحرام، فنزل قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة:١٤٤]، أي: جهته، إلا أنه يُستثنى من ذلك ثلاث مسائل:

**المسألة الأولى**: إذا كان عاجزاً كالمريض، ولا يستطيع أن يتوجه إلى القبلة، فإن استقبال القبلة يسقط عنه في هذه الحال، لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦] وقول النبي ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**».

المسالة الثانية: إذا كان في شدة الخوف، كإنسان هارب من عدو أو خطر، أو خوف، فهُنا يصلي حيث كان وجهه.

المسالة الثالثة: في النافلة في السفر، سواء كان على طائرة، أو على سيارة، أو على دابة، فإنه يصلي حيث كان وجهه في صلاة النّفل، مثل الوتر وصلاة الليل والضحى وما أشبه ذلك، فليتنفّل حيث كان وجهه، لأن ذلك هو الثابت في الصحيحين، إلا في الرواتب، كراتبه الظهر والمغرب والعشاء، فالسنة تركها للمسافر.

فهذه ثلاث مسائل لا يجب فيها استقبال القبلة! أما الجاهل فيجب عليه أن يجتهد ويتحرى بقدر استطاعته.

لكن إذا تبين له الخطأ بعد الاجتهاد، فإنه لا إعادة عليه، ودليل ذلك أن الصحابة الذين لم يعلموا بتحويل القبلة إلى الكعبة، كانوا يصلون ذات يوم صلاة الفجر في مسجد قباء، فجاءهم أمر استقبال الكعبة، فاستداروا وبقوا في صلاتهم، ولم يكن إنكار، وليس عليه إعادة، ولكن إذا تبيّن ولو في أثناء الصلاة وجب عليه أن يستدير أو يستقيم إلى القبلة، وهنا مسالة يجب على من نزل على شخص ضيفا وأراد أن يصلي، أن يسأل صاحب البيت عن القبلة، لأن بعض الناس تأخذه العزة بالإثم، ويمنعه الحياء عن السؤال، اسأل عن القبلة حتى يخبرك صاحب البيت، وأحياناً يتجه حسب ظنه إلى جهة ليست القبلة، من دون أن يتحرى أو يسأل، وفي هذه الحال وجب عليه أن يعيد الصلاة.

الشرط الرابع: النيّة، لقول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**».

وقد دلّت الآيات الكريمة على اعتبار النية في العبادات، مثل قوله تعالى في وصف النبي ﷺ وأصحابه: ﴿**تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا**﴾ [الفتح:٢٩].

فالنية شرط من شروط صحة الصلاة، لا تصح الصلاة إلا بها، وهي ليست بالأمر

الصعب، كل إنسان عاقل يفعل فعلا فإنه قد نواه، فلا تحتاج إلى تعب ولا إلى نطق، لأن محلها القلب، ولأن النبي ﷺ لم ينطق بالنية، ولا أمر أمته بالنطق بها، ولا فعلها أحد من أصحابه، فالنطق بالنية بدعة، هذا هو القول الراجح، وما أظرف قصة ذكرها لي بعض الناس، قال لي: إن شخصاً في المسجد الحرام أراد أن يصلي، فقال: اللهم إني نويت أن أصلي الظهر أربع ركعات لله تعالى خلف إمام المسجد الحرام! لما أراد أن يكبر قال له الرجل إلى جواره: اصبر بقي عليك! قال: ما بقي؟ قال له: قل في اليوم الفلاني وفي التاريخ الفلاني من الشهر والسنة حتى لا تضيع، هذه وثيقة! فتعجب الرجل! هل أنت تُعلم الله بما تريد؟ هل تُعلم الله بعدد الركعات والأوقات؟ لا داعي له، الله يعلم هذا، إذا جئت إلى المسجد في وقت الفجر، فماذا تريد أن تصلي؟ أتريد أن تصلي المغرب؟! لا، بل الفجر.

وهناك مسالة: إذا جئت وكبّرت، وغاب عن ذهنك أي صلاة هي، وهذا يقع كثيراً، جئت مسرعاً وقد فاتَتْك الركعة، ولكنك لم تستحضر أنك تريد الفجر، فهنا لا حاجة، ووقوع هذه الصلاة في وقتها دليل على أنه إنما أردت هذه الصلاة، ولهذا لو سألك أي واحد: هل أردت الظهر أو العصر أو المغرب أو العشاء؟ لقلت: أبداً، ما أردت لا الفجر .

وإذا أراد الإنسان أن ينتقل في أثناء الصلاة من نية إلى نية، هل هذا ممكن؟ ننظر، الانتقال من معين إلى معين، أو من مطلق إلى معين لا يصح؛ مثال: إنسان قام يصلي صلاة نافلة مطلقة هكذا، وفي أثناء الصلاة تذكر أنه لم يصلّ راتبة الفجر، فنواها لراتبة الفجر، نقول: لا تصح لراتبة الفجر، لأنه انتقال من مطلق إلى معين، والمعين لا بد أن التنويه من أوله، فراتبة الفجر من التكبير إلى التسليم، ومثال معين إلى معين: رجل قام يصلي العصر، وفي أثناء صلاته تذكر أنه لم يصل الظهر، أو أنه صلاها بغير وضوء، فقال: الآن أصلّيها الظهر، فهل تصح للظهر أم لا؟ هنا لا تصح للظهر، لأنه من معين إلى معين، ولا تصح أيضاً للعصر لأنه قطعها بانتقاله إلى الظهر، فهي لا تصح ظهراً ولا عصراً، أما الانتقال من

معين إلى مطلق فإنه يصح ولا بأس، مثل إنسان شرع في صلاة الفريضة، ثم لما شرع ذكر أنه على ميعاد لا يمكنه أن يتأخر فيه، فنواها نفلاً، فإنها تصح إذا كان الوقت متسعاً ولم يفت الجماعة، فمثلاً إذا كان في صلاة جماعة فلا يمكن أن يحولها إلى نفل مطلق، لأن هذا يستلزم أن يدع صلاة الجماعة.

والجماعة تحتاج إلى إمام ومأموم، وأقلها اثنان: إمام ومأموم، وكلما كان أكثر فهو أحب إلى الله، ولا بد من نية المأموم والإتمام، وهذا شيء متفق عليه، يعني إذا دخلت في جماعة فلا بد أن تنوي الإتمام بإمامك الذي دخلت معه، وهذا لا يحتاج إلى كبير عمل، لأن من أتى إلى المسجد فإنه قد نوى أن يأتم، أما الإمام، قيل: لا بد أن ينوي أنه الإمام، وعلى هذا، لو جاء رجلان ووجدا رجلاً يصلي، ونوَيَا أن يكون الرجل إماماً لهما، فصفّا خلفه وهو لا يدري بهما، فمن قال: إنه لا بد للإمام أن ينوي الإمامة وأن صلاة الرجلين لا تصح، وهذا مذهب الإمام أحمد، ومن قال: إنه لا يشترط أن ينوي الإمام الإمامة، وصلاة هذين الرجلين صحيحة، لأنهما ائتّما به، وهو مذهب الإمام مالك، واستدل بذلك بأن ابن عباس بات عند النبي ﷺ ذات ليلة، فلما قام النبي ﷺ يصلي من الليل قام يصلي وحده، فقام ابن عباس فتوضأ ودخل معه في الصلاة، ولكن لا شك أن النبي ﷺ نوى الإمامة، لكن نواها في أثناء الصلاة، ولا بأس بأن ينويها في أثناء الصلاة، وعلى كل حال الاحتياط في هذه المسالة أن نقول: إنه إذا جاء رجلان إلى شخص يصلي فلينبّهاه، فإن سكت فقد أقرهما، وإن رفض وأشار بيده أن لا تصليا خلفي فلا يصليا خلفه، هذا هو الأولى والأحوط.

وهل يُشترط أن تتساوى صلاة الإمام مع صلاة المأموم في جنس المشروعية؟ بمعنى: هل يصلي الفريضة خلف من يصلي النافلة، أو أن يصلي النافلة خلف من يصلي الفريضة؟ ننظر في هذا: أما الإنسان الذي يصلي نافلة خلف من يصلي فريضة فلا باس

بهذا، لأن السنة قد دلت على ذلك، أما العكس: إذا كان الإمام يصلي النافلة والمأموم يصلي الفريضة، وأقرب مثال لذلك في أيام رمضان، إذا دخل الإنسان وقد فاتته صلاة العشاء ووجد الناس يصلون صلاة التراويح، فهل يدخل معهم بنية العشاء؟ أو يصلي الفريضة وحده ثم يصلي التراويح؟ هذا محل خلاف بين العلماء، فمنهم من قال: لا يصح، لأن الفريضة أعلى من صلاة الإمام، ومنهم من قال: بل يصح أن يصلي الفريضة خلف النافلة، لأن السنة وردت بذلك، وهي أن معاذ بن جبل كان يصلي مع النبي ﷺ صلاة العشاء، ثم يذهب إلى قومه فيصلي بهم تلك الصلاة، فهي له نافلة ولهم فريضة، ولم ينكر عليه النبي ﷺ، فإن قال قائل: لعل النبي ﷺ لم يعلم؟ فالجواب عن ذلك أن نقول: إن كان قد علم فقد تم الاستدلال، وإن كان الرسول لا يعلم، فإن رب الرسول قد علم، وهو الله، وإذا كان الله قد علم ولم ينزل على الرسول إنكاراً لهذا العمل دل هذا على جوازه، إذاً فالصحيح أنه يجوز أن يصلي الإنسان صلاة الفريضة خلف من يصلي صلاة النافلة، فإذا أتيت في أيام رمضان والناس يصلون صلاة التراويح ولم تصل العشاء فادخل معهم بنية صلاة العشاء، فإذا سلم الإمام فصل ركعتين لتتم الأربع، وإن كنت قد دخلت في الثانية فصل إذا سلم الإمام ثلاث ركعات.

وهل يشترط أن تتفق صلاة الإمام والمأموم في نوع الصلاة؟ أي: ظهر مع ظهر، وعصر مع عصر، وهكذا، أم لا؟ الجواب: من العلماء من قال: يجب أن تتفق الصلاتان، لأن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ**»، ومن العلماء من قال: لا يشترط، فيجوز أن تصلي العصر خلف من يصلي الظهر، أو الظهر خلف من يصلي العصر، أو العصر خلف من يصلي العشاء، لأن الإتمام في هذه الحال لا يتأثر، واختلاف الاسم لا يضر، وهذا القول أصح، فإذا قال قائل: حضرت لصلاة العشاء بعد أن أذّن، ولما أقيمت الصلاة تذكرت أنني صليت الظهر بغير وضوء، فكيف أصلي الظهر خلف من يصلي

العشاء؟ نقول له: أدخل مع الإمام وصلي الظهر، أنت نيتك الظهر والإمام نيته العشاء ولا يضر، وأما قول النبي ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ**»، أي: تابعوه ولا تسبقوه، وكلام النبي ﷺ يفسر بعضه بعضاً. وإذا اتفقت الصلاتان في العدد والهيئة فلا إشكال في هذا، مثل ظهر خلف عصر، لكن إذا اختلفت الصلاتان، بأن كانت صلاة المأموم ركعتين والإمام أربعاً، أو بالعكس، أو المأموم ثلاثاً والإمام أربعاً، أو بالعكس، فنقول: إن كانت صلاة المأموم أكثر فلا إشكال، مثل رجل دخل المسجد يصلي المغرب، ولما أقيمت الصلاة ذكر أنه صلى العصر بلا وضوء، فهنا صار عليه صلاة العصر، نقول: ادخل مع الإمام بنية صلاة العصر، وإذا سلم الإمام فإنك تأتي بواحدة لتتمّ لك الأربع، أما إذا كانت صلاة الإمام أكثر من صلاة المأموم فهنا نقول: إن دخل المأموم في الركعة الثانية فما بعدها فلا إشكال، وإن دخل في الركعة الأولى فحينئذ يأتي الإشكال، ولنمثل: إذا جئت والإمام يصلي العشاء، وهذا يقع كثيراً في أيام الجَمْع، يأتي الإنسان من البيت والمسجد جامع للمطر، فإذا جاء وجدهم يصلون العشاء في الركعتين الأخيرتين، نقول: ادخل معهم بنية المغرب، صل الركعتين، وإذا سلّم الإمام تأتى بركعة ولا إشكال، وإذا جئت ووجدتهم يصلون العشاء الآخرة لكنهم في الركعة الثانية، نقول: ادخل معهم بنية المغرب وسلم مع الإمام ولا يضر، ما زدت ولا نقصت، هذا أيضاً لا إشكال فيه، وعند بعض الناس فيه إشكال: يقول: إذا دخلت معه في الركعة الثانية ثم جلست في الركعة التي هي للإمام الثانية، وهي لك الأولى، فتكون جلست في الأولى للتشهد، نقول: هذا لا يضرّ، وإنما الإشكال إذا جئت إلى المسجد ووجدتهم يصلون العشاء وهم في الركعة الأولى ودخلت معهم في الركعة الأولى، حينئذ ستصلي ثلاثاً مع الإمام والإمام سيقوم للرابعة، فماذا تصنع؟ إذا قمت معه زدت ركعة! وإن جلست تخلفت عن الإمام، فماذا تصنع؟ نقول: اجلس، وإذا كنت تريد أن تجمع فانوِ مفارقة الإمام وأقرا التحيات وسلم، ثم ادخل

مع الإمام فيما بقي من صلاة العشاء، لأنك يمكن أن تدركه، أما إذا كنت لا تنوي الجمع، فإنك في هذه الحال مخيّر، إن شئت فاجلس للتشهد وانتظر الإمام حتى يكمل الركعة ويتشهد وتسلم معه، وإن شئت فانو الانفراد وتشهد وسلم، وهذا هو القول الراجح.

أركان الصلاة: النيّة، وتكبيرة الإحرام، والقيام، وقراءة الفاتحة، والرّكوع، والاعتدال قائماً بعد الرّكوع، والسجود، والجلوس بين السجدتين، والجلوس للتشهُّد الأخير، ثم الطمأنينة في كل ركن، ثم الترتيب بين الأركان، أما أبرزها :

أولاً: تكبيرة الإحرام؛ أن يقول الإنسان عند الدخول في الصلاة: "الله أكبر"، فلو نسي الإنسان تكبيرة الإحرام، جاء ووقف في الصف ثم نسي وشرع في القراءة وصلى فصلاته غير صحيحة وغير منعقدة إطلاقاً.

ثانياً: قراءة الفاتحة؛ وهي ركن لا تصح الصلاة إلا به، لقوله تعالى: ﴿فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ [المزمل:٢٠]، وهذا أمر، وقد بيّن النبي ﷺ هذا المبهم في قوله: ﴿مَا تَيَسَّرَ﴾ أنه الفاتحة، فقال: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»، وقال: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ القُرْآنِ فَهِيَ خُدَاجٌ**»، أي: فاسدة غير صحيحة، فقراءة الفاتحة ركن على كل مصلّ؛ الإمام، والمأموم، والمنفرد، ولم يرد عن النبي ﷺ حديث صحيح صريح في سقوط الفاتحة عن المأموم، لا في السرية ولا الجهرية، لكن الفرق بين السرية والجهرية، أن الجهرية لا تقرأ فيها إلا الفاتحة، وتسكت وتسمع لقراءة إمامك، أما السرية فتقرأ الفاتحة وغيرها، لكن دلّت السنة على أنه يُستثنى من ذلك ما إذا جاء الإنسان والإمام راكع، فإنه تسقط عنه قراءة الفاتحة، فمن جاء والإمام راكع فإنه يكبر تكبيرة الإحرام وهو قائم ولا يقرأ، بل يركع، لكن إن كبر للركوع مرة ثانية فهو أفضل، وإن لم يكبر فلا حرج، وتكفيه التكبيرة الأولى.

ويجب أن يقرأ الإنسان الفاتحة وهو قائم، أما ما زاد عن الفاتحة فهو سنة في الركعة الأولى والثانية، وأما في الركعة الثالثة في المغرب، أو في الثالثة والرابعة في الظهر والعصر والعشاء فليس بسنة، فالسنة الاقتصار فيها بعد الركعتين على الفاتحة فقط.

ثالثاً: الركوع، تعظيماً لله ﷻ: قال النبي ﷺ: «**أَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ**»، أي: قولوا سبحان ربي العظيم، فالقلب يستشعر أنك ركعت لله، واللسان يقول سبحان ربي العظيم، والواجب في الركوع الانحناء بحيث يتمكن الإنسان من مس ركبتيه بيديه، فالانحناء اليسير لا ينفع، ومما ينبغي في الركوع أن يكون الإنسان مستوي الظهر لا محدودباً، وأن يكون رأسه محاذياً لظهره، ولا يضع يديه على ركبتيه مفرجتي الأصابع، وأن يجافي عضديه عن جنبيه، ويقول سبحان ربي العظيم، يكررها ويقول: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي"، ويقول: "سبوح قدوس رب الملائكة والروح".

رابعاً: السجود: قال الله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ**﴾ [الحج:٧٧]، وقال النبي ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ نَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: عَلَى الجَبْهَةِ- وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَنْفِه- وَاليَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ**»، فالسجود لا بد منه، لأنه ركن لا تتم الصلاة إلا به، ويقول في سجوده "سبحان ربي الأعلى"، وتأمل الحكمة أنك في الركوع أنك تقول: "سبحان ربي العظيم"، لأن الهيئة هيئة تعظيم، وفي السجود تقول: "سبحان ربي الأعلى"، لأن الهيئة هيئة نزول، فترى في السجود أن الجبهة والقدمين في مكان واحد، وهذا غاية ما يكون في التنزيه، ولهذا تقول: "سبحان ربي الأعلى"، تكررها ما شاء الله، ثلاثاً أو أكثر حسب الحال، وتقول: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي"، وتقول: "سبوح قدوس رب الملائكة والروح"، وتكثر من الدعاء بما شئت من أمور الدين والدنيا، لأن النبي ﷺ يقول: «**وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقُمْنَ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»، وقال ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ**»، فأكثر من الدعاء بما شئت، من خير

الدين والدنيا، لأن الدعاء عبادة ولو في أمور الدنيا. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]، فينبغي أن نطيل السجود، وأن نكثر من الدعاء، ونلحّ ولا نستبطئ الإجابة، لأن الله حكيم قد لا يستجيب الدعوة بأول مرة أو ثانية أو ثالثة، فيزدادوا دعاء، ويسجد الإنسان بعد الرفع من الركوع، على ركبتيه أولاً ثم كفّيه، ثم جبهته وأنفه، ولا يسجد على اليدين أولاً، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك فقال: «**إِذَا سَجَدَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَبْرُكْ بُرُوكَ البَعِيرِ**»، وبروك البعير يكون على اليدين أولاً كما هو مشاهد، نهى عن ذلك، لأن فيه تشبه بني آدم بالحيوان، ولا سيما في الصلاة أمر غير مرغوب فيه، إلا إذا كان هناك عذر، كرجل كبير يشق عليه ذلك، أو إنسان في ركبتيه مرض.

ولا بد أن يكون السجود على الأعضاء السبعة: الوجه ومنه الجبهة والأنف، والكفين، والركبتين، وأطراف القدمين، وما دمنا ساجدين فلا يجوز أن نرفع شيئاً من هذه الأعضاء، وفي حال السجود ينبغي للإنسان أن يضم قدميه بعضهما إلى بعض ولا يفرج بينهما، أما الركبتان فلم يرد فيهما شيء، فتبقى على طبيعتها، وأما اليدان فتكونان على حذو المنكبين، أي: الكتفين، أو تقدمهما قليلاً حتى تسجد بينهما، كلتاهما وردتا عن الرسول ﷺ، وينبغي أن تجافي عضديك عن جنبيك، وأن ترفع ظهرك، إلا إذا كنت في الصف وخفت أن يتأذى جارك، لأنه لا ينبغي أن تفعل سنة يتأذى بها أخوك المسلم وتشوش عليه، وقد رأيت بعض الإخوة الذين يحبون أن يطبقوا السنة ويمتدون في حال السجود امتداداً طويلاً، حتى تكاد تقول إنهم منبطحون، وهذا لا شك أنه خلاف السنة، وفيها إرهاق عظيم للبدن.

خامساً: الطمأنينة: وهي من أركان الصلاة، أي الاستقرار والسكون، فيطمئن في القيام والركوع، وفي القيام بعد الركوع، وفي السجود، وفي الجلوس بين السجدتين، وفي

بقية أركان الصلاة، وذلك لما أخرج الشيخان البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، أن رجلاً دخل المسجد فصلى، ثم سلم على النبي ﷺ، فرد عليه الصلاة السلام وقال: «**ارْجَعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، يعني: لم تصلّ صلاة تجزئك، فرجع الرجل فصلى، وفعل ذلك ثلاثاً، فقال: والذي بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمني، ومن المعلوم أن النبي ﷺ سوف يعلمه، لكن إذا كان هو الذي طلب أن يعلمه صار أشد تمسكاً وحفظاً لما يلقى إليه، فقال له النبي ﷺ: «**إِذَا قُمْتَ لِلصَّلَاةِ فَأَسْبِغِ الوُضُوءَ**»، أي: توضأ وضوءًا كاملًا، «**ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ فَكَبِّرْ**»، أي: قل: الله أكبر، وهذه تكبيرة الإحرام، «**ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ**»، وقد بيّنت السنّة أنه لا بد من قراءة الفاتحة، «**ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا**»، أي: لا تسرع، بل اطمئن واستقر، «**ثُمَّ ارْفَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ قَائِمًا**»، وهو الوقوف بعد الركوع، «**ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا**»، أي: تطمئن وتستقر، «**ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا**»، وهذه الجلسة بين السجدتين، «**ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدً**"، هذا هو السجود الثاني، قال: «**ثُمَّ افْعَلْ ذٰلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا**»، أي: افعل هذه الأركان في جميع الصلاة، والشاهد من هذا قوله: «**حَتَّى تَطْمَئِنَّ**»، وقوله فيما قبل: «**فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، فدلّ هذا على أنه من لا يطمئن في صلاته فلا صلاة له.

قال بعض العلماء: والطمأنينة أن يستقر بقدر ما يقول الذكر الواجب في الركن، ففي الركوع بقدر ما يقول: "سبحان ربي الأعلى"، وفي الجلوس بين السجدتين بقدر ما يقول: "رب اغفر لي"، في القيام بعد الركوع بقدر ما يقول: "ربنا ولك الحمد"، وهكذا،

لكن الذي يظهر من السنة أن الطمأنينة أمر فوق ذلك، لأن الإنسان إذا قال: الله اكبر، سبحان ربي العظيم، ثم يرفع، أين الطمأنينة؟! فالظاهر أنه لا بد من استقرار بحيث يقال: هذا الرجل مطمئن، وعجباً لابن آدم كيف يلعب به الشيطان! هو واقف بين يدي الله يناجي ربه ويتقرب إليه، كأن عدواً يلاحق به، فتراه يهرب من الصلاة، لماذا؟! أنت لو وقفت بين

يدي ملك من ملوك الدنيا يناجيك ويخاطبك، لو بقت معه ساعتين تكلمه لوجدت ذلك سهلاً، تقف على قدميك، وتفرح أنّ هذا الملك يكلمك ولو مدة طويلة، فكيف وأنت تناجي ربك وتهرب هذا الهروب؟! إنه الشيطان عدو الإنسان، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وقوله: «**إِيتَاءِ الزَّكَاةِ**»: يعني أن تُعطى لمن عيّن الله أن يعطوا إياها، والزكاة هي الطهارة والنماء، لأن المزكي يطهّر نفسه من البخل، وينمّي ماله بالزكاة، قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

والزكاة تعريفها: نصيب مقدراً شرعاً من المال مخصوص لطائفة مخصوصة؛ أموال معينه بيّنها الرسول ﷺ وبعضها مبيّن في القرآن، والزكاة جزء بسيط يؤدي بها الإنسان ركناً من أركان الإسلام، يطهر بها نفسه من البخل والرذيلة، ويطهر بها صفحات كتابه من الخطايا، كما قال النبي ﷺ: «**الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**»، وأفضل الصدقات الزكاة، فدرهم تخرجه في زكاتك أفضل من درهم تخرجه طوعاً، لأن الله تعالى قال في الحديث القدسي: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ**»، وركعة من صلاة مفروضة أفضل من ركعة من صلاة تطوع، فالفرائض أفضل من التطوع، ففي الزكاة تكفير الخطايا، وفيها الإحسان إلى الخلق، لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وفيها أيضاً تأليف بين الناس، لأن الفقراء إذا أعطاهم الأغنياء من الزكاة، ذهب ما في نفوسهم من الحقد على الأغنياء، أما إذا منعوهم صار في نفوسهم أحقاد وتسلط، لأن الفقير يُخشى منه أن يتسلط وأن يكسر الأبواب وينهب الأموال، لأنه لا بد أن يعيش، وفي الزكاة أيضاً: جلب للخيرات من السماء، فإنه قد ورد في الحديث الشريف: «**مَا مَنَعَ قَوْمٌ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ**».

وفي الزكاة أيضاً: إعانة للمجاهدين في سبيل الله، وتحرير الرقيق وفك الذمم من الديون، فكم من إنسان ابتلي بتراكم الديون عليه فتؤدّى عنه من الزكاة.

وفي الزكاة أيضاً: إعانة المسافرين الذين تنقطع بهم السبل، فهذا يُعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده ولو كان غنياً.

واختلف العلماء فيما لو تهاون الإنسان بها: هل يكفر كما يكفر بالتهاون بالصلاة أو لا؟ والصحيح أنه لا يكفر، ودليل ذلك ما رواه مسلم عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ، صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**».

والزكاة واجبة في أمور:

الأول: الذهب والفضة: فتجب الزكاة فيهما على أي حال كانا، سواء كانت نقوداً كالدراهم والدنانير، أو من الذهب والفضة، أو حليّاً يُلبس أو يُستعار، أو غير ذلك، فهذا المعدن فيه الزكاة على كل حال، لكن بشرط أن يبلغ النصاب لمدة سنة كاملة، والنصاب من الذهب: خمسة وثمانون غراماً، والنصاب من الفضة خمس مائة وخمسة وتسعون غراماً. واختلف العلماء: هل يكمل نصاب الذهب بالفضة أو لا؟ الصحيح أنه لا يكمل الذهب من الفضة ولا الفضة من الذهب، فكل واحد مستقل بنفسه، كما أنه لا يكمل البر من الشعير، أو الشعير من البر، فلو كان عند الإنسان نصف نصاب من الذهب، ونصف نصاب من الفضة، فلا زكاة عليه. ويلحق بالذهب والفضة العملة النقدية، فمثلاً: إذا كان عند الإنسان ثلاثمائة من الريالات الورقية، لكنها لا تبلغ نصابا من الفضة، فلا زكاة عليه،

لأن هذه مربوطة بالفضة. أما الجواهر الثمينة من غير الذهب والفضة، مثل اللؤلؤ والمرجان والمعادن الأخرى، كالألماس وشبهه، فهذه ليس فيها زكاة ولو كثر ما عند الإنسان منها، إلا ما أعدّ للتجارة.

الثاني: بهيمة الأنعام: وهي الإبل والبقر والغنم، بشرط أن تبلغ نصاباً، وأقل نصاب في الإبل خمس، وأقل نصاب في البقر ثلاثون، وأقل نصاب في الغنم أربعون، وما زاد فبحسابه.

الثالث: الخارج من الأرض: من حبوب وثمار مثل التمر، والبرّ، والأرز، والشعير، وما أشبهها، وهذا لا بد فيه من بلوغ النصاب، يخرج من متوسط الثمر، لا من الطيب ولا من الرديء، وإذا باع الإنسان ثمره فإنه يزكي من الثمن، ومقدار الزكاة فيه العشر، إن كان يُسقى من دون مواتير، أما إذا كان يسقى بوسيلة كالمواتير، فإن عليه نصف العشر.

الرابع: عروض التجارة: وهو كل ما أعده الإنسان للتجارة، من عقارات وأقمشة وأواني وسيارات وأصناف الطعام وغيرها، فإنه عروض تجارة يجب عليك أن تزكيه، ومقدار الزكاة فيه ربع العشر كالذهب والفضة، أي: اثنان ونصف بالمائة، وسمي عروض التجارة لأنه ليس بثابت، بل يَعرض ويزول، فكل شيء يعرض ويزول يسمى عرضاً، كما قال الله تعالى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء:٩٤]، يشتري الإنسان السلعة لا يريد عينها، وإنما يريد ما وراءها من أرباح. وكيفية زكاة العروض أنه إذا جاء وقت الزكاة في مال تقوّم كل ما عندك من هذه العروض وتخرج اثنين ونصف بالمائة من قيمتها، حتى وإن كنت لم تشترها إلا أخيراً، مثال ذلك: اشتريت سلعة وقلت لم تتم عندي سنة؟ قلنا: لا عبرة في عروض التجارة بالسنة! عروض التجارة مبنية على القيمة، والقيمة لها سنة عندك، وإذا كنت لا تدري هل ستكسب أو لا تكسب فالمعتبر رأس المال.

**مصارف الزكاة:**

تُصرف الزكاة على الذين عينهم الله بحكمته، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ﴾ [التوبة:٦٠]، أي: لا بد أن تكون الزكاة في هذه الأصناف،﴿واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠].

أولاً وثانياً: ﴿لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ فالفقراء والمساكين: هم الذين لا يجدون كفايتهم وكفاية عوائلهم لمدة سنة، مثاله: رجل موظف براتب شهري قدره أربعة آلاف ريال، لكن عنده عائلة يصرف ستة آلاف ريال، فهذا يكون فقيراً، لأنه لا يجد ما يكفيه، فنعطيه أربعة وعشرين ألفاً من الزكاة من أجل أن نكمل نفقته، ورجل آخر راتبه ستة آلاف في الشهر، لكنه عنده عائلة كبيرة، والمؤونة شديدة لا يكفيه إلا اثنا عشر ألفاً، فنعطيه من الزكاة اثنين وسبعين ألفاً، يقول العلماء: نعطيه ما يكفيه لمدة سنة، ولا نعطيه أكثر من كفاية سنة، فإذا قال قائل: أيهما أشد حاجة: الفقير أو المسكين؟ قال العلماء: إنما يبدأ بالأهم فالأهم، والله تعالى قد بدأ بالفقير، فيكون الفقير أشد حاجة من المسكين.

ثالثاً: ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾: أي: الذين ولّاهم رئيس الدولة أمر الزكاة يأخذونها من أهلها وينفقونها في مستحقيها، فإذا قال ولي الأمر: هؤلاء الواحد منهم إذا عمل بالشهر فراتبه ألف ريال، فنعطيهم ألف ريال من الزكاة، لكن إذا أحبّ وليّ الأمر أن يعطيهم من بيت مال المسلمين، المال العام، ليوفر الزكاة لمستحقيها فلا بأس.

رابعاً: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾: وهم الذين يؤلفون على الإسلام، يكون رجلاً أسلم حديثاً ويحتاج أن نقوي إيمانه، فنعطيه من الزكاة من أجل أن يألف الإسلام ويحب المسلمين ويتقوى، ومن التأليف أن نعطي شخصاً للتخلص من شره، حتى يزول ما في قلبه من الحقد على المسلمين والعداوة، واختلف العلماء: هل يُشترط في المؤلفة قلوبهم أن

يكون لهم سيادة وشرف في قومهم أو لا يشترط؟ والصحيح أنه لا يشترط، حتى لو أعطيت فرداً من الناس لتؤلف قلبه على الإسلام كفى، أما إذا أعطيت فرداً منه الناس من أجل أن تدفع شره فهذا لا يجوز، لأن الواحد من الناس ترفعه إلى ولاة الأمور ويأخذون حقك منه.

خامساً: ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾: أن تشتري عبداً فتعتقه، أو أن تفك بها أسيراً مسلماً، حتى لو اختُطف مسلم عند أناس ظلمة ولم يفكوه إلا بفداء من الزكاة فلا بأس.

سادساً: ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾: والغارم: هو الذي يكون في ذمته دين لا يستطيع وفاءه، ولهذا قال العلماء: إن الغرم نوعان؛ النوع الأول: الغارم لغيره، والثاني: الغارم لنفسه، الغارم لغيره: هو الذي يغرم مالا لإصلاح ذات البين، مثل أن يكون بين قبيلتين نزاع ومشاجرة ومخاصمة ومعاداة وبغضاء، فيقوم رجل من أهل الخير فيصلح بين القبيلتين على مال يلتزم به ذمته، فهنا يكون غارماً لكن ليس لنفسه، بل لمصلحة عامة، قال العلماء: فيعطى هذا الرجل ما يوفي به من الغرم وإن كان غنياً، لأننا لو لم نُعن هذا الرجل ونعطه ما غرم، لتكاسل الناس عن الإصلاح بين الفئات المتناحرة والمتعادية، أما النوع الثاني: فهو الغارم لنفسه، مثل رجل استأجر بيتا بخمسة آلاف ريال وليس عنده ما يدفع به الإيجار، هو نفسه ليس محتاجاً في أكله وشربه ولباسه، لكن يحتاج إلى وفاء الدين الذي لزمه بأجرة البيت، فنعطي هذا الرجل أجرة البيت من الزكاة، لأنه من الغارمين، كذلك إنسان أصيب بجائحة اجتاحت ماله، مثل الحريق أو الغرق أو التلف، وقد لحقه في هذا دين، فنعطيه ما يسدد دينه، لأنه غير قادر على الوفاء، هذا النوع من الغرم يشترط فيه أن يكون الغارم عاجزاً عن وفاء الدين، فإن كان قادراً، فإنه لا يعطى. فإذا قال قائل: هل الأحسن أن اذهب إلى الدائن وأوفيه، أو أعطي الغريم لكي يوفي بنفسه؟ نقول: في هذا تفصيل: إذا كنت تخشى أنك لو أعطيت الغريم لم يوف، بل يأخذ الدراهم لنفسه، وترك الدين على ما

هو عليه فهنا لا تعط الغريم، بل أعط الدائن، أما إذا كان الغريم صاحب عقل ودين، ولا يمكن أن يرضى ببقاء ذمته مشغولة، ويغلب على ظني أنني إذا أعطيته سوف يذهب فوراً إلى الدائن ويقضي دينه، فهنا نعطي الغريم، نقول: خذ هذه الدراهم أوف بها عن نفسك، لأن هذا أستر له وأحسن، ولكن يجب علينا إذا كنا نوزع الزكاة أن نحذر من حيلة بعض الناس! بعض الناس يقدم لك كشفاً بالدين عليه، وتوفي ما شاء الله أن توفي، وبعد سنة يقدم لك الكشف نفسه ولا يخصم الذي أوفى عنه، فانتبه لهذا.

سابعاً: **﴿وَفِي سَبِيلِ اللهِ﴾**: والجهاد في سبيل الله هو القتال لتكون كلمة الله هي العليا، هكذا حدده النبي ﷺ، قال: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، وهذه كلمة جامعة مانعة: **﴿وَفِي سَبِيلِ اللهِ﴾**، تشمل إعطاء الزكاة للمجاهدين أنفسهم، وشراء الأسلحة لهم. وقال أهل العلم: ومن ذلك: أن يتفرغ شخص لطلب العلم وهو قادر على التكسب، لكنه تفرغ من أجل أن يطلب العلم، فإنه يُعطى من الزكاة مقدار حاجته، لأن طلب العلم جهاد في سبيل الله، أما من تفرغ للعبادة فلا يُعطى من الزكاة، بل يقال اعمل واكتسب، وبهذا عرفنا شرف العلم على العبادة.

ثامناً: **﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾**: وهو الصنف الثامن من أصناف أهل الزكاة، وهو المسافر الذي انقطع به السفر ونفذت نفقته، فيُعطى ما يوصله إلى بلده ولو كان غنياً.

هؤلاء ثمانية أصناف لا يجوز صرف الزكاة في غيرهم؛ فلا يجوز أن تصرف الزكاة في بناء المساجد، ولا في إصلاح الطرق، ولا في بناء المدارس، ولا غيرها، لأن الله ذكر هذه الأصناف بصيغة محصورة فقال: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ﴾**، وإنَّما تفيد الحصر، وهو إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه.

قوله: «**صَوْمُ رَمَضَانَ**»، هذا هو الذي ذكره النبي ﷺ لجبريل عليه السلام في حديثه الطويل، ورمضان شهر معلوم للمسلمين، ذكره الله باسمه في كتابه فقال: **﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾** [البقرة:١٨٥]، ولم يذكر الله اسماً لشهر من الشهور في كتابه سوى هذا الشهر،

وصيام رمضان ركن من أركان الإسلام لا يتم الإسلام إلا به.

وقوله: «**حَجُّ البَيْتِ**»، وهو بيت الله، أي: قصده لأداء المناسك التي بينها الله في كتابه وعلى لسان رسوله، فحج البيت أحد أركان الإسلام، والعمرة كذلك، فإن النبي ﷺ سماها حجاً أصغر.

هذه خمسة أركان هي أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام. فقال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «**صَدَقْتَ**»، قال عمر: "فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ"، والسائل إذا أجيب يقول فهمت، لكن جبريل عنده علم من هذا، ولهذا قال: «**صَدَقْتَ**».

وقوله: «**أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ**»، فالإيمان محله القلب، والإسلام محله الجوارح، ولهذا نقول: الإسلام عمل ظاهري والإيمان أمر باطني، فالإيمان: هو اعتقاد الإنسان بالشيء اعتقاداً جازماً به لا يتطرق إليه الشك ولا الاحتمال، بل يؤمن به كما يؤمن بالشمس في النهار، فهو إقرار جازم لا يلحقه شك لقبول ما جاء في شرع الله، والإذعان له إذعاناً تاماً، فالإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، هذه ستة أركان هي أركان الإيمان.

وإذا آمنت بالله على الوجه الصحيح، فإنك سوف تقوم بطاعته ممتثلاً أمره مجتنباً نهيه، وأنه فوق كل شيء، وأن جميع الأشياء ليست بالنسبة إلى الله شيئاً، فالله تعالى أعظم وأجل من أن يحيط به العقل أو الفكر، بل حتى البصر، لا يمكن أن يدركوه أو يحيطوا به، كما قال الله: ﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ**﴾ [الأنعام:١٠٣]، فشأن الله أعظم شأن وأجل شأن. ومن الإيمان بالله أن تعلم أنه يراك، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وهذه مسالة يغفل عنها كثير من الناس، تجده يتعبد لله وكأن العبادة أمر عادي يفعله على سبيل العادة، لا يفعلها كأنه يشاهد ربه ﷻ، وهذا نقص في الإيمان ونقص في العمل، ومن الإيمان

بالله: أن تؤمن بأن الحكم لله العلي الكبير! الحكم الكوني والشرعي كله لله، لا حاكم إلا الله وبيده كل شيء، كما قال الله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وقوله: «وَمَلَائِكَتِهِ»، والملائكة: هم عالم غيبي، خلقهم الله من نور، وجعل لهم أعمالاً خاصة، كل منهم يعمل بما أمره الله به، وقد قال الله في ملائكة النار: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، بخلاف البشر، قد يستكبرون عن الأمر، وقد يعجزون عنه.

فمثلاً جبريل عليه السلام أشرف الملائكة موكل بالوحي، ينزل به من الله على رسله وأنبيائه، فهو موكل بأشرف شيء ينتفع به الخلق والعباد، وهو ذو قوة، أمين مطاع بين الملائكة، قال الله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى، ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [النجم: ٦-٥]، يعني علّم النبي ﷺ القرآن ذو القوة الشديدة وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾: أي ذو هيئة حسنة، ﴿فَاسْتَوَى﴾: أي كمل وعلا، ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾. ومن هؤلاء أيضاً من وكّلوا بمصالح الخلق من جهة أخرى في حياة الأرض والنبات، مثل ميكائيل: موكل بالقطر والمطر والنبات، وفيهما حياة الأبدان؛ حياة الناس وحياة البهائم. ومنهم إسرافيل: وهو أحد حملة العرش العظام، وهو موكل بالنفخ في الصور، وهو قرن عظيم دائرته ما بين السماء والأرض، فإن سمعه الناس سمعوا صوتاً مزعجاً، فيفزعون ثم يُصعقون، أي يموتون من شدة هذا الصوت، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، تتطاير الأرواح من هذا القرن، من هذا الصور، ثم ترجع كل روح إلى بدنها الذي تعمره في الدنيا، لا تخطئه، بأمر الله عز وجل، ومنهم من وُكّل بقبض الأرواح وهو ملك الموت، وله أعوان يساعدونه على ذلك، وينزلون بالكفن والحنوط للروح التي تخرج من الجسد إن كان من أهل الإيمان، وإن كانوا

من أهل النيران نزلوا بحنوط من النار وكفن من النار، ثم يجلسون عند المحتضر ويخرجون روحه حتى تبلغ الحلقوم، ثم استلها ملك الموت ثم أعطاها إياها فوضعوها في الحنوط والكفن، فالملائكة تكفن وتحنط الروح، والبشر يكفنون ويحنطون البدن، فانظر إلى عناية الله بالإنسان، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام:٦١]، لا يفرطون في حفظها، ولا يفرطون فيها، وملك الموت أعطاه الله تعالى قدرة على قبض الأرواح في مشارق الأرض ومغاربها، يقبضها ولو ماتوا في لحظة واحدة، لو فرض أن جماعة أصابهم حادث وماتوا في آن واحد، فإن ملك الموت يقبض أرواحهم في آن واحد، ولا تستغرب، لأن الملائكة لا يقاسون بالبشر، لأن الله أعطاهم قدرة عظيمة أشد من الجن، فالجن أقوى من البشر، والملائكة أقوى من الجن.

والمَلك مالك: الموكل بالنار، وهو خازنها، وقد ذكره الله في قوله عن أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾ [الزخرف:٧٧]، يعني: ليمتنا ويهلكنا ويرحنا مما نحن فيه! قال: إنكم ماكثون!

والمَلك السادس: خازن الجنة: وورد في بعض الآثار أن اسمه رضوان، وهذا وكّل بالجنة كما أن مالكاً وكل بالنار، فمن علِمنا اسمه من الملائكة آمنا به باسمه، ومن لم نعلم باسمه آمنا به على سبيل الإجمال، آمنا بعمله الذي نعلمه وبوصفه وبكل ما جاء به الكتاب والسنة من أوصاف هؤلاء الملائكة.

مسألة: قلنا إن الملائكة عالم غيبي، فهل يمكن أن يُروا؟ الجواب: نعم قد يُرون، إما على صورتهم التي خُلقوا عليها، وإما على صورة أرادها الله، فجبريل رآه النبي ﷺ على صورته التي خلقه الله عليها في موضعين، في الأرض وفي السماء، في الأرض عند غار حراء قرب مكة، وفي السماء عند سدرة المنتهى، كما قال الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ [لنجم: ١٤-١٣]، رآه وله ستمائة جناح قد سدّ الأفق، أي: ملأ الأفق كله، ولا

يعلم قدرة الأجنحة إلا الله ﷻ، لكن إذا كان الشيء عالياً سدّ الأفق، فمعناه أنه واسع جداً، وأحياناً يأتيه بصورة إنسان كما في الحديث الذي معنا، لكن علينا أن نؤمن بهؤلاء الملائكة أنهم أقوياء أشداء، كانوا يقاتلون مع الصحابة في بدر، فيُرى الكافر يسقط مضروباً بالسيف على رأسه ولا يدري من الذي قتله، والذي قتله هم الملائكة، لأن الله قال لهم: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[لأنفال: ١٢]، ومن أنكرهم أو كذّب بهم، أو قال: إنهم لا وجود لهم، أو قال: هم قوى الخير، والشياطين قوي الشر، فقد كفر.

وقوله: «**وَكُتُبِهِ**»، فهو الركن الثالث، والمراد بها الكتب التي أنزلها الله على الرسل، فكل رسول له كتاب، كما قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى:١٧]، وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥].

لكن من الكتب ما نعلمه ومنها ما لا نعلمه! فالتوراة، وهي الكتاب الذي أنزل الله على موسى معلوم، والإنجيل، وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى معلوم، وصحف إبراهيم مذكورة في القرآن، وزبور داود مذكور في القرآن، وصحف موسى إن كانت غير التوراة مذكورة في القرآن أيضاً، وما لم يذكر فإنه يؤمَن به إجمالاً، ولا يعني ذلك أن ما وجد عند النصارى اليوم هو الذي نزل على عيسى، لأن الأناجيل الموجودة عند النصارى اليوم محرّفة، لعب بها قساوسة النصارى فزادوا فيها ونقصوا وحرّفوا، ولهذا تجدها تنقسم إلى أربعة أقسام أو خمسة، لكن الله تعالى إنما تكفل بحفظ القرآن الذي نزل على محمد ﷺ، لأنه لا نبي بعده، يبين للناس ما هو الصحيح وما هو المحرّف، وهذا هو السر في أن الله تكفل بحفظ القرآن من دون غيره من الكتب.

ولكن هل علينا أن نعمل بالأحكام التي جاءت بها الكتب السابقة؟ نقول: أما ما

قصّه الله علينا من هذه الكتب، فإننا نعمل به ما لم يرد شرعنا بخلافه، مثاله قوله تعالى عن التوراة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥]، هذه مكتوبة في التوراة ونقلها الله لنا في القرآن، كما قال الله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١]، وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، فإذا ورد شرعنا بخلافه صار ناسخاً لها، أما ما جاء في كتبهم فإننا لا نصدقه ولا نكذبه، كما أمر بذلك النبي ﷺ، لأننا ربما نصدقهم بالباطل وربما نكذبهم بحق، ومن ذلك ما يُنسب في أخبار بني إسرائيل، كما ذكر عن داود أنه أعجبته امرأة رجل من جنده، وطلب من الجندي أن يذهب إلى العدو ويقاتل لعله يُقتل فيأخذ امرأته من بعده! فهذه القصة كذب واضح، لأن داود نبي من الأنبياء، ولا يمكن أن يتحيّل هذه الحيلة، ونقول إنها كذب.

وقوله: «**وَرُسُلِهِ**»، هذا هو الركن الرابع، والرسل هم البشر الذين أرسلهم الله إلى الخلق وجعلهم واسطة بينه وبين عباده في تبليغ شرائعه، وهم عدد كثير، أولهم نوح، وآخرهم محمد ﷺ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء:١٦٣]، وقد صح في الصحيحين وغيرهما في حديث الشفاعة: «**إِنَّ النَّاسَ يَوْمَ القِيَامَةِ يَأْتُونَ آلَ نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ**»، أما دليل كون النبي محمد ﷺ آخر الرسل، فهو قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾[الأحزاب:٤٠]، وصح عنه ﷺ أنه قال: «**أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ**»، فعلينا إن نؤمن بأن جميع الرسل الذين أرسلهم الله صادقون.

أما الركن الخامس فهو: «**الإِيمَانِ بِاليَوْمِ الآخِرِ**»، وهو يوم القيامة، وسمّي باليوم الآخر لأنه لا يوم بعده، فالإنسان له مراحل أربع: مرحلة في بطن أمه، ومرحلة في الدنيا، ومرحلة في البرزخ، ومرحلة يوم القيامة، وهي آخر المراحل يسكن فيها الناس، إما في الجنة

وإما في النار، فهذا هو المصير.

ومما يجب الإيمان به أيضاً في ذلك اليوم: الإيمان بالصراط، وهو جسر منصوب على جهنم، وهو أدق من الشعر وأحدّ من السيف، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، من كان مسارعاً في الخيرات في الدنيا كان سريعاً في المشي على هذا الصراط، ومن كان متباطئاً أو خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ولم يعف الله عنه فإنه ربما يكدس في النار!

يختلف الناس في المشي عليه، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف، ومنهم من يُلقى في جهنم، وهذا الصراط لا يمر عليه إلا المؤمنون فقط، أما الكافرون فإنهم لا يمرون عليه، وذلك أنهم يساقون إلى النار مباشرة.

وقوله: «**وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، هذا الركن السادس، والقدر: هو تقدير الله ﷻ لما يكون يوم القيامة، وذلك أن الله خلق القلم فقال له اكتب! قال: ربي وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن؟ فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقد ذكر الله هذا في كتابه إجمالاً فقال: ﴿**أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحج: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ**﴾ [الحديد:٢٢].

﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا**﴾، أي: من قبل أن نخلقها، أي: من قبل أن نخلق الأرض، ومن قبل أن نخلق أنفسكم، ومن قبل أن نخلق المصيبة، فإن الله كتب هذا من قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

قال أهل العلم: ولا بد للإيمان بالقدر من أن تؤمن بكل مراتبه الأربع:

المرتبة الأولى: أن تؤمن بأن الله تعالى عليم بكل شيء، وهذا كثير في القرآن، قال الله

تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٥٩].

المرتبة الثانية: أن تؤمن بأن الله تعالى يكتب مقادير كل شيء إلى قيام الساعة، كتبه قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، فكل شيء كائن فإنه مكتوب قد انتُهي منه، جفت الأقلام وطويت الصحف، فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإذا أصابك شيء لا تقل لو فعلت كذا ما أصابني، إنّ هذا الشيء مكتوب لا بد أن يقع كما كُتب، فلا مفر منه مهما عملت، فالأمر سيكون على ما وقع لا يتغير أبداً، لأن هذا أمر قد كُتب، فإن قال قائل: ألم يكن قد جاء في الحديث: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»؟ فالجواب: بلى قد جاء هذا، ولكن الإنسان قد كتب عليه في علم الله الأزلي أنه سيصل رحمه، أو أنه لن يصل، ولكن الرسول ﷺ قال هذا من أجل أن نبادر ونسارع في صلة الرحم، وأن نحرص على صلة الرحم، واعلم أن الكتابة في اللوح المحفوظ يعقبها كتابات أخرى منها: أن الجنين في بطن أمه إذا تم له أربعة أشهر أرسل الله إليه ملكاً موكلاً بالأرحام فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيّ أم سعيد، فيكتب ذلك، وهذه الكتابة غير الكتابة في اللوح المحفوظ، كذلك: هناك كتابة أخرى تكون في كل سنة، وهي في ليلة القدر، يكتب الله فيها ما يكون في تلك السنة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤- ٣]. « يُفْرَقُ» أي: يبين ويفصل، ولهذا سميت ليلة القدر.

المرتبة الثالثة: أن تؤمن بأن كل شيء بمشيئة الله، ولا فرق بين أن يكون هذا الواقع

مما يختص الله به، كإنزال المطر وإحياء الموتى، أو مما يعمله الخلق، كالصلاة والصيام، فكل هذا بمشيئة الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة:٢٥٣].

لهذا أجمع المسلمون على هذه الكلمة العظيمة: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

**المرتبة الرابعة**: فهي الإيمان بأن كل شيء مخلوق لله، لقول الله تعالى: ﴿اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢]، فكل شيء واقع مخلوق لله ﷻ، فالإنسان مخلوق لله، وعمله مخلوق لله، قال الله عن إبراهيم وهو يخاطب قومه: ﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ففعل العبد مخلوق لله، لكن المباشر للفعل هو العبد وليس الله، فالفاعل هو العبد والكاسب هو العبد والخالق الله. هذه أربع مراتب للإيمان بالقدر، يجب أن تؤمن بها كلها، وإلا فإنك لم تؤمن بالقدر، وفائدة الإيمان بالقدر عظيمة جداً، لأن الإنسان إذا علم أن الشيء لا بد أن يقع كما أمر الله استراح، فإذا أصيب بضراء صبر وقال هذا من عند الله، وإن أصيب بسراء شكر وقال هذا من عند الله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»، لأن المؤمن يؤمن بأن كل شيء بقضاء الله، فيكون دائماً في سرور وانشراح، فإن ما أصابته ضراء صبر وانتظر الفرج من الله ولجا إلى الله بالدعاء، وإن كان سراء شكر وحمد الله.

وقوله: «**خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»: الخير ما ينتفع به الإنسان ويلائمه، من علم ومال وصحة وأهل وبنين، والشر ضد ذلك، من الجهل والفقر والمرض وفقدان الأهل والأولاد، كل

هذا من الله، فان الله سبحانه يقدر الخير لحكمة ويقدر الشر لحكمة، كما قال الله ﷻ: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. فإذا قال قائل: كيف تجمع بين قول النبي ﷺ: «**وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»، وقوله ﷺ: «**الشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ**»، فنفى أن يكون الشر إليه؟ فالجواب على هذا أن نقول: إن الشر المحض الذي ليس فيه خير لا حالاً ولا مالاً، لا يمكن لا يكون بفعل الله أبداً، هذا من وجه، لأنه حتى الشر الذي قدره الله شراً لا بد أن يكون له عاقبة حميدة، ويكون شراً على قوم وخيراً على آخرين، أرأيت لو أنزل الله مطراً كثيراً فأغرق زرع إنسان، لكنه نفع الأرض وانتفعت به أمّة، فهو خير من وجه وشر من وجه، حتى الشر الذي يقدره الله على الإنسان هو خير في الحقيقة، لأنه إذا صبر واحتسب الأجر من الله نال بذلك أجراً أكثر بأضعاف مضاعفة مما ناله من الشر، وربما يكون سبباً لاستقامته فتكون العاقبة حميدة، ثم نقول: إن الشر في الحقيقة ليس في فعل الله نفسه، بل في مفعولاته، أما الفعل نفسه فهو خير، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢-١]، أي: من شر الذي خلقه الله لا في الفعل نفسه، ويدلك لهذا أنه لو كان عندك مريض وقيل إن من شفائه أن تكويه بالنار، فالنار مؤلمة بلا شك، لكن فعلك هذا ليس بشر، بل هو خير للمريض، كذلك فعل الله للأشياء المكروهة والأشياء التي فيها شر، فإنه يترتب عليها خير كثير، فإن قال قائل: كيف تجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ وقوله: ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ أي: أنت سببها، وإلا فالذي قدرها هو الله، لكن أنت السبب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]، وخلاصة الكلام: إن كل شيء واقع فإنه بقدر الله، سواء كان خيراً أم شراً.

ثم قال عمر رضي الله عنه فيما نقله عن جبريل عليه السلام، قال للنبي ﷺ: «**أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟**»، قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، والمراد بالإحسان هنا إحسان

العمل، يعني: تصلي وكأنك ترى الله ﷻ، وتزكّي وتصوم وتحج وتتوضأ وكأنك تراه، وهكذا بقية الأعمال، وكون الإنسان يعبد الله كأنه يراه دليل على الإخلاص لله والإتقان في العمل، «**فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ**»، أي: فإن لم تعبد الله رغبة فاعبده على سبيل المراقبة والخوف، «**فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»، ومعلوم أن عبادة الله على وجه الطلب أكمل من عبادته على وجه الهرب!

ثم قال جبريل: «**أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ**»، فقال النبي ﷺ: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمِ مِنَ السَّائِلِ**»، المسؤول عنها: يعني نفسه، والسائل: يعني جبريل، يعني: أنك إذا كنت يا جبريل تجهلها، فأنا كذلك أجهلها، فهذان رسولان كريمان أحدهما رسول ملكي، والثاني رسول بشري، وهما أكمل الرسل، ومع ذلك فكل منهما ينفي أن يكون له علم بالساعة، لأن علم الساعة بيد الله ﷻ، ولا يعلمها إلا هو، كما قال الله في آيات متعددة: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي**﴾ [لأعراف:١٨٧]، ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ**﴾ [الأحزاب:٦٣]، ومن ادّعى علم الساعة فإنه كاذب، ومن أين له أن يعلم؟ ورسول الله لا يعلم؟ وجبريل لا يعلم؟ وهما أفضل الرسل!

ولكن الساعة لها إمارات، كما قال الله تعالى: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا**﴾ [محمد: ١٨]، أي: علاماتها الدالة على قربها، فقال: «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**»، يعني: أن تكون الأمة المملوكة تتطور بها الحال حتى تكون ربة للمماليك الآخرين، وهو كناية عن كثرة الأموال، وكذلك الثاني: «**وَأَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رُعَاةَ الشَّاةِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**»، يعني أنهم لا يلبثون إلا أن يكونوا بعد فقرهم أغنياء يتطاولون في البنيان، يحسنوها ويزينوها ويُدخلون عليها من مكمّلاتها، لأن لديهم وفرة من المال، وكل هذا وقع، وهناك علامات أخرى ذكرها أهل العلم في باب الملاحم والفتن وأشراط الساعة وهي كثيرة.

وانطلق جبريل عليه السلام، ثم قال النبي ﷺ لعُمر: «**أَتَدْرِى مَنِ السَّائِلَ؟**» قال: "الله ورسوله أعلم!". قال: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكَمْ لِيُعَلِّمَكُمْ دِينكُمْ**».

من فوائد هذا الحديث: جواز قول الإنسان: الله ورسوله أعلم، ولا يلزمه أن يقول: الله ثم رسوله أعلم، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ**﴾ [التوبة:٥٩]، ولم يقل: ثم رسوله، لأن الإيتاء هنا إيتاء شرعي، وإيتاء النبي ﷺ الشرعي من إيتاء الله، فالمسائل الشرعية يجوز أن تقول: الله ورسوله، من دون (ثم) أما المسائل الكونية، كالمشيئة وما أشبهها، فلا تقال: الله ورسوله، بل: الله ثم رسوله، ولهذا لما قال رجل للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئتَ، قال: «**أَجَعَلْتَنِي لله نِدًّا؟ بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ**»، وفيه دليل: على أن السائل إذا سأل عن شيء يعلمه من أجل أن ينتفع الآخرون فإنه يكون معلماً لهم، فقال بعض العلماء: إنه ينبغي لطالب العلم إذا جلس مع عالم في مجلس أن يسأل عن المسائل التي تهمّ الحاضرين وإن كان يعلم حكمها، وفيه أيضاً دليل: أن هذا الحديث حديث عظيم، يشتمل على الدين كله، ولهذا قال: «**لِيُعَلِّمَكُمْ دِينكُمْ**»، لأنه مشتمل على أصول العقائد وأصول الأعمال.



**[٦١]** عن أبي ذر جُنْدُب بن جُنادَةَ وأبي عبد الرحمن معاذ بن جبل رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**». رواه الترمذي، وَقالَ: حديث حسن.

هذه وصية عظيمة جامعة لحقوق الله تعالى وحقوق عباده.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللهَ**﴾ [النساء:١٣١]، وتقوى الله تعالى: طاعته، بامتثال أمره واجتناب نهيه، وقال تعالى:

**﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ، وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** [هود:١١٤-١١٥].

وقد وصف الله المتقين بمثل ما وصّى به النبي ﷺ في هذا الحديث، فقال ﷻ: **﴿وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُوْلَٰئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** [آل عمران:١٣٣- ١٣٦].

وتقوى الله هي اجتناب المحارم وفعل الأوامر، إخلاصاً لله واتّباعاً لرسول الله، وكذلك الأعمال الصالحة تكفر السيئات، كما قال النبي ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ**».

والوصية الثالثة في معاملة الخلق، أن تعاملهم بخُلُق حسن، وذلك بطلاقة الوجه، وصدق القول، وقد جاءت النصوص الكثيرة في فضل الخُلُق الحسن، حتى قال النبي ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»، وأخبر أن أولى الناس به ﷺ وأقربهم منه منزلة يوم القيامة أحسنهم أخلاقاً، فالأخلاق الحسنة مع كونها مسلكاً حسناً في المجتمع ويكون صاحبها محبوباً إلى الناس فيها أجر عظيم يناله الإنسان يوم القيامة، فاحفظ هذه الوصايا الثلاث من النبي ﷺ لتتق الله حيثما كنت.



**[٦٢]** عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف النبي ﷺ يوما، فقال: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا**

**بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وفي رواية غير الترمذي: «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ: أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ: أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**».

قوله: "كنت خلف النبي"، أي راكباً معه، وقوله: "فقال لي يا غلام"، أي لابن عباس ﵄، كان صغيراً، فإن النبي ﷺ توفي وهو قد ناهز الاحتلام، يعني من الخامسة العشرة إلى السادسة عشرة أو أقل. وقوله: «**احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ**»، هذه كلمة جليلة عظيمة، ومعناها: احفظ الله وذلك بحفظ شرعه ودينه، بأن تمتثل أوامره وتجتنب نواهيه، وأن تتعلم ما تقوّم به عباداتك ومعاملاتك، لأنّ كل هذا من حفظ الله، فالله نفسه ليس بحاجة إلى أحد حتى يحفظه، ولكن المراد حفظ دينه وشريعته، كما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ**﴾ [محمد:٧]، وليس المعنى: تنصرون ذات الله، لأن الله تعالى غنيّ عن كل أحد. وقوله: «**احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ**»، وفي لفظ آخر: «**تَجِدْهُ أَمَامَكَ**»، ومعناهما واحد، يعني تجد الله أمامك يدلك على كل خير ويذود عنك كل شر، ولا سيما الاستعانة به، فإن الإنسان إذا استعان بالله وتوكل عليه، كان كافِيه، ومن كان الله حسبه فهو حسبه، قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنفال:٦٤]، أي: وحسب من اتبعك من المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ**﴾ [لأنفال:٦٢]، فإذا كان الله حسب الإنسان، أي كافيه، فإنه لن يناله سوء. ثم قال له: «**إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ**»، أي لا تعتمد على مخلوق، مثلاً: إنسان فقير ليس عنده مال، يسأل الله يقول: اللهم ارزقني، فيأتيه الرزق من حيث لا يحتسب، لكن لو سال الناس فربما يعطونه أو لا يعطونه، ولهذا جاء في

الحديث: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنَ أَنْ يَأْتِي رَجَلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ**»، فكذلك أنت، إذا سألت فأسال الله، قل: "اللهم ارزقني، اللهم اغنني بفضلك عمن سواك" وما أشبه ذلك من الكلمات التي تتجه بها إلى الله ﷻ.

وقوله: «**إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله**»، فلا تطلب العون من أي إنسان إلا للضرورة القصوى، ومع ذلك إذا اضطررت إلى الاستعانة بالمخلوق فاجعل ذلك وسيلة وسبباً لا ركناً تعتمد عليه! اجعل الركن الأصيل هو الله ﷻ، ولهذا تكره المسألة لغير الله في قليل أو كثير، وقد يعينك الله بسبب غير معلوم لك، فيدفع عنك من الشر ما لا طاقة لأحد به، وقد يعينك الله على يد أحد من الخلق يسخّره لك حتى يعينك، ولكن مع ذلك لا يجوز لك إذا أعانك الله على يد أحد أن تنسى المسبب وهو الله، كما يفعله بعض الجهلة الآن من تعلقهم بالسبب، يؤكد ذلك قوله ﷺ: «**وَاعْلَمْ: أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ**»، فإذا وقع منهم نفع لك فاعلم أنه من الله، فالناس بلا شك ينفع بعضهم بعضاً، ويساعد بعضهم بعضاً، لكن كل هذا مما كتبه الله للإنسان، فالفضل لله فيه أولاً وآخراً، هو الذي سخر لك من ينفعك ويحسن إليك ويزيل كربتك، وكذلك بالعكس، لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، والإيمان بهذا يستلزم أن يكون الإنسان متعلقاً بربه ومتّكلاً عليه لا يهتم بأحد، وحينئذ يعلق رجاءه بالله ولا يهمه الخلق، ولهذا نجد الناس في سلف هذه الأمة لما اعتمدوا على الله وتوكلوا عليه، لم يضرهم كيد الكائدين. قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾ [آل عمران:١٢٠]، ثم قال ﷺ: «**رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ**». يعني: إن ما كتبه الله فقد انتهى، ولم يبق مراجعة، فما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. وقوله: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرَ**»، والصبر هنا يشمل الصبر على طاعة الله، وعن معصيته، وعلى أقداره المؤلمة، لأن العدو يصيب الإنسان من كل جهة، فإذا صبر الإنسان وصابر ورابط فإن الله ﷻ ينصره، وقوله:

«**وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ**»، فكلما ضاقت الأمور فإن الفرج قريب، لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾ [النمل: ٦٢]، فكلما اشتدت الأمور فانتظر الفرج من الله، وقوله: ﴿**فَإِنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**﴾، فكل عسر بعده يسر، بل إن العسر محفوف بيُسْرين؛ يسر سابق ويسر لاحق، قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [الشرح:٦-٥]، وقال ابن عباس: "لن يغلب عسرٌ يُسْرين".

**[٦٣]** عن أنس ﷺ قال: "إِنَّكُمْ لَتعمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْمُوبِقَاتِ". رواه البخاري.

أنس بن مالك من الصحابة المعمّرين الذين عاشوا زمناً طويلاً، فبقي بعد النبي ﷺ حوالي تسعين سنة، فتغيرت الأمور في عهده واختلفت أحوال الناس، وصاروا يتهاونون في بعض الأمور العظيمة، مثل صلاة الجماعة، بل إن الناس في عهدنا صاروا يتهاونون بالصلاة نفسها لا بصلاة الجماعة فقط، فلا يصلون، أو يصلون ويتركون، أو يؤخرون الصلاة عن وقتها، كل هذه أعمال يسيرة عند بعض الناس، لكنها في عهد النبي ﷺ والصحابة كانت تُعدّ من الموبقات، ومن ذلك الغش والكذب، كانت من الأشياء العظيمة في عهد الصحابة، فيرونها من الموبقات، لكن كثيراً من الناس يعده أمراً هيناً، فتجده يغش ولا يبالي، بل يعدّ ذلك شطارة وذكاء ودهاء، ويكذب ولا يبالي بالكذب، فيجحد ما يجب عليه للناس، أو يدعي ما ليس له، ويحلف على ذلك، فيكون ممن يلقى الله وهو عليه غضبان. وفي هذا الحديث: كمال مراقبة الصحابة ﷺ لله تعالى، وكمال استحيائهم منه، وفيه: أن الإنسان ينبغي له أن يحذر من صغار الذنوب، فلعلها تكون المهلكة له في دينه، كما

يتحرز من يسير السموم خشية أن يكون فيها حتفه، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨]، وفي الحديث: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ صَخْرَةٌ يَخَافُ أَنْ تَقَعَ عَلَيْهِ، وَالْمُنَافِقُ يَرَى ذَنْبَهُ كَأَنَّهُ ذُبَابٌ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ**».

**[٦٤]** عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ تَعَالَى، أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ**». متفق عَلَيْهِ.

قوله: «**مَا حَرَّمَ اللهُ**»: أي محارم الله، والغيرة صفة حقيقية ثابتة لله، ولكنها ليست كغيرتنا، بل هي أعظم وأجلّ، والله بحكمته أوجب على العباد أشياء، وحرم عليهم أشياء، وأحل لهم أشياء، فما أوجبه عليهم فهو خير لهم في دينهم ودنياهم، وفي حاضرهم ومستقبلهم، وما حرمه عليهم فإنه شر لهم في دينهم ودنياهم، وحاضرهم ومستقبلهم، فإذا حرم الله على عباده أشياء فإنه عز وجل يغار أن يأتي الإنسان محارمه، وكيف يأتي الإنسان محارم ربه والله تعالى إنما حرّمها من أجل مصلحة العبد، أما الله سبحانه فلا يضره أن يعصي الإنسان ربه، أو أن يطيعه، لكن يغار كيف يعلم الإنسان أن الله حكيم رحيم، ثم يأتي العبدُ فيعصيه، ولا سيما في الزنا، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا أَحَدٌ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ**»، لأن الزنا فاحشة، طريق سافل سيئ، كما قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]، فإذا زنى العبد فإن الله يغار غيرة أشد وأعظم من غيرته على ما دونه من المحارم، وكذلك من باب أولى اللواط، وهو إتيان الذكر، فإن هذا أعظم وأعظم، ولهذا جعله الله تعالى أشد من الزنا، فقال لوط لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ [لأعراف:٨٠].

قال هنا: «**الْفَاحِشَةَ**» فجعلها الفاحشة العظمى، وفي الزنا قال: «**فَاحِشَةً**» أي: فاحشة من الفواحش، وفي هذا الحديث: إثبات الغيرة لله تعالى، لكن ليس كغيرة المخلوق،

وأن الله يفرح، ولكن ليس كفرح المخلوق، وأن الله سبحانه له من الصفات الكاملة ما يليق به، ولا تشبه صفات المخلوقين: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

**[٦٦]** عن أبي يعلى شداد بن أوس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

«**دَانَ نَفْسَهُ**»: حاسبها، والكَيِّس: العاقل، وهو الذي يمنع نفسه عن الشهوات المحرمة، والعاجز: هو التارك لطاعة الله المتمنِّي على الله. قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣].

«**الكَيِّسُ**»: معناه الإنسان الحازم الذي يغتنم الفرص ويتخذ لنفسه الحيطة حتى لا تفوت عليه الأيام والليالي فيضيع، فإذا رأى من نفسه تفريطاً استدركه ما أمكن، وإذا رأى من نفسه انتهاكاً أقلع عنه وندم وتاب واستغفر.

وقوله: «**عَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ**»، يعني عمل للآخرة، وهذا هو الحق والحزم، أن الإنسان يعمل لما بعد الموت، لأنه في هذه الدنيا ماراً بها مروراً، فإذا فرط ومضت عليه الأيام وأضاعها فليس بكيّس، والعاجز من أتبع نفسه هواها وصار لا يهتم إلا بأمور الدنيا، ثم يتمنى على الله الأماني فيقول: الله غفور رحيم، سوف أتوب في المستقبل، سوف أصلح من حالي إذا كبرت، وما أشبه من الأماني الكاذبة التي يمليها الشيطان عليه، فربما يدركها وربما لا يدركها.

ففي هذا الحديث: الحث على انتهاز الفرص، وأن لا يضيّع الإنسان وقته فيما لا يرضي الله، وأن يدع الكسل والتهاون والتمني، فإن التمني لا يفيد شيئاً، كما قال الحسن البصري ﷺ: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكن الإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال.

**[٦٧]** عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**». حديث حسن، رواه الترمذي وغيرُه.

هذا الحديث أصل عظيمٌ من أصول الأدب، قيل للقمان: ما بلغ بك ما نرى؟ قال: صِدْقُ الحديث، وأداء الأمانة، وترْكُ ما لا يعنيني، وقيل: مَن تكلَّم فيما لا يعنيه حُرم الصدق، ورُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»، فدخل عليهم عبد الله بن سلام، فقام إليه ناسٌ فأخبروه، وقالوا له: أخبرنا بأوثق عملك في نفسك؟ قال: إن عملي لضعيف، وأوثق ما أرجو به سلامة الصدر، وتركي ما لا يعنيني.

فإسلام المرء هو استسلامه لله ظاهراً وباطناً، وذلك بأن يكون مؤمناً بكل ما يجب الإيمان به على ما سبق في حديث جبريل ﷺ، وأما الاستسلام ظاهراً فهو إصلاح عمله الظاهر، كأقواله بلسانه وأفعاله بجوارحه، والناس يختلفون في الإسلام اختلافاً ظاهراً كثيراً، كما أن الناس يختلفون في أشكالهم وصورهم، منهم الطويل ومنهم القصير، ومنهم الضخم ومنهم دون ذلك، ومنهم القبيح ومنهم الجميل، فكذلك أيضاً يختلفون في إسلامهم لله، وإذا كان الناس يختلفون في الإسلام، فإن مما يزيد في حسن إسلام المرء أن يدع ما لا يعنيه ولا يهمه، لا في دينه ولا في دنياه، والسلامة أسلم، كذلك أن لا تتدخل في شؤون الناس إذا كان هذا لا يهمك، وهذا خلاف ما يفعله بعض الناس اليوم، من حرصه على اطلاعه على أعراض الناس وأحوالهم؛ يجد اثنان يتكلمان فيحاول أن يتقرب منهما حتى يسمع ما يقولان! ويجد شخصاً جاء من جهة من الجهات فتراه يبحث ويبادر الشخص

نفسه ويقول له: من أين جئت؟ وماذا قال لك فلان؟ وماذا قلت له؟! هذه أمور لا تعنيك ولا تهمك، اتركها، فإن هذا من حسن إسلامك. وهو أيضاً فيه راحة للإنسان، أما الذي يتتبع أحوال الناس ماذا قال وماذا قيل؟ وماذا حدث؟ فإنه سوف يتعب تعباً عظيماً، مع أنه لا يستفيد شيئاً، فاجعل همك هم نفسك، والذي لا ينفعك اتركه، وليس من حسن إسلامك أن تبحث عن أشياء لا تهمك.



**[٦٨]** عن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ**». رواه أبو داود وغيره.

لاحتمال أنْ يكون السبب مما يُستحيا من ذكره، كالامتناع من التمكين، إلا إن احتاج الأمر إلى الرفع إلى الحكام.

قال الله تعالى: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا**﴾ [النساء: ٣٤]، فالضرب آخر المراتب، فقد يضرب الرجل زوجته على أمر يستحيا من ذكره، فإذا عُلم تقوى الرجل لله ﷻ وضرب امرأته فإنه لا يُسأل، هذا إن صح الحديث، ولكن الحديث ضعيف، أما من كان سيئ العشرة فهذا يُسأل فيم ضرب امرأته، لأنه ليس عنده من تقوى الله ما يردعه عن ظلمها وضربها، حيث لا تستحق أن تضرب.





## ٦-التَّقوَى

التَّقوَى: اسم مأخوذ من الوقاية، وهو أن يتخذ الإنسان ما يقيه من عذاب الله، والذي يقيك من عذاب الله هو أن تأخذ أوامر الله، وأن تترك ما نهى عنه، فأهل التقوى هم أهل الجنة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وهذه الآية مبينة للمراد مِنَ الأُولى، ومعنى قوله: «**حَقَّ تُقَاتِهِ**» أن تتقي الله ما استطعت، لأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وهذه الآية: «**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ليست آية يُقصد بها التهاون بتقوى الله، وإنما يُقصد بها الحث على التقوى بقدر المستطاع، أي: لا تدخر وسعاً في تقوى الله، والله لا يكلف الإنسان شيئاً لا يستطيعه، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ومن ذلك قول النبي ﷺ لعمران بن حصين: «**صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»، فرتب النبي ﷺ ذلك بحسب الاستطاعة، وهكذا بقية الأوامر، ومن اضطر إلى شيء من محارم الله، حل له ما ينتفع به في دفع الضرورة، لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ [الأنعام:١١٩]، حتى إن الرجل لو اضطر إلى أكل لحم الميتة، أو لحم الخنزير، أو لحم الحمار، أو غير ذلك من المحرمات، فإنه يجوز له أن يأكل منه ما تندفع به ضرورته، فهذه هي تقوى الله! فالتقوى: امتثال أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه حسب الطاقة.

وَقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي: صواباً، وهو يشمل كل قول فيه خير سواء كان من ذكر الله، أو طلب العلم، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو الكلام الحسن الذي يستجلب به

الإنسان مودة الناس ومحبتهم، أو غير ذلك، ويجمعه قول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتَ**»، وضد ذلك القول غير السديد، وهو القول الذي ليس بصواب، بل خطأ إما في موضوعه وإما في محله: أما في موضوعه: بأن يكون كلاماً فاحشاً يشتمل على السبّ والشتم والغيبة والنميمة وما أشبه ذلك، أو في محله: أي أن يكون هذا القول في نفسه هو خير، لكن كونه يقال في هذا المكان ليس بخير، لأن لكل مقام مقالاً، فمثلاً، لو فرض أن شخصاً نهى آخر عن المنكر، وأغلظ له في القول، لعدّ هذا قولاً غير سديد.

ثم قال: ﴿**وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب:٧١]، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق:٢- ٣]. قال ابن كثير: ﴿**وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾، أي: من جهة لا تخطر بباله، وفي هذا أيضاً فائدة عظيمة، فمثلاً لو فرضنا أن رجلاً يكتسب المال من طريق محرم، كطريق الغش أو الربا أو ما أشبه ذلك، وتركه لله، فإن الله سيجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ولكن لا تتعجل، ولا تظن أن الأمر إذا تأخر فلن يكون، ولكن قد يبتلي الله العبد فيؤخر عنه الثواب، ليختبره هل يرجع إلى الذنب أم لا، فمثلاً إذا كنت تتعامل بالربا، ووعظك الناس وتركت ذلك، ولكنك بقيت شهراً أو شهرين ولم تجد عملاً، فلا تيأس، ولا تقل أين الرزق من حيث لا أحتسب؟ فإن هذا امتحان وابتلاء من الله لك، هل تعود إلى الحرام أم تصبر، بل انتظر، وثق بوعد الله وثق به، وستجده، ولا تتعجل، ولهذا جاء في الحديث: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ أَي إِذَا دَعَا مَا لَمْ يُعَجِّلْ، قَالُوا: كَيْفَ يُعَجِّلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: يَقُولُ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي**»، فاصبر، واترك ما حرم الله عليك، وانتظر الفرج والرزق من حيث لا تحتسب، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**».

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَتَّقُوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩].

هذه ثلاث فوائد عظيمة:

الفائدة الأولى: ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾، أي يجعل لكم ما تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وهذا يدخل فيه العلم، بحيث يفتح الله على الإنسان من العلوم ما لم يفتحها لغيره، ولا شك أن الإنسان كلما ازداد علماً ازداد معرفة، وازداد فرقاناً بين الحق والباطل، لأن التقوى سبب لقوة الفهم يحصل بها زيادة العلم، فإنك ترى الرجلين يحفظان آية من كتاب الله، يستطيع أحدهما أن يستخرج منها ثلاث أحكام، ويستطيع الآخر إن يستخرج أربعة، أو خمسة، أو عشرة، أو أكثر من هذا بحسب ما آتاه من الفهم.

الفائدة الثانية: الفراسة، أن الله يعطي المتّقي فراسة يميّز بها بين الناس، فبمجرد ما يرى الإنسان يعرف أنه كاذب أو صادق.

الفائدة الثالثة: الكرامات، ما يحصل للمتقين من الكرامات التي لا تحصل لغيرهم، ومن ذلك: ما حصل لكثير من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات يوم يخطب على المنبر في المدينة، فسمعوه يقول في أثناء الخطبة: "يا سارية الجبل، يا سارية الجبل"، فتعجبوا من يخاطب وكيف يقول هذا الكلام في أثناء الخطبة! فإذا الله قد كشف له عن سرية في العراق كان قائدها اسمه سارية بن زنيم، وكان العدو قد حصرهم، فكشف الله لعمر عن هذه السرية، كأنما يشاهدها رؤيا عين، فسمعه سارية وهو القائد، وهو في العراق، ثم اعتصم بالجبل ونجا.

ومن البلاء للعبد، أن يظن أن ما كان عليه من الذنوب ليس بذنب، فيصرّ عليه، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤-١٠٣]، فكثير من الناس لا يقلع عن

الذنب، لأنه زين له فألفه وصعب عليه إن ينتشل نفسه منه، لكن إذا كان متقياً لله سهل الله له الإقلاع عنه حتى يغفر له، وربما يغفر الله له بسبب تقواه.

**[٧٠]** عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**». رواه مسلم.

فالدنيا حلوة في مذاقها، خضرة في مرآها، فيغترّ الإنسان بها وينهمك فيها ويجعلها أكبر همه، ولكن النبي ﷺ بيّن أن الله تعالى مستخلفنا فيها فينظر كيف نعمل: هل تقومون بطاعته، وتنهون النفس عن الهوى، وتقومون بما أوجب الله عليكم، ولا تغترون بالدنيا، أو أن الأمر بالعكس؟ ولهذا قال: «**فَاتَّقُوا الدُّنيَا**»، أي: قوموا بما أمركم الله به واتركوا ما نهاكم عنه، ولا تغرنكم حلاوة الدنيا ونضرتها، كما قال تعالى: ﴿**فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ**﴾ [لقمان:٣٣]، ثم قال: «**فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**»، أي: احذروهن، ولذلك نجد أعداءنا وأعداء ديننا يركزون اليوم على مسالة النساء وتبرجهن واختلاطهن بالرجال، ومشاركتهن في الأعمال، حتى يصبح الناس كأنهم الحمير، لا يهمهم إلا بطونهم وفروجهم، وتصبح النساء وكأنهن دُمى وصور، لا يهتم الناس إلا بشكل المرأة، كيف يزينوها ويجملونها؛ منها ما يتعلق بالشعر! ومنها ما يتعلق بالجلد! والساق! والذراع! والوجه! وكل شيء، حتى يجعلوا أكبر همهم أن تكون المرأة كالصورة من البلاستيك، لا يهمها عبادة ولا يهمها أولاد، ثم يُقحموا المرأة في وظائف الرجال، ويجعلوا الشباب يتسكعون في الأسواق، ليس لهم شغل، وبذلك يفسد الشباب ويفسد النساء.

أتدرون ماذا يحدث؟ يحدث بتوظيفهن مع الرجال مفسدة الاختلاط، ومفسدة الزنا والفاحشة، سواء في زنى العين، أو زنى اللسان، أو زنى اليد، ثم زنى الفرج، كل ذلك

محتمل إذا كانت المرأة مع الرجل في الوظيفة، وما أكثر الفساد في البلاد التي يتوظف الرجال فيها مع النساء، ثم إن المرأة إذا وظفت، فإنها تنعزل عن بيتها وعن زوجها وأولادها، وتصبح الأسرة مفككة، ثم يحتاج البيت إلى خادم، وحينئذ نستجلب نساء العالم من كل مكان، ومن كل الأديان، ثم تختلط الأخلاق وتفسد، ويتربى عليها أبناؤنا في المستقبل، لأنه يوجد فينا أذناب لهؤلاء الأعداء، درسوا عندهم وتلطخوا بأفكارهم السيئة المعارضة لدين الإسلام، فتحرقنا وتحرق أجيالنا، يكون الإنسان في المجتمع الإسلامي كأنه ثور أو حمار! فإذا انهدم الحياء والدين في هذه البلاد تفسد الأمة الإسلامية كلها؛ وهذا خطر عظيم لا يعلمه إلا الله.



**[٧١]** عن ابن مسعود، أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى**». رواه مسلم.

الهدى: هنا بمعنى العلم، والتقى: تقوى الله، فإذا وكل العبد إلى نفسه ضاع ولم يحصل على شيء، والعفاف: العفة عن كل ما حرم الله عليه فيما يتعلق بجميع المحارم، والغنى: أي الاستغناء عن الخلق، لأن الحاجة إلى الخلق ذل ومهانة، فينبغي لنا أن نقتدي بالرسول ﷺ في هذا الدعاء، وأن نسأل الله الهدى والتقى والعفاف والغنى، وفي هذا الحديث دليل على أن النبي ﷺ لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، وأن الذي يملك ذلك هو الله، وفيه دليل أيضاً على إبطال من تعلقوا بالأولياء والصالحين في جلب المنافع ودفع المضار، أو كما يفعل بعض الجهال الذين يَدْعون الرسول ﷺ إذا كانوا عند قبره، أو يدعون من يزعمون أنهم أولياء، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الأعراف:١٨٨]، وقال له: ﴿ **قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا**﴾ [الجن: ٢٢].

فالإنسان يجب أن يعلم أن البشر مهما أوتوا من الوجاهة والمرتبة عند الله، فإنهم ليسوا بمستحقين أن يُدْعَوا من دون الله، فهم جثث هامدة، هم بأنفسهم لا يستطيعون الحراك فكيف يتحركون لغيرهم؟! بل إنهم يبرؤون تماماً ممن يدعونهم من دون الله، قال عيسى عليه السلام لما قال له الله: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦].

**[٧٣]** عن أبي أُمَامَةَ صُدَيِّ بن عجلانَ الباهِلِيِّ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع، فقال: «**اتَّقُوا اللهَ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ**». رواه الترمذي، قالَ: حديث حسن صحيح.

كانت خطب الرسول صلى الله عليه وسلم على قسمين: خطب راتبة، وخطب عارضة؛ فأمّا الراتبة: فهي خطبه في الجمع والأعياد، وأما الخطب العارضة فهي التي يخطبها عند الحاجة إليها، كخطبته في حجة الوداع، حيث أمر الرسول صلى الله عليه وسلم الناس جميعاً أن يتقوا ربهم الذي خلقهم.



## ٧- اليَقِينُ والتَّوكُّل

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

الأحزاب: طوائف من قبائل متعددة؛ نحو عشرة آلاف مقاتل من قريش وغيرهم، تألّبوا على رسول الله ﷺ، واجتمعوا على حربه، وحاصروا المدينة، ليقضوا على النبي ﷺ، وحصل في هذه الغزوة أزمة عظيمة على أصحاب الرسول ﷺ قال الله ﷻ في وصفها: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ من شدة الخوف ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾، وقال: ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾، فانقسم الناس في هذه الأزمة العصيبة العظيمة إلى قسمين، المنافقين الذين في قلوبهم مرض ونقص في يقينهم، قالوا: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]، كيف يقول محمد إنه سيهزم كسرى وقيصر، وهو الآن محاصر من هؤلاء الناس؟ كيف يمكن هذا؟ أما القسم الثاني: المؤمنون، قال الله عنهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب:٢٢]، فانظر إلى الفرق بين الطائفتين؛ هؤلاء لما رأوا الأحزاب وهذه الشدة، علموا أنه سيعقبها نصر وفرج، وهكذا كان، وهذا غاية اليقين، أن يكون الإنسان عند الشدائد وعند الكرب ثابتاً مؤمناً موقناً، عكس من كان توكله ويقينه ضعيفاً، فإنه عند المصائب والكرب ربما ينقلب على وجهه، كما قال الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج:١١]، أي على طرف، على تردّد وشكّ وجاهزية للتراجع ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج:١١]، فكثير من الناس ما دام على عافية فهو مطمئن، ولكن إذا ابتلي انقلب وتسخط، ويعترض على الله، وربما وصل به الأمر إلى الكفر والردة.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]. هذه الآية نزلت في الصحابة حيث حصل عليهم ما حصل في غزوة أحد، مما أصابهم من القرح والجروح والشهداء، فقيل لهم: إن أبا سفيان كان قد عزم على الكرة عليكم مرة ثانية لاستئصالكم بالمرة، وجمع لكم الناس، فندبهم النبي ﷺ إلى ملاقاته ومقابلته، ومع هذا استجابوا لله وللرسول، وازدادوا إيماناً، لأن المؤمن كلما اشتدت به الأزمات ازداد إيماناً بالله، لأنه يؤمن بأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسران، ولهذا زادهم إيماناً، وقالوا: ﴿حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أي: الله كافينا في مهماتنا وملماتنا، فإنه نعم المولى ونعم النصير، فإذا اتجه الإنسان إليه في أموره، أعانه وساعده وتولاه، ولكن البلاء من بني آدم، حيث يكون الإعراض كثيراً، ويعتمد على الأمور المادية فقط.

وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، وهو الله ﷻ، اعتمد عليه في أمورك كلها، ومن أسباب تيسيره أن تتوكل عليه، لا سيما إذا دهمتك الأمور وكثرت الهموم، فإنه لا ملجأ لك إلا الله، فعليك بالتوكل والاعتماد عليه حتى يكفيك، وفيه إشارة إلى أنَّ من توكل على غير الله فقد ضاع؛ لأنه يموت .

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم:١١]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، أي: إذا عزمت على إمضاء ما تريد بعد المشاورة، فتوكل على الله، أي: ثِقْ به لا بالمشاورة، فالتوكل ثمرة من ثمرات اليقين، واليقين هو قوة الإيمان والثبات، حتى كان الإنسان يرى بعينه ما أخبر الله به الرسول من شدة يقينه، ليس معه شك بوجه من الوجوه، وهو أعلى درجات الإيمان، والتوكل على الله اعتماد الإنسان على ربه في ظاهره وباطنه، في جلب المنافع ودفع المضار: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾

[الطلاق:٣]، ويستريح ويعيش مطمئناً سعيداً، لأنه موقن بكل ما أخبر الله به ورسوله.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [الأنفال:٢]. قال بعض العلماء: إنَّ للإِيمان زيادة ونقصانًا؛ قيل: فما زيادته؟ قال: إذا ذكرنا الله ﷻ وحمدناه فذلك زيادته، وإذا سهونا وغفلنا فذلك نقصانه، أي: إذا ذكرت عظمته خافت القلوب وتأثر الإنسان، حتى إن بعض السلف إذا تُليت عليه آيات الخوف يمرض أياماً حتى يعوده الناس، أما نحن فقلوبنا قاسية، تتلى علينا آيات الخوف وتمرّ وكأنها شراب بارد، فلا نتأثر بذلك ولا نتعظ، وهكذا إذا رأيت من نفسك أنك كلما تلوت القرآن ازددت إيماناً، فإن هذا من علامات التوفيق، أما إذا كنت تقرا القرآن ولا تتأثر به، فعليك بمداواة نفسك، لا أقول أن تذهب إلى المستشفى، لتأخذ جرعة من حبوب أو أدوية، ولكن عليك بمداواة القلب، فأنت يا أخي طبيب نفسك، لا تذهب إلى الناس، داوِ نفسك بنفسك، تفكر في خلق الله وملكوته وعظمته، حرك قلبك وأعطه جرعة للحياة، لأن موت القلب لا حياة بعده، أما موت الجسد فبعده حياة، وبعده بعث وجزاء وحساب.

**[٧٤]** عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ ولَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هٰذَا مُوسَى وَقَومُهُ، وَلٰكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هٰذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ. ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ النَّاسُ فِي أُولٰئِكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي الإِسْلَامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بِاللهِ**

**شَيْئًا، وَذَكَرُوا أَشْيَاءَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟ فَأَخْبَرُوهُ، فَقَالَ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتوكَّلُونَ، فَقَامَ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنٍ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: أَنْتَ مِنْهُمْ، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَقَالَ: سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

يقول: «**فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ**»، أي: ما بين الثلاثة إلى العشرة، «**وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ ولَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ**»، أي: إن الأنبياء ليسوا كلهم قد أطاعهم قومهم، بل بعضهم لم يطعه أحد من قومهم، وبعضهم أطاعه الرجل والرجلان، وانظر إلى نوح عليه السلام مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، يذكّرهم بالله ويدعوهم، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [هود: ٤٠]، كل هذه المدة ولم يلق منهم قبولاً، بل ولا سلم من شرهم، وكانوا يمرون به ويسخرون منه! قال: «**انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ، فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هٰذِهِ أُمَّتُكَ**»، ومع هذه الأمة سبعون ألفاً من الموقف إلى الجنة من دون حساب ولا عذاب! وقد ورد أن مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً أيضاً، فخاض الناس في أولئك، وذكروا أشياء، وكلٌّ أتى بما يظن، فقال ﷺ: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرْقُونَ، وَلَا يَكْتَوونَ، وَلَا يَتَطَيَّرُونَ، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**».

قوله: «**لَا يَرْقُونَ**» كلمة غير صحيحة، ولا تصحّ عن النبي ﷺ، لأن معناها: لا يقرؤون على المرضى، وهذا باطل، فإن الرسول ﷺ كان يُرقي المرضى، وأيضاً القراءة على المرضى إحسان، والصواب: «**لَا يَسْتَرِقُونَ**»، أي: لا يطلبون من أحد أن يقرأ عليهم إذا أصابهم شيء، لأنهم معتمدون على الله، ولأن الطلب فيه شيء من الذل، لأنه سؤال الغير، فربما تحرجه ولا يريد أن يقرأ، وربما إذا قرأ عليك لا يبرأ المرض فتتهمه.

وقوله: «**وَلَا يَكْتَوونَ**»، يعني: لا يطلبون من أحد أن يكويهم إذا مرضوا، لأن الكي عذاب بالنار، لا يلجا إليه إلا عند الحاجة.

وقوله: «**وَلَا يَتَطَيَّرُونَ**» يعني: لا يتشاءمون، وقد كان العرب في الجاهلية يتطيرون، فإذا طار الطير وذهب نحو اليسار تشاءموا، وإذا رجع تشاءموا، وإذا تقدم نحو الأمام ونحو اليمين تفاءلوا، والطيرة محرمة، لا يجوز لأحد أن يتطير لا بطيور ولا بأيام ولا بشهور، وتطير العرب فيما سبق بشهر شوال، ويقولون: إن الإنسان إذا تزوج في شهر شوال لم يوفق، فكانت عائشة ﵂ تقول: "سبحان الله، إن النبي ﷺ تزوجها في شوال، ودخل بها في شوال، وكانت أحب نسائه إليه"، وكانوا يتشاءمون بيوم الأربعاء، وكان بعضهم يتشاءم بالوجوه! حتى إن بعضهم إذا فتح دكانه، وكان أول من يأتيه رجل أعور أو ذو عاهة أغلق دكانه! وقال: هذا اليوم لا رزق فيه؟ والتشاؤم كما أنه شرك أصغر، فهو حسرة على الإنسان، فيتألم من كل شيء يراه، لكن لو اعتمد على الله وترك هذه الخرافات لسلم.

أما قوله: «**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**» فمعناه: أنهم يعتمدون على الله وحده في كل شيء.

هذا الحديث العظيم فيه صفات من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب: لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، والشاهد قوله: «**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، فقام عكاشة بن محصن ﵁، فقال: يا رسول الله "ادع الله أن يجعلني منهم"، فقال النبي ﷺ: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، فقام رجل آخر فقال: "ادع الله أن يجعلني منهم". قال: "**سَبَقَ بِهَا عُكَاشَةُ**"، وهذا ردّ لطيف، لا يجرحه ولا يحزنه، لم يقل لست منهم، قيل: لأنه كان يعلم بأن هذا الرجل منافق، وقال بعض العلماء: بل قال ذلك من أجل أن لا ينفتح الباب، وسبحان الله، صارت هذه الكلمة مثلاً إلى يومنا هذا .

أورد بعض العلماء إشكالاً على هذا الحديث، وقال: إذا اضطر الإنسان إلى القراءة، أي إلى أن يطلب من أحد أن يقرأ عليه، مثل أن يصاب بعين أو بسحر أو أصيب بجنّ واضطر، هل إذا ذهب يطلب من يقرأ عليه يخرج من استحقاق دخول الجنة بغير حساب

ولا عذاب؟ قيل: نعم هذا ظاهر الحديث، وليعتمد على الله وليتصبر، وقيل: بل إن هذا فيمن استرقى قبل أن يصاب، أي: بأن قال: اقرأ عليّ أن لا تصيبني العين أو أن لا يصيبني السحر أو الجن أو الحمّى، فيكون هذا من باب طلب الرقية لأمر متوقع لا واقع، وكذلك الكيّ، فإذا قال إنسان: الذين يكوون غيرهم هل يُحرمون من هذا؟ الجواب: لا! لأن الرسول ﷺ يقول: «**وَلَا يَكْتَوونَ**»، أي: لا يطلبون من يكويهم، ولم يقل ولا يكوون، وهو ﷺ قد كوى أكحل سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم أصيب يوم الخندق، والنبي ﷺ هو أول من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، فالذين يكوون محسنون، والذين يقرؤون على الناس محسنون، ولكن الكلام على الذين يسترقون، أي يطلبون من يقرأ عليهم، أو يكتوون، أي: من يطلبون من يكويهم.

**[٧٥]** عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ؛ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ والإِنْسُ يَمُوتُونَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٧٦]** عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، قَالَهَا إِبرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ". رواه البخاري. وفي رواية له عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كَانَ آخِرُ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِي اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ".

ورُوي أنَّ إبراهيم عليه السلام لما أرادوا إلقاءه في النار، رفع رأسه إلى السماء فقال: "اللَّهُمَّ أَنْتَ الوَاحِدُ فِي السَّمَاءِ، وَأَنَا الوَاحِدُ فِي الأَرْضِ، لَيْسَ أَحَدٌ يَعْبُدُكَ غَيْرِي، حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ

الوَكِيلُ"، فقال الله ﷻ: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.

إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، هما خليلان لله ﷻ؛ قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ قَدِ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبرَاهِيمَ خَلِيلًا**». والخليل: معناه الحبيب الذي بلغت محبته الغاية، وإنك تسمع أحياناً يقول بعض الناس: إبراهيم خليل الله، ومحمد حبيب الله، وموسى كليم الله، والذي يقول: إن محمداً حبيب الله في كلامه نظر، لأن الخلة أبلغ من المحبة، لأن أحباب الله كثيرون، فالمؤمنون يحبهم الله، والمحسنون والمقسطون، لكن الخلة لا نعلم أنها ثبتت إلا لمحمد وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام، وعلى هذا فنقول: الصواب أن يُقال: إبراهيم خليل الله، ومحمد خليل الله، وموسى كليم الله، على أن محمداً ﷺ قد كلّمه الله كلاماً من دون وساطة، حيث عُرج به إلى السماوات السبع، هذه الكلمة: "حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"، قالها إبراهيم حينما ألقي في النار، أوقدوا نار عظيمة جداً، ويقال إنهم لعظم النار لم يتمكنوا من القرب منها، وأنهم رموا إبراهيم فيها بالمنجنيق من بُعد، فلما رموه قال: "حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ"، فما الذي حدث؟ قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، لأن النار حارة ومحرقة ومهلكة، فأمر الله هذه النار أن تكون برداً وسلاماً عليه، فكانت كذلك، قال العلماء: لما قال الله ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ قرنَ ذلك بقوله: ﴿وَسَلَامًا﴾، لأنه لو اكتفى بقوله: ﴿بَرْدًا﴾ لكانت برداً حتى تهلكه.

أما الخليل الثاني الذي قال: «**حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**» فهو النبي محمد ﷺ وأصحابه، حين رجعوا من أُحد، قيل لهم: إن الناس قد جمعوا لكم، يريدون أن يأتوا إلى المدينة ويقضوا عليكم فقالوا: "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ". قال الله تعالى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، فينبغي لكل إنسان رأى من الناس جمعاً له، أو عدواناً عليه، أن يقول: "حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ"، فإذا قالها كفاه الله شرهم، كما كُفي إبراهيم ومحمداً عليهما الصلاة والسلام، فاجعل هذه الكلمة دائماً على بالك، إذا

رأيت من الناس عدواناً عليك فقل: "**حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**"، يكفك الله ﷻ شرهم وهمهم.

**[٧٧]** عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ**». رواه مسلم.

المقصود به: أنهم يتوكلون على الله حق التوكل، كما قال النبي ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»؛ تخرج من أعشاشها صباحاً وهي جائعة، ثم تعود في المساء ممتلئة البطون، وهذا يحصل كل يوم. بمعنى أن هذه الطيور لا قدرة لها على العمل والاكتساب والادّخار، ليست كالبشر عندها عقول وعندها أفهام بحيث تذهب وتتوظف، وليس عندها مطبخ تتدّخر الطعام فيه شهراً، ليس عندها برّاد وبيت مؤونة، تأخذ منه ما تشاء وقت ما تشاء كما عند البشر، إنما تتوكل على الله دائماً، والله يرزقها يوماً بيوم وساعة بساعة، فلا تجوع، ولا تفكر في مستقبلها أبداً.

**[٧٨]** وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ غَزَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَفَلَ مَعَهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ، وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا، وَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «**إِنَّ هٰذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ فَاسْتَيَقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ- ثَلَاثًا**»، وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية قال جابر: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِذَاتِ الرِّقَاعِ، فَإِذَا أَتَيْنَا عَلَى شَجَرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكِينَ وَسَيْفُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مُعَلَّقٌ بِالشَّجَرَةِ فَاخْتَرَطَهُ،

فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ **قَالَ: «لَا»، فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «اللهُ»**. وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: فَسَقَطَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ السَّيْفَ، فَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**»، **فَقَالَ: كُنْ خَيْرَ آخِذٍ، فَقَالَ:** «**تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**». قَالَ: لَا، وَلٰكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَنْ لَا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَوْمٍ يُقَاتِلُونَكَ، فَخَلَّى سَبِيلَهُ، فَأَتَى أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: «**جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ**».

قوله: قَفَلَ: أي رجع. الْعِضَاهُ: الشجر الذي له شوك. السَّمُرَةُ: الشجرة العظيمة من العِضَاهِ. اخْتَرَطَ السَّيْفَ: أي سلّه وهو في يده. صَلْتاً: أي مسلولاً.

في هذا الحديث: قوة يقينهِ ﷺ، وتوكُّله على الله ﷻ، وعفوه، وحلمه، ومقابلة السيئة بالحسنة، ومحاسن أخلاقه، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤].



**[٧٩]** عن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

معناه: تَذْهَبُ أَوَّلَ النَّهَارِ خِمَاصًا، أَي ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوعِ، وَتَرجِعُ آخِرَ النَّهَارِ بِطَانًا، أَي مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ. أي: لو توكلتم على الله في ذهابكم ومجيئكم وتصرُّفكم لسهّل لكم رزقكم.

قوله: «**حَقَّ تَوَكُّلِهِ**»: أي توكلاً حقيقياً، تعتمدون على الله اعتماداً تاماً في طلب رزقكم، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً يعني جائعة، ليس في بطونها شيء، لكنها متوكلة على ربها ﷻ، وترجع في آخر النهار ممتلئة البطون من رزق الله، وقد ضل ضلالاً مبيناً من أساء الظن بربه، فقال لا تكثروا الأولاد تضيق عليكم الأرزاق! كذبوا ورب العرش، فإذا أكثروا من الأولاد أكثر الله في رزقهم، لأنه ما من دابة على الأرض إلا على

الله رزقها، لكن كثير من الناس عندهم سوء ظن بالله، ولا ينظرون إلى المدى البعيد، وإلى قدرة الله ﷻ، وأنه هو الذي يرزق ولو كثر الأولاد، أكثر من الأولاد تكثر لك الأرزاق، هذا هو الصحيح، وفيه دليل أيضاً على أن الإنسان إذا توكل على الله حق التوكل فليفعل الأسباب، ولقد ضل من قال: لا أفعل الأسباب، وأنا متوكل، فهذا غير صحيح، المتوكل: هو الذي يفعل الأسباب متوكلاً على الله، ولهذا قال ﷺ: «**كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**»، تذهب لتطلب الرزق، تغدو هذه الطيور إلى محلات بعيدة، وتهتدي بالرجوع إلى أماكنها، لا تخطئها، وهكذا دواليك في كل يوم، ليست الطيور تبقى في أوكارها، فأنت إذا توكلت على الله حق التوكل، فلا بد أن تفعل الأسباب التي شرعها الله لك من طلب الرزق من وجه حلال، بالزراعة أو التجارة، بأي شيء من أسباب الرزق معتمداً على الله.



**[٨٠]** وعن أبي عُمَارة البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا فُلَانُ، إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ خَيرًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية في الصحيحين، عن البراءِ، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجِعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ... وذَكَرَ نَحْوَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ**».

هذا الذكر يتضمن تفويض الإنسان أمره إلى ربه، وأنه معتمد على الله في ظاهره وباطنه، مفوض أمره إليه، وفيه أن النبي ﷺ أمره أن يضطجع إلى الجنب الأيمن، لأن ذلك هو الأفضل، وقد ذكر الأطباء أن النوم على الجنب الأيمن أفضل للبدن، وأصح من النوم على

الجنب الأيسر، وذكر أيضاً بعض أرباب السلوك والاستقامة، أنه أقرب في استيقاظ الإنسان، لأن بالنوم على الجنب الأيسر ينام القلب، ولا يستيقظ بسرعة، بخلاف النوم على الجنب الأيمن، فإنه يبقى القلب متعلقاً، ويكون أقل عمقاً في منامه فيستيقظ بسرعة، وفي هذا الحديث: إن النبي ﷺ أمره أن يجعلهن آخر ما يقول، مع أن هناك ذكراً بل أذكار عند النوم تقال غير هذه، مثلاً: التسبيح، والتحميد، والتكبير، فإنه ينبغي للإنسان إذا نام على فراشه أن يقول: سبحان الله ثلاث وثلاثين، والحمد لله ثلاث وثلاثين، والله أكبر أربع وثلاثين، وقد أعاد البراء بن عازب هذا الحديث عن النبي ﷺ ليُتقِنه فقال: "آمنت بكتابك الذي أنزلت ورسولك الذي أرسلت"، فرد عليه النبي ﷺ وقال: قل: «**وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**».

فلا تقلْ: "ورسولك الذي أرسلت". قال أهل العلم: وذلك لأن الرسول يكون من البشر ويكون من الملائكة، وأما النبي ﷺ فلا يكون إلا من البشر، والشاهد من هذا الحديث قوله ﷺ: «**وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ**»، وقوله: «**لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ**»، فإن التوكل: تفويض الإنسان أمره إلى ربّه.



**[٨١]** عن أبي بكرٍ الصِّديق رضي الله عنه عبدِ الله بنِ عثمان بنِ عامرِ بنِ عمر ابنِ كعب بنِ سعدِ بن تَيْم بنِ مرة بن كعبِ بن لُؤَيٍّ بن غالب القرشي التيمي رضي الله عنه وهو وأبوه وأمّه صحابةٌ، قَالَ: "نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ وَنَحْنُ فِي الغَارِ وَهُمْ عَلَى رُؤُوسِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ باثنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أي: ما ظنك؟ هل أحد يقدر عليهما أو ينالهما بسوء؟ وهذه القصة كانت حينما هاجر النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، فقوله: «**مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ باثنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا**»، يعني: هل أحد يقدر عليهما بأذيّة؟ والجواب: لا أحد يقدر، وفي هذه القصة: دليل على كمال توكل النبي

ﷺ على ربه، وأنه معتمد عليه، وهذا هو الشاهد، وفيه دليل على أن قصة نسج العنكبوت غير صحيحة، كما في بعض التواريخ! وأنه نبت فيه شجرة! وأنه كان على غصنها حمامة! كل هذا لا صحة له، بل الحق الذي لا شك فيه، أن الله أعمى أعين المشركين عن رؤية النبي وصاحبه في الغار.

[٨٢] عَنْ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ، وَاسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ الْمَخْزُومِيَّةَ رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، قَالَ: «**بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**». رواه أبو داود والترمذي وغيرهما بأسانيد صحيحة.

الشاهد من هذا الحديث قوله: «**بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ**»، فإن في هذا دليلاً على أن الإنسان ينبغي له إذا خرج من بيته أن يقول هذا الذكر، لأن الإنسان إذا خرج من بيته فهو عرضة لأن يصيبه شيء، أو يعتدي عليه أحد.

[٨٣] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:«**مَنْ قَالَ يَعْنِي: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، يُقَالُ لَهُ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ**». رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حديث حسن. زاد أبو داود: «**فَيَقُولُ- يَعْنِي: الشَّيْطَانُ- لِشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!**».

ورُوي عن ابن مسعود قال: كنت عند رسول الله ﷺ فقلتها فقال: «**تَدْرِي مَا تَفْسِيرُهَا؟**". قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**لَا حَوْلَ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا قُوَّةَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ إِلَّا بِمَعُونَةِ اللهِ**». أخرجه البزّار.



**[٨٤]** وعن أنس ﷺ قال: كَانَ أَخَوَانِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ أَحَدُهُمَا يَأْتِي النَّبِيَّ ﷺ وَالآخَرُ يَحْتَرِفُ، فَشَكَا المُحْتَرِفُ أَخَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ**». رواه الترمذي بإسناد صحيحٍ

في الحديث: تنبيهٌ على أن من انقطع إلى الله كفاه مهماته، وأن العبد يرزق بغيره، كما في الحديث الآخر: «**وَهَلْ تُرْزَقُونَ - أَوْ قَالَ: تُنْصَرُونَ - إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**».





## ٨-الاستِقامَة

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ [هود:١١٢].

الاستقامة: هي لزوم المنهج المستقيم. قال عمر ﷺ: الاستقامة: أن تقوم على الأمر والنهي، ولا تروغ عنه روغان الثعلب. وقالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف:١٣-١٤]، وَقالَ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[فصلت:٣٠- ٣٢].

قوله: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: يعني لا تخافوا فيما تستقبلون من أموركم، ولا تحزنوا على ما مضى منها، يخبر تعالى أن من وحَّده واستقام على طاعته، أنه آمِنٌ عند الموت ويوم القيامة، وأنَّ جزاءه الجنة، فالملائكة أولياء للذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا في الحياة الدنيا، تسددهم وتساعدهم وتعينهم، وكذلك في الآخرة تتلقاهم الملائكة يوم البعث والحساب، فيبشروهم بالخير في مقام الخوف والشدة، ولهم في الآخرة ما تشتهي أنفسهم، وذلك في نعيم الجنة، ولهم فيها ما يطلبون، بل قال الله تعالى فوق ذلك: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، أي لهم زيادة على ما يدعونه ويطلبونه ويتمنونه، يعني: غفر لهم سيئاتهم، ورفع لهم درجاتهم، هذا جزاء الذين يقولون: ربنا الله ثم يستقيمون، وفي هذا دليل على أهمية الاستقامة على دين الله، بأن يكون الإنسان ثابتاً لا يزيد ولا ينقص، ولا يبدل ولا يتغير، فأما من غلا في دين الله أو جفا عنه، أو بدل، فإنه لم يكن مستقيماً على شريعة الله، والاستقامة لا بد لها من الاعتدال في كل شيء.



**[٨٥]** وعن أبي عمرو، وقيل: أبي عمرة سفيان بن عبد الله ﵁ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَولًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «**قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». رواه مسلم.

هذا الحديث جمع معاني الإسلام والإيمان كلها، وهو على وفاقِ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾. قال بعض العارفين: مرجع الاستقامة إلى أمرين: صحة الإيمان بالله، واتّباع ما جاء به رسول الله ظاهرًا وباطنًا، وقد قال النبي ﷺ: «**اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ**»، فقوله ﷺ: «قُلْ آمَنْتُ»، ليس المراد بذلك مجرد القول باللسان، فإن من الناس من يقول آمنت بالله واليوم الآخر وما هم بمؤمنين، ولكن المراد بذلك قول القلب واللسان أيضاً، أي أن يقول الإنسان بلسانه، بعد أن يقرّ ذلك في قلبه، ويعتقده اعتقاداً جازماً لا شك فيه، فلو أن الإنسان عمل بظاهره على ما ينبغي، ولكن باطنه خراب وشك واضطراب، أو في إنكار وتكذيب، فإن ذلك لا ينفعه، ويُستفاد من هذا الحديث: أنه ينبغي للإنسان إذا قام بعمل أن يشعر بأنه قام به لله، أي مخلصاً، مستعيناً بالله، ومتّبعاً لشرعه.



**[٨٦]** وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**». رواه مسلم.

قَالَ العلماءُ: مَعنَى الاستقامَةِ لُزُومُ طَاعَةِ الله تعالى، وفيه دلالةٌ على أنه ليس أحد من الخلْق يقدر على توفية حق الربوبية، لقوله ﷺ: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**»، ولكن الأعمال سببٌ لدخول الجنة كما قال تعالى: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:٣٢]، وهذا الحديث يدل على أن الاستقامة على حسب الاستطاعة،

وهو قول النبي ﷺ: «**قَارِبُوا وَسَدِّدُوا**»: أي: سددوا على الإصابة، أي: احرصوا على أن تكون أعمالكم مصيبة للحق بقدر المستطاع، وذلك لأن الإنسان مهما بلغ من التقوى، فإنه لا بد أن يخطئ، كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**»، وقال ﷺ: «**لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ**»، ثم قال: «**وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**»، أي: لن ينجو من النار بعمله، وذلك لأن العمل لا يبلغ ما يجب لله من الشكر، وما يجب له على عباده من الحقوق، ولكن يتغمد الله العبد برحمته فيغفر له، فإن قال قائل: هناك نصوص من الكتاب والسنة تدل على أن العمل الصالح يُنجي من النار ويُدخل الجنة، مثل قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٩٧]، فكيف يُجمع بين هذا وبين الحديث السابق؟ والجواب عن ذلك: أن العمل سبب لدخول الجنة والنجاة من النار، لكنه ليس هو العوض، وليس وحده الذي يدخل به الإنسان الجنة، ولكن فضل الله ورحمته هما السبب في دخول الجنة.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن الإنسان لا يُعجَب بعمله، مهما عمل من الأعمال الصالحة، فعملك قليل بالنسبة لحق الله عليك، وفيه أيضاً من الفوائد: أنه ينبغي على الإنسان أن يكثر من ذكر الله دائماً: "اللهم تغمدني برحمة منك وفضل"، لأن عملك لن يوصلك إلى مرضاة الله إلا برحمة الله، وفي دليل على حرص الصحابة على العلم، ولهذا سألوا، فهم لا يتركون شيئاً يحتاجون إليه في أمور دينهم ودنياهم إلا سألوا عنه.



## ٩- التَّفكُّر في عظيم مخلوقات الله وفناء الدُّنيا وأهوال الآخرة

التَّفَكُّر: هو أن الإنسان يُعمل فكره في الأمر، حتى يصل فيه إلى نتيجة، وقد أمر الله تعالى بالتفكر وحث عليه في كتابه، فالتفكر في المخلوقات: كالعرش، والكرسي، والسماء، والأرض، يدل على كمال الخالق وعظمته، وفي الحديث: «**مَا السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلَقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ**»، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﷻ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الزمر:٦٧]. والتفكُّر في فناء الدنيا يبعث على الزهد فيها، والإقبال على الآخرة، والتفكُّر في أهوال الآخرة يبعث على فعل الطاعات وترك المنهيات، وتقصير أمل النفس بذكر الموت، وتهذيبها من الأخلاق السيئة، وحملها على الاستقامة يورثها العز في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا للهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾ [سبأ:٤٦]، وفي هذه الآية إشارة إلى أنه ينبغي للإنسان إذا قام لله يعمل أن يتفكر ماذا فعل في هذا العمل: هل قام به على الوجه المطلوب؟ وماذا حصل له من هذا العمل من طهارة القلب؟ وزكاة النفس؟ لا يكون كالذي يؤدي أعماله الصالحة وكأنها عادات يفعلها كل يوم، بل تفكر: ماذا حصل لك من هذا العبادة، وماذا أثرت على قلبك وعلى استقامتك؟

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ**﴾ [آل عمران: ١٩٠- ١٩١]. فالتفكر في المخلوقات أفضل العبادات، وفي بعض الآثار: بينما رجلٌ مستلقٍ على فراشه إذْ رفع رأسه فنظر إلى السماء والنجوم، فقال: أشهد أن لك ربًّا وخالقًا اللهم اغفر لي، فنظر الله إليه فغفر له.

وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [البقرة:١٦٤]، يعني في خلقهما من حيث الحجم والكبر والعظمة، وغير ذلك مما أودع الله فيهما، وفي كل ما خلق الله في السماوات والأرض آيات عظيمة، تدل على كمال قدرته وعلى كمال رحمته وعلى كمال حكمته، وقد جمع الله السماوات وأفرد الأرض، لأن السماوات سبع كما ذكره الله في عدة آيات، أما الأرض فإن الله تعالى لم يذكرها في القرآن إلا منفردة، وقد أشار الله في سورة الطلاق إلى أن الأرضين سبع، فقال: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]، أي: مثلهن في العدد، وليس مثلهن في الخِلقة والعِظم، بل السماوات أعظم من الأرض بكثير.

ولنضرب لهذا مثلاً بالصلاة، قال الله ﷻ: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فلتُفكّرْ: هل أنت إذا صليت وجدت في نفسك كراهية للفحشاء، وكراهية للمنكر، وكراهية المعاصي؟ أو أن الصلاة لا تفيدك في هذا؟ مثال آخر في الزكاة، وقد قال الله لرسوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]، فإذا أدّيت الزكاة فانظر: هل طهرتك هذه الزكاة؟ كثير من الناس يؤدي الزكاة وكأنها غرم، يؤديه وهو كاره، يؤديها وهو لا يشعر بأنها تزكي نفسه، وعلى هذا بقية الأعمال، قم لله ثم تفكر ماذا حصل، فهذه موعظة عظيمة إذا اتعظ الإنسان بها، نفعته وصلحت أحواله. ثم قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ﴾، أي: يذكرون الله في كل حال قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

وَذِكْرُ الله ﷻ نوعان: الأول: نوع مطلق في كل وقت، وهو الذي يشرع للإنسان دائماً، أوصى به النبي ﷺ رجلاً قال له: إن شرائع الإسلام كثرت عليّ، وإني كبير فأوصني، فقال: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**». وقالت عائشة ﵂: كان النبي ﷺ يذكر الله على كل أحيانه، أي في كل حين، فذِكر الله هنا مطلق لا يتقيد بعدد، بل هو إلى الإنسان على

حسب نشاطه. والنوع الثاني: ذِكر مقيد بعدد، أو في حال من الأحوال، وهو كثير، منها: أذكار الصلوات في الركوع والسجود وبعد السلام، وأذكار الدخول للمنزل والخروج منه، وأذكار الدخول للمسجد والخروج منه، وأذكار النوم والاستيقاظ، وأذكار الركوب على الدابة أو الطائرة، وأشياء كثيرة أخرى شرعها الله لعباده، من أجل أن يكونوا دائماً على ذكر الله.

واعلم أن الذكر أيضاً يكون على وجهين: ذكر تام: وهو ما تواطأ عليه القلب واللسان، وذكر ناقص: وهو ما كان باللسان مع غفلة القلب، وأكثر الناس عندهم ذكر الله باللسان مع غفلة القلب، فتجده يذكر الله وقلبه يذهب يميناً وشمالاً، في دكانه وسيارته وفي بيعه وشرائه، لكن هو مأجور على كل حال، فأحياناً يكون الذكر بالقلب أنفع للعبد من الذكر المجرد، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: فإذا تفكر الإنسان في نفسه وقلبه، في آيات الله الكونية والشرعية، بقدر ما يستطيع، حصل على خير كثير؛ لماذا خلقت؟ وكيف خلقت؟ وما أشبه ذلك، ثم يقولون بقلوبهم وألسنتهم: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾، أي: لا بد أن يكون لخلق السماوات والأرض غاية محمودة، هل خُلقت للناس يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تتمتع الأنعام؟! لا، بل هي مخلوقة لغرض عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]. والعبادة أوسع من تفكير الإنسان بأنها محصورة بالصلاة وغيرها من الفروض، بل إنها سلوكيات تشمل المعاملات كلها، علاقة الإنسان مع ربه ومع جميع المخلوقات في هذا الكون، الأحياء والجمادات، المشاهد منها والغيبيات، حتى إن تبسمك في وجه أخيك عبادة، وإزالة الأذى عن الطريق عبادة، وتجنبك استعمال العظم لإزالة النجاسة هو عبادة، لأنه طعام إخواننا من الجن، وتجنب دخول الكلب إلى البيت عبادة، لأن الملائكة تتأذى من ذلك، ومن هذا كثير. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا﴾، فالذين يظنون خلق السماوات والأرض باطلاً هم

أصحاب النار. قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [صٓ: ٢٧]، فكل من ظن أن الله خلق هذه الخليقة لتوجد وتفنى فقط، من دون أن يكون هنالك غاية ومرجع، فإنه من الذين كفروا، فالناس لا بد أن يموتوا، ولا بد أن يُحاسبوا، ولا بد أن يُبعثوا، ولا بد أن يؤُولوا إلى دارين لا ثالث لهما؛ إما الجنة وإما النار.

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ، فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ١٧-٢١]. هذا من باب الحث على النظر في هذه الأمور الأربعة، ثم قال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد:١٠]، فأمر الله بالسير، والسير ينقسم إلى قسمين: سير بالقدم أو سيارة، أو طائرة، أو غيرها، حتى ينظر ماذا حصل للأمم السابقة، وماذا كانت حالهم، وسير بالقلب، وهذا يكون بالتأمل والتفكير فيما نقل عن أخبارهم، والقرآن فيه كثير من أخبار الأولين المكذبين والمصدقين، وبيّن الله عاقبة هؤلاء وهؤلاء، ثم بعد ذلك ما نقله المؤرخون، ولكن يجب أن تكون على حذر، لأن غالب ما كتبوه ليس له أصل، وإنما هي أخبار تتناقل بين الناس.

وجاء في الحديث: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِي**». معنى دان نفسه: حاسبها، فإنَّ محاسبته لها إنما ينشأ عن تفكُّره في الدنيا وزوالها، وفي نفسه وانتقالها، كأنك بالدنيا ولم تكن، فيحاسب نفسه فيمنعها عمّا لا ينبغي، ويحملها على ما ينبغي، أما العاجز: فهو الذي يتبع نفسه هواها، فما هوت نفسه أخذ به، وما كرهت نفسه لم يأخذ به، سواء وافق شرع الله أم لا، وما أكثر العاجزين اليوم، الذين يُتبعون أنفسهم هواها، ولا يبالون بمخالفة الكتاب والسنة، ولا يهتمون بهذا، وقوله: «**وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِي**»، يعني: يقول سيُغفر لي، وسوف أستقيم فيما بعد،

وسوف أقوم بالواجب فيما بعد، وسوف أترك هذا فيما بعد، أو يقول: الله يهديني، وإذا نصحته قال لك: اسأل الله لي الهداية. هذا عاجز، والكيّس: هو الذي يعمل بحزم وجد، ويحاسب نفسه، ويكون عنده قوة حتى يتمكن من ضبط نفسه.



## ١٠- المبادرة إلى الخَيرات

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة:١٤٨]، أي سارعوا إليها قبل فواتها، فإذا عزم الإنسان على الشيء وهو خير، فليمض فيه ولا يتردد. وقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وخصَّ العرض بالذكر؛ لأنَّ طول كل شيء غالبًا أكثر من عرضه، وأما طولها فلا يعلمه إلا الله. ومعنى ﴿سَارِعُوا﴾: أي بادروا، وكم من إنسان توانى وكسل؛ ففاته خير كثير، ولهذا قال النبي ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**». ومسائل الخير ينبغي المسارعة إليها؛ لأن الإنسان لا يدري، فربما يتوانى في الشيء ولا يقدر عليه بعد ذلك، إما بموت، أو مرض، أو فوات، أو غير هذا، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمُ الحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الرَّاحِلَةُ، وَتَعْرِضُ الحَاجَةُ**»، فقد يعرض له شيءٌ يمنعه من الفعل، فسارع إلى الخير ولا تتوانى، والاستباق معناه: أن ينتهز الفرصة ويكون من أول الناس في الخير.

أما المسارعة إلى المغفرة: كقولك: أستغفر الله، أو: اللهم اغفر لي، أو: اللهم إني أستغفرك، وما أشبه ذلك، وكذلك أيضاً: الإسراع إلى ما فيه المغفرة، مثل الوضوء، والصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، فإن الإنسان إذا توضأ، فأسبغ الوضوء، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين؛ فإنه تُفتح له أبواب الجنة الثمانية؛ ويدخل من أيها شاء، وكذلك إذا توضأ؛ فإن خطاياه تخرج من أعضاء وضوئه؛ مع آخر قطرة من قطر الماء، فهذه من أسباب المغفرة.

ومن أفضل ما يُستغفر به؛ سيد الاستغفار: "**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي، وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي؛ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ**".

ثم قال الله ﷻ: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، يعني: هُيِّئت لهم، ومن هم المتّقون؟ قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤-١٣٦].

قوله تعالى: ﴿**فِي السَّرَّاءِ**﴾ يعني في حال الرخاء وكثرة المال والسرور والانبساط.

﴿**وَالضَّرَّاءِ**﴾ يعني في حال ضيق العيش والانقباض، ولكن؛ لم يُبيّن الله هنا مقداره، ولكنه بينه في آيات كثيرة، فقال تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ**﴾ [البقرة:٢١٩]، والعفو: يعني ما زاد عن حاجاتكم وضروراتكم. ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾، أي: الذين إذا اغتاظوا، وهذا الكظم من أشد ما يكون على النفس، كما قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ**»، والصرعة: يعني يصرع الناس، أي: يغلبهم في المصارعة، لأن الإنسان إذا غضب ثارت نفسه، فانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وصار يحب أن ينتقم، فإذا كظم الغيظ وهدأ، فإن ذلك من أسباب دخول الجنة. ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾، والعفو لا يكون خيراً إلا إذا كان فيه إصلاح، فإذا أساء إليك شخص معروف بالإساءة والتمرد والطغيان على عباد الله، فالأفضل ألا تعفو عنه، وأن تأخذ بحقك؛ لأنك إذا عفوت ازداد شره، أما إذا كان الإنسان قليل الخطأ، قليل العدوان، لكن الأمر حصل على سبيل الندرة، فهنا الأفضل أن تعفو، ومن ذلك حوادث

السيارات التي كثرت، فإن بعض الناس يتسرع، ويعفو عن الجاني الذي حصل منه الحادث، وهذا ليس بالأحسن، الأحسن أن تتأمل وتنظر؛ هل هذا السائق متهور ومستهتر؛ لا يبالي بعباد الله ولا يبالي بالأنظمة؛ فهذا لا ترحمه، خذ حقك منه كاملاً، أما إذا كان إنساناً معروفاً بالتّأني، وخشية الله، والبعد عن أذية الخلق، والتزام النظام، ولكن هذا أمر حصل، فالعفو هنا أفضل. ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، أما الإحسان إلى عباد الله، فأن تعاملهم بما هو أحسن؛ في الكلام والأفعال والبذل، وكفّ الأذى، وغير ذلك، حتى في القول؛ إذا سلم عليك إنسان بصوت واضح تردّ عليه بصوت واضح، بعض الناس إذا سلمت عليه رد عليك السلام بأنفه لا تكاد لا تسمعه! هذا خلاف ما أمر الله به، كذلك الإحسان بالفعل؛ مثل معونة الناس ومساعدتهم في أمورهم، ومن الإحسان أيضاً أنك إذا رأيت أخاك على ذنب؛ أن تبين له ذلك وتنهاه عنه؛ لأن هذا من أعظم الإحسان إليه، فينبغي أن تستحضر هذه الآية فتحسن إليهم بقدر ما تستطيع. ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: وفي هذا دليل على أن الإصرار على الذنب مع العلم به أمره عظيم، حتى في صغائر الذنوب؛ ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أن الإنسان إذا أصرّ على الصغيرة صارت كبيرة، لأن الإنسان لا يبالي بما يفعل، وإن الإنسان ليُخشى عليه من الذنب الصغير أن يتدرج به الشيطان إلى ذنوب أكبر وأعظم.



**[٨٧]** عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصبحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا**». رواه مسلم.

«**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ**»: يعني أسرعوا إليها؛ والمراد الأعمال الصالحة؛ والعمل الصالح ما بني على أمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله، وهذا تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله،

وأن محمداً رسول الله، لو قام الإنسان يصلي؛ ولكنه يرائي الناس بصلاته، فإن عمله لا يقبل؛ حتى لو أتى بشروط الصلاة، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وطمأنينتها، وأصلحها إصلاحاً تاماً في الظاهر، ثم قال: «**فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ**»، أخبر أنه ستوجد فتن كقطع الليل، يعني أنها مدلهمة مظلمة؛ ولا يدري الإنسان أين يذهب؛ ويكون حائراً، ما يدري أين المخرج، والفتن منها ما يكون من الشبهات، ومنها ما يكون من الشهوات، ففتن الشبهات: كل فتنة مبنية على الجهل، ومن ذلك ما حصل من أهل البدع الذين ابتدعوا في عقائدهم ما ليس من شريعة الله، أو أهل البدع الذين ابتدعوا في أقوالهم وأفعالهم ما ليس من شريعة الله، فإن الإنسان قد يُفتن، فيضل عن الحق، ومن ذلك أيضاً: ما يحصل في المعاملات من الأمور المشتبهة، تجده يتعامل معاملة تبين أنها محرمة، لكن لما على قلبه من رين الذنوب، يشتبه عليه الأمر، فيزين له سوء عمله، ويظنه حسناً، وقد قال الله في هؤلاء: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا**﴾ [الكهف: ١٠٣- ١٠٤]. وتكون الفتن أيضاً من الشهوات، بمعنى أن الإنسان يعرف أن هذا حرام ولكن لأن نفسه تدعوه إليه فلا يبالي، ويعلم أن هذا واجب لكن نفسه تدعوه للكسل فيترك هذا الواجب، ومن ذلك أيضاً، بل من أعظم ما يكون؛ فتنة شهوة الزنا أو اللواط، وهذه من أضرّ ما يكون على هذه الأمة، ولدينا الآن في مجتمعنا من يدعو إلى هذه الرذيلة بأساليب ملتوية، ولكن نسأل الله أن يجعل كيدهم في نحورهم.

«**يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا**»: في يوم واحد يرتد عن الإسلام ويخرج من الدين، فهؤلاء كلهم يبيعون دينهم بعرض من الدنيا، ولا تظن أن العرض من الدنيا هو المال، كل متاع الدنيا عرض، سواء مال، أو جاه، أو رئاسة، أو نساء، أو غير ذلك، فما في الدنيا كله عرض.



**[٨٨]** عن أبي سِروْعَة عقبة بن الحارث رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بِالمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّى رِقَابَ النَّاسِ إِلَى بَعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفَزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرْعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ، فَرَأَى أَنَّهُمْ قَدْ عَجِبُوا مِنْ سُرْعَتِهِ، قَالَ: «**ذَكَرْتُ شَيْئًا مِنْ تِبْرٍ عِنْدَنَا فَكَرِهْتُ أَنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ**». رواه البخاري. وفي رواية لَهُ: «**كُنْتُ خَلَّفْتُ فِي البَيْتِ تِبْرًا مِنَ الصَّدَقَةِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُبَيِّتَهُ**».

التِّبْرُ: قِطَعُ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، ففي هذا الحديث المبادرة، وألا يتوانى الإنسان عن فعل الخير، وذلك لأن الإنسان لا يدري متى يفاجئه الموت؛ والإنسان ينبغي أن يكون كيّساً، يعمل لما بعد الموت ولا يتهاون، فإذا كان الإنسان في أمور دنياه مسرعاً وينتهز الفرص، فإن الواجب عليه في أمور أُخراه أن يكون كذلك بل أولى.

قال الله تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [الأعلى: ١٦-١٩].

وفي هذا الحديث دليل على جواز تخطي الرقاب بعد السلام من الصلاة، ولا سيما إذا كان لحاجة، وذلك لأن الناس بعد السلام من الصلاة ليسوا في حاجة إلى أن يبقوا في أماكنهم، بل لهم الانصراف، بخلاف تخطي الرقاب قبل الصلاة، فإن ذلك منهيّ عنه؛ لأنه إيذاء للناس، وفي هذا الحديث أيضاً دليل على شدة الأمانة وعظمها، وإذا كان هذا في الأمانة، فكذلك أيضاً في الدَّين؛ يجب على الإنسان أن يبادر بقضاء دينه، إلا أن يسمح له صاحب الدين، أما إذا لم يسمح له؛ فإنه يجب عليه المبادرة لأدائه، حتى إن العلماء قالوا: إن فريضة الحج تسقط على من عليه الدَّين حتى يؤديه؛ لأن الدَّين أمره عظيم، ومع الأسف؛ الآن تجد كثيراً من الناس عليه الدَّين؛ وهو قادر على الوفاء، ولكنه يماطل.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**»، وخلاصة هذا الحديث: هو المبادرة إلى فعل الخيرات، وعدم التهاون في ذلك، واعلم أنك إذا عودت نفسك على التهاون اعتادت عليه، وإذا عودتها على الحزم والفعل والمبادرة اعتادت عليه.



**[٨٩]** عن جابر رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ يوم أُحُد: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «**فِي الجَنَّةِ**» فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

في هذا الحديث دليل على مبادرة الصحابة إلى الأعمال الصالحة، وأنهم لا يتأخرون فيها، وهذا شأنهم؛ ولهذا كانت لهم العزة في الدنيا وفي الآخرة، ونظير هذا أن النبي ﷺ خطب الناس يوم عيد، ثم نزل فتقدم إلى النساء وأمرهن بالصدقة، فجعلت المرأة منهن تأخذ خرصها وخاتمها، وتلقيه في ثوب بلال.

ولكن من هو الذي يُقتل في سبيل الله؟ الذي يُقتل في سبيل الله: هو الذي يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، لا يقاتل حمية ولا شجاعة ولا رياء، أما من قاتل حمية؛ مثل الذين يقاتلون من أجل القومية العربية مثلاً، فإن هؤلاء ليسوا شهداء؛ وذلك لأن القتال من أجل القومية العربية ليس في سبيل الله، لأنه حميّة.

وفي هذا الحديث دليل على حرص الصحابة على معرفة الأمور؛ لأن هذا الرجل سأل النبي ﷺ، وكان هذا من عادتهم؛ أنهم لا يفوتون الفرصة حتى يسألوا؛ لأنهم يستفيدون من هذا علماً وعملاً، وكان هذا شأنهم، فيسألون النبي ﷺ عن الحكم الشرعي من أجل أن يعملوا به، بخلاف ما عليه من الناس اليوم، فإنهم يسألون عن الأحكام الشرعية؛ حتى إذا علموا بها تركوها ونبذوها وراء ظهورهم، وكأنهم لا يريدون من العلم لا مجرد المعرفة النظرية، وهذا في الحقيقة خطر عظيم؛ لأن من ترك العمل بعد العلم به فإن الجاهل خير منه.



**[٩٠]** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قَالَ: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ، تَخْشَى الفَقْرَ وَتَأْمُلُ الغِنَى، وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وروى أبو داود وغيره عن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَتَصَدَّقَ الْمَرْءُ فِي حَيَاتِهِ بِدِرْهَمٍ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِمِئَةٍ عِنْدَ مَوْتِهِ**». هو لا يريد أي الصدقة أفضل في نوعها، ولا في كميتها، وإنما يريد ما هو الوقت الذي تكون فيه الصدقة أفضل من غيرها، فقال له: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ**»، يعني صحيح البدن شحيح النفس؛ لأن الإنسان إذا كان صحيحاً كان شحيحاً بالمال؛ لأنه يأمل البقاء، ويخشى الفقر، أما إذا كان مريضاً، فإن الدنيا ترخص عنده، ولا تساوي شيئاً فتهون عليه الصدقة، لأن الإنسان الصحيح يستبعد الموت، والمريض عكسه.

«**وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**»: أي قد كان المال لغيرك، يعني للذي يرثك، فإن مات الإنسان انتقل ملكه، ولم يبق له شيء من المال، وفيه دليل على أن الروح تخرج من أسفل البدن، تصعد حتى تصل إلى أعلى البدن، ثم تقبض من هناك، ولهذا قال: «**حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ**»، وهذا كقوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ**﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٤]، ثم بعد ذلك يقبضها ملك الموت.



**[٩١]** عن أنس، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفاً يوم أُحُدٍ، فقال: «**مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هٰذَا؟**»، فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا أَنَا، قَالَ: «**فَمَنْ يَأْخُذُهُ بحَقِّه؟**»، فَأَحْجَمَ القَوْمُ، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ، فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. رواه مسلم.

وفي بعض السّير عن الزبير قال: وجدت في نفسي حين سألت النبي ﷺ السيف فَمُنِعْتُهُ، وأعطاه أبا دجانة، فقلت: والله لأنظرنّ ما يصنع، فاتّبعته، فأخذ عصابة حمراء فعصب بها رأسه، فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت، فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله.

إن كثيراً من الناس ربما يستكثر العبادة، أو يرى أنها عظيمة، فينكص على عقبيه، ولكن يقال للإنسان: استعن بالله، وتوكل على الله، فإن الله تعالى سيعينك؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

وغزوة أُحد: إحدى الغزوات الكبار التي غزاها رسول الله ﷺ بنفسه، وأُحُد: جبل قرب المدينة، وكان سبب الغزوة: أنّ قريشاً لما أصيبوا يوم بَدر بقتل زعمائهم وكبرائهم؛ أرادوا أن يأخذوا بالثأر من المسلمين، فاستشار النبي ﷺ أصحابه حين علم بقدومهم، فأشار عليه بعضهم بالبقاء في المدينة، فإذا دخلوا يرموهم بالنبل وهم متحصنون في البيوت، وأشار بعضهم؛ ولا سيما الشباب منهم، والذين لم يحضروا غزوة بدر؛ أن يخرجوا إليهم، حينئذ، دخل النبي ﷺ بيته ولبس لامةَ الحرب، ثم خرج وأمر بالخروج، وجعل الرماة الذين يحسنون الرمي بالنبل؛ وهم خمسون على الجبل، وأمّر عليهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه وقال لهم: لا تبرحوا مكانكم، وابقوا سواء كانت لنا أو علينا، ولما انهزم المشركون وولوا الأدبار، وصار المسلمون يجمعون الغنائم، ظن الرماة الذين في الجبل أن الأمر قد انتهى؛ فنزلوا، فلما رأى فرسان قريش أن الجبل قد خلا من الرماة؛ كروا على المسلمين من خلفهم، واستُشهد من المسلمين سبعون رجلاً، منهم حمزة بن عبد المطلب عمّ رسول الله ﷺ أسد الله وأسد رسوله، فلما أصيب المسلمون بهذه المصيبة العظيمة؛ قالوا: أنّى هذا، كيف نهزم ومعنا رسول الله، ونحن جند الله، وأولئك جنود الشياطين، فقال الله ﷻ لهم: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] أي: أنتم السبب، لأنكم عصيتم أمر رسولكم، وحصل ما حصل لحكم عظيمة؛ ذكرها الله ﷻ في سورة آل عمران.



**[٩٢]** عن الزبير بن عدي، قال: أتينا أَنسَ بن مالك رضي الله عنه فشكونا إليه ما نلقى من الحَجَّاجِ، فقال: «**اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلقَوْا رَبَّكُمْ**»، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ. رواه البخاري.

أنس بن مالك رضي الله عنه؛ خادم رسول الله، وكان قد عمّر، وبقي إلى حوالي تسعين سنة من الهجرة، وكان قد أدرك وقته شيء من الفتن، فجاؤوا يشكون إليه ما يجدون من الحجاج أحد أمراء بني أمية، وكان معروفاً بالظلم وسفك الدماء، وكان جباراً عنيداً، وهو الذي حاصر مكة لقتال عبد الله بن الزبير، وجعل يرمي الكعبة بالمنجنيق؛ حتى هدم شيئاً منها، وكان قد آذى الناس، فجاؤوا يشكون إلى أنس بن مالك، فقال لهم: اصبروا على جور ولاة الأمور، وذلك لأن ولاة الأمور قد يسلطون على الناس؛ بسبب ظلم الناس، كما قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام:١٢٩].

فإذا رأيت ولاة الأمور قد ظلموا الناس في أموالهم، أو في أبدانهم، أو حالوا بينهم وبين الدعوة إلى الله عز وجل؛ ففكر في حال الناس؛ تجد أن البلاء أساسه من الناس، هم الذين انحرفوا؛ فسلط الله عليهم ولاة الأمور.

وقد جاء في الأثر: كما تكونون يولّى عليكم، ولهذا قال أنس: اصبروا، هذا هو الواجب، الواجب أن يصبر الإنسان، ولكل كربة فرجة، لا تظن أن الأمور تأتي بكل سهولة، ولكن علينا أن نصبر، وأن نعالج الأمور بحكمة، ولا نتهور.

وقوله: «**لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلقَوْا رَبَّكُمْ**»، أي شرّ منه في الدين، وهذا الشر ليس شراً مطلقاً عاماً، بل قد يكون شراً في بعض المواضع، ويكون خيراً في مواضع أخرى، ومع هذا؛ فإن الناس كلما ازدادوا في الرفاهية، وكلما انفتحوا على الناس؛ انفتحت عليهم الشرور، فالرفاهية هي التي تدمر الإنسان؛ لأن الإنسان إذا نظر إلى الرفاهية وتنعيم جسده؛ غفل عن تنعيم قلبه، وهذا هو البلاء، وهذا هو الذي ضر الناس

اليوم، لا تكاد تجد أحداً إلا ويقول: قصورنا! سيارتنا! حياتنا! أموالنا! حتى الذين يدرسون العلم، بعضهم إنما يدرس لينال رتبة أو مرتبة يتوصل بها إلى نعيم الدنيا، وكأن الإنسان لم يخلق لأمر عظيم، والدنيا ونعيمها إنما هي وسيلة فقط، ولهذا نقول: إن الناس كلما انفتحت عليهم الدنيا وصاروا ينظرون إليها، فإنهم يخسرون من الآخرة بقدر ما ربحوا من الدنيا. قال النبي ﷺ: «**وَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ**»، يعني ما أخاف عليكم الفقر، فالدنيا ستفتح، «**وَلَٰكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»، وصدق رسول الله، هذا الذي أهلك الناس اليوم؛ التنافس في الدنيا، وكونهم كأنهم إنما خلقوا لها لا أنها خلقت لهم، فاشتغلوا بما خلق لهم عما خلقوا له، وهذا من الانتكاس، وفي هذا الحديث وجوب الصبر على ولاة الأمور وإن ظلموا وجاروا، لأنك سوف تقف معهم موقفاً تكون أنت وإياهم على حد سواء؛ سوف تكون خصمهم يوم القيامة إذا ظلموك، لا تظن أن ما يكون في الدنيا من الظلم سيذهب هباءً أبداً، فاصبر وانتظر الفرج، فيحصل لك بذلك اطمئنان النفس والثبات، وانتظار الفرج عبادة، قال النبي ﷺ «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**».



**[٩٣]** عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا، أَوْ مَوتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

في هذا الحديث أشار النبي ﷺ إلى أشياء متعددة، ينبغي للإنسان أن يبادر بالأعمال حذراً منها

سبعة أشياء كلها محيطة بالإنسان؛ يخشى أن تصيبه، منها الفقر، ونحن نشاهد أن الغنى يكون سبباً للفساد، تجد الإنسان في حال فقره منكسر النفس، ليس عنده طغيان، فإذا أمده الله بالمال؛ استكبر وطغى، أو بالعكس، بحيث لا يكون مع الإنسان مال، فينسى أشياء كثيرة تهمه، لأنه يشتغل بطلب الرزق، وهذا شيء مشاهد؛ ولهذا يُخشى على الإنسان من هذين الحالين؛ إما الغنى المُطغي؛ أو الفقر المُنسي، فإذا كان حال الإنسان وسطاً، فهذه هي سعادة الدنيا، ويُذكر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله في الحديث القدسي: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَوْ أَغْنَيْتُهُ لَأَفْسَدَهُ الْغِنَى، وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ الْفَقْرُ**»، وهذا هو الواقع.

وقوله: «**أَوْ مَرَضًا مُفسِدًا**»: المرض يفسد على الإنسان أحواله، فإذا أصيب بالمرض انتكب، وضاقت عليه الأرض، وصار همه نفسه، فالإنسان يجب عليه أن يبادر إلى الأعمال الصالحة؛ حذراً من هذه الأمور. «**أَوْ هَرَمًا مُفْنِدًا**»: الهرم: يعني الكبر، فالإنسان إذا كبر وطالت به الحياة، فإنه كما قال الله ﷻ: ﴿**يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمْرِ**﴾، أي إلى أسوأ العمر، مفنداً: فَنِدَ فِي قَوْلِهِ: أي أَخْطَأَ فِيهِ، يرجع حتى يكون مثل الصبيان، بل هو أردأ من الصبيان، فيكون هذا أشد عليه؛ ولذلك نجد هؤلاء يؤذون أهليهم أشد من إيذاء الصبيان؛ لأن الإنسان إذا رُدّ إلى أرذل العمر؛ تعب وأتعب غيره، حتى إن أخص الناس به يتمنى أن يموت، وإذا لم يتمنّ بلسان المقال؛ فربما يتمنى بلسان الحال. «**أَوْ مَوتًا مُجْهِزًا**»: يعني أن يموت الإنسان، والموت لا ينذر الإنسان، قد يموت الإنسان من دون إنذار، قد يموت على فراشه، وقد يموت على كرسيه، وقد يموت في طريقه ماشياً، وإذا مات الإنسان انقطع عمله، فبادر بالعمل قبل الموت المجهز، الذي يجهزك ولا يمهلك. «**أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ**»: الدجال: صيغة مبالغة من الدجل؛ وهو الكذب والتمويه، وهو رجل يبعثه الله سبحانه في آخر الزمان، يدّعي أنه ربّ، يعطيه الله من القدرات ما لم يعط غيره، حتى إنه

يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، ومعه جنة ونار، لكنها مموّهة؛ جنته نار، وناره جنة، هذا الرجل أعور العين، مكتوب بين عينيه (كافر) كاف. فاء. راء. يقرؤه كل مؤمن؛ الكاتب وغير الكاتب، ولا يقرؤه المنافق ولا الكافر، وهذا من آيات الله، هذا الرجل يرسل الله عليه عيسى ابن مريم، فينزل من السماء فيقتله بباب لدّ في فلسطين حتى يقضي عليه، وهذا الدجال شر غائب ينتظر؛ لأن فتنته عظيمة. «**أَوِ السَّاعَةَ**»: يعني قيام الساعة الذي فيه الموت العام، «**فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**»، كما قال الله ﷻ: ﴿**بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**﴾ [القمر: ٤٦].

هذه سبع حذر منها النبي ﷺ، وأمرنا أن نبادر بالأعمال قبل أن يفوت الأوان، فأنت الآن في نشاط، وفي قوة، وفي قدرة، لكن قد يأتي عليك زمان لا تستطيع ولا تقدر أن تقوم بالعمل الصالح، فبادر وعود نفسك، وإذا عودت نفسك الكسل والإهمال؛ عجزت.



## ١١- المجاهَدة

قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، [العنكبوت:٦٩]، وَقالَ تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل:٨]: أي: انْقَطِعْ إليه، ويقول تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾، أي: أكثر من ذكره، وأخلِص واجتهد في وقت فراغك، وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، أي: الموت، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧]، وَقالَ تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل:٢٠]، وَقالَ تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

والمجاهدة تعني مجاهدة الإنسان نفسه ومجاهدة غيره، فأما مجاهدة الإنسان نفسه فإنها من أشق الأشياء، ولا تتم مجاهدة الغير إلا بمجاهدة النفس أولاً، ومجاهدة النفس تكون بأن يجاهد الإنسان نفسه على شيئين، على فعل الطاعات، وعلى ترك المعاصي؛ لأن فعل الطاعات ثقيل على النفس، وترك المعاصي كذلك، فتحتاج النفس إلى مجاهدة، لا سيما مع قلة الرغبة في الخير، فإن الإنسان يعاني من نفسه معاناةً شديدة ليحملها على فعل الخير، ومن أهم ما يكون من هذا مجاهدة النفس على الإخلاص لله في العبادة؛ فإن الإخلاص أمره عظيم وشاق جداً، ومن أشق ما يكون على النفوس؛ لأن النفوس لها حظوظ؛ ولأن الإنسان يحب أن يكون مرموقاً عند الناس، ويحب أن يكون محترماً بين الناس، ويحب أن يقال: إن هذا رجل عابد، هذا رجل فيه كذا وكذا من خصال الخير، فيدخل الشيطان على الإنسان من هذا الباب، ويحمله على مراآة الناس، وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»، يعني أظهر أمره للناس حتى ينكشف.

كذلك أيضاً مما يجاهد الإنسان نفسه عليه: فعل الطاعات الشاقة مثل الصوم، فإن الصوم من أشق الطاعات على النفوس؛ تجد بعض الناس إذا دخل رمضان كأنما وضع على ظهره جبل! حتى إن بعضهم يجعل حظ يومه النوم، وحظ ليله السهر؛ كل ذلك من أجل مشقة هذه العبادة عليه.

كذلك أيضاً، مجاهدة الإنسان نفسه على الصلاة مع الجماعة؛ كثير من الناس يسهل عليه أن يصلي في بيته، لكن يشق عليه أن يصلي مع الجماعة في المسجد، فتجده مع نفسه في جهاد، يقول: أتمهّل، أؤدّي هذا الشغل، أو أفعل كذا، أو أفعل كذا، فتفوته صلاة الجماعة، وثقل صلاة الجماعة على الإنسان يدل على أن في قلب الإنسان نفاقاً، وهذا يحتاج إلى المجاهدة، أما مجاهدة النفس على ترك المحرم؛ فما أكثر المحرمات التي يشق على بعض الناس تركها، ولنضرب لهذا مثلين:

المثل الأول: الدخان، فإن كثيراً من الناس ابتلي بشرب الدخان، وأول ما خرج الدخان اختلف العلماء فيه؛ منهم من قال: إنه حلال، ومنهم من قال: إنه حرام، ومنهم من قال: إنه مكروه، ولكن بعد أنه مضت الأيام تبين أنه حرام؛ لأن الأطباء أجمعوا على أنه مضر بالصحة، وأنه سبب لأمراض مستعصية تؤدي بالإنسان إلى الموت، وهذا يدل على أنه ضار، والشيء الضار محرم على الإنسان؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء:٢٩]، ويشق على بعض المبتلين بهذا الدخان أن يدعه، مع أنه لو عوّد نفسه على تركه شيئاً فشيئاً، وأبتعد عن الذين يشربونه لسهل عليه الأمر، وصار يكره شم رائحته، لكن المسألة تحتاج إلى عزيمة قوية وإيمان صادق.

المثل الثاني: مما يشق على كثير من الناس، وقد ابتلى به الكثير: حلق اللحى، فإن حلق اللحية محرم، كثير من الناس قد غلبته نفسه فصار يحلق لحيته، ولا أدرى ماذا يجني من حلق اللحية؟ لا يجني إلا معاصي تتراكم عليه.

أما مجاهدة الغير، فإنها تنقسم إلى قسمين: قسم بالعلم والبيان، وقسم بالسلاح، أما من مجاهدته بالعلم والبيان فهو الذي يتسمى بالإسلام وليس من المسلمين؛ مثل المنافقين وأهل البدع المكفرة، فإن هؤلاء لا يمكن أن نجاهدهم بالسلاح؛ لأنهم يتظاهرون بالإسلام وأنهم معنا، ولكننا نجاهدهم بالعلم والبيان، فجهاد الكفار يكون بالسلاح، وجهاد المنافقين يكون بالعلم والبيان، ولهذا كان الرسول ﷺ يعلم بأن في أصحابه منافقين، ويعلمهم بأعيانهم، ولكنه لا يقتلهم، واستؤذن في قتلهم فقال: «**لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»، ولهذا كان واجباً على شباب الأمة الإسلامية أن يتعلموا العلم على وجه راسخ ثابت، لا على وجه سطحي لا يرسخ بالذهن، يقصد به أن يحصل على بطاقة أو شهادة فقط!

أما النوع الثاني من جهاد الغير: فهو الجهاد بالسلاح، وهذا في جهاد الأعداء الذين يظهرون العداوة للإسلام ويصرحون بذلك؛ مثل اليهود والنصارى الذين يسمون بالمسيحيين، والمسيح منهم بريء، المسيح لو أنه خرج لقاتلهم وهم ينتسبون إليه، يقول الله ﷻ: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾[المائدة: ١١٦]، فماذا كان جواب عيسى: ﴿**قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]، فعيسى بن مريم قال لهم ما أمرهم الله به: اعبدوا الله ربي وربكم، ولكنهم كانوا يعبدون عيسى، ويعبدون مريم، ويعبدون الله ويقولون إن الله ثالث ثلاثة، إذن؛ كيف يصح أن ينتسب هؤلاء إلى عيسى وهو يتبرأ منهم أمام الله ﷻ، فاليهود والنصارى والمشركين من البوذيين وغيرهم، والشيوعيين، كل هؤلاء أعداء للمسلمين؛ يجب على

المسلمين أن يقاتلوهم، ولكن مع الأسف، فالمسلمون اليوم في ضعف شديد، وفي هوان وذل، يقاتل بعضهم بعضاً أكثر مما يقاتلون أعداءهم، ولهذا سلط الأعداء علينا، وصرنا كالكرة بأيديهم؛ يتقاذفونها حيث يشاؤون! فلهذا يجب على المسلمين أن ينتبهوا لهذا الأمر، وأن يعدّوا العدة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩].

﴿عَنْ يَدٍ﴾ يعني من أيديهم، بحيث يمدّها هو بنفسه، اليهودي أو النصراني، ولهذا قال العلماء: لو أرسل بها خادمه لم نأخذها حتى يأتي بنفسه ويسلمها للمسؤول من المسلمين، تصوروا؛ كيف يريد الله منا؟ يأتون بها هم بأنفسهم، ولو كان أكبر واحد منهم يأتي بها وهو صاغر، ثم إذا قال قائل: كيف تكون تعاليم الإسلام هكذا؟ أليست هذه عصبية؟ قلنا: عصبية لمن؟ هل المسلمون يريدون عصبية لهم يستطيلون بها على الناس؟ أبداً، لكنهم يريدون أن تكون كلمة الخالق الذي خلقهم وخلق هؤلاء هي العليا، ولا يمكن أن تكون هي العليا حتى يكون المسلمون هم الأعلون، ولكن متى يكون المسلمون هم الأعلون؟ يكونون كذلك إذا تمسكوا بدين الله حقاً ظاهراً وباطناً، وعرفوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، أما أن يصيروا أذناباً لأعداء الله، فأين العزة إذن؟ لا يمكن أن تكون بهذا عزة أبداً.



**[٩٥]** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**». رواه البخاري.

والمعاداة هي المباعدة، وهي ضد الموالاة، والوليّ بيّنه الله في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]. هؤلاء هم أولياء الله، وليست ولاية الله تأتي بالدعوى، كما يفعله بعض الدجالين الذين يموّهون على العامة بأنهم أولياء لله، فتجد في بعض البلاد الإسلامية أناساً يموّهون للعامة؛ يقولون: نحن أولياء، ثم يفعل من العبادات الظاهرة ما يموّه به على العامة وهو من أعداء الله، لكنه يتخذ من هذه الدعوة وسيلة إلى جمع المال، وإلى إكرام الناس له، وإلى تقربهم إليه وما أشبه ذلك، فالذي يعادي أولياء الله يقول الله تعالى: ﴿فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ﴾، يعني أعلنت عليه الحرب، ومن حارب الله فهو مهزوم مخذول لا تقوم له قائمة.

وفي هذا الحديث: أن الفرائض أحبّ إلى الله من النوافل، فالصلوات الخمس مثلاً أحب إلى الله من قيام الليل، وأحب إلى الله من النوافل، وصيام رمضان أحب إلى الله من صيام الاثنين والخميس والأيام الست من شوال، ووجه ذلك أن الفرائض أكدها الله ﷻ فألزم بها العباد، وهذا دليل على شدة محبته لها، وأما النوافل فالإنسان حر؛ إن شاء تنفل وزاد خيراً، وإن شاء لم يتنفّل، والغريب أن الشيطان يأتي الناس، فتجدهم في النوافل يحسنونها تماماً؛ تجده مثلاً في صلاة الليل يخشع ولا يتحرك، ولا يذهب قلبه يميناً ولا شمالاً، لكن إذا جاءت الفرائض فالحركة كثيرة، والوساوس كثيرة، والهواجس كثيرة، وهذا من تزيين الشيطان.

والنوافل تقرّب إلى الله وهي تكمل الفرائض، فإذا أكثر الإنسان من النوافل مع قيامه بالفرائض، نال محبة الله، فيحبه الله، وإذا أحبه يكون مسدداً له في أعضائه الأربعة؛ في سمعه فلا يسمع إلا ما يرضي الله، كذلك بصره، فلا ينظر إلى المحرم، ولا يعمل بيده إلا ما يرضي الله، وكذلك رجله؛ فلا يمشي إلا إلى ما يرضي الله، لأن الله يسدّده، وكان مجاب الدعوة، وإن اعتصم بي لأعيذنّه من كل شر وسوء.



**[٩٦]** عن أنس ﷺ عن النَّبيّ ﷺ فيما يرويه عن ربّه ﷻ قالَ: «**إِذَا تَقَربَ العَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَربْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**». رواه البخاري.

معنى هذا الحديث: أنَّ من تقرَّب إلى الله بشيء من الطاعات ولو قليلاً قابلَه الله بأضعاف، وكلما زاد في الطاعة زاده في الثواب، وأسرع برحمته وفضله.



**[٩٧]** عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**». رواه البخاري. وفي الحديث: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**».

يعني أن هذين الجنسين من النعم مغبون فيهما كثير من الناس، أي مغلوب فيهما، وهما الصحة والفراغ، وذلك أن الإنسان إذا كان صحيحاً كان قادراً على ما أمره الله به وما نهاه الله عنه، لأنه صحيح البدن، منشرح الصدر، مطمئن القلب، كذلك الفراغ، لأن كثيراً من أوقاتنا تضيع بلا فائدة، ولكننا لا نعرف هذا الغبن في الدنيا، إنما يعرف الإنسان هذا إذا حضره أجله وإذا كان يوم القيامة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وقال ﷻ في سورة المنافقون: ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [المنافقون: ١٠]، وقال الله ﷻ: ﴿**وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون: ١١].

والواقع أن هذه الأوقات الكثيرة تذهب علينا سدىً، لا ننتفع منها، ولا ننفع أحداً من عباد الله، ولا نندم على هذا إلا إذا حضر الأجل؛ يتمنى الإنسان أن يعطى فرصة ولو

دقيقة واحدة لأجل أن يعيد حساباته، ولكن لا يحصل ذلك، ثم إن الإنسان قد لا تفوته هاتان النعمتان: الصحة والفراغ بالموت، بل قد تفوته قبل أن يموت، فقد يمرض ويعجز، وقد ينشغل بأشياء أخرى حتى تفوته كثير من الطاعات، ولهذا ينبغي للإنسان العاقل أن ينتهز فرصة الصحة والفراغ بطاعة الله بقدر ما يستطيع، إن كان قارئاً للقرآن فليكثر، أو يكثر من ذكر الله، أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، أو يبذل لإخوانه كل ما يستطيع من معونة وإحسان، فكل هذه خيرات كثيرة تذهب علينا سدىً، فالإنسان العاقل هو الذي ينتهز هذه الفرصة، قال أحد الصالحين: الناس في غفلة، فإذا ماتوا انتبهوا!

وفي هذا دليل على أنّ نعم الله تتفاوت، وأن بعضها أكثر من بعض، وأكبر نعمة ينعم الله تعالى بها على العبد: نعمة الإسلام؛ التي أضلّ الله عنها كثيراً من الناس، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ثم ثانياً: نعمة العقل، فإذا رأيت مبتلى في عقله، يُسيء إلى نفسه وإلى أهله؛ حمدت الله. وثالثاً: نعمة الأمن في الأوطان، فإنها من أكبر النعم، ونضرب لكم مثلاً بما سبق عن آبائنا وأجدادنا من المخاوف العظيمة في هذه البلاد، حتى إننا نسمع أنهم كانوا إذا خرج الواحد منهم إلى صلاة الفجر؛ لا يخرج إلا مصطحباً سلاحه؛ لأنه يخشى أن يعتدي عليه أحد، ثم نضرب مثلاً في حرب الخليج التي مضت؛ كيف كان الناس خائفين! أصبح الناس يغلقون شبابيكهم بالشمع خوفاً من شيء متوهّم، وصار الناس في قلق عظيم، رابعاً: ومما أنعم الله به علينا، ولا سيما في هذه البلاد، رغد العيش؛ يأتينا من كل مكان، فعلينا أن نشكر الله ﷻ، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].



**[٩٨]** عن عائشة ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هٰذَا يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلَا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وفي رواية: «**خُذُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا**».

عائشة ﵂، من أعلم الناس بحال النبي ﷺ فيما يصنعه في السر؛ أي في بيته، وكذلك نساؤه، ولهذا كان كبار الصحابة يأتون إلى نساء النبي يسألونهن عما كان يصنع في بيته، فكان يقوم حتى تتورم قدماه؛ أي يتحجر الدم فيها وتنشق، وقد قام معه شباب من الصحابة ولكنهم تعبوا، فابن مسعود ﵁ يقول: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، فقام طويلاً حتى هممت بأمر سوء، قالوا: بما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأدعه، أي يجلس؛ لعجزه عن أن يصبر كما صبر النبي ﷺ، وكذلك حذيفة بن اليمان رضي الله عليه وسلم قام معه ذات ليلة فقرأ النبي "البقرة" و"النساء" و"آل عمران"، الجميع خمسة أجزاء وربع تقريباً، يقول حذيفة: كلما أتت آية رحمة سأل، وكلما أتت آية تسبيح سبح، وكلما أتت آية وعيد تعوذ، وهكذا، فإذا أطال القراءة أطال الركوع والسجود أيضاً، فإذا كان يقوم في ليلة من ليالي الشتاء وهي اثنتا عشرة ساعة، كان يقوم أدنى من ثلثي الليل؛ فلنقل إنه يقوم سبع ساعات تقريباً وهو يصلي! تصور ماذا يكون حاله؟ وفي هذا دليل على أن الإنسان كلما أزداد في طاعة ربه فقد ازداد شكراً له؛ وليس الشكر بأن يقول الإنسان بلسانه: أشكر الله، أحمد الله؛ لكن الكلام هنا على الشكر الفعلي، بأن يقوم الإنسان بطاعة الله بقدر ما يستطيع، قال بعض العلماء: واعلم أن من خصائص الرسول ﷺ أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وبناءً عليه: فكل حديث يأتي بأن من فعل كذا غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فإنه حديث ضعيف، لأن هذا من خصائص الرسول ﷺ، أما "غُفر له ما تقدم من ذنبه"، فهذا كثير، لكن "ما تأخر"، هذا ليس إلا للرسول فقط، وهو من خصائصه، وهذه قاعدة عامة نافعة.



**[٩٩]** عن عائشة ﵂، أنها قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والمراد: العشر الأواخر مِنْ شهر رمضان، والمِئْزَرُ: الإزار، وَهُوَ كناية عن اعتزالِ النساءِ وتَشْمِيرُهُ لِعِبَادةِ. في هذا الحديث: الجِدُّ والاجتهاد في العبادة، خصوصاً في الأوقات الفاضلة، واغتنام صالح العمل في العشر الأواخر من رمضان؛ لأنَّ فيها ليلة خير من ألف شهر، فهذه الليلة يُقدّر الله فيها ما يكون في تلك السنة.

**[١٠٠]** عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِالله وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرُ الله وَمَا شَاءَ فَعَلَ؛ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**». رواه مسلم.

المؤمنُ القويّ، هو من يقوم بالأوامر ويترك النواهي بقوة ونشاط، ويصبر على مخالطة الناس ودعوتهم، ويصبر على أذاهم، وليس المراد القوي في بدنه؛ لأن قوة البدن قد تكون ضرراً على الإنسان، إذا استعمل هذه القوة في معصية الله، لكن القوة في قوله: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ**»، تعني قوة الإيمان، يقوم بما أوجب الله عليه مع الخالق والخلق، وفي أهله ومجتمعه، ثم قال: «**وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ**»، لئلا يتوهم أحد من الناس أن المؤمن الضعيف لا خير فيه، وهذا الأسلوب يسميه البلاغيون: الاحتراز، وهو أن يتكلم الإنسان كلاماً يوهم معنى لا يقصده، ومثال ذلك في القرآن قوله ﷻ: ﴿**لَا يَسْتَوِي مِنكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى**﴾ [الحديد: ١٠]، وحتى لا يُتوهّم أن الآخرين ليس لهم حظ، لكن قال: ﴿**وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى**﴾.

ثم قال: «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ**»، أي على كل شيء ينفعك سواء في الدين أو في الدنيا، هذه وصية من الرسول لأمته، وهي وصية جامعة مانعة، يعني اجتهد في تحصيله ومباشرته، وضده الذي فيه ضرر، وذلك لأن الأفعال تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم ينفع الإنسان، وقسم يضرّه، وقسم لا ينفع ولا يضرّ، وما أكثر الذين يضيّعون أوقاتهم اليوم في غير فائدة، بل في مضرة على أنفسهم وعلى دينهم، وعلى هذا، فيجدر بنا أن نقول لمثل هؤلاء: إنكم لم تعملوا بوصية النبي ﷺ؛ إما جهلاً منكم وإما تهاوناً، لكن المؤمن العاقل هو الذي يقبل هذه النصيحة، ويحرص على ما ينفعه في دينه ودنياه، وهذا حديث عظيم ينبغي للإنسان أن يجعله نبراساً له في عمله الديني والدنيوي .

وقوله ﷺ: «**وَاسْتَعِنْ بِالله**»: ما أروع هذه الكلمة، لأن الإنسان ربما تغرّه نفسه حتى يعتمد على نفسه وينسى الاستعانة بالله، وهذا يقع لكثير من الناس، حيث يُعجب بنفسه ولا يذكر الله ولا يستعين به، فلا تنس الاستعانة بالله ولو على الشيء اليسير، وفي الحديث: «**لِيَسْأَلْ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ حَاجَتَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ المِلْحَ، وَحَتَّى يَسْأَلَهُ شِسَعِ نَعْلِهِ إِذَا انْقَطَعَ**»، يعني خيط الحذاء! حتى الشيء اليسير لا تنس الاستعانة بالله ﷻ.

ثم قال: «**وَلَا تَعْجَزْ**»، يعني استمر في العمل ولا تعجز وتتأخر وتقول: إن الوقت طويل والشغل كثير، وهذا الحديث في الحقيقة يحتاج إلى مجلدات يتكلم فيها الإنسان؛ لأن له من الصور والمسائل ما لا يحصى، منها مثلاً: رجل يشرع في قراءة كتاب يرى أن فيه فائدة عظيمة، ثم بعد أسبوع أو شهر يملّ، وينتقل إلى كتاب آخر، هذا نقول عنه: إنه استعان بالله وحرص على ما ينفعه ولكنه عجز، كيف عجز؟ بكونه لم يستمر، ولذا تجد هذا الرجل يمضي عليه الوقت ولم يحصل شيئاً؛ لأنه أحياناً يقرأ في هذا، وأحياناً في هذا، حتى في المسألة الجزئية؛ تجد بعض الطلبة مثلاً يتصفح الكتاب، يبحث عن هذه المسألة، فيعرض له مسألة أخرى يقف عندها، ثم مسألة ثانية، فيقف عندها، ثم ثالثة، ثم يضيع الأصل الذي

فتح الكتاب من أجله، فيضيع عليه الوقت، وهذا ما يقع كثيراً، في مثل فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، والأصل أن تتابع السؤال الذي فتحت الكتاب من أجله.

ثم قال ﷺ: «**وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا**»، يعني بعد أن تحرص وتبذل الجهد، وتستعين بالله، وتستمر، ثم يخرج الأمر على خلاف ما تريد، ونضرب مثالاً لذلك: إذا سافر رجل، ولكنه في أثناء الطريق تعطلت السيارة، ثم رجع فقال: لو أني أخذت السيارة الأخرى لكان أحسن، ولما حصل هذا العطل، نقول: لا تقل هكذا؛ لأنك أنت بذلت الجهد، ولو كان الله أراد أن تبلغ هذا السفر ليسّره لك، ولكن الله لم يرد ذلك.

ثم قال: «**فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»، أي تفتح عليك الوساوس والأحزان والندم والهموم، فلا تقل هكذا، لأنه لا يمكن أن يتغير عما وقع، وهذا أمر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل أن تخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ولهذا قال: «**وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرُ اللهِ**»، أي هذا قدر الله وقضاؤه، ولكن يجب أن نعلم أنه ﷻ لا يفعل شيئاً إلا لحكمة خفيت علينا أو ظهرت لنا، وكم من شيء كره الإنسان وقوعه، فصار في العاقبة خيراً له، كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]. ولقد جرت حوادث كثيرة تدل على هذه الآية، فأنت إذا بذلت الجهد واستعنت بالله، وصار الأمر على خلاف ما تريد، لا تندم، ولا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا، إذا قلت هذا انفتح عليك من الوساوس والندم والأحزان ما يكدر عليك عيشتك، فقد انتهى الأمر وراح، وعليك أن تسلم الأمر لله، قل: قدر الله وما شاء فعل.

فإذا قال قائل: كيف أحتج بالقدر؟ كيف أقول: قدر الله وما شاء فعل؟ الجواب: الاحتجاج بالقدر في موضعه لا بأس به، ولكن الاحتجاج بالقدر على الاستمرار في المعصية هذا حرام لا يجوز، لأن الله قال: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾

[الأنعام: ١٤٨]، فالاحتجاج بالقدر ممنوع إذا أراد الإنسان أن يستمر على المعصية ليدفع اللوم عن نفسه، نقول مثلاً: يا فلان، صل مع الجماعة، فيقول: والله لو هداني الله لصليت! يا فلان، أقلع عن الدخان، يقول لو هداني الله لأقلعت! لكن إن وقع الإنسان في خطأ وتاب وندم وقال: إن هذا الشيء مقدّر عليّ، ولكن أستغفر الله وأتوب إليه؛ نقول هذا صحيح.



**[١٠١]** وعنهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: حُفَّتْ بدل حُجِبَتْ وَهُوَ بمعناه، والشهوات: هي ما تميل إليه النفس، من غير تعقل ولا تبصر، ولا مراعاة لدين، ولا مراعاة لمروءة، فالزنى شهوة الفرج، تميل إليها النفس كثيراً، فإذا هتك الإنسان هذا الحجاب، فإنه سيكون سبباً لدخوله النار، وكذلك شرب الخمر، تهواه النفس وتميل إليه، ولهذا جعل الشارع له عقوبة رادعة بالجلد، وكذلك حب المال؛ شهوة من شهوات النفس، فإذا سرق الإنسان بدافع شهوة حب جمع المال، فقد هتك هذا الحجاب؛ فيصل إلى النار، ومن ذلك الغش من أجل أن يزيد ثمن السلعة، هذا تهواه النفس، فيفعله الإنسان، والاستطالة على الناس والعلو والترفع عليهم، كل إنسان يحب هذا، وتهواه النفس، فإذا فعله الإنسان فقد هتك الحجاب الذي بينه وبين النار، فيصل إلى النار، ولكن ما دواء هذه الشهوة التي تميل إليها النفس، دواؤها ما بعدها، قال: «**وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ**»، أو «**حُفَّتْ**»، يعني أحيطت بما تكرهه النفوس؛ فإذا تجاوز الإنسان هذا المكروه، فحينئذ يصل إلى الجنة. ولهذا تجد الإنسان يستثقل الصلوات، ولا سيما في أيام الشتاء وأيام البرد، ولا سيما إذا كان في الإنسان نوم كثير، بعد تعب وجهد، فتجد الصلاة ثقيلة عليه، ويكره أن يقوم ويترك الفراش اللين

الدافئ، ولكن إن هو كسر هذا الحاجب، وقام بهذا المكروه؛ وصل إلى الجنة، إن تجنب هذه الشهوة، فهذا كرهٌ له؛ ولكن هو الذي يوصله إلى الجنة؛ لأن الجنة حفت بالمكاره، وأيضاً، الجهاد في سبيل الله، مكروه إلى النفس، فإذا كسر الإنسان هذا المكروه وصل إلى الجنة، كذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، شديد على النفوس، شاق عليها، وكل إنسان يتهاون فيه ويكرهه، يقول: ما عليّ بالناس؟ أتعب نفسي معهم، وأتعبهم معي؟! ولكنه إذا كسر هذا المكروه؛ فإن هذا سبب لدخول الجنة، كل الأشياء التي أمر الله بها مكروهة للنفوس، لكن أكره على ترك هذه المحرمات، فهذا من أسباب دخول الجنة، فلو أن رجلاً شاباً أعزب، في بلاد كفر وحرية فيها يفعل الإنسان ما شاء، وأمامه من النساء الجميلات فتيات شابات وهو شاب أعزب، فلا شك أنه سيعاني مشقة عظيمة في ترك الزنى؛ لأنه متيسر له، وأسبابه كثيرة، لكن إذا أكره نفسه على تركها، صار هذا سبباً لدخول الجنة، فجاهد نفسك على ما يحب الله وإن كرهت، واعلم إذا أكرهتَ نفسك على طاعة الله؛ أحببت الطاعة وألفتها. ونجد بعض الناس يكره أن يصلي مع الجماعة، لكن إذا به بعد فترة يألفها، ولو تأمره ألا يصلي لا يطيعك.



**[١٠٢]** عن أبي عبد الله حذيفة بن اليمان ﷺ، قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلًا: إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**»، ثُمَّ قَامَ قِيَامًا طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم.

ذات ليلة: ليلة من الليالي، وكان النبي ﷺ يصلي في الليل وحده، لأن صلاة الليل لا تشرع فيها الجماعة إلا في رمضان، لكن لا بأس أن تقام الجماعة فيها أحياناً كما في هذا الحديث، فيكون هذا القيام روضة من رياض الذكر وقراءة وتسبيحاً ودعاءً وتفكراً، والنبي ﷺ في هذا كله لم يركع، فهذه السور الثلاث: البقرة والنساء وآل عمران؛ أكثر من خمسة أجزاء وربع، إذا كان الإنسان يقرؤها بترسّل؛ كم تكون المدة؟ لا شك أنها تكون طويلة، ولهذا كان ﷺ يقوم حتى تتورم قدماه وتتفطر، حتى إن ابن مسعود وهو شاب، لما صلى معه ليلة من الليالي، يقول: حتى هممت بأمر سوء، قالوا: بم هممت؟ قال: هممت أن أجلس وأدعه، وذلك من طول القيام، ثم أنه أطال القيام بعد الركوع، ثم سجد وأطال السجود، وأطال الجلوس الذي بين السجدتين، وهكذا كان يصلي، فيجعل الصلاة متناسبة؛ في الفرض وفي النفل.

وفي هذا الحديث عدة فوائد:

أن النبي ﷺ كان يعمل عمل المجاهد؛ فيجاهد نفسه على الطاعة.

ومنها: جواز إقامة الجماعة في صلاة الليل، لكن هذا ليس دائماً، إنما يفعل أحياناً في غير رمضان، أما في رمضان فإن من السنة أن يقوم الناس في جماعة.

ومنها: أنه ينبغي للإنسان في صلاة الليل إذا مرّ بآية رحمة أن يقف ويسأل، مثل لو مرّ بذكر الجنة يقف ويقول: اللهم اجعلني من أهلها، وإذا مرّ وعيد يقف يقول: أعوذ بالله من ذلك، أعوذ بالله من النار، وإذا مرّ بآية تسبيح، يعني تعظيم لله؛ يقف ويسبح الله ويعظمه؛ هذا في صلاة الليل، أما صلاة الفريضة فلا بأس أن يفعل هذا، ولكنه ليس بسنة.

ومنها: جواز تقديم السور بعضها على بعض، فإن النبي ﷺ قدم سورة النساء على سورة آل عمران، وفي هذا الحديث: فضلُ تطويل صلاة الليل، قال الله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر:٩].



**[١٠٣]** عن ابن مسعود ﷺ قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَأَطَالَ الْقِيَامَ حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ! قِيلَ: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني أجلس وأدعه قائماً؛ وذلك بسبب التعب، مع أنه شاب، والنبي ﷺ لم يتعب، لأنه كان أشد الناس عبادة لله، ولكن اعلم أنك إذا أطلت القيام؛ فإن السنة أن تطيل الركوع، والسجود، والجلوس بين السجدتين، والقيام بعد الركوع، فإن من سنة الرسول ﷺ أنه كان يجعل صلاته متناسبة.

**[١٠٤]** عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ، قال: «**يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وما أعجب الحياة الدنيا، وما أخسّها، وما أدناها، يتولى دفنك من أنت أحب الناس إليه، يدفنوك، ويبعدونك عنهم، ولو أنهم أعطوا أجرة على أن تبقى جسداً بينهم ما رضوا بذلك! وفي هذا الحديث دليل على أن الدنيا تزول، المال والبنون زينة الحياة الدنيا ترجع، من الذي يبقى؟ العمل فقط، فعليك يا أخي أن تحرص على مراعاة هذا الصاحب الذي يبقى ولا ينصرف مع من ينصرف، وعليك أن تحافظ على ما يؤنسك في قبرك إذا انفردت به عن الأحباب والأهل والأولاد، وهذا يوجب مجاهدة النفس على الأعمال الصالحة.



**[١٠٥]** عن ابن مسعود ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ**». رواه البخاري.

وشراك النعل: هو السير أو الخيط والحبل الذي يكون على ظهر القدم ويُشدّ به الحذاء، وهو قريب من الإنسان جداً، ويضرب به المثل في القرب، وذلك لأنه قد يتكلم الإنسان بالكلمة الواحدة من رضوان الله لا يظن أنها تبلغ ما بلغت، فإذا هي توصله إلى

جنة النعيم، ومع ذلك فإن الحديث أعمّ من هذا؛ فإن كثرة الطاعات واجتناب المحرمات من أسباب دخول الجنة، وهو سهل ويسير، فأنت تجد المؤمن الذي شرح الله صدره للإسلام يصلي براحة، وطمأنينة، وانشراح صدر، ومحبة للصلاة، ويزكي ويصوم كذلك، ويحج، ويفعل الخير، فهو يسير عليه، سهل قريب منه، وتجده يتجنب ما حرمه الله عليه من الأقوال والأفعال، وهو يسير عليه أيضاً، وأما من قد ضاق بالإسلام ذرعاً، صار ثقيلاً عليه، يستثقل الطاعات، ويستثقل اجتناب المحرمات، ولا تصير الجنة أقرب إليه من شرك نعله، والنار مثل ذلك، ألم تروا إلى قصة المنافقين في غزوة تبوك، كانوا يتحدثون فيما بينهم، يقولون: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب السناً، ولا أجبن عند اللقاء؛ يعنون بذلك النبي وأصحابه، يعني أنهم واسعوا البطون من كثرة الأكل، وليس لهم هم إلا الأكل، ويتكلمون بالكذب، وأنهم يخافون لقاء العدو، وإذا تأملت وجدت أن هذا ينطبق على المنافقين تماماً.



**[١٠٦]** عن أبي فراس ربيعة بن كعب خادم رسول الله ﷺ، ومن أهل الصُّفَّةِ، قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَع رَسُولِ الله ﷺ فَآتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ: «**سَلْنِي**»، فقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ، فَقَالَ: «**أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟**» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**». رواه مسلم.

وأهل الصُّفَّةِ رجال هاجروا إلى المدينة، وليس لهم مأوى، فوطنهم النبي ﷺ في ناحية المسجد النبوي، وكانوا أحياناً يبلغون الثمانين، وأحياناً دون ذلك، وكان الصحابة يأتونهم بالطعام واللبن وغيره، مما يتصدقون به عليهم، فكان ربيعة بن كعب يخدم النبي ﷺ، وكان يأتيه بوضوئه وحاجته (الوَضوء بالفتح: الماء الذي يتوضأ به، والوُضوء بالضم: فعل الوضوء)، فقال له ذات يوم: سلني؟ يعني: اسأل ما بدا لك؟ من أجل أن

يكافئه النبي ﷺ على خدمته إياه؛ وقد يتوقع الإنسان أن هذا الرجل سيسأل مالاً، ولكن همّته كانت عالية؛ قال: أسألك مرافقتك في الجنة، ولا أسال إلا ذاك، قال النبي ﷺ: فأعني على نفسك بكثرة السجود، يعني كثرة الصلاة، وهذا هو الشاهد؛ وذكر السجود من دون غيره، لأن السجود أفضل هيئة للمصلي، فإن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، واختلف أهل العلم: هل الأفضل إطالة القيام أم إطالة الركوع والسجود؟ والصحيح أن الأفضل أن تكون الصلاة متناسبة بين هذه الأركان، وفي هذا دليل على أن الصلاة مهما أكثرت منها فهو خير، وفي الحديث دليل على جواز استخدام الغير، فلو قلت لصاحب المنزل: أعطني ماء، صب لي فنجان قهوة، فلا بأس، لأن هذا يعدّ من تمام الضيافة، وفيه دليل أيضاً على أن الرسول ﷺ لا يملك أن يُدخل أحداً الجنة.



**[١٠٧]** عن أبي عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ لله سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**». رواه مسلم.

عليك: يعني اِلزَمْ كثرة السجود، وهذا كالحديث السابق، ثم بيّن النبي ﷺ ماذا يحصل للإنسان من الأجر فيما إذا سجد؛ أن الله يرفعه بها درجة، يعني منزلة عنده وفي قلوب الناس، ويحط عنك بها خطيئة، وهو بذلك يحصل له الكمال. وسبب رواية ثوبان لهذا الحديث: أن معدان بن طلحة قال: أتيت ثوبان فقلت: أخبرني بعمل أعمل به يدخلني الله به الجنة؟ أو قال بأحب الأعمال إلى الله؟ فسكتَ، ثم سأله، فسكت، ثم سأله الثالثة، فقال: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ...**».



**[١٠٨]** عن أبي صفوان عبد الله بن بُسْرٍ الأسلمي رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، وفي بعض الروايات: «**وَشَرُّكُمْ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ**».

طول العمر من الله، وليس للإنسان فيه تصرف، وأما حسن العمل فإنه من عمل الإنسان، لأن الله تعالى جعل له عقلاً، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وأقام الحجة، فكل إنسان يستطيع أن يعمل عملاً صالحاً، والنبي ﷺ أخبر أن بعض الأعمال الصالحة سبب لطول العمر، وذلك مثل صلة الرحم؛ فهي من أسباب طول العمر، وفي هذا دليل على أن مجرد طول العمر ليس خيراً للإنسان إلا إذا أحسن عمله؛ لأنه أحياناً يكون طول العمر شراً للإنسان وضرراً عليه، كما قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [آل عمران: ١٧٨]، فهؤلاء يمدّهم بالرزق والصحة وطول العمر والبنين والزوجات، لا لخير لهم، ولكنه شر لهم ليزدادوا به إثماً، ومن ثم قال بعض العلماء: لا تقل: أطال الله بقاءك إلا مقيداً؛ قل: أطال الله بقاءك على طاعته؛ لأن طول البقاء قد يكون شراً للإنسان.



**[١٠٩]** عن أنس رضي الله عنه قال: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشركِينَ لَيُرِيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هٰؤُلَاءِ (يَعْنِي: أَصْحَابَهُ)، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هٰؤُلَاءِ (يَعْنِي: الْمُشْرِكِينَ)، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ الله مَا صَنَعَ! قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ

إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ، قَالَ أَنَسُ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] إِلَى آخِرِهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

"لَيُرِيَنَّ اللهُ": أي لَيُظْهِرَنَّ اللهُ ذلِكَ للنَّاس، وقوله: "الجَنَّةُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ"، هذا وجدان حقيقي، ليس تخيلاً أو توهماً، ولكن هذا الرجل شم رائحة الجنة قبل أن يستشهد، من أجل أن يُقدم ولا يُحجم، فقاتل فقُتل، ووجد فيه بضع وثمانون إصابة، ما بين ضربة سيف أو رمح أو سهم، حتى إنه قد تمزق جلده، فلم يعرفه أحد إلا أخته، ولا شك أن هذا وأمثاله، قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ففي هذا الحديث دليل على مجاهدة الإنسان نفسه على طاعة الله ورضاه.



**[١١٠]** عن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري ﷺ قال: لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَاءٍ، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هٰذَا! فَنَزَلَتْ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة:٧٩]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

نُحَامِلُ: أي يحمل أحدنا عَلَى ظهره بالأجرة ويتصدق بِهَا، وقوله: "لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ": كأنه يشير إلى قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، وكان تحصيله له بأن أجّر نفسه على النزع من البئر بصاعين من تمر، فذهب بصاع لأهله وتصدَّق بالآخر، وفي هذا: أنَّ العبد يتقرب إلى الله بجهده وطاقته، وحسب قدرته واستطاعته، والصدقة هي: أن يتبرع الإنسان بماله للفقراء ابتغاء وجه الله، وسميت صدقة لأن بذل المال لله دليل على صدق الإيمان بالله، فإن المال من الأمور المحبوبة للنفوس، قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]، جماً: أي كثيراً عظيماً، وحيث إن المحبوب لا يبذل إلا لمن هو أحب منه، والمنافقون هم الذين يظهرون خلاف ما

يبطنون، ويظهرون الشماتة بالمؤمنين دائماً، ويلمزون: يعني يعيبون، والمطوعين: هم المتطوعين المتصدقين الذين لا يجدون إلا جهدهم، أما حكم المسألة هذه؛ بأن القليل والكثير من الخير سيراه الإنسان ويجازى عليه، ولكن احرص على أن تكون نيتك خالصة لله .



**[١١١]** عن سعيد بن عبد العزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر جندب بن جُنادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى، أنه قال:

**«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ. يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَن كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ما نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا. يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ. يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».** وفي رواية: **«إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ وَعَلَى عِبَادِي فَلَا تَظَالَمُوا».**

قَالَ سعيد: كان أبو إدريس إذا حدَّث بهذا الحديث جَثا على رُكبتيه. رواه مسلم.

وروينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، قَالَ: "ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا

الحديث، هذا حديث عظيم، وهو من الأحاديث القدسية التي يرويها النبي ﷺ عن الله ﷻ، وقوله: «**فَاسْتَهْدُونِي، فَاسْتَطْعِمُونِي، فَاسْتَكْسُونِي، فَاسْتَغْفِرُونِي**»، أي اطلبوا مني ذلك، وهذا حثٌّ صريح من الله تعالى للإنسان المؤمن أن يدعو ربه، وأن الله تعالى يحب ذلك منه، وفيه: أن ما أصاب العبد من خير فمن فضل الله تعالى، وما أصابه من شر فمن نفسه وهواه.



## ١٢ - الازدياد من الخير في أواخر العمر

قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾[فاطر:٣٧]. والآية عامة، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، قال ابن عباس والمُحَقِّقُونَ: "أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً؟" وقيل: معناه ثماني عشرة سنة، وقيل: أربعين سنة، ونقلوا أن أهل المدينة كانوا إذا بلغ أَحدهم أربعين سنة تفرَّغ للعبادة، وقيل: هو البلوغ، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾، قال ابن عباس والجمهور: هو النَّبي ﷺ، وقيل: الشَّيبُ، وهذا توبيخ من الله تعالى لأهل النار، يقول: أَوَ مَا عشتم في الدنيا أعمارًا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم، قال قتادة: اعلموا أن طول العمر حجَّة، فنعوذ بالله أن نُعيَّر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ﴾، وأنَّ فيهم لابن ثماني عشرة سنة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: إذا كان يوم القيامة قيل: أين أبناء الستين؟ وهو العمر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ النَّذِيرُ﴾.

قال الشاعر: "إذا بلغ الفتى ستين عامًا / فقد ذهب المسرة والفتاء"

والشيب، نذير أيضًا؛ لأنه علامة لمفارقة سِنِّ الصبا الذي هو سِنُّ اللهو واللعب، ولهذا كان من الدعاء المأثور: اللهم اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه. وصح عن النبي ﷺ أن: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». فالذي ينبغي للإنسان كلما طال به العمر؛ أن يكثر من الأعمال الصالحة، كما أنه ينبغي للشباب أيضاً؛ لأن الإنسان لا يدري متى يموت، قد يموت في شبابه، لكن لا شك أن من تقدم به السن فهو إلى الموت أقرب من الشاب؛ لأنه أنهى العمر، وفي هذا دليل على أنه كلما طال بالإنسان العمر، كان أولى بالتذكر، وأما قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾، فالصحيح أن المراد بالنذير: النبي ﷺ، وهو يشمل الرسل الذين من قبله، كلهم نذر، فالواجب على الإنسان أن يحرص في آخر عمره على الإكثار من طاعة الله، وأن يكثر من الاستغفار والحمد.



**[١١٢]** وأما الأحاديث فالأول: عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**أَعْذَرَ اللهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ حَتَّى بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً**». رواه البخاري.

قَالَ العلماء: معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذراً إِذْ أمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ، والمعنى: أنَّ الله تعالى لم يُبْقِ للعبد اعتذارًا، كأن يقول: لو مُدَّ لي في الأجل لفعلت كذا وكذا! فإذا عاش الإنسان حتى بلغ ستين سنة، فقد أقام عليه الحجة، ولا سيما إذا كان ناشئاً في بلد إسلامي، لأنه لا عذر له، فلو أنه مثلاً قصر في عمره إلى خمس عشرة سنة، أو عشرين سنة، لكان قد يكون له عذر في أنه لم يُمهل مع أن الحجة تقوم على الإنسان من حين أن يبلغ، فإنه يدخل في التكليف ولا يعذر بالجهل، فإذا أراد أن يتوضأ لابد أن يعرف كيف يتوضأ، وإذا أراد أن يصلي لابد أن يعرف كيف يصلي، وكذلك الزكاة والصوم والحج وباقي العبادات والمعاملات، وفي هذا الحديث دليل على أن الله أعطى الناس عقولاً وأفهاماً، وأرسل إليهم رسلاً، وآيات الأنبياء والرسل تموت بموتهم، ولا تبقى إلا ذكرى، أما محمد ﷺ فإن آيته هذا القرآن العظيم، باقية إلى يوم القيامة، لكن الذي يجعلنا نحس بهذه الآيات العظيمة، أن نقرأ القرآن على وجه التدبر، وأن نتعظ بما فيه، وأكثر المسلمين في هذا الزمان يتلون القرآن للتبرك والأجر فقط، وقد نتج عن هذا تعطيل الأحكام الشرعية.



**[١١٦]** عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيهِ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: تحريضٌ للإِنسان على حسن العمل، والاستعداد للموت في سائر الأحوال، والإخلاص لله تعالى في الأقوال والأعمال، ليموت على تلك الحالة الحميدة فيُبعث كذلك.



## ١٣ - كثرة طُرق الخير

قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥]، فيجزيكم عليه، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ﴾ [البقرة:١٩٧]، فلا يُضيِّعه. قال سعيد بن جبير: كان المسلمون يَرَوْن أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يَرون أنْ لا يُلامون على الذنب اليسير: الكذبة، والنظرة، والغيبة، وأشباهها، فنزلت: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وكقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

وأصول طرق الخير ثلاثة: إما جهد بدني، وإما بذل مالي، وإما مركب من هذا وهذا. أما الجهد البدني فهو أعمال البدن؛ مثل الصلاة، والصيام، والجهاد، وأما البذل المالي فمثل الزكاة والصدقات والنفقات، وأما المركب: فمثل الجهاد في سبيل الله بالسلاح والمال والنفس، ولكن أنواع هذه الأصول كثيرة جداً، من أجل أن تتنوع للعباد حتى لا يملوا، ويسأموا، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨»، وهذا يدل على أن الخيرات ليست خيراً واحداً، بل طرق كثيرة. ويدل لما قلنا، إن من الناس من تجده يألف الصلاة، فتجده كثير الصلوات، ومنهم من يألف قراءة القرآن، فتجده كثيراً يقرأ القرآن، ومنهم من يألف الذكر، والتسبيح، والتحميد، وما أشبه ذلك، فتجده يفعل ذلك كثيراً، ومنهم من يحب بذل المال فتجده دائماً يتصدق وينفق على أهله، ومنهم من يرغب العلم وطلب العلم، الذي هو في وقتنا هذا قد يكون أفضل أعمال البدن؛ لأن الناس في الوقت الحاضر محتاجون إلى العلم الشرعي، لغلبة الجهل، وكثرة المتعالمين الذين يدّعون أنهم علماء، وليس عندهم من العلم إلا بضاعة مزجاة، وقد نشروا الفوضى في القرى والبلدان والمدن. وقد

جاءنا استفتاء عن شخص يقول: من صلى في مساجد البلد الفلاني فإنها لا تصح صلاته، لأن الذين تبرعوا لهذه المساجد فيهم كذا وكذا، ومن صلى على حسب الأذان، فإنه لا تصح صلاته، لماذا؟! لأنه مبني على توقيت وليس على رؤية الشمس، وهذه بلبلة، والرسول ﷺ يقول: «**وَقْتُ الظُّهْرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسِ وَكَانَ ظِلُّ الرَّجُلِ كَطُولِهِ مَا لَمْ يَحْضُرِ العَصْرُ**»، أما الآن؛ فالأوقات مكتوبة في أوراق، والناس يمشون عليها، هل هؤلاء كلهم لا تصح صلاتهم؟! يعني كل المسلمين على زعمه لا تصح صلاتهم.

**[١١٧]** عن أبي ذر جُنْدبِ بنِ جُنَادَةَ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِالله وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**»، قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا**»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: «**تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لأَخْرَقَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟ قَالَ: «**تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الصَّانِعُ: هَذَا هُوَ المشهور، وروي: ضائعاً: أي ذا ضِياع مِنْ فقرٍ أو عيالٍ، وَالأَخْرَقُ: الَّذِي لا يُتقِنُ مَا يُحَاوِل فِعلهُ، وفي هذا الحديث بيان كثرة طرق الخير، وإن الإنسان إذا عجز عن خصلة من خصال الخير قدر على الأُخرى، فإذا عجز عن ذلك كفَّ شرَّه عن الناس، وما لا يُدرك كلُّه لا يترك جُلُّه، والصحابة رضي الله عنهم يسألون النبي ﷺ عن أفضل الأعمال من أجل أن يقوموا بها، وليسوا كمن بعدهم، ربما يسألون ولكن لا يعملون!



**[١١٨]** عن أبي ذر أيضاً رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكبِيرَةٍ**

**صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، ونَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذٰلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُما مِنَ الضُّحَى**». رواه مسلم.

السُّلامَى: هي مفاصل العظام.

قالوا: والبدن فيه ثلاثمائة وستون مفصلاً، ما بين صغير وكبير، فيصبح على كل إنسان كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة، ولكن هذا الصدقات ليست صدقات مالية، بل هي عامة في كل أبواب الخير، وحينئذ تكثر الصدقات، وفيه أيضاً دليل على أن ركعتي الضحى سُنّة كل يوم، يبتدئ وقتها مع ارتفاع الشمس قدر رمح، يعني حوالي ربع إلى ثلث ساعة بعد طلوع الشمس، إلى قبل الزوال بعشر دقائق، لكن الأفضل أن تكون في آخر الوقت، كما يُستحب أن تؤخّر صلاة العشاء إلى آخر الوقت، إلا مع المشقة.



**[١١٩]** وعَنْهُ، قال: قال النبيُّ ﷺ:«**عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعمالِهَا النُّخَاعَةُ تَكُونُ فِي المَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ**». رواه مسلم.

والأذى: ما يؤذي المارة؛ من شوك وأعواد وأحجار وزجاج وأوساخ وغير ذلك، وبالمقابل فإن وضع الأذى في طريق المسلمين من مساوئ الأعمال، فهؤلاء الناس الذين يلقون القشور في الأسواق، في ممرات الناس؛ لاشك أنهم آثمون، قال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا**﴾[الأحزاب: ٥٨]. قال العلماء: لو زلق به حيوان أو إنسان فانكسر، فعليه ضمانه بالدية أو بما دونها، ومن ذلك أيضاً ما يفعله بعض الناس من إراقة المياه في الأسواق فتؤذي الناس، وربما السيارات تمر عليها فتفسد على الإنسان ثيابه، ومع الأسف الشديد، ونحن أمة مسلمة لا تبالي بهذه الأمور، ولا نهتم، وكأنها لا شيء، النخاعة كذلك، تكون في المسجد لا تدفن؛ لأن المسجد

في عهد الرسول ﷺ مفروش بالتراب والحصى، أما عندنا الآن فإنها تحك بالمنديل حتى تذهب، ومن تنخع في المسجد فقد أثم، لقول النبي ﷺ: «**البِصَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ**»، فما بالك بما هو أعظم منها، مثل ما كان فيما مضى، حيث يدخل الإنسان المسجد بحذائه ويكون فيها الروث، وبعض الناس تكون معه المناديل الخفيفة، ثم يتنخع فيها ويرمي بها في أرض المسجد، هذا أذى، ولا شك أن النفوس تتقزّز إذا رأت مثل ذلك، فكيف إذا كان ذلك في بيت من بيوت الله، فإذا تنخعت في منديل فضعه في جيبك حتى تخرج فترمي به في سلة المهملات لئلا تؤذي به أحداً.

**[١٢٠]** وعَنْهُ: أَنَّ نَاسًا قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «**أَوَلَيسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ: إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «**أَرَأَيتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذٰلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**». رواه مسلم.

الدُّثُورُ: الأموال، يعني استأثروا بالأجور وأخذوها عنّا. وليسوا يقولون: عندهم أموال كثيرة يركبون بها السيارات الفخمة، ويسكنون القصور العظيمة، ويلبسون الثياب الجميلة؛ فهم اشتكوا إلى الرسول ﷺ شكوى غبطة لا شكوى حسد ولا اعتراض على الله، وفي هذا الحديث تنبيه على ما يسميه الفقهاء قياس العكس: هو أنه وضع شهوته في حلال، نقيض هذه العلة: إذا وضع شهوته في حرام، فإنه يعاقب على ذلك.



**[١٢١]** وَعَنْهُ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ**». رواه مسلم.



**[١٢٣]** وَعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ غَدَا إِلَى المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

غَدَا: أي ذهب أول النهار، وذلك مثل أن يذهب إلى المسجد لصلاة الفجر، أو رَاحَ: يطلق على بعد الزوال، مثل الذهاب إلى صلاة الظهر أو العصر، وقد يطلق على مجرد الذهاب، والنزل: ما يقدم للضيف من طعام ونحوه على وجه الإكرام، أي إن الله تعالى يُعدّ لهذا الرجل الذي ذهب إلى المسجد صباحاً أو مساءً، يعد له في الجنة هذه الضيافة، وفي هذا الحديث: فضل المشي إلى صلاة الجماعة في المسجد.



**[١٢٤]** وَعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الفرسِن: منَ البَعيرِ كالحَافِرِ مِنَ الدَّابَةِ، وهو شيء بسيط زهيد.

كما قال ﷺ: «**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**»، حتى المرق إذا أعطيته جيرانك فإنك تثاب على ذلك، كذلك قال ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ**»، لأن أخاك إذا واجهته بهذه المواجهة يدخل عليه السرور ويفرح، وكل شيء يدخل السرور على أخيك المسلم؛ فإنه خير وأجر، وكل شيء تغيظ به الكافر فإنه خير وأجر. قال الله تعالى: ﴿**وَلَا يَطَؤُونَ مَوْطِئًا يُغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ**﴾ [التوبة:١٢٠].



**[١٢٥]** وَعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

البِضْعُ: من ثلاثة إِلَى تسعة، وَالشُّعْبَةُ: القطعة، وشعب الإيمان: هي الأعمال الشرعية التي تتفرع عن أعمال القلب وأعمال اللسان، وأعمال البدن، فالإيمان ليس خصلة واحدة، أو شعبة واحدة، ولكنه شعب كثيرة؛ وأفضها كلمة واحدة وهي: لا إله إلا الله، هذه الكلمة لو وزنت بها السماوات والأرض لرجحت بها، لأنها كلمة الإخلاص والتوحيد، من كانت آخر كلامه من الدنيا دخل الجنة، والحياء: حالة نفسية تعتري الإنسان عند فعل ما يخجل منه، وهي صفة حميدة كانت خلق النبي ﷺ، إلا أنه لا يستحي من الحق، كما قال تعالى: ﴿**وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ**﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وضدّ ذلك من لا يستحي فلا يبالي بما فعل، ولا يبالي بما قال.



**[١٢٦]** وَعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هٰذَا الكَلْبُ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية للبخاري: «**فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، فَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ**»، وفي رواية لهما: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**».

المُوقُ: الخف، وَيُطِيفُ: يدور، حول بَرَكِيَّةٍ: وَهِي البئر، يأكل الثرى من العطش، يعني: يأكل الطين المبتل الرطب، من أجل أن يمصّ ما فيه من الماء من شدة عطشه،

والخف: ما يلبس على الرجل من جلود، فملأه ماء فأمسكه بفيه وجعل يصعد بيديه. نأخذ من هذه قاعدة، وهي أن الرسول ﷺ إذا قص علينا قصة من بني إسرائيل، فذلك من أجل أن نعتبر بها، وأن نأخذ منها عبرة، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]. وفي رواية أخرى، ولعلها قصة أخرى، أن امرأة بغياً من بغايا بني إسرائيل، يعني أنها تمارس الزنى، رأت كلباً يطوف بركية، يعني يدور عليها عطشان، لكن لا يمكن أن يصل إلى الماء؛ لأنها بركية بئر، فنزعت موقها، يعني الخف الذي تلبسه، استقت له به من هذا البئر، فغفر الله لها.

يدلّ هذا على أن البهائم فيها أجر، كل بهيمة أحسنت لها بسقي أو إطعام أو وقاية من حر أو وقاية من برد، سواء كانت لك أو لغيرك، أو كانت من السوائب، فإن لك في ذلك أجراً عند الله، هذا وهنّ بهائم؛ فكيف بالآدميين؟ كان ذلك أشدّ وأكثر أجراً، ولهذا قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَقَى مُسْلِمًا عَلَى ظَمَأٍ سَقَاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُومِ**». يعني لو كان ولدك الصغير وقف عند الثلاجة يقول لك: أريد ماء، وأسقيته وهو ظمآن، فقد سقيت مسلماً على ظمأ، فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم، ولكن! أين الذي يخلص النية؟ ويحتسب الأجر على الله؟ حتى تكون لك عند الله ذخراً يوم القيامة، فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً! وكم من عمل كبير أصبح بالغفلة صغيراً!



**[١٢٧]** وَعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي المُسْلِمِينَ**». رواه مسلم. وفي رواية: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَى ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هٰذَا عَنِ المُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ**». وفي رواية لهما: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**».

إزالة الأذى عن الطريق، والطريق هنا: الحسي وهو طريق الأقدام، ومعنوي: وهو طريق القلوب، والعمل على إزالة الأذى عن كلا الطريقين مما يقرب إلى الله، وسواء كان هذا الغصن من فوق، يؤذيهم من عند رؤوسهم، أو من أسفل يؤذيهم من جهة أرجلهم، المهم أنه أزاله عن الطريق، وأبعده ونحّاه، مع أن هذا الغصن إذا آذى المسلمين فإنما يؤذيهم في أبدانهم، ومع ذلك غفر الله لهذا الرجل، وأدخله الجنة، ففيه دليل على فضيلة إزالة الأذى عن الطريق، وأنه سبب لدخول الجنة، وفيه أيضاً دليل على أن الجنة موجودة الآن؛ لأن النبي ﷺ رأى هذا الرجل يتقلب فيها، وهذا أمر دلّ عليه الكتاب والسنة، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، أعدّت: يعني هُيئت، وهذا دليل على أنها موجودة الآن، كما أن النار أيضاً موجودة الآن، خلقهما الله تعالى للبقاء، لا فناء لهما، ومن دخلهما لا يفنى أيضاً.

وهذا الحديث دليل على أن من أزال عن المسلمين الأذى فَلَه هذا الثواب العظيم في أمر حسّيّ، فكيف بالأمر المعنوي؟ هناك بعض الناس أهل شرّ وبلاء، وأفكار خبيثة سيئة إلحادية، وأخلاق رديئة، يصدّون الناس عن دين الله، فإزالة هؤلاء عن طريق المسلمين أفضل بكثير وأعظم أجراً عند الله، وإلا قطعت أعناقهم، لأن الله يقول في كتابه العزيز: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، و(أو) هنا قال بعض العلماء: إنها للتنويع، يعني أنهم يقتلون أو يصلبون أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض حسب جريمتهم، وقيل: إن (أو) هنا للتخيير، أي إن ولي الأمر مخيّر: إن شاء قتلهم وصلبهم، وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وإن شاء نفاهم من الأرض، حسب ما يرى فيه المصلحة، وهذا القول قول جيد جداً؛ أعني أن تكون (أو) هنا للتخيير لأنه ربما يكون هذا

الإنسان جرمه سهل، ولكنه على المدى البعيد يكون صعباً، وربما نقول لولي الأمر انفِه من الأرض، أو اقطع يده اليمنى ورجله اليسرى، قد يقول: لا يكفي المسلمين شرّه إلا أن أقتله؛ نقول: نعم لك ذلك، فكون (أو) هنا للتخيير أقرب للصواب، ولكن لا شك أن ولاة الأمور في بعضهم تقصير، يتهاونون بالأمر في أوله حتى ينمو ويزداد، وحينئذ يعجزون عن صده حتى لا ينتشر بين الناس .



**[١٢٨]** وَعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا**». رواه مسلم.

وهذا عمل يسير ليس فيه مشقة على الإنسان؛ أن يتوضأ ويحضر إلى الجمعة، وينصت لخطبة الإمام حتى يفرغ، وقوله في هذا الحديث: من توضأ، لا يعارض ما ثبت في الصحيحين وغيرهما، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**غُسْلُ الجُمْعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**»، فيجب أولاً على من أراد حضور الجمعة أن يغتسل وجوباً، فإن لم يفعل كان آثماً، ولكن الجمعة تصح، لأن هذا الغسل ليس عن جنابة حتى نقول إن الجمعة لا تصح؛ بل هو غسل واجب كغيره من الوجبات، إذا تركه الإنسان أثم وإن فعله أثيب، فالحاصل أن هذا الحديث الذي ساقه المؤلف، وإن كان يدل على عدم وجوب الاغتسال؛ لكن هناك أحاديث أخرى تدل على وجوب الاغتسال.

ومعنى لَغا: أي فاته أجر الجمعة، والمسألة خطيرة، ولهذا قال هنا: « **وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا**»، وقد كان في عهد الرسول ﷺ يُفرش المسجد بالحصى الصغار، فكان بعض الناس ربما يعبث بها، يحركها بيده، لأن ذلك يلهيه عن الاستماع للخطبة، ومن لغا فلا جمعة له، يعني يُحرم ثواب الجمعة، ويُقاس على ذلك الذي يعبث بتحريك القلم، أو الهاتف، أو الساعة، أو المروحة أو الذي يعبث بالسواك، وقد سئلنا عن الرجل يكتب ما يستمعه في

الخطبة؛ لأن بعض الناس ينسى فيقول: أنا كلما سمعت جملة مفيدة أكتبها، هل يجوز أم لا؟ فالظاهر أنه لا يجوز، والآن قد جعل الله للناس هذه المسجلات وتستمع إليها في بيتك، أو في سيارتك، على أي وضع كنت .

**[١٢٩]** وَعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ الْمُسْلِمُ، أَوِ الْمُؤْمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنِهِ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَة كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الْمَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ الْمَاء أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الْمَاءِ حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ**». رواه مسلم.

هذا الوضوء تطهر فيه الأعضاء الأربعة؛ الوجه، واليدان، والرأس، والرجلان، وهذا التطهير يكون تطهيراً حسياً، ويكون تطهيراً معنوياً، أما كونه تطهيراً حسياً فظاهر؛ لأن الإنسان يغسل وجهه ويديه ورجليه، ولكن الله خفف في الرأس؛ فلو غسل الرأس ولا سيما إذا كان فيه الشعر؛ لكان في هذه مشقة على الناس، ولا سيما في أيام الشتاء، وهو يدل على كمال الإسلام؛ حيث فرض على معتنقيه أن يطهروا هذه الأعضاء التي هي غالباً ظاهرة بارزة، أما الطهارة المعنوية، فهي تطهيره من الذنوب، فإذا غسل وجهه، خرجت كل خطايا نظر إليها بعينه، وذكر العين إنما هو على سبيل التمثيل، وإلا فالأنف قد يخطئ، والفم قد يخطئ، فإذا غسل هذه الأعضاء خرجت خطاياه حتى يكون نقياً من الذنوب، ولهذا قال الله تعالى حين ذكر الوضوء والغسل والتيمم: ﴿**مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾، يعني ظاهراً وباطناً، حسياً ومعنوياً، ﴿**وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة: ٦]، فينبغي على الإنسان إذا توضأ أن يستشعر هذا المعنى، أي أن وضوءه يكون تكفيراً لخطاياه، حتى يكون محتسباً الأجر على الله.



**[١٣٠]** وَعَنْهُ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: سعة رحمة الله تعالى، وأنَّ المداومة على الفرائض تكفر الصغائر من الذنوب، قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**﴾ [النجم:٣٢].



**[١٣١]** وَعَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**»، قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ**». رواه مسلم.

وكبائر الذنوب هي: كل ذنب رتب عليه الشارع عقوبة خاصة، فكل ذنب لعن النبيُّ ﷺ فاعلَه فهو من كبائر الذنوب، كل شيء فيه حد في الدنيا كالزنى، أو وعيد في الآخرة كأكل الربا، أو فيه نفي إيمان، مثل: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»، أو فيه براءة منه، مثل: «**مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**». المعنى: أن الصلوات الخمس تكفّر ما بينها إلا الكبائر فلا تكفرها، وذلك لأن الكبائر لابد لها من توبة خاصة.

وهذه ثلاثة أشياء:

أولاً: إسباغ الوضوء على المكاره، يعني إتمامُ الوضوءِ وغَسْلُ ما يجبُ غسلُهُ جيداً من الأعضاءِ، مع وجودِ مشقَّةٍ كالبرد في أيام الشتاء؛ لأن أيام الشتاء يكون الماء فيها بارداً، فإذا أسبغ الإنسان وضوءه مع هذه المشقة، دل هذا على كمال الإيمان، فيرفع الله بذلك درجات العبد ويحط عنه خطيئته.

ثانياً: كثرة الخطا إلى المساجد، يعني أن يقصد الإنسان المساجد، وذلك في الصلوات الخمس، وكلما بعد المسجد عن البيت ازدادت حسنات الإنسان، فإن الإنسان إذا توضأ في

بيته ثم خرج منه إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة واحدة إلا رفع الله له بها درجة، وحط عنه بها خطيئة.

ثالثاً: انتظار الصلاة بعد الصلاة، يعني أن الإنسان كلما فرغ من صلاة، فقلبه متعلق بالصلاة الأخرى ينتظرها، فإن هذا يدل على إيمانه ومحبته وشوقه لهذه الصلوات العظيمة، فإن هذا مما يرفع الله به الدرجات، ويكفر به الخطايا، أما قوله: «**فَذَٰلِكُمُ الرِّبَاطُ**». أصل الرباط: الإقامة على جهاد العدو بالحرب، وهذا من أعظم الإعمال، أي إن المواظبة على الطهارة والصلاة والعبادة كالجهاد في سبيل الله.

**[١٣٢]** وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﵁ قال، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

البَرْدَانِ: الصبح والعصر، ووجه تخصيصهما بالذكر عن سائر الصلوات: أنَّ وقت الصبح يكون عند لذّة النوم، ووقت العصر يكون عند الاشتغال، وأنَّ العبد إذا حافظ عليهما كان أشد محافظة على غيرهما، وأن إقامتهما من أسباب دخول الجنة، فهاتان الصلاتان هما أفضل الصلوات، وأفضلها صلاة العصر؛ لأنها هي الصلاة الوسطى التي قال الله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال في غزوة الأحزاب: «**مَلَأَ اللهُ بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نَارًا كَمَا شَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الوُسْطَى صَلَاةِ العَصْرِ**»، وهذا نص صريح من رسول الله ﷺ أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

**[١٣٣]** وَعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**». رواه البخاري.

يعني أن الإنسان إذا كان من عادته أن يعمل عملاً صالحاً، ثم مرض فلم يقدر عليه، فإنه يُكتب له الأجر كاملاً، إذا كنت مثلاً من عادتك أن تصلي مع الجماعة، ثم مرضت ولم تستطع أن تصلي مع الجماعة، فكأنك تصلي مع الجماعة، يكتب لك سبع وعشرون درجة، ولو كنت تصلي أو تصوم النوافل، ولكنك لما سافرت انشغلت بالسفر عن هذا، فإنه يكتب لك ما كنت تعمله في البلد مقيماً، وفي هذا تنبيه على أنه ينبغي للعاقل ما دام في حال الصحة والفراغ، أن يحرص على الأعمال الصالحة، حتى إذا عجز عنها لمرض أو شغل كتبت له كاملة، ولهذا قال ابن عمر رضي الله عنهما: "خُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ".

**[١٣٤]** عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**». رواه البخاري.

المعروف: ما عرف في الشرع حسنه، إن كان مما يتعبد به لله، وإن كان مما يتعامل به الناس، فهو مما تعارف الناس على حسنه، وهذا الحديث يشمل هذا وهذا، فكل عمل تتعبد به إلى الله فإنه صدقة، كما ورد في حديث سابق: «**كُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ**». وأما ما يتعارف عليه الناس مثل الإحسان إلى الخلق بالمال أو بالجاه، ومن ذلك: أن تلقى أخاك بوجه طلق لا بوجه عبوس، وأن تدخل عليه السرور.



**[١٣٥]** وعَنْهُ، رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً**». رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ: «**فَلَا يَغْرِسُ الْمُسْلِمُ غَرْسًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**». وفي رواية لَهُ: «**لَا يَغرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ**».

يَرْزَؤُهُ: أي ينقصه، في هذا الحديث حثّ على الزرع، وعلى الغرس، وأن فيه الخير الكثير، فيه مصلحة في الدين ومصلحة في الدنيا، فما يحصل فيه من إنتاج ليس كالأموال والنقود، لأن الزرع والغرس ينفع الزارع نفسه وينفع البلد كله، ويكون في هذا نمو للمجتمع، بخلاف الأموال التي تودع في الصناديق والبنوك ولا ينتفع بها أحد. أما المنافع الدينية: فإنه إن أكل منه طير عصفور أو حمامه أو دجاجة أو غيرها ولو حبة واحدة، فإنه له صدقة، سواء شاء ذلك أو لم يشأ، حتى لو فرض أن الإنسان حين زرع أو حين غرس لم يكن بباله هذا الأمر، وأعجب من ذلك لو سرق منه سارق، فإن لصاحبه في ذلك أجراً، وفيه دليل على كثرة طرق الخير، وأن لصاحبه أجراً سواء نوى أو لم يَنوِ.



**[١٣٦]** وعَنْهُ، قَالَ: أَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ فَبَلَغَ ذٰلِكَ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟**»، فَقَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُول الله قَدْ أَرَدْنَا ذٰلِكَ، فَقَالَ: «**بَنِي سَلِمَةَ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيارَكُم تُكْتَبْ آثَارُكُمْ**». رواه مسلم، وفي روايةٍ: «**إِنَّ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً**». رواه مسلم، ورواه البخاري بِمَعناه.

بَنُو سَلِمَةَ: قبيلة معروفة مِنَ الأنصار، آثَارُهُمْ: خطاهُم، في هذا الحديث: أنَّ المشي إلى المسجد من الحسنات التي تُكتب لصاحبها، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ**﴾ [يس:١٢]، وفي هذا الحديث دليل على كثرة طرق الخير، وأن منها المشي إلى المساجد، وهو مما يرفع الله به الدرجات ويحط به الخطايا.



**[١٣٧]** وَعَنْ أَبِي الْمُنْذِرِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لَا أَعْلَمُ رَجُلًا أَبْعَدَ مِنَ الْمَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ، فَقِيلَ لَهُ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ**». رواه مسلم. وفي رواية: «**إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ**».

هذا الحديث يتعلق بما قبله من الأحاديث الدالة على أن طرق الخير كثيرة، ومنها: الذهاب إلى المساجد، وكذلك الرجوع منها، إذا احتسب الإنسان ذلك عند الله تعالى.

في الظلماء والرمضاء: يعني في الليل حين الظلام، في صلاة العشاء وصلاة الفجر، أو في الرمضاء، أي في أيام الحر الشديد، وقوله: "مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ الْمَسْجِدِ"؛ يعني أنه مسرور بأن بيته بعيد عن المسجد، يأتي بخطى، ويرجع منه بخطى، لأنه لو كان قريباً لم تكتب له تلك الخطى، ولا شك أن للنية أثراً كبيراً في صحة الأعمال، وأثراً كبيراً في ثوابها، وكم من شخصين يصليان جنباً إلى جنب، ومع ذلك يكون بينهما في الثواب مثل ما بين السماء والأرض، وذلك بصلاح النية أو سوئها.



**[١٣٨]** وَعَنْ أَبِي مُحَمَّد عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلَاهَا مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّةَ**». رواه البخاري.

المَنِيحَةُ: أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا لِيَأْكُلَ لَبَنَهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا إليه. أربعون خصلة: أي من البِرّ، كالسلام، وتشميت العاطس، وإماطة الأذى عن الطريق، ونحو ذلك من أعمال الخير، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧].



**[١٣٩]** وعن عَدِي بنِ حَاتمٍ ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وفي رواية لهما عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**».

الصدقة كما صح عن النبي ﷺ: «**تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**». قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾ [الانشقاق: ٦]، يعني سوف تلاقي ربك ويحاسبك على هذا الكدح، أي الكد والتعب الذي عملت، ولكن بشرى للمؤمن، كما قال الله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٢٢٣]، فالمؤمن إذا لاقى ربه فإنه على خير، ففي هذا الحديث دليل على كلام الله وأنه ﷻ يتكلم بكلام مسموع مفهوم، لا يحتاج إلى ترجمة، يعرفه المخاطب به، والكلمة الطيبة تشمل قراءة القرآن، فإن أطيب الكلمات القرآن الكريم، وتشمل التسبيح التهليل، وكذلك تشمل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتشمل تعليم العلم وتعلمه، وتشمل كذلك كل ما يتقرب به الإنسان إلى ربه من القول .



**[١٤٠]** وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**». رواه مسلم.

الأكلة: أي طعام، غداء أو عشاء، ليست الأكلة اللقمة، ليس كلما أكلت لقمة قلت: الحمد لله، أو كلما أكلت تمرة قلت: الحمد لله، السنة أن تقول إذا انتهيت نهائياً، ففي هذا دليل على أن رضا الله ﷻ قد يُنال بأدنى سبب، إذا انتهى من الأكل قال: الحمد لله، وإذا انتهى من الشرب قال: الحمد لله .



[١٤١] وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «**يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «**يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: «**يَأْمُرُ بِالمَعْرُوفِ أَوِ الخَيْرِ**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «**يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذه الصدقة متنوعة؛ إما أن تكون تسبيحة أو تكبيرة أو تهليلة أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو أن تعين الملهوف، المهم أن طرق الخيرات كثيرة، ولكن النفس الأمارة بالسوء تثبط الإنسان عن الخير، وإذا هم بشيء فتحت له باباً غيره، ثم إذا هم به فتحت له باباً آخر حتى يضيع عليه الوقت، ويخسر وقتاً آخر ثم لا يعمل ثم لا يستفيد شيئاً، ولهذا جاء في الحديث: «**لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**».



## ١٤- الاقتصاد في الطَّاعة

هو التوسُّط في العبادة إبقاءً للنفس ودفعًا للملل؛ بحيث يكون الإنسان وسطاً بين الغلو والتفريط، لأن هذا هو المطلوب من الإنسان في جميع أحواله؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]. فلا تكلف نفسك ما لا تطيق، لأن النبي ﷺ لما بلغه خبر الثلاثة الذين قال أحدهم: إني لا أتزوج النساء، وقال الثاني: أصوم ولا أفطر، وقال الثالث: أقوم ولا أنام، خطب ﷺ وقال: «**مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**».

لمّا أنزل الله القرآن على رسوله ﷺ قام به هو وأصحابه، فقال المشركون من قريش: ما أُنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشقى، فأنزل الله تعالى: ﴿طه، مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [طه: ١-٢].

﴿طه﴾: هذان حرفان من حروف الهجاء، أحدهما طاء والثاني هاء، وليست اسماً من أسماء النبي ﷺ كما زعمه بعضهم، وهي حروف ليس لها معنى؛ لأن القرآن نزل باللغة العربية، واللغة العربية لا تجعل للحروف الهجائية معنى، ولكن لها مغزى عظيم، هذا المغزى العظيم هو التحدي الظاهر لهؤلاء المكذبين للرسول ﷺ وقد عجزوا أن يأتوا بشيء مثل القرآن؛ لا سورة ولا بعشرة سور ولا بآية، ومع هذا فإن هذا القرآن الذي أعجزهم لم يأت بحروف غريبة لم يكونوا يعرفونها، بل أتى بالحروف التي يركبون منها كلامهم، إشارة إلى أن هذا القرآن كان من هذه الحروف التي يتركب منها كلام العرب، ومع ذلك أعجز العرب، هذا هو الصحيح في المراد من هذه الحروف الهجائية.

﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾، ولكن لتسعد في الدنيا والآخرة؛ ولهذا لما كانت الأمة الإسلامية أمة القرآن تتمسك به فصارت لها الكرامة والعزة والرفعة على جميع الأمم،

ففتحوا مشارق الأرض ومغاربها، ولما تخلفت عن العمل بهذا القرآن تخلف عنها ذلك بقدر ما تخلفت به من العمل بهذا القرآن، وقوله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠]، كانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذه الآية نزلت في آيات الصيام حتى لا يظن الظانّ أنه ألزم الناس به للمشقة والتعب، وهي عامة في جميع أمور الدين، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

**[١٤٢]** وعن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة، قال: «**مَنْ هٰذِهِ؟**»، قَالَتْ: هٰذِهِ فُلاَنَةٌ تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا، قَالَ: «**مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّى تَمَلُّوا**»، وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

مَهْ: كَلِمَةُ نَهْيٍ وَزَجْرٍ، لَا يَمَلُّ اللهُ: لَا يَقْطَعُ ثَوَابَهُ عَنْكُمْ وَجَزَاء أَعْمَالِكُمْ ويُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ المَالِّ حَتَّى تَمَلُّوا فَتَتْرُكُوا، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأخُذُوا مَا تُطِيقُونَ الدَّوَامَ عَلَيهِ لِيَدُومَ ثَوابُهُ لَكُمْ وَفَضْلُهُ عَلَيْكُمْ.

وفيه أيضاً أنه ينبغي للإنسان أن لا يجهد نفسه بالطاعة وكثرة العمل، فإنه إذا فعل هذا ملّ، ثم ترك، وكونه يبقى على العمل ولو قليلاً مستمراً عليه أفضل .

**[١٤٣]** وعن أنس ﵁، قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، وَقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا واللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهِ، وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي**

**أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

عمل النبي ﷺ إما ظاهر يعرفه الناس كلهم؛ كالذي يفعله في المسجد أو في السوق أو في مجتمعه مع أصحابه، وإما أن يكون سراً لا يعرفه إلا من في بيته، أو من كانوا من خدمه مثل عبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك وغيرهما، فجاء هؤلاء النفر الثلاثة يسألون كيف كانت عبادته في السر، يعني في بيته، فأخبروا بذلك، فكأنهم تقالّوها، ولا شك أن هذا الذي قالوا خلاف الشرع، لأن هذا فيه شقاء على النفس؛ يبقى الإنسان لا يرقد أبداً كل الدهر يصلي! هذا لا شك أنه مشقة وتعب، وداع إلى الملل، وبالتالي إلى كراهة العبادة، كالذي قال: أصوم أبداً؛ صيفاً وشتاءً! وهذا أيضاً فيه مشقة للنفس والبدن، والثالث قال: أعتزل النساء ولا أتزوج أبداً، هذا يشق على النفس، لاسيما الشباب، وهي خلاف السنة، وفي هذا الحديث على أنه ينبغي للإنسان أن يقتصد في العبادة، بل في جميع أموره، لأنه إن قصر فاته خير كثير، وإن شدد فإنه سوف يكلّ ويعجز ويتراجع، ولهذا جاء في الحديث: «**إِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقى**»، والمنبتّ الذي يمشي ليلاً ونهاراً دائماً، هذا لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، بل يتعب ظهره، وبالتالي يعجز ويتعب ويقعد، وفي الحديث كذلك: النهي عن التعمُّق في الدين.



**[١٤٤]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**». قالها ثَلاثاً. رواه مسلم.

الْمُتَنَطِّعونَ: المتعمقون المتشددون في أمورهم الدينية والدنيوية، ولهذا جاء في الحديث: «**لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدُ اللهُ عَلَيْكُمْ**»، ومن ذلك ما يفعله بعض المرضى ولا سيما في رمضان حيث يكون الله قد أباح له الفطر وهو مريض ويحتاج إلى الأكل

والشرب، ولكنه يشدد على نفسه فيبقى صائماً، أو تجد الواحد ينقب عن أشياء ليست من الأمور التي كلف بها تنطّعاً، وهي من مسائل الغيب، ولم يسأل عنها من هو خير منه، فيوقع نفسه في شدة وحرج وقلق، ومن ذلك أيضاً ما يفعله بعض المتشددين في الوضوء، حيث تجده مثلاً يتوضأ ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً أو سبعاً أو أكثر، تجده يشدد فيشدد الله عليه، حتى يقول قائل: هل أحد عاقل يتصرف هذا التصرف، أو تجده يتعب تعباً عظيماً عند الاغتسال للجنابة، في إدخال الماء في أذنيه، وفي منخريه، وكل هذا داخل في قول الرسول ﷺ: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**».



**[١٤٥]** عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّيْنُ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**». رواه البخاري. وفي رواية له: «**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا**».

إلا غَلَبَهُ: أي غَلَبَهُ الدِّينُ وَعَجَزَ ذلِكَ الْمُشَادُّ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طُرُقِهِ، وَالغَدْوَةُ: سير أولِ النهارِ، وَالرَّوْحَةُ: آخِرُ النهارِ، وَالدُّلْجَةُ: آخِرُ اللَّيلِ، ومعناه: اسْتَعِينُوا عَلَى طَاعَةِ اللهِ بِالأَعْمَالِ فِي وَقْتِ نَشَاطِكُمْ وَفَرَاغِ قُلُوبِكُمْ، بِحَيْثُ تَسْتَلِذُّونَ العِبَادَةَ وَلَا تَسْأَمُونَ، وَتَبْلُغُونَ مَقْصُودَكُمْ، كَمَا أَنَّ الْمُسَافِرَ يَسِيرُ فِي هذِهِ الأَوْقَاتِ وَيَسْتَرِيحُ هُوَ وَدَابَّتُهُ فَيَصِلُ بِغَيْرِ تَعَبٍ.

ولو تفكر الإنسان في العبادات اليومية لوجد الصلاة خمس صلوات ميسرة موزعة في أوقات، ولو تفكرت أيضاً في الزكاة، تجد أنها سهلة، ولا تجب في كل مال، وهي يسيرة جداً، اثنان ونصف بالمئة، وانظر إلى الصوم أيضاً، ليس كل السنة ولا نصف السنة ولا ربع السنة، بل شهر واحد من السنة، ومع ذلك فهو سهل، إذا مرضت فأفطر، وإذا سافرت فأفطر، وإذا

كنت لا تستطيع الصوم في كل دهرك فأطعم عن كل يوم مسكيناً، أما الحج فهو على من استطاع، ومن لم يستطع أناب من يحجّ عنه، وإن كان عاجزاً بماله وبدنه سقط عنه. قال النبي ﷺ لعمران بن حصين: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»، ثم قال: «**فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا**»، يعني سددوا إن أمكن، وإن لم يمكن فالمقاربة، وأبشروا: يعني أبشروا أنكم إذا سددتم أصبتم، فأبشروا بالثواب الجزيل والخير من الله.

**[١٤٦]** وعن أنس رضي الله عنه قال: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ المَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا الحَبْلُ؟**»، قالُوا: هٰذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المسجد: يعني المسجد النبوي، ففي هذا دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يتعمق وأن يتنطع في العبادة، وأن يكلف نفسه ما لا تطيق، بل يصلي ما دام نشيطاً، فإذا تعب فليرقد ولينم، لأنه إذا صلى مع التعب تشوش فكره وسئم وملّ وربما كره العبادة، وربما ذهب ليدعو لنفسه فإذا به يدعو عليها، فلو سجد وأصابه النعاس ربما أراد أن يقول: رب اغفر لي، قال: رب لا تغفر لي، لأنه نائم، فلا تكلف نفسك ما لا تطيق، ولا تتعجل الأمور، ومن ذلك ما يفعله بعض الطلبة، تجده يطالع في دروسه وهو نعسان، فيتعب نفسه ولا يستفيد شيئاً أبداً، فينبغي له أن يغلق الكتاب وأن ينام.



**[١٤٧]** وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

النعاس هو فتور في الحواس، فلا يستطيع الإنسان معه أن يتحكم في حواسه، ولذلك أرشد النبي ﷺ مَن غلب عليه النعاس وهو يصلي أن ينصرف من صلاته، ولا يصلي وهو ناعس، لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه بدل أن يقول: اللهم اغفر لي ذنبي يذهب يسب نفسه، وكذلك ربما أراد أن يسأل الله الجنة فيسأله النار، فإذا أجبر نفسه على فعل العبادة مع المشقة فإنه يكون قد ظلم نفسه.

**[١٤٨]** وعن أبي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما، قال: "كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا". رواه مسلم.

قَصْدًا: أي التوسط بين الطولِ والقِصرِ، في هذا الحديث: استحباب القصد في الصلاة، والخطبة وجميع الأمور.

**[١٥١]** وعن أبي رِبعِي حنظلة بنِ الربيعِ الأُسَيِّدِيِّ الكاتب أحدِ كتَّاب رَسُول الله ﷺ، قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكر رضي الله عنه، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟! قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ يُذَكِّرُنا بِالجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأَنَّا رَأْيَ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ الله ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَالله إنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هٰذَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَمَا ذَاكَ؟**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنا بِالنَّارِ وَالجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ العَيْنِ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلٰكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً**»، ثَلاثَ مَرَّاتٍ. رواه مسلم.

نافق حنظلة: يعني نفسه، قال ذلك ظناً منه أن ما فعله نفاق. عافسنا: يعني لهونا معهم ونسينا ما كنا عليه عند النبي ﷺ. ساعة وساعة: يعني ساعة للرب وساعة مع الأهل والأولاد، وساعة للنفس حتى يعطي الإنسان لنفسه راحتها، ويعطي ذوي الحقوق حقوقهم، وهذا من عدل الشريعة الإسلامية وكمالها، لأن الإنسان إذا أثقل على نفسه وشدد عليها ملّ وتعب، وأضاع حقوقاً كثيرة، وفي حديث أبي ذر المشهور: وعلى العاقل أن يكون له ساعات، ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفكّر فيها في سمع الله إليه، وساعة يخلو فيها لحاجته من مطعم ومشرب.

**[١٥٢]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مُرُوهُ، فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ**». رواه البخاري. وفي الحديث الآخر: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**».

وليعلم أن النذر أصله مكروه، بل قال بعض العلماء: إنه محرّم، ولهذا نهى النبي ﷺ عن النذر وقال: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ**»، فإن اشتمل نذره على طاعة وجب أن يوفي، وإن اشتمل على غير الطاعة لا يوفي، ويكفّر كفارة يمين، مثل قصة هذا الرجل.



## ١٥- المحافظة على الأعمال

لا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه في العبادة، وإنما يكون متمشياً على هدى النبي ﷺ، وذلك أن كثيراً من الناس ربما يكون نشيطاً مقبلاً على الخير فيجتهد، ولكنه بعد ذلك يفتر ثم يتقاعس ويتهاون، وهذا يجري كثيراً للشباب، لأن الشاب يكون عنده اندفاع قوي؛ إذ إن غالب تصرفات الشباب إنما تكون مبنية على العاطفة من دون التعقل، يندفع ويشتد في العبادة، ثم يعجز ويتكاسل فيتأخر، ولهذا ينبغي للإنسان أن يكون مقتصداً في الطاعة غير منجرف، وأن يكون محافظاً عليها والرغبة فيها، وأحب العمل إلى الله أدومه وإن قلّ.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦].

﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾: ألم يحن، قيل: نزلت في شأن الصحابة لما أكثروا المزاح.

وقال تعالى: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧]. الرهبانية التي ابتدعوها: هي رفض النساء واتخاذ الصوامع، فلا رعوها وما استمروا عليها، ولكنهم أهملوها.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد:١٦].

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾: **أي** الزمن بالأعمال، فقست قلوبهم وتركوا الأعمال، وإذا كان هذا في العبادة فهو أيضاً في أمور العادة، فينبغي ألا يكون للإنسان كل ساعة وجهة، وكل ساعة فكر، بل يستمر ويبقى على ما هو عليه ما لم يتبين الخطأ، وعلى الرجل بأن لا يخطو خطوة إلا عرف أين يضع قدمه، ولهذا يُروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال:

"من بورك له في شيء فلْيَلْزَمْه"، كلمة عظيمة، يعني إذا بورك لك في شيء فالزَمْه ولا تخرج عنه مرة هنا ومره هنا، فيضيع عليك الوقت ولا تبني شيئاً.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل:٩٢].

وهي امرأة حمقاء من أهل مكة، كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه، فكذلك من نقض عهده، لا تركه ولا حين عاهد وفَى به، والآية عامة في كل من أبطل عمله، كذلك بعض الناس يشتد في العبادة ويزيد، ثم بعد ذلك ينقضها فيدعها.

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]، أي: دُمْ على عبادة ربك حتى يأتيك الموت.



**[١٥٣]** وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ مِنَ اللَّيْلِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ**». رواه مسلم.

والحزب معناه: هو الجزء من الشيء، ومنه أحزاب القرآن، وفي هذا الحديث أنه ينبغي على الإنسان إذا كان يعتاد شيئاً من العبادة أن يحافظ عليها، ولو بعد ذهاب وقتها، ولكن إذا كان يوتر في الليل؛ فإنه إذا قضاه في النهار لا يوتر، ولكنه يشفع الوتر، أي يزيده ركعة، فإذا كان من عادته أن يوتر بثلاث ركعات فليقض أربعاً، وإذا كان من عادته أن يوتر بخمس فليقض ستاً، وإذا كان من عادته أن يوتر بسبع فليقض ثماني وهكذا، ودليل ذلك حديث عائشة ﷺ، أن النبي ﷺ كان إذا غلبه نوم أو وجع من الليل؛ صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة، أما ما لا يمكن قضاؤه، فإنه إذا نسيه سقط، مثل سنة دخول المسجد التي تسمى تحية المسجد، إذا دخل الإنسان المسجد، ونسى وجلس وطالت المدة؛ فإنه لا يقضيها؛ لأنها سنة مقيدة بسبب، أما السنن الرواتب؛ لو نسيها الإنسان حتى خرج الوقت

فإنه يقضيها بعد الوقت، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، وكذلك لو فات الإنسان صيام ثلاثة أيام من الشهر؛ الأيام البيض؛ فإنه يقضيها في أول الشهر وفي وسطه وفي آخره، لكن الأفضل في الأيام البيض: الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر.

**[١٥٤]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ترك ذكر اسم الشخص فيه فائدتان عظيمتان: الفائدة الأولى: الستر على هذا الشخص، والثانية: أن هذا الشخص ربما تتغير حاله؛ فلا يستحق الحكم الذي يحكم عليه في الوقت الحاضر؛ لأن القلوب بيد الله، فلهذا كان الإبهام في هذه الأمور أولى وأحسن، لما فيه من ستر، ولما فيه من الاحتياط إذا تغيرت حال الشخص.

**[١٥٥]** وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً". رواه مسلم. وفي الحديث الآخر: «**مَنْ نَامَ عَنْ وِتْرِهِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّهِ إِذَا أَصْبَحَ أَوْ ذَكَرَهُ**». رواه أبو داود.

بناء على ذلك: فمن كان يوتر بثلاث ونام عن وتره فليصل في النهار أربعاً، وإذا كان يوتر بخمس فليصل ستاً، وإن كان يوتر بسبع فليصل ثماني، وإن كان يوتر بتسع فليصل عشراً، وإن كان يوتر بإحدى عشرة ركعة فليصل اثنتي عشرة ركعة، كما كان النبي ﷺ يفعله، وفي هذا دليل على فائدة مهمة وهي: أن العبادة المؤقتة إذا فاتت عن وقتها لعذر فإنها تُقضى، أما العبادة المرتبطة بسبب؛ فإنه إذا زال سببها لا تقضى، ومن ذلك سنة الوضوء مثلاً؛ إذا توضأ الإنسان فإن من السنة أن يصلي ركعتين، فإذا نسى ولم يذكر إلا

بعد مدة طويلة سقطت عنه، وكذلك ركعتي سنة تحية المسجد إذا دخل المسجد وجلس ناسياً، ولم يذكر إلا بعد مدة طويلة فإنها تسقط عنه.





## ١٦- المحافظة على السُّنَّة وآدابها

السُّنَّة: هي الطريقة التي كان عليها الرسول ﷺ في عباداته، وأخلاقه، ومعاملاته، وأفعاله، وإقراراته.

ويطلق الفقهاء السنة على العمل الذي يثاب على فعله، ولا يعاقب على تركه، ولا يمكن أن يحافظ الإنسان على سنة الرسول ﷺ إلا بعد أن يعلمها، فلا بد من علم ولا بد من عمل، وطلب العلم ينقسم إلى فرض عين، وفرض كفاية، أما فرض العين: فهو علم ما تتوقف العبادة عليه، مثل العلم بالوضوء والصلاة وغيرها من فرائض العبادات، أما فرض كفاية: فهو العلم الذي تحفظ به الشريعة، يعني الذي لو ترك لضاعت الشريعة، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين .

قال الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. هذه الآية في سياق قسمة الفيء؛ يعني المال الذي يؤخذ من الكفار، يعني ما أعطاكم من المال فخذوه، وما نهاكم عنه فلا تأخذوه، وهذه الآية، وإن كانت في سياق قسمة الفيء، فإنها كذلك بالنسبة للأحكام الشرعية، فما أحله النبي ﷺ لنا فإننا نقبله ونعمل به على أنه حلال، وما نهانا عنه فإننا ننتهي عنه، ونتركه ولا نتعرض له، فهي عامة تشمل هذا وهذا.

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٣-٤]، أي: لا يقول الرسول ﷺ إلا حقًّا، وليس عن هوى ولا غرض؛ لأنَّ ما يقوله وحيٌ من الله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]. نزلت هذه الآية حين ادَّعى أهل الكتاب محبَّة الله، فمن ادَّعى محبة الله وهو على غير الطريقة المحمدية فهو كاذب، قال بعض العلماء: ليس الشأن أن تُحِبّ إنما الشأن أن تُحبَّ، قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبُّون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، وهذه الآية

يسميها بعض العلماء آية المحنة، أي آية الامتحان، لأن الله تعالى امتحن قوماً ادَّعوا أنهم يحبون الله، قالوا: نحن نحب الله، لكن على المدعي البينة، فمن ادعى محبة الله وهو لا يتبع الرسول ﷺ فليس صادقاً، بل هو كاذب، وقوله: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ هذه الثمرة؛ أن الله يحبك، فليس الشأن أن يقول القائل: أنا أحب الله، ولكن الشأن كل الشأن أن يكون الله يحبه، وإذا أحب الله الشخص، يسر الله له أمور دينه ودنياه.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١].

الأُسوة: الاقتداء به ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، والنبي ﷺ هو أسوتنا وقدوتنا، وكل شيء نتأسَّى فيه برسول الله ﷺ فإنه خير وحسن، فلا نزيد على ما شرع ولا ننقص عنه، وأخذ العلماء من هذه الآية أن أفعال النبي ﷺ حجّة يُحتج بها ويُقتدى به فيها، إلا ما قام الدليل على أنه خاص به، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:٥٠].

ومن ذلك أيضاً: الوصال في الصوم، يصوم يومين ولا يفطر، فالنبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، فإن الله تعالى يعطيه قوة بها يحصل له من الذكر، تكفيه عن الأكل والشرب، أما نحن فلسنا كهيئته، ولهذا منع الوصال، وبيّن أنه من خصائصه.

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

سبب نزول هذه الآية: أن رجلاً من الأنصار خاصمه الزبير في سقاية شجر لهما، وكان الزبير في المكان المرتفع، فحكم الرسول للزبير، فغضب الأنصاري فقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك، فَتَلَوَّن وجه رسول الله ﷺ، ثم قال للزبير: «**اسْقِ، ثُمَّ احْبِسِ المَاءَ**

**حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى الجَدْرِ**»، وكان رسول الله ﷺ أشار على الزبير برأي أراد سعة له وللأنصاري، ثم استوعى للزبير حقه، قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك. قال ابن كثير: يُقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، الدين والدنيا، فما حكم به فهو الحق الذي يَجِبُ الانقياد له ظاهراً وباطناً، كما ورد في الحديث: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبْعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»، وقوله ﷻ: ﴿**حَتَّى يُحَكِّمُوكَ**﴾. لو قال قائل: كيف يكون تحكيم الرسول ﷺ بعد موته؟ فالجواب أن نقول: يكون تحكيمه بعد موته بتحكيم سنته ﷺ، وقوله: ﴿**حَرَجًا**﴾، يعني أن الإنسان قد يحكم الكتاب والسنة، ولكن يكون في قلبه حرج، يعني ما يطمئن أو ما يرضى إلا رغماً عنه، فلا بد من أن لا يجد الإنسان في نفسه حرجاً مما قضى الله ورسوله، وقوله: ﴿**وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ أي ينقادوا انقياداً تاماً، وبناءً على هذا نقول: إن الذين يحكّمون القوانين الوضعية الآن ما هم بمؤمنين؛ ليسوا بمؤمنين، وهؤلاء المحكّمون خالفوا الكتاب والسنة، لهوى أو لظلم، استبدلوا الدين بهذا القانون، وجعلوه يحل محل شريعة الله، وهذا كفر؛ حتى لو صلوا وصاموا وتصدقوا وحجوا، فهم كفار، فلا تستغرب إذا قلنا: إن من استبدل شريعة الله بغيرها من القوانين فإنه يكفر ولو صام وصلى؛ لأن الكفر ببعض الكتاب كفر بالكتاب كله، فالشرع لا يتبعّض، إما تؤمن به جميعاً، وإما أن تكفر به جميعاً، لأن حالك يقول: إنك لا تؤمن إلا بما لا يخالف هواك، وأما ما خالف هواك فلا تؤمن به، فأنت بذلك اتبعت الهوى، واتخذت هواك إلهاً من دون الله، وهذا هو الكفر، والمسألة خطيرة جداً، من أخطر ما يكون بالنسبة لحكام المسلمين اليوم، كما أن كثيراً من الجهلة يظنون أن الشريعة خاصة بالعبادة التي بينك وبين الله فقط، أو في الأحوال الشخصية من نكاح وميراث وشبهه، ولكنهم أخطأوا في هذا الظن، فالشريعة عامة في كل شيء، وإذا شئت أن يتبين لك هذا؛ فاسأل ما هي أطول آية في كتاب الله؟ سيقال هي: آية

الدِّين، كلها في المعاملات، فكيف يقال إن الشرع الإسلامي خاص بالعبادة أو بالأحوال الشخصية؟!

وَقالَ تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ [النساء:٥٩]. قَالَ العلماء: معناه إِلَى الكتاب والسُّنة، فبعض الناس يظنون أن الرجوع إلى الإسلام الذي كان في صدر هذه الأمة، لا يتناسب مع الوقت الحاضر! ولم يعلم هؤلاء أن الإسلام حاكم وليس محكوماً عليه، وأن الإسلام لا يتغير باختلاف الأزمان أو الأماكن أو الأشخاص، الإسلام هو الإسلام، فإن كنّا نؤمن بالله واليوم الآخر؛ فلنرجع إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ [النساء: ٦٠]، والاستفهام هذا للتعجب، والطاغوت؛ هو كل ما خالف شريعة الله، ومن هؤلاء القوم ما ابتلى الله به المسلمين من بعض الحكام الذين يريدون أن يرجعوا إلى قوانين وضعها فلان وفلان لا يعلمون عن الإسلام شيئاً، هم أيضاً في عصر قد تختلف العصور عنه، وفي أمة قد تختلف عنها الأمم الأخرى!

وَقالَ تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾ [النساء:٨٠]، لأن الله أمر بطاعة الرسول واتّباعه، والطاعة: يعني امتثال الأوامر واجتناب النواهي، وفي هذه الآية دليل على أن ما ثبت في السنة، فإنه كالذي ثبت في القرآن، ولا يجوز لأحد أن يفرق بين الكتاب والسنة، ولقد أخبر النبي ﷺ محذراً حينما قال: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللهِ اتَّبَعْنَاهُ**»، يعني إنه يحذر من أنه ربما يأتي زمان على الناس يقولون: لا نتبع إلا ما في القرآن، أما ما في السنة فلا تأخذ به، وهذا أمر قد وقع في وقتنا الحاضر.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، يعني: دين الإسلام، والخطاب هنا للنبي ﷺ، والصراط المستقيم هو شريعته، وأضافه الله إلى نفسه، لأنه هو الذي نصبه، والنبي ﷺ يهدي الناس ويدعوهم إليه ويدلهم عليه، فإذا قال قائل: ما الجمع بين هذه الآية: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

قال أهل العلم: الجمع بينهما أن الأولى يراد بها هداية الدلالة، يعني أنك تدل الخلق، وليس كل من دل على الصراط اهتدى، وأما في هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾، الهداية هنا هي هداية التوفيق، لا أحد يستطيع أن يوفق أحداً للحق، ولو كان أباه أو أبنه أو عمه، أو أمه، أو خاله أو جدته، أبداً، ولكن علينا أن ندعو عباد الله إلى دين الله، ثم إن اهتدوا فلنا ولهم، وإن لم يهتدوا فلنا وعليهم، أَدِّ ما عليك وقد برئت ذمتك.

وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وهذا تحذير من الله تعالى للذين يخالفون عن أمر الرسول ﷺ، ولهذا لم يقل: يخالفون أمره، وإنما قال: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ أي يرغبون عنه، ففي هذا دليل على وجوب قبول أمر النبي ﷺ، وأن الذي يخالف عنه مهدد بهذه العقوبة.

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ الأحزاب:٣٤]، أي القرآن وسنَّة رسوله ﷺ، والخطاب لزَوجات النبي ﷺ.



**[١٥٦]** عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَثْرَةُ سُؤالِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَى أَنْبيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْء فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بشيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

هذا الحديث له سبب، وهو أنه ﷺ، خطب فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحِجُّوا**»، فقال رجلٌ: أَكُلَّ عام يا رسول الله؟ فسكتَ حتى قالها مرارًا، فقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ثم قال: «**دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ**» الحديث، وهو من قواعد الإسلام المهمة، ويُستفاد منه: كراهة كثرة المسائل من غير ضرورة، قيل: المِراء والجدال يذهب بنور العلم من قلب الرجل، وفي بعض الآثار: إذا أراد الله بعبد خيرًا فتح له باب العلم، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد الله بعبد شرًّا فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العلم. والاختلاف على الإنسان يعني مخالفته، ومن ذلك ما وقع للنبي ﷺ في قضية الأقرع بن حابس، قال النبي ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحِجُّوا**»، أي مرة واحدة، فقال الأقرع: أفي كل عام يا رسول الله؟ فهذا السؤال في غير محله، هذا من التشديد، ولا ينبغي أن يسأل عن شيء مسكوت عنه، أما في عهدنا، وبعد انقطاع الوحي، اسأل عن كل شيء تحتاج إليه؛ لأن الأمر مستقر.

وقوله: " ما نهيتكم عن شيءٍ فاجتنبوه"، هذا يكون مقيداً بحال الضرورة، ولكن بشروط؛ نعرف أنه لا ضرورة إلى دواء محرم، فلو قال قائل: أنا أريد أن أشرب دماً أستشفي به، كما يدعي بعض الناس أنه إذا شرب من دم الذئب شفي، نقول: هذا لا يجوز، لأن الإنسان ربما يشفى بغير هذا؛ إما من الله، وإما بدعاء، وإما بقراءة، وإما بدواء آخر، كما أنه ليس يقيناً أنه إذا تداوى به يُشفى، فما أكثر الذين يتداوون ولا يشفون، بخلاف من كان جائعاً وليس عنده إلا ميتة، أو لحم خنزير، أو لحم حمار، فإنه يجوز أن يؤكل في هذه الحالة؛ لأننا نعلم أن ضرورته تندفع بذلك، بخلاف الدواء.

وأما قوله: «**وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ**»، فهذا يوافق قول الله ﷻ: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن:١٦]، وما لا نستطيعه يسقط عنا، مثلاً: أمرنا بأن نصلي الفرض قياماً، فإذا لم نستطع صلينا جلوساً، فإذا لم نستطع صلينا على جنب، كما قال ﷺ،

بخلاف النهي، وأما ما سكت عنه النبي ﷺ فهو عفو، وهذا من رحمة الله، فالأشياء إما مأمور بها، أو منهي عنها، أو مسكوت عنها، فما سكت الله ورسوله فإنه عفو لا يلزمنا فعله ولا تركه.

**[١٥٧]** عن أَبي نَجيحٍ العِرباضِ بنِ سَارية رضي الله عنه، قال: وَعَظَنَا رَسُولُ الله ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا، قَالَ: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

وَجِلَتْ: يعني خافت، وذرفت العيون من البكاء، فأثرت فيهم تأثيراً بالغاً، حتى قالوا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا؛ لأن المودع إذا أراد المغادرة، فإنه يعظ من خلفه بالمواعظ البليغة التي تكون ذكرى لهم فلا ينسونها، والتقوى: كلمة جامعة من أجمع الكلمات الشرعية، ومعناها: أن يتخذ الإنسان وقاية من عذاب الله، ولا يكون هذا إلا بفعل الأوامر واجتناب النواهي، ولا يكون فعل الأوامر واجتناب النواهي إلا بعلم الأوامر والنواهي، ولا بد من عمل، فإذا اجتمع للإنسان العلم والعمل، نال بذلك خشية الله، وحصلت له التقوى، وليس المراد بالعلم أن يكون الإنسان بحراً في العلم، والناس يختلفون في ذلك: فمثلاً من عنده مالٌ يجب أن يعلَم أحكام الزكاة، ومن قدر على الحج وجب عليه أن يعلم أحكام الحج، وغيرهم لا يجب عليهم، فعلوم الشريعة فرض كفاية إلا ما تعين على العبد فعله، فإن علمه يكون فرض عين.

قوله: «**وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ**»، السمع والطاعة، يعني لولي الأمر، سواء كانت إمرته عامة، كالرئيس الأعلى في الدولة، أو خاصة كأمير بلدة، أو أمير قبيلة.

وقوله: «**عَبْدٌ حَبَشِيٌّ**»: يعني حتى ولو لم يكن من العرب، فإن الواجب السمع والطاعة له، ولو قلنا بعدم السمع والطاعة له، لأصبح الناس فوضى، كلٌّ يعتدي على الآخر.

وقوله: «**وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ**»: هذا الإطلاق مقيد فيما يقرّه الشرع، وأما ما ينكره الشرع فلا طاعة لأحد فيه حتى لو كان الأب أو الأم، فإنه لا طاعة له، فمثلاً لو أمر ولي الأمر بأن لا يصلي الجنود، قلنا: لا سمع ولا طاعة، ولو أمرهم بشيء محرم، قلنا: لا سمع ولا طاعة، نحن لا نطيعك، لكن يجب أن يطاع في غير هذا، يعني ليس معنى ذلك أن تسقط طاعته مطلقاً، لا، إنما تسقط طاعته في هذا الأمر المعين فقط، أما ما سوى ذلك، فإنه تجب طاعته.

ثم قوله: «**وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا**»: يعني أن من يعش منكم ويمد له في عمره، فسيرى اختلافاً كثيراً في الولاية، وفي الرأي، وفي العمل، وفي حال الناس عموماً، وبعض الأفراد خصوصاً، وهذا الذي وقع؛ فإن الصحابة لم ينقرضوا حتى حصلت الفتن العظيمة في مقتل عثمان وعلي وقبلها مقتل عمر، ﭫ، وغير ذلك من الفتن المعروفة في كتب التاريخ، والذي يجب علينا نحن إزاء هذه الفتن، أن نمسك وألا نخوض فيه، وألا نتكلم؛ لأنه كما قال عمر بن عبد العزيز 﫼: "هذه دماء طهر الله سيوفنا منها، فيجب أن نطهر ألسنتنا منها، فما فائدتنا أن ننبش عما جرى بين عليّ وعائشة؟ أو بين عليّ ومعاوية؟ من الحروب التي مضت وانقضت، إن ذِكر هذه الحروب وتذكّرها لا ينتج عنه إلا ضلالاً؛ لأننا في هذه الحال نحقد على بعض الصحابة، ونغلو في بعض، كما فعلت الرافضة، ولو قرأ إنسان التاريخ حول هذه الأمور؛ لوجد العجب العجاب، لأن التاريخ يخضع للسياسة، لذا يجب علينا ألا نتعجل في الحكم، لأن التاريخ يكون فيه كذب، ويكون

فيه هوى وتغيير للحقائق، ينشر غير ما يكون، ويحذف ما يكون، كل هذا تبعاً للسياسة، فالذين عمروا منا يجدون الاختلاف العظيم بين أول حياتهم وآخر حياتهم، وحصل خلاف بين الأمة في السياسة، وفي العقيدة، وفي الأفعال، والأحكام العملية، ثم إن الرسول ﷺ حثَّ عند هذا الاختلاف على لزوم سنة واحدة فقال: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي**»، يعني الزَمُوها، فالرسول ﷺ أمرنا عندما نرى هذا الاختلاف أن نلزم سنته، وسنته هي: طريقته التي يمشي عليها، عقيدةً، وخلقاً، وعملاً، وعبادةً، وغير ذلك، نلزم سنته ونجعل التحاكم إليها، فهي سبيل النجاة من الخلافات والبدع، وهي موجودة في كتب أهل العلم مثل الصحيحين للبخاري ومسلم، والسنن والمسانيد وغيرها.

وقوله: «**وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ**»: هم الذين خلفوا النبي ﷺ في أمته علماً وعملاً ودعوة وسياسة، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون الأربعة؛ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ولكن ليعلم أن سنة هؤلاء الخلفاء تأتي بعد سنة الرسول ﷺ، فلو تعارضت سنة خليفة من الخلفاء مع سنة محمد ﷺ، فإن الحكم لسنة محمد ﷺ لا لغيرها؛ لأنها تابعة لها. قال ابن عباس: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر!"، كما يوجد بعض الناس إذا قيل له: هذه هي السنة، قال: لكن قال العالم الفلاني كذا وكذا !

ثم قال: «**عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**».

النواجذ: أقصى الأضراس، وهو كناية عن شدة التمسك، فإذا تمسك الإنسان بيديه بالشيء وعض عليه بأقصى أسنانه، فإنه يكون ذلك أشد تمسكاً.

ثم قال: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، يعني أحذركم، والأمور المحدثة يعني بها المحدثات في دين الله، ولهذا أنكر الله على من يحللون ويحرمون بأهوائهم؛ فقال تعالى: ﴿**وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللهِ الْكَذِبَ**﴾ [النحل:١١٦]، وأنكر على من شرع في دينه ما لم يأذن به؛

فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ﴾ [الشورى:٢١]، وقال: ﴿قُلْ آللهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]، أما الأمور العادية وأمور الدنيا، فهذه لا ينكر على محدثاتها، فمثلاً السيارات والدبابات وما أشبهها، لا نقول إن هذه محدثة لم توجد في عهد الرسول ﷺ، فلا يجوز استعمالها، لأن هذه من الأمور الدنيوية، الثياب وأنواعها، لا نقول لا تلبس إلا ما كان يلبسه الصحابة.

وقوله: «**كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، يشمل ما كان مبتدعاً في أصله أو وصفه. فمثلاً: لو أن أحداً أراد أن يذكر الله بأذكار معينة بصفتها أو عددها، من دون سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ، فإنا لا ننكر أصل الذكر، ولكن ننكر ترتيبه على صفة معينة من دون دليل.

فإن قال قائل: ما تقولون في قول عمر حين أمر أبيّ بن كعب وتميماً الداري أن يقوما بالناس في رمضان في تراويحهم، على إمام واحد فقال: نعمت البدعة هذه، فأثنى عليها ووصفها بأنها بدعة، والرسول ﷺ يقول: كل بدعة ضلالة، قلنا: إن هذه البدعة ليست مبتدأة، لأن النبي ﷺ صلى بأصحابه ثلاث ليال أو أربع ليال في رمضان، ثم تخلف قال: إني خشيت أن تفرض عليكم، ثم بقيت الحال ما هي عليه، في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، وفي أول خلافة عمر رضي الله عنه، يصلي الرجل والرجلان والثلاثة كل على حده؛ ثم إن عمر رضي الله عنه جمع الناس على إمام واحد .



**[١٥٨]** عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال:«**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**». رواه البخاري.



**[١٥٩]** عن أبي مسلم، وقيل: أبي إياس سلمة بن عمرو بنِ الأكوع ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم.

**[١٦٠]** عن أَبي عبدِ الله النعمان بن بشير ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَتُسَوُّونَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**». متفق عليه.

المراد بالمخالفة: المخالفة المعنوية، يعني مخالفة القلوب؛ لأن القلب له اتجاه، فإذا اتفقت القلوب على وجهة واحدة حصل في هذا الخير الكثير، وإذا اختلفت تفرقت الأمة، وعلى هذا فيكون المراد بقوله: «**أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**»، أي بين وجهات نظركم، وفي هذا دليل على وجوب تسوية الصفوف، وكان النبي ﷺ أحياناً يمشي على الصفوف يسويها بيده الكريمة، من أول الصف لآخره، ولما كثر الناس في زمن الخلفاء، أمر عمر بين الخطاب ﷺ رجلاً يسوي الصفوف إذا أقيمت الصلاة، وكذلك فعل عثمان ﷺ، ولكن مع الأسف الآن، نجد أن المأمومين لا يبالون بالتسوية، يتقدم إنسان ويتأخر إنسان ولا يبالي، وربما يكون مستوياً مع أخيه في أول الركعة، ثم عند السجود يحصل من الاندفاع تقدم أو تأخر، ولا يساوون الصف في الركعة الثانية، وهذا خطأ، فإذا قال قائل: إذا كان هناك إمام ومأموم فقط، فهل يتقدم الإمام قليلاً، أو يساوي المأموم؟ فالجواب: إنه يساوي المأموم؛ لأن الصف واحد، لا يمكن أن يكون المأمون خلف الإمام وحده، بل هم صف واحد، خلافاً لما قال بعض أهل العلم إنه يتقدم الإمام قليلاً؛ لأن هذا لا دليل عليه، بل الدليل على خلافه.



**[١٦١]** عن أبي موسى ﷺ، قال: احْتَرَقَ بَيْتٌ بالمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رَسُولُ الله ﷺ بِشَأْنِهِمْ، قَالَ: «**إِنَّ هٰذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ، فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذه النار جزء من ستين جزءاً من نار جهنم، جعلها الله تذكرة؛ حتى إن بعض السلف كان إذا هم بمعصية ذهب إلى النار، ووضع إصبعه عليها؛ يعني يقول لنفسه: اذكري هذه الحرارة؛ حتى لا تتجرأ نفسه على المعصية التي هي سبب لدخول النار. وقد جعلها الله تعالى: ﴿**مَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ**﴾ يعني للمسافرين وغيرهم يتمتعون بها، ويستدفئون بها في الشتاء، ويسخنون بها مياههم، ويطبخون عليها أطعمتهم، فهي مصلحة، ولكن قد تكون مضرة؛ كما قال النبي ﷺ في الحديث: «**إِنَّ هٰذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ**»، فهي عدو إذا لم يحسن الإنسان ضبطها، بأن لم يبعد ما تكون سبباً لاشتعاله، كالبنزين والغاز، وفي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يتخذ الاحتياط في الأمور، ولهذا أمر الإنسان عند النوم أن يطفئ النار، ولا يقول هذه سهلة أنا آمن من ذلك، ربما يظن هذا الظن، ولكن يحدث ما لا يخطر على باله، ومن ذلك صمامات الغاز التي حدثت في عصرنا الحاضر، يجب على الإنسان أن يتفقدها؛ لئلا يكون فيها شيء من التسريب؛ فتملأ الجو من الغاز، فإذا أشعل النار احترق المكان كله، ومن ذلك أيضاً مقابس الكهرباء، المهم أن الإنسان يجب عليه الاحتراز من كل ما يخشى ضرره، وإذا كان هذا في نار الدنيا، فكذلك يجب أن يحترس مما يكون سبباً لعذاب النار في الآخرة، من أسباب المعاصي، ووسائلها، وذرائعها.



**[١٦٢]** وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقُوا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ**

**طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذٰلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

فَقُهَ: أي صار فقيهاً، والغيث: يعني المطر، فكانت هذه الأرض ثلاثة أقسام: قسم رياض قبلت الماء، وأنبتت العشب الكثير والزرع، فانتفع الناس بها، وقسم آخر قيعان أمسكت الماء وانتفع الناس به فاسقوا منه ورووا منه، وقسم ثالث أرضٌ سبخة ابتلعت الماء ولم تنبت الكلأ. وهكذا الناس بالنسبة لما بعث الله به النبي ﷺ من العلم والهدى، منهم من فقه في دين الله، فعلم وعلم، وانتفع الناس بعلمه، وانتفع هو بعلمه، وهذا كمثل الأرض التي أنبتت العشب والكلأ فأكل الناس منها، وأكلت منها مواشيه. ومنهم قوم حملوا الهدى، ولكن لم يفقهوا في هذا الهدى شيئاً، بمعنى أنهم كانوا رواة للعلم والحديث، لكن ليس عندهم فقه، فهؤلاء مثلهم مثل الأرض التي حفظت الماء، واستقى الناس منه، وشربوا منه، لكن الأرض نفسها لم تنبت شيئاً؛ لأن هؤلاء يروون أحاديث وينقلونها، ولكن ليس عندهم فيها فقه وفهم، ومنهم: من لم يرفع بما جاء به النبي ﷺ من العلم والهدى رأساً، وأعرض عنه، ولم يبال به، فهذا لم ينتفع بما جاء به النبي ﷺ، ولم ينفع غيره، فمثله كمثل الأرض التي بلعت الماء ولم تنبت شيئاً. فالأول: خير الأقسام، والثاني: روى الحديث وحمله لكن لم يفقه منه شيئاً، وإنما هو رواية فقط، والثالث: لا فيه ولا خير له، رجل أصاب من العلم والهدى ولكنه لم ينتفع به، ولم يعلمه الناس، وهذا مشاهد؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ**﴾ [الروم: ٥٨]، فضربُ الأمثال من أحسن طرق التعليم ووسائل العلم.



**[١٦٣]** عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الجَنَادِبُ وَالفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتُونَ مِنْ يَدَيَّ**». رواه مسلم.

الجَنَادِبُ: الجرادُ وَالفَرَاشُ، هَذَا هُوَ المَعْرُوف الَّذِي يَقَعُ فِي النَّارِ، وَالحُجَزُ: وَهِيَ مَعْقِدُ الإزَار وَالسَّراويل، والنبي ﷺ أراد بهذا المثل أن يبين حاله مع أمته، وذكر أن هذه الحال كحال رجل في برية، أوقد ناراً، فجعل الجنادب والفراش يقعن فيها، لأن هذه هي عادة الفراش والجنادب والحشرات الصغيرة، إذا أوقد إنسان ناراً في البر؛ فإنها تأوي إلى هذا الضوء، قال: «**وَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ**» يعني لأمنعكم من الوقوع فيها، ولكنكم تفلتون من يدي.

ففي هذا دليل على حرص النبي ﷺ على حماية أمّته من النار حتى لا تقع فيها، فالإنسان ينبغي له أن ينقاد لسنة النبي ﷺ، وأن يكون لها طوعاً؛ لأن الرسول ﷺ إنّما يدل على الخير واتقاء الشر، كما وصفه الله في كتابه: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[التوبة: ١٢٨]. ومن فوائد هذا الحديث: أنه يجب على الإنسان أن يتبع سنة الرسول ﷺ في كل ما أمر به، وفي كل ما نهى عنه، لكن من المعلوم أن من الشريعة ما هو واجب يأثم الإنسان بتركه، ومنها ما هو مستحب؛ إنْ فعله فهو خير وأجر، وإنْ تركه فلا أثم عليه، وكذلك ما هو مكروه كراهة تنزيه؛ إنْ تركه الإنسان فهو خير له، وإنْ فعله فلا حرج عليه، لكن المهم أن تلتزم بالسنة عموماً، وأنه ليس هناك سبيل إلى النجاة إلا باتِّباعه، ولا تعرض نفسك للمساءلة، اتركْ ما نهى عنه، ولا تقل هل هو للكراهة أم هو للتحريم، لأن الأصل في نهي الرسول ﷺ أنه للتحريم.



**[١٦٤]** وعنه، أن رسول الله ﷺ، أَمَرَ بِلَعْقِ الأَصَابعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّهَا البَرَكَةُ**». رواه مسلم. وفي رواية له: «**إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى، وَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيلِ حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ**». وفي رواية له: «**إِنَّ الشَّيطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَ سَقَطَتْ مِنْ أَحَدِكُمْ اللُّقْمَةُ فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذَى، فَلْيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**».

يلعق الصحفة: يعني يلحسها حتى لا يبقى فيها أثر الطعام، ويلعق الأصابع. والنبي لا يأمر أمّته بشيء إلا وفيه الخير والبركة، ولهذا قال الأطباء: إن في لعق الأصابع من بعد الطعام فائدة؛ وهو تيسير الهضم؛ لأن الأنامل فيها مادة تفرزها عند اللعق بعد الطعام تُيسّر الهضم، وإلا فالأصل أننا نلعقها امتثالاً لأمر النبي ﷺ، كثير من الناس لا يفهمون هذه السنة، تجده ينتهي من الطعام ويذهب ويغسلها أو يمسحها بالمنديل! كذلك: أن الإنسان إذا سقطت لقمه على الأرض فإنه لا يدعها؛ لأن الشيطان يحضر للإنسان في جميع شؤونه، وصار يأكل معك؛ هذا شيء غيبي لا نشاهده، ولكننا علمناه بخبر الرسول ﷺ، خذها وأمط ما بها من أذى، تراب أو غيره، ثم كلها، والإنسان إذا فعل هذا امتثالاً لأمر النبي ﷺ وتواضعاً لله، حصل على هذه فوائد كثيرة، وفيه أيضاً فائدة: إنه لا ينبغي للإنسان أن يكل طعاماً فيه أذى، فإننا نذكر الذين يأكلون السمك أن يحتاطوا لأنفسهم، لأن السمك لها عظام دقيقة مثل الإبر، فربما تدخل إلى بطنه وتجرح معدته أو أمعاءه وهو لا يشعر.



**[١٦٥]** وعن ابن عباس ﵄، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى الله تَعَالَى حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤]**، أَلَا وَإِنَّ أَوَّلَ الخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، أَلَا**

وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧ - ١١٨]، فَيُقَالُ لِي: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**غُرْلًا**»: أي غَيرَ مَخْتُونِينَ.

«**مَحْشُورُونَ**»: يعنى مجمعون في صعيد واحد ليس فيه جبال ولا أودية ولا بناء ولا أشجار، لو دعاهم داع لأسمعهم جميعاً؛ لأنه ليس هناك ما يحول بينهم وبين إسماعهم، وينفذهم البصر أي يدركهم جميعاً.

«**أَوَّلَ الخَلَائِقِ يُكْسَى**»، لا تدل على التفضيل المطلق، وأنه أفضل من محمد ﷺ، لكن قد يخص الله بعض الأنبياء بشيء لا يخصّ به البعض الآخر، كما فضل بني آدم بعضهم على بعض في الرزق، وفي كمال الأخلاق والآداب، وكذلك فضل بعضهم على بعض في العلم، وكذلك في البدن والفكر، فالله تعالى يُؤتي فضله من يشاء، ومعنى قوله بأنهم يكسون بعد أن يخرجون حفاة عراة غرلاً، بأي طريق يكسون؟ الله أعلم بذلك، ليس هناك خياطون، ولا هناك ثياب تفصل ولا شيء، فالله أعلم بكيفية ذلك.

وقوله: «**إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»، قال كما قال عيسى بن مريم: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

أما قوله: «**إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ**»، تمسّك به الرّافضة الذين قالوا: إن الصحابة كلهم ارتدوا عن الإسلام! ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان، أما عليّ وآل البيت فهم لم يرتدوا؟! أما أهل السنة والجماعة فقالوا: إن هذا الحديث عام يراد به الخاص، فقوله: «**أَصْحَابِي**»: يعني ليسوا كلهم، بل الذين ارتدوا منهم، فالذين يطعنون في الصحابة

تضمن طعنهم أربعة محاذير: الطعن في الشريعة: لأن الصحابة هم الذين نقلوا إلينا الشريعة، وأما كونه طعناً برسول الله ﷺ، فإذا كان أصحاب النبي بهذه المثابة من الكفر والفسوق، فالقرين على دين قرينه، وأما كونه بالله رب العالمين فظاهر جداً: أن يجعل أفضل الرسالات في يد هؤلاء أصحابه بعد موت الرسول ﷺ، وقد زعمت الرافضة أنهم ارتدوا، فإن هذه فرية عظيمة على الصحابة، وعدوان على الله ورسوله وشريعة الله؛ وقد أجمع المسلمون على أن الصحابة لا يدخلون في هذا الحديث، وإنما ارتدت طائفة قاتلهم أبو بكر والصحابة.



**[١٦٦]** عن أبي سعيد عبد الله بن مُغَفَّلٍ ﷺ قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الخَذْفِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ العَدُوَّ، وَإِنَّهُ يَفْقَأُ العَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ**». متفق عليه. وفي رواية: أن قريباً لابنِ مُغَفَّل خَذَفَ فَنَهَاهُ، وقال: إن رسول الله ﷺ نهى عن الخَذْفِ، وقال: «**إِنَّهَا لَا تَصِيدُ صَيْدًا**»، ثم عاد، فقال: أُحدِّثُكَ أن رسول الله ﷺ نهى عنه، ثم عُدْتَ تَخْذِفُ؟! لَا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا.

والخَذْفُ: معناه أن يضع الإنسان حصاه بين السبابة والإبهام، ويدفعها بالإبهام، وقد نهى عنه النبي ﷺ، وعلل ذلك بأنه يفقأ العين ويكسر السن إذا أصابه، لأنه لا يدفع العدو بهذه الحصاة الصغيرة، فهذا عبد الله بن مغفل أقسم أن لا يكلم قريبه لأنه حذف، وهكذا يجب على كل مؤمن أن يعظم سنة النبي ﷺ.

ولكن إذا قال قائل: هذا يوجب الهجر، وقد نهى النبي عن هجر المؤمن فوق ثلاث؟ فالجواب: هذا من باب التعزير لمن خالف أمر النبي ﷺ، إما بقوله وإما بفعله، ولو عن اجتهاد، ولهذا قالت عائشة ﷺ، وهي فقيهة: "لَوْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مَا صَنَعَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِهِ لَمَنَعَهُنَّ، يَعْنِي مِنَ المَسَاجِدِ"، ولكن على كل حال، هذا يدل على تعظيم السنة، وأن الإنسان يجب أن يقول في حكم الله ورسوله: سمعنا وأطعنا.



**[١٦٧]** وعن عابس بن ربيعة، قال: رأيت عمر بن الخطاب ﷺ يُقبِّل الحجرَ، يعني الأسودَ، ويقولُ: "إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَولَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والحجر كما نعلم حجر من الأرض جعل في هذا الركن، وشرع الله لعباده أن يقبّلوه؛ لكمال الذل والعبودية، ولهذا قال عمر ما قاله عن الحجر، لأن الحجارة لا تضر ولا تنفع. الضرر والنفع بيد الله ﷻ، وأن تقبيله إياه لمجرد اتّباع النبي ﷺ، يعني اتّباعاً للسُّنة، لا رجاء للنفع أو خوف الضرر؛ ولهذا لا يشرع أن يقبل شيء من الكعبة المشرفة إلا الحجر الأسود فقط، وفي هذا الحديث دليل على جهالة أولئك القوم الذين نشاهدهم، يقف أحدهم عن الركن اليماني فيمسحه بيده، ويكون معه طفل قد حمله، فيمسح الطفل بيده يتبرك بالركن، وكذلك لو تيسر له فعل ذلك عند الحجر الأسود، وهذا لا شك أنه بدعة، وأنه نوع من الشرك الأصغر؛ لأن هؤلاء جعلوا ما ليس سبباً سبباً، ولهذا يجب على من رأى أحداً يفعل هذا أن ينصحه، حتى لا يظن الناس أن الأحجار تنفع أو تضر، ثم تتعلق قلوبهم بها في شيء أكبر وأعظم من هذا، وفي هذا دليل على أن كمال التعبد لله سواء عرف السبب والحكمة في المشروعية أم لم يعرف. وسئلت عائشة: لماذا تقضي الحائض الصوم ولا تقضي الصلاة، فقالت: "كَانَ يُصِيبُنَا ذٰلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ"، كأنها تقول: إن وظيفة المؤمن أن يعمل بالشرع، سواء عرف الحكمة أم لم يعرفها، وهذا هو الصواب.



## ١٧- الانقياد لحكم الله

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، كما قال ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ**»، وَقَالَ تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، ومن ذلك حديث أَبي هريرة، قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ**».

---

**[١٦٨]** عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤]، اشْتَدَّ ذٰلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَأَتَوا رَسُولَ الله ﷺ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ الله، كُلِّفْنَا مِنَ الأَعمَالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلَاةَ وَالجِهَادَ وَالصِّيَامَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هٰذِهِ الآيَةُ وَلَا نُطِيقُها، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ**»، فقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا القَوْمُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى فِي إِثْرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، فَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾، قَالَ:

نَعَمْ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ: نَعَمْ، ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ».

لما نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ﴾، كبر ذلك على المسلمين وشق عليهم؛ وجثا الصحابة على ركبهم، وقد فعلوا ذلك من شدة الأمر، لأن ما في النفس من الحديث أمر لا ساحل له، فالشيطان يأتي الإنسان ويحدثه في نفسه بأشياء منكرة عظيمة، منها ما يتعلق بالنفس، ومنها ما يتعلق بالمال، أشياء كثيرة يلقيها الشيطان في قلب الإنسان فلا أحد يطيق أن يمنع نفسه عما تحدثه به من الأمور التي لو حوسب عليها لهلك، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، لكن، بشرنا الرسول بهذا الحديث ورفع الحرج، كل ما حدثت به نفسك، لكنك لا عملت ولا تكلمت، فهو معفو عنه، حتى ولو كان أكبر من الجبال، لأن الشيطان لا يلقي مثل هذه الوساوس في قلب خرب، إنما يتسلط الشيطان على قلبٍ مؤمن خالص، ولما قيل: إن اليهود إذا دخلوا في الصلاة لا يوسوسون، قال: وما يصنع الشيطان بقلب خرب؟! لأنها باطلة من أساسها، إنما الشيطان يوسوس للمسلم الذي صلاته صحيحة مقبولة، فيأتي للمؤمن ليفسد هذا الإيمان، فأرشد إلى الاستعاذة بالله والانتهاء، يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولينته ويعرض عنها ويمضي ولا يهمه.



## ١٨ - البِدَع ومحدَثات الأمور

قَالَ اللهُ تعالَى: ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس:٣٢]، أي: لأنهما ضِدَّان، وبترك الحق يقع الضلال، والحق ما جاء به الكتاب والسنة، وَقالَ تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، قال البغوي: الكتاب: اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وَقالَ تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]، أي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَقالَ تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

الصراط المستقيم: الإسلام، والسُّبُل المتفرقة: هي البدع، وَقالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١]. قال الحسن البصري: زعم قومٌ محبة الله فابتلاهم الله بهذه الآية.

والبدع: هي الأشياء التي يبتدعها الإنسان، هذا هو معناها في اللغة العربية، والبدعة في الشرع: كل من تعبد لله ﷻ بغير ما شرع، عقيدة أو قولاً أو فعلاً، فمن تعبد لله بغير ما شرعه الله فهو مبتدع، وأن مضمون البدعة الطعن في الإسلام، بأن الإسلام لم يكمل، وأنه كمّل الإسلام بهذه البدعة، وإن لم يكن الطعن فيه باللسان، لكن الطعن فيه هنا بالفعل. أين رسول الله ﷺ عن هذه العبادة التي ابتدعها؟ ثم أين الصحابة؟ أهم في جهل عنها؟ وقد قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، أم أنهم قد علموا بها ولكنهم كتموها، وحينئذ يكون الرسول كاتماً للرسالة أو بعضها، وهذا خطير جداً.

كما أن البدع تتضمن تفريق الأمة الإسلامية؛ فصار هذا يبتدع شيئاً، وهذا يبتدع شيئاً آخر، كما هو الواقع الآن، فتكون الأمة الإسلامية كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، كل حزب يقول الحق معي، والضلال مع الآخر، ويرميه بالكذب

والبهتان، وقد قال الله تعالى لنبيّه ﷺ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩-١٦٠]، ونضرب لهذا مثلاً بأولئك الذين ابتدعوا عيد ميلاد الرسول ﷺ، وصاروا يحتفلون بها يدعون أنه اليوم الذي ولد فيه، وهو اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، أتدرون ماذا يقولون لمن لا يفعل هذه البدعة؟ يقولون هؤلاء يبغضون الرسول ويكرهونه! لهذا لم يفرحوا بمولده! ولم يقيموا له احتفالاً! وما أشبه ذلك! فتجدهم يرمون أهل الحق بما هم أحق به منهم، وقد يبتدع بعض الناس بدعة بنيّة حسنة، لكن يكون أحسن في قصده وأساء في فعله، والأولى أن يتبع السنة التي جاء بها رسول الله ﷺ، كما أن المبتدع لا يحكم الكتاب والسنة؛ لأنه يرجع إلى هواه، وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، أي القرآن، وسنة الرسول بعد وفاته.



**[١٦٩]** عن عائشة ﵂، قالتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أَمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ**».

هذا الحديث نصف العلم؛ لأن الأعمال إما ظاهرة وإما باطنة، فالأعمال الباطنة ميزانها حديث عمر بن الخطاب قال ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**»، وميزان الأعمال الظاهرة حديث: «**فَهُوَ رَدٌّ**»، أي مردود على صاحبه غير مقبول منه، وفي هذا دليل واضح على أن العبادة إذا لم نعلم أنها من دين الله فهي مردودة، وإذا كانت العبادة مردودة فإنه يحرم على الإنسان أن يتعبد لله بها؛ لأنه إذا تعبد لله بعبادة لا يرضاها ولم يشرعها لعباده صار كالمستهزئ بالله.

وهو يشمل العبادات ويشمل المعاملات، ولهذا لو باع الإنسان بيعاً لخالف تعاليم الشرع، أو رهن رهناً أو أوقف وقفاً، فكله غير صحيح ومردود على صاحبه ولا ينفذ .



**[١٧٠]** عن جابر ﷺ، قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيناهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيشٍ، يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»، وَيقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصبُعَيهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَة ضَلَالَةٌ**»، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ**». رواه مسلم.

محدثات الأمور: ما لم يكن معروفًا في الكتاب والسنة ولا أصل له فيهما، وقوله: "احْمَرَّتْ عَينَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ"، وإنما كان يفعل هذا لأنه أقوى في التأثير على السامع.

وقوله: «**بُعِثْتُ أَنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**»، وَيَقْرِنُ بَيْنَ أُصْبُعَيهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، يعني بين الأصبعين، والمعنى أن أجل الدنيا قريب، وهذا كما فعل ﷺ ذات يوم حيث خطب الناس في آخر النهار، والشمس على رؤوس النخل، فقال: «**إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ دُنْيَاكُمْ إِلَّا كَمَا مَا بَقِيَ مِنْ يَوْمِكُمْ هَذَا**»، فإذا كان الأمر كذلك والنبي ﷺ الآن مات له ألف وأربعمائة سنة ولم تقم القيامة، دل هذا على أن الدنيا طويلة الأمد، ولكن ما يقدره بعض الجيولوجيين من عمر الدنيا الماضي بملايين الملايين لا يصدق ولا يكذب، فهو كأخبار بني إسرائيل؛ لأنه ليس لدينا علم من كتاب الله أو سنة رسوله في مقدار ما مضى من الدنيا، ولا في مقدار ما بقي منها على وجه التحديد، ويدل لهذا قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللهُ**﴾ [إبراهيم: ٩]، فإذا حصر الله العلم في نفسه، فأيّ أحد يدعي شيئاً فيما مضى مما يتعلق بالبشرية أو بطبيعة الأرض أو الأفلاك أو غيرها فإننا لا نصدقه ولا نكذبه.؟! ثم يقول: «**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفسِهِ**»، كما قال ربه ﷻ: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ [الأحزاب: ٦]، فهو أولى بك من نفسك، وهو

بالمؤمنين رؤوف رحيم، ومن ترك من الأموات مالاً فلأهله يرثونه، ومن ترك ديناً أو ضياعاً، يعني أولاداً صغاراً يضيعون، فأمرهم إلي، أنا وليّهم، والدَّين عليّ أنا أقضيه، حين فتح الله عليه بالفتوحات والغنائم، وكثير من الجهال يستدين ليشتري سيارة فخمة، أو باباً ينفتح بالكهرباء، ثم تتراكم عليه الديون الكثيرة من حيث لا يشعر، فإياكم والديون، احذروها فإنها تهلككم، إلا شيئاً ضرورياً فهذا شيء آخر.



## ١٩ - فِيمَن سَنَّ سُنَّةً حسنةً أو سيِّئةً

الدين الإسلامي كامل لا يحتاج إلى تكميل، لأن الله تعالى قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، قَالَ الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان:٧٤]، و﴿هَبْ لَنَا﴾يعني أعطنا، والأزواج: جمع زوج، وهو صالح للذكر والأنثى، لكن أهل الفرائض جعلوا للرجل زوج وللمرأة زوجة، من أجل التفريق عند قسمة المواريث، ﴿قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ في المرأة أنك إذا نظرت إليها سرتك، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك وفي ولدك، وإذا بحثت عنها وجدتها قانتة لله، وكذلك أيضاً الذرية والأولاد، يسرونه في كل مناسبة، والجملة الأخيرة: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ هي الشاهد، يعني اجعلنا للمتقين أئمة في أفعالنا وأقوالنا، فإن المؤمن ولا سيما أهل العلم يقتدى بهم؛ بأقوالهم وأفعالهم، ولهذا تجد العامة إذا أمرتهم بشيء أو نهيتهم عن شيء، قالوا: هذا فلان يفعل كذا وكذا.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء:٧٣]، أي صيرناهم أئمة علماء يهدون الناس، أي يدلونهم على دين الله، والله بيّن أنه جعلهم أئمة بسبب أنهم: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، لما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصية الله، وصبروا على أقدار الله؛ فلا بد أن يصيبه من الأذى ما يصيبه، فليصبر، وهم يوقنون بالجزاء الذي أخبرهم الله به، وهذه نقطة ينبغي لنا أن ننتبه لها؛ أن نعمل ونحن نوقن بالجزاء، كثير من الناس يعملون، يصلون ويصومون ويتصدقون بناء على أن هذا أمر الله، لكن ينبغي أن تدرك وأن تستحضر بأنك إنما تفعل هذا رجاء الثواب وخوف العقاب، حتى تكون موقناً بالآخرة، فبالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.



**[١٧١]** عن أبي عمرو جرير بن عبد الله ﷺ قال: كُنَّا فِي صَدْرِ النَّهَارِ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَاءَهُ قَوْمٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَار أَوْ العَبَاءِ، مُتَقَلِّدِي السُّيُوفَ، عَامَّتُهُمْ مِنْ مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمَعَّرَ وَجْهُ رَسُولُ الله ﷺ لَمَّا رَأَى بِهِمْ مِنَ الفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بِلالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فصَلَّى ثُمَّ خطَبَ، فَقالَ: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إِلَى آخر الآية: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾، وَالآيَةَ الأُخْرَى الَّتِي فِي آخِرِ الحَشْرِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾، **تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهمِهِ، مِنْ ثَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ، حَتَّى قَالَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجَزُ عَنهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ حَتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ يَتَهَلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدَهُ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ**». رواه مسلم.

والنِّمَارِ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُخَطَّطٌ، وَمُجْتَابِيهَا: أي لاَبِسِيهَا قَدْ خَرَقُوهَا فِي رُؤوسِهِم، وَالجَوْبُ: القَطْعُ، ومِنْهُ قَولُهُ تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾: أي نَحتُوهُ وَقَطَعُوهُ، وتَمَعَّرَ: تَغَيَّرَ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ: الصفاءُ والاستنارة، وسبب تَمَعُّرِ وَجْه رسول الله ﷺ شدَّة احتياج هؤلاء مع عدم مواساة الأغنياء لهم.

وهذا حديث عظيم يتبين منه حرص النبي ﷺ على أمّته، فبينما هم مع رسول الله في أول النهار، إذ جاء قوم من مضر مجتابي النمار، يعني ليس على الواحد منهم إلا ثوبه يستر به عورته، وقد ربطه على رقبته، ومعهم السيوف استعداداً لما يؤمرون به من الجهاد، فتمعّر وجه النبي، يعني تغير وتلون لما رأى فيهم من الفقر والجوع إلى هذا الحال، وهم من أشرف قبائل العرب، ثم حث على الصدقة، حتى بلغت كومين من الطعام والثياب، والمراد بالسّنّة

في قوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً**»، أي ابتدأ العمل وليس من أحدث، لكن المراد بمن سنها أي صار أول من عمل بها؛ وقد أخذ من هذا الحديث أقوام يبتدعون في دين الله ما ليس منه، فيبتدعون أذكاراً ويبتدعون صلوات ما أنزل الله بها من سلطان، ثم يقولون: هذه سنة حسنة، نقول: لا، لكن المراد في الحديث من سابق إليها وأسرع، كما هو ظاهر السبب، أو من أحياها بعد أن أميتت، فهذا له أجرها وأجر من عمل بها.

**[١٧٢]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا، لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتلَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

ابن آدم المذكور: هو قابيل، والمقتول: هابيل، وهما المذكوران في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ**﴾ [المائدة:٢٧].



# ٢٠- الدَّلالة على الخير

قال تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ [القصص:٨٧]، والدلالة على الخير: هي أن يبيّن الإنسان للناس الخير الذي ينتفعون به في أمور دينهم ودنياهم، ومَن دلّ على خير فهو كفاعله، أما الدعوة إليه فهي أخص من الدلالة؛ لأن الإنسان قد يدل فيبين ولا يدعو، فإذا دعا كان هذا أكمل وأفضل.

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥].

الحكمة: القرآن بلين ورفق.

وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢].

وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، والأمّة بمعنى الطائفة، واللام في قوله: ﴿وَلْتَكُنْ﴾ للأمر، و﴿مِنْ﴾ في قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾ فيها قَولان، إما للتبعيض، أو لبيان الجنس، فعلى القول الأول يكون الأمر هنا على الكفاية، أي إنه إذا قام به من البعض سقط عن الباقين؛ وعلى القول الثاني يكون الأمر أمراً عينياً، وهو أنه يجب على كل واحد أن يكرس جهوده لهذا الأمر، والدعوة إلى الخير تشمل كل شيء فيه مصلحة للناس في معاشهم ومعادهم؛ وقوله: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فالمعروف ما عرفه الشرع وأمر به، والمنكر ما أنكره ونهى عنه.

ولا بد لهذا الأمر من شروط:

الشرط الأول: أن يكون الآمر أو الناهي عالماً بأن هذا معروف وهذا منكر، لأن التحريم والتحليل لا يكون بحسب العاطفة؛ فأول ما ظهرت مكبرات الصوت أنكرها بعض الناس، وقال: إن هذا منكر، كيف نؤدي الصلاة أو الخطبة بهذه الأبواق التي تشبه بوق اليهود؟ ومن العلماء من قال: إن هذه من نعمة الله؛ وإن مثل هذه كمثل نظارات

العين إذا ضعف البصر يحتاج إلى تقوية، والطريق إلى معرفة ذلك الكتاب والسنة فقط، وإجماع الأمة أو القياس الصحيح، وكلاهما مستند إلى الكتاب والسنة.

والشرط الثاني: أن لا يتحول المنكر إذا نهى عنه إلى ما هو أنكر منه وأعظم، مثال ذلك: لو رأيت شخصاً يشرب الدخان، لكننا لو أنكرنا عليه لتحول إلى شرب الخمر، فهنا لا ننهاه؛ لأن منكره الأول أهون، ودليلُ هذا قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، فسبُّ آلهة المشركين من الأمور المطلوبة شرعاً، ويجب علينا أن نسب آلهة المشركين، وأن نسب أعياد الكفار، وأن نحذر منها، وأن نبصر إخواننا الجهال السفهاء بأنه لا يجوز المشاركة بها، لهذا قال ابن القيم، وهو من تلاميذ شيخ الإسلام البارزين: إن الذي يشارك هؤلاء في أعيادهم ويهنئهم فيها، فإنه قد فعل محرماً بلا شك، لأن مشاركتهم في أعيادهم أو تهنئتهم فيها، مثل قول: عيد مبارك وما أشبه ذلك، لا شك أنه رضاً بشعائر الكفر، وإن سبّ هؤلاء وأعيادهم أمر مطلوب شرعاً، ولكن إذا كان يؤدّى إلى شيء أعظم منه فإنه يُنهى عنه، فإن الواجب الصمت، حتى يأتي اليوم الذي يتمكن فيه من ذلك.

ولكن لا يمكن أن تتم الدعوة إلا بعلم الإنسان بما يدعو إليه؛ لأن الجاهل قد يدعو إلى شيء يظنه حقاً وهو باطل، وقد ينهى عن شيء يظنه باطلاً وهو حق، وسواء كان عالماً متبحراً فاهماً في جميع أبواب العلم، أو كان عالماً في المسألة نفسها التي يدعو إليها، فليس بشرط، بل لنفرض أنك تريد أن تدعو الناس إلى إقام الصلاة، فإذا فقهت أحكام الصلاة وعرفتها جيداً فادع إليها، ولو كنت لا تعرف غيرها من أبواب العلم؛ لقول النبي ﷺ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**»، ولكن لا يجوز أن تدعو بلا علم أبداً؛ لأن ذلك فيه خطر؛ خطر عليك أنت، لأن الله حرم أن تقول على الله ما لا تعلم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فإنك مسؤول عن ذلك، ولا بد أيضاً من أن يكون الإنسان

حكيماً في دعوته، يُنزل الأشياء في منازلها، ويضعها في مواضعها، فيدعو العاقل بما يناسبه، ويدعو الجاهل بما يناسبه، كل أناس حسب ما يليق بحالهم، فالمشركين جهّال، لكن أهل الكتاب عندهم علم، يحتاجون إلى استعداد تام، ولنضرب لهذا مثلاً واقعياً: لو أن رجلاً جاهلاً تكلم وهو يصلي، يظن أن الكلام لا يضر، فهذا لا نوبخه ولا ننهره ولا نشدد عليه، لكن لو علمنا أن شخصاً يعلم أن الكلام في الصلاة حرام ويبطلها، لكنه إنسان مستهتر؛ يتكلم ولا يبالي، فهذا نخاطبه بما يليق به، انظر ما هو أحسن من حيث الأسلوب والإقناع وذكر الأدلة؛ لأن من الناس من يقتنع بالأدلة الشرعية أكثر مما يقتنع بالأدلة العقلية، ومن الناس من يكون بالعكس، فهؤلاء على خطر لا تلينوا معهم.



**[١٧٣]** وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**». رواه مسلم. وأوله عن أبي مسعود قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: إني أبدِع بي فاحملني، قال: «**مَا عِنْدِي**»، قال رجل: يا رسول الله، أنا أدلّه على من يحمله، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**».



**[١٧٤]** وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**». رواه مسلم.

يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ، وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [العنكبوت: ١٢- ١٣].

قوله: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى**»، يعني بيّنه للناس ودعاهم إليه، مثل أن يبين للناس أن ركعتي الضحى سنة، ثم تبعه الناس وصاروا يصلون الضحى، فإن له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، أو قال للناس مثلاً: اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً، ولا تناموا إلا على وتر، فتبعه ناس على ذلك، فإن له مثل أجرهم، يعني كلما أوتر واحد هداه الله على يده؛ فله مثل أجره، وكذلك بقية الأعمال الصالحة، واعلم أن الدعوة إلى الهدى والدعوة إلى الوزر تكون بالقول؛ كما لو قال أفعل كذا أفعل كذا، وتكون بالفعل خصوصاً من الذي يُقتدى به من الناس، فإنه إذا فعل شيئاً فكأنه دعا الناس إلى فعله، ولهذا يحتجون بفعله ويقولون فعل فلان كذا وهو جائز، أو ترك كذا وهو جائز، وفي هذا دليلٌ على أن المتسبب كالمباشر.



**[١٧٥]** وعن أبي العباس سهل بن سعد الساعدي، أن رسول الله ﷺ، قال يوم خَيْبَر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله، هُوَ يَشْتَكِي عَيْنَيهِ، قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**»، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرِئَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ الله تَعَالَى فِيهِ، فَوَ الله لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يَدُوكُونَ: أي يَخُوضُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ.

في هذا الحديث: بيانُ فضلِ الدعاء إلى الهدى، وعظيمِ أجر من اهتدى بسببه أحد.

خيبر: مزارع وحصون لليهود، كانت نحو مائة ميل في الشمال الغربي من المدينة،

وسكنها اليهود كما سكن طائفة منهم المدينة نفسها؛ لأن اليهود يقرؤون في التوراة أنه سيُبعث نبي، وسيكون مهاجره إلى المدينة، وتسمى في العهد القديم يثرب، وأنه سيهاجر إليها وسيقاتل وينتصر على أعدائه، فعلموا أن هذا حق، وذهبوا إلى المدينة وسكنوها، وسكنوا خيبر، وكانوا يظنون أن هذا النبي سيكون من بني إسرائيل، فلما بُعث من بني إسماعيل من العرب حسدوهم، وكفروا به، بعد أن كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقالوا ليس هذا هو النبي الذي ننتظره، وكانوا في المدينة ثلاث قبائل: بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، وكلهم عاهد وغدر، وحصل منهم ما حصل من الخيانة، فهزمهم الله على يد النبي ﷺ، وكان آخرهم بني قريظة الذين حكم فيهم سعد بن معاذ بأن يُقتل الرجال وتُسبى النساء، وتُغنم أموالهم، وكانوا سبعمائة فحصدوهم عن آخرهم.

وقد اختلف العلماء في أمر القتال، هل هذا خاص بأهل الكتاب حتى يُعطوا الجزية؟ أو أنه عام لجميع الكفار؟ فأكثر العلماء يقولون: إن الذي يقاتَل حتى يعطي الجزية أو يُسلِم هم أهل الكتاب؛ اليهود والنصارى، وأما غيرهم فيقاتلون حتى يسلموا ولا يقبل منهم إلا الإسلام، والصحيح أنه عام، ودليل ذلك أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر، وهم ليسوا أهل كتاب كما أخرجه البخاري.

«**عَلَى رَسْلِكَ**»، أي لا تمشِ عجلاً فتتعب أنت، ويتعب الجيش.

«**حَتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ**»: أي بجانبهم، ثم ادعهم بأمرين، الأول: إلى الإسلام، بأن يقول لهم أسلموا، والثاني: بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، وهو السمع والطاعة لأوامر الله ورسوله، لأجل أن يكون على بصيرة، لأن بعض الناس يدخل في الإسلام ولا يدري ما هو، ثم إذ بيّنت له الشرائع ارتد، ولهذا ينبغي لنا في هذا العصر، إذا دعوناهم إلى الإسلام أن نبين لهم، لا نكتفي بقولنا: اسلموا فقط، من أجل أن لا يرتدوا، والشاهد في

هذا الحديث قوله ﷺ: «**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»: يعني الإبل الحمر، وهي عند العرب أنفس الأموال، ففعل ودعاهم إلى الإسلام ولكنهم لم يسلموا.

**[١٧٦]** وعن أنس رضي الله عنه، أن فتى من أسلم قال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِي مَا أَتَجَهَّزُ بِهِ، قَالَ: «**ائْتِ فُلَانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ**»، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ، فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ، أَعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ لَا تَحْبِسِينَ مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارِكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم.

في هذا دليلٌ على أن الإنسان، إذا دلّ أحداً على الخير فإنه يثاب على ذلك، ومن دلّ على خير فله مثل أجر فاعله، وفيه دليلٌ أيضاً على أن من أراد عملاً صالحاً فحبسه عنه مرض، فإنه ينبغي أن يدفعه إلى من يقوم به حتى يُكتب له الأجر كاملاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [النساء: ١٠٠]، وفيه دليلٌ أيضاً من كلام الصحابة، أن الإنسان إذا بذل الشيء في الخير فإن الأفضل أن ينفذه، فمثلاً لو أردت أن تتصدق بمالٍ في مسجد، أو في جمعية خيرية، فلك الخيار أن ترجع عما فعلت؛ لأنه ما دام الشيء لم يبلغ محله فهو بيدك، ولكن الأفضل أن تنفذه.





## ٢١- التَّعاون على البرِّ والتَّقوى

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢]. التعاون معناه: أن يعين الناس بعضهم بعضاً على أعمال البر والتقوى، والتقوى: اتقاء الشر، فالتعاون فيه بأن تحذر وتُحذّر منه، وأن تمنع منه ما استطعت، قالَ تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣]. قال الشافعي رحمه الله: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم، يعني أنها تضمنت أحوال الناس، فأخبر تعالى أن الناس كلهم في خسارة، إلا مَنْ آمن وعمل صالحاً وصبر، وأقسم الله بالعصر الذي هو الزمن، والناس فيه منهم من يملؤه خيراً ومنهم من يملؤه شراً، وهو من أعمال العباد، والإنسان عام؛ يشمل كل إنسان، ذكر وأنثى، مؤمن وكافر، كل الإنسان في خسر، خاسر كل عمله، تعبٌ في الدنيا وعدم فائدة في الآخرة، إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر. والعمل الصالح: هو كل ما يقرب إلى الله، ولا يكون إلا بشرطين، هما: الإخلاص لله ﷻ والمتابعة لرسول الله ﷺ، والإخلاص لله: بمعنى ألا تقصد بعملك مراءاة عباد الله، لا تقصد إلا وجه الله والدار الآخرة، وأما المتابعة: فهي المتابعة للرسول ﷺ فيما أمر به ونهى عنه.



**[١٧٧]** وعن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فإذا جهز الإنسان غازياً، يعني براحلته ومتاعه وسلاحه، فقد غزا، أي كتب له أجر الغازي، لأنه أعانه على الخير، وكذلك من خلفه في أهله بخير فقد غزا، يعني لو أن الغازي أراد أن يغزو، ولكنه أشكل عليه أهله من يكون عند حاجاتهم، فانتدب رجلاً من المسلمين، وقال: أخلفني في أهلي بخير، فإن هذا الذي خلفه يكون له أجر الغازي؛ لأنه أعانه.

من ذلك ما جرى لعلي بن أبي طالب ﷺ حين خلفه رسول الله ﷺ في أهله في غزوة تبوك، فقال: "يا رسول الله، أتدعني مع النساء والصبيان؟"، فقال له ﷺ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»، يعني أن أخلفك في أهلي، كما خلف موسى هارون في قومه، حينما ذهب إلى ميقات ربه.

ويؤخذ من هذا، أن كل من أعان شخصاً في طاعة الله فله مثل أجره، فإذا أعنت طالب علم في شراء الكتب له، أو تأمين السكن، أو النفقة، أو ما أشبه ذلك، فإن لك أجراً مثل أجره، من غير أن ينقص من أجره شيئاً، وهكذا لو أعنت مصلياً على تسهيل مهمته في صلاته أو في وضوئه، أو في أي شيء فإنه يُكتب لك في ذلك أجر.

**[١٧٨]** وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ بعث بعثاً إلى بني لِحْيَان مِنْ هُذَيْلٍ، فقال: «**لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا**». رواه مسلم.



**[١٧٩]** وعن ابن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ لقي ركباً بالرَّوْحَاءِ، فقال: «**مَنِ القَوْمُ؟**»، قالوا: المسلمون، فقالوا: من أنت؟ قال: «**رَسُولُ اللهِ**»، فرفعت إليه امرأةٌ صبياً، فقالتْ: ألهذا حجٌّ؟ قالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ**». رواه مسلم.

الروحاء: مكان بين مكة والمدينة، وكان هذا في حجة الوداع.

في هذا الحديث من الفوائد؛ وهو أن من أعان شخصاً على طاعة فله أجر؛ لأن هذه المرأة سوف تقوم برعاية ولدها إذا أحرم، وفي الطواف، وفي السعي، وفي الوقوف، وكل شيء.

واستدل بعض العلماء بقوله: «**نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ**»، أنه إذا أحرم الصبي لزمه جميع لوازم الحج؛ فيلزمه الطواف، والسعي، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة ومنى، ورمي

الجمرات، فليفعل ما يقدر عليه، وما لا يقدر عليه يُفعل عنه، إلا الطواف والسعي فإنه يُطاف ويُسعى به، ولا بأس أن يتحلل الصبي ولو من دون سبب؛ لأنه قد رفع عنه القلم، وليس بمكلف، وهذا يقع كثيراً من الناس الآن، حيث يحرمون بصبيانهم، ثم يتعب الصبي ويأبى أن يكمل ويخلع إحرامه، فعلى مذهب جمهور العلماء لا بد أن نلزمه بالإتمام، وعلى مذهب أبي حنيفة أنه لا يلزم، لأنه ليس أهلاً للتكليف، وفي هذا الحديث أيضاً، أن الصبي يصح منه الحج، وينوي عنه وليّه بقلبه أنه أدخله في الإحرام، ويفعل وليّه كل ما يعجز عنه.

**[١٨٠]** وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**الخَازِنُ المُسْلِمُ الأَمِينُ الَّذِي يُنْفِذُ مَا أُمِرَ بِهِ فيُعْطِيهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ المُتَصَدِّقَيْنِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المُتَصَدِّقَينِ: عَلَى التثنية وعَلَى الجمعِ، وكلاهما صحيح، وعلى ما هو الغالب على خزائن المال من الطمع والعبوس والحسد، فمن دفعه كاملاً بغير تكدير فله أجر المعطي؛ يعني لا يمنّ على المعطي، أو يظهر أن له فضلاً عليه، بل يعطيه طيبة به نفسه، فهذا يكون أحد المتصدقين مع أنه لم يدفع من ماله فلساً واحداً، مثال ذلك: رجل أمين صندوق للمال، ينفذ ما أمر به، ويعطيه صاحبه طيبة به نفسه، فإذا قال له صاحب الصندوق: يا فلان أعطِ هذا الفقير عشرة آلاف ريال، فأعطاه طيبة به نفسه، فإنه يكون كالذي تصدق بعشرة آلاف ريال من غير أن ينقص من أجر المتصدق شيئاً، هذا دليلٌ على أنه يُكتب لمن أعان مثل ما يكتب لمن فعل، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.





## ٢٢- النَّصِيحة

النُّصح معناه: أن الشخص يحب لأخيه الخير، ويدعوه إليه، ويبيّنه له، ويرغّبه فيه، وضد النصيحة المكر والغش والخيانة والخديعة.

والواجب على المؤمنين أن يكونوا كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، وهي أخوّة الدين.

الأخوّة في الدين أقوى من الأخوّة في النسب، بل إن الأخوة في النسب مع عدم الدين ليست بشيء، أما المؤمنون فإنهم وإن تباعدت أقطارهم وتباينت لغاتهم، فإنهم إخوة مهما كان، والأخ لا بد أن يكون ناصحاً لأخيه، مبدياً له الخير، أما نوح عليه السلام، وهو أول الرسل، يقول لقومه حين دعاهم إلى الله تعالى: ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢]، يعني لست بغاشّ لكم ولا خادع، وعن هود عليه السلام قال لقومه: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف: ٦٨].

وعلى كل حال، يجب على المرء أن يكون ناصحاً لإخوانه، مبدياً لهم الخير، داعياً لهم إليه، حتى يحقق بذلك الأخوّة الإيمانية.

قال بعض العلماء: علامة النصيحة ثلاث: اغتمام القلب بمصائب المسلمين، وبذل النصح لهم، وإرشادهم إلى مصالحهم، وإنْ جهلوا وكَرِهُوْهُ.



**[١٨١]** عن أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيم بن أوس الداريِّ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ، قَالَ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**». رواه مسلم.

قوله: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**» كررها ثلاثاً لأجل أن ينتبه المخاطب والسامع، حتى يتلقّى ما يقوله النبي ﷺ بانتباه، وذكر خمسة أشياء هي محل النصيحة: أولها النصيحة لله تكون

بالإخلاص لله، والتعبد له، فيقوم بأوامره طلباً للوصول إلى محبته وتعظيماً له، فينتهي عن محارمه خوفاً منه، ويكون الإنسان دائماً ذاكراً لربه بقلبه ولسانه وجوارحه، على كل حال، وفي كل ما يشاء، فيفكر في خلق السماوات والأرض، ولا يسمع أحداً يسب الله أو يشتم أو يستهزئ بالله إلا غار من ذلك وأنكر عليه؛ لأن هذا من النصيحة لله ﷻ.

ثم قال ﷺ: «**وَلِكِتَابِهِ**»، وهذا يشمل القرآن والذي أُنزل من قبل، والنصيحة لهذه الكتب بتصديق أخبارها، أما بالنسبة للقرآن فظاهر؛ لأن القرآن نُقل بالتواتر من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وإلى أن يرفعه الله ﷻ في آخر الزمان، وأما الكتب السابقة فإنها قد حُرّفت وغُيّرت وبُدّلت، لكن ما صحّ منها فإنه يجب تصديقه، ومن النصيحة لكتاب الله أن يدافع الإنسان عنه، فالرافضة مثلاً يدّعون أن القرآن فيه نقص، فخالفوا بذلك إجماع المسلمين، ومن زعم أنه قد نقص منه شيء؛ فقد كذّب قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [الحجر: ٩].

والنصيحة لكتاب الله تعلمه وتعليمه، وأن ينشر معناه الصحيح، واحترامه، فلا يمس القرآن إلا وهو طاهر من الحَدَثين، أو من وراء حائل؛ لأن من مس من وراء حائل فإنه لم يمسه في الواقع، وينبغي أن لا يقرأ القرآن ولو عن ظهر قلب إلا متطهراً، وأن لا تضعه في موضع يُمتهن فيه، كمحل القاذورات، ولهذا يجب الحذر مما يصنعه بعض الصبيان إذا انتهوا من الدروس في مدارسهم، ألقوا مقرراتهم في الطرقات أو في الزبالة، والتي من بينها آيات من المصحف، وأما وضع المصحف على الأرض الطاهرة الطيبة، فإن هذا لا بأس به ولا حرج فيه؛ لأن هذا ليس فيه امتهان للقرآن، ولا إهانة له، وهو يقع كثيراً من الناس، إذا كان يصلي ويقرأ من المصحف وأراد السجود يضعه على الأرض.

وأما الثالثة قوله: «**وَلِرَسُولِهِ**»، وهي تتضمن الإيمان التام برسالته، وتصديق خبره، وأن الله أرسله إلى جميع الخلق؛ عربهم وعجمهم، وإنسهم وجِنّهم. قال الله تعالى:

**﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾** [النساء:٧٩]، وقال تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾** [الفرقان: ١]. ومن النصيحة لرسول الله، الذّبّ عن شريعته وحمايتها، واحترام أصحابه وتعظيمهم ومحبتهم؛ لأنهم خاصته وأخص الناس به، ولهذا كان الصحابة خير القرون؛ لأنهم أصحابه، فمن سبّ الصحابة أو أبغضهم، أو لمزهم، فإنه لم ينصح للرسول ﷺ، وإن زعم أنه ناصح له فهو كاذب، وهو في الحقيقة قدح في الشريعة؛ لأن الصحابة حملة الشريعة إلينا.

الرابعة: «**وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ**»؛ الأئمة جمع إمام، والمراد بالإمام من يقتدى به ويؤتمر بأمره، وينقسم إلى قسمين؛ إمامة في الدين، وإمامة في السلطة:

القسم الأول: إمامة في الدين: فالإمامة في الدين هم العلماء، فالعلماء هم أئمة الدين الذين يقودون الناس لكتاب الله، ويهدونهم إليه، ويدلونهم على شريعة الله، والنصح لهم في الدين والعلم، هو أن يحرص الإنسان على تلقي ما عندهم من العلم بكل وسيلة، فإنهم الوساطة بين الرسول ﷺ وبين أمّته، وقد كثرت الوسائل في وقتنا من كتابة وتسجيل وغير ذلك، ومن النصح لهم أيضاً، أن لا يتتبع الإنسان عوراتهم وزلاتهم وما يخطئون فيه؛ لأنهم غير معصومين، وكل بني آدم خطّاء، فإنه جاء في الحديث: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ؛ لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَعَّ عَوْرَةَ أَخِيهِ فَضَحَهُ اللهُ وَلَوْ فِي بَيْتِ أُمِّهِ**»، هذا وهم مسلمون عامة فكيف بالعلماء؟! إن الذين يلتقطون زلات العلماء ليشيعوها ليسوا مسيئين للعلماء شخصياً وحسب، بل مسيؤون أيضاً إلى عِلْمهم الذي يحملونه، ومسيؤون إلى الشريعة، لأن العلماء إذا لم يثق الناس فيهم، يكون في هذا جناية على الشرع الذي يحملونه، لذلك ينبغي أن تدافع عن عوراتهم، وأن تسترها ما استطعت، ربما ينقل عنهم أشياء غير صحيحة، وقد حصل هذا عن قصد وعن غير قصد.

القسم الثاني: أئمة السلطة، وهم الأمراء، وهم في الغالب أكثر خطأ من العلماء؛

لأنه قد تأخذه العزة بالإثم، فيريد أن يفرض سلطته على الصواب والخطأ، والنصيحة لهم هي أن نكفّ عن مساوئهم، وأن لا ننشرها بين الناس، وأن نبذل لهم النصيحة ما استطعنا، بالمباشرة إذا كنا نستطيع أن نباشرهم، أو بالكتابة إذا كنا لا نستطيع، أو بالاتصال بمن يتصل بهم، أما نشر مساوئهم فليس فيه عدوان شخصي عليهم فقط، بل هو عدوان شخصي عليهم وعلى الأمة جميعاً؛ لأن الأمة إذا امتلأت صدورها من الحقد على وُلاة أمورها عصت الولاة ونابذتهم، وحينئذ تحصل الفوضى، ويسود الخوف، ويزول الأمن.

أما آخر الحديث فيقول: «**وَعَامَّتِهِمْ**»، يعني النصح لعامة المسلمين، وقدّم الأئمة على العامة؛ لأن الأئمة إذا صلحوا صلحت العامة؛ فإذا صلح الأمراء صلحت العامة، وإذا صلح العلماء صلحت العامة، لذلك بدأ بهم، والنصيحة لعامة المسلمين بأن تحب لهم ما تحبّ لنفسك، وليُعلم أن النصيحة هي مخاطبة الإنسان سراً بينك وبينه؛ لأنك إذا نصحته سراً أثرت في نفسه، لكن إذا تكلمت أمام الناس عليه؛ فإنه قد تأخذه العزة بالإثم فلا يقبل النصيحة، وقد يظن أنك إنما تريد الانتقام منه وتوبيخه فلا يقبل.



**[١٨٢]** عن جرير بن عبد الله ﷺ، قال: "بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والمبايعة هنا بمعنى المعاهدة؛ لأن المبايعة تطلق على البيع والشراء، وتطلق على المعاهدة، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ**﴾ [الفتح: ١٠]. وسُمِّيت مبايعة؛ أن كلًّا من المتبايعين يمدُّ باعه إلى الآخر، يعني يده من أجل أن يمسك بيد الآخر، ويقول: بايعتك على كذا وكذا.

هذه ثلاثة أشياء: حق محض لله، وحق للآدمي محض، وحق مشترك.

ومعنى "إِقَامِ الصَّلَاةِ": أن يأتي بها الإنسان مستقيمة على الوجه المطلوب، فيحافظ

عليها في أوقاتها، ويقوم بأركانها وواجباتها وشروطها، ويتمّم ذلك بمستحباتها، ومن هذا بالنسبة للرجال إقامة الصلاة في المساجد مع الجماعة، ومن تخلّف عن الجماعة بلا عذر فهو آثم، بل هي عند شيخ الإسلام ابن تيميه باطلة مردودة عليه، ولكن عند الجمهور أنها تصح مع الإثم، وهذا هو الصحيح، ومن إقامة الصلاة: الخشوع فيها، وحضور القلب وتأمله بما يقوله المصلي وما يفعله، وهو أمر مهم؛ لأن الصلاة بلا خشوع كالجسد بلا روح، فأنت إذا صلّيت وقلبك يدور في كل وادٍ فإنك تصلي حركات بدنيه فقط، فإذا كان قلبك حاضراً تشعر كأنك بين يدي الله ﷻ، تناجيه وتتقرب إليه، فهذا هو لبُّ الصلاة روحها.

وأما قوله: "وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ"، هذه جامعة بين حق الله وحق العباد.

وأما قوله: "وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"، فهذا هو الشاهد من الحديث، وكيفية النصح لكل مسلم هي قوله ﷺ:



[١٨٣] عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. بحيث يسرّك ما يسرّهم، ويسوءك ما يسوؤهم، وتعاملهم بما تحب أن يعاملوك به، وهذا الباب واسع كبير جداً، قال العلماء: المراد به نفي الإيمان الكامل، يعني لا يكمل إيمانك حتى تحب لأخيك ما تحب لنفسك، وليس المراد انتفاء الإيمان بالكلية.



## ٢٣- الأمر بالمعروف والنّهي عن المُنكر

المعرُوف: كل ما عرّفه الشرع وأقرّه من العبادات القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، والمنكر: كل ما أنكره الشرع ومنعه من أنواع المعاصي؛ من الكفر، والفسوق، والعصيان، والكذب، والغيبة، والنميمة، وغير ذلك.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجب وفرض كفاية، إذا قام به من يكفي، وإذا لم يقم به من يكفي؛ وجب على جميع المسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

وهناك مرحلة ثالثة؛ وهي التغيير الذي قال فيه الرسول ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**».

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى أمور:

منها: أن يكون الإنسان عالماً بالمعروف والمنكر، فإن لم يكن عالماً بذلك؛ فلا يأمر به ولا يَنْهَ عنه؛ لأنه قد ينهى عن شيء وهو مباح، وقد يتسرع كثير من إخواننا الغيورين فيضيّقون على عباد الله، فالواجب أن لا تأمر بشيء وأن لا تنه عن شيء إلا وأنت تدري أنه معروف أو منكر. ومنها: أن لا تأخذ الناس بالتهمة أو بالظن، فإن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢]، فإذا رأيت شخصاً لا يصلي معك في المسجد، فلا يلزم من ذلك أنه لا يصلي، قد يصلي في مسجد آخر، وقد يكون معذوراً، وأشد من ذلك أن تتكلم فيه في المجالس، نعم، لا بأس أن تذهب وتسأله، وتقول: يا فلان، نحن نفقدك في المسجد، ولهذا كان النبي ﷺ يستفهم أولاً قبل أن يأمر، كذلك في المنكر، فإذا رأيت امرأة مع شخص في سيارة مثلاً، فإنه لا يجوز

أن تتكلم عليه، لأنه ربما تكون هذه المرأة زوجته أو أمّه أو أخته، وأمثال هذا كثيرٌ، ثم ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون رفيقاً بأمره في نهيه؛ لأنه إذا كان رفيقاً أعطاه الله ﷻ ما لا يعطي على العنف، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ**»، فأنت إذا عنَّفته ربما ينفر، وتأخذه العزة بالإثم، ولا ينقاد لك.

ومنها: أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه، مثال ذلك: لو أن رجلاً يشرب الدخان أمامك فأردت أن تنهاه، ولكنك تعرف أنك لو فعلت لذهب يشرب الخمر، ومعلوم أن شرب الخمر أعظم، فهنا لا ننهاه؛ بل نعالجه بالتي هي أحسن.

ومنها: اختلف فيه العلماء، هل يشترط أن يكون الآمر والناهي فاعلاً لما أمر به، تاركاً لما نهى عنه أو لا؟ والصحيح أنه لا يشترط، فإذا أمر بمعروف وكان لا يفعله، أو نهى عن منكر ويفعله، فإن ذنبه عليه، لكن يجب أن يأمر وينهى، لأنه إذا ترك ذلك لأضاف ذنباً إلى ذنبه، ولكن في الغالب بمقتضى الطبيعة الفطرية أن الإنسان لا يأمر الناس بشيء لا يفعله، بل يستحي، ويخجل، ولا ينهى الناس عن شيء يفعله، ثم إنه ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه .

ثم قال الله ﷻ بعدها: ﴿**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ**﴾ [آل عمران: ١٠٥]. والنهي عن التفرق يدل على أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للتفرق، وذلك أن الناس إذا كانت لهم مشارب متعددة مختلفة تفرّقوا، فهذا يعمل طاعة، وهذا يعمل معصية، وهذا يسكر، وهذا يصلي، وما أشبه ذلك، فيكون لكل طائفة مشرب، ولو أن الأمة أمرت بالمعروف ونهت عن المنكر، وتحاكمتْ إلى الكتاب والسنة، ما تفرقت أبداً، ولحصل لهم الأمن هو أشد من كل أمن، كما قال الله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢].

الدول الكبرى والصغرى الآن كلها تكرس جهوداً كبيرةً جبارة لحفظ الأمن، ولكنّ كثيراً من المسلمين غفلوا، والأمن التام موجود في هذه الآية، فقد كان أكبر مسؤول أول ما ظهرت هذه الأمة ينام وحده في المسجد، ويمشي وحده في السوق، لا يخاف إلا الله، ليس عنده حارس ولا يحتاج لأحد يحرسه؛ لا في السوق ولا في بيته؛ لأن الإيمان الخالص الذي لم يلبس بظلم كان في ذلك الوقت. ثم جاء عهد بني أمية، فمنهم من حاد، وحصل الاضطراب، وحصلت الفتن، وقامت الخوارج، وحصل الشر. ثم جاء عهد عمر بن عبد العزيز فاستتبّ الأمن، ولكن الله من حكمته لم يُمدّ في خلافته، فكانت سنتين وأشهراً، فالأمن ليس بكثرة الجنود، ولا بقوة السلاح، ولا بقوة الملاحظة والمراقبة، ولكن الأمن في هذين الأمرين فقط: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وَقالَ تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠].

وَقالَ تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وَقالَ تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة:٧١]. معناه: كل واحد يتولى الثاني، ينصره ويساعده، وفي هذه الآية دليلٌ على أن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليست خاصة بالرجال، بل حتى النساء عليهن ذلك، لكن في حقول النساء ومجتمعات النساء؛ في أيام العرس، وفي أيام الدراسة، إذا رأت المرأة منكراً تنهى عنه، وإذا رأت تفريطاً في واجب تأمر به .

وقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ، كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨- ٧٩]. واللعن: هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ولا يستحقه إلا من فعل

كبيرة من كبائر الذنوب، وبنو إسرائيل هم بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فإسرائيل هذه لقب ليعقوب، إبراهيم له ولدان: إسماعيل وإسحاق، إسماعيل هو الولد الأكبر لإبراهيم من سريته هاجر، وهو الذي أمره الله بذبحه، وفداه الله بذبح عظيم، وأما إسحاق فهو الولد الثاني لإبراهيم من زوجته سارة، فبنو إسرائيل هم من نسل يعقوب بن إسحاق، أرسل الله إليهم الرسل الكثيرة، وكان منهم المعتدون الذين يقتلون الأنبياء بغير حق، وكانوا أيضاً لا ينهون عن منكر فعلوه، وقصة القرية التي كانت حاضرة البحر مشهورة معلومة في القرآن الكريم، وهم قوم من اليهود، احتالوا على الله في صيد السمك يوم سبتهم، والشاهد من هذا أن فيهم قوماً لم يقوموا بما أوجب الله عليهم من النهي عن المنكر، فكانوا ممن دخلوا في هذه اللعنة، وفي ذلك دليلٌ على وجوب النهي عن المنكر، وعلى أن تركه سبب للعن والطرد عن رحمة الله.

وفي حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «**وَالذَّي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالَمْعُروفِ وَلتَنْهَوُنَّ عَنِ الُمْنكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الُمسِيءِ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ أطْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ**».

وقال تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ [الكهف:٢٩].

هذه الجملة ليست للتخيير، ولكنها للتهديد، والدليل على هذا آخر الآية، وهو قوله: ﴿**إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف:٢٩]، ففي هذا تهديد لمن لم يؤمن، وأن الحق بيِّنٌ وظاهرٌ، أي: بعدما بيّنت لكم الحق فلا أبالي بإيمان من آمن، وكفر من كفر.

وَقالَ تعالى: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ**﴾ [الحجر:٩٤]، والخطاب هنا للرسول ﷺ، وليعلم أن هذا الخطاب ينقسم إلى قسمين: قسم خاص به وقسم له ولأمته، والأصل أنه له

ولأمته؛ فهنا يقول الله ﷻ لرسوله؛ يعني أظهر ما تؤمر به ولا تأخذك في الله لومة لائم، وهذا له ولأمته، كل الأمة يجب عليها أن تصدع بما أمرها الله به، وأن تصدع بما نهى الله عنه؛ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، يعني لا تحزن ولا تهتم بهم، ولا في حالهم ولا فيما يأتي من أذاهم لعدم إيمانهم، فإن العاقبة لك، وهذا هو الواقع، صارت العاقبة للرسول ﷺ، صبر وظفر.

وَقالَ تعالى: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾[الأعراف:١٦٥]. أول الآية: ﴿فَلَمَّا نَسُوْا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا...﴾، نزلت في أصحاب السبت، وهي عامة في كل من فعل مثل فعلهم، هذه هي قصة القرية التي على البحر، حرّم الله على بني إسرائيل أن يصطادوا السمك يوم السبت، فاحتالوا بحيلة، وضعوا شباكهم في يوم الجمعة، فإذا صار يوم الأحد أخذوا هذا السمك، وفعلهم الخبيث أشبه بالحلال لمن يراهم ظاهرياً، لكنه حرام، فأخذهم الله بالعقوبة، وعلى الجانب الآخر قال تعالى: ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، وهم انقسموا ثلاثة أقسام: قسم فعل الحيلة، وقسم سكت، وقسم نهى، واختلف العلماء: هل الطائفة الساكتة أُخذت بالعذاب أم أنها نجت؟ نقول: أما التي نهت فقد نجت، وأما التي وقعت في الحرام فقد هلكت، وأما الساكتة فقط سكت الله عنها، وينبغي علينا أن نسكت كما سكت الله.



**[١٨٤]** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ رَأَى مِنكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**». رواه مسلم.

هذا الحديث: دليل على وجوب تغيير المنكر بحسب القدرة، قال الإمام أحمد: "التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح، وقال: الناس محتاجون إلى مداراة ورفق، والأمر

بالمعروف بلا غلظة، إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له، وقال أيضًا: يأمر بالرفق، فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب، فيكون يريد أنْ ينتصر لنفسه".



**[١٨٥]** عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيس وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**». رواه مسلم.

الحواريُّون: الأصفياء الناصرون، وفي الحديث: دليل على تفاوت مراتب الإيمان، وأن عدم إنكار القلب دليل على ذهاب الإيمان منه، ولهذا قال ابن مسعود: "هلكتَ إنْ لم يعرف قلبك المعروفَ وينكر المنكرَ". وفي سنن أبي داود: عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا عُمِلَتِ الخَطِيئَةُ فِي الأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكَرِهَهَا كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيَهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا**».



**[١٨٦]** عن أبي الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: "بَايَعْنَا رَسُولَ الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي العُسْرِ وَاليُسْرِ، وَالمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالحَقِّ أَيْنَما كُنَّا لَا نَخَافُ فِي الله لَوْمَةَ لَائِمٍ" مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المَنْشَطُ وَالمَكْرَهُ: أي في السهل والصعب.

الأَثَرَةُ: اختِصاص النفس بالمال المشترَكِ.

بَوَاحاً: أي ظاهِراً لا يحتمل تأويلاً.

في هذا الحديث: دليل عل وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر وإنْ جاروا، وأنه لا يجوز الخروج عليهم ما لم يظهروا كفرًا واضحًا لا يحتمل التأويل.

يقول: بايعناه على السمع والطاعة، ويستثنى من هذا معصية الله ﷻ فلا يبايع عليها أحد؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولهذا قال أبو بكر ؓ حين تولّى الخلافة: "أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُم". فإذا أمر ولي الأمر بمعصية من المعاصي فإنه لا يجوز لأحد أن يسمع له أو يطيع؛ فكيف يقدّم الإنسان طاعتهم على طاعة الله؟

وقوله: "في العسر واليسر": يعني أغنياءنا وفقراءنا سواء أن نطيع وُلاة أمورنا ونسمع لهم، وكذلك "والمنشط والمكره"، يعني سواء كنا كارهين لذلك لكونهم أمروا بها لا نهواه ولا نريده، أو كنا راضين ذلك، لكونهم أمروا بها يلائمنا ويوافقنا، المهم أن نسمع ونطيع في كل حال إلا ما استثني مما سبق، قال: "أَثَرَةٍ عَلَيْنَا"، أثرة يعني استئثاراً علينا، يعني لو كان وُلاة الأمر يستأثرون على الرعية بالمال أو غيره، مما يرفهون به أنفسهم ويحرمون الناس حولهم، فإنه يجب علينا السمع والطاعة، لا نقول: أنتم أكلتم الأموال وسكنتم القصور فلا نطيعكم؛ بل نقول: سمعاً وطاعة ولو كنا نحن لا نسكن إلا الأكواخ، لا يهمنا هذا؛ لأن هذا كله متاع الدنيا وستزولون عنه، أو يزول عنكم.

وقد قال النبي ﷺ في حديث آخر: «**اسْمَعْ وَأَطِعْ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ**»، واعلم أنك سوف تقتصّ يوم القيامة من حسناته، فإن بقي من حسناته شيء وإلا أخذ من سيئاته، ثم طرح عليه ثم طرح في النار، ولا يضيع على الله شيء.

ثم قال: «**وَأَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ**»، يعني لا ننازع وُلاة الأمور لنأخذ الإمرة منهم، فإن هذه المنازعة توجب شراً كثيراً، وفتناً عظيمة، وتفرّقاً بين المسلمين، ولم يدمر الأمة الإسلامية إلا منازعة الأمر أهله، من عهد عثمان إلى يومنا هذا، قال: "إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا

بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَى فِيهِ بُرْهَانٌ"، فحينئذ ننازع الأمر أهله، ونحاول إزالتهم عن ولاية الأمر، لكن بشروط:

الأول قوله: "أن تروا"، فلا بد من علم، أما مجرد الظن، فلا يجوز الخروج على الأئمة.

الثاني: أن نعلم كفراً لا فسقاً، أما الفسوق، مهما فسق وُلاة الأمور لا يجوز الخروج عليهم؛ لو شربوا الخمر، لو زنوا، لو ظلموا الناس، لا يجوز الخروج عليهم، لكن إذا رأينا كفراً صريحاً يكون بواحاً.

الثالث: الكفر البواح: وهذا معناه الصريح البين الظاهر، مثل: لو أن ولياً من وُلاة الأمور قال لشعبه: إن الخمر حلال، اشربوا ما شئتم، وإن اللواط حلال، تلوّطوا بمن شئتم، وإن الزنى حلال ازنوا بمن شئتم، فهذا كفر بواح ليس فيه إشكال، هذا يجب على الرعية أن يزيلوه بكل وسيلة ولو بالقتل، فأما ما يحتمل التأويل فلا يجوز الخروج عليهم.

الرابع: "عندكم فيه من الله برهان": يعني عندنا دليل قاطع على أن هذا كفر، ولا تجوز المنازعة حتى يكون لدينا قدرة على إزاحته، فإن لم يكن لدينا قدرة فلا؛ لأنه ربما إذا نازعنا وليس عندنا قدرة؛ يقضي على البقية الصالحة، وتتم سيطرته، وهذا الشرط مهم، وهو أن يكون لدينا قدرة على إزالتهم، فإن لم يكن لدينا قدرة، فلا يجوز الخروج؛ لأن هذا من إلقاء النفس في التهلكة، أي فائدة إذا خرجنا على هذا الولي؟ ونحن لا نخرج إليه إلا بسكين المطبخ، وهو معه الدبابات والرشاشات، أية فائدة؟ لا فائدة، ومعنى هذا أننا خرجنا لنقتل أنفسنا، نعم لا بد أن نتحيّل بكل حيلة على القضاء عليه وعلى حكمه، لكن بشرط أن يكون لدينا قدرة.

ولكن بقي أن نقول: فما حق الناس على ولاة الأمر؟ حق الناس على ولاة الأمر أن يعدلوا فيهم، وأن يتقوا الله فيهم، وأن لا يشقّوا عليهم، فإن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَ مَنْ وَلِيَ**

**مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ**»، وما ظنك بشخص شقّ الله عليه، إنه سوف يخسر وينحط، كما يجب على وليّ المسلمين أن يولّي على المسلمين خيرهم، ولا يجوز أن يولّي على الناس أحداً وفيهم من هو خير منه؛ لأن هذا خيانة، وكذلك أخبر النبي ﷺ أنه: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»، وأما قول بعض الناس من السفهاء: إنه لا تجب علينا طاعة وُلاة الأمور إلا إذا استقاموا استقامة تامة، فهذا خطأ، وهذا غلط، وهذا ليس من الشرع في شيء، وهذا لم يحصل منذ زمن، فقد تغيرت الأمور، ويذكر أن أحد ملوك بني أمية سمع أن الناس يتكلمون فيه، فجمع أشراف الناس وقال لهم: إنكم تريدون منا أن نكون مثل أبي بكر وعمر؟ قالوا: نعم، قال: كونوا أنتم مثل رجال أبي بكر وعمر؛ نكن نحن مثل أبي بكر وعمر، وهذا جواب عظيم، فالناس إذا تغيروا لا بد أن يغير الله وُلاتهم، كما تكونون يولى عليكم، يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٩]، وذكروا أن رجلاً من الخوارج الذين خرجوا على عليّ بن أبي طالب، جاء إلى عليّ، فقال له: يا عليّ، ما بال الناس قد تغيروا عليك ولم يتغيروا على أبي بكر وعمر، قال: لأن رجال أبي بكر وعمر أنا وأمثالي، ورجالي أنت وأمثالك.

ومع الأسف أن الناس اليوم عندهم كذب وتحايل على أنظمة الدولة، ورشاوى وغير ذلك مما لا يليق بالعاقل فضلاً عن المسلم، إذا كانت الدول الكافرة تعاقب من يأخذ الرشوة ولو كان من أكبر الناس، وقد قال النبي ﷺ: «**لُعِنَ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي**»، وعقوبة الله أشد من عقوبة الآدميين، وكذلك تجد الكذب والدجل من الناس على الحكومة، إلى غير ذلك من المعاصي التي يرتكبها الشعب، ثم يريدون من وُلاتهم أن يكونوا مثل أبي بكر وعمر!

ومن الأمور التي يهملها كثير من الناس، أنهم لا يحترمون أعراض وُلاة الأمور، تجد فاكهة مجالسهم أن يتكلموا في وُلاة الأمور، ولو كان هذا الكلام مجدياً وتصلح به الحال

لقلنا لا بأس، لكن هذا لا يجدي، ولا تصلح به الحال، وإنما يوغر الصدور، تجد الآن بعض الناس إذا جلس في المجلس لا يجد أُنسه إلا إذا تعرض لعالم من العلماء، أو وزير من الوزراء، ولو كان هذا الكلام يجدي لكُنّا أول من يشجع عليه، ولقلنا لا بأس، المنكر يجب أن يزال، والخطأ يجب أن يصحح، لكنه لا يجدي، إنما يوغر الصدور ويكرّه وُلاة الأمور إلى الناس، ويكرّه العلماء إلى الناس، ولا يحصل فيه فائدة، وقد قال النبي ﷺ كلمة جامعة مانعة: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمِتْ**»، والعجب أن بعض الناس لو أردت أن تتكلم في شخص عادي من الناس قالوا: لا تغتبه، هذا حرام، ولا يرضى أن يتكلم أحد في عرض أحد عنده، لكن لو تكلمت في واحد من وُلاة الأمور فإنه يرى أن هذا لا بأس به! وهذه مسألة تورّط بها كثير من الناس، وأنا أعتبرها مرضاً، ولو أن الناس كفّوا ألسنتهم ونصحوا لولاة أمورهم، اكتب كتاباً إن وصل وانتفعوا به فهذا هو المطلوب، وإذا لم ينتفعوا به فالإثم عليهم، وإذا لم يصل إليهم فالإثم على من منعه عنهم، وقوله: "وَأَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا"، يعني في أي مكان؛ وقوله: «لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ"، يعني لا يهمنا إذا لامنا أحد في دين الله؛ فمثلاً لو أراد الإنسان أن يطبّق سنّةً يستنكرها العامة، فإن هذا الاستنكار لا يمنع الإنسان من أن يقوم بهذه السنة، ولنضرب لهذا مثلاً: تسوية الصفوف في صلاة الجماعة؛ أكثر العوام يستنكر إذا قال الإمام: استووا، وجعل ينظر إليهم، ويقول: تقدم يا فلان، تأخر يا فلان، أو إذا تأخر الإمام عن الدخول في الصلاة حتى تستوي الصفوف، يستنكرون هذا، ويغضبون منه، حتى إن بعضهم قيل له مرة من المرات: يا فلان تأخر إنك متقدم، فقال من شدة الغضب: إن شئتَ خرجتُ من المسجد كله وتركته لك! فمثل هذا الإمام لا ينبغي له أن تأخذه لومة لائم في الله، بل يصبر ويمرّن الناس على السنة، والناس إذا تمرّنوا أخذوا عليها وهانت عليهم، لكن إذا رأى أن هؤلاء العوام جُفاة جداً، ففي هذه الحال ينبغي أن يعلمهم أولاً، حتى تستقر نفوسهم.

ومن ذلك أيضاً: أن العامة يستنكرون سجود السهو بعد السلام، ومعلوم أن السنة وردت به إذا كان السهو عن زيادة، فإنه يُسجد بعد السلام لا قبل السلام، سجد أحد الأئمة بعد السلام لسهو سهاه في صلاته؛ فثار عليه العامة! ما هذا الدين الجديد؟! فبعض الأئمة يأنف أن يسجد بعد السلام خوفاً من ألسنة الناس، وهذا خلاف ما بايع النبي ﷺ أصحابه عليه، قم بالحق ولا تخف في الله لومة لائم، والواجب على الداعي إلى أحكام الشرع؛ إذا كان عند عامّة جُفاة، فالأحسن أن يبلغهم الشرع قبل أن يطبق، من أجل أن تهدأ نفوسهم، وإذا طُبّق الشرع بعد ذلك، وقد حصل عندهم علم منه، لم يحصل منهم نفور.



**[١٨٧]** عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ الله وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُّوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَصَارَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوْا جَمِيعًا**». رواه البخاري.

«**القَائِمِ فِي حُدُودِ الله**»: يعني الذي استقام على دين الله وترك المحرّم.

«**وَالوَاقِعِ فِيهَا**»: أي في حدود الله، أي الفاعل للمحرّم أو التّارك للواجب.

«**كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُّوا عَلَى سَفِينَةٍ**»، وهو ما يسمّى بالقرعة، أيهم يكون الأعلى.

«**فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا**» نستقي منه، هكذا قدّروا وأرادوا، فإن تركوهم وما أرادوا دخل الماء، ثم أغرق السفينة، وإن منعوهم نجوا جميعاً، يعني هؤلاء وهؤلاء.

وفيه أن هذه السفينة المشتركة بين هؤلاء القوم إذا أراد أحد منهم أن يخرّبها، فإنه لا بد أن يمسكوا على يديه لينجوا جميعاً، فإن لم يفعلوا هلكوا جميعاً، وهكذا دين الله، إذا أخذ

العقلاء وأهل العلم والدين على الجُهّال والسفهاء نجوا جميعاً، وإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، كما قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [لأنفال: ٢٥].

**[١٨٨]** عن أُمِّ المؤمنين أُمِّ سلمة هند بنت أبي أمية حذيفة ﵂، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَٰكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**». رواه مسلم.

«**فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ**»: يعني أنهم لا يقيمون حدود الله، ولا يستقيمون على أمر الله، تعرف منهم وتنكر، «**فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَٰكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**» فإنه يهلك كما هلكوا، وأنه لا يجوز أن نقاتل الأمراء الذين نرى منهم المنكر؛ لأن مقاتلتهم فيها شر كثير، لأنهم إذا قوتلوا أو نوبذوا لم يزدهم ذلك إلا شر، فإنهم أمراء يرون أنفسهم فوق الناس، فإذا نابذهم الناس أو قاتلوهم؛ ازداد شرهم، إلا إذا لم يقيموا الصلاة فإننا نقاتلهم، وفي هذا الحديث دليلٌ على أن ترك الصلاة كفر، وهذا هو القول الحق؛ أن تارك الصلاة مطلقاً؛ لا يصلي مع الجماعة ولا في بيته؛ كافر كفراً مخرجاً عن الملة، وأنه أشد كفراً من اليهود والنصارى؛ لأنه مرتد، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل.



**[١٨٩]** عن أم المؤمنين أم الحكم زينب بنتِ جحش ﵂، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا، يَقُولُ: «**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هٰذِهِ**»، وَحَلَّقَ بِأُصْبُعَيْهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

حذّر العرب لأنهم حاملو لواء الإسلام، ولهذا فسره بذلك فقال: «**فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هٰذِهِ**»، وأشار بالسبابة والإبهام، يعني أنه جزء ضعيف، ومع ذلك فإنه يهدّد العرب، فالعرب الذين حملوا لواء الإسلام من عهد الرسول ﷺ إلى يومنا هذا، مُهدّدون من قبل يأجوج ومأجوج، فهم أهل الشر وأهل الفساد، ثم قالت زينب: "أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟". فالصالح لا يهلك وإنما هو سالمٌ ناج، لكن إذا كثر الخبث هلك الصالحون؛ لقوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الأنفال: ٢٥]، والخبث هنا يُراد به كثرة الأعمال الخبيثة في المجتمع ولو كانوا مسلمين، وإذا كُثر فيه الكفار، فقد عرّضوا أنفسهم للهلاك أيضاً، ولهذا حذّر النبي ﷺ من بقاء اليهود والنصارى والمشركين في جزيرة العرب، فقال: «**أَخْرِجُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»، وقال في مرض موته: «**أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»، وقال في آخر حياته: «**لَئِنْ عِشْتُ لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**»، وقال: «**لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ فِيهَا إِلَّا مُسْلِمًا**». هكذا صحّ عنه ﷺ، ومع الأسف الشديد، الآن تجد الناس كأنما يتسابقون إلى جلب اليهود والنصارى والهندوس والبوذيين وغيرهم من الملحدين والكفار إلى بلادنا للعمالة، ويدّعي بعضهم أنهم أحسن من المسلمين! هكذا يلعب الشيطان بعقول بعض الناس، والله ﷻ يقول: ﴿**وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢١]، فالحذر الحذر من استجلاب اليهود النصارى والوثنيين من البوذيين وغيرهم إلى بلاد الإسلام وإلى جزيرة العرب؛ لأنها جزيرة إسلام، منها بدأ وإليها يعود، فكيف نجعل هؤلاء الخبث بين أظهرنا وفي أولادنا، وفي أهلنا، وفي مجتمعنا!؟



**[١٩٠]** عن أبي سعيد الخُدري ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

«**إِيَّاكُمْ**»: هذه الصيغة صيغة تحذير، يعني أحذّركم من الجلوس على الطرقات، وذلك لأن الجلوس على الطرقات يؤدي إلى كشف عورات الناس؛ الذاهب والراجع، وإلى النظر فيما معهم من الأغراض التي قد تكون خاصة مما لا يحبون أن يطلع عليها أحد، وبما يُفضي أيضاً إلى الكلام والغيبة فيمن يمرّ، فلما رأى النبي ﷺ أنهم مصّممون على الجلوس، لم يشدّد عليهم ولم يمنعهم، إنما قال: «**فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**»، وذكر خمسة أشياء:

أولاً: أن تغضوا أبصاركم عمّن يمرّ، سواء كان رجلاً أو امرأة، وكان الناس في السابق يأتي الرجل بأغراض البيت يومياً فيحملها في يده، ثم إذا مرّ بهؤلاء شاهدوها وقالوا: ما الذي معه؟ وصاروا يتحدثون: فلان معه اليوم لحم لأهله، فلان أتي بكذا، فلان أتى بكذا.

ثانياً: كف الأذى، أي القول بالغيبة والنميمة، والأذى الفعلي بأن يضايقوه في الطريق، ولا يحصل المرور إلا بتعب ومشقة.

ثالثاً: ردُ السلام، فإذا سلّم أحد فرُدّوا عليه السلام؛ لأن السنة أنّ المارّ يسلم على الجالس.

رابعاً: الأمر المعروف، وهو كلّ ما أمر الله ورسوله به فإنك تأمر به.

خامساً: النهي عن المنكر، فإذا رأيتم أحداً مرّ وهو يفعل المنكر، مثل أن يمرّ وهو يشرب الدخان أو غيره من المنكرات، فأنهوه عن ذلك.



**[١٩١]** عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ رأى خاتمًا من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه، وقال: «**يَعْمَدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ**»، فقيل للرجل بعدما ذهب رسُول الله ﷺ: خُذْ خَاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ، قَالَ: لَا وَاللهِ لَا آخُذُهُ أَبَدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. رواه مسلم.

هذا الحديث فيه تغيير المنكر باليد، فلا يجوز للرجل أن يلبس خاتماً من ذهب، ولا أن يلبس قلادة من ذهب، ولا أن يلبس ثياباً فيها أزرار من ذهب، ولا غير ذلك، يجب أن يتجنب الذهب كله، وذلك أن الذهب إنما تلبسه النساء للزينة. قال الله ﷻ: ﴿**أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ**﴾ [الزخرف: ١٨]، يعني النساء، ولا يجوز له أن يلبس الذهب بأي حال من الأحوال، وأما لباس الفضة فلا بأس به، فيجوز له أن يلبس خاتماً من فضة، ولكن بشرط أن لا يكون هناك عقيدة في ذلك، مثل عادات النصارى في مسألة الدّبلة، جاء إليه القسيس وأخذ الخاتم ووضعه في أصابعه واحداً تلو الآخر، حتى استقرّ به إلى أحدها، وليس التّختّم من الأمور المستحبّة؛ بدليل أن الرسول ﷺ كان لا يلبس الخاتم، لكنه لما قيل له: إن الملوك والرؤساء لا يقبلون الكتاب إلا بختم، اتخذ خاتماً نقش فيه: محمد رسول الله.

وفي هذا الحديث دليل على جواز إتلاف ما يكون به المنكر؛ لأن الرسول نزعه من يده وطرحه ولم يقل له: خذه وأعطه أهلك مثلاً، ولهذا كان من فقه هذا الرجل أنه لما قيل له: خذ خاتمك، قال: لا آخذ خاتماً طرحه النبي ﷺ؛ لأنه فهم أن هذا من باب التعزيز وإتلافه عليه؛ لأنه حصلت به المعصية، والشيء الذي تحصل به المعصية أو ترك الواجب، لا حرج على الإنسان أن يتلفه انتقاماً من نفسه بنفسه، كما فعل نبي الله سليمان، حين عُرضت عليه الخيل الجياد، ولهى بها حتى غربت الشمس فاشتغل بها عن صلاة العصر ففاتته، ثم دعا بها وجعل يضربها، ويعقرها، ويقطع أعناقها، كما قال تعالى: ﴿**فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ**﴾ [ص: ٣٣]، أتلفها انتقاماً من نفسه، لرضا الله ﷻ، فإذا رأى الإنسان أن شيئاً من ماله ألهاه عن

طاعة الله، وأراد أن يتلفه انتقاماً من نفسه، فلا بأس به. في هذا الحديث: بيان صدق الصحابة في إيمانهم، فإن هذا الرجل لو كان ضعيف الإيمان، لأخذه وباعه وانتفع به.

ومن فوائده: أن الإنسان يستعمل الحكمة في تغيير المنكر، فهذا الرجل استعمل معه النبي ﷺ شيئاً من الشدة، بخلاف الأعرابي الذي بال في المسجد، ولعل ذلك لأن هذا الذي لبس خاتم الذهب، علم النبي أنه كان عالماً بالحكم، ولكنه متساهل، بخلاف الأعرابي، فإنه كان جاهلاً لا يعرف، وكذلك استعمل النبي ﷺ اللّين مع معاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة، وكذلك مع الرجل الذي جامع زوجته في نهار رمضان، فلكلّ مقام مقال، فعليك أن تستعمل الحكمة في كل ما تفعل وكل ما تقول، فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].



**[١٩٢]** عن أبي سعيد الحسن البصري: أن عائِذَ بن عمرو رضي الله عنه دخل على عُبيد الله بن زياد، فقال: أي بُنَيَّ، إني سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ**»، فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: وَهَلْ كَانَتْ لَهُمْ نُخَالَةٌ، إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفِي غَيْرِهِمْ. رواه مسلم. وفي الحديث المشهور: «**أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ**».

«**الحُطَمَةُ**»: العنيف في رعيته لا يرفق بها.



**[١٩٣]** عن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوْنَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

فالواجب علينا جميعاً إذا رأينا أخاً لنا قد قصّر في واجب أمرناه به وحذّرناه من المخالفة، وإذا رأينا أخاً لنا قد أتى منكراً نهيناه عنه وحذّرناه من ذلك، حتى نكون أمة واحدة؛ لأننا إذا تفرقنا وصار كل واحد منا له مشرب؛ حصل بيننا من النزاع والفرقة والاختلاف، وهذا ما يحصل الآن! والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضٌ، وهو من أهم واجبات الدين، حتى إن بعض العلماء عَدّهُ ركناً سادساً من أركان الإسلام، والأمة إذ لم تقم بهذا الواجب، فإنها سوف تتفرق بها الأهواء، وسيكون كل قوم لهم منهاج يسيرون عليه، ولكن على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يلاحظ مسألة مهمة؛ وهي أن يكون قصده بذلك إصلاح أخيه لا الانتقام منه، لأنه ربما إذا قصد ذلك يُعجب بنفسه وبعمله، ويحقر أخاه.

**[١٩٤]** عن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ**». رواه أبو داود والترمذي.وقال: حديث حسن.

بِطانتان للسلطان: بطانة السوء: تنظر ماذا يريد السلطان، ثم تزيّنه له، وتقول: هذا هو الحق، ولو كان من أجوَر ما يكون، تفعل ذلك مداهنة للسلاطين وطلباً للدنيا. أما بطانة الحق: فإنها تنظر ما يرضي الله ورسوله، وتدل الحاكم عليه، وقول كلمة الحق عند سلطان جائر من أعظم الجهاد، لأن كلمة الحق عند السلطان العادل لا تضر قائلها؛ لأنه يقبل، أما الجائر فقد ينتقم من صاحبها ويؤذيه.



**[١٩٧]** عن أبي بكر الصديق ﷺ، قال: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ لَتَقْرَؤُونَ هٰذِهِ الْآيَةَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥]، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**». رواه أبو داود والترمذي والنسائي بأسانيد صحيحة.

معناه: أنكم تقرؤون هذه الآية، وتتوهَّمون أن من فعل ما أُمر به وترك ما نُهي عنه في نفسه، فلا حرج عليه في عدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل يَجِب كما في الحديث الآخر: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِنَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَوَامِّ**».

أما قوله تعالى: ﴿**عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾: هذه الآية ظاهرها أن الإنسان إذا استقام بنفسه فإنه لا يضرّه ضلالُ الناس؛ وقد يفسرها بعض الناس ويفهم منها معنى فاسداً، يظن أن هذا هو المراد بالآية الكريمة وليس كذلك، ومن الاهتداء: أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وبهذا نسلم من الضرر الذي توعدنا به رسول الله ﷺ: «**أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ**»؛ الفاعل للمنكر، والغافل الذي لم ينه عن المنكر، وفي هذا دليلٌ على أنه يجب على الإنسان العناية بِفهم كتاب الله حتى لا يفهمه على غير ما أراد الله، وغير معناه.



## ٢٤- عقوبة مَن خالفَ قولُه فِعلَه

ذلك أنه لا يكون صادقاً في أَمره ونَهيه؛ فإذا أمر بمعروف ولم يفعله، أو نهى عن منكر وفعله؛ علم أن قوله هذا ليس مبنياً على عقيدة، ولهذا أنكر الله على من فعل ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤]. قوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ﴾ الاستفهام هنا للإنكار، وقوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾، هذا الاستفهام للتوبيخ؛ يقول لهم: كيف يقع منكم هذا الشيء؟ أين عقولكم؟ مثال ذلك: رجل يأمر الناس بترك الرّبا، ولكنه يتعامل به أو يفعل ما هو أعظم منه، يأخذ الربا بالحيلة والمكر والخداع، ولم يعلم أن ذلك أكبر ذنباً، كذلك أيضاً رجل يأمر الناس بالصلاة، ولكنه هو نفسه لا يصلي! فكيف يكون هذا؟

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣]. والمقت: قال العلماء: هو أشدّ البغض، فالله تعالى يبغض الرجل الذي هذه حاله؛ يقول ما لا يفعل، ويبين الله لعباده ذلك من أجل أن يبتعدوا عنه.

وقال تعالى إخباراً عن شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ﴾ [هود:٨٨]. أي: لا يمكن أن أنهاكم عن شيء ثم أرتكبه، لا يمكن أبداً.



**[١٩٨]** عن أبي زيد أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بِالمعْرُوفِ وَتنهى عَنِ الْمُنْكَرِ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**يُؤتى بالرجل**: أي تأتي به الملائكة، فيلقى في النار إلقاءً لا يدخلها برفق، ولكنه يلقى فيها كما يلقى الحجر في البئر، وتندلق أقتاب بطنه، يعني أمعاءه، تخرج من بطنه من شدة الإلقاء، فيدور بها كما يدور الحمار في الرّحا، وهذا التشبيه للتقبيح، شبهه بالحمار كما في المطاحن القديمة قبل أن توجد هذه المعدات الجديدة، وفيها خشبة تربط بالحمار، ثم يستدير بها على الرّحا، فيجتمع إليه أهل النار، فيسألونه: ما لك وأنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول مقراً على نفسه: "كنت آمر بالمعروف ولا آتيه". يقول للناس صلوا ولا يصلي، ويقول للناس: لا تغتابوا الناس، ولا تغشّوا في البيع، ولا تسيئوا الجيرة، ولكنه يأتي ذلك كله، فيعذّب هذا العذاب ويخزى هذا الخزي.



# ٢٥- أداء الأمانة

الأمانة: تطلق على معان متعددة، منها: العبادات فإنها أمانة، ومنها: الأمانة المالية، وهي الودائع التي تعطى للإنسان ليحفظها لأهلها، فالوديعة تجعلها عند شخص، تقول: هذه ساعتي عندك احفظها لي، أو هذه نقود احفظها لي، ومنها العارية يعطيك شخص شيئاً من إناء أو فراش أو ساعة أو سيارة، فهذه بقيت في يدك لمصلحتك، ومنها العينُ المستأجرة، استأجرت مني سيارة، فأنت تنتفع بها في قضاء حاجتك، وأنا أنتفع بالأجرة، وكذلك البيت والدكان، كل هذه من الأمانات، وأعظمها مسؤولية، أمانة الولاية، منها الولاية العامة والولاية الخاصة، فالسلطان مثلاً الرئيس الأعلى في الدولة، والولاية الخاصة كأمانة الوزير في وزارته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله.

قَالَ الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨]. سبب نزول هذه الآية: أن النبي ﷺ أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، وهي عامة في كل الأمانات، تأمل هذه الصيغة: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ﴾، لم يقل: أدّوا الأمانة، ولم يقل: إني آمركم، ولكن يأمركم بألوهيته العظيمة، وهذا أبلغ وأقوى، ولا يمكن أداؤها إلى أهلها إلا بحفظها حفظاً تاماً. ومن الأمانات: ما يكون بين الرجل وصاحبه من الأمور الخاصة التي لا يحبّ أن يطّلع عليها أحد، فلو استأمنك على حديث حدثّك به، وقال لك: هذا أمانة، فإنه لا يحلّ لك أن تخبر به أحداً من الناس، ولو كان أقرب الناس إليك، سواء أوصاك أو عُلم من قرائن الأحوال، ولهذا قال العلماء: إذا حدثّك الرجل بحديث والتفت فهذه أمانة، لماذا؟ لأنه كونه يلتفت، فإنه يخشى بذلك أن يسمع أحدٌ، فإنه لا يجوز لك أن تفشيه، ومن ذلك أيضاً: ما يكون بين الرجل وزوجته من الأشياء الخاصة، ثم يتحدث بما جرى بينهما، وكثيرٌ من الشباب السفهاء يتفكّهون في المجالس بذكر تلك الخصوصيات، يقول الواحد منهم: فعلت بامرأتي كذا وكذا!

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢]، فإن قال قائل: كيف يعرض الله الأمانة على السموات والأرض والجبال، وهي جماد ليس لها عقل ولا تشعر، فالجواب: أن كلّ جماد فهو بالنسبة لله ﷻ عاقل يفهم ويمتثل، واختلف العلماء هل (الإنسان) هنا عام أم خاصّ بالكافر، فقال بعض العلماء: إنه خاص بالكافر، فهو الظلوم الجهول، أما المؤمن فهو ذو عدل وعلم وحكمة، وقال بعض العلماء: بل هو عام، والمراد الإنسان بحسب طبيعته، وأيّاً كان فمن قام بالأمانة انتفى عنه وصف الظلم والجهالة.



**[١٩٩]** عن أبي هريرة أن رسُول الله ﷺ قال: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ**». وفي حديث عبد الله بن عمرو، قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**».

آية: يعني علامة، فعلامة المنافق ثلاث، والمنافق هو الذي يُسِرُّ الشر ويظهر الخير، ومن ذلك: أن يُسِرّ الكفر ويظهر الإسلام، وقد برز النفاق في عهد النبي ﷺ بعد غزوة بدر، لما قُتل صناديد قريش في بدر، وصارت الغلبة للمسلمين، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

والمنافق له علامات، يعرفها الذي أعطاه الله تعالى فراسة ونوراً في قلبه، وذلك من تتبع أحواله، وهناك علامات ظاهرة لا تحتاج إلى فراسة؛ منها هذه الثلاث:

الأولى: «**وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**»، فإذا رأيت الإنسان يكذب؛ فاعلم أن في قلبه شعبة من

النفاق. والثانية: «**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**»، يقول: سآتي إليك في الساعة السابعة صباحاً ولكن لا يأتي، أو يقول: سآتي إليك غداً بعد صلاة الظهر ولكن لا يأتي، يقول: أعطيك كذا وكذا، ولا يعطيك، والمؤمن إذا وعد وفى، كما قال الله تعالى: ﴿**وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا**﴾ [البقرة: ١٧٧]، لكن المنافق يعدك ويغرك.

والثالثة: «**وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»، وهذا الشاهد من هذا الحديث، فالمنافق إذا ائتمنته على مال خانك، وإذا ائتمنته على سرّ بينك وبينه خانك، فلنحذر ممن يتّصف بهذه الصفات، ونعلم أنه منافق يخدعنا ويلعب بنا، ويغرنا بحلاوة لفظه وحسن قوله، فلا نثق به ولا نعتمد عليه في شيء؛ وعكس ذلك يكون من علامات الإيمان، فالمؤمن إذا وعد أوفى، وإذا اؤتمن أدّى الأمانة، وكذلك إذا حدّث كان صادقاً في حديثه، ومع الأسف فإن قوماً من السفهاء عندنا إذا وعدته بوعد يقول: وعد إنجليزي أم وعد عربي؟! يعني أن الإنجليز هم الذين يوفون بالوعد، فهذا سفهٌ وغرور بهؤلاء الكفرة، والإنجليز جملتهم كفار، ووفاؤهم بالوعد لا يبتغون به وجه الله، لكن يبتغون به أن يحسنوا صورتهم عند الناس ليغترّوا بهم.



**[٢٠٠]** وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ الله ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ: حَدَّثَنَا أَنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ.

ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ فَقَالَ: «**يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَبْقَى فِيهَا أَثَرُهَا مِثْلَ أَثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ**». ثُمَّ أَخَذَ حَصَاةً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ «**فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ**

**خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ: لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايِعُ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

جَذْرُ: وَهُوَ أصل الشيء، وَالوَكْتُ: الأثر اليسير، وَالمَجْلُ: وهو تَنَفُّطٌ في اليد ونحوها من أثر عمل وغيره، مُنْتَبِراً: مرتفِعاً. قوله: ساعِيهِ: الوالي عليهِ.

وحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، يُقال له: صاحب السر؛ لأن النبي ﷺ حدّثه عن قوم من المنافقين، فأخبر بهم حذيفة، وكانوا نحو ثلاثة عشر رجلاً، سمّاهم بأسمائهم، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لشدة خوفه من الله، يلتقي بحذيفة فيقول: أنشدك الله هل سمّاني لك رسول الله مع من سمّى من المنافقين؟ وإيمانه رضي الله عنه معروف مشهور، ومع ذلك يقول ذلك، فيقول حذيفة: لا، ولا أزكّي بعدك أحداً.

ولقد شاهد الناس اليوم مِصداق هذا الحديث، فإنك تستعرض الناس رجلاً رجلاً حتى تبلغ إلى حدّ المائة أو المئات، لا تجد الرجل الأمين الذي أدى الأمانة كما ينبغي لا في حق الله ولا في حقِّ الناس، قد تجد رجلاً أميناً في حق الله، ويؤدي الصلاة، ويؤدي الزكاة، ويصوم، ويحج، ويذكر الله كثيراً، لكنه في المال ليس أميناً، إن وُكِّل إليه عملٌ حكومي فرط وصار لا يأتي للدوام إلا متأخراً، ويخرج قبل انتهاء الوقت، ويضيّع الأيام الكثيرة في أشغاله الخاصة، ولا يبالي، مع أنك تجده في مقدمة الناس في المساجد وباقي الفروض والواجبات، لكنه ليس أميناً من جهة أخرى.

وقد يتعلل بعض الذين يعملون في وظائف حكومية فيقول: كيف تمنعوني من التجارة بعد انتهاء الدوام وهناك وزراء يتاجرون بالأراضي وعندهم شركات كبيرة، فنقول: إذا ضلّ الناس لم يكن ضلالهم هدى، وإذا كانوا هم ضالين ظالمين بما صنعوا فلا تضل أنت، فإذا قال مثلاً: هذه النظم جاءت من تحت أيديهم، هم الذين شرعوها فكيف

يخالفونها؟ نقول: حسابهم على الله، سيكونون هم أول من يحزن ويتحسّر على ما صنعوا يوم القيامة، ولا نسب ولا قرابة تنفعهم، فأنت لا تتّخذ من مخالفات الناس دليلاً لمعصية الله، وإن كان غيرك يخالف فليس لك أن تخالفه أنت.





## ٢٦- الظُّلم والأمر بردِّ المظالم

قال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [الحج: ٧١].

والظلم نوعان: ظلم يتعلّق بحق الله ﷻ، وظلم يتعلّق بحق العباد، فأعظم الظلم هو المتعلق بحق الله تعالى والإشراك به، فإن النبي ﷺ سئل: أي الذنب أعظم؟ فقال: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»، ويليه الظلم في الكبائر، ثم الظلم في الصغائر. أما في حقوق عباد الله فالظلم يدور على ثلاثة أشياء، بيّنها النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع، فقال: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا**».

الظلم في النفس هو الظلم في الدماء، بأن يعتدي الإنسان على غيره، بسفك الدماء أو الجروح، والظلم في الأموال بأن يعتدي الإنسان ويظلم غيره في الأموال، وأما الظلم في الأعراض فيشمل الاعتداء على الغير بالزنا، واللواط، والقذف.



**[٢٠٣]** وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**». رواه مسلم.

«**اتَّقُوا الشُّحَّ**»: احذروا الحرص على المال، لأنه يوجب للإنسان أن يكسب المال من أي وجه كان.



**[٢٠٤]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: دليل على أن الشاة الجمّاء تقتص يوم القيامة من ذات القرن، فيقول الكافر: يا ليتني كنتُ ترابًا.

وفيه: تنبيه على أن المظلوم يقتص من ظالمه يوم القيامة، ويؤخذ له حقه. قوله: الجلحاء: التي ليس لها قرن، والقرناء: التي لها قرن. والغالب أن الثانية إذا ناطحت الأولى تؤذيها أكثر، فإذا كان يوم القيامة قضى الله بين هاتين الشاتين، وبعد القصاص تكون البهائم ترابًا. هذا وهي بهائم لا تعقل ولا تفهم؛ فكيف ببني آدم؟! وفي هذا الحديث دليلٌ على أن البهائم تُحشر يوم القيامة، والدوابّ وكل ما فيه روح، وكل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ، حتى أعمال البهائم والحشرات. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام: ٣٨].



**[٢٠٦]** وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ ظَلَمَ قَيْدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وفي الحديث الآخر: «**مَنْ أَخَذَ مِنَ الأَرْضِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، خُسِفَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**». فالإنسان إذا ظلم قيد شبر من الأرض، يجعل الله له طوقاً في عنقه من سبع أرضين، يحمله أمام الناس، يُجزى به يوم القيامة أمام العالم.



**[٢٠٧]** وعن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يُملي له: يعني يُمهل له حتى يتمادى في ظلمه، فلا يعاجله العقوبة، وهذا من البلاء، فمن الاستدراج أن يُملى للإنسان في ظلمه، حتى تتكدس عليه المظالم، فإذا أخذه الله أخذه

أخذ عزيز مقتدر. قال الله تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٣]. فعلى الإنسان الظالم أن لا يغتر بنفسه، ولا بإملاء الله له، فإن ذلك مصيبة فوق مصيبته.

**[٢٠٨]** وعن معاذ ﵁ قال: بعثني رسول الله ﷺ فقال: «... **وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ**». مُتَّفقٌ عَلَيهِ.

يعني أنك إذا أخذت من نفائس أموالهم، فإنك ظالم لهم، وربما يدعون عليك، فاتّق دعوتهم فإنها تصعد إلى الله ويستجيبها، هذا هو الشاهد من هذا الحديث، كما في الحديث الآخر: «**دَعْوَةُ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ**».

**[٢٠٩]** وعن أبي حُمَيدٍ عبد الرحمن بن سعد السَّاعدي ﵁ قال: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَزْدِ يُقَالُ لَهُ ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ، قَالَ: هٰذَا لَكُمْ، وَهٰذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هٰذَا لَكُمْ وَهٰذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ إِلَيَّ، أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا، وَاللهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَ تَعَالَى، يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلَا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ**»، ثُمَّ رفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ عُفْرَةُ إِبْطَيْهِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ**» ثَلَاثًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: دليل على أن هدية العمال راجعة إلى بيت المال، وأن ما أخذه بغير حقه يجيء به يحمله يوم القيامة تعذيبًا له وزيادة في فضيحته. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:١٦١].



**[٢١٠]** وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ، مِنْ عِرْضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**». رواه البخاري.

والمظالم إما أن تكون بالنفس، أو بالمال، أو بالعرض؛ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ**».

أما إن كانت في العرض، مثل أن يكون قد سب شخصاً في مجلس أو اغتابه، فلا بد أن يتحلل منه إذا كان قد علم بأنه سبّه، فيذهب إليه ويقول: أنا فعلت كذا وأنا جئتك معتذراً، فإن عذره فبها ونعمت، وإن لم يعف فليعطه مالاً، وإن كان لم يعلم فلا حاجة أن يعلمه، ولكن يستغفر له ويدعو له، ويثني عليه بالخير في المجالس التي كان يسبه فيها، وبذلك يتحلل منه، ألا إن الأمر خطير.



**[٢١١]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ويطلق الإسلام على السلامة، يعني أن يسلم الناس من شر الإنسان.

يقال: أسلم بمعنى دخل في السلم أي المسالمة للناس، بحيث لا يؤذي الناس، فلا يسبّهم، ولا يلعنهم، ولا يغتابهم، ولا ينمّ بينهم، ولا يسعى بينهم بأي نوع من أنواع الشر والفساد، وكفّ اللسان من أشد ما يكون على الإنسان، ومن أشد الجوارح خطراً عليه، إذا سمع السوء حفظ لسانه، وليس كما يفعل بعض الناس، إذا سمع السوء في أخيه المسلم طار به فرحاً، وطار به في البلاد نشراً، فإن هذا ليس بمسلم.

الثاني: من سلم المسلمون من يده، فلا يعتدي عليهم بالضرب أو الجرح أو أخذ المال، أو ما أشبه ذلك.

وعلم من هذا الحديث أن من لم يسلم الناس من لسانه أو يده، ليس له همٌّ إلا القيل والقال، وأكل لحوم الناس وأعراضهم، فهذا ليس بمسلم. هكذا أخبر النبي ﷺ، وليس إخبار النبي ﷺ لمجرّد أن نعلم به فقط، بل لنعلم به ونعمل به، وإلا فما الفائدة من الكلام.

**[٢١٢]** وعنه رضي الله عنه، قال: كَانَ عَلَى ثَقَلِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا. رواه البخاري.



**[٢١٤]** وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**». رواه مسلم.

**[٢١٦]** وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، وفُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا، أَوْ عَبَاءَةٍ**». رواه مسلم.

والبردة: العباءة المعروفة، غلّها: غنمها من أموال الكفار وقت القتال، فكتمها يريد أن يختص بها لنفسه، فعُذبّ بها في نار جهنم، وانتفت عنه هذه الصفة العظيمة وهي الشهادة؛ ونحن الآن في عصرنا هذا أصبح لقب الشهادة سهلاً ويسيراً، كلٌّ يُعطى هذا الوسام، حتى لو قتل ونحن نعلم أنه قتل حمية وعصبية، ونعلم عن حاله بأنه ليس بذاك

الرجل المؤمن، مع ذلك يقولون: فلان شهيد، استشهد فلان، وإن كان في المعركة يتشحّط بدمه، فلا تقل شهيداً، علمه عند الله، قد يكون في قلبه شيء لا نعلمه.

**[٢١٧]** وعن أبي قتادة الحارث بن ربعي ﵁، عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فِيهِمْ، فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، وَالإِيمَانَ بِالله أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ الله، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ الله وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ الله، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ؛ فَإِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي ذٰلِكَ**». رواه مسلم.

وفي هذا دليلٌ على عِظم الدَّين، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يتساهل به، ومع الأسف أننا في عصرنا الآن يتساهل الكثير منا في الدَّين، فتجد البعض يشتري الشيء وهو ليس في حاجة إليه، بل هو من الأمور الكمالية، يشتريه في ذمته بالتقسيط، ولا يهمه هذا الأمر، وقد تجد إنساناً فقيراً يشترى سيارة بثمانين ألفاً أو يزيد، وهو يمكنه أن يشتري سيارة بعشرين ألفاً، كل هذا من قلة الفقه في الدين، فاحرص على ألا تأخذ شيئاً بالتقسيط، واقتصر على أقل ما يمكن لك الاقتصار عليه بعيداً عن الدين .

**[٢١٨]** وعن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟**»، قَالُوا: الْمُفْلسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعٌ، فَقَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي وَقَدْ شَتَمَ هٰذَا، وَقَذَفَ هٰذَا، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا، وَضَرَبَ هٰذَا، فيُعْطَى هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُه قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُم فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**». رواه مسلم.

أي اعتدى على الناس بأنواع الاعتداء، والناس يريدون أخذ حقهم في الآخرة، فيقتصّون منه، كل ما عنده من حسنات ينتهي، فيؤخذ من سيئاتهم ويطرح عليه، ثم يُطرح في النار، وهذا هو المفلس حقاً، كانت حسناته أمامه يوم القيامة يشاهدها، ثم تؤخذ منه لفلان وفلان!

**[٢١٩]** وعن أم سلمة ﵂: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، وَإِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أَلْحَن: أي أفصح وأقوى كلاماً، والثاني دون ذلك وإن كان الحق معه، فيحكم القاضي للأول، لأنهم يقضون حسب البيانات التي بين أيديهم، ولا يكلّفون ما وراء ذلك، بل ولا يحلّ لهم أن يحكموا بخلاف الظاهر؛ والباطن يتولاه الله ﷻ، إلا أنه في حال الاشتباه يجب أن يتحرّى، وفي هذا الحديث: أن حكم الحاكم لا يحل حراماً في الأمر نفسه، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٨].

**[٢٢١]** وعن ابن عمر ﵄ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا**». رواه البخاري. ورُوي عن أبي هريرة مرفوعًا: «**مَنْ أَعَانَ عَلَى مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ لَقِيَ اللهَ مَكْتُوبًا بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**».

أي لا يزال المؤمن في سعة من دينه، ما لم يقتل واحدة من الدماء المحرمة، وهي أربعة أصناف: دم المسلم، ودم الذمّي، ودم المعاهد، ودم المستأمن، وأشدها وأعظمها دم المؤمن، وهذا هو السرّ في قوله تعالى: ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا**﴾ [النساء: ٩٣].

من العلماء من قال: إن حق المقتول لا يسقط بالتوبة؛ لأن من شروط التوبة رد المظالم إلى أهلها، والمقتول لا يمكن رد مظلمته إليه لأنه قتل، كذلك حق أولياء المقتول، وهذا يمكن للإنسان أن يتخلص منه، وذلك بأن يسلم نفسه إليهم ويقول لهم: أنا قتلت ابنكم فافعلوا ما شئتم، وحينئذ يخيَّرون بين أمور أربعة: إما أن يعفو عنه مجاناً، وإما أن يقتلوه قصاصاً، وإما أن يأخذوا الدّية منه، وإما أن يصالحوه مصالحة على أقل من الدّية، وهذا جائز بالاتفاق، وبعض أهل العلم من قال: لا بأس أن يصالحوا على أكثر من الدّية، فإن شاؤوا قالوا: نقتل، وإن شاؤوا قالوا: لا نعفو إلا بعشر ديات، وهذا هو المشهور من مذهب الإمام أحمد. إذن نقول: توبة القاتل عمداً تصح بالتوبة، وحق المقتول قيل: يتحمله الله عمّن تاب، وقيل: لا يسقط، أما حق أولياء المقتول فلا بد منه، فيسلّم نفسه لأهل المقتول ويقول لهم: الآن افعلوا ما شئتم.



**[٢٢١]** وعن خولة بنت عامر الأنصارية، وهي امرأة حمزة رضي الله عنه وعنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ الله بغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَومَ القِيَامَةِ**». رواه البخاري. وفي رواية الترمذي من حديث خولة بنت قيس بن قهْد: «**إنَّ هٰذَا المالَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، مَنْ أَصَابَهُ بِحَقِّهِ بُوْرِكَ لَهُ فِيهِ، وَرُبَّ مُتَخَوِّضٍ فِيمَا شَاءَتْ نَفْسُهُ مِنْ مَالِ الله وَرَسُولِهِ لَيْسَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا النَّارُ**».

وفي قوله: يتخوّضون دليلٌ على أنهم يتصرفون تصرفاً طائشاً، مثل من يبذل أمواله في الدخان، أو في المخدرات، أو في شرب الخمور، أو ما أشبه ذلك، وفي هذا الحديث تحذير من بذل المال في غير ما ينفع، والتخوّض فيه؛ لأن المال جعله الله قياماً للناس تقوم به مصالح دينهم ودنياهم.





## ٢٧ - حُرمات المسلمِينَ وبيان حقوقِهم

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج:٣٠].

أي ما جعله محترماً من الأماكن أو الأزمان أو الأشخاص، ومن كان يكره أو يشق عليه تعظيم هذا المكان كالحرمين مثلاً والمساجد، أو الزمان كالأشهر الحرم: ذي القعدة وذي الحجة والمحرم ورجب، وما أشبه ذلك، فليحمل على نفسه وليُكرهها على التعظيم، ومن ذلك تعظيم إخوانه المسلمين، فلا يحل له أن يحقر أخاه المسلم، أو أن يعتدي عليه بلسانه أو يده .

وَقالَ تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

الشعائر: العبادات الظاهرة سواء كانت كبيرة أم صغيرة؛ مثل الطواف بالبيت، والسعي بين الصفا والمروة، والأذان والإقامة، وغيرها من شعائر الإسلام، فإنها إذا عظّمها الإنسان كان ذلك دليلاً على تقواه. وقال تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨].

والمعنى: تذلل لهم في المقال والفعال؛ لأن المؤمن مع أخيه رحيم به، فإنه وإن كان رفيع المنزلة فليخفض جناحه وليتذلل وليتواضع لإخوانه، وليعلم أن من تواضع لله رفعه الله، فالشيطان يأتي الإنسان ويقول له: كيف تتواضع لهذا الفقير؟ كيف تكلم فلاناً؟ كيف تمشي مع فلان؟ أما من كان كافراً فلا يجوز للمسلم أن يخفض جناحه له، لكن يجب عليه أن لا يستنكف عنه ولا يستكبر، فلا يدعوه بل يدعو له.

وَقالَ تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، لأن حرمة المسلمين واحدة، ومن انتهك حرمة شخص من المسلمين، فكأنما انتهك حرمة جميع المسلمين، كما أن من كذّب

رسولاً واحداً من الرسل، فكأنما كذّب جميع الرسل، ولهذا اقرأْ قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٥]، مع أنهم لم يكذبوا إلا واحداً، ومن أحياها أي سعى في إحيائها وإنقاذها من حريق، أو تحميه من القتل؛ فكأنما أحيا الناس جميعاً. والفساد في الأرض إنما يكون بنشر الأفكار السيئة، أو عصابات قطاع الطرق، أو ترويج المخدرات أو ما أشبه ذلك، فمن أفسد في الأرض على هذا الوجه فدمه هدر؛ يُقتل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ [المائدة:٣٣]، على حسب جريمتهم، إن كانت كبيرة فبالقتل، وإن كانت دونها فبالصلب، وإن كانت دونها فبقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف؛ تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، وإن كان دون ذلك فبِأن يُنفوا من الأرض، وإما بالحبس مدى الحياة. وقتل الغيلة واجب فيه القصاص، يعني من غافل شخصاً فقتله فإنه يُقتل، مثلاً جاء إنسان لشخص أثناء نومه أو غفلته فقتله، فهذا يُقتل على كل حال، ولا خيار لأولياء المقتول في ذلك.

**[٢٢٢]** عن أبي موسى ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**»، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.



**[٢٢٣]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنَا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَى نِصَالِهَا بِكَفِّهِ؛ أَنْ يُصِيبَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

النَّبل: السِّهام.

أطراف النَّبل تكون دائماً دقيقة، فإذا أمسك الإنسان بها وَقَى الناس شرها، وإذا تركها هكذا فربما تؤذي الناس، ربما يأتي أحدٌ بسرعة فتخدشه، ومثل ذلك أيضاً العصيّ، إذا كان معك عصّا فامسكها طولاً، يعني اجعل رأسها إلى السماء ولا تجعلها عرضاً؛ كي لا تؤذي من حولك، ومثله الشمسية أيضاً؛ وأنت في السوق فارفعها، لئلا تؤذي الناس، ومنها أيضاً أخذ الرصاصة من البندقية أو المسدس مخافة أنْ يصيب أحداً. قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].



**[٢٢٤]** وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٢٢٥]** وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ﷺ، وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا. فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والغالب أن أهل البادية وأشباههم يكون بهم جفاء، ففي هذا دليلٌ على أنه ينبغي للإنسان أن يستعمل الرحمة في معاملة الصغار، وأنه ينبغي للإنسان أن يقبّل أبناءه، وأبناء بناته، وأبناء أبنائه، يقبّلهم رحمة بهم، واقتداءً برسل الله ﷺ، أما ما يفعله بعض الناس من الجفاء والغلظة بالنسبة للصبيان، فتجده ينتهره، فهذا خلاف السنة وخلاف الرحمة.



**[٢٢٦]** وعن عائشة ﵂، قالت: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالُوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالُوا: لٰكِنَّا وَالله مَا نُقَبِّلُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَوَ أَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحْمَةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

**[٢٢٧]** وعن جرير بن عبد الله ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَ﵀**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الذي لا يرحم الناس لا ي﵀، والمراد بالناس: الذين هم أهل للرحمة، كالمؤمنين وأهل الذمة ومن شابههم، وأما الكفار الحربيون فإنهم لا يُرحمون، بل يُقتلون، وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورتين من القرآن الكريم بهذا اللفظ نفسه: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾.

---

**[٢٢٨]** وعن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**وَذَا الحَاجَةِ**».

والمراد بالتخفيف ما وافق سنة النبي ﷺ، وليس المراد بالتخفيف ما وافق أهواء الناس، حتى صار الإمام يركض في صلاته ولا يطمئن! قال أنس بن مالك: ما صليت وراء إمام قطّ أخف صلاة ولا أتم صلاة من النبي ﷺ، ومع ذلك فكان يقرأ في فجر الجمعة: ﴿**الٓمٓ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾؛ السجدة كاملة في الركعة الأولى، و﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ**﴾ [الإنسان:١] كاملة في الركعة الثانية، وكان يقرأ بسورة الدخان في المغرب، ويقرأ فيها بالمرسلات، ويقرأ فيها بالطور، ربما قرأ فيها بالأعراف،

ومع هذا فهي خفيفة، ثم اعلمْ أنه قد يكون التخفيف عارضاً طارئاً؛ فالتخفيف نوعان: تخفيف دائم: وهو ما وافق سنة النبي ﷺ، وتخفيف طارئ يكون أخفّ، وهو ما دعت إليه الحاجة، وهو أيضاً من السنّة، فإن النبي ﷺ كان إذا سمع بكاء الصبي خفف الصلاة حتى لا تفتتن أمه، والمهم أنه ينبغي للإنسان مراعاة أحوال الناس ورحمتهم.

**[٢٢٩]** وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: "إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيَدَعُ العَمَلَ، وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ؛ خَشْيَةَ أَنْ يَعمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِمْ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومن ذلك ما فعله في رمضان؛ صلى في رمضان ذات ليلة، فعلم به أُناسٌ من الصحابة، فاجتمعوا إليه وصلّوا معه، وفي الليلة الثانية صلّوا أكثر، وفي الثالثة أكثر وأكثر، ثم ترك الصلاة في المسجد، وقال: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ**»، يعني ما جرى منهم من الاجتماع للصلاة، «**وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ فَتَعْجَزُوا عَنْهَا**»، وهذا من شفقته ﷺ، وكان يقول: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لَفَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، أَوْ لَأُمِرْتُ بِكَذَا وَكَذَا**»، ومثله قوله ﷺ حين تأخر في صلاة العشاء حتى ذهب عامة الليل، فقال: «**إِنَّهُ لِوَقْتِهَا**»، يعني آخر الوقت، ثم قال: « **لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي**».



**[٢٣٠]** وعنها رضي الله عنها قالت: "نَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الوِصَالِ رَحْمَةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والوصال يعني أن يصل الإنسان يومين فأكثر في الصيام من غير فطر، يعني يصوم الليل والنهار يومين أو ثلاثة أو أكثر، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك، ولكنهم رضي الله عنهم فهموا أنه نهاهم رحمة بهم لا كراهة للعمل، فواصلوا ثم واصلوا حتى هلّ شهر شوال، فقال ﷺ:

«**لَوْ تَأَخَّرَ الهِلَالُ لَزِدْتَكُمْ**»، يعني لأبقيتكم تواصلون، قال ذلك تنكيلاً لهم، حتى يعرفوا ألم الجوع والعطش، ويكفّوا عن الوصال من أنفسهم، والحاصل: أن النبي ﷺ كان يواصل وينهى أمته على الوصال رحمة بهم.

**[٢٣١]** وعن أبي قَتادةَ الحارثِ بن رِبعِي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزَ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ**». رواه البخاري.

هذا الحديث من النماذج التي تدل على رحمة النبي ﷺ بأمّته، كما وصفه الله تعالى به في قوله: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨]، فهو يدخل في صلاة الجماعة يريد أن يطيل فيها، والمراد الإطالة النسبية، ليست الإطالة الزائدة عما كان يفعله من قبل، فإذا سمع بكاء الصبي أوجز وخفف؛ ففي هذا الحديث فوائد منها: جواز حضور النساء إلى المساجد ليصلين مع الجماعة، وجواز إدخال الصبيان المسجد، لكن بشرط أن لا يحصل منهم أذية كتلويثه بالبول والنجاسة، أو التشويش على الناس بالصراخ والركض والجلبة، وأما حديث «**جَنِّبُوا مَسَاجِدَكُمْ صِبْيَانَكُمْ وَمَجَانِينَكُمْ**» فهو ضعيف.



**[٢٣٢]** وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**». رواه مسلم. وفي رواية: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ**».

ذمة الله: أمانه وعهده. وفي الحديث: وعيد شديد لمن تعرّض للمصلين بسوء. بعض العلماء قال: إن الصلاة الأولى هي صلاة الظهر، لكن الأصح أن الصلاة الأولى هي صلاة الفجر، والثالثة: العصر، وهي الوسطى، وصلاة الفجر تأتي وكثيرٌ من الناس نيام، ولهذا يتكاسل عنها المنافقون، كما قال النبي ﷺ: «**أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَى الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»، وهي وصلاة العصر أفضل الصلوات الخمس؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ صَلَّى البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**». والبردان هما: الفجر والعصر؛ لأن الفجر براد الليل، والعصر براد النهار، وقوله: «**مَنْ صَلَّى الفَجْرَ**»، ظاهره من صلى في جماعة أو غير جماعة، وقوله: «**فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ**»: أي في عهده، يعني أنه دخل في عهد الله، فكأنه معاهد لله أن لا يصيبه أحد بسوء، فإياكم أن يطلبكم الله من ذمّته بشيء، «**فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي النَّارِ**».



**[٢٣٣]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث:

حضّ المسلمين على التعاون، وشفقة بعضهم على بعض، وقضاء حوائجهم، وتفريج كرباتهم، وستر عوراتهم، وإدخال السرور عليهم.

وفي بعض الآثار: الخلق عيال الله، وأحبّهم إلى الله أرفقهم لعياله.

وهذه الأخوّة في الدين، هي أوثق الأخوات، أوثق من أخوّة النسب، فإن أخوّة النسب قد يتخلف مقتضاها، فيكون أخوك من النسب عدواً لك كارهاً لك، أما أخوة الدين فإنها أخوة ثابتة راسخة في الدنيا وفي الآخرة، تنفع الإنسان في حياته وبعد مماته، فهو

يدافع عنه ويحميه، يعني إذا سمع أحداً يسبه ويغتابه، يجب عليه أن يدافع عنه. وستر: يعني غطى عيبه ولم يبينه، فإن الله يستره في الدنيا والآخرة، وهذا ليس على إطلاقه، فإذا رأينا رجلاً شريراً منهمكاً في المعاصي، لا يزيده الستر إلا طغياناً؛ فإننا لا نستره، بل نبلّغ عنه حتى يُردع، أما إذا حصلت منه هفوة، فإننا نستره ولا نبيّنه لأحد، لا للجهات المسئولة ولا لغيرها، فإذا سترته ستر الله عليك في الدنيا والآخرة.

**[٢٣٤]** وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقْوَى هٰهُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

واحتقار الناس من الكبر؛ قال النبي ﷺ: "**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

بطر الحق يعني ردّه، وغمط الناس يعني احتقارهم وازدراءهم، والعامة يقولون: احترم الناس يحترمونك، وهذا شيء مشاهد، ولهذا تجد الرجل المتواضع اللين الهين محترماً عند الناس كلهم، لا أحد يكرهه، والإنسان الشامخ المستكبر، تجده مكروهاً، ولولا حاجة الناس إليه ما كلمه أحد، وإن خانك أخوك المسلم فلا تخنه، لقول النبي ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**».

فلو فرضنا أن شخصاً خانك في مال؛ فإنه لا يحل لك أن تقترض منه ثم تنكره، بل أدّ إليه أمانته واسأله المال الذي لك، وأما من ادعاه بعض العامة حيث يقولون: إن الكذب نوعان: أسود وأبيض، فجوابه: أن الكذب كله أسود، ويتضاعف إثمه بحسب ما يترتب عليه، لكن ورد عن النبي ﷺ «**أَنَّهُ رَخَّصَ فِي الكَذِبِ عِنْدَ الإِصْلَاحِ بَيْنَ النَّاسِ، وَفِي الحَرْبِ، وَفِي حَدِيثِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثِهَا إِيَّاهُ**».

وقوله ﷺ: «**التَّقْوَى هٰهُنَا**»: اعلمْ أن من الناس من يجادل بالباطل بهذا الحديث، فإذا أمرته بمعروف، أو نهيته عن منكر، قال، التقوى ها هنا، تقول له: لِمَ تفعل هذه المعصية؟ لِمَ تترك هذه الفريضة؟ قال: التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، نقول له: كذبت، وإنه ليس في قلبك تقوى، لو كان في قلبك تقوى لاتّقيت الله وتركت المعاصي، وليس القلب هو المخ، فالعقل في القلب، لكنهم قالوا: إن المخ مثل الخادم، يهيئ الأشياء ويطبخها، ثم يبعث بها إلى القلب، ثم يصدر القلب الأوامر على المخ، من أجل أن المخ يدبّر الأعصاب وبقية الجسم، فالأشياء تمرّ من القلب ذاهبة وآتيه إلى المخ، والمخ هو الذي يحرك البدن، ولذلك إذا اختل المخ اختل كل شيء.



**[٢٣٥]** وعنه قال، قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَى هٰهُنَا- وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**». رواه مسلم.

الحسد: أن يتمنى زوال نعمة الله على غيره، وهذا أخبث الحسد وأشدّه، وإلا فمجرد كراهة الإنسان أن ينعم الله على الشخص فهو حسد.

والحسد من خصال اليهود، وفيه دليل على خبث نفس الحاسد، وأنه لا يحب لإخوانه ما يحب لنفسه؛ وفيه اعتراض على قدر الله وقضائه، وإلا فمن الذي أنعم على هذا الرجل؟ الله ﷻ، فإذا كرهت ذلك فقد كرهت قضاء الله وقدره. ومعلوم أن الإنسان إذا كره قضاء الله وقدره فإنه على خطر في دينه، وأنه يريد أن يزاحم ربّ الأرباب في تدبيره وتقديره.

ومن مفاسد الحسد: أنه كلما أنعم الله على عبده نعمة؛ التهبت نار الحسد في قلب الحاسد، فصار دائماً في همّ وغمّ، كما أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، كما أنه يعرقل الإنسان عن السعي في الأشياء النافعة؛ لأنه دائماً يفكر؛ كيف جاء هذا الرجل مالٌ؟ كيف جاءه ولد؟ كيف جاءه زوجة، فتجده دائماً منحسراً منطوياً على نفسه، وأنه يُنبئ عن نفس شريرة أنانية تريد أن يكون كل شيء لها، ولهذا ذهب كثيرٌ من أهل العلم أنه إذا حسد الحاسد وأتلف شيئاً من مال أو أولاد أو غيرهم، فإنه يضمن كل ما أتلف، كما أنهم قالوا: إن من اشتهر بذلك، فإنه يجب أن يُحبس اتّقاء شرّه إلا أن يتوب، لأنه يؤذي الناس ويضرهم.

ومن مفاسد الحسد: أنه يؤدي إلى تفرق المسلمين؛ لأن الحاسد مكروه عند الناس، والإنسان الطيب القلب تجده محبوباً، ولهذا دائماً نقول: والله فلان هذا طيب ما في قلبه حسد، وفلان رجلٌ خبيثٌ حسود وحقود، واعلمْ أن للحسد علامات: منها أن الحاسد يحب دائماً أن يخفي فضائل غيره، فتجد هذا الرجل الحسود إذا تحدث الناس على هذا المحسن يسكت وكأنه لم يسمع شيئاً.

والنجش: هو أن يزيد في السلعة على أخيه وهو لا يريد شراءها، وإنما يريد أن يضرّ المشتري، أو ينفع البائع، أو الأمرين معاً، أما إذا زاد الإنسان في الثمن عن رغبة في السلعة، ولكن لما ارتفعت قيمتها تركها فهذا لا بأس به، أو يزيد فيها لأنه يرى أنها رخيصة، أو أن يكون له غرض في السلعة، يريد أن يشتريها، فهذا أيضاً لا بأس به.

وقوله ﷺ: «**وَلَا تَبَاغَضُوا**»: أي يكرهه في قلبه؛ ولكن لو كان هذا الأخ من العصاة الفسقة، فإنه يجوز لك أن تبغضه من أجل فسقه، فلو وجدنا رجلاً مسلماً يشرب الخمر، فإننا لا نبغضه كما نبغض الكافر، كيف تسوي بين المؤمن وبين الكافر؟ فالمؤمن مهما كان فإنه خيرٌ من الكافر، ثم إن كراهتك إياه لا توجب أن تعرض عن نصيحته، فلا تقلْ: أنا لا

أتحمل أن أواجه هذا الرجل لأني أكره منظره! بل أجبر نفسك واتصل به وانصحهُ، ولعل الله أن ينفعه على يديك.

وفيما سبق من الزمان أمثلة كثيرة، فهذا خالد بن الوليد ﷺ كان سيفه يقطر من دماء المسلمين، وسبب في هزيمتهم في معركة أُحد، فهداه الله وأصبح قائداً للمسلمين ولجيشهم، وهذا عمر بن الخطاب ﷺ كان يكره الرسول ﷺ، فهداه الله وكان من أولياء الله، والخليفة الثاني في هذه الأمة.

فلا تيأس، ولا تقلْ إنني لا أطيق هذا الرجل، ولا يمكن أن أذهب إليه، بل اذهب ولا تيأس.

وقوله ﷺ: «**وَلَا تَدَابَرُوا**»، المراد التدابر الحسي، بمعنى أن تجلس وتذر الناس وراءك أو تقاطعه في الكلام، وإذا تكلم ولّيت وتركته. وهناك تدابر معنوي، هو اختلاف الرأي، والجدال المذموم.

وقوله ﷺ: «**وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**»: أن يذهب لمن اشترى سلعة من شخص بمائة فيقول: أنا أعطيك مثلها بثمانين، أو أعطيك أحسن منها بمائة، فيرجع المشتري ويفسخ العقد الأول ويعقد مع الثاني، ففي هذا عدوان ظاهر على حق البائع الأول، وهذا يوجب العداوة والبغضاء بين المسلمين.

وقوله ﷺ: «**دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»: يعني أن المسلم حرام على المسلم في هذه الأمور الثلاثة، أي في كل شيء؛ لأن هذه الأمور الثلاثة تتضمن كل شيء؛ الدم: كالقتل والجراح، والعرض: كالغيبة، والمال: كالسرقة، والغصب وهو أخذ المال قهراً، أو يجحد ما عليه من الدّين، أو يدعي ما ليس له.



**[٢٣٦]** وعن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لنَفْسِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني لا يكون مؤمناً حقاً تام الإيمان إلا بهذا الشرط؛ أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، هذا يعني: ويكره لأخيه ما يكره لنفسه. هذا هو المؤمن حقاً، وهذا الحديث يدل على أن من كره لأخيه ما يحبه لنفسه أو أحب لأخيه ما يكره لنفسه فليس بمؤمن، يعني ليس بمؤمن كامل الإيمان، وعلى هذا فيجب عليك أخي المسلم أن تربّي نفسك على هذا.

**[٢٣٧]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: «**تَحْجُزُهُ- أَوْ تَمْنَعُهُ- مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذٰلِكَ نَصْرُهُ**». رواه البخاري.

في هذا الحديث من وجيز البلاغة، ومعناه: أن الظالم مظلوم في نفسه؛ لأنه ظلم نفسه بعدم ردعها عن الظلم، فوجب نصره لذلك، فإذا رأيت هذا الرجل يريد أن يعتدي على الناس فتمنعه فهذا نصره.

**[٢٣٨]** وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْمِيتُ العَاطِسِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**».

هذه الستّ، حق المسلم على المسلم، فمنها: واجب، ومنها: مندوب، ويختلف ذلك باختلاف الأحوال والأشخاص.

فابتداء السلام سنة مؤكدة، ومن المعلوم أن الإنسان لن يهجر أخاه إلا لسبب، فأجاز النبي ﷺ للمسلم أن يهجر أخاه ثلاثة أيام فأقل؛ لأن الإنسان بشر، فقد يكون في النفوس شيء، وحكم السلام أن ابتداءه سنةٌ وردّه فرض عين على من قُصد به، وفرض كفاية: إذا قُصد به جماعة، فإنه يجزئ رد أحدهم، وهو حسنة من الحسنات؛ والحسنة بعشر أمثالها، ولو قيل لشخص: كلما لقيت أحداً فسلمت عليه فلك بكل تسليمة ريال واحد، لوجدت الإنسان يطلب الناس ليسلم عليهم ابتغاء هذا الريال، مع أنه يفنى ويزول، والأجر والثواب يبقى، وتجده أحوج ما تكون إليه، أما اليهودي والنصراني والمشرك والملحد والمرتد، كل هؤلاء لا يحل ابتداء السلام عليهم، ولو كانوا أقرب الناس إليك، لكن إذا سلّموا فرد عليهم بمثل ما سلّموا به، إذا قالوا: أهلاً ومرحباً، فقل أهلاً ومرحباً، وإذا قالوا: السلام عليكم قل: وعليكم السلام.

والمريض إذا انقطع في بيته، فإن له حقاً على إخوانه أن يعودوه ويدعون له بالشفاء؛ مثل أن يقولوا: لا بأس طهور إن شاء الله، وهي فرض كفاية، إذا عاده واحد منهم حصلت به الكفاية، وقد تكون فرض عين إذا كان المريض من الأقارب، لأن صلة الأرحام واجبة.
ومن آدابها: ألا يكثر بالسؤال عن حاله وعن نومه وأكله وشربه، إلا إذا كان يأنس بهذا، أما إذا كان يتضجر كما هو حال بعض المرضى، فلا، لذلك قالوا: ينبغي أن لا يكثر المقام عنده ويطيل؛ لأنه قد يكون له حاجة مع أهله أو في نفسه، كما ينبغي أن لا يزوره في أوقات النوم والراحة؛ كالقيلولة والليل، ولا ينبغي أن يكثر من عيادته، بحيث يأتيه صباحاً ومساءً، وكذلك ينبغي أن يسأله كيف يصلى أو يتيمم، أو يجمع بين الصلوات لعذر، ولا يقصُر، لأن كثيراً من المرضى يجهل ذلك.

ويُكره للإنسان المتّبع للجنازة: أن يتحدث في شيء من أمور الدنيا، أو أن يتبسم ويضحك، حتى يكون جامعاً بين الموعظة وبين تشييع الجنازة، ولكن ليست هذه الموعظة كما يفعله بعض إخواننا الآن في بعض البلاد؛ حيث يقوم الرجل خطيباً يعظ الناس، فإن هذا ليس معروفاً في عهد النبي ﷺ، ولا عهد أصحابه؛ فإذا فرغوا من دفنه وقف عليه أحدهم كالعالم وقال للناس استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبّت فإنه الآن يسأل. يدعو ثلاثاً ثم ينصرف ولا حاجة إلى إطالة الوقوف.

وإذا انصرف الناس يسمع قرع نعالهم؛ جاءه ملكان، فأجلساه، وسألاه عن ربه ودينه ونبيه، ويجلسانه في القبر وإن كان ضيّقاً، كما أن النائم الآن يرى نفسه أنه قائم، وأنه ماشٍ وأنه قاعد، وهو ملتحف في فراشة لم يتحرك منه، لأن أحوال البرزخ أبلغ من أحوال الدنيا وأعظم، ففيه أشياء لا تنطبق على أحوال الدنيا، فها هو الميت المؤمن يُفسح له في قبره مدّ البصر، والمقبرة كلها ليست بشيء، لكن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا.

وإجابة الدعوة: لا تجب عند جمهور العلماء إلا في دعوة العرس في اليوم الأول، فإن كان الداعي غير مسلم فلا تجب، إلا إذا كان في ذلك مصلحة، لأن النبي ﷺ أجاب دعوة يهودي في المدينة، وإن كان الداعي مسلماً مجاهراً بالمعصية، فإن أجابته ليست بواجبة، لعل الله يهديه، وإن كان لا فائدة من ذلك فأنت بالخيار؛ إن شئت فأجب، وإن شئت فلا تجب، وأما إذا كان هناك منكر في الدعوة لا تستطيع تغييره فإنه لا يجوز لك أن تجيب، إلا إذا كان المنكر في مكان آخر، وكان الداعي من أقاربك الذين لو تركت إجابتهم لعدّ ذلك قطيعة، فلا بأس بالإجابة في هذه الحال.

وتشميت العاطس: إذا عطس الرجل وحمد الله وسمعته فشمته، فإذا قلت: يرحمك الله، وجب عليه أن يقول: يهديكم الله ويصلح بالكم. وهو فرض كفاية؛ فإذا كنا جماعة وعطس رجل وقال الحمد لله، فقال أحدنا له: يرحمك الله كفى، وقيل: بل تشميته فرض

عين على كل من سمعه؛ ويكفي منه ردّ واحدٌ على الجميع، أما إن عطس ولم يحمد الله فلا تقل: يرحمك الله، تعزيزاً له على عدم حمده لله، واحرمه هذا الدعاء، ثم هل نذكّره ونقول له: قل الحمد لله أو لا نذكره؟ والجواب: إذا ترك الحمد نسياناً فذكّره، وإن كان تركه تهاوناً فلا تذكّره، وظاهر الحديث أنه إذا لم يحمد الله لا تشمته ولا تذكره مطلقاً، ولكن يمكنك فيما بعد أن تعلمه. ثم إن التشميت بقول: يرحمك الله مقيد بثلاث مرات، فإن عطس الرابعة فقل: عافاك الله، إنك مزكوم، فتدعو له بالعافية، ثم إن ما يقوله بعض العامة إذا قلت له: يرحمك الله، يقول: يهدينا ويهديكم الله، فهذا ليس بصحيح؛ لكن قل: يهديكم الله ويصلح بالكم.



**[٢٣٩]** وعن أبي عُمَارة البراء بن عازب رضي الله عنهما، قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع، ونهانا عن سبع: "**أَمَرَنَا بِعِيَادَة المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَنَهَانَا عَنْ خَوَاتِيمِ أَوْ تَخَتُّمٍ بِالذَّهَبِ، وَعَنْ شُرْبٍ بِالفِضَّةِ، وَعَنِ المَيَاثِرِ الحُمْرِ، وَعَنِ القَسِّيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ**". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: "**وَإِنْشَادِ الضَّالَّةِ فِي السَّبْعِ الأُوَلِ**".

المَيَاثِرُ: شيء يُتَّخَذُ مِنْ حرير مثل المخدة وَيُحْشَى قطناً وتُربط في سرج الفرس، وكذلك القَسِّيُّ، وَإِنْشَادُ الضَّالَّةِ: تعريفها، والإِستبرق والديباج: صنفان من الحرير.



## ٢٨- عَوْرات المسلِمينَ

الإنسان من طبيعته التقصير والنقص والعيب؛ والواجب على المسلم نحو أخيه أن يستر عورته، فإذا دعت الضرورة إلى ذلك فلا بد منه، لأن الإنسان بشر ربما يخطئ. هبْ أنك رأيت رجلاً على كذب وغش في البيع والشراء؛ فلا تفش ذلك بين الناس؛ بل انصحه واستر عليه، فإن توفق واهتدى كان ذلك، وإلا وجب عليك أن تبين أمره للناس؛ لئلا يغتروا به، وهب أنك وجدت إنساناً مبتلى بالنظر إلى النساء، فانصحه ولا تفضحه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

شيوع الفاحشة في المجتمع المسلم؛ من ذلك من يبثّون الأفلام الخليعة، والصحف الخبيثة الداعرة. والمعنى الثاني: أن يحب أن تشيع الفاحشة في شخص معين، وليس في المجتمع الإسلامي كله، فهذا أيضاً له عذاب أليم في الدنيا والآخرة، لأن هذه الآية في سياق آيات الإفك، والإفك: هو الكذب الذي افتراه من يكرهون النبي ﷺ، ومن يحبون أن يتدنس فراشه، ولهذا جاء قوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ [النور: ١٣]، يعني هلّا جاؤوا عليه بأربعة شهداء يشهدون على هذا الأمر، ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، ولو صدقوا، ولهذا لو أن شخصاً شاهد إنساناً يزني، وجاء إلى القاضي وقال أنا أشهد أن فلاناً زنى، قلنا: هات أربعة شهداء، فإذا لم يأت بأربعة شهداء؛ جلدناه ثمانين جلدة، فإن جاء برجل ثان معه؛ جلدناهم كل واحد ثمانين جلدة، وثالث أيضاً نجلد كل واحد ثمانين جلدة.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٣-١٤]، دليل على أن الحديث انتشر وفاض

واستفاض واشتهر؛ لأنه أمر جلل عظيم خطير. وقد جرت العادة بأن الأمور الكبيرة تنتشر بسرعة وتملأ البيوت وتملأ الأفواه والآذان ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٤-١٥] من غير روِيّة، ومن غير بينة، ومن غير يقين، ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾، لأنه قذف لأطهر امرأة على وجه الأرض، هي وصاحباتها زوجات رسول الله ﷺ، فالأمر صعب وعظيم. وفي ذلك تدنيس لرسول الله ﷺ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]، فإذا كانت عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ يحصل منها هذا الأمر، وحاشاها منه، فإن ذلك يدل على خبث زوجها! لأن الخبيثات للخبيثين، ولكنها رضي الله عنها طيبة وزوجها طيب، ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾، يعني: هلّا إذ سمعتموه ﴿قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾ [النور: ١٦]، وهذا هو الواجب عليك؛ ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾، ولهذا أجمع العلماء على أن من رمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما جاء في حديث الإفك؛ فإنه كافر مرتد، لأنه كذّب القرآن، ويجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلا قتل بالسيف، وأُلقيت جيفته في حفرة من الأرض، من دون تغسيل، ولا تكفين، ولا صلاة؛ لأن الأمر خطير.

ويُذكر أن ثلاثة من الصحابة الخُلّص تورّطوا في هذه القضية، وهم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش ضرّة عائشة.

ولما أنزل الله براءتها؛ أمر النبي ﷺ أن يُحدّ الثلاثة حد القذف، فجلد كل واحد ثمانين جلدة. أما المنافقون فلم يقم النبي ﷺ عليهم الحد، لماذا؟ قيل: لأن المنافقين لا يصرّحون وإنما يقولون: يُقال أو يذكر أو سمعنا، وقيل: الحدّ طُهرة للمحدود، وهؤلاء المنافقون ليسوا أهلاً للتطهير فهم في الدرك الأسفل من النار، فتركهم وذنوبهم، فليس فيهم خير.



**[٢٤٠]** وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه مسلم.

الستر ليس محموداً على كل حال، وليس مذموماً على كل حال، فهو نوعان:

النوع الأول: ستر الإنسان الذي لم تجر منه فاحشة، ولا ينبغي منه عدوان إلا نادراً.

والنوع الثاني: ستر شخص مستهتر متهاون في الأمور، معتدٍ على عباد الله شرير، فهذا لا يستر؛ بل المشروع أن يبيّن أمره لولاة الأمر حتى يردعوه، ويكون نكالاً لغيره، وإن تردد الإنسان بين هذا وهذا؛ فالستر أولى.

**[٢٤١]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتَ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والمجاهرون: هم الذين يجاهرون بمعصية الله، وهم ينقسمون إلى قسمين: الأول: أن يعمل المعصية وهو مجاهر بها أمام الناس، وهم ينظرون إليه، هذا جرّ على نفسه الويل، وجرّه على غيره، أما جره على نفسه: فلأنه ظلم نفسه، وكل إنسان يعصي الله ورسوله؛ فإنه ظالم لنفسه، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [البقرة: ٥٧]، والنفس أمانة عندك، يجب عليك أن ترعاها حق رعايتها.

وأما جره على غيره: فلأن الناس إذا رأوه قد عمل المعصية؛ هانت في نفوسهم، وفعلوا مثله، وصار من الأئمة الذين يدعون إلى النار، كما قال الله تعالى عن آل فرعون: ﴿**وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ**﴾ [القصص: ٤١]، فهذا نوع من المجاهرة، ولم يذكره النبي ﷺ؛ لأنه واضح، لكنه ذكر أمراً آخر قد يَخفى على بعض

الناس، فقال: ومن المجاهرة أن يعمل الإنسان العمل السيئ في الليل فيستره الله عليه، ولكنه إذا قام في الصباح واختلط بالناس قال: عملت البارحة كذا وكذا، فهذا ليس معافى، هذا قد ستر الله عليه، فأصبح يفضح نفسه، وهذا الذي يفعله بعض الناس يكون له سببان: السبب الأول: أن يكون الإنسان غافلاً يتحدث بها عن طهارة قلب. والسبب الثاني: أن يتحدث بالمعاصي تبجّحاً واستهتاراً كأنها نالوا غنيمة.



**[٢٤٢]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبَيَّنَ زِنَاهَا فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ، وَلَا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إِنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

التثريب: أي التوبيخ، والأمة: هي المملوكة التي تباع وتشترى، فإذا زنت الأولى والثانية فليجلدها الحد، وحدّ الأمَة نصف حد الحرة، يعني خمسين جلدة، وتغرّب نصف سنة، وقيل: لا تغرّب؛ ثم إن زنت يعني في الثالثة أو الرابعة؛ فلا يبقيها؛ لأنه لا خير فيها، ففي هذا دليل على أن السيد يقيم الحد على مملوكه، وأما غيره يتولى إقامة الحد الإمام، أو نائب الإمام، حتى الأب لا يملك إقامة الحد على ابنته، وإذا قال قائل: وإذا باعها فما الفائدة إذا كانت قد ألفت الزنى؟ نقول: لأنه إذا باعها تغيرت بها الأحوال؛ وسيكون المشتري شديداً عليها حتى يمنعها من ذلك.



**[٢٤٣]** وعنه، قال: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شَرِبَ خَمْرًا، قَالَ: «**اضْرِبُوهُ**»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، والضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ، قَالَ: «**لَا تَقُولُوا هٰكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ**». رواه البخاري.

والخمر: كل ما أسكر، ومعنى الإسكار أن يغيب العقل من شدة اللذة؛ لأن غيبوبة العقل أحياناً تكون بدواء كالبنج، فهذا ليس بسكر، وأحياناً تكون بإغماء، أما بسكر، وهو تغطية العقل على وجه اللذة والطرب، ولهذا تجد السكران يتخيل نفسه وكأنه ملك من الملوك.

قال: «**اضْرِبُوهُ**»، ولم يحدد لهم عدداً معيناً، فلما قال له رجل: أخزاك الله، فقال النبي ﷺ: «**لَا تَقُولُوا هٰكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ**»؛ لأن الخزي معناه العار والذل، فإنك قد دعوت الله عليه بما يذله ويفضحه، فتعين عليه الشيطان. وفي هذا الحديث دليل على أن عقوبة الخمر ليس لها حد معين، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه صارت تقدر بنحو أربعين، وفي عهد عمر رضي الله عنه كثر الناس الذين دخلوا في الإسلام، فكثر شرب الخمر، فاستشار الصحابة، فرفع عمر رضي الله عنه عقوبة شارب الخمر إلى ثمانين جلدة، وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا فعل ذنباً وعوقب عليه في الدنيا؛ فإنه لا ينبغي لنا أن ندعو عليه بالخزي والعار؛ بل نسأل الله له الهداية.





## ٢٩- قضاء حوائج المسلمين

الحوائج: ما يحتاجه الإنسان ليكمل به أموره.

الضروريات: فهي ما يضطر إليه الإنسان ليدفع به ضرره، ودفع الضرورات واجب؛ فإنه يجب على الإنسان إذا رأى أخاه في ضرورة أن يدفع ضرورته؛ فلو اضطر الإنسان إلى طعام أو ماء في يد شخص، ومنعه بعد طلبه، ومات، فإنه يضمنه؛ أما لو أن شخصاً احتاج إلى شرب دخان، فلا يحل لك أن تعينه لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، حتى لو كان أباك؛ حتى لو غضب عليك؛ فإنك تكون باراً به ولا تكون عاقاً. وقال الله تعالى: ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج:٧٧]، وهذه الآية عامة في جميع أفعال الخير البدنية والمالية وغيرها.



**[٢٤٤]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ. مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفيه: أن الله يعامل العبد بما يعامل به الخلق، كما في الحديث المشهور: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».



**[٢٤٥]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ**

فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ، وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رواه مسلم.





## ٣٠-الشَّفاعة

قال الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ [النساء:٨٥].



**[٢٤٦]** وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أَقْبَلَ عَلَى جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: «**اِشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أَحَبَّ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**مَا شَاءَ**».



**[٢٤٧]** وعن ابن عباس ﷺ في قصة بريرَةَ وزوجها، قال: قال لها النبي ﷺ: «**لَوْ رَاجَعْتِهِ**»، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «**إِنَّمَا أَشْفَعُ**»، قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. رواه البخاري.

الشفاعة: هي التوسط للغير؛ لجلب منفعة أو دفع مضرة. والشفاعة أقسام:

القسم الأول: شفاعة محرّمة، وهي أن يشفع لشخص وجب عليه الحدّ بعد أن يصل إلى الإمام. مثال ذلك: رجل وجب عليه حدّ في قطع يده في السرقة، فلما وصلت إلى الإمام أو نائب الإمام؛ أراد إنسان أن يشفع لهذا السارق ألا تقطع يده، فهذا حرام، أنكره النبي ﷺ إنكاراً عظيماً، حيث قام فخطب الناس، وقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**».

القسم الثاني: أن يشفع لإنسان معتدٍ على أخيه، مثلاً أن رجلاً يريد أن يخطب امرأة مخطوبة من قبل، فذهب إلى شخص وقال: يا فلان أحب أن تشفع لي عند والد هذه المرأة يزوجنيها، وهو يعلم أنها مخطوبة، فهنا لا يحل له أن يشفع؛ أو أن يأتي رجل فيقول: يا

فلان؛ أنا أريد أن أشتري دخاناً من فلان وقد سُمْتُه بكذا، وأبى عليّ إلا بكذا وكذا أكثر مما سمتُه به، فأرجوك أن تشفع لي عنده ليبيعه عليّ بهذا السعر الرخيص، فهنا لا تجوز الشفاعة؛ لأن هذه إعانة على الإثم والعدوان.

القسم الثالث: الشفاعة في شيء مباح، مثل أن يأتي شخص لآخر فيسوم منه بيتاً ويقول له: هذا الثمن كثير، فيذهب إلى شخص ثالث، ويقول: يا فلان اشفع لي عند صاحب البيت لعله يبيعه بثمن أقل، فهذا جائز؛ بل هو مأجور على ذلك، وأيضاً لا حرج أن تقول لبعض الناس: اشفعوا له عندي؛ حتى تظهر أنت بمظهر القوي.



## ٣١-الإِصلاح بين النّاس

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء:١١٤].

الإصلاح بين الناس: هو أن يكون بين شخصين معاداة، فيأتي رجل موفِّق فيصلح بينهما، ويزيل ما بينهما من العداوة والبغضاء، وكلما كان الرجلان أقرب صلة بعضهما من بعض؛ فإن الصلح بينهما أوكد، يعني أن الصلح بين الأب وابنه أفضل من الصلح بين الرجل وصاحبه، والصلح بين الأخ وأخيه أفضل من الصلح بين العم وابن أخيه، وهكذا كلما كانت القطيعة أعظم؛ كان الصلح بين المتباغضين وبين المتقاطعين أكمل وأفضل. والنجوى: الكلام الخفي بين الرجل وصاحبه، فأكثر المناجاة بين الناس لا خير فيها إلا من أمر بصدقة أو معروف، والمعروف: كل ما أمر به الشرع وتعارف عليه الناس، يعني: أمر بخير أو إصلاح بين الناس، أما الثواب فقال: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. فأنت يا أخي المسلم إذا رأيت بين شخصين عداوة وبغضاء وكراهية، فاحرصْ على أن تسعى بينهما بالصلح حتى لو خسرت شيئاً من مالك فإنه مخلوف عليك. وهذا مما حثَّ عليه رسول الله ﷺ، فقال لأبي أيُّوب الأنصاري: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى صَدَقَةٍ هِيَ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ؟»، قال: نعم يَا رسول الله. قال: «تُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ إِذَا فَسَدُوا، وَتُقَرِّبُ بَيْنَهُمْ إِذَا تَبَاعَدُوا». وَقالَ تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨]، أي: من الفرقة، وهذه الآية نزلت في الصلح بين المرأة وزوجها، وهي عامة في كل شيء فيه خصومة ونزاع.

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١]. هذه الآية نزلت حين اختلف الصحابة في غنائم بدر، وهي عامة في كل ما يقع فيه النزاع والاختلاف الذي يورث الشحناء؛ لأن فساد ذات البين مضرة بالدين والدنيا، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠]. هذه الآية نزلت حين اقتتل بعضُ

الصحابة بالسّعف والنّعال، ثم أخذوا السلاح، فأصلح بينهم النبي ﷺ، وهي عامة في كل نزاع يقع بين المسلمين، ثم اعلمْ أن الصلح يجوز فيه التّورية؛ أي أن تقول لشخص: إن فلاناً لم يتكلم فيك بشيء، إن فلاناً يحب أهل الخير، أو تقول: فلان يحبك، وتضمر في نفسك جملة: إن كنت من أهل الخير، لأجل أن تخرج من الكذب.

وقال الله ﷻ: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]. وجملة: ﴿الصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ عامة في جميع الأمور.

وقال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]، إشارة إلى أن الإنسان ينبغي له عند الإصلاح أن يتنازل عمّا في نفسه، وأن لا يُتبع نفسه هواها؛ لأنه إذا أتبع نفسه هواها فإن النفس شحيحة، ربما يريد الإنسان أن يأخذ بحقه كاملاً، وإذا أراد الإنسان أن يأخذ بحقه كاملاً؛ فإن الصلح يتعذر؛ لأنك إذا أردت أن تأخذ بحقك كاملاً، وأراد صاحبك أن يأخذ بحقه كاملاً؛ لم يكن إصلاحاً، لكن إذا تنازل كل واحد منكما عما يريد وغلب شحّ نفسه؛ فإنه يحصل الخير ويحصل الصلح، وهذه هي الفائدة من قوله تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ بعد قوله: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩]، فأمرَ الله ﷻ بالإصلاح بين المتقاتلين من المؤمنين، والحاصل أن الإصلاح كله خير، فعليك يا أخي المسلم إذا رأيت شخصين متنازعين متباغضين متعاديين؛ أن تصلح بينهما؛ لتنال الخير الكثير، وابتغِ في ذلك وجه الله وإصلاح عباد الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤].



**[٢٤٨]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

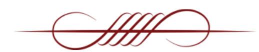
ومعنى: تَعدِلُ بينهما: أي تُصْلِحُ بينهما بالعدل، السُّلامى: هي العظام والمفاصل. قال النبي ﷺ: «**خُلِقَ الإِنْسَانُ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثُمِائَةِ مِفْصَلٍ**»، وفي الحديث: تجديد هذه الصدقات كل يوم شكراً لله تعالى على ما أنعم به من العافية. وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ الصَّدَقَةَ تَدْفَعُ البَلَاءَ**». قال العلماء من أهل الفقه والحديث: وعدد السلامى في كل إنسان ثلاثمائة وستون عضواً أو مفصلاً، فعلى كل واحد من الناس أن يتصدق كل يوم تطلع فيه الشمس بثلاثمائة وستين صدقة، ولكن الصدقة لا تختص بالمال؛ بل كل ما يقرب إلى الله فهو صدقة بالمعنى العام؛ وعلى هذا فنقول: هذه القوانين التي يحكم بها بعض الناس وهي مخالفة لشريعة الله ليست عدلاً؛ بل هي جور وظلم وباطل، ومن حكم بها معتقداً أنها مثل حكم الله أو أحسن منه؛ فإنه كافر مرتد عن دين الله؛ لأنه كذب قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾ [المائدة: ٥٠]، يعني لا أحد أحسن من الله حكماً، لكن لا يفهم هذا إلا من يوقن، أما الذي أعمى الله بصيرته، فإنه لا يدري، بل قد يزين له سوء عمله فيراه حسناً!

ومن الصدقات: أن تحمل الرجل على دابّته إذا كان لا يستطيع أن لا يركبها بنفسه، أو تحمل له متاعه، ويقاس على ذلك السيارة ووسائط النقل الأخرى، وتميط الأذى عن الطريق؛ سواء كان حجراً أم زجاجاً أم قشر بطيخ، أم ثياباً يلتوي بعضها على بعض، ومن ذلك من يلقون قمامتهم في وسط الشارع، أو يتركون المياه تجري في الأسواق فتؤذي الناس، مع أن في ترك المياه مفسدة أخرى، وهي استنفاد الماء؛ ولهذا نرى أن الذي يترك المياه ويسرف في صرفها ولا يبالي في ضياعها مسيء إلى كل الأمة.

«**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»: فالذّكر: لا إله إلا الله، الله أكبر، الحمد لله، لا حول ولا قوة إلا بالله، وأفضل الذّكر قراءة القرآن، والتحدث مع الناس وإيناسهم وإدخال السرور عليهم. «**وَبِكُلِّ خَطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ**»؛ عدِّ الخطى من بيتك إلى المسجد تجدها كثيرة، ومع ذلك كل خطوة فهي صدقة لك، أسبغِ الوضوء في بيتك، واخرج إلى المسجد لا يخرجك إلا الصلاة، وأبشر بثلاث فوائد: صدقة، ورفع درجة، وحطّ خطيئة.

**[٢٤٩]** وعن أمِّ كُلْثُوم بنت عُقْبَة بن أبي مُعَيط ﵂، قالتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا، أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ زِيَادَةٌ، قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

فالإنسان إذا قصد الإصلاح بين الناس وقال للشخص: إن فلاناً يثني عليك ويمدحك ويدعو لك، وما أشبه ذلك من الكلمات، فإن ذلك لا بأس به، وقد اختلف العلماء في هذه المسألة، هل المراد أن يكذب الإنسان كذباً صريحاً؟ فالإنسان المصلح ينبغي له أن يتحرز من الكذب، وإذا كان ولا بد فليتأوّل؛ فلا إثم عليه فيما بينه وبين الله، أن يقصد بكلامه شيئاً وينوي في قلبه شيئاً آخر، وكذلك الحديث بين الزوجين، مثل أن يقول لها: إنك من أحب الناس إلي، وإني أرغب في مثلك، وما أشبه ذلك من الكلمات التي توجب الألفة والمحبة بينهما، ولكن مع هذا لا ينبغي أن يكثر الإنسان من هذا الأمر؛ لأن المرأة إذا عثرت على شيء يخالف ما حدثها به، فإنه ربما تنعكس الحال وتكرهه أكثر مما كان يتوقع، وكذلك المرأة مع الرجل.



**[٢٥٠]** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالبَابِ عَالِيةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: وَالله لَا أَفْعَلُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَيْنَ الْمُتَأَلِّي عَلَى الله لَا يَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ؟**»، فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، فَلَهُ أَيُّ ذٰلِكَ أَحَبَّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يَسْتَوضِعُهُ: يَسْأَلُهُ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ بَعضَ دَيْنِهِ، وَيَسْتَرفِقُهُ: يَسأَلُهُ الرِّفْقَ، وَالْمُتَأَلِّي: الحَالِفُ.

وفي رواية لابن حبان: «**إِنْ شِئْتَ وَضَعْتُ مَا نَقَصُوا، وَإِنْ شِئْتَ مِنْ رَأْسِ المَالِ**»، فوضع ما نقصوا، وفيه دليل على أنه لا حرج على الإنسان أن يتدخل في النزاع بين اثنين، إذا لم يكن ذلك سراً بينهما؛ لأن هذين الرجلين قد أعلنا ذلك، وكانا يتكلمان بصوت مرتفع، أما لو كان الأمر بين اثنين على وجه السر والخفاء؛ فلا يجوز للإنسان أن يتدخل بينهما؛ لأن في ذلك إحراجاً لهما، فإن إخفاءهما للشيء يدل على أنهما لا يحبان أن يطّلع عليه أحد من الناس، فإذا أقحمت نفسك في الدخول بينهما؛ أحرجتهما وضيّقت عليهما، وربما تأخذهما العزة بالإثم فلا يصطلحان.



# ٣٢- ضَعَفةُ المسلِمينَ والفقراءِ والخامِلينَ

قال الله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨].

نزلت هذه الآية حين قالت أشراف قريش للنبي ﷺ: نحِّ هؤلاء، يعني فقراء المسلمين، حتى نجالسك. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: يعبدونه، ويسألونه حاجاتهم. ﴿بِالْغَدَاةِ﴾: أول النهار، ﴿وَالْعَشِيِّ﴾: آخر النهار، ولعل المراد: يدعون ربهم دائماً. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾: لا يريدون عرضاً من الدنيا، إنما يريدون وجه الله تعالى. ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾: لا تتجاوز عيناك إلى غيرهم؛ أي: لا تنظر إلى أهل الدنيا وما مُتّعوا به من النعيم والملابس والمساكن، فكل هذا زهرة الدنيا، والزهرة آخر مآلها الذبول واليبس والزوال، وهي أسرع أوراق الشجرة ذبولاً وزوالاً، ولهذا قال: زهرة، وهي زهرة حسنة في رونقها وجمالها وريحها، لكنها سريعة الذبول، وهكذا الدنيا.

والعيش مآله أحد أمرين: إما الهرم حتى يعود الإنسان إلى الضعف البدني مع الضعف العقلي، ويكون عالة حتى على أهله، وإما الموت، فكيف يطيب العيش للإنسان العاقل؟ ولولا أنه يؤمل ما في الآخرة ويرجو من ثوابها، لكانت حياته عبثاً.



**[٢٥٢]** وعن حارثة بن وهْبٍ رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

العُتُلُّ: الغَلِيظُ الجَافِي، وَالجَوَّاظُ: وَهُوَ الجَمُوعُ المَنُوعُ، وَقِيلَ: الضَّخْمُ المُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، وَقِيلَ: القَصِيرُ البَطِينُ، يعني: من علامات أهل الجنة؛ أن الإنسان يكون ضعيفاً

متضعَّفاً، أي: لا يهتم بمنصبه أو جاهه، أو يسعى إلى علو المنازل في الدنيا، ولكنه ضعيف في نفسه متضعّف، يميل إلى الخمول وإلى عدم الظهور؛ لأنه يرى أن المهم أن يكون له جاه عند الله ﷻ، لا أن يكون شريفاً في قومه أو ذا عظمة فيهم، ولذلك تجد أهل الآخرة لا يهتمون بما يفوتهم من الدنيا؛ إن جاءهم شيء قبلوه، وإن فاتهم شيء لم يهتموا به؛ لأنهم يرون أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الأمور بيد الله، وإن تغيير الحال من المحال، وقوله: «**لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»: لو حلف على شيء ليسّره الله له، حتى يحقق له ما حلف عليه، وهذا كثيراً ما يقع؛ أن يحلف الإنسان على شيء ثقةً بالله ورجاءً لثوابه، فيبرّ الله قسمه، وأما الحالف على الله تعالياً، فإن هذا يُخذل.

وروي عن ابن عباس مرفوعاً: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: الجَوَّاظُ، وَالعُتِلُّ، وَالجَعْظَرِي**»، قيل: وما الجواظ: قال: الجَمُوع المنوع البخيلُ، والجعظري: الفَظُّ والغليظ لقرابته وجيرانه وأهل بيته، والعتلّ: الشرس الخلق، الأكول، الشروب، الغشوم، الظلوم.



**[٢٥٣]** وعن أبي عباس سهل بن سعد الساعديِّ ﷺ قال: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٌ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا؟**»، فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هٰذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رَأْيُكَ فِي هٰذَا؟**»، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هٰذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هٰذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هٰذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأَرْضِ مِثْلَ هٰذَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

حَرِيٌّ: أي حَقيقٌ، ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات:١٣]، فهذان رجلان أحدهما من أشراف القوم، والثاني بالعكس، رجل من ضعفاء الناس ليس له قيمة، فيؤخذ من هذا فائدة عظيمة؛ وهي أن الرجل قد يكون ذا

منزلة عالية في الدنيا، ولكنه ليس له قدر عند الله، وقد يكون في الدنيا ذا مرتبة منحطّة وليس له قيمة عند الناس، وهو عند الله خير من كثير ممن سواه.

**[٢٥٤]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**اِحْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا**». رواه مسلم.

هذا من الأمور الغيبية التي يجب علينا أن نؤمن بها، حتى وإن استبعدتها العقول، وقال الإنسان: كيف تتحاجّ الجنة والنار وهما جمادان؟! فإننا نقول: إن الله على كل شيء قدير، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أن الأرض يوم القيامة تحدّث أخبارها بما أوحى لها، فإن هذا المأمور سيستجيب على كل حال، فالأيدي تشهد على صاحبها يوم القيامة، والألسن، والأرجل، والجلود، كلها تشهد مع أنها جماد.

«**وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا**»: فإنه إذا كان يوم القيامة ألقى من يلقى في النار، وهي تقول هل من مزيد، يعني أعطوني، أعطوني، فيضع الله عليها رجله، وفي لفظ قدمه، فينزوي بعضها على بعض، أي ينضم من أثر وضع الرب عز وجل عليها قدمه، وتقول: قط قط، يعني: كفاية كفاية، وهذا ملؤها، ففي هذا دليل على أن الفقراء والضعفاء هم أهل الجنة؛ لأنهم في الغالب هم الذين ينقادون للحق، وأن الجبارين المتكبرين هم أهل النار؛ لأنهم مستكبرون على الحق وجبّارون، لا تلين قلوبهم لذكر الله، ولا لعباد الله.



**[٢٥٥]** وعن أبي هريرة ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».

وذلك لأن الغالب أن السمنة إنما تأتي من البطنة، أي: من كثرة الأكل، وكثرة الأكل تدل على كثرة المال والغنى، والغالب على الأغنياء البطر والأشر وكفر النعمة، حتى إنهم يوم القيامة يكونون بهذه المثابة، يؤتى بالرجل العظيم السمين، يعني كثير اللحم والشحم، عظيم كبير الجسم، لا يزن عند الله يوم القيامة جناح بعوضة، والبعوضة معروفة من أشد الحيوانات امتهاناً وأهونها وأضعفها، وجناحها كذلك، وفي هذا الحديث إثبات الوزن يوم القيامة.



**[٢٥٦]** وعنه: أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ، أَوْ شَابًّا، فَفَقَدَهَا، أَوْ فَقَدَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا، أَوْ عَنْهُ، فَقَالُوا: مَاتَ، أَوْ مَاتَتْ. قَالَ: «**أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي بِهِ؟**»، فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهِ أَو قَبْرِهَا**»، فَدَلُّوهُ فَصَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هٰذِهِ القُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلَاتِي عَلَيْهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

تَقُمُّ: أي تَكْنُسُ، وَالقُمَامَةُ: الكُنَاسَةُ، وَآذَنْتُمُونِي: أَيْ: أَعْلَمْتُمُونِي، والقذاة: الشيء الصغير.

وأكثر الروايات على أنها امرأة سوداء، يعني ليست من نساء العرب، كانت تقم المسجد: يعني تنظفه وتزيل القمامة، فماتت في الليل، فصغّر الصحابة شأنها، وقالوا: لا حاجة إلى أن نخبر النبي ﷺ في هذا الليل، ثم خرجوا بها فدفنوها، ففقدها النبي ﷺ، فقالوا: إنها ماتت، فدلوه على قبرها فصلى عليها.

في هذا الحديث: أن النبي ﷺ يعظّم الناس بحسب أعمالهم، وأن المساجد بيوت الله ينبغي العناية بها وتنظيفها، لا ينبغي زخرفتها وتنقيشها بما يوجب أن يلهو المصلون بما فيها من الألوان والزخرفة، فإن النبي ﷺ قال: «**لتُزَخْرِفُنَّها**»؛ يعني المساجد، كما زخرفها اليهود والنصارى.

ومن فوائد هذا الحديث: مشروعية الصلاة على القبر لمن لم يصل عليه قبل الدفن؛ ولكن هذا مشروع لمن مات في عهدك وفي عصرك، أما من مات سابقاً فلا، ولهذا لا يشرع لنا أن نصلي على النبي ﷺ على قبره، أو على قبور الصحابة، أو غيرهم من العلماء والأئمة، فمثلاً إذا مات إنسان قبل ثلاثين سنة وعمرك ثلاثون سنة؛ فإنك لا تصلي عليه صلاة الميت؛ لأنه مات قبل أن تخلق، وقبل أن تكون من أهل الصلاة، أما من مات وأنت قد كنت من أهل الصلاة؛ لو فرض أن رجلاً مات قبل سنة أو سنتين، وأحببت أن تصلي على قبره، وأنت لم تصلّ عليه من قبل فلا بأس، فإذا قال قائل: إذا صليت على القبر فأين أقف؟ فالجواب أنك تقف وراءه، تجعله بينك وبين القبلة، كما هو الشأن فيما إذا صليت عليه قبل الدفن.



**[٢٥٧]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**». رواه مسلم.

أشعث: من صفات الشعر، يعني لا يهتم بمظهره، وأغبر: أغبر اللون، أغبر الثياب، وذلك لشدة فقره، مدفوع بالأبواب: ليس له جاه، إذا جاء إلى الناس يستأذن لا يأذنون له، بل يدفعونه لأنه ليس له قيمة عندهم، لو أقسم على الله لأبره: لو قال: والله لا يكون كذا لم يكن، والله ليكوننّ كذا لكان، لكرمه عند الله ومنزلته، فبأي شيء يحصل هذا؟ وما هو الميزان؟ الميزان تقوى الله ﷻ، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات:

١٣]، فمن كان أتقى لله فهو أكرم عند الله، ييسّر الله له الأمر، ويجيب دعاءه، ويكشف ضرّه، ويبرّ قسمه، أما من أقسم على الله تألّياً واستكباراً على عباد الله، وإعجاباً بنفسه، فهذا لا يبرَ الله قَسَمه.

**[٢٥٨]** وعن أسامة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَى بَابِ النَّارِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالْجَدُّ: الحَظُّ وَالغِنَى، ومَحْبُوسُونَ: أيْ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ بَعْدُ في دُخُولِ الجَنَّةِ. أكثر ما يدخل الجنة الفقراء؛ لأن الفقراء، في الغالب، أقرب إلى العبادة والخشية لله من الأغنياء، لأن الغني يرى أنه مستغن بماله، فهو أقل تعبداً من الفقير، وإن كان من الأغنياء من يعبد الله أكثر من الفقراء، لكن هذا الغالب، فقسّم الرسول ﷺ الناس إلى أقسام ثلاثة: أهل النار دخلوا النار، والفقراء دخلوا الجنة، والأغنياء من المؤمنين موقوفون محبوسون، إلى أن يشاء الله، وقوله: «**فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ**»: يعني أكثر من يدخل النار النساء؛ لأنهن أصحاب فتنة، ويكثرن السب والشتم؛ ولسانهن سليط، وكيدهن عظيم. والعشير: هو الزوج، لو أحسن إليها الدهر كله، ثم رأت سيئة واحدة قالت: ما رأيت خيراً قط.

في هذا الحديث دليل على أنه يجب على الإنسان أن يحترز من فتنة الغنى، وقد يؤدي بصاحبه إلى الأشر والبطر، ورد الحق، وغمط الناس، فاحذر من ثلاث: الغنى، والصحة، والفراغ، فهذه مما يُغبن فيها كثير من الناس، والفراغ في الغالب يأتي من الغنى؛ لأن الغنيّ مكتف من كل شيء ومتفرغ.



# ٣٣- اليَتيم والبَنات والضُّعفاء والمساكِين

اليتيم هو الصغير الذي مات أبوه قبل بلوغه؛ سواء كان ذكراً أو أنثى، ولا عبرة بوفاة الأم، خلافاً لما يفهمه عوام الناس؛ حيث يظنون أن اليتيم هو الذي ماتت أمه.

وقد أوصى الله ﷻ به، وجعل له حقاً خاصاً؛ لأن اليتيم قد انكسر قلبه بموت أبيه، وكذلك البنات والنساء محل العطف والشفقة والرحمة؛ لأنهنّ ضعيفات في كل شيء، فالرجال أقوى من النساء في الأبدان والعقول والأفكار والعزيمة، وكذلك أيضاً المنكسرون؛ يعني الذين أصابهم شيء فانكسروا من أجله، وليس هو كسر العظم بل كسر القلب، يعني مثلاً أصابته جائحة اجتاحت ماله، أو مات أهله أو مات صديق له، والمهم أن المنكسر ينبغي ملاطفته، يُعزّى ويلاطف ويبين له أن هذا أمر الله، وكذلك ينبغي خفض الجناح لهم ولين الجانب. قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:٨٨]، يعني حتى لو شمخت نفسك وارتفعت في الهواء، كما يرتفع الطير فاخفض جناحك، ولو كان عندك من المال ولك من الجاه والرئاسة ما يجعلك تتعالى على الخلق، وتطير كما يطير الطير في الجو، فاخفض الجناح حتى يكونوا فوقك، وهذا أمر للرسول ﷺ، وهو أمرٌ للأمة كلها.

وَقالَ تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨].

﴿اصْبِرْ نَفْسَكَ﴾: احبسها مع هؤلاء القوم، ولا تتجاوز عيناك عنهم

مثلاً: إذا كان هناك رجلان؛ أحدهما مقبل على طاعة الله، وآخر عنده أموال وقصور وسيارات وخدم، أيهم أحق أن نصبر أنفسنا معه؟ الأول أحق أن نصبر أنفسنا معه، وأن نجالسه، وأن نخالطه، فالحياة كلها عرض زائل، وما فيها من النعيم والسرور فإنه محفوف بالأحزان والتنكيد، ما من فرح في الدنيا إلا ويتلوه ترح وحزن.

قال ابن مسعود ﷺ: "مَا مُلِئَ بَيْتٌ فَرَحًا إِلَّا مُلِئَ حُزْنًا وَتَرَحًا، فَالدُّنْيَا كُلُّهَا لَيْسَتْ بِشَيْءٍ".

والخطاب في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ للنبي ﷺ، وفيه يقرر أنه ﷺ كان يتيماً، عاش من غير أمّ ولا أب، فكفله جده عبد المطلب، ثم مات هو في السنة الثامنة من عمره، ثم كفله عمه أبو طالب، وكان يرعى الغنم لأهل مكة على قراريط، يعني على شيء يسير من الدراهم؛ لأنه ما من نبي بعثه الله إلا ورعى الغنم، من أجل أن يتمرّنوا على الرعاية وحسن الولاية، لأن راعي الغنم يكون عليه السكينة والرأفة والرحمة؛ بخلاف رعاة الإبل، فأكثر ما يكون فيهم الجفاء والغلظة؛ لأن الإبل غليظة قوية جبارة، وكان هذا اليتيم الذي يرعى الغنم إماماً لأمه هي أعظم الأمم.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، أي اذكرْ نفسك حين كنت يتيماً، فلا تقهر اليتيم، بل سهّل أمره؛ إذا صاح فسكّته، إذا غضب فأرضه، إذا تعب فخفف عليه. ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:١٠]، والسائل: يظهر أنه سائل المال، وقيل: سائل العلم لا تنهره، بل تلقه بصدر رحب وعلّمه حتى يفهم، خصوصاً في وقتنا الآن، فكثير من الناس الآن يسألك وقلبه ليس معك، تجيبه بالسؤال ثم يفهمه خطأ، ولهذا ينبغي ألا تطلق الإنسان الذي يسألك حتى تعرف أنه عرف.

وَقالَ تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ، وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١- ٣]. أَرَأَيْت: معناها أخبرني، والدين: الجزاء واليوم الآخر، وقوله: ﴿يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾، أي: يدفعه دفعًا عنيفًا، ولا يحضّ أهله وغيرهم على إطعام المسكين. واعلمْ أن الرفق بالضعفاء واليتامى والصغار يجعل في القلب رحمة وليناً وعطفاً لا يدركها إلا من جرب ذلك، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء.



**[٢٦٠]** وعن سعد بن أبي وقَّاص ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نَفَرٍ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اطْرُدْ هٰؤُلَاءِ لَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْنَا، وَكُنْتُ أَنَا وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْلٍ وَبِلَالٌ وَرَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهِمَا، فَوَقَعَ فِي نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقَعَ، فَحَدَّثَ نَفْسَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢]. رواه مسلم.

هذا كان في أول الإسلام في مكة؛ لأن سعد بن أبي وقاص ﷺ من السابقين إلى الإسلام؛ وأسلم معه جماعة، ومن المعلوم أن من أول الناس إسلاماً أبا بكر ﷺ، بعد خديجة وورقة بن نوفل، وكان هؤلاء النفر ستة من الفقراء والعبيد، كانوا يجلسون إلى الرسول ﷺ ويستمعون له، وكان المشركون العظماء في أنفسهم، يجلسون مع النبي ﷺ، فقالوا له: اطرد عنا هؤلاء احتقاراً لهم، فوقع في نفس النبي ما وقع، وفكر في الأمر، فأنزل الله هذه الآية. وفي بعض كتب التفسير، أنهم لما عرضوا ذلك وقالوا: اجعل لنا يوماً ولهم يوماً، فَهَمَّ النبيُّ ﷺ بذلك، فنزلت، فكان رسول الله ﷺ إذا رآهم يقول: «**مَرْحَبًا بِالَّذِينَ عَاتَبَنِي اللهُ فِيهِمْ**»، وإذا جالسهم لم يقم عنهم، حتى يكونوا هم الذين يبدؤون بالقيام.



**[٢٦١]** وعن أَبي هُبَيرَة عائِذ بن عمرو المزنِي، وهو من أهل بيعة الرضوان، أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ الله مِنْ عَدُوِّ الله مَأْخَذَهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَتَقُولُون هٰذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ؟ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبتَ رَبَّكَ**»، فَأَتَاهُمْ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ. رواه مسلم.

يعني: يريدون أنهم لم يشفوا غليل صدورهم مما فعل بهم أسيادهم من قريش، الذين كانوا يعذبونهم ويؤذونهم في دين الله، فكأن أبا بكر لامَهم على ذلك، وقال: أتقولون

لسيد قريش مثل هذا الكلام، فدل هذا على أنه لا يجوز للإنسان أن يترفع على الفقراء والمساكين ومن ليس لهم قيمة في المجتمع؛ لأن القيمة الحقيقية هي قيمة الإنسان عند الله، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].



**[٢٦٢]** وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هٰكَذَا**»، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا. رواه البخاري.

يعني بالأصبع السبابة والوسطى، وتسمى السبابة لأن الإنسان يشير بها عند السب، وتسمى السباحة لأن الإنسان يشير بها أيضاً عند التسبيح، إذا جلس بين السجدتين ودعا: رب اغفر لي وارحمني؛ كلما دعا رفعها، وكذلك يشير بها في التشهد. وفي هذا الحديث: الحث على كفالة اليتيم، والقيام بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن، واليتيم حده البلوغ، فإذا بلغ الصبي؛ زال عنه اليتم.



**[٢٦٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَافِلُ اليَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ**»، وَأَشَارَ الرَّاوِي، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى. رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «**اليَتِيم لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ**»، معناهُ: قريبه، أو الأجنبي منه، فالقريب مثل أن تكفله أمه أو جده أو أخوه أو غيرهم من قرابته.



**[٢٦٤]** وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا المِسْكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية في الصحيحين: «**لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتانِ، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلٰكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ**».

يعني المسكين؛ ليس (الشحاد) الذي (يشحد) الناس، إذا أعطيته لقمة أو لقمتين ردته، بل المسكين حقيقة هو الذي يتعفف كما قال تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ [البقرة: ٢٧٣]؛ لا يسأل فيُعطى، ولا يتفطن له فيُعطى، وفي هذا إشارة إلى أنه ينبغي للمسكين أن يصبر، وأن ينتظر الفرج من الله، وأن لا يتكفّف الناس أعطوه أو منعوه؛ لأن الإنسان إذا علق قلبه بالخلق وُكّل إليهم، كما جاء في الحديث: «**مَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِّلَ إِلَيْهِ**»، وإذا وكَلت إلى الخلق نسيت الخالق، بل اجعل أمرك إلى الله، وعلّق رجاءك وخوفك وتوكلك واعتمادك عليه، فإنه يكفيك ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق: ٣].

فالمسكين يجب عليه الصبر، ويجب عليه أن يمتنع عن سؤال الناس، ولا يسأل إلا عند الضرورة القصوى؛ إذا حلّت له الميتة حل له السؤال، أما قبل ذلك ما دام يمكنه أن يتعفف ولو أن يأكل كسرة من خبز فلا يسأل، ولا يزال الإنسان يسأل الناس، ثم يسأل الناس، ثم يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم؛ لأنه قد قشر وجهه للناس في الدنيا، ولهذا ذم أولئك القوم الذين يترددون على الناس يسألونهم؛ فإذا ماتوا وجد عندهم الآلاف من النقود والأوراق القديمة، وهم إذا رأيتهم قلت: هؤلاء أفقر الناس، لكن يريدون أن يجعلوا بيوتهم كبيوت الأغنياء وسياراتهم كسيارات الأغنياء، ولباسهم كلباس الأغنياء، فهذا سَفَهٌ! أما أن تقلّد الأغنياء وتقول: أنا أريد سيارة فخمة،

وأريد بيتاً عظيماً، ثم تذهب تسأل الناس، أو تشتريها، ثم تذهب تقول: أنا عليّ دين! اقتصرْ على ما عندك، واسأل الله أن يرزقك رزقاً حلالاً، يغنيك عن الخلق.



**[٢٦٥]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ كَالمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، وَأَحْسَبُهُ قَالَ: «**وَكَالقَائِمِ الَّذِي لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والساعي عليهم، هو الذي يقوم بمصالحهم ومؤنتهم وما يلزمهم، والأرامل هم الذين لا عائل لهم سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً، والمساكين هم الفقراء؛ وفي هذا دليل على جهل أولئك القوم الذين يتركون أهلهم وبيوتهم ويسيحون في البلاد بحجة الدعوة إلى الله! يتركون نساءهم وأبناءهم بلا نفقة ولا رعاية فيضيعون؛ تجدهم يذهبون يتجولون في القرى والمدن من دون أن يكون هناك ضرورة، ولكن شيء في نفوسهم، يظنون أن هذا أفضل من البقاء في أهلهم، وهذا ظنٌّ خطأ، فإن بقاءهم في أهلهم، وتوجيه أولادهم وزوجاتهم أفضل من كونهم يخرجون يزعمون أنهم يرشدون الناس، وأهلهم الذين يتركونهم أحق بإرشادهم، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فبدأ بعشيرته الأقربين قبل كل أحد، أما الذي يذهب إلى الدعوة إلى الله يوماً أو يومين، فهذا لا يضرّه، لكن كلامنا في قوم يذهبون أربعة أشهر، أو خمسة أشهر، أو سنة، يتركون نساءهم وأولادهم للأهواء والرياح تعصف بهم، فلا شك أن هذا من قصور الفهم والفقه في دين الله، وقد قال النبي ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»، فالفقيه في الدين هو الذي يعرف الأمور، ويحسب لها، ويعرف كيف تؤتى البيوت من أبوابها، حتى يقوم بما يجب عليه.



**[٢٦٦]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا، وَيُدْعَى إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**». رواه مسلم. وفي رواية في الصحيحين، عن أَبي هريرة من قوله: «**بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الوَلِيمَةِ يُدْعَى إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ ويُتْرَكُ الفُقَرَاءُ**».

يحتمل أن يكون المراد بالوليمة هنا وليمة العرس، ويحتمل أن يكون أعمّ، ثم فسّر هذه الوليمة التي طعامها شرّ الطعام، وهي التي يُدعى إليها من يأباها ويمنعها من يأتيها، يعني يُدعى إليها الأغنياء، والغني لا يحرص على الحضور إذا دُعي؛ لأنه مستغن بماله، ويمنع منها الفقراء؛ والفقير؛ هو الذي إذا دُعي أجاب، فهذه الوليمة ليست وليمة مقربة إلى الله؛ لأنه لا يدعى إليها مَن هم أحق بها وهم الفقراء؛ بل يدعى إليها الأغنياء، أما الوليمة من حيث هي، ولا سيما وليمة العرس، فإنها سنة مؤكدة. قال النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»، فأمره بالوليمة ولو بشاة، يعني ولو بشيء قليل، والشاة قليلة بالنسبة لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه؛ لأنه من الأغنياء، وفيه دلالة على أن إجابة دعوة الوليمة واجبة.



**[٢٦٧]** وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ**»، وَضَمَّ أَصَابِعَهُ. رواه مسلم.

«**جَارِيَتَيْنِ**»: أي بنتين.

فيه فضل عول الإنسان بالتربية للبنات حتى يتزوجن، وذلك أن البنت قاصرة ضعيفة، والغالب أن أهلها لا يأبهون بها، ولا يهتمون بها.

والمعنى أنه يكون رفيقاً لرسول الله في الجنة إذا عال الأنثيين من بنات أو أخوات أو غيرهما. والعول: في الغالب يشمل الكسوة والطعام والشراب والسكن والفراش، وكذلك

يكون في غذاء الروح؛ بالتعليم والتهذيب والتوجيه والأمر بالخير والنهي عن الشر. ويؤخذ من هذا الحديث أنه ينبغي للإنسان أن يهتم بالأمور التي تقربه إلى الله لا بالأمور الشكليات، أو مراعاة ما ينفع في الدنيا فقط، بل ما ينفع في الآخرة أكثر وأكثر. وقوله: حتى تبلغا، يعني سن البلوغ؛ وهو في الغالب خمس عشرة سنة، أو أن تظهر علامات البلوغ في المرأة، كأن تحيض أو نبتت لها العانة أو تحتلم.

**[٢٦٨]** وعن عائشة ﵂، قالت: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبيُّ ﷺ عَلَيْنَا، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هٰذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال القرطبي: فإذا عال زيادة على الواحدة فيحصل له زيادة على الستر، والسبق مع النبي ﷺ إلى الجنة، وقوله ﷺ: «**مَنِ ابْتُلِيَ**» ليس المراد به هنا بلوى الشر، لكن المراد: من قدر له، كما قال الله تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء:٣٥]، يعني من قُدّر له ابنتان فأحسن إليهما كن له ستراً من النار يوم القيامة، وأن الله تعالى يحجبه عن النار بإحسانه إلى البنات؛ لأن البنت ضعيفة، والذي يكتسب هو الرجل، وليست المرأة للوظائف والتكسب إلا عند الغرب الكفرة ومن على شاكلتهم، ممن اغترّ بهم فقلّدهم وجعل المرأة مثل الرجل في الاكتساب وفي التجارة وفي المكاتب، حتى صار الناس يختلطون بعضهم ببعض، وكلما كانت المرأة أجمل؛ كانت أحظى بالوظيفة الراقية!

وفي هذا الحديث: أن بيتاً من بيوت رسول الله، لا يوجد به إلا تمرة واحدة، ونحن الآن في بلادنا يقدم عند الأكل أربعة أصناف، ونحن ابتلينا بهذه النعم، فصارت عند كثير من الناس اليوم سبباً للشر والفساد والأشر والبطر، حتى فسقوا، ويُخشى علينا من عقوبة الله، وفيه أيضاً ما كان عليه الصحابة من الإيثار، فإن عائشة ليس عندها إلا تمرة، ومع

ذلك آثرت بها هذه المسكينة، ونحن الآن عندنا أموال كثيرة ويأتي السائل ونرده، لكن بلاءنا في الحقيقة في رد السائل؛ هو أن كثيراً من السائلين كاذبون؛ يسأل وهو أغنى من المسؤول، وكم من إنسان سأل ويسأل الناس ويلحف في المسألة، فإذا مات وجدت عنده الذهب الأصفر والأحمر والأوراق الكثيرة من النقود!

**[٢٦٩]** وعن عائشة ﵂، قالت: جَاءَتْنِي مِسْكِينَةٌ تَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلَاثَ تَمْرَاتٍ، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تَمْرَةً، وَرَفَعَتْ إِلَى فِيهَا تَمْرَةً لِتَأْكُلَهَا، فَاسْتَطْعَمَتْهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتِي كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تَأْكُلَهَا بَيْنَهُمَا، فَأَعْجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِهَا الجَنَّةَ، أَوْ أَعْتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ**». رواه مسلم.

دلّ على ملاطفة الصبيان والرحمة بهم من أسباب دخول الجنة والنجاة من النار.

**[٢٧٠]** وعن أبي شُرَيحٍ خُوَيْلِدِ بن عمرو الخزاعيِّ ﵁، قال: قال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: اليَتِيمِ وَالمَرْأَةِ**». حديث حسن رواه النسائي بإسناد جيد.

«**أُحَرِّجُ**»: أي أُلْحِقُ الحَرَجَ وَهُوَ الإِثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذلِكَ تَحْذِيراً بَليغاً، وإنما حرج النبي ﷺ حق اليتيم والمرأة، لأنهما لا قوة لهما ولا ملجأ.

**[٢٧١]** وعن مصعب بن سعد بن أبي وقَّاص ﵄، قال: رَأَى سَعْدٌ أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَى مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ**». رواه البخاري

تأويل الحديث: أن الضعفاء أشد إخلاصاً في الدعاء وأكثر خشوعاً في العبادة، لخلاء قلوبهم عن التعلق بزخرف الدنيا.



**[٢٧٢]** وعن أبي الدَّرداءِ عُويمر ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**اِبْغُونِي الضُّعَفَاءَ، فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ**». رواه أَبُو داود بإسناد جيد.

ابْغُوني: أي ائتوا بهم لأستعين بهم. وفي هذه الأحاديث ما يدل على أن الضعفاء سبب للنصر وسبب للرزق، فإذا حنَّ عليهم الإنسان وعطف عليهم وآتاهم مما آتاه الله؛ كان ذلك سبباً للنصر على الأعداء، وكان سبباً للرزق؛ لأن الله تعالى أخبر أنه إذا أنفق الإنسان لربه نفقة فإن الله تعالى يخلفها عليه. قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩].

يخلفه: أي يأتي بخلفه وبدله.



# ٣٤- الوصيّة بالنّساء

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩]. يعني الوصية على أن يرفق بهنّ الإنسان، وأن يتقي الله فيهنّ؛ لأنهن قاصرات يحتجنّ إلى من يجبرهن ويكلمهن. كما قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]. والمعاشرة: المصاحبة والمعاملة؛ فيعاملها الإنسان بالمعروف ويصاحبها كذلك. والمعروف: ما عرفه الشرع وأقرّه، فإذا أقرّ الشرع شيئاً فهو المعروف، وإذا أنكر شيئاً فهو المنكر ولو عرفه الناس. وقال تعالى: ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ [النساء: ١٢٩]، وهذا الخطاب لمن كان عنده زوجتان فأكثر، لأن هناك أشياء تكون بغير اختيار الإنسان؛ كالمودة والميل وما أشبه ذلك، مما يكون في القلب، أما ما يكون بالبدن فإنه يمكن العدل فيه؛ كالعدل في النفقة، والمعاملة بأن يقسم لهذه ليلتها وهذه ليلتها، والكسوة، فهذا ممكن، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا﴾ أي تذروا المرأة التي مِلتم عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ بين السماء والأرض، ليس لها قرار؛ لأن المرأة إذا رأت أن زوجها مال مع ضرّتها تعبت تعباً عظيماً، واشتغل قلبها، فصارت كالمعلقة بين السماء والأرض ليس لها قرار. ﴿وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء:١٢٩]. معنى الآية: أنَّ الرجال لا يستطيعون العدل بين النساء من جميع الوجوه؛ لأنه لا بُدَّ من التفاوت في المحبة والشهوة، ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جُلّه، فلا تميلوا كل الميل إلى واحدة فتتركوا الأخرى كالمعلقة، لا ذات بعل ولا مطلقة.

**[٢٧٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اِسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلْعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية في الصحيحين: «**المَرْأَةُ كَالضِّلَعِ؛ إِنْ أَقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإِنْ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ وَفِيهَا عِوَجٌ**». وفي رواية لمسلم: «**إِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا، اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا**».

فهذه المرأة، إن استمتع بها الإنسان استمتع بها على عوج، فيرضى بما تيسر، وإن أراد أن تستقيم فإنها لن تستقيم، ولن يتمكن من ذلك، فهي، وإن استقامت في دينها، فلن تستقيم فيما تقتضيه طبيعتها، ولا تكون لزوجها على ما يريد في كل شيء، بل لا بد من مخالفة، ولا بد من تقصير مع القصور الذي فيها، فهي قاصرة بمقتضى جبلتها وطبيعتها، ومقصرة أيضاً، فإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها، يعني معناه: لا يمكن أن تستقيم لك، وحينئذ تسأم منها وتطلقها، فلا يمكن أن تجد امرأة سالمة من العيب مائة بالمائة.



**[٢٧٤]** وعن عبد الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه، أنه سمع النبي ﷺ يخطب، وذكر الناقة والذي عقرها، فقال رسول الله ﷺ: «**﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ، عَارِمٌ مَنِيعٌ فِي رَهْطِهِ**»، ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ، فَوَعَظَ فِيهِنَّ، فَقَالَ: «**يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ**»، ثُمَّ وَعَظَهُمْ فِي ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقَالَ: «**لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟!**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

العَارِمُ: هُوَ الشِّرِّيرُ المفسِدُ.

انْبَعَثَ: أيْ قَامَ بسرعة.

جَلْدُ العَبْدِ: يعني يجلدها جلد شخص كأنه لا علاقة بينه وبينها، وكأنها عنده عبد أسير، ثم في آخر اليوم يضاجعها ويستمتع بها محبة وتلذذاً وشهوة! فهذا تناقض ولا يليق، ثم تحدث أيضاً عن شيء آخر وهو الضحك من الضرطة، يعني إذا ضرط الإنسان

وخرجت الريح من دبره ولها صوت ضحكوا، فلماذا تضحك؟ فالإنسان إنما يضحك ويتعجب من شيء لا يقع منه، أما ما يقع منه؛ فإنه لا ينبغي أن يضحك منه، ولهذا عاتب النبي ﷺ مَن يضحكون من الضرطة؛ لأن هذا شيء يخرج منهم، وهو عادة عند كثير من الناس في بعض الأعراف، لا يبالون إذا ضرط أحدهم وإلى جنبه إخوانه، ولا يحتشمون من ذلك أبداً، ويرون أنها من جنس العطاس أو السعال، لكن في بعض الأعراف ينتقدون هذا، لكن كونك تَضحك وتُخجل صاحبك، فهذا مما لا ينبغي.

**[٢٧٥]** وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»، أَوْ قَالَ: «**غَيْرَهُ**». رواه مسلم.

يَفْرَكْ: معناه يُبْغِضُ، يعني لا يعادي المؤمن المؤمنة كزوجته مثلاً، إذا رأى منها ما يكرهه من الأخلاق، وذلك لأن الإنسان يجب عليه القيام بالعدل. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا**﴾ [المائدة: ٨]. يعني لا يحملكم بغضهم على عدم العدل، اعدلوا ولو كنتم تبغضونه، فلا يبغضها لأخلاقها، إن كره منها خلقاً رضي منها خلقاً آخر، إذا أساءت مثلاً في ردها عليك مرة، لكنها أحسنت إليك مرات، أساءت ليلة لكنها أحسنت ليالٍ، أساءت في معاملة الأولاد مرة، لكن أحسنت كثيراً، وهكذا، فأنت لا تنظر إلى الإساءة في الوقت الحاضر، ولكن انظر إلى الماضي وانظر للمستقبل، وقارن بين هذا وهذا واحكم بالعدل.



**[٢٧٦]** وعن عمرو بن الأحوص الجُشَمي ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ يَقُولُ، بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَّرَ، وَوَعَظَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ**

**خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذٰلِكَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا؛ أَلَا إِنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلَا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ؛ أَلَا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ»**. رواه الترمذي، وَقالَ: حديث حسن صحيح.

عَوان: أيْ أَسِيرَاتٌ، يعني أن الزوجة عند زوجها بمنزلة الأسير؛ لأنه يملكها. والفاحشة هنا عصيان الزوج بدليل قوله: ﴿**فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا**﴾ [النساء:٣٤]، يعني إن قصّرت الزوجة في حق زوجها عليها؛ فإنه يعظها أولاً، ثم يهجرها في المضجع فلا ينام معها، ثم يضربها ضرباً غير مبرح إن هي استمرت على العصيان، هذه مراتب تأديب المرأة.

وقوله: «**أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ**»؛ أي لا يدخلن أحداً البيت وأنت تكره أن يدخل، ولا يكرمن أحداً تكرهونه؛ بإجلاسه على الفرش أو تقديم الطعام له، حتى لو كانت أمها أو أباها، أو أختها أو أخاها، أو عمها أو خالها، إذا كان يكره ذلك، لأن بعض النساء شرّ؛ شرّ حتى على بنتها، إذا رأت أن زوجها يحبها أصابتها الغيرة، ثم حاولت أن تفسد بين البنت وزجها، فللزوج أن يقول لزوجته لا تدخل بيتي، له أن يمنعها شرعاً، وله أن يمنع زوجته من الذهاب إليها؛ لأنها تنمّ وتفسد.

كما أن على الزوج حق أن ينفق على زوجته، حتى لو كانت غنية، ولو كانت موظفة، فليس له حق في وظيفتها ولا في راتبها، ليس له قرش واحد، كله لها، وتلزمه بأن ينفق عليها؛ فإذا قال: كيف أنفق عليك وأنت غنية، وأنت لك راتب كراتبي؟ نقول: يلزمك الإنفاق عليها وإن كانت كذلك، فإن أبيت فللحاكم القاضي أن يفسخ النكاح غصباً من الزوج، وذلك لأنه ملتزم بنفقتها.



**[٢٧٧]** وعن معاوية بن حيدة ﵁، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي البَيْتِ**». حديثٌ حسنٌ رواه أَبُو داود.

كان الصحابة ﵃ إذا سألوا النبي ﷺ، فإنما يسألون ليعملوا لا ليعلموا؛ خلافاً لما عليه كثير من الناس اليوم، يسألون ليعلموا ثم لا يعمل إلا قليل منهم؛ فإذا رأى من امرأته نشوزاً وترفُّعاً عليه، وأنها لا تقوم بحقه؛ وعظها أولاً، ثم هجرها في المضجع، فإذا حق له أن يضربها لوجود السبب، فإنه لا يضرب الوجه؛ لأن الوجه أشرف ما في الإنسان، وهو واجهه البدن كله، وقوله: لا تقبّحْ، ويشمل النهي عن التقبيح الحسي والمعنوي، يعني لا تقل: أنت قبيحة، أو قبح الله وجهك، أنت من قبيلة رديئة، أو من عائلة سيئة، واهجرها في البيت ولا تهجرها علناً وتظهر حالكما للناس، لأنه ربما تهجرها اليوم وتتصالح معها في الغد فتكون حالكما مستورة، فإذا اصطلحت معها رجع كل شيء على ما يرام.

**[٢٧٨]** وعن أَبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

الإيمان يتفاوت ويتفاضل كما قال الله تعالى: ﴿**وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا**﴾ [المدثر: ٣١].

وليس الناس في الإيمان سواء؛ من الناس من يؤمن بالغيب وكأنه يُشاهَد شهود عيان، يؤمن بيوم القيامة وكأنه الآن في تلك الساعات، يؤمن بالجنة وكأنها في تلك الرياض، يؤمن بالنار وكأنه يراها بعينه، يؤمن إيماناً حقيقياً مطمئناً لا يخالطه شك، ومن الناس من يعبد الله على حرف، كما قال تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ**﴾ [الحج: ١١]، يعني: على شك وتردد وطرف.

أما حسن الخلق مع الناس فظاهر، منه كف الأذى، والصبر عليهم وعلى أذاهم، وتبذل

العطاء سواء كان مالاً أو جاهاً، وكذلك تصبر على البلاء منهم، فإذا كنت كذلك؛ كنت أكمل الناس إيماناً، ثم قال النبي ﷺ: «**وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»، وهذا عكس ما يفعله بعض الناس اليوم، تجده سيئ الخلق مع أهله، حسن الخلق مع غيرهم، وهذا خطأ عظيم؛ أهلك أحق؛ لأنهم هم الذين معك ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، إن أصابك شيء أصيبوا معك، وإن حزنت حزنوا معك، فلتكن معاملتك معهم خيراً من معاملتك مع الآخرين.



**[٢٧٩]** وعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ اللهِ**»، فجاء عمر رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ، فقال: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ، فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بِآلِ رَسُولِ الله ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْواجَهُنَّ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

ذَئِرنَ: أي اجْتَرَأْنَ. أطَافَ: أيْ أحَاطَ.

ضرب المرأة يكون من حرج الصدر، وضيق النفس، وذلك خلاف حسن الخلق الذي هو من أوصاف الخيار، ولهذا قال ﷺ: «**لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ**».



**[٢٨٠]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**». رواه مسلم.

الدنيا متاع: يعني شيء يتمتع به، فإذا وُفّق الإنسان لامرأة صالحة في دينها وعقلها فهذا خير متاع الدنيا؛ لأنها تحفظه في سرّه وماله وولده، وإذا كانت صالحة في العقل أيضاً فإنها تدبر له التدبير الحسن في بيته وفي تربية أولادها، إن نظر إليها سرّته، وإن غاب عنها حفظته، وإن وكل إليها لم تخنه، فهذه المرأة هي خير متاع الدنيا.



## ٣٥- حقُّ الزَّوج على المرأة

قال الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. سبب هذه القوامة والولاية التي جعلها الله قوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، حيث فضّل الرجل على المرأة في العقل والدين والقدرة والقوة، والشريعة كلها عدل، تعطي كل أحد ما يستحقه بمقتضى فضله، والرجل هو صاحب القوامة على المرأة، وفي هذا دليل على سفه أولئك الكفار في بلاد الغرب، ومن بلاد المسلمين الذين صاروا أذناباً للغرب، يقدّسون المرأة أكثر من تقديس الرجل؛ لأنهم يتبعون لأولئك الأراذل من الكفار الذين لم يعرفوا لصاحب الفضل فضله، فتجدهم مثلاً في مخاطباتهم يقدمون المرأة على الرجل فيقول أحدهم: أيها السيدات والسادة، وتجد المرأة في المكان الأعلى عندهم والرجل دونها، ولكن هذا ليس بغريب على قوم يقدسون كلابهم، حتى إنهم يشترون الكلب بالآلاف ويخصصون له من الصابون وآلات التطهير ما يضحك السفهاء فضلاً عن العقلاء، مع أن الكلب لو غسلته بالبحار السبع ما صار طاهراً؛ لأنه نجس العين، لا يطهر أبداً.

﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ [النساء: ٣٤]. قانتات: أي مديمات للطاعة، ليس معناها: الدعاء بالقنوت؛ بل القنوت دوام الطاعة. ﴿حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ﴾ يعني: يحفظن سر الرجل وغيبته وما يكون داخل جدرانه من الأمور الخاصة، وتحفظه بما حفظ الله، فهذه المرأة الصالحة؛ لأنها خير لك من امرأة جميلة ليست بصالحة.



**[٢٨١]** وعن أَبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لهما: «**إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**». وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**».

واللعنة هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله، فإذا دعاها إلى فراشه ليستمتع بها بما أذن الله له فيه فأبت أن تجيء، فإنها تلعنها الملائكة إلى أن تصبح، كما أنها إذا هجرت فراش زوجها، فإن الله تعالى يغضب عليها حتى يرضى عنها الزوج، وهذا أشد من الأول؛ لأن الله إذا سخط؛ فإن سخطه أعظم، وفي هذا دليل على عظم حق الزوج على زوجته، ولكن هذا في حق الزوج القائم بحق الزوجة، أما إذا نشز ولم يقم بحقها؛ فلها الحق أن تقتص منه وألا تعطيه حقه كاملاً؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦]، فلها أن تقتص منه، وأن تمنعه من حقه مثل ما منعها من حقها.

وقوله ﷺ: «**الَّذِي فِي السَّمَاءِ**»: المراد أنه هو نفسه ﷻ فوق سماواته على العرش استوى، ولذلك نجد أن المسألة فطرية لا تحتاج إلى دراسة وتعب حتى يقرّ الإنسان أن الله في السماء، بمجرد الفطرة يرفع الإنسان يديه إلى ربه إذا دعا، ويتّجه قلبه إلى السماء، واليد ترفع أيضاً نحو السماء، حتى الذين ينكرون أن الله في السماء، لو جاؤوا يدعون أين يرفعون أيديهم؟ إلى السماء، فسبحان الله! أفعالهم تكذّب عقيدتهم.



**[٢٨٢]** وعن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وظاهر الحديث أنها لا تصوم فرضاً ولا نفلاً إلا بإذنه، وذلك أن الزوج ربما يحتاج إلى أن يستمتع بها، فإذا كانت صائمة صار في نفسه حرج، أما صيام الفرض؛ فإن كان قد بقي من السنة مدة أكثر مما يجب عليها، فلا يحل لها، يعني مثلاً عليها عشرة أيام من رمضان، وهي الآن في رجب، وقالت: أريد أن أصوم القضاء، نقول: لا تصومي القضاء إلا بإذن الزوج؛ لأن معك سعة من الوقت، أما إذا كان بقي في شعبان عشرة أيام فلها أن تصوم إن لم يأذن؛ ولا يشترط فيه إذن الزوج.

وهل مثل ذلك الصلاة؟ الظاهر أن الصلاة ليست كالصوم، لأن وقت الصلاة قصير، فلها أن تصلي ولو كان زوجها حاضراً، إلا أن يمنعها فيقول: آنا محتاج إلى استمتاع، بأن غلبت عليه الشهوة، ولا يتمكن من الصبر.

وأما إدخال أحد بيته بغير إذنه فظاهر، لكن الإذن في إدخال البيت نوعان:

الإذن الأول: إذن العرف، وهو يعني جرى به العرف مثل دخول امرأة الجيران والقريبات والصاحبات والزميلات، هذا جرى العرف به، إلا إذا منع وقال: لا تدخل عليك فلانة.

والإذن الثاني: إذن لفظي، بأن يقول لها: أدخلي من شئتِ إلا من رأيتِ منه مضرة، وفي هذا دليل على أن الزوج يتحكم في بيته أن يمنع حتى أم الزوجة وأختها وخالتها وعمتها إذا شاء؛ لأن بعض النساء تكون ضرراً على ابنتها وزوجها، تأتي إلى ابنتها وتحقنها من العداوة والبغضاء حتى تكره زوجها، فهي كالسحرة الذين يتعلمون ما يفرقون به بين المرء وزوجه.



**[٢٨٣]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: وَالأَمِيرُ رَاعٍ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الخطاب للأمة جميعاً، أن كل إنسان راع ومسؤول عن رعيته، والراعي هو الذي يقوم على الشيء ويرعى مصالحة، كراعي الغنم ينظر ويبحث عن المكان المريح حتى يذهب بالغنم إليه. هكذا بنو آدم كلّ إنسان راع، وكلٌّ مسؤول عن رعيته، فالرعاة تتنوع رعيتهم ورعاياتهم ما بين مسؤولية كبيرة واسعة ومسؤولية صغيرة؛ فالأمير في ولايته، والرجل في عمله وبيته، والمرأة في بيتها في الطبخ والقهوة والشاي، تكون مقتصدة؛ فإن الاقتصاد نصف المعيشة، غير مفرطة فيما ينبغي، وهكذا مسؤولة عن كل ما في البيت.



**[٢٨٤]** وعن أبي علي طَلْق بن علي ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ**». رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



**[٢٨٥]** وعن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وسبب هذا الحديث ما رواه أبو داود عن قيس بن سعد قال: أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فقلت: رسول الله أحق أنْ يسجد له، قال: فأتيت النبي ﷺ، فقلت: إني أتيت الحيرة فرأيتهم يسجدون لمرزبان لهم، فأنت رسول الله أحق أن يُسجد لك. قال: «**أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لِي؟**»، فقال: لا، قال: «**فَلَا تَفْعَلُوا، لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا**».



**[٢٨٦]** وعن أم سلمة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[٢٨٧]** وعن معاذ بن جبل ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تُؤْذِي امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ: لَا تُؤْذِيهِ قَاتَلَكِ اللهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الدخيل: الضيف والنزيل؛ وعبّرت بذلك لأن مدة المقام بالدنيا وإن طالت فهي يسيرة بالنظر إلى الآخرة التي لا أَمَد لها.

هذه الأحاديث الأربعة الأخيرة، كلها أحاديث تحتاج إلى نظر في صحتها، لكن مجمل ما تدل عليه عظم حق الزوج على زوجته.

**[٢٨٨]** وعن أسامة بن زيد ﵄ عن النبي ﷺ قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الفتنة بالنساء أشد من سائر الشهوات، لعدم الاستغناء عنهن، وذلك أن الناس كما قال تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ**﴾ [آل عمران: ١٤]. كل هذه مما زُيّن للناس في دنياهم، وصار سبباً لفتنتهم فيها، لكن أشدها فتنة النساء، ولهذا بدأ الله بها، والنبي ﷺ يريد بذلك الحذر من فتنة النساء، وأن يكون الناس منها على حذر؛ لأن الإنسان بشر إذا عرضت عليه الفتن، فإنه يُخشى عليه منها، ولذلك وجب على المرأة أن تحتجب عن الرجال الأجانب، فتغطي وجهها، وكذلك تغطي يديها ورجليها، ويجب عليها كذلك أن تبتعد عن الاختلاط بالرجال؛ لأن الاختلاط بالرجال فتنة وسبب للشر من الجانبين؛ الرجال

والنساء. ولهذا قال النبي ﷺ: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا**»، وما ذلك إلا من أجل بُعد المرأة عن الرجل، فكلما بعدت فهو خير وأفضل، ولكن مع الأسف فإن بعض الناس منّا ومن أبنائنا ومن أبناء جلدتنا يدعون إلى التحلل من مكارم الأخلاق، وإلى جلب الفتن إلى بلادنا، في توسع النساء، ومحاولة توظيفهن مع الرجال جنباً إلى جنب.



# ٣٦- النَّفقَة على العِيَال

العِيال: هم الذين يعولهم الإنسان من زوجة أو ولد أو قريب، ومن له حق في أن ينفق عليه، يعني أن تبذل له من الطعام والشراب والكسوة والسكنى ما يقوم بكفايته، كما قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٣]، فالمولود له هو الأب، عليه أن ينفق على أولاده وعل زوجاته، وعلى من أرضعت ولده. وقوله: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ يشمل الأب الأدنى والأب الأعلى؛ كالجد ومن فوقه، فعليه أن ينفق على أولاد أولاده، وإن نزلوا. ويشترط لذلك شروط منها: أن يكون المنفق قادراً على الإنفاق؛ فإن كان عاجزاً فلا، وأن يكون المنفَق عليه عاجزاً عن الإنفاق على نفسه، فإن كان قادراً على الإنفاق على نفسه فنفسه أولى، ولا يجب على أحد أن ينفق عليه؛ لأنه مُستغنٍ، وأن يكون المنفِق وارثاً للمنفَق عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فإن كان قريباً لا يرث؛ فلا يجب عليه الإنفاق، وَقالَ تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ الطلاق:٧]. هذه الآية نزلت في الإنفاق على المرضعة، وهي عامة في جميع النفقات الواجبة، وَقالَ تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ:٣٩]، أي: يعوِّضه عاجلاً أو آجلاً.



**[٢٨٩]** وعن أَبي هريرة ﷺ، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ الله، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**». رواه مسلم.



**[٢٩٠]** وعن أبي عبد الله، ويقال له: أبو عبد الرحمن ثَوبَان بن بُجْدُد مَوْلَى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**». رواه مسلم.

**[٢٩١]** وعن أم سَلمة رضي الله عنها، قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ لِي أَجْرٌ فِي بَنِي أَبِي سَلَمَةَ أَنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ، وَلَسْتُ بِتَارِكَتِهِمْ هٰكَذَا وَهٰكَذَا إِنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، لَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٢٩٢]** وعن سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه في حديثه الطويل الذي قدّمناه في في باب النِّيَةِ، أن رسول الله ﷺ قال له: «**وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِيِّ امْرَأَتِكِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٢٩٣]** وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٢٩٤]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**كَفَى بِالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ**». حديث صحيح رواه أبو داود وغيره.

والواجب على المسلم أن يبدأ بالواجب، لكن الشيطان يرغّب الإنسان في التطوع، فتجده مثلاً يحرص على الصدقة ويدع الواجب، يتصدق على مسكين ويدع الواجب لأهله ولنفسه؛ كقضاء الدين مثلاً، تجده مديناً يطالبه صاحب الدين بدينه وهو لا يوفي، ويذهب

يتصدق على المساكين، وهذا خلاف الشرع وخلاف الحكمة، فهو سَفَهٌ في العقل، وضلال في الشرع. على كل حال، هذه الأحاديث كلها تدل على أنه يجب على الإنسان أن ينفق على من عليه نفقته، وهو أفضل من الإنفاق على الغير.

**[٢٩٥]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٢٩٦]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**». رواه البخاري.



## ٣٧- الإِنفاق ممَّا يحبُّ ومن الجيِّد

ينبغي للإنسان أن يكون ذا همة عالية، وأن ينفق من أطيب ماله ومما يحب منه، وهناك فرق بين الأطيب وبين الذي يحب، الغالب أن الإنسان لا يحب إلا أطيب ماله، لكن أحياناً يتعلق قلبه بشيء من ماله وليس أطيب ماله، فإذا أنفق من الطيب الذي هو محبوب لعامة الناس ومما يحبه هو بنفسه وإن لم يكن من الطيب؛ كان ذلك دليلاً على أنه صادق فيما عامل الله به، قَالَ الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]. البر: يعني الخير الكثير، ومنه سمي البر للخلاء الواسع الكثير، والمال كله محبوب، لكن بعضه أشد محبة من بعض، فإذا أنفقت مما تحب؛ كان ذلك دليلاً على أنك صادق، ثم نلت بذلك مرتبة الأبرار، قال عطاء: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾، أي: شرف الدين والتقوى حتى تتصدَّقوا وأنتم أصحَّاء أشحَّاء، وَقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧].

قال ابن عباس: أمرهم بالإنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه، ونهاهم عن التصدُّق بأرذل المال ودنيئه وخبيثه، فإن الله طيِّبٌ لا يقبل إلا طيِّبًا. والخبيث من المال يطلق على الرديء، ويطلق على الكسب الرديء، ويطلق على الحرام، والخارج من الأرض منه الطيب ومنه الرديء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ﴾، يعني لو كان الحق لكم ما أخذتم الرديء إلا على إغماض وعلى كره، فكيف ترضون لغيركم أن تعطوه الرديء وأنتم تأبون أن تأخذوه؟!



**[٢٩٧]** عَنْ أَنَسٍ ﵁ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ ﵁ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاء، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله تَعَالَى، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ الله حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بَخٍ! ذٰلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذٰلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ الله، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

بَيرَحَاءُ: اسم لحديقة نخلٍ. وصدق الرسول ﷺ، فهذا المال الرابح، فكم من حسنة يربح هذا المال إذا كانت الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة؟ لكن تعجبوا كيف كانت مبادرة الصحابة ﵃، ومسارعتهم إلى الخير، وكان ابن عمر إذا أعجبه شيء في ماله وتعلقت به نفسه تصدق به؛ لأجل أن يربحه ويلقاه فيما أمامه، لكن ما تتمسك به فهو إما زائل عنك وإما أن تزول أنت عنه، ولا بد من أحد الأمرين، وأن مالك الحقيقي هو ما تقدمه، وقد ذبح آل النبي ﷺ شاة وتصدقوا بها إلا كتفها، فقدم النبي ﷺ وقال: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**» قالت عائشة ﵂: "ما بقي إلا كتفها"، يعني أنها تصدقت بها كلها إلا كتفها، فقال النبي ﷺ: «**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا**». والمعنى أن الذي أكلتم هو الذي ذهب، وأما ما تصدقتم به فهو الذي بقي، وفي هذا الحديث: دليل على فضل إنفاق أحب الأموال على أقرب الأقارب، وأن النفقة عليهم أفضل من الأجانب.



## ٣٨- أمر الأهل بطاعة الله

قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ [طه:١٣٢].

كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا استيقظ من الليل أقام أهله للصلاة، وتلا هذه الآية، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦]. فما يجب للأهل على أبيهم ومن له ولاية عليهم من غذاء الجسم؛ وجب لهم من غذاء الروح، وأولى ما يؤمر به وأوجب وأفضل هي الصلاة، والأهل كل من في البيت؛ من زوجة، وابن، وبنت، وعمة، وخالة، وأم، أمره أن يأمرهم بالصلاة، وأمره أن يصطبر عليهم، يعني يحض نفسه على الصبر، فهو مسؤول عن أهله ومسؤول عن تربيتهم، حتى ولو كانوا صغاراً إذا كانوا مميزين، أما غير المميز فإنه يؤمر بما يتحمله عقله.



**[٢٩٨]** عن أبي هريرة رضي عنه قال: أَخَذَ الحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ﷺ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا فِي فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَخْ كَخْ، إِرْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لَا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ؟!**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**أَنَّا لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ**».

كَخْ كَخْ: وهي كلمة زجر للصبي عن المستقذراتِ، وكان الحسن ﷺ صبيّاً، فالصدقة لا تحل لآل محمد ﷺ؛ وذلك لأنهم أشرف الناس، والصدقات والزكوات أوساخ الناس، ولا يتناسب لأشراف الناس أن يأخذوا أوساخ الناس، كما قال النبي ﷺ لعمّه العباس بن عبد المطلب ﷺ: «**إِنَّا آلُ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ؛ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ**».



**[٢٩٩]** وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسدِ ربيبِ رسول الله ﷺ قَالَ: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي

رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتِي بَعْدُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

عمر بن أبي سلمة، وكان ربيب النبي ﷺ؛ لأنه ابن زوجته أم سلمة، كان في طعام يأكل، فجعلت يده تطيش في الصحفة، يعني تذهب يميناً وشمالاً، فنهاه النبي ﷺ في ثلاث كلمات وهي:

أولاً: قال: «**سَمِّ اللهَ تَعَالَى**»: وهذا عند الأكل، فإن تركها شاركه الشيطان في أكله؛ ولو زاد: الرحمن الرحيم فلا بأس؛ والأمر في هذا واسع، وأما التسمية على الذبيحة فهي شرط، وإذا لم تسمِّ فهي حرام كأنها ماتت بغير ذبح، ولو اكتفى باسم الله فلا حرج.

ثانياً: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»: وهذا أمر على سبيل الوجوب، وقد نُهينا عن اتّباع خطوات الشيطان، ولهذا كان القول الراجح إن الأكل بالشمال أو الشرب بالشمال حرام مع كونه من هدي الشيطان؛ وهو أيضاً من هدي الكفار؛ ولا عذر لأحد بالشرب بالشمال لأي سبب؛ لأن المسألة على سبيل التحريم، والحرام لا يجوز إلا عند الضرورة، والضرورة مثل أن تكون اليد شلاء أو مكسورة لا يمكن أن يرفعها إلى فيه.

ثالثاً: «**كُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»: لأنك إذا اعتديت على حافة غيرك فهذا سوء أدب، إلا إذا كان الطعام أنواعاً، فلا بأس أن تأكل من الذي لا يليك.



**[٣٠٠]** وعن ابن عمر ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٣٠١]** وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّهِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**». حديث حسن رواه أبو داود بإسنادٍ حسن.

وهو حديث حسن له شاهد، وهذا من حقوق الأولاد على آبائهم؛ أن يأمروهم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنوات، وأن يضربوهم عليها، أي: على التفريط فيها وإضاعتها إذا بلغوا عشر سنين، إذا كانوا عقلاء، أما فاقدي العقل فإنهم لا يؤمرون بشيء، ولا يضربون على شيء، لكن يمنعون من الإفساد؛ سواء في البيت أو خارج البيت. والمراد بالضرب الذي يحصل به التأديب بلا ضرر، فلا يجوز للأب أن يضرب أولاده ضرباً مبرحاً، ولا ضرباً مكرراً لا حاجة إليه، بل ضرباً معتاداً؛ لا لإيلامهم ولكن لتأديبهم.

وفي هذا الحديث: إشارة إلى أن ما ذهب إليه بعض المتأخّرين ممن يدّعون أنهم أصحاب تربية، من أن الصغار لا يُضربون في المدارس إذا أهملوا، ففي هذا الحديث الرد عليهم، وهو دليل على بطلان فكرتهم، وأنها غير صحيحة؛ لأن بعض الصغار لا ينفعهم الكلام في الغالب، لكن الضرب ينفعهم أكثر، فلو أنهم تُركوا من دون ضرب لضيّعوا الواجب عليهم، وفرّطوا في الدروس وأهملوا، وصارت المسألة فوضى. وفي هذا الحديث: التفريق بينهم في المضاجع حينئذ، لأنها تنتشر فيها الشهوة.



**[٣٠٢]** وعن أبي ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بن معبدٍ الجُهَنِيِّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ**». حديث حسن رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

ولفظ أبي داود: «**مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلَاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ**»، فيجب على الولي، أمر الصبي بالصلاة، ليتمرن عليها ويعتادها، فلا يتركها إذا بلغ.





## ٣٩- حقُّ الجار

الجار: هو الملاصق لك في بيتك والقريب من ذلك، وقد وردت بعض الآثار بما يدل على أن الجار أربعون داراً كل جانب، ولا شك أن الملاصق للبيت جار، وأما ما وراء ذلك، فإنه يرجع في ذلك إلى العرف.

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٦].

والجيران ثلاثة: فجارٌ له ثلاثة حقوق: وهو الجار المسلم القريب، وجارٌ له حقان: حق الجوار، وحق الإسلام، وجار له حق الجوار: وهو الكافر، والصاحب بالجنب، قيل: المرأة، وقيل الرفيق في السفر، وقيل: الذي يصحبك رجاء نفعك، والآية تعمّ الجميع، وابن السبيل: المسافر، والضيف، وما ملكت أيمانكم: يعني العبيد، والإماء، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، لأن المتكبِّر يمنع الحق، قيل: لا تجد سيِّء الملكة إلا وجدته مختالًا فخورًا، ولا عاقًّا إلا وجدته جَبَّارًا شقيًّا.



**[٣٠٣]** وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ليس المعنى أن جبريل يشرع توريثه؛ لأن جبريل ليس له حق في ذلك، لكن المعنى أنه سينزل الوحي الذي يأتي به جبريل بتوريث الجار، وذلك من شدة إيصاء جبريل به النبي ﷺ.



**[٣٠٤]** وعن أبي ذرّ ﷺ، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ**». رواه مسلم.

وفي رواية له عن أبي ذر، قال: إن خليلي ﷺ أوصاني: «**إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمَعْرُوفٍ**». والمرقة عادة تكون من اللحم أو من غيره مما يؤتدم به، وهكذا أيضاً إذا كان عندك غير المرق، أو شراب كاللبن مثلاً، وما أشبهه، ينبغي لك أن تعاهد جيرانك به؛ لأن لهم حقاً عليك، والأمر بإكثار ماء المرقة ليكثر الائتدام بها، وفي الحديث: الحضّ على تعاهد الجيران ولو بالقليل، لما يترتب على ذلك من المحبة.



**[٣٠٥]** وعن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ**»، قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلم: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

البَوَائِقُ: الغَوَائِلُ والشُّرُورُ، وفيه وعيد شديد لمن أخاف جاره أو خادعه على أهله أو ماله، سواء كان ذلك بالقول أو بالفعل، أما بالقول فأن يسمع منه ما يزعجه ويقلقه، كالذين يفتحون المذياع أو التلفاز أو غيرهما مما يُسمع فيزعج الجيران، حتى لو فتحه على القرآن وهو مما يُزعج الجيران بصوته فإنه لا يحل له أن يفعل ذلك، وإما بالفعل فيكون بإلقاء النفايات حول بابه، والتضييق عليه عند مداخل بابه، أو بالدق، أو بأي شيء يضرّه، فإن فعل فإنه ليس بمؤمن، والمعنى أنه ليس متّصفاً بصفات المؤمنين في هذه المسألة.



[٣٠٦] وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[٣٠٧] وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ**»، ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: "مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ! وَاللهِ لَأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. رُوِيَ: خَشَبَهُ وَرُوِيَ: خَشَبَةً بالتنوين، وقوله: "مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ": يَعْنِي عن هذه السُّنَّة، يعني: إذا كان جارك يريد أن يسقف بيته ووضع الخشب على الجدار، فإنه لا يحل منعه؛ لأن وضع الخشب على الجدار لا يضرّ، بل يزيده قوة، ويمنع السيل منه، ولا سيما فيما سبق حيث كان البناء من اللِّبن، فإن الخشب يمنع هطول المطر على الجدار فيحميه، وهو أيضاً يشدّه ويقوّيه، ففيه مصلحة للجار وللجدار، وفي هذا الحديث النهيُ عن المشاحنة بين الجيران، والتساهل والتسامح فيما ينفع الجار ولا يضر بالمالك.



[٣٠٨] وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



[٣٠٩] وعن أبي شُرَيْح الخُزَاعيِّ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**». رواه مسلم.



**[٣١٠]** وعن عائشة ﭬ قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**». رواه البخاري.



**[٣١١]** وعن عبد الله بن عمرو ﭭ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وبناءً على هذا، تجب مراعاة حقوق الجيران؛ فيجب الإحسان إليهم بقدر الإمكان، ويحرم الاعتداء عليهم بأي عدوان، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**».



## ٤٠- برُّ الوالدَيْن وصلة الأرحام

قال الله تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامِ﴾ [النساء: ١]. أي: اتقوا الله واتقوا الأرحام لا تقطعوها.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ [الرعد:٢١].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨]. أي: بِرًّا بهما وعطفًا عليهما. نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقَّاص لما أسلم، وكان بارًّا بأمه، فقالت: والله لا آكل ولا أشرب حتى ترجع أو أموت، فمكثت كذلك أياماً، فجاءها سعد فقال: يا أمَّاه لو أن لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني، فكلي إن شئتِ، أو اتركي، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. فنهى عن طاعتهما في المعصية، وأمر ببرهما لما قال في الآية الأُخرى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان: ١٥].

وَقالَ تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣- ٢٤]، لأن الوالدين إذا بلغَا الكبر؛ ضعفت نفوسهما، وصارا عالة على الولد، فلا تقل إني متضجر منكما؛ بل عاملهما باللطف والإحسان، ولا تنهرهما إذا تكلّما.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]. قيل: من صلَّى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا للوالدين في إدبار الصلوات فقد شكر لهما.

**[٣١٢]** وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألت النبي ﷺ: أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى الله تَعَالَى؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٣١٣]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيهُ فَيُعْتِقَهُ**». رواه مسلم.

**[٣١٤]** وعنه أيضاً ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ، فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٣١٥]** وعنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هٰذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذٰلِكَ لَكِ**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**اقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ**: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢- ٢٣]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية للبخاري: فقال الله تعالى: **"مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ"**.

والرحم: قرابات الرجل من جهة والديه وإن علوا، وأولاده وإن نزلوا، وما يتصل بالطرفين من الأعمام والأخوال وأولادهم، وصلتهم بما جرى به العرف واتبعه الناس؛ لأنه لم يبيّن في الكتاب والسنة نوعها ولا جنسها ولا مقدارها؛ ولم يقيّده الرسول بشيء معين، فلم يقيّده بأن يأكلوا معك أو يشربوا معك، أو يسكنوا معك، بل أطلق، ولذلك يرجع فيها للعرف، فما جرى به العرف أنه صلة فهو الصلة، وما تعارف عليه الناس أنه قطيعة فهو قطيعة، هذا هو الأصل، أما لو فرض أن الأعراف فسدت وصار الناس لا يبالون بالقطيعة، فلا عبرة بهذا العرف؛ لأن هذا العرف ليس عرفاً إسلامياً، ففي الدول الكافرة الآن لا يَعرف بعضهم بعضاً، حتى إن الإنسان إذا شبّ ولده وكبر صار لا يعرف أباه؛ لأنهم لا يعرفون صلة الأرحام، ولا يعرفون حسن الجوار، وكل أمورهم فوضى؛ لأن الكفر دمّرهم تدميراً، لكن كلامنا عن المجتمع المسلم المحافظ.



**[٣١٦]** وعنه رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أَبُوكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: يَا رَسُولَ الله! مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**». وَالصَّحَابَةُ: بمعنى: الصحبةِ.

وقوله: «**ثُمَّ أَبَاكَ**» هكذا هُوَ منصوب بفعلٍ محذوفٍ، أي: ثُمَّ بِرَّ أَبَاكَ، وفي رواية: «**ثُمَّ أَبُوكَ**»، وهذا واضح، في هذا الحديث: تأكيد حق الأم، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**﴾ [لقمان: ٨]، لأن الأم حصل عليها من العناء والمشقة للولد ما لم يحصل لغيرها؛ وإذا أتاه ما يؤلمه لم تنم الليلة حتى ينام، ثم إنها تفديه بنفسها بالتدفئة عند البرد، فهي أشد عناية من الأب

به، ولذلك كان حقّها مضاعفاً ثلاث مرات على حق الأب، ثم إنها أيضاً ضعيفة، لا تأخذ بحقها، فينبغي أن يُحسن الإنسان صحبة أمه وأبيه بقدر المستطاع .



**[٣١٧]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**». رواه مسلم.

**[٣١٨]** وعنه رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلَمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذٰلِكَ**». رواه مسلم.

والمَلُّ: هو الرَّماد الحارَّ، وتُسِفُّهُم: يعني تجعله في أفواهِهم، أي كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم، لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه، وإدخالهم الأذى عليه.



**[٣١٩]** وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ: يؤخَّر له في أجلِهِ وعمرِهِ، وفيه أن صلة الرحم تزيد في الرزق والعمر، بالتوفيق والبركة.

وقد قال الله تعالى: ﴿**لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد: ٣٨- ٣٩].



**[٣٢٠]** وعنه قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ ﷺ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرَحَاء، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾**، قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ: **﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾**، وَإِنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله تَعَالَى، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَخٍ! ذٰلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذٰلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ، وبَنِي عَمِّهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: أنّ أفضل الصدقة ما كان على الأقارب؛ لأنها صدقةٌ وصِلة.

**[٣٢١]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: أَقْبَلَ رَجُلٌ إِلَى نَبِيِّ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَى الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ أَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ تَعالَ. قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أَحَدٌ حَيٌّ؟**». قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: «**فَتَبْتَغِي الأَجْرَ مِنَ اللهِ تَعَالَى؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَارْجِعْ إِلَى وَالِدَيْكَ، فَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

وفي رواية لهما: جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ**». وفي هذا الحديث تقديم برِّ الوالدين على الهجرة والجهاد.



**[٣٢٢]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِىءِ، وَلٰكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا**». رواه البخاري.

الناس ثلاثة: واصل، ومكافئ، وقاطع:

الواصل من يبدأ بالفضل، والمكافئ من يرد مثله، والقاطع من لا يتفضل ولا يكافئ، فالكامل من يصل من قطعه.



**[٣٢٣]** وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فإذا أردت أن يصلك الله فَصِلْ رحمك، وإذا أردت أن يقطعك الله فاقطعْ رحمك، جزاءً وفاقاً، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل؛ كان الله له أوصل، وكلما قصّر جاءه من الثواب بقدر ما عمل، لا يظلم الله أحداً.



**[٣٢٤]** وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث ﵂، أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَستَأْذِنِ النَّبِيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ الله أَنِّي أَعْتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: «**أَوَ فَعَلْتِ؟**»، قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه دليل على أن عطيّة الأقارب أفضل إذا كانوا محتاجين.



**[٣٢٥]** وعن أسماء بنت أَبي بكر الصديق ﵄، قالت: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، قُلْتُ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

رَاغِبَةٌ: طَامِعَةٌ فيما عندي تسألني شيئًا. وقال بعض العلماء معناه: وهي راغبة في الإسلام؛ فيكون الأمر بصلتها من أجل تأليفها وهي متطلعة إلى ذلك، ويدل لهذا قوله

تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان:١٥]. يعني إن أمرك والداك وألحّا في الطلب على أن تشرك بالله فلا تطعهما؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكن صاحبهما في الدنيا معروفاً، أي أعطهم من الدنيا ما يجب لهم من الصلة، ولو كانا كافرين أو فاسقين؛ لأن لهما حق القرابة، وفي الحديث: جواز صلة القريب المشرك.

**[٣٢٦]** وعن زينب الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ**». قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ، وَإِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أَمَرَنَا بِالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ فَاسْأَلْهُ، فَإِنْ كَانَ ذٰلِكَ يُجْزِئُ عَنِّي وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ، فَقَالَ عَبْدُ الله: بَلِ ائْتِيهِ أَنْتِ. فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِبَابِ رَسُولِ الله ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُهَا، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ المَهَابَةُ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائتِ رَسُولَ الله ﷺ فَأَخْبِرْهُ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالبَابِ تَسْأَلَانِكَ: أَتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَى أَزْواجِهِمَا وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلَا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ، فَدَخلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ هُمَا؟**»، قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيُّ الزَّيَانِبِ؟**» قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَهُمَا أَجْرَانِ: أَجْرُ القَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

دلَّ ذلك على أنه يجوز للإنسان أن يتصدق على أولاده عند الحاجة، ويتصدق على زوجته، وكذلك الزوجة تتصدق على زوجها، وأن الصدقة عليهم صدقةٌ وصلةٌ، بخلاف الزكاة، فإن كان مما يجب على الإنسان أن يدفعه فإنه لا يصح ممن تجب عليه النفقة، أما لو قضى ديناً عن أبيه أو عن ابنه أو زوجته، أو قضت ديناً على زوجها فإن

ذلك لا بأس به إذا كان المدين حياً، أما إذا كان المدين ميتاً فلا يقضي عنه إلا تبرعاً، أو من التركة.



**[٣٢٧]** وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة هرقل: أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لِأَبِي سُفْيَانَ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ؟ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ. قَالَ: قُلْتُ: يَقُولُ: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالصِّدْقِ، وَالعَفَافِ، وَالصِّلَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الصلة: يعني صلة الرحم، والصدق: الخبر الصحيح المطابق للواقع، والعفاف: عن الزنى، وعما في أيدي الناس من الأموال، وكذلك الأعراض، ثم إنه لما ذكر لهم ما ذكر قال له: إن كان ما تقوله حقاً فسيملك ما تحت قدمي هاتين. يقول ذلك وهو أحد الرئيسين في الدولتين الكبيرتين: الروم والفرس، يقول ذلك وهو ملك له مملكة كبيرة عظيمة، لكنه يعلم أن ما جاء به النبي ﷺ هو الصواب المطابق للفطرة ولمصالح الخلق.



**[٣٢٨]** وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ**»، وفي رواية: «**سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا القِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**»، وفي رواية: «**فَإِذَا افْتَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا؛ فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**»، أَوْ قَالَ: «**ذِمَّةً وَصِهْرًا**». رواه مسلم.

قال العلماء: الرَّحِمُ التي لهم كون هاجر أم إسماعيل عليه السلام منهم، لأنهم أخوال إسماعيل، وإسماعيل هو أبو العرب المستعربة كلها، والصِّهْرُ: كون مارية أم إبراهيم ابن رسول الله منهم، في هذا الحديث: علامة من علامة النبوة، لكون الصحابة فتحوا مصر بعد النبي ﷺ.



**[٣٢٩]** وعن أبي هريرة ﷺ، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا فعمَّ وخصَّ، وقال: «**يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمَ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُم مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا**». رواه مسلم.

قوله: بِبِلالِهَا، وَالبِلاَلُ: الماء، أي سيبلها بالماء، لأن قطيعة الرحم نار والماء يطفئ النار، يعني سأعطيها حقها من الصلة وإن كانوا كفاراً، وهذا يدل على أن القريب له حق الصلة وإن كان كافراً.

ومعنى الحديث: سَأَصِلُهَا، شبَّه قطيعتها بالحرارة تطفأ بالماء وهذه تبرَّد بالصِّلَةِ. وفي الآية والحديث: دلالة على البداءة بإنذار الأقربين عموماً وخصوصاً. وقوله ﷺ: «**فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا**»، أي: لا تتّكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله بكم.



**[٣٣٠]** وعن أبي عبد الله عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ جهاراً غير سرٍّ، يقول: «**إِنَّ آلَ بَنِي فُلَانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلٰكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلَاهِا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومعنى الحديث: لست أخص قرابتي ولا فصيلتي الأدنين بولاية من دون المسلمين.

يؤكد هذا قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤].



**[٣٣١]** وعن أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري ﵁، أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**تَعْبُدُ اللهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والشاهد هنا حيث قال: «**تَصِلُ الرَّحِمَ**»، فجعل النبي ﷺ صلة الرحم من الأسباب التي تُدخل الإنسان الجنة وتباعده عن النار، ولا شك أن كل إنسان يسعى إلى هذا الكسب العظيم؛ وهذا يحصل بهذه الأمور الأربعة:

الأول: تعبد الله لا تشرك به شيئاً؛ لا شركاً أصغر ولا شركاً أكبر.

الثاني: تقيم الصلاة، وتأتي بها كاملة في أوقاتها مع الجماعة إن كنت رجلًا، ومن دون الجماعة إن كانت امرأة.

الثالث: تؤتي الزكاة، وهذا حق العباد في مالك إلى مستحقّه.

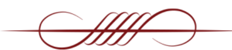
الرابع: تصل الرحم؛ بأن تؤتيهم حقهم بالصلة حسب ما يتعارف الناس، إلا إذا كان الإنسان في مجتمع لا يبالون بالقرابات، ولا يهتمون بها، فالعبرة بالصلة نفسها المعتبرة شرعاً.



**[٣٣٢]** وعن سلمان بن عامر ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ؛ فَإِنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فَالْمَاءُ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ**»، وقال: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ؛ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

أي: في الصدقة على القريب ثوابان جليلان؛ ثواب الصدقة، وثواب صلة الرحم.

ولهذا قال العلماء: إذا اجتمع فقيران أحدهما من قرابتك والثاني من غير قرابتك، فالذي من قرابتك أولى؛ لأنه أحق بالصلة.



**[٣٣٣]** وعن ابن عمر ﵄، قال: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأَةٌ، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فَقَالَ لِي: طَلِّقْهَا، فَأَبَيْتُ، فَأَتَى عُمَرُ ﵁ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**طَلِّقْهَا**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**[٣٣٤]** وعن أَبي الدرداء ﵁، أن رجلاً أتاه، فقال: إنَّ لِي امْرَأَةً وَإِنَّ أُمِّي تَأْمُرُنِي بِطَلَاقِهَا. فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**الوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإِنْ شِئْتَ، فَأَضِعْ ذٰلِكَ البَابَ، أَوِ احْفَظْهُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ولكن، ليس كل والد يأمر ابنه بطلاق زوجته أو أم تأمر ولدها بذلك، تجب طاعتهما؛ فإن رجلاً سأل الإمام أحمد بن حنبل ﵀، قال إن أبي يقول: طلق امرأتك، وأنا أحبها. قال: لا تطلقها. قال: أليس النبي ﷺ قد أمر ابن عمر أن يطلق زوجته لَمّا أمره عمر؟ فقال له الإمام أحمد: وهل أبوك عمر؟ لأن عمر نعلم علم اليقين أنه لن يأمر عبد الله بطلاق زوجته إلا لسبب شرعي، وقد يكون ابن عمر لم يعلمه، وعلى هذا فإذا أمرَك أبوك أو أمك بأن تطلق امرأتك وأنت تحبها، ولم تجد عليها مأخذاً شرعياً فلا تطلقها؛ لأن هذه من الحاجات الخاصة التي لا يتدخل أحد فيها بين الإنسان وبين زوجته.

**[٣٣٥]** وعن البراء بن عازب ﵄، عن النبي ﷺ قال: «**الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.





## ٤١- العقوق وقطيعة الرَّحِم

العقوق مأخوذ من العقّ وهو القطع، ومنه سمّيت العقيقة التي تذبح عن المولود في اليوم السابع؛ لأنها تُعَقُّ: يعني تقطع رقبتها عند الذبح.

والعقوق من كبائر الذنوب لثبوت الوعيد عليه من الكتاب والسنة، وكذلك قطيعة الرحم، قال الله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

المراد بالأبصار هنا البصيرة وليس بصر العين، وأن الله تعالى يعمي بصيرة الإنسان، حتى يرى الباطل حقاً والحق باطلاً، وهذه عقوبة أخروية ودنيوية: أما الأخروية: فقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ﴾[النساء: ٥٢]، وأما الدنيوية: فقوله: ﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ عن رؤية الحق والانتفاع به.

وَقالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٥].

ميثاق العهد: توكيده، فينقضون العهد، ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل من القرابات وغيرهم، ويفسدون في الأرض بكثرة المعاصي. واللعنة تعني الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ولهم سوء العاقبة.

وقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء- ٢٣، ٢٤]، لأن الإنسان إذا كبر قد يصل إلى الهرم وأرذل العمر فيتعب، فقال حتى في هذه الحال، لا تقل إني متضجر منكما ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ عند القول، وقل لهما قولاً طيباً حسناً يُدخل السرور عليهما، ويزيل

عنهما الكآبة والحزن، وتذلل لهما رحمة بهما، فارحمهما أنت في حال حياتهما، وادع الله أن يرحمهما بعد المهات، هذا في حال الكبر، وأما في حال الشباب؛ فإن الوالد في الغالب يكون مستغنياً عن ولده ولا يهمه.

**[٣٣٦]** وعن أبي بكرة نُفَيع بن الحارث رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**»- ثَلَاثًا. قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»، وكان مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الذنوب: فيها صغائر وكبائر، فالكبيرة: ما توعّد صاحبها بغضب أو لعنة أو نار، وقوله: حتى قلنا: ليته يسكت: أي شفقة عليه، وقول الزور يعني: الكذب، وشهادة الزور أي: الذي يشهد بالكذب، وما أرخص شهادة الزور اليوم عند كثير من الناس، يظن الشاهد أنه أحسن إلى من شهد له، ولكنه أساء إلى نفسه، وأساء إلى من شهد له، وأساء إلى من شهد عليه، أما إساءته إلى نفسه فلأنه أتى كبيرة من أكبر الكبائر، وأما كونه أساء إلى المشهود له فلأنه سلّطه على ما لا يستحق، وأما إساءته إلى المشهود عليه؛ فإنه ظلمه واعتدى عليه، فلا تظن أنك إذا شهدت لأحد زوراً أنك محسن إليه، لا، بل أنت مسيء إليه، وللأسف فكثير من الناس الآن يشهد عند الحكومة في المسائل بأن فلاناً هو المستحق، ويستعيرون أسماء ليست بصحيحة، كل هذا من أجل أن ينالوا شيئاً من الدنيا، لكنهم خسروا الدنيا والآخرة بهذا الكذب.



**[٣٣٧]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**». رواه البخاري.

اليمين الغموس: التي يحلفها كاذباً عامداً، سمّيت غموساً؛ لأنها تغمس الحالِفَ في الإثم، والاقتصار على هذه الأربع لكونها أعظم الكبائر إثماً، وأشدّها جُرماً، ومن ذلك السبع الموبقات.

**[٣٣٨]** وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مِنَ الكَبَائِر شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيْهِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «**نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**إنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ!**».

وذلك تحذير من أن يكون الإنسان سبباً في شتم والديه بأن يأتي إلى شخص فيشتم والديّ الشخص، فيقابله الشخص الآخر بالمثل ويشتم والديه، ولا يعني ذلك أنه يجوز للثاني أن يشتم والديّ الرجل؛ لأنه لا تزر وازرة وزر أخرى، ولكنه في العادة والطبيعة أن الإنسان يجازي غيره بمثل ما فعل به، فإذا سبّه سبّه، وذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، لذلك لما كان سبباً في سب والديه؛ كان عليه إثم ذلك.



**[٣٣٩]** وعن أَبي محمد جبيرِ بن مطعم رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**». قَالَ سفيان في روايته: يَعْنِي: قَاطِع رَحِم. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٣٤٠]** وعن أَبي عيسى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ اللهَ تَعَالَى حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ، وَمَنْعًا وَهَاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإضَاعَةَ المَالِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: مَنْعًا وهَاتِ: معناهُ: منعُ ما وجب عليه، وطلبُ ما ليس له، وقِيلَ وَقَالَ: معناهُ: الحديث بكل ما يسمعه، فيقول: قيل كذا، وقال فلان كذا مما لا يعلم صحته، وكفى بالمرء كذباً أن يحدّث بكل ما سمع، وإضاعة المال: تبذيره وصرفه وعدم حفظه، وكثرة السؤال: الإلحاح فيما لا حاجة إليه. اقتصر في الحديث على عقوق الأمّهات، لأن الاستخفاف بهن أكثر لضعفهن وعجزهن، ومَنْعًا وَهَاتِ: يعني أن يكون الإنسان جموعاً منوعاً؛ يمنع ما يجب عليه من بذل المال، ويطلب ما ليس له، فهات: يعني أعطوني المال، والكراهة في لسان الشارع معناها التحريم، ولكن هذا من باب اختلاف التعبير فقط، وكره لكم قيل وقال: يعني نقل الكلام، وكثرة ما يتكلم الإنسان ويثرثر به، وأن يكون ليس له هم إلا الكلام في الناس، قالوا كذا وقيل كذا، ولا سيما إذا كان هذا في أعراض أهل العلم وأعراض ولاة الأمور، فإنه يكون أشد كراهة، والإنسان المؤمن هو الذي لا يقول إلا خيراً كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ؛ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**». وكثرة السؤال: يحتمل أن يكون المراد السؤال عن العلم، ويحتمل أن يكون المراد السؤال عن المال، أما كثرة السؤال عن العلم فهذا إنما يكره إذا كان الإنسان لا يريد إلا إعنات المسؤول، وإدخال السآمة والملل عليه، أو تلقط زلاته لعله يزل فيكون في ذلك قدح فيه، أما إذا كان يريد العلم فإنه لا يُنهى عن ذلك ولا يُكره، وقد كان عبد الله بن عباس كثير السؤال، فقد قيل له: بم أدركت العلم؟ قال: أدركت العلم بلسان سؤول، وقلب عقول، وبدن غير ملول.

أما كثرة السؤال في المال، فإنه لا يجوز للإنسان سؤال المال إلا عند الحاجة، أو إذا كان يرى أن المسؤول يمنّ عليه أن يسأله، كما لو كان صديقاً لك قوي الصداقة، قريباً جداً، فسألته حاجة وأنت تعرف أنه يكون بذلك ممنوناً، فهذا لا بأس به، أما إذا كان الأمر على خلاف ذلك:؛ فلا يجوز أن تسأل إلا عند الضرورة، وأما إضاعة المال فهو بذله في غير فائدة لا دينية ولا دنيوية؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا**﴾ [النساء: ٥]، فالمال قيام للناس؛ تقوم به مصالح دينهم ودنياهم، فإذا بذله الإنسان في غير ذلك فهذا إضاعة له، وأقبح من ذلك أن يبذله في محرم، فيرتكب في هذا محظورين.



## ٤٢- برُّ أصدقاء الأب والأمِّ والأقارب والزَّوجة

**[٣٤١]** عن ابن عمر ﵄: أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ**».



**[٣٤٢]** وعن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر ﵄: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَى حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ. قَالَ ابْنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ، إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ بِاليَسِيرِ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنِ عُمَرَ: إِنَّ أَبَا هٰذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﵁، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**». وفي رواية عن ابن دينار، عن ابن عمر: أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيْهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأْسَهُ، فَبَيْنَا هُوَ يومًا عَلَى ذٰلِكَ الحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَى. فَأَعْطَاهُ الحِمَارَ، فَقَالَ: ارْكَبْ هٰذَا. وَأعْطَاهُ العِمَامَةَ، وَقالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ اللهُ لَكَ، أَعْطَيْتَ هٰذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيْهِ، وَعِمَامَةً كُنْتَ تَشُدُّ بِهَا رَأْسَكَ؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ**»، وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ ﵁. روى هذه الرواياتِ كلها مسلم.

فيستفاد من هذا الحديث أنه إذا كان لأبيك أو أمك أحد بينهم وبينه ودٌّ فأكرمه، كذلك إذا كان هناك نسوة صديقات لأمك؛ فأكرم هؤلاء النسوة، وإذا كان رجال أصدقاء لأبيك؛ فأكرم هؤلاء الرجال، فإن هذا من البر.



**[٣٤٣]** وعن أبي أُسَيد مالك بن ربيعة الساعدي ﵁، قال: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ

أَبرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوتِهِمَا؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، الصَّلَاةُ عَلَيْهِمَا، وَالاسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لَا تُوصَلُ إِلَّا بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيقِهِمَا**». رواه أبو داود. الصلاة عليهما: يعني الدعاء لهما وليس المراد صلاة الجنازة. وكان النبي ﷺ إذا أتته الصدقة قال: اللهم صل على آل فلان، كما قال عبد الله بن أبي أوفى أنه أتى بصدقة قومه إلى النبي ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى**»، فدعَا لهم بالصلاة عليهم، فالصلاة عليهما يعني الدعاء لهما، فيقول: اللهم صلّ على أبوي، وإنفاذ عهدهما يعني إنفاذ وصيتهما، أما قراءة القرآن لهما، أو الصلاة بأن يصلي الإنسان ركعتين ويقول لوالدي! هذا لم يأمر به النبي ﷺ، ولا أرشد إليه، بل قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ، إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**»، ولم يقل: ولد صالح يصلي له، أو يحجّ له، أو يعتمر له، بل قال: يدعو له، لكن لو فعل الإنسان الصدقة فإن ذلك لا بأس به؛ لأن الرسول ﷺ لم يمنع سعد بن عبادة أن يتصدق لأمه.



**[٣٤٤]** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: مَا غِرْتُ عَلَى أَحدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَة رضي الله عنها، وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ، وَلٰكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يَقَطِّعُهَا أَعْضَاءَ، ثُمَّ يَبْعثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةَ! فَيَقُولُ: «**إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: كَانَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ، يَقُولُ: «**أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ**». وفي رواية: قالت: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَعَرَفَ اسْتِئْذَانَ خَدِيجَةَ، فَارْتَاحَ لِذٰلِكَ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**».

قولُهَا: فَارتَاحَ، وفي لفظ: فارتاع بالعينِ، ومعناه: اهتم به، والغيرة انفعال يكون في الإنسان؛ يجب أن يختص صاحبه به من دون غيره، ولهذا سمّيت غيرة؛ لأنه يكره أن يكون

الغير حبيباً، والنساء الضرّات هن أشد بني آدم غيرة، وعائشة ﵂ كانت حبيبة رسول الله ﷺ، ولم يحب أحداً مثلها في حياته بعد خديجة لأنها أم أولاده، إلا إبراهيم فمِن مارية، ولأنها وازرته وساعدته في أول البعثة، وواسته في ماله، فلذلك كان لا ينساها.

والشاهد من هذا الحديث: أن إكرام صديق الإنسان بعد موته يعتبر إكراماً له، سواء كان من الوالدين، أو من الأزواج، أو من الأصدقاء، أو من الأقارب.



**[٣٤٥]** وعن أنس بن مالك ﵁، قال: خَرَجْتُ مَعَ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ البَجَلِيِّ ﵁ فِي سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفْعَل، فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا آلَيْتُ أَنْ لَا أَصْحَبَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا خَدَمْتُهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وكان جرير أسنَّ من أنس، وجرير سيد بجيلة، فكان يخدم أنَساً إكراماً للنبي ﷺ، وهذا من إكرام من يكرم النبي ﷺ، فإكرام أصحاب الرجل إكرام للرجل، واحترامهم احترام له، ولهذا جعل ﵁ إكرام هؤلاء من إكرام النبي ﷺ.



## ٤٣-إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

والرّجس: الذنب المدنّس للعرض وهو الإثم، وأما ذرّيته فيدخلون من باب أولى، كما في حديث واثلة بن الأسقع: جاء رسول الله ﷺ ومعه علي، وحسن، وحسين، رضي الله عنهم، آخذ كل واحد منهما بيده، حتى دخل فأدنى عليًّا وفاطمة رضي الله عنهما، وأجلسهما بين يديه، وأجلس حَسَنًا وحُسَيْنًا كل واحد منهما على فخذه، ثم لفَّ عليهم ثوبه، ثم تلا هذه الآية، وقال: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلَ بَيْتِي، وَأَهْلُ بَيْتِي أَحَقُّ...». رواه أحمد.

وأهل بيت الرسول ﷺ ينقسمون إلى قسمين: قسم كفار؛ فهؤلاء ليسوا من أهل بيته وإن كانوا أقارب له في النسب؛ لأن الله قال لنوح عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾، وكان ابنه كافراً، قال: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٦]، لكن أهل بيته هم المؤمنون من قرابته، ومنهم أيضاً زوجاته، فإن زوجاته، كما قال الله تعالى في سياق نساء أمهات المؤمنين: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٢-٣٣]. وهذا نص صريح واضح جداً بأن زوجات الرسول ﷺ من آل بيته، خلافاً للرافضة الذين قالوا: إن زوجات الرسول ﷺ ليسوا من أهل بيته، وزوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين، كما قال تعالى في كتابه: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، وهذا بالإجماع، فمن قال غير ذلك فهو ليس بمؤمن بالقرآن ولا بالرسول ﷺ.

وعجباً لهؤلاء؛ يقدحون في عائشة رضي الله عنها ويسبونها ويبغضونها وهي أحب زوجات الرسول ﷺ، كما صح ذلك عنه في البخاري أنه قيل: يا رسول الله، من أحب الناس إليك؟

قال: «**عَائِشَةُ**». قالوا: فمن الرجال؟ قال: «**أَبُوهَا**». وهؤلاء القوم يكرهون عائشة رضي الله عنها ويسبونها ويلعنونها، فكيف يقال: إن هؤلاء يحبون الرسول؟ وكيف يقال: إن هؤلاء يحبون آل الرسول؟ ولكنها دعاوى كاذبة، وبهذا يعرف أن المسألة خطيرة وعظيمة.

**[٣٤٦]** وعن يزيد بن حيّان، قال: انْطَلَقْتُ أَنَا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَة، وَعَمْرُو بْنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْد بْنِ أَرقَم، فَلَمَّا جَلَسْنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْن: لَقَدْ لقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا؛ رَأَيْتَ رَسُولَ الله ﷺ، وَسَمِعْتَ حَدِيثَهُ، وَغَزَوْتَ مَعَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ؛ لَقَدْ لَقِيتَ يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَالله لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهْدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رسولِ الله ﷺ، فَمَا حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، ومَا لَا فَلَا تُكَلِّفُونِيهِ، ثُمَّ قَالَ: قَام رَسُول الله ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ الله، فِيهِ الهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**». فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ الله وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلٰكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عَقِيلٍ وَآلُ جَعْفَرَ وآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هٰؤُلَاءِ حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه مسلم.

آل بيته: هم الذين تحرم عليهم الصدقة؛ لأن النبي ﷺ قال لعمّه العباس: «**إِنَّ هٰذِهِ الصَّدَّقَاتُ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِآلِ مُحَمَّدٍ**». وآل محمد ﷺ لهم خصائص ليست لغيرهم، ففي باب الفيء لهم حق يختصون به، كما قال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لله خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى**﴾ [الأنفال: ٤١].

يعني قرابة النبي ﷺ، ولهم كرامة وشرف وسيادة، فلا تحل لهم الصدقة ولا الزكاة الواجبة؛ لأنها أوساخ الناس، فهم أشرف وأعلى، لكن يُعطون بدلها من الخمس. وغدير خم: هو بين مكة والمدينة، نزل فيه النبي ﷺ، وحثّ على أهل بيته، ولم يقل إن أهل بيته معصومون، وإن أقوالهم كالقرآن يجب أن يُعمل بها، كما تدّعيه الرافضة، بل هم يخطئون كما يخطئ غيرهم، ولكن لهم حق قرابة النبي ﷺ، فلا تظلموهم، ولا تعتدوا عليهم.



**[٣٤٧]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه موقوفاً عليه- أنه قال: ارْقَبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ. رواه البخاري.

ارقبوه: راعوه واحترموه وأكرموه.



## ٤٤- توقير العلماء والكبار وأهل الفضل

التوقير: التبجيل، والعلماء: يقصد بهم علماء الشريعة الذين هم ورثة الأنبياء؛ لأن الأنبياء لم يورِّثوا درهماً ولا ديناراً، إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذ بالعلم؛ أخذ بحظ وافر من ميراث الأنبياء، وإذا كان الأنبياء لهم حق التبجيل والتعظيم والتكريم، فلمن ورثهم من العلماء له نصيب من ذلك، وبتوقير العلماء توقر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تُهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذُلُّوا وسقطوا أمام أعين الناس؛ ذُلَّت الشريعة التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس، وصار كل إنسان يحتقرهم ويزدريهم فتضيع الشريعة، كما أن ولاة الأمر يجب احترامهم وطاعتهم، حسب ما جاءت به الشريعة؛ لأنهم إذا احتقروا أمام الناس، وهان أمرهم؛ ضاع الأمن وصارت البلاد فوضى.

وأكثر عجباً، كما سمعنا عن بعض السفهاء الجهَّال، أنهم إذا جودلوا في مسألة من مسائل العلم، وقيل لهم: هذا قول الإمام أحمد بن حنبل، أو هذا قول الشافعي، أو قول مالك، أو قول أبي حنيفة، أو قول سفيان، أو ما أشبه ذلك، قال: نعم، هم رجال ونحن رجال! سبحان الله! من أنت حتى تصادم بقولك وسوء فهمك وقصور علمك وتقصيرك في الاجتهاد، وتجعل نفسك نداً لهؤلاء الأئمة؟! فإذا استهان الناس بالعلماء كل واحد يقول: أنا العالم، أنا العلامة، أنا البحر الذي لا ساحل له، وصار كل يتكلم بما شاء، ويفتي بما شاء، تمزقت الشريعة، وتفرقت الأمة.

وكذلك الأمراء، إذا قيل لواحد مثلاً: أمر الوالي بكذا وكذا، قال: لا طاعة له؛ لأنه مُخِلٌّ بكذا ومخل بكذا، وأقول: إنه إذا أخل بكذا وكذا، فذنبه عليه، وأنت مأمور بالسمع والطاعة، حتى وإن شربوا الخمور وغير ذلك، ما لم نر كفراً بواحاً عندنا فيه من الله برهان، وإلا فطاعتهم واجبة؛ ولو فسقوا، ولو عَتَوْا، ولو ظلموا. وقد قال النبي ﷺ: «**اِسْمَعْ وَأَطِعْ**

**وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ**». وقال لأصحابه فيما إذا أخل الأمراء بواجبهم: «**اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَعَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا**».

أما أن نريد أن يكون حكامنا كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، فهذا لا يمكن. لكُن نحن صحابة أو مثل الصحابة حتى يكون ولاتنا مثل خلفاء الصحابة، والشعب كما نعلم الآن؛ أكثرهم مفرط في الواجبات، وكثير منتهك للحرمات، ثم يريدون أن يولّي الله عليهم خلفاء راشدين، فهذا بعيد، لكن نحن علينا أن نسمع ونطيع، وإن كانوا هم أنفسهم مقصرين فتقصيرهم هذا عليهم، فإذا لم يُوقَّر العلماء والأمراء؛ ضاع الدين والدنيا .

قال الله تعالى: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾ [ص: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر:٩]، لأن العالم يعبد الله على بصيرة، يعرف كيف يتوضأ، وكيف يصلي، وكيف يزكي، وكيف يصوم، وكيف يحج، وكيف يبرّ والديه، وكيف يصل رحمه.

العالِم يهدي الناس: ﴿**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا**﴾ [الأنعام: ١٢٢]. لا يمكن أن يكون هذا مثل هذا، لأن الجاهل عالة على غيره، لا ينفع نفسه ولا غيره، بل إن أفتى بجهل؛ ضرّ نفسه وضرّ غيره.



**[٣٤٨]** وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري الأنصاري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله، فَإِنْ كَانُوا فِي القِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا، وَلَا يُؤَمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَى تَكْرِمَتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**». رواه مسلم. وفي رواية له: «**فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا**» بَدَلَ «**سِنًّا**»، أي إسلاماً.

المراد بِسُلْطَانِهِ: محلّ ولايته، أو الموضع الذي يختص به، وتَكْرِمَتِهِ: وهي ما ينفرد به من فراش وسرير ونحوهما. قال القرطبي: تأوّل أصحاب الحديث بأن الأقرأ في الصدر الأول هو الأفقه، لأنهم كانوا يتفقهون مع القراءة، فلا يوجد قارئ إلا وهو فقيه، وكان مِنْ عُرْفِهم تسمية الفقهاء بالقراء، وقد قدم النبي ﷺ الصدِّيقَ على أُبَيّ مع قوله: «**أَقْرَؤُكُمْ أُبَيٌّ**»، وهذا يدل على تقديم الأفضل فالأفضل في الإمامة، وهذا في غير الإمام الراتب، أما الإمام الراتب فهو الإمام وإن كان في الناس من هو أقرأ منه؛ لقول النبي ﷺ في الحديث: «**وَلَا يَؤُمَّنَ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ**»، وإمام المسجد الراتب سلطان في مسجده، حتى إن بعض العلماء يقول: لو أن أحداً تقدم وصلى بجماعة المسجد من دون إذن الإمام فصلاتهم باطلة، وعليهم أن يعيدوا.

---

**[٣٤٩]** وعنه قال: كَانَ رَسُولِ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، ويَقُولُ: «**اِسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». رواه مسلم.

وَالنُّهَى: العقول، وَأُولُوا الأَحْلَامِ: الذين بلغوا الحلم وهم البالغون، وقيل: أهل الحلم والفضل، فالذي ينبغي أن يتقدم في الصلاة العاقلون البالغون؛ لأن ذلك أقرب إلى فهم أحكام الشريعة ومقاصدها من غيرهم، فلهذا حث النبي ﷺ أن يتقدم هؤلاء حتى يلوا الإمام، وليس معنى ذلك أن نطرد الصبيان عن الصف الأول، فإن هذا لا يجوز، إلا أن يحدث منهم أذية، وعلى هذا فنقول: إن أولئك الذين يطردون الصبيان عن الصف الأول أخطأوا من جهة أنهم منعوا ذوي الحقوق حقوقهم؛ فإن النبي ﷺ قال: «**مَنْ سَبَقَ إِلَى مَا لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ مُسْلِمٌ فَهُوَ لَهُ**»، ومن جهة أخرى أنهم يكرّهون الصبيان المساجد، وهذا يؤدي إلى أن ينفر الصبي عن المسجد، ولا تزال عقدة في نفسه من الذي طرده فتجده

يكرهه، ثم إننا إذا طردناهم من أوائل الصفوف؛ حصل منهم لعب، لو كانوا كلهم في صف واحد سيؤدّي إلى اضطراب المسجد، واضطراب أهل المسجد، ولكن إذا كانوا مع الناس في الصف الأول ومتفرقين؛ فإن ذلك أسلم من الفوضى.



**[٣٥٠]** وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُوا الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، ثَلَاثًا، «**وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ الأَسْوَاقِ**». رواه مسلم.

هيشات الأسواق: المنازعات، والخصومات، واللغط، وارتفاع الأصوات.

ويستفاد منه الدنو من الإمام، ولهذا قال: ليلني أي يكون هو الذي يليني، وعلى هذا نقول: إذا كان يمين الصف بعيداً، وأيسر الصف أقرب منه بشكل واضح، فإن الصف الأيسر أفضل من الأيمن، من أجل دنوّه من الإمام؛ ولأنه لما كان الناس في أول الأمر إذا كان إمامهم واثنان معه، فإنهما يكونان عن يمينه واحد، وعن شماله واحد، ولا يكون كلاهما عن اليمين، فدل هذا على مراعاة الدنو من الإمام، وتوسط الإمام من المأمومين، ولكن هذا الأمر نسخ، وصار الإمام إذا كان معه اثنان يصفّان خلفه.



**[٣٥١]** وعن أبي يحيى، وقيل: أبي محمد سهل بن أبي حَثْمة الأنصاري ﷺ قال: انْطَلَقَ عَبْدُ الله بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ بْنُ مَسْعُودٍ إِلَى خَيْبَرَ وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صُلْحٌ، فَتَفَرَّقَا، فَأَتَى مُحَيِّصَةُ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ سَهْلٍ وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ قَتِيلًا، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ فَانْطَلَقَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ سَهْلٍ وَمُحَيِّصَةُ وَحوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ يَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**»، وَهُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ، فَسَكَتَ، فتَكَلَّمَا، فَقَالَ: «**أَتَحْلِفُونَ وَتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟**» وذكر تمام الحديث. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقوله ﷺ: «**كَبِّرْ كَبِّرْ**» معناه: يتكلم الأكبر.

ومن ذلك إذا قدمت الطعام مثلاً أو القهوة أو الشاي فلا تبدأ باليمين، بل ابدأ بالأكبر الذي أمامك؛ لا تبدأ باليمين، أما إذا كانوا جالسين عن اليمين وعن الشمال فابدأ باليمين، ثم إن الإنسان إذا أعطاه الكبير فمن يعطي بعده؟ هل يعطي الذي على يمين الكبير ويكون عن يسار الصابّ، أم الذي عن يمين الصابّ؟ نقول: يبدأ بالذي عن يمين الصابّ وإن كان على يسار الكبير؛ لأننا إذا اعتبرنا التّيامن بعد مراعاة الكبر، فالذي على يمينك هو الذي عن يسار مقابلك فتبدأ به، ما لم يسمح بعضهم لبعض، ويقول: أعطه فلاناً، أعطه فلاناً؛ فالحق لهم.

**[٣٥٢]** وعن جابر رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ، يَعْنِي فِي القَبْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمَا أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟**» فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ. رواه البخاري.

**[٣٥٣]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «**أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلَانِ، أَحَدُهُما أَكْبَرُ مِنَ الآخرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتهُ إِلَى الأَكْبَرِ مِنْهُمَا**». رواه مسلم مسنداً، ورواه البخاري تعليقاً.

**[٣٥٤]** وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ تَعَالَى: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيهِ، وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**». حديث حسن رواه أبو داود.



**[٣٥٥]** وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا**». رواه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

**[٣٥٦]** وعن ميمون بن أبي شَبيب رحمه الله، أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ، فَأَقْعَدَتهُ، فَأَكَلَ، فَقِيلَ لَهَا فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ**». رواه أبو داود. وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقاً فقال: وذكر عن عائشة رضي الله عنها قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم. وذكره الحاكم وقال حديث صحيح.

**[٣٥٧]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ رضي الله عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَاب مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هٰذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، فَاسْتَأْذَنَ لَهُ، فَإِذِنَ لَهُ عُمَرُ رضي الله عنه، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِي يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَالله مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ، وَلَا تَحْكُمُ فِينَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾، وَإِنَّ هٰذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، وَالله مَا جَاوَزَهاَ عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عليه، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ الله تَعَالَى. رواه البخاري.



**[٣٥٨]** وعن أبي سعيد سَمُرة بن جُندب ؓ قال: لَقَدْ كُنْتُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ غُلَامًا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إِلَّا أَنَّ هَا هُنَا رِجَالًا هُمْ أَسَنُّ مِنِّي. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٣٥٩]** وعن أنس ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ**». رواه الترمذي وقال: حديث غريب.





## ٤٥- زيارة أهل الخير ومجالستهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٠-٦٦].

في هذه الآيات استحباب زيارة أهل الخير في أماكنهم، ومصاحبتهم ومجالستهم، والتواضع معهم، والرحلة في طلب العلم، لأن الله أخبره بأن له عبداً من عباده آتاه رحمة منه وعلّمه من لدنه علماً، فذهب موسى يطلب هذا الرجل حتى لقيه. وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:٢٨].

هذا أمر من الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ أن يحبس نفسه مع الذين يعبدون الله في هذه الأوقات، وأن لا يجاوزهم ناظراً إلى غيرهم من ذوي الهيئات، فإن مصاحبتهم سبب إلى دخول الجنات.



**[٣٦٠]** عن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ رضي الله عنهما، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ: اِنْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ رضي الله عنها، نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا، بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِ الله ﷺ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي لَا أَبْكِي إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَى خَيْرٌ لِرَسُولِ الله ﷺ، وَلٰكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم.

أم أيمن: مولاة لرسول الله ﷺ، أنكحها زيد بن حارثة، واسمها بركة، وهي أم أسامة بن زيد، وكان ﷺ يكرمها، وكان عندها كالولد.



**[٣٦١]** وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ تَعَالَى عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هٰذِهِ القَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ تَعَالَى. قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**». رواه مسلم.

أرْصَدَهُ لِكَذَا: إِذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ، وَالمَدْرَجَة: الطَّرِيقُ، وتَرُبُّهَا: تَقُومُ بِهَا، وَتَسْعَى في صَلاحِهَا. قال ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَأَعْطَى للهِ، وَمَنَعَ للهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**».

**[٣٦٢]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللهِ، نَادَاهُ مُنَادٍ: بِأَنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. في هذا الحديث: وعد الله تعالى للزائر فيه بأن يطهّره من ذنوبه، ويعظّم أجره ويدخله الجنة.

**[٣٦٣]** وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

يُحْذِيكَ: يُعْطِيكَ.



**[٣٦٤]** وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فالمال: من أجل أن ينتفع به الزوج، والحسب: يعني أن تكون من قبيلة شريفة، من أجل أن يرتفع بها الزوج، والجمال: من أجل أن يتمتع بها الزوج، والدين: من أجل أن تعينه على دينه، وتحفظ أمانته وترعى أولاده. قال النبي ﷺ: «**فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»، يعني تمسك بها واحرص عليها، وحث على ذلك بقوله: «**تَرِبَتْ يَدَاكَ**»: وهذه الكلمة تُقال عند العرب للحث على الشيء. وفي الحديث: الحث على صاحبة الدين، لأن الحُسن البالغ يُخاف بسببه من فساد المرأة، أو إفسادها، والمال ربما أطغاها، وأما الدين فهو الحبل الذي لا ينقطع.

**[٣٦٥]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ لجبريل: «**مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورَنَا؟**»، فَنَزَلَتْ: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ**﴾ [مريم:٦٤]. رواه البخاري.

**[٣٦٦]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**». رواه أبو داود والترمذي بإسناد لا بأس به.

وهذا في طعام الدعوة، لا إطعام الحاجة.

**[٣٦٧]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الخليل: الصديق، وأقل درجات الصداقة، النظر بعين المساواة والكمال، وروي: لا خير في محبة من لا يرى مَا لَكَ مثل ما يرى له.



**[٣٦٨]** وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، أن النبي ﷺ قَالَ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ. وفي رواية: قال: قيل للنبي ﷺ: الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**».

في هذا الحديث: الحث على محبة الصالحين، لأن من أحبّهم دخل معهم الجنة، والمعيّة تحصل بمجرد الاجتماع وإنْ تفاوتت الدرجات.

**[٣٦٩]** وعن أنس ﷺ، أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**». قَالَ: حُبَّ الله وَرَسُولِهِ. قَالَ: «**أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لهما: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ، وَلَا صَلَاةٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، وَلٰكِنِّي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ.

الساعة: القيامة، وقوله ﷺ: «**مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**»، من أسلوب الحكيم؛ لأنه سأل عن الوقت، فقيل له: ما لَكَ ولها، إنما يهمّك التزوّد لها والعمل بما ينفعك فيها، فطرح الرجل ذكر أعماله، ونظر إلى ما في قلبه من محبة الله ورسوله. ففي هذا الحديث دليل على أنه ليس الشأن أن يسأل الإنسان متى يموت؟ ولكن الشأن كل الشأن على أي حال يموت؟ هل يموت على خاتمة حسنة؟ أو على خاتمة سيئة؟ ولهذا قال: ماذا أعددت لها؟ يعني لا تسأل عنها فإنها ستأتي، قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا**﴾ [الأحزاب: ٦٣]، لكن الشأن ماذا أعددت لها؟



**[٣٧٠]** وعن ابن مسعود ﷺ، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

قوله: "ولم يلحق بهم"، ولابن حبان: "ولا يستطيع أن يعمل بعملهم"، قال أنس: فما فرحنا بعد الإسلام بشيء فرحنا بهذا الحديث، فأنا أحب الله ورسوله، أحب رسول الله ﷺ، وأحب أبا بكر وعمر، فالمرء مع من أحب؛ لأنه إذا أحب قوماً فإنه يألفهم، ويتقرب منهم، ويتخلق بأخلاقهم، ويقتدي بأفعالهم، كما هي طبيعة البشر.



**[٣٧١]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقِهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، ومَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**». رواه مسلم.

قوله: «**وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ**» أي: جموع مجتمعة، وأنواع مختلفة، فما تشاكل منها في الخير أو الشر حنّ إلى شكله.

**[٣٧٢]** وعن أُسَيْر بن عمرو، ويقال: ابن جابر قال: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه، إِذَا أَتَى عَلَيهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ، فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**»، فَاسْتَغْفِرْ لِي، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ. قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَقَ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ

البَيْتِ قَلِيلَ المَتَاعِ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ**». فَأَتَى أُوَيْسًا، قَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ. رواه مسلم.

وفي رواية لمسلم أيضًا، عن أُسَيْر بن جابر ﵁ أَنَّ أَهْلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى عُمَرَ ﵁، وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هَا هُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عمرُ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لَا يَدَعُ بِاليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللهَ تَعَالَى، فَأَذْهَبَهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**». وفي رواية له، عن عمر ﵁ قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ، وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**». حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

غَبْرَاءِ النَّاسِ: هُمْ فُقَرَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لَا يُعْرَفُ عَيْنُهُ مِنْ أَخْلَاطِهِمْ. وَالأَمْدَادُ: هُمُ الأَعْوَانُ وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمِدُّونَ المُسْلِمِينَ فِي الجِهَادِ.

فيه معجزة للنبي ﷺ لما فيه من الإخبار بالأمر قبل وقوعه، وذكر أويسًا باسمه، وصفته، وعلامته، واجتماعه بعمر، وفيها فعل عمر ﵁ تبليغ الشريعة ونشر السنة، والإقرار بالفضل لأهله، والثناء على من لا يُخشى عليه عُجب بذلك. قال القرطبي: كان أويس من أولياء الله المخلصين المختفين الذين لا يُؤبَه لهم، ولولا أن رسول الله ﷺ أخبر عنه باسمه وصفته، لَمَا عرفه أحد، وكان موجوداً في حياة النبي ﷺ، وآمن به وصدقه ولم يَلْقه، ولا كاتبه، فلم يُعَد من الصحابة.

والصواب أنه لا ينبغي أن يطلب أحد الدعاء من غيره ولو كان رجلاً صالحاً، وذلك لأن هذا ليس من هدي النبي ﷺ ولا من هدي خلفائه الراشدين، أما إذا كان الدعاء عاماً، يعني تريد أن تطلب من هذا الرجل الصالح أن يدعو بدعاء عام، كأن تطلب منه أن يدعو الله تعالى بالغيث، أو برفع الفتن عن الناس، أو ما أشبه ذلك، فلا بأس؛ لأن هذا لمصلحة غيرك، وكذلك النبي ﷺ، فإن سؤال الصحابة له من خصوصياته، يسألونه أن يدعو الله لهم، أما غيره فلا. أما المصلحة الخاصة؛ فهذا كما قال الشافعي رحمه الله، يدخل في المسألة المذمومة، وقد بايع ﷺ أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً.



**[٣٧٣]** وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي العُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: «**لَا تَنْسَنا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ**»، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا. وفي رواية: وقال: «**أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ**».



**[٣٧٤]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَزُورُ قُبَاءَ رَاكِبًا وَمَاشِيًا، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وأما حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه أراد أن يعتمر، فقال له النبي ﷺ: لا تنسنا من دعائك، أو أشركنا في دعائك، فهذا حديث ضعيف وإن صححه البعض، فطريقة هؤلاء أنه يتساهلوا في الحكم على الحديث إذا كان في فضائل الأعمال، وهذا وإن كان يصدر عن حسن نية، لكن الواجب اتّباع الحق؛ فالصحيح صحيح، والضعيف ضعيف، وفضائل الأعمال تدرك بغير تصحيح الأحاديث الضعيفة.



# ٤٦- الحبُّ في الله

قال الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].

وقال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

وَقالَ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر:٩]. والمراد بالدار: المدينة، والآية نزلت في الأنصار لأنهم لزموا المدينة، فالشاهد من هذه الآية قوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾، يعني من المؤمنين، وهذا حب في الله، وإلا فإن الأنصار من الأوس والخزرج، ليس بينهم وبين المهاجرين نسب، ليسوا من قريش، لكن الأخوّة الإيمانية هي أوثق عرى الإيمان، الحب في الله والبغض في الله.



**[٣٧٥]** وعن أنسٍ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

حلاوة الإيمان: ليست حلاوة سكر ولا عسل، وإنما هي حلاوة أعظم من كل حلاوة، حلاوة يجدها الإنسان في قلبه، ولذة عظيمة لا يساويها شي، يجد انشراحاً في صدره، ورغبة في الخير حباً لأهل الخير، حلاوة لا يعرفها إلا من ذاقها، كاستلذاذ الطاعات، وتحمل المشاق في الدين، وإيثار ذلك على أغراض الدنيا.

وقوله: «**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**»: عليك أن تحب الله ورسوله، وأن تكون محبتك للرسول صلى الله عليه وسلم نابعة من محبة الله وتابعة لها، لكن مع الأسف أن بعض الناس يحب الرسول مع الله ولا يحب الرسول لله، انتبهوا لهذا الفرق، كيف؟ تجده يحب

الرسول أكثر من محبته لله، هل هذه محبة نافعة للإنسان؟ لا تنفعه، هذه محبة شِركيَّة، وهذا نوع من الشرك، أنت تحب الرسول لله؛ لأنه رسول الله، والمحبة في الأصل هي محبة الله ﷻ، لكن هؤلاء الذين غلوا في الرسول يحبونه مع الله لا يحبونه لله، أي يجعلونه شريكاً لله في المحبة؛ بل أعظم من محبة الله، تجده إذا ذكر الرسول ﷺ اقشعر جلده من المحبة والتعظيم، لكن إذا ذكر الله فإذا هو بارد لا يتأثر!

وقوله: «**وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لله**»: هذا الشاهد، لا تحبه لقرابة، ولا لمال، ولا لجاه، ولا لشيء من الدنيا، إنما تحبه لله، أما محبة القرابة فهي محبة طبيعية، حتى البهائم تحب أولادها، تجد الأم من البهائم والحشرات تحب أولادها حتى يكبروا ويستقلوا بأنفسهم، ثم تطردهم، فالشاهد أن محبة القرابة محبة طبيعية، لكن إذا كان قريبك من عباد الله الصالحين، فأحببته فوق المحبة الطبيعية فأنت أحببته لله.

وقوله: «**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»: فهذه ظاهرة فيمن كان كافراً ثم أسلم، لكن من ولد في الإسلام؛ يعني أنه لو قذف في النار لكان أهون عليه من أن يعود كافراً بعد إسلامه، وهذا حال كثير من المؤمنين لو قيل له: تكفر أو نلقيك من أعلى شاهق في البلد أو نحرقك، لقال: احرقوني، ألقوني، ولا أرتد من بعد إسلامي، أما من أُكره على الكفر ظاهراً لا باطناً، وقلبه مطمئن بالإيمان، فهذا لا يضره، لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦- ١٠٧].



**[٣٧٦]** وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي**

**أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**فِي ظِلِّهِ**»، أي: ظل عرشه، وقد أورد بعضهم الخصال التي توجب إظلال الله لأصحابها، فبلغت تسعة وثمانين، منها: الجهاد، وإنظار المعسر، والصبر، وحسن الخلق، وكفالة اليتيم، والصدق، والنصح، وترك الزنا، والحلم، وحفظ القرآن، وعيادة المرضى، وإشباع جائع، وصلة الرحم، ومحيي سنَّة للنبي ﷺ، وبناء مسجد، ومعلم دين.

فهؤلاء سبعة، وليس المراد بالسبعة العدد، يعني أنهم سبعة أنفار فقط، ولكنهم سبعة أصناف؛ لأنهم قد يكونون عدداً لا يحصيهم إلا الله ﷻ.

وأيضاً نتكلم عن مسألة ضلّ فيها كثير من الجهال، حيث توهموا جهلاً منهم أن هذا هو ظل الله نفسه، وأن الله تعالى يظلهم من الشمس بذاته ﷻ، وهذا فهم خاطئ منكر، يقوله بعض المتعالمين الذين يقولون: إن مذهب أهل السنة إجراء النصوص على ظاهرها، فيقال أين الظاهر؟! وأين يكون ظاهر الحديث، وأن الرب ﷻ يظلهم من الشمس؟! فإن هذا يقتضي أن تكون الشمس فوق الله ﷻ، وهذا شيء منكر لا أحد يقول به من أهل السنة، لكن مشكلات الناس ولاسيما في هذا العصر؛ أن الإنسان إذا فهم؛ لم يعرف التطبيق، وإذا فهم مسألة؛ ظن أنه أحاط بكل شيء علماً، والواجب على الإنسان أن يعرف قدر نفسه، وألا يتكلم إلا بما يعلم من كتاب الله وسنة رسوله.

فمعنى: «**يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»، أو يظلّهم الله في ظله، يعني: الظل الذي لا يقدر أحد عليه في ذلك الوقت؛ لأنه لا بناء يُبنى، ولا شجر يُغرس، ولا رمال تُفرش، ولا أحجار تُصفف، ولا شيء من هذا، فقد قال الله ﷻ: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا**﴾ [طه: ١٠٥- ١٠٧]، ولا يظل الخلائق من الشمس شيء، لكن الله ﷻ يخلق شيئاً يظلل به من شاء من عباده، ولا يجوز أن يكون له معنى سوى هذا.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «**وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ**»، يعني محبة في الله، لا في مال، ولا جاه، ولا نسب، ولا أي شيء، رآه قائماً بطاعة الله، متجنّباً لمحارمه، فأحبه من أجل ذلك، وفي هذا إشارة إلى أن المتحابّين في الله لا يقطع محبتهم في الله شيء من أمور الدنيا، وإنما هم متحابون في الله لا يفرقهم إلا الموت، حتى لو أن بعضهم أخطأ على بعض، أو قصر في حق بعض، فإن هذا لا يهمهم، ولكنه يصحح خطأه.



**[٣٧٧]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي**». رواه مسلم.



**[٣٧٨]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**». رواه مسلم.

فيه: الحث على إفشاء السلام، وبَذْلِه لكل مسلم عرفته أو لم تعرفه، وفي إفشائه أُلفة المسلمين بعضهم لبعض، وإظهار شعارهم مع ما فيه من التواضع، فالذي يجب على الإنسان؛ أن يسعى لكل سبب يوجب المودة والمحبة بين المسلمين؛ وليس من المعقول ولا من العادة أن يتعاون الإنسان مع شخص لا يحبه، ولا يمكن التعاون على الخير والتعاون على البر والتقوى إلا بالمحبة، ولهذا كانت المحبة في الله من كمال الإيمان.



**[٣٧٩]** وعنه، عن النبي ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا**»، وذكر الحديث إلى قوله: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**». رواه مسلم.

وفي الدعاء المأثور: "اللهم ارزقني حبك، وحب من يحبك والعمل الذي يقربني إلى حبك".

**[٣٨٠]** وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يُسمّى الأوس والخزرج الأنصارَ لنصرهم الإسلام، وإيواء أهله. قال الله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:١٠٠].



**[٣٨١]** وعن معاذ رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**قَالَ اللهُ عز وجل: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي، لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وهؤلاء العباد لهم منازل شريفة عظيمة في الآخرة، ولا يلزم من ذلك أنْ يكونوا أفضل من الأنبياء، وإنما أُريد بذلك بيان فضلهم وشرفهم عند الله تعالى.



**[٣٨٢]** وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله، قال: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذَا فَتًى بَرَّاقُ الثَّنَايَا وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هٰذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ، هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لَأَحِبُّكَ للهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ

رِدَائِي، فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ! فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ**». حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح.

هَجَّرْتُ: أيْ بَكَّرْتُ.

قوله: "آلله؟ فَقُلْتُ: الله": الأول بهمزة ممدودة للاستفهام، والثاني بلا مدّ.



**[٣٨٣]** وعن أبي كَرِيمَةَ المقداد بن معد يكرب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

**[٣٨٤]** وعن معاذ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أخذ بيده، وقال: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ، إِنِّي لَأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ، لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**».رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

وفي قوله: «**دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ**»، يعني: في آخر كل صلاة؛ لأن دبر الشيء من الشيء كدبر الحيوان، وقد ورد هذا الحديث بلفظ واضح يدل على أن الإنسان يقولها قبل أن يُسلّم.

**[٣٨٥]** وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي لَأُحِبُّ هٰذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَأَعْلَمْتَهُ؟**»، قَالَ: لَا. قَالَ: «**أَعْلِمْهُ**». فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي له. رواه أبو داود بإسناد صحيح.





## ٤٧- علامات حُبِّ الله تعالى للعَبدِ

لكل شيء علامة، ومحبة الله للعبد لها علامة؛ منها كون الإنسان متبعاً لرسول الله ﷺ فإنه كلما كان الإنسان لرسول الله أتبع؛ كان لله أطوع.

قَالَ الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

يعني إن كنتم صادقين في أنكم تحبّون الله فأروني علامة ذلك: اتبعوني يحببكم الله. وهذه الآية تسمّى عند السلف آية الامتحان، يُمتحن بها من ادعى محبة الله، فينظر إذا كان يتبع الرسول ﷺ؛ فهذا دليل على صدق دعواه، وإذا أحب الله؛ أحبه الله، وهذه ثمرة جليلة أن الله تعالى يحبك؛ لأن الله تعالى إذا أحبك؛ نِلْتَ بذلك سعادة الدنيا والآخرة.

قال الحسن البصري: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. [المائدة:٥٤].

هذا من الكائنات التي أخبر الله بها قبل وقوعها، وقد ارتد العرب في آخر عهد رسول الله ﷺ وكذلك في عهد عمر، وقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، قيل: هم أهل اليمن؛ لما روي أنه عليه السلام أشار إلى أبي موسى، وقال: «هُمْ قَوْمُ هٰذَا».



**[٣٨٦]** عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ؛ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي**

**يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**». رواه البخاري.

آذنته: أعلمته بأني محارِب لَهُ، والولي: هو من تقرب إلى الله تعالى بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وفي الحديث: وعيد شديد لمن عادى وليًّا من أولياء الله، وفيه: أن أحب الأعمال إلى الله أداء فرائضه، وأن كثرة النوافل توجب محبة الله للعبد وقربه له، فيرتقي إلى درجة الإحسان، فيمتلأ قلبه بمعرفة الله تعالى، وعظمته، وخوفه، ورجائه، فإنْ نطق: نطق بالله، وإنْ سمع: سمع به، وإنْ نظر نظر به، وإنْ بطش بطش به. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨].

ولكن، من هو وليّ الله؟ ولي الله ﷺ في قوله: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**﴾ [يونس: ٦٢- ٦٣]. هؤلاء هم أولياء الله، فمَن كان مؤمناً تقياً كان لله ولياً، هذه هي الولاية، وليست الولاية أن يلبس الإنسان اللباس الخشن، أو أن يترهبن أمام الناس، أو أن يطيل كمّه أو أن يخنع رأسه؛ بل الولاية الإيمان والتقوى، فمن عادى هؤلاء فإنه أعلن الحرب مع الله.



**[٣٨٧]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَى العَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ فُلَانًا، فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ**». متفق عليه.

ومن علامات محبة الله، أن يوضع للإنسان القبول في الأرض، بأن يكون مقبولاً لدى الناس، محبوباً إليهم، فإن هذا من علامات محبة الله تعالى للعبد، وفي رواية لمسلم: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ**

**يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، ثُمَّ تُوْضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ فِي الأَرْضِ**». المراد بالقبول، الحب للعبد في قلوب أهل الدين والخير، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا**﴾ [مريم:٩٦].



**[٣٨٨]** وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ فَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِـ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾، فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذٰلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذٰلِكَ؟**»فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمٰنِ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: دليل على أن من أحب هذه السورة لأجل أنها صفة الله، أحبّه الله، وعلى جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس والاستكثار منه، أن الجزاء يترتب بحسب النية والقصد، وجواز الجمع بين سورتين غير الفاتحة في ركعة واحدة.

## ٤٨- إيذاء الصَّالحين والضَّعفة والمساكين

قَالَ الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨].

في هذه الآية: التحذير من إيذاء المؤمنين بغير جناية استحقوا بها الإيذاء، والأذية: هي أن تحاول أن تؤذي الشخص بما يتألم منه قلبياً، أو بما يتألم منه بدنياً؛ سواء كان ذلك بالسب، أو بالشتم، أو باختلاق الأشياء عليه، أو بمحاولة حسده، أو غير ذلك من الأشياء، وهذا كله حرام؛ ولا حرج من أن يؤذي الإنسان شخصاً بسبب كسبه هو وجنايته على نفسه. وفي الحديث: قيل: يا رسول الله! ما الغيبة؟ قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، قال: أرأيت إنْ كان فيه ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ**». وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى:٩-١٠]. أي: لا تقهر اليتيم على مالِه فتذهب بحقه لضعفه. قال النبي ﷺ: «**خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُحْسَنُ إِلَيْهِ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يُسَاءُ إِلَيْهِ**». وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾، أي: لا تنهره ولا تزجره إذا سألك، قال قتادة: رُدَّ السائل برحمةٍ ولينٍ، وقيل: نِعْم القوم السُّؤَّال، يحملون زادنا في الآخرة، وقيل في معناها: أي فلا تكن جبَّارًا ولا متكبِّرًا، ولا فحَّاشًا، ولا فظًّا على الضعفاء من عباد الله.

وحديث أَبي هريرة رضي الله عنه: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**»، ومنها حديث سعد بن أَبي وقاص رضي الله عنه السابق في باب ملاطفة اليتيم، وقوله ﷺ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ**»، وكِلا الحديثين يدلّان على تحريم إيذاء الصالحين، والضعفة، والمساكين بخصوصهم، ومثلهم سائر المؤمنين لحرمة الإيمان وشرفه.



**[٣٨٩]** وعن جندب بن عبد الله رضي الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**». رواه مسلم.

قوله: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةَ الصُّبْحِ**»: أي في جماعة، كما في رواية أُخرى لمسلم، وكأنها إنما خصت بذلك لأنها أول النهار الذي هو وقت انتشار الناس في حوائجهم، وفي الحديث: غاية التحذير عن التعريض لمن صلَّى الصبح المستلزم لصلاة بقية الخمس.



## ٤٩- إِجراء أحكام النّاس على الظّاهر

نحن في الدنيا بالنسبة لنا مع غيرنا، فالواجب إجراء الناس على ظواهرهم؛ لأننا لا نعلم الغيب، ولا نعلم ما في القلوب، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، ولسنا مكلفين بأن نبحث عما في قلوب الناس، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥].

قال السيوطي: لم يكتف في تخلية السبيل بالتوبة من الشرك حتى يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، واستدل به الشافعي على قتل تارك الصلاة، وقتال مانع الزكاة، فالإنسان يوم القيامة يحاسب على ما في قلبه، وفي الدنيا على ما في لسانه وجوارحه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٨-٩]، أي تختبر السرائر والقلوب، فكم من إنسان يصلي، ويصوم، ويتصدق، ويحج، لكن قلبه فاسد؛ وها هم الخوارج الذين حدّث عنهم النبي ﷺ أنهم يصلّون، ويصومون، ويتصدقون، ويقرؤون القرآن، ويقومون الليل، ويبكون، ويتهّجدون، ويحقر الصحابي صلاته عند صلاتهم، لكن النبي ﷺ قال: «**لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ**»، مع أنهم صالحوا الظواهر، فلا تغتر بذلك، وانظر قبل كل شيء إلى قلبك.



**[٣٩٠]** عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ تَعَالَى**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فالعمل بالظواهر؛ فإذا شهد إنسان أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأقام الصلاة، وآتى الزكاة؛ عُصم دمُه ومالُه، وحسابه على الله؛ فليس لنا إلا الظاهر.

**[٣٩١]** وعن أبي عبد الله طارق بن أَشَيْم ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى**».
رواه مسلم.

قوله: «**مَنْ قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ**»، أي: مع قرينتها وهي: محمد رسول الله، وكفر بما يُعبد من دون الله من أيّ معبود كان، حرم ماله ودمه على المسلمين، وحسابه في صدقه وكذبه على الله تعالى.

**[٣٩٢]** وعن أبي معبد المقداد بن الأسْود ﷺ قال: قلت لرسول الله ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الكُفَّارِ، فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إِحْدَى يَدَيَّ بِالسَّيْفِ، فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لله، أَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ الله بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ فَقَالَ: «**لَا تَقْتُلْهُ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قَطَعَ إِحْدَى يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذٰلِكَ بَعْدَ مَا قَطَعَهَا؟! فَقَالَ: «**لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومعنى «**فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ**»، أي: معصوم الدم محكوم بإسلامه، ومعنى أنك بمنزلته أي: مباح الدمِ بالقصاص لورثتهِ، لا أنه بمنزلته في الكفر.

في الحديث: دليل على أنّ كل من صدر عنه ما يدل على الدخول في الإسلام من قول أو فعل حكم بإسلامه، حتى يتبيَّن منه ما يخالفه، وقد حكم ﷺ بإسلام بني خزيمة الذين قتلهم خالد بن الوليد بقولهم: صبأنا صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فلما بلغ

ذلك النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ**»، ثم واداهم، والظاهر أنه لا يلزمه قصاص، ولكن تلزمه دية.



**[٣٩٣]** وعن أسامة بن زيدٍ ﵄، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ فَصَبَّحْنَا القَوْمَ عَلَى مِيَاهِهِمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشَيْنَاهُ، قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الأَنْصَارِيُّ، وطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ، بَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: «**يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ؟!**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذاً. فَقَالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ؟!**». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ اليَوْمِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «**أَقَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَقَتَلْتَهُ؟!**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟!**». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ.

الحُرَقَةُ: اسم قَبِيلة، وقوله: مُتَعَوِّذًا: أيْ مُعْتَصِمًا بِهَا مِنَ القَتْلِ لا معْتَقِدًا لَهَا.



**[٣٩٤]** وعن جندب بن عبد الله ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّهُمْ التَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَأَنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، وَكُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ، قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ البَشِيرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَسَأَلَهُ وَأَخبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «**لِمَ قَتَلْتَهُ؟**»، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا

رَأَى السَّيْفَ، قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَتَلْتَهُ؟**». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟**». فَجَعَلَ لَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟**». رواه مسلم.

فهذا دليل على أننا نحمل الناس في الدنيا على ظواهرهم، أمّا ما في القلوب فموعده يوم القيامة؛ تنكشف السرائر، ويحصّل ما في الضمائر، أما بالنسبة لمعاملتنا لغيرنا، فعلينا أن نعامل غيرنا بالظاهر، واسمع إلى قول الرسول ﷺ: «**إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ**»، يعني أفصح وأقوى دعوى، «**فَأَقْضِي لَهُ بِنَحْوِ مَا أَسْمَعُ، فَمَنِ اقْتَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقْتَطِعُ لَهُ جَمْرَةً مِنْ نَارٍ، فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**». يعني وراءك النار إذا كنت كاذباً في دعواك، وأنك أخذت القاضي بلسانك وبشهادة الزور. وخلاصة ما تقدم: أن الإنسان في الدنيا على الظاهر، وأما يوم القيامة فعلى الباطن.



**[٣٩٥]** وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وَإِنَّمَا نَأْخُذُكُمُ الآنَ بِمَا ظَهَرَ لَنَا مِنْ أَعمَالِكُمْ، فَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا خَيْرًا أَمَّنَّاهُ وَقَرَّبْنَاهُ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أَظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأْمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ وَإِنْ قَالَ: إِنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ. رواه البخاري.

لأن أناساً في عهد الرسول ﷺ كانوا منافقين يظهرون الخير ويبطنون الشر، ولكن الله تعالى كان يفضحهم بما ينزل من الوحي على رسوله ﷺ، يفضحهم لا بأسمائهم، ولكن بأوصافهم التي تحدد أعيانهم، والحكمة من ذكرهم بالأوصاف من دون الأعيان؛ أن ذلك

يكون للعموم، يعني لكل من اتصّف بهذه الصفات، مثل قوله تعالى:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وهذا كثير في سورة التوبة التي سمّاها بعض السلف: الفاضحة؛ لأنها فضحت المنافقين، لكن لما انقطع الوحي صار الناس لا يعلمون من المنافق؛ لأن النفاق في القلب.





# ٥٠- الخَوف

قال الله تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠]. الرهبة: الخوف.

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ، إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ، وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ، يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود:١٠٢-١٠٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]. أي: يخوّفكم عقابه، وفي ذلك غاية التحذير. قال الحسن البصري: من رأفته بهم حذَّرهم بنفسه.

وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤: ٣٧]. أي: يشغله عن شأن غيره.

وقال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى﴾. يعني من شدة ما ترى من الأهوال ومن الأفزاع، ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١-٢].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

وفي الحديث المتّفق عليه: أن رسول الله ﷺ قال: «جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ ﷻ إِلَّا رِدَاءُ الكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ».

وقال الله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ، قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ، إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٥-٢٨]. ومعناه: أقبل أهل الجنة يتحادثون وهم على طعامهم وشرابهم، ويتساءلون عن أحوالهم في الدنيا.

وقال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾. يعني: يعطون ما أعطوا من الأعمال الصالحة، ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة ألا تقبل منهم، ﴿أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. فينبغي، بل يجب أن يكون سير الإنسان إلى الله ﷻ دائراً بين الخوف والرجاء، لكن أيهما يغلب؟ هل يغلب الرجاء؟ أو يغلب الخوف؟ أو يجعلهما سواء؟ قال الإمام أحمد ؒ: ينبغي أن يكون خوفه ورجاءه واحداً، فأيهما غلب هلك صاحبه؛ لأنه إن غلب جانب الرجاء، صار من الآمنين من عذاب الله، وإن غلب جانب الخوف؛ صار من القانطين من رحمة الله، وكلاهما سيء، فينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً.



**[٣٩٦]** عن ابن مسعود ﷺ، قال: حدّثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبينَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ فَيعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ولكن أبشروا، فإن هذا الحديث مقيّد؛ بأنه لا يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس، يظنون أنه صالح، ولكن في قلبه فساد، وهو من أهل النار، وأما الذي يعمل بعمل

أهل الجنة بقلب وإخلاص فإن الله لا يخذله، وفيه: عدم الاغترار بصور الأعمال، لأن الأعمال بالخواتيم.

قوله: "الصادق المصدوق": الصادق فيما يقول، والمصدوق فيما يوحى إليه من الوحي، وإنما قدم هذه المقدمة؛ لأنه سيخبر عن أمر غيبي باطن يحدث في ظلمات ثلاث، فإذا جامع الرجل امرأته، وألقى في رحمها الماء، بقي أربعين يوماً وهو نطفة على ما هو عليه، ماء، لكنه يتغير شيئاً فشيئاً، يميل إلى الحمرة، فإذا تم عليه أربعون يوماً، إذا هو قد استكمل الحمرة وصار قطعة دم؛ علقة، فيمضي عليه أربعون يوماً أخرى وهو علقة، يعني قطعة دم، لكنها جامدة، ولكنه يثخن ويغلظ شيئاً فشيئاً، حتى يتم له ثمانون يوماً، فإذا تم له ثمانون يوماً فإذا هو مضغة؛ قطعة لحم، في الرحم. قال الله تعالى فيها: ﴿مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ [الحج: ٥]، فتبقى أربعين يوماً، أي من واحد وثمانين يوماً إلى مائة وعشرين يوماً، ولا يتبين فيها الخلق تبيناً ظاهراً إلا إذا تم لها تسعون يوماً في الغالب، فإذا مضى عليها أربعون يوماً وهي مضغة، أرسل الله إليها الملك الموكل بالأرحام؛ فينفخ فيه الروح بإذن الله، وهذه الروح أمر لا يعلمه إلا الله، ينفخها في هذا البدن، ليس فيها حراك ولا إحساس ولا شيء، فإذا نفخ هذه الروح في هذا البدن، تسير فيه كما تسير الجمرة في الفحمة، حتى تدخل في الجسد كله، فيكون إنساناً يتحرك، وتحس الأم بهذه الحركه بعد مائة وعشرين يوماً، وحينئذ يكون إنساناً. فإذا تم مائة وعشرين يوماً، يعني أربعة أشهر، صار حينئذ إنساناً، فإذا سقط بعد ذلك، فإنه يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، لو كان قدر اليد، ويدفن في مقابر المسلمين إن كان مسلماً، وإن كان من أولاد النصارى، يعني أمه وأبوه من النصارى، فلا يدفن في مقابر المسلمين، بل يخرج ويدفن من دون تغسيل ولا تكفين؛ فإن الرسول ﷺ سئل عن أولاد المشركين فقال: «**هُمْ مِنْهُمْ**». ثم يؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه هل هو قليل أم كثير؟ ومتى يأتيه؟، وأجله في أي يوم؟ وفي أي مكان؟ وفي أي ساعة؟ وفي أي لحظة؟ وعن بعد

أم قرب؟ وبأي سبب من الأسباب موته؟ وعمله هل هو صالح أم سيء؟ وشقي أم سعيد، كل هذا يكتب، لكن أين يكتب؟ وردت آثار أنه يكتب في جبينه، على جبهته.

فإن قال قائل: كيف تتسع الجبهة لكتابة هذه الأشياء كلها؟ قلنا: لا تسأل عن أمور الغيب، ومن أنت حتى تسأل عن أمور الغيب؟

قل آمنت بالله وصدقت بالله وبرسوله، ولا تسأل: كيف؟ وقد وقع الآن في وقتنا ما يشهد لمثل هذا؛ ذاكرة صغيرة تسمى (فلاشة) بقدر حبة العدس، يكتب عليها الإنسان آلاف بل ملايين الكلمات والملفات، وهو من صنع البشر، فما بالك بصنع الله؟!



**[٣٩٧]** وعنه، قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**». رواه مسلم.

ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿**كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا، وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا، وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ [الفجر: ٢١: ٢٤].



**[٣٩٨]** وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوْضَعُ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَأَنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: "أهل النار": أي الكفار، لأنهم أهلها الخالدون فيها أبدًا، وأما العصاة فإن الله يعذب فيها من يشاء منهم، ثم يدخله الجنة.



**[٣٩٩]** وعن سمرة بن جندب ﷺ، أن نبي الله ﷺ قال: «**مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ**». رواه مسلم.

الحُجْزَةُ: مَعْقِدُ الإِزَارِ تَحْتَ السُّرَّةِ، وَالتَّرْقُوَةُ: هِيَ العَظمُ الَّذِي عِنْدَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ.

وفيه: أنّ عذاب بعضهم أشد من بعض. قال الله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾ [الأحقاف:١٩].

**[٤٠٠]** وعن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**يَقُومُ النَّاس لِرَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَالرَّشْحُ: العَرَقُ، حيث يؤتى يوم القيامة بجهنم، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرّونها، وهذا يدل على هول هذه النار وهول ذلك اليوم؛ فهذا العدد الكبير من الملائكة يدل على أن الأمر عظيم والخطر جسيم، وبيّن النبي ﷺ أن أهون أهل النار عذاباً، من يوضع في قدميه جمرتان من نار يغلي منهما دماغه، وهو يرى أنه أشد الناس عذاباً، وأنه لأهونهم؛ لأنه لو رأى غيره؛ لهان عليه الأمر، فحينئذ يتضجر ويزداد بلاء ومرضاً نفسياً، وذكر أيضاً أن الناس في يوم القيامة يبلغ العرق منهم إلى الكعبين، وإلى الركبتين، والحقوين، ومن الناس من يلجمه العرق، فالأمر خطير .



**[٤٠١]** وعن أنس قال: خطبنا رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قَطّ، فقال: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»، فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: بَلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ،

فَخَطَبَ فَقَالَ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَمْ أَرَ كَاليَوْمِ فِي الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»، فَمَا أَتَى عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ، والخَنِينُ: هُوَ البُكَاءُ مَعَ غُنَّةٍ.

**[٤٠٢]** وعن المقداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ**». قَالَ سُلَيْم بنُ عامِر الراوي عن المقداد: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بالمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأَرْضِ أَم المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَامًا**»، وأشار رسول الله ﷺ بيدهِ إِلَى فِيهِ. رواه مسلم.

الميل عند العرب: مقدار مدّ البصر من الأرض، وقيل: ثلاثة آلاف ذراع، وقيل: أربعة آلاف ذراع، وهذا كله خطر عظيم، فإذا كانت الشمس في هذه الدنيا، وبعدها عنّا مسافة (٩٣) مليون ميلاً، بهذه الحرارة! فكيف إذا كانت بهذا القرب؟! وهذه الأحاديث كلها تدل على عظم يوم القيامة، وأن على المؤمن أن يخاف من هذا اليوم العظيم.



**[٤٠٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. يذهب في الأرض: ينزل ويغوص، قيل: سبب العرق في المحشر شدة كرب يوم القيامة وأهوالها.



**[٤٠٤]** وعنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة، فقال: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا هٰذَا؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هٰذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا**». رواه مسلم.

الوجبة: السقطة مع الهدة، يقال: وجب الحائط ونحوه، أي سقط، قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا**﴾ [الحج: ٣٦]. وفي الحديث: إن الإنسان إذا سُئل عمّا لا علم له به أن يكِلَ العلم فيه إلى الله ﷻ، وفيه: أن قعر النار تحت الأرض السابعة.

**[٤٠٥]** وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**لَيْسَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ**»: المراد أن الله يكلمه بلا وساطة.



**[٤٠٦]** وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونُ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا للهِ تَعَالَى، وَاللهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الأطيط: صوت يصدر عن حركة الأخشاب والعيدان، ومعناه: أَنَّ كَثرَةَ مَنْ فِي السَّماءِ مِنَ المَلَائِكَةِ العَابِدِينَ قَدْ أَثْقَلَتْهَا حَتَّى أطّتْ، وَالصُّعُداتُ: الطُّرُقَاتُ، وتَجْأَرُونَ: تَسْتَغِيثُونَ.

قوله: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ**»، أي: من عظمة جلال الله تعالى، وشدة انتقامه. «**لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»، أي: خوفاً من سطوة الجبار ﷻ، وفيه: إيماء إلى أن المطلوب من العبد أن لا ينتهي به الخوف إلى اليأس والقنوط، بل يكون عنده بعض الرجاء فيعمل معه الخير، ويكون عنده من الخوف ما ينزجر به عن المُخَالَفَة.

**[٤٠٧]** وعن أَبي برزة، نَضْلَة بن عبيد الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفناهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ؟**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

**[٤٠٨]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾ [الزلزلة:٤]. ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟**». قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا فِي يَوْمِ كَذَا وكَذَا فَهٰذِهِ أَخْبَارُهَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ونظيره، قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ، حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [فصلت: ١٩- ٢١].



**[٤٠٩]** وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ! وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ التَقَمَ القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ**»، فَكَأَنَّ ذٰلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ**». رواه الترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

القَرْنُ: هُوَ الصُّورُ الذي قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، كذا فسَّره رسول الله ﷺ، قوله: «كَيْفَ أَنْعَمُ»: أي: كيف أطيب عيشاً، وقد قرب أمرُ الساعة.



**[٤١٠]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

أدلج: أي هرب في أول الليل، ومن أدلج بلغ المنزل الذي يأمن فيه البيات، وقيل معناه: سار من أول الليلِ، والمراد التشمير في الطاعة، فهو يدل على اهتمامه في المسير، وأنه جاد فيه، ومن كان كذلك بلغ المنزل.



**[٤١١]** وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذٰلِكَ**». وفي رواية: «**الأَمْرُ أَهَمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

غُرْلًا: غَيْرَ مَخْتُونِينَ.

في هذا الحديث: عظم هول يوم القيامة. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١، ٢].

يخرج الناس من قبورهم كيوم ولدتهم أمهاتهم، يعني في كمال الخلقة، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. يعني عراة، والأمر أكبر أو أعظم من أن يهمهم ذلك، أو أن ينظر بعضهم إلى بعض، فالأمر عظيم جداً، لا ينظر أحد إلى أحد؛ ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].



## ٥١- الرَّجاء

رُوي عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، ولا يبالي ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورِ الرَّحِيمُ﴾.

الرجاء: تعليق القلب بمحبوب في المستقبل، والفرق بينه وبين التمنِّي؛ أن التمنِّي يصاحبه الكسل، والرجاء يبعث على صالح العمل، ويطلقُ الرجاء على الخوف، ومنه قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، أي لا تخافون له عظمة، وقال ابن عباس: لا تُعَظِّمون الله حقَّ عظمته، أي: لا تخافون من بأسه ومن نقمته، قال ابن كثير: نزلت هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة.

ورُوي عن ابن عمر قال: كنا معاشر أصحاب رسول الله ﷺ نقول: ليس شيء من حسناتنا إلا وهي مقبولة، حتى نزلت: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، فكنا إذا رأينا من أصاب شيئًا من الكبائر، قلنا: قد هلك، فنزلت هذه الآية، فكففنا عن القول في ذلك، وكنا إذا رأينا أحدًا أصاب منها شيئًا خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئًا رجونا له. وقال تعالى: ﴿وَهَلْ يُجَازَى إِلَّا الْكَفُورُ﴾، وفي القراءة الأخرى: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾، أي: عاقبناهم بكفرهم، وهل نجازي إلا الكفور؟ وقال طاوس: لا يناقش إلا الكفور، وقال بعض العلماء: جزاء المعصية الوهن في العبادة، والضيق في المعيشة، والتعسُّر في اللذة، لا يصادف لذة حلالاً إلا جاءه ما ينغّصه إياها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [طه: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، أي: وسعت في الدنيا البرَّ والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة. قال ابن عباس: لما نزلت: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾، قال إبليس: أنا من ذلك الشيء، فقال الله ﷻ: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فتمنّاها اليهود والنصارى،

فجعلها الله لهذه الأمة، فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٧].



**[٤١٢]** عن عبادة بن الصامتِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ أَنَّ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ**». في هذا الحديث: بشارة لأهل التوحيد بدخول الجنة، وعدم الخلود في النار. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].



**[٤١٣]** وعن أبي ذرّ ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ ﷻ: مَنْ جَاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً**». رواه مسلم.

معنى الحديث: «**مَنْ تَقَرَّبَ**» إلي بطاعتي «**تَقَرَّبْتُ**» إليه برحمتي، وإن زاد زدت، «**وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي**» وأسرع في طاعتي «**أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»، أي: صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، و«**بِقُرَابِ الْأَرْضِ**»: ما يقارب ملأها.

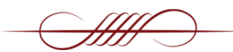
فيه: أن الجزاء على قدر العمل السيئ، وأن العمل الصالح يضاعف لفاعله.



**[٤١٤]** وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ الله، مَا المُوجِبَتَانِ؟ قَالَ: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**». رواه مسلم.

**[٤١٥]** وعن أنس رضي الله عنه، أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرَّحْل، قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**»، قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وسَعْدَيْكَ، ثَلَاثًا. قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**». قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِروا؟ قَالَ: «**إِذًا يَتَّكِلُوا**». فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

تَأَثُّمًا: خوفَ الإثم في كتم هذا العلم. إِذًا يَتَّكِلُوا: يتركوا العمل ويتكلوا على ذلك.



**[٤١٦]** وعن أبي هريرة، أو أبي سعيد الخدري، رضي الله عنهما، شَكَّ الرَّاوِي، وَلَا يَضُرُّ الشَّكُّ فِي عَيْنِ الصَّحَابِيِّ؛ لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ عُدُولٌ، قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزوَةُ تبُوكَ، أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحنَا فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**افْعَلُوا**»، فَجَاءَ عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ، وَلٰكِنِ ادْعُهُمْ بفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ لَهُمْ فِي ذٰلِكَ البَرَكَةَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ**»، فَدَعَا بِنَطْعٍ فَبَسَطَهُ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النّطْعِ مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ**»، فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ

حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي العَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلأُوهُ، وَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لَا يَلْقَى اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ**». رواه مسلم.

وفيه: تقديم الأهم فالأهم، وارتكاب أخف الضررين دفعاً لأشدهما، وفيه: أن المؤمن لا بدَّ له من دخول الجنة، إمَّا ابتداء مع الناجين أو بعد إخراجه من النار، لكن إن كانت المعصية في أمر يتعلق بالمخلوقين، فلا بد من إيفائهم حقهم في الدنيا قبل الآخرة، حتى تصح توبتك، أما غير التائبين، إن كان عملهم كفراً، فإنه لا يُغفر، وإن كان سوى الكفر، فإنه تحت المشيئة،؛ إن شاء الله عذب عليه، وإن شاء غفر له، فإن كان من الصغائر، فإن الصغائر تكفّر باجتناب الكبائر.

---

**[٤١٧]** وعن عِتْبَانَ بن مالك رضي الله عنه، وهو ممن شهد بدراً، قال: كُنْتُ أُصَلِّي لِقَوْمِي بَنِي سَالِمٍ، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وبَيْنَهُمْ وَادٍ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِهِمْ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي، وَإِنَّ الوَادَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ قَوْمِي يَسِيلُ إِذَا جَاءَتِ الأَمْطَارُ، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ، فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأْتِي فَتُصَلِّي فِي بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَأَفْعَلُ**»، فَغَدَا عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بَعْدَ مَا اشْتَدَّ النَّهَارُ، وَاسْتَأْذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّى قَالَ: «**أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟**»، فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَى المَكَانِ الَّذِي أُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَصَلَّى رَكعَتَيْنِ ثُمَّ سَلَّمَ، وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ، فَحَبَسْتُهُ عَلَى خَزِيرَةٍ تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أَهلُ الدَّارِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي، فَثَابَ رِجَالٌ مِنْهُمْ حَتَّى كَثُرَ الرِّجَالُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ لَا أَرَاهُ! فَقَالَ رَجُلٌ: ذٰلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَقُلْ ذٰلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ تَعَالَى**»، فَقَالَ:

اللهُ ورسُولُهُ أَعْلَمُ، أَمَّا نَحْنُ فَوَاللهِ مَا نَرَى وُدَّهُ وَلَا حَدِيثَهُ إِلَّا إِلَى الْمُنَافِقِينَ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الْخَزِيرَةُ: هي دقيق يطبخ بشحم. ثَابَ رِجَالٌ: جاؤوا واجتمعوا.

من فوائد الحديث: إمامة الأعمى، وإخبار المرء عن نفسه بما فيه من عاهته، ولا يكون من الشكوى، والتخلف عن الجماعة في المطر والظلمة، وليس في الحديث دليل على أن تارك الصلاة لا يكفر؛ لأننا نعلم علم اليقين، أن من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله لا يمكن أن يترك الصلاة، هذا محال؛ فالذي يقول: أنا أقول لا إله إلا الله أبتغي بذلك وجه الله وهو لا يصلي، فهو من أكذب الكاذبين، لو كان يبتغي وجه الله ما ترك الصلاة وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

ومن فوائد الحديث: جواز قول الإنسان سأفعل في المستقبل، وإن لم يقل إن شاء الله، فإن قال قائل: ما الجمع بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ**﴾ [الكهف: ٢٣- ٢٤]، لشيء: عام سواء من فعل الله أو من فعلك؟ قلنا: له نيتان: إما أن يكون جازماً بالفعل، فهذا لا يقوله إلا أن يقول إن شاء الله؛ والنية الثانية: إذا قال: سأفعل، يريد أن يخبر عما في قلبه من الجزم من دون أن يقصد الفعل؛ ولا يكون مقروناً بمشيئة الله، فهذا لا بأس به.

ومنها: أن الإنسان يُعذر بترك الجماعة فيما إذا كان بينه وبين المسجد ما يشق عليه، وقد كان من هدي النبي ﷺ أنه كان ينادي مناديه في الليلة المطيرة؛ أن صلوا في رحالكم، يعني في أماكنكم، وذلك من أجل أن لا يشق على الناس.

ومنها: أن المصلى الذي يكون في البيت لا يكون له حكم المسجد، فيجوز للإنسان أن يبقى فيه وهو جُنب، ولا يلزمه فيه تحية المسجد، وإذا أراد أن يعتكف فيه؛ لم يصح اعتكافه، حتى لو كانت امرأة ولها مسجد في بيتها، فإنها لا تعتكف فيه.

ومنها: أنه يجوز أن تُقام الجماعة في النوافل؛ لكن ليس دائماً بل أحياناً، فلما تقدم الرسول ﷺ، وصلى بهم ركعتين، صلوا خلفه، فإذا صلى الإنسان الراتبة مثلاً أو سنة الضحى، إذا صلاها جماعة؛ فلا بأس بذلك أحياناً.

ومنها: أنه لا بأس أن يتخذ الإنسان مصلى يعتاد الصلاة فيه في بيته، ولا يقال إن هذا مثل اتخاذ مكان معين في المسجد لا يصلي إلا فيه، فإن النبي ﷺ نهى عن استيطان كاستيطان البعير، يعني عن اتخاذ موطن كأعطان الإبل، تأوي إليه وتبيت فيه.

ومنها: أن الإنسان يبدأ بالشغل الذي يريده قبل كل شيء؛ لأن النبي ﷺ صلى في المكان قبل أن يجلس، وقبل أن ينظر إلى ما صنع له من الطعام.

ومنها: أن الرسول ﷺ كان على جانب كبير من التواضع؛ لأنه لما انتهى من الصلاة، انتظر طويلاً على طعام ليس بذاك الجيد.

ومنها: وهي من أكبر فوائد هذا الحديث؛ أن من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله، فإن الله يحرم عليه النار، ومعلوم أن الذي يقول هذا طالباً وجه الله، فسيفعل كل شيء يقربه إلى الله، من فروض ونوافل، فلا يكون في هذا دليل للكسالى والمهملين؛ يقولون: نحن نقول لا إله إلا الله نبتغي بذلك وجه الله!



**[٤١٨]** وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتْهُ بِبَطْنِهَا فَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هٰذِهِ المَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**»، قُلْنَا: لَا وَاللهِ، فَقَالَ: «**للهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هٰذِهِ بِوَلَدِهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**بِعِبَادِهِ**»، قيل: لفظ العباد عام، ومعناه خاص بالمؤمنين، وهو كقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥].



**[٤١٩]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي**»، وفي رواية: «**غَلَبَتْ غَضَبِي**»، وفي رواية: «**سَبقَتْ غَضَبِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قيل: الغضب لا ينال الخلق إلا بالاستحقاق، فالرحمة تشمل الشخص جنيناً ورضيعاً وفطيماً، وناشئاً، قبل أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من الذنوب ما يستحق ذلك.

**[٤٢٠]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِئَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأَنْزَلَ فِي الأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الخَلائِقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ**»، وفي رواية: «**إِنَّ للهِ مِئَةَ رَحمَةٍ، أَنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالبَهَائِمِ وَالهَوامِّ، فِبهَا يَتَعَاطَفُونَ، وَبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وَبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَى وَلَدِهَا، وَأَخَّرَ اللهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ورواه مسلم أيضاً من رواية سلمان الفارسي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ للهِ تَعَالَى مِئَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحَمُ بِهَا الخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعٌ وَتِسْعُونَ لِيَومِ القِيَامَةِ**»، وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مَئَةَ رَحْمَةٍ، كُلُّ رَحْمَةٍ طِبَاقُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الأَرْضِ رَحْمَةً، فَبِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلَى وَلَدِهَا، وَالوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَإِذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أَكْمَلَهَا بِهذِهِ الرَّحْمَةِ**».

قال القرطبي: مقتضى هذا الحديث، أن الله أعلمنا أن أنواع النعم التي ينعم بها على خلقه مئة نوع، فأنعم عليهم في هذه الدنيا بنوع واحد انتظمت به مصالحهم، وحصلت به

مرافقتهم، فإذا كان يوم القيامة كمّل لعباده المؤمنين ما بقي، فبلغت مئة. وقيل: في الحديث إدخال السرور على المؤمنين، لأن العادة أنّ النفس يكمل فرحها بما وهب لها، إذا كان معلوماً مما يكون موعوداً، وفيه: اتساع الرجاء في رَحَمات الله تعالى المدخرة.

[٤٢١] وعنه، عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربّه ﷻ، قال: «**أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ اللهُ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ ﷻ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقوله تعالى: «**فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ**»، أَيْ: مَا دَامَ يَفْعَلُ هٰكَذَا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أَغْفِرُ لَهُ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا. قال القرطبي: يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار، وعلى عظيم فضل الله، وسعة رحمته وحلمه، وكرمه.

[٤٢٢] وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**». رواه مسلم.

ومعنى الحديث: أنه لو لم تقع ذنوب من بني آدم؛ لأزالهم الله عن هذه الحياة، ولأتى بغيرهم تقع منهم الذنوب، ويستغفرون الله فيغفر لهم، وليس معناه أن الله يحب من عباده أن يذنبوا، ولكن الواقع أن بني آدم تقع منهم الذنوب، ومنهم من يستغفر الله فيغفر الله له، ولهذا أبقاهم.

وفي الحديث أيضًا كسر العجب من الإنسان، فلا يعجب بنفسه وبعمله؛ لأنه محل للخطأ، ومحل للزلل، ومحل للنقص، ولا يظن أنه استكمل العبادة، أو أنه ليس بحاجة إلى الاستغفار، فهذا فيه الحث على الاستغفار، وأن الله يحب من عباده أن يستغفروه.

**[٤٢٣]** وعن أبي أيوب خالد بن زيد ﵁، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ، لَخَلَقَ اللهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**». رواه مسلم.

قيل: ليس هذا تحريضاً للناس على الذنوب، بل كان لتسلية الصحابة، وإزالة شدة الخوف عن صدورهم، حتى فرّ بعضهم إلى رؤوس الجبال للعبادة، وبعضهم اعتزل النساء.

**[٤٢٤]** وعن أبي هريرة ﵁، قال: كُنَّا قُعُودًا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمْرُ ﵄، فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا فَخَشِينا أَنْ يُقتطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ الله ﷺ، حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلْأَنْصَارِ،... وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَى قَوْلِهِ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اِذهَبْ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هٰذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، مُسْتَيقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**». رواه مسلم. في هذا الحديث: البشارة بدخول الجنة للموحّدين، إمّا ابتداء، أو بعد دخول النار لمن يغفر له من العاصين.



**[٤٢٥]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، أن النبي ﷺ تلا قول الله ﷻ في إبراهيم ﵇: ﴿**رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ [إبراهيم: ٣٦].

وقال عِيسَى ﷺ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]. فرفع يديه وقال: «**اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي**»، وبكى، فقال الله ﷻ: «**يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ- وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟**»، فأتاه جبريل فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ، بما قال- وهو أعلم- فقال الله تعالى: «**يَا جِبرِيلُ، اِذْهَبْ إِلَى مُحَمّدٍ، فَقُلْ: إنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوؤُكَ**». رواه مسلم.

وقد أرضاه الله ﷻ في أمّته، بأن جعل لهذه الأمة أجرها مضاعفاً، وأنهم الآخرون السابقون يوم القيامة، ومثل قوله: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ وَلَمْ تُحَلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي**».

---

**[٤٢٦]** وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى حِمَارٍ، فَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَى الله؟**»، قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَى الله أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «**لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ولكن معاذاً أخبر بها عند موته تأثماً، يعني خوفاً من إثم كتمان العلم.

قال العلماء: يؤخذ من مَنْع معاذٍ من تبشير الناس لئلا يتّكلوا.

إن أحاديث الرخص لا تُشاع في عموم الناس، لئلا يقصر فهمهم عن المراد بها، وقد سمعها معاذ فلم يزدد إلا اجتهاداً في العمل، وقيل لوهب بن منبه: أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله؟ قال: بلى، وليس من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلّا لم يفتح لك.



**[٤٢٧]** وعن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:... «**الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَذَٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾**» [إبراهيم:٢٧]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من دام على الشهادة في الدنيا يلقِّنه الله تعالى إياها في قبره، وهذا من رجاء العبد بربّه، لكن الرجاء لابد أن يكون له عمل يُبنى عليه، أما الرجاء من دون عمل، فإنه تمنٍّ لا يستفيد منه العبد، ولهذا جاء في الحديث: «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِي**».



**[٤٢٨]** وعن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً، أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ**»، وفي رواية: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَى بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للهِ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**». رواه مسلم.

يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: **﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ، وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾** [الشورى:٢٠]، وقوله تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾** [النحل:٩٧].



**[٤٢٩]** وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ**». رواه مسلم.

الغَمْرُ: الكَثِيرُ، شبَّه ﷺ الدَّنَسَ المعنوي بالدنس الحسي، فكما أن الاغتسال كل يوم خمس مرات يذهب الوسخ، فكذلك الصلوات الخمس تذهب الذنوب، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ، وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٤- ١١٥].



**[٤٣٠]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**». رواه مسلم. وفي هذا الحديث: الحثُّ على تكثير عدد المصلين على الجنازة، رجاء أن يغفر الله للميت، بدعائهم وشفاعتهم.



**[٤٣١]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ في قُبَّةٍ نحواً من أربعين رجلاً، فقال: «**أَتَرْضَونَ أَنْ تكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟**»، قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «**أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟**». قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَذٰلِكَ أَنَّ الجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الأَحْمَرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله ﷺ: «**إِنِّي لَأَرْجُو**»، قال العلماء: كل رجاء جاء عن الله أو عن النبي ﷺ فهو كائن. قال القرطبي: وهذه قد حُقّقت له بقوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:٥]، وبقوله: «**إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ**»، وقد جاء في السُّنن والمسند، أن صفوف أهل الجنة مائة وعشرون، منها ثمانون من هذه الأمة، فتكون هذه الأمة ثلثي أهل الجنة، وهذا من رحمة الله ﷻ، ومن فضل الرسول ﷺ.



**[٤٣٢]** وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إِلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هٰذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ**». وفي رواية عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالَ الْجِبَالِ يَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ**». رواه مسلم. ومعناه ما جاء في حديث أبي هريرة ﵁: «**لِكُلِّ أَحَدٍ مَنْزِلٌ فِي الجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذٰلِكَ بِكُفْرِهِ**»، ومعنى فِكَاكُكَ: أنك كنت معرَّضاً لدخول النار، وهذا فِكَاكُكَ؛ لأن الله تعالى قدَّر للنار عدداً يملؤها، فإذا دخلها الكفار بذنوبهم وكفرهم، صاروا في معنى الفكاك للمسلمين، ونحن يوم القيامة، كل واحد منَّا يجعل بيده يهودي أو نصراني يُلقى في النار بدلاً عنه، يكون فكاكاً له من النار، ولا يلزم من هذا أن يكون اليهود والنصارى على قدر المسلمين، فالكفار أكثر من المسلمين بكثير؛ لأن بني آدم تسعمائة وتسعة وتسعون كلهم في النار وواحد في الجنة.



**[٤٣٣]** وعن ابن عمر ﵄، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. كَنَفَهُ: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ.

هذا الحديث من أرجى الأحاديث لمن لم يجاهر بذنوبه. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء:٤٨].



**[٤٣٤]** وعن ابن مسعود ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود:١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هٰذَا يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال ابن عباس: معناه الصلوات الخمس مكفرة الذنوب إذا اجتنبت الكبائر، ولكن لا بد أن تكون الصلاة على الوجه الذي يرضاه الله ﷻ، فلا بد من ملاحظة هذا القيد؛ لأن من الناس من يصلي ولكنه ينصرف من صلاته ما كتب له إلا عشرها أو أقل؛ لأن قلبه غافل، وكأنه ليس في صلاة؛ بل كأنه يبيع ويشتري، أو يعمل أعمالاً أخرى حتى تنتهي الصلاة، فإذا كبّر للصلاة؛ انفتحت عليه الهواجس من كل مكان، فإذا سلّم زالت عنه، ما يدل على أن هذا من الشيطان يريد أن يخرّب عليه صلاته حتى يُحرم من هذا الأجر العظيم.



**[٤٣٥]** وعن أنس ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يَا رَسُولَ الله أَصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ، قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله. قَالَ: «**هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلَاةَ**»؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**قَدْ غُفِرَ لَكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قول الرجل: "أَصَبْتُ حَدًّا"، مَعْنَاهُ: مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعْزِيرَ، وَلَيْسَ المُرَادُ الحَدَّ الشَّرْعِيَّ الحَقِيقيَّ كَحَدِّ الزِّنَا وَالخَمْرِ وَغَيْرِهِمَا، فَإِنَّ هٰذِهِ الحُدودَ لَا تَسْقُطُ بِالصَّلَاةِ، وَلَا يَجُوزُ لِلْإِمَامِ تَرْكُهَا.



[٤٣٦] وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**». رواه مسلم.

«**الأَكْلَة**»: هي المرةُ الواحدةُ مِنَ الأكلِ كَالغَدوَةِ وَالعَشْوَةِ.

[٤٣٧] وعن أَبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: إن الله تعالى يقبَل التوبة من عباده ليلاً ونهارًا ما لم يغرغره الموت، أو تطلع الشمس من مغربها. قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا**﴾ [الأنعام:١٥٨].



[٤٣٨] وعن أَبي نجيح عمرو بن عَبَسَة السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قال: كُنْتُ وَأَنَا فِي الجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَآءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «**أَنَا نَبِيٌّ**». قُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي اللهُ**». قُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**». قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هٰذَا؟ قَالَ: «**حُرٌّ وَعَبْدٌ**»، وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ رضي الله عنهما، قُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: «**إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذٰلِكَ يَوْمَكَ هٰذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ؟ وَلٰكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**». قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَقَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ المَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي، فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ

الأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ المَدِينَةَ حَتَّى قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِي المَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هٰذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ، فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذٰلِكَ، فَقَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيْتَنِي بِمَكَّةَ**». قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ؟ قَالَ: «**صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قِيْدَ رُمْحٍ، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بِالرُّمْحِ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى تُصَلِّيَ العَصْرَ، ثُمَّ اقْصُرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ**».

قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ الله، فَالْوُضُوءُ حَدِّثْنِي عَنْهُ؟ فَقَالَ: «**مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيَسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ وَفِيهِ وخَيَاشِيمِهِ، ثُمَّ إِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رَأْسِهِ مِنْ أَطْرَافِ شَعْرِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ قَدَمَيْهِ إِلَى الكَعْبَيْنِ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجْلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ المَاءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لله تَعَالَى، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

فَحَدَّثَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ بِهٰذَا الحَدِيثِ أَبَا أُمَامَةَ صَاحِبَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: يَا عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، انْظُرْ مَا تَقُولُ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ يُعْطَى هٰذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ عَمْرٌو: يَا أَبَا أُمَامَةَ، لَقَدْ كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظْمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَى الله تَعَالَى، وَلَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا- حَتَّى عَدَّ سَبْعَ مَرَّاتٍ- مَا حَدَّثْتُ بِهِ أَبَدًا، وَلٰكِنِّي سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذٰلِكَ. رواه مسلم.

قوله: "جُرَآءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ": أي جَاسِرونَ مُستَطِيلُونَ غيرُ هائِبينَ، هذه الرواية المشهورة، ورواه الحُمَيْدِيُّ وغيره. قوله ﷺ: «**بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ**»: أي ناحيتي رأسه، والمرادُ التَّمْثِيلُ، وقوله: «**يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ**»: معناه يحضِر الماء الذي يتوضّأ به، وقوله: «**إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَاهُ**»: أي سقطت، ورواه بعضُهم: «**جَرَتْ**»: بالجيم، والصحيح بالخاء وهو رواية الجمهور. وقوله: «**فَيَنْتَثِرُ**»: أي يستخرج ما في أنفهِ من أذى.

وعمرو بن عبسة، لما رأى ما عليه أهل الجاهلية، صار يتطلب الدين الصحيح الموافق للفطرة، حتى سمع بالنبي ﷺ في مكة، فجاء إليه، فوجده مستخفياً في بيته، لم يتبعه إلا حر وعبد؛ أبو بكر وبلال، ومن حكمة النبي ﷺ أنه قال لعمرو: "إنك لا تستطيع أن تعلن إسلامك في هذا اليوم، ولكن اذهب فإذا سمعت أني خرجت فأتني"، فذهب وأتى إليه بعد نحو ثلاثة عشرة سنة في المدينة، وأخبره أنه يعرفه، لم ينس طوال هذه المدة، ثم أخبره مما يجب عليه لله من حقوق، وبيّن له أن الإنسان إذا توضأ وأحسن الوضوء؛ خرجت خطاياه من جميع أعضائه، وأنه إذا صلى فإن هذه الصلاة تكفر عنه، فدل ذلك على أن فضل الله واسع.



**[٤٣٩]** وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَى رَحْمَةَ أُمَّةٍ، قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجَعَلَهُ لَهَا فَرَطًا وَسَلَفًا بَيْنَ يَدَيْهَا، وَإِذَا أَرَادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهْلَكَهَا وَهُوَ يَنْظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِهَلَاكِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوا أَمْرَهُ**». رواه مسلم.





## ٥٢- فضلُ الرَّجاء

ينبغي للإنسان أن يكون طامعاً في فضل الله ﷻ راجياً ما عنده. قال الله تعالى إخباراً عن العبد الصالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ إِنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾ [غافر: ٤٤- ٤٥].

قوله: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ﴾، أي: أتوكل عليه، لا أعتمد على غيره، ولا أرجو إلا إيَّاه، ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا﴾، أي ما أرادوا به من الشر.



**[٤٤٠]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**قَالَ اللهُ ﷻ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرنِي، وَاللهِ، للهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بِالفَلَاةِ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ورُوِيَ في الصحيحين: «**وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي**»، وفي هذه الرواية «**حَيْثُ**»، وكلاهما صحيح، فينبغي على المسلم أن يحسن الظن بالله تعالى، بقلبه وعمله، بأن يجد المسلم عملاً يقتضي حسن الظن بالله، أما أن يحسن الظن وهو لا يعمل؛ فهذا من باب التمني على الله، ومن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني فهو عاجز. وهذه الأحاديث وأمثالها، مما يؤمن به أهل السنة والجماعة، على أنه حق وحقيقة لله ﷻ، لكنَّنا لا ندري كيف تكون هذه الهرولة، وكيف يكون هذا التقرُّب، فهو أمر ترجع كيفيته إلى الله، وليس لنا أن نتكلم فيه، لكن نؤمن بمعناه ونفوض كيفيته إلى الله.



**[٤٤١]** وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام، يقول: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ** ﷻ». رواه مسلم. في هذا الحديث: الحث على حسن الظن بالله تعالى، والتحذير من القنوط خصوصاً عند الخاتمة. قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٢].

**[٤٤٢]** وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

عَنَانُ السَّماءِ: هو مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أَيْ: ظَهَرَ إِذَا رَفَعْتَ رَأسَكَ، وقيل: هو السَّحَابُ، وَقُرابُ الأَرض: وَهُوَ مَا يقارب مِلأَهَا. قال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وأسواقكم، ومجالسكم، وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة. وقال قتادة: إن هذا القرآن يدّلكم على دائكم ودوائكم، فأمَّا داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار.





## ٥٣- الجمع بين الخوف والرَّجاء

اختلف العلماء، هل الإنسان يغلب جانب الرجاء أو جانب الخوف؟ فمنهم من قال: يغلب جانب الرجاء مطلقاً، ومنهم من قال: يغلب جانب الخوف مطلقاً، ومنهم من قال ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه سواء، لا يغلب هذا على هذا، ولا هذا على هذا؛ لأنه إن غلب جانب الرجاء؛ أمن مكر الله، وإن غلب جانب الخوف؛ يئس من رحمة الله، وقال بعضهم: في حال الصحة يجعل رجاءه وخوفه واحداً كما اختاره النَّووي، وفي حال المرض يغلب الرجاء، والإنسان ينبغي له أن يكون طبيب نفسه، حتى يستوي خوفه ورجاؤه.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلَّا الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ الله إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

فالخوف يزجر العبد عن المعاصي، والرجاء يبعثه على الطاعات، فلا يأمن العقوبة، ولا يقنط من الرحمة. وقال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وَجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٦]. وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٦٥]. في هذا ترهيب وترغيب، وكل ما هو آت قريب، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ، وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٦- ٩]، وقال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، والآيات في هذا المعنى كثيرةٌ معلومة، فَيَجْتَمِعُ الخَوفُ والرجاءُ في آيَتَيْنِ مُقْتَرِنَتَيْنِ أو آيات أو آية، وثمة أحاديث في هذا المعنى، تدل على أنه يجب على الإنسان أن يجمع بين الخوف الرجاء، مثل:



**[٤٤٣]** عن أَبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤمِنُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ العُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ اللهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ**». رواه مسلم.

والمراد: لو يعلم علم حقيقة وعلم كيفية، لا أن المراد لو يعلم علم نظر وخبر؛ فإن المؤمن يعلم ما عند الله من العذاب، لكن حقيقة هذا لا تدرك الآن، لا يدركها إلا من وقع في ذلك، ويشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿**اِعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾، وقوله: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٥٦].



**[٤٤٤]** وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوِ الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ يَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ**». رواه البخاري. قولها: "قدموني قدموني"، هو اشتياق إلى ما أعده الله للمؤمن من نعيم القبر وما بعده، وقول الآخر: "يا ويلها، أين يذهبون بها"، هو جزع وتحسّر من الفاجر، ورهبة مما أُعد له من عذاب القبر وما بعده.



**[٤٤٥]** وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذٰلِكَ**». رواه البخاري.

وفي الحديث الآخر: «**إِنَّ الرَّجُلَ يَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مَا يَظُنُّ أَنْ يَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَأَنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخْطِ اللهِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ**»، فينبغي للمؤمن أن لا يزهد في القليل من الخير بالفعل والقول، وأن يجتنب الشر قليله وكثيره، والواجب على الإنسان أن يكون طبيب نفسه.





# ٥٤- البكاء من خشية الله

البكاء من خشية الله، يعني خوفاً منه وشوقاً إليه، وذلك أن البكاء له أسباب: تارة يكون الخوف، وتارة يكون الألم، وتارة يكون الشوق، وغير ذلك من الأسباب التي يعرفها الناس، ولكن البكاء من خشية الله، إما خوفاً منه وإما شوقاً إليه، فإذا كان البكاء من معصية فعلها الإنسان؛ فهذا البكاء سببه الخوف من الله، وإذا كان عن طاعة فعلها، كان هذا البكاء شوقاً إلى الله ﷻ.

قال الله تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩].

يعني عليها، والمراد المبالغة في السجود، حتى تكاد أذقانهم تضرب بالأرض من شدة المبالغة في سجودهم.

﴿وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾، خشوعًا في القلب يظهر أثره وعلامته على الجوارح، ويزيدهم سماع القرآن إيمانًا وخضوعًا لله ﷿.

كما قال الله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[مريم: ٥٨].

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ، وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾ [النجم:٥٩-٦٠]، وهذا ذمٌّ لهم أن يضحك الإنسان من القرآن، ويعجب منه عجب استنكار وسخرية ولا يبكي منه، والقرآن أعظم واعظ، يعظ الله به القلوب، لكنه إذا ورد على قلوب كالحجارة؛ فإنها لا تلين، ولكنها تزداد صلابة، وفي الحديث: «**حُرِّمَتُ النَّارُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَعْيُنٍ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَعَيْنٌ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ**».



**[٤٤٦]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى جِئْتُ إِلَى هٰذِهِ الآيَةِ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هٰؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء:٤١] قَالَ: «**حَسْبُكَ الآنَ**»، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان قد يكون إنصاته لقراءة غيره أخشع لقلبه مما لو قرأ هو، وهو كذلك أحياناً، ثم بكي ﷺ خوفاً من هذه الحالة الرهيبة العظيمة، قال الحافظ: بكى ﷺ رحمة لأمّته، لأنه علم أنه لا بد أن يشهد عليهم بعملهم، وعملهم قد لا يكون مستقيًا، فقد يُفضي إلى تعذيبهم، وقوله: ﴿**وَجِئْنَا بِكَ**﴾: يعني ماذا تكون حالك؟! وماذا تكون حالهم؟! كيف هنا للاستفهام، والاستفهام يشد النفس وينبه القلب.

وقوله تعالى:﴿**شَهِيدًا**»: أي يوم القيامة، والشهداء طائفتان من الناس: الطائفة الأولى: الأنبياء والرسل، كما قال تعالى: ﴿**وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾ [البقرة: ١٤٣]، والثانية: أهل العلم، فإنهم شهداء على الرسل بعد أن يموت الأنبياء، يشهدون بأن الرسل بلّغوا، ويشهدون على الأمة بأن الرسل قد بلغوهم، ويا لها من ميزة عظيمة لأهل العلم، أن يكونوا هم شهداء الله في أرضه.



**[٤٤٧]** وعن أنس رض الله عنه قال: خَطَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فَقَالَ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»، قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

خنين: يعني أصوات بكاء، وهذا يدل على كمال إيمانهم، وكمال تصديقهم بما أخبر به الرسول ﷺ، يعني لو تعلمون ما أعلم من حقائق الأمور التي أخفاها الله عن الخلق

رحمة بهم! وفي هذا الحديث: بيان أن من كان بالله أعرف كان منه أخوف؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

**[٤٤٨]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

**[٤٤٩]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ففاضت عيناه: إما شوقاً إليه، وإما خوفاً منه، والمراد بالظل هنا: ظل يخلقه الله يوم القيامة، يُظلل فيه من شاء من عباده، وليس المراد ظل نفسه ﷻ؛ لأن الله نور السموات والأرض، ولا يمكن أن يكون الله ظلاً من الشمس، فتكون الشمس فوقه وهو بينها وبين الخلق، ومن فهم هذا الفهم فهو بليد أبلد من الحمار؛ لأنه لا يمكن أن يكون الله ﷻ تحت شيء من مخلوقاته، فهو العلي الأعلى.

**[٤٥٠]** وعن عبد الله بن الشِّخِّير ﷺ قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ المِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ. رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح.

المرجل: القِدر يغلي على النار وله صوت معروف، وأزيز: صدر النبي ﷺ كان من خَشية الله بلا شك.

[٤٥١] وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأُبَي بن كعب ﷺ: «إِنَّ اللهَ ﷻ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا... ﴾»، قَالَ: وَسَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَبَكَى أُبَيٌّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي، بُكَاءُ أُبَيٍّ ﷺ فرحًا، وخشوعًا، وخوفًا من التقصير، واستحقارًا لنفسه، لكن هذا البكاء، يحتمل أن يكون شوقاً إلى الله ﷻ؛ ويحتمل أن يكون ذلك من الفرح.

[٤٥٢] وعنه قال: قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ ﷺ، بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: اِنْطَلِقْ بِنَا إِلَى أُمِّ أَيْمَنَ ﷺ، نَزُورُهَا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزُورُهَا، فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهَا، بَكَتْ، فَقَالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أَمَا تَعْلَمِينَ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي لَا أَبْكِي إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَكِنْ أَبْكِي أَنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَى البُكَاءِ، فَجَعَلَا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم. أم أيمن مولاة لرسول الله ﷺ وهي أم أسامة بن زيد.

[٤٥٣] وعن ابن عمر ﷺ، قال: لَمَّا اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَجَعُهُ، قِيلَ لَهُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فقالت عائشة ﷺ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، فقال: «**مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ**»، وفي رواية عن عائشة ﷺ، قالت: قلت: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

**[٤٥٤]** وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أُتِيَ بطعام وكان صائماً، فقال: قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ﷺ وَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مَا يُكَفَّنُ فِيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ؛ إِنْ غُطِّيَ بِهَا رَأْسُهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِنْ غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ بَدَا رَأْسُهُ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ- أَوْ قَالَ: أُعْطِينَا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا- قَدْ خَشِينَا أَنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبْكِي حَتَّى تَرَكَ الطَّعَام. رواه البخاري.

وكان مصعبٌ رجلاً شاباً، كان عند والديه بمكة، وكان والداه أغنياء، وأمه وأبوه يلبسانه من خير اللباس، لباس الشباب والفتيان، وقد دلّلاه دلالاً عظيماً، فلما أسلم هجراه وأبعداه، وهاجر مع النبي ﷺ، وكان عليه ثوب مرقّع، وأعطاه النبي ﷺ الراية يوم أُحد، فاستشهد، فكان عبد الرحمن بن عوف يذكر حال هذا الرجل، ثم يقول: إنهم قد مضوا، وسلموا مما فتح الله به من الدنيا على من بعدهم، فخشي عبد الرحمن بن عوف أن تكون حسناتهم قد عجلت لهم في هذه الدنيا، فبكى خوفاً وفرقاً، ثم ترك الطعام.

**[٤٥٥]** وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عجلان الباهلي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ تَعَالَى**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.



**[٤٥٦]** حديث العرباض بن سارية ﵁ قال: وعظنا رسول الله ﷺ مَوعظةً وَجلَتْ منها القلوبُ، وذرِفت منها العيونُ. وقد سبق في باب النهي عن البدع، ولفظ الحديث: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أُوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعُضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتُ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ**».



# ٥٥- الزُّهد في الدُّنيا

أصل الزُّهد: الرضا عن الله ﷻ. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كِفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**». فإنْ قال قائل: يُقال ورع، ويُقال زهد، فأيهما أعلى؟ فالجواب أن الزهد أعلى حالاً من الورع، فكل زاهد ورع، وليس كل ورع زاهداً.

وسمِّيت دنيا لسببين: السبب الأول: أنها أدنى من الآخرة؛ لأنها قبلها، كما قال تعالى: ﴿**وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى**﴾ [الضحى: ٤]، والثاني: أنها دنيئة ليست بشيء بالنسبة للآخرة، كما روى الإمام أحمد ﵀ من حديث المستورد بن شداد أن النبي ﷺ قال: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

موضع السوط: موضع العصا القصيرة الصغيرة في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها من أولها على آخرها، فهذه هي الدنيا، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [يونس:٢٤].

وهذه الآية مثلٌ ضَرَبَهُ الله تعالى لزينة الدنيا، وسرعة زوالها، وفنائها، وهذه هي الحياة الدنيا، واعتبر ذلك أنت في واقعك، كم من أناس عشت معهم في رفاهية وأنس وأولاد ونساء وقصور وسيارات، ثم انتقلوا عنها؟ كأن لم يكونوا بالأمس! وكم من إنسان غنيّ عنده أموال عظيمة انتقلت عنه وأصبح فقيراً يسأل الناس؟

وقال تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا، الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾. [الكهف: ٤٥- ٤٦].

والعاقل إذا قرأ القرآن وتبصّر؛ عرف قيمة الدنيا، وأنها ليست بشيء، وأنها مزرعة للآخرة، فانظر ماذا زرعت فيها لآخرتك؟ إن كنت زرعت خيراً؛ فأبشر بالحصاد الذي يرضيك، وإن كان الأمر بالعكس؛ فقد خسرت الدنيا والآخرة.

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].

هذه خمسة أشياء كلها ليس بشيء: لعب، ولهو، وزينة، وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد، مثالها: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾: لأن الكفار هم الذين يتعلقون بالدنيا وتسبي عقولهم، ثم تزول وتنتهي. فالكفار أشد إعجاباً بزهرة الدنيا، وأما المؤمن؛ فإذا رأى شيئاً يعجبه، انتقل فكره إلى قدره الله، وعلم أنه زائل، قال تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران:١٤]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ [العنكبوت:٦٤]، لأن الدنيا سريعة الزوال، ونعيمها لهو ولعب، كما يبتهج به الصبيان ساعة، ثم يتفرَّقون.



**[٤٥٧]** عن عمرو بن عوف الأنصاري ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ ﵁ إِلَى البَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، فَقَدِمَ بِمَالٍ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَوْا صَلَاةَ الفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ، انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا

لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ﷺ حِيْنَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ البَحْرَيْنِ؟**»، فَقَالُوا: أَجَلْ، يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: «**أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَالله مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلٰكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية عند مسلم: «**تَنَافَسُونَ ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ**».

والفقر قد يكون خيراً للإنسان، كما جاء في الحديث القدسي الذي يُروى عن النبي ﷺ أن الله قال: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَوْ أَغْنَيْتُهُ لَأَفْسَدَهُ الغِنَى**». يعني: أطغاه وأضلّه وصدّه عن الآخرة، «**وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي مَنْ لَوْ أَفْقَرْتُهُ لَأَفْسَدَهُ الفَقْرُ**».



**[٤٥٨]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

زهرة الدنيا: زينتها وبهجتها.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١].



**[٤٥٩]** وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**». رواه مسلم.

وانظروا إلى الرسل الكرام؛ من الذي يكذّبهم؟ يكذّبهم الملأ الأشرار الأغنياء، وأكثر من يتبعهم الفقراء، وهذا هو الواقع، وانظرْ إلى حالنا نحن هنا، لما كان الناس إلى

الفقر أقرب، كانوا لله أتقى وأخشع وأخشى، ولما كَثُر المال؛ كثُر الإعراض عن سبيل الله، وحصل الطغيان، وصار الإنسان الآن يتشوّف لزهرة الدنيا وزينتها؛ سيارة فخمة، قصور ضخمة، بيت وفرش ولباس، يباهي الناس بهذا كله، وصارت وسائل الإعلام لا تتكلم إلا بالرفاهية وما يتعلق بالدنيا، وأعرضوا عن الآخرة، وفسد الناس، إلا من شاء الله.

**[٤٦٠]** وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشَ الآخِرَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. هذا الكلام قاله النبي ﷺ في أشد أحواله، لما رأى تعب أصحابه في حفر الخندق، وقاله أيضاً في أسرِّ أحواله لما رأى كثرة المؤمنين في يوم عرفة، أي الحياة الدائمة هي حياة الآخرة التي لا حزن فيها ولا تعب.

**[٤٦١]** وعنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ؛ يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَى عَمَلُهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. المرء إذا مات تبعه أهله، وإذا دُفن رجعوا ودخل عمله معه في قبره، كما في حديث البراء: «**وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ**».

**[٤٦٢]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ**». رواه مسلم.

فيه: أن عذاب الآخرة ينسي نعيم الدنيا، وأن نعيم الآخرة ينسي شدَّة الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ، قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:١١٢: ١١٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ، الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر:٣٤- ٣٥].



**[٤٦٣]** وعن الْمُسْتَوْرِد بن شَدَّاد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي اليَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ!**». رواه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨]، لأن هذه الدنيا، مهما طاب عيشها فمآلها للفناء، وإذا لم يصحبها عمل صالح فإنها خسارة.



**[٤٦٤]** وعن جابر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّكُم يُحِبُّ أَنْ هٰذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**». فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**». قَالُوا: وَالله لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا أَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ! فَقَالَ: «**فَوَالله لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى الله مِنْ هٰذَا عَلَيْكُمْ**». رواه مسلم.

كَنَفَتَيْهِ: أي عن جانبيه، وَالأَسَكُّ: الصغير الأذُن. فيه: أن الدنيا عند الله أذل وأحقر من التيس الصغير الأصمع الميت عند الناس.

قال النبي ﷺ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ الله، وَمَا وَالَاهُ وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**».

فهذا جدي ميت لا يساوي شيئاً، ومع ذلك فالدنيا أهون وأحقر عند الله منه،

ولكن من عمل فيها عملاً صالحاً؛ صارت له مزرعة، ونال فيها السعادتين: سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، أما من غفل وتغافل وتهاون ومضت الأيام عليه وهو لم يعمل؛ فإنه يخسر الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣-١]، فكل بني آدم خاسر إلا هؤلاء الذين جمعوا هذه الأوصاف الأربعة: آمنوا، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر.

**[٤٦٥]** وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةٍ بِالمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «**مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هٰذَا ذَهَبًا، تَمْضِي عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هٰكَذَا وَهٰكَذَا وَهٰكَذَا**»، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَعَنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ سَارَ، فقَالَ: «**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا مَنْ قَالَ بِالمَالِ هٰكَذَا وَهٰكَذَا وَهٰكَذَا**»، عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ «**وَقَلِيلٌ مَا هُمْ**»، ثُمَّ قَالَ لِي: «**مَكَانَكَ لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ**»، ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى، فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدِ ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ عَرَضَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيهِ فَذَكَرتُ قَوْلَهُ: «**لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيكَ**»، فَلَمْ أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي، فَقُلْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ مِنْهُ، فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «**وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: «**ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**». قُلْتُ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: «**وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»: يعني المكثرون من الدنيا بحظوظها

وأموالها وقصورها وشهواتها، هم المقلّون من الأعمال الصالحة يوم القيامة، وذلك لأن الغالبَ على من كثر ماله في الدنيا الغالبَ عليه الاستغناء والتكبر والإعراض عن طاعة الله؛ لأن الدنيا تلهيه.

وفيه: البشارة بعدم خلود المسلم في النار وإن عمل الكبائر، فإن تاب منها في الدنيا لم يدخل النار إلا تحلة القسم، وإن لم يتب فأمره إلى الله إن شاء غفر له وأدخله الجنة، وإن شاء عذبه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وذلك لأن من مات على الإيمان لا يشرك بالله، وعليه معاصٍ من كبائر الذنوب؛ قد يعفو الله عنه ولا يعاقبه، وقد يعاقبه، ولكن إن عاقبه فمآله إلى الجنة؛ أما من مات كالذي لا يصلي، فهذا كافر مرتدّ مخلّد في نار جهنم، حتى لو قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وآمنت بالله، وآمنت باليوم الآخر، وهو لا يصلّي، فإنه مرتد؛ لأن المنافقين كانوا يذكرون الله ويصلّون، ومع ذلك فهم في الدرك الأسفل من النار.

**[٤٦٦]** وعن أبي هريرة ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، لَسَرَّنِي أَنْ لَا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أَرْصُدُهُ لِدَيْنٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٤٦٧]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية البخاري: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ**»، وفي الحديث الآخر: «**رَحِمَ اللهُ عَبْدًا نَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ فَحَمَدَ**

**اللهَ وَشَكَرَهُ، وَفِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَجَدَّ وَاجْتَهَدَ**»، وعن عمرو بن شعيب مرفوعاً: «**خَصْلَتَانِ مَنْ كَانَتَا فِيهِ؛ كَتَبَهُ اللهُ شَاكِرًا صَابِرًا؛ مَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَاقْتَدَى بِهِ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَى مَا فَضَّلَهُ اللهُ عَلَيْهِ؛ كَتَبَهُ اللهُ شَاكِرًا صَابِرًا، وَمَنْ نَظَرَ فِي دِينِهِ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَهُ، وَنَظَرَ فِي دُنْيَاهُ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَهُ، فَأَسِفَ عَلَى مَا فَاتَهُ مِنْهُ؛ لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ شَاكِرًا وَلَا صَابِرًا**».

قال بعض السَّلف: صاحبت الأغنياء فكنت لا أزال في حزن، فصحبت الفقراء فاسترحت، وفي حديث مرفوع: «**أَقِلُّوا الدُّخُولَ عَلَى الأَغْنِيَاءِ؛ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ**».

**[٤٦٨]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**». رواه البخاري.

في هذا الحديث: ذمُّ الحرص على الدنيا، حتى يكون عبدًا لها، رضاه وسخطه لأجلها، فالإنسان لا ينبغي أن يعلق نفسه بهذه الدنيا، وأن تكون بيده لا بقلبه، حتى يُقبِل بقلبه على الله ﷻ؛ فإن هذا هو كمال الزهد، وليس المعنى أنك لا تأخذ شيئاً من الدنيا؛ بل خذ من الدنيا ما يحل لك، ولا تنس نصيبك منها، ولكن اجعلها في يدك ولا تجعلها في قلبك، هذا هو المهم .



**[٤٦٩]** وعنه رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا منهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ: إِمَّا إِزَارٌ، وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوهَا فِي أَعْنَاقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري.

في هذا الحديث: أن الدنيا لو كانت مكرَّمة عند الله، لخصَّ أصفياءه بها، فإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدِّين إلا من يحب، ولو كانت الدنيا محبوبة إلى الله ﷻ ما حرم منها نبيه ﷺ.

**[٤٧٠]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ**». رواه مسلم.

معنى ذلك: أن الدنيا سجن المؤمن بالنسبة إلى ما أعد له من النعيم، وجنة الكافر بالنسبة إلى ما أعد له من العذاب، وأيضاً فإن المؤمن ممنوع من الشهوات المحرمة، والكافر منهمك فيها، وقد قال النبي ﷺ: «**حُفَّتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ**».

وعن أبي سهل الصعلوكي الفقيه، وكان ممن جمع رياسة الدين والدنيا، أنه كان في بعض مواكبه إذْ خرج عليه يهودي، بثياب دنسة، فقال: ألستم تزعمون أن نبيَّكم قال: «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ**»، وأنا كافر وترى حالي، وأنت مؤمن وترى حالك، فقال له: إذا صرت غداً إلى عذاب الله كانت هذه جنتك، وإذا صرت أنا إلى النعيم ورضوان الله صار هذا سجني، فعجب الناس من فهمه وسرعة جوابه.



**[٤٧١]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.

قالوا في شرح هذا الحديث معناه: لَا تَرْكَنْ إِلَى الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلَا بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلَّا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلَا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لَا يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَى أَهْلِهِ.

وفي الحديث الآخر: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»، وهذا التمثيل الذي ذكره النبي ﷺ هو الواقع؛ لأن الإنسان في هذه الدنيا مسافر، فالدنيا ليست دار مقر؛ بل هي دار ممر، سريعٌ راكبه لا يفتر ليلاً ولا نهاراً، فالمسافر ربما ينزل منزلاً فيستريح، ولكن مسافر الدنيا لا ينزل، هو دائماً في سفر، كل لحظة تقطع بها شوطاً من هذه الدنيا لتقرب من الآخرة، فما ظنكم بسفر لا يفتأ صاحبه يمشي ويسير، أليس ينتهي بسرعة؟ الجواب: بلى، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿**كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا**﴾ [النازعات: ٤٦]، وينبغي للإنسان أن يقيس ما يستقبل من عمره بما مضى، فالذي مضى كأنه لا شيء، كأنك لم تمر به، أو كأنه حلم، وكذلك فما يُستقبل من دنياك، فهو كالذي تقدم! ولذلك، انتهز الفرصة، فلا تؤخر العمل، ولا تركن إلى الدنيا فتؤمل البقاء مع أنك لا تدري.



**[٤٧٢]** وعن أَبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ، فَقَالَ: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**». حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره.

والزُّهد: هو القناعة بما أعطاك الله، والتعفف عن أموال الناس، وفي الحديث المرفوع: «**حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ**»، وهذا يدل على أنه ﷺ أزهد الناس في الدنيا، إذ لو شاء أن تصير معه الجبال ذهباً لصارت، ولكنه لا يريد هذا، يريد أن يتقلّل من الدنيا حتى يخرج منها لا عليه ولا له.



**[٤٧٣]** وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم.

الدَّقَلُ: رديءُ التمرِ، فيه: زهده ﷺ وصبره، وحقارة الدنيا عنده، فإن الله تعالى خيّره في أنْ يكون ملكاً نبياً أو عبدا نبياً، فاختار أن يكون عبداً، وقال: «**يَا رَبِّ، أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا، فَإِذَا جُعْتُ سَأَلْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ**».

**[٤٧٤]** وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ، وَمَا فِي بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

شَطْرُ شَعير: أيْ شَيْءٌ مِنْ شَعير، كَذَا فَسَّرَهُ التِّرْمذيُّ.

في هذا الحديث: إعراضه ﷺ عن الدنيا، وعدم النظر إليها، وفيه: استحباب عدم كيل القوت توكلاً على الله وثقة به، فإن تكثير الطعام القليل من أسرار الله الخفية، ولا يخالف هذا الحديث: «**كَيِّلُوا طَعَامَكُمْ يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**»، وذلك عند المبايعة من أجل تعلّق حق المتبايعين، وأما الكيل عند الإنفاق فالباعث عليه الشح.



**[٤٧٥]** وعن عمرو بن الحارث أخي جُوَيْرِيَّة بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنهما، قال: مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيْئًا إِلَّا بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جَعَلَهَا لِابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. رواه البخاري.

وقد قال النبي ﷺ: «**نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لَا نُورَّثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ**».



**[٤٧٦]** وعن خَبَّابِ بن الأَرَتِّ ﷺ قال: هَاجَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ الله تَعَالَى، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى الله، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ؛ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجلاهُ، وَإذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُغَطِّي رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَى رِجلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإذْخِرِ، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

النَّمِرَةُ: كِساءٌ مُلَوَّنٌ مِنْ صوف. أَيْنَعَتْ: نَضِجَتْ وَأَدْرَكَتْ. وَقَوْلُه: يَهْدِبها: أيْ يَقْطُفُهَا وَيَجْتَنِيهَا، وهذه استعارة لما فتح الله تعالى عليهم من الدنيا وتمكنوا فيها. في هذا الحديث: ما كان عليه السلف من الصدق في وصف أحوالهم، وفيه: أن الصبر على مكابدة الفقر وصعوبته من منازل الأبرار، وفيه: أن الكفن يكون ساتراً لجميع البدن.



**[٤٧٧]** وعن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

إنها حقارة الدنيا عند الله تعالى، ولهذا ملَّكها تعالى في الغالب للكفَّار والفسَّاق لهوانهم عليه، وحَمَى منها في الغالب الأنبياء والصالحين لئلا تُدَنِّسَهُم.



**[٤٧٨]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**أَلَا إنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إلَّا ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في الحديث: ذم ما أشغل من الدنيا عن ذكر الله وطاعته، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [المنافقون:٩]. وأمَّا ما أعان على طاعة الله من الدنيا فليس بمذموم.

قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور:٣٧]. وفي حديث مرفوع: «**لَا تَسُبُّوا الدُّنْيَا فَنِعْمَ مَطِيَّةُ الْمُؤْمِنِ عَلَيْهَا يَبْلُغُ الخَيْرَ، وَبِهَا يَنْجُو مِنَ الشَّرِّ**».

**[٤٧٩]** وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الضَّيْعَةُ: العقار الذي يحتاج إلى متابعة عمل، والمراد لا تتوغَّلوا في ذلك وتشتغلوا في طلب الدنيا فلا تشبعوا منها، فالدنيا خطيرة جداً على الإنسان، يكثر المال عند الناس فينسوا به الآخرة، ولهذا نُهي عن اتخاذ الضِّياع، يعني العزب والقلاع والحدائق والبساتين، فإن الإنسان يلهو بها عما هو أهم منها، من أمور العبادة والاشتغال بها، ولا يجعل الدنيا في يده، إنما في قلبه.

**[٤٨٠]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: مَرَّ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نُعَالِجُ خُصًّا لَنَا، فَقَالَ: «**مَا هٰذَا؟**»، فَقُلْنَا: قَدْ وَهَى، فَنَحَنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «**مَا أَرَى الأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذٰلِكَ**». رواه أبو داود والترمذي بإسناد البخاري ومسلم، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الخُصُّ: بيت يعمل من القصب ونحوه، وفيه: شاهد لحديث ابن عمر: «**إِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ**».



**[٤٨١]** وعن كعب بن عياض ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً، وفِتْنَةُ أُمَّتِي: المَالُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فتنة: أي ابتلاء واختبار. قال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ [الأنبياء: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿**وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [الأنفال:٢٨].

**[٤٨٢]** وعن أبي عمرو، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو ليلى عثمان ابن عفان ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ حَقٌّ فِي سِوَى هٰذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوَارِي عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبْزِ وَالمَاءِ**». رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

الجِلْفُ: الخُبْز لَيْسَ مَعَهُ إدَامٌ، وقال غَيْرُهُ: هُوَ غَليظُ الخُبْزِ، وقيل: المُرادُ بِهِ هنا وِعَاءُ الخُبزِ.

**[٤٨٣]** وعن عبد الله بن الشِّخِّيرِ أنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ**﴾ قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مَالِي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**»رواه مسلم.

هكذا قال النبي ﷺ وهو كذلك، فالإنسان ما له في هذه الدنيا إلا هذه الأشياء، إما أن يأكل أو يشرب، وإما أن يلبس من أنواع اللباس، وإما أن يتصدق، أما ما كان يستعين به على معصية الله، وعلى الأشر والبطر؛ كان محنة عليه، ولهذا قال بعض السلف: اجعل ما عندك ذخيرة لك عند الله، واجعل الله ذخيرة لأولادك.



**[٤٨٤]** وعن عبد الله بن مُغَفَّل ﵁ قال: قال رجل للنبي ﷺ: يَا رَسُولَ الله، وَالله إنِّي لَأُحِبُّكَ، فَقَالَ لَهُ: «**انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ؟**»، قَالَ: وَالله إنِّي لَأُحِبُّكَ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ: «**إنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا، فَإنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إلَى مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إلَى مُنْتَهَاهُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

لأن السيل إذا كان له منتهى وقد جاء من مرتفع يكون سريعاً، والتجفافُ: شيء يلبسه الفرس، ليتّقي به الأذى، وقد يلبسه الإنسان، فمن أحب أن يكون معهم في نعيم الآخرة، فليصبر كما صبروا في الدنيا.

قال تعالى: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:١٤٢].

ولكن هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ؛ لأنه لا ارتباط بين الغنى ومحبة النبي، فكم من إنسان غنيٍّ يحب الرسول ﷺ، وكم من إنسان فقير أبغض ما يكون إليه الرسول، ولكن علامة محبة الرسول ﷺ أن يكون الإنسان أشد اتِّباعاً له، وأشد تمسكاً بسُنَّته، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١]، فالميزان هو اتِّباع الرسول ﷺ، من كان للرسول ﷺ أتبع فهو له أحب، وأما الفقر والغنى فإنه بيد الله ﷻ.



**[٤٨٥]** وعن كعب بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فيه: الحذر من الحرص على المال والشرف، فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة.

قوله: «**لِدِينِهِ**» متعلق بأفسد. والمعنى: أن حرص المرء على المال والجاه أكثر فساداً

لدين المسلم من الذئب الذي يفتك بالغنم، قد تبدو الخصلة الأولى واضحة، وهي الحرص على طلب المال، وهو أحد شقي زينة الحياة الدنيا، ولا مانع من السعي لطلب المال عموماً، فاستعمار الأرض، وطلب المال واستثماره، من الأمور التي فعلها النبي ﷺ لمّا هاجر إلى المدينة، فإنه بنى السوق حتى لا يكون حكراً بيد اليهود، وحتى لا نكون عالة على غيرنا، بل يجب استثمار كل الطاقات الممكنة، ولا شك أن الاقتصاد عموماً من أهم عوامل رخاء الأمم ونهضتها وقوتها، ولكن الحديث يتناول حالة خاصة، هي الحرص والشَّرَه وما ينتج عنهما من بخل وحرص على المال وشدة محبته، والمبالغة في ذلك إلى درجة إجهاد النفس وإضاعة الوقت، كل ذلك على حساب أمور وواجبات أخرى. أما النوع الثاني الذي حذر الرسول ﷺ منه، فهو حرص المرء على الشرف والجاه والمنصب، وهذا لا يقل خطورة عن الحرص على المال، بما في ذلك من اتّباع سبل ملتوية ونفاق وتبذّل وبيع للدين في سبيل طلب الشهرة والمنصب، والرياسة على الناس، والعلو في الأرض، وهو أضر على العبد من طلب المال، والزهد فيه أصعب. قال سفيان الثوري: إنما فُضِّل العلم لأنه يُتّقى به الله، وإلا كان كسائر الأشياء، ومن هنا فلا يجوز طلب العلم من أجل المال.

ولو تأمَّلْنا دقَّةَ هذا المثل النبويِّ لعرفنا عِظَمَ المصيبة؛ فالذئبان الجائعان إذا أُرسلا في قطيعٍ من الغنم وأحاطا به من جانبيه، وقد غاب الراعي الحارسُ لذلك القطيع؛ فإنهما سيهلكانه ويفترسانه، ولن ينجوَ من الغنم إلّا القليل، وكذلك يُعَدُّ الحرص الفاجع من أصحاب الدنيا لبلوغ الشهوة في طلب الجاه والمنصب وجمعِ الأموال من دون رقابةٍ أو وازعٍ إيمانيٍّ أكثرَ إفسادًا لدين المسلم من إفساد الذئبين الجائعين.

وقال النبي ﷺ: «**يَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ سمرةٍ، لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِّلْتَ إِلَيْهَا**».



**[٤٨٦]** وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: نَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى حَصِيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أثَّرَ فِي جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**[٤٨٧]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمئَةِ عَامٍ**». رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

في الحديث: فضل الفقير الصابر، لأن الأغنياء يحبسون للحساب، ولهذا إذا تأمّلت الآيات؛ وجدت أن الذين يكذّبون الرسل هم الملأ الأشراف والأغنياء، وأن المستضعفين هم الذين يتّبعون الرسول، فلهذا كانوا أكثر أهل الجنة، وكانوا يدخلون الجنة قبل الأغنياء بتقادير اختلفت فيها الأحاديث عن النبي ﷺ، ويجمعها أن السّير يختلف، فقد يكون السّير في عشرة أيام لشخص مسرع يسيره الآخر في عشرين يوماً مثلاً.

**[٤٨٨]** وعن ابن عباس وعِمْرَانَ بن الحُصَيْنِ عن النبي ﷺ قال: «**اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٤٨٩]** وعن أسامة بن زيد ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**قُمْتُ عَلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الجَدُّ: الحَظُّ والغِنَى.



**[٤٩٠]** وعن أَبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهَ بَاطِلٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يشهد لهذا البيت قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [القصص: ٨٨].

كان لبيد من فحول شعراء الجاهلية، وهو من هوازن، وَفَدَ على رسول الله ﷺ فأسلم، وحسن إسلامه، وكان من المعمّرين، عاش فوق مئة سنة، وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام، ولم يقل شعراً بعد إسلامه، وكان يقول: أبدلني الله به القرآن، ومعنى ما قاله الشاعر لبيد وذكره الرسول ﷺ: أن كل شيء سوى الله فهو باطل ضائع لا ينفع، وأما ما كان لله؛ فإنه هو الذي ينفع صاحبه ويبقى له، ومن ذلك الدنيا فإنها باطل، كما قال تعالى: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ**﴾ [الحديد: ٢٠]، إلا ما كان فيها من ذكر الله وطاعته، فإنه حق وخير.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن الحق يُقبل حتى لو كان من الشعراء، فالحق مقبول من كل أحد جاء به، حتى لو كان كافراً وقال بالحق فإنه يقبل منه، ولو كان شاعراً أو فاسقاً وقال بالحق فإنه يقبل منه، وأما من قال بالباطل فقوله مردود ولو كان مسلماً؛ يعني العبرة بالمقالات لا بالقائلين، ولهذا ينبغي على الإنسان أن ينظر إلى الإنسان من خلال فعله لا من شخصه.



## ٥٦- الجوع وخشونة العيش

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا، إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [مريم:٥٩-٦٠]. فينبغي للإنسان ألا يكثر من الشهوات في أمور الدنيا، وأن يقتصر على قدر الحاجة فقط، كما كان النبي ﷺ يفعل، وأشد من هذا الذين يضيعون الصلاة عن وقتها؛ فلا يصلون إلا بعد خروج الوقت، فإن هؤلاء إما أن يكون لهم عذر من نوم أو نسيان، فصلاتهم مقبولة ولو بعد الوقت، وإما ألا يكون لهم عذر فصلاتهم مردودة لا تقبل منهم، ولو صلّوا ألف مرة.

وقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾: يعني ليس لهم همٌّ إلا الشهوات؛ ما تشتهيه بطونهم وفروجهم، فهم ينعّمون أبدانهم، ويضيّعون ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

وقال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ [القصص: ٧٩-٨٠]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨].

عن زيد بن أسلم مرفوعاً يعني: شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم.

وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨].

أي: من كانت همَّته مقصورة على الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء من الشهوات أو الحرمان لمن نريد، ثم جعلنا له في الآخرة جهنم يصلاها مذمومًا، مدحورًا، مطرودًا، مبعدًا.

قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [القصص:٦٠].

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ، وَمَالُ مَنْ لَا مَالَ لَهُ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ». رواه أحمد.

**[٤٩١]** وعن عائشة ﵂، قالت: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: مَا شَبعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا حَتَّى قُبِضَ.

ولا منافاة فيه وبين حديث أنه ﷺ يدّخر لأهله قوت سنة، لأنه كان يفعل ذلك في آخر حياته.

**[٤٩٢]** وعن عروة عن عائشة ﵂، أنها كانت تقول: وَاللهِ، يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلَالِ: ثَلَاثَةُ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ قَطُّ، قُلْتُ: يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٤٩٣]** وعن أبي سعيد المقبُرِيِّ عن أَبي هريرة ﵁، أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بَيْنَ أَيدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ، وَقَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ. رواه البخاري.

مَصْلِيَّةٌ: أَيْ مَشْوِيَّةٌ.



**[٤٩٤]** وعن أنس ﷺ قال: لَمْ يَأكُلِ النَّبيُّ ﷺ عَلَى خِوَانٍ حَتَّى مَاتَ، وَمَا أَكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا حَتَّى مَاتَ. رواه البخاري. وفي رواية لَهُ: وَلَا رَأَى شَاةً سَمِيطًا بِعَيْنِهِ قَطُّ.

الخِوان: ما يؤكل عليه الطعام من دون أن يخفض الآكل رأسه، والخبز المرقق: هو الأرغفة الواسعة الرقيقة، والسميط: ما أزيل شعره وشوي بجلده، وقطّ: ظرف لما مضى من الزمان مبني على الضم.

**[٤٩٥]** وعن النعمان بن بشير ﷺ، قال: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبيَّكُمْ ﷺ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم.

الدَّقَلُ: تَمْرٌ رَدِيءٌ، وقوله: لقد رأيت نبيكم: فيه حثُّ المخاطبين على الاقتداء به، والإعراض عن الدنيا مهما أمكن.

**[٤٩٦]** وعن سهلِ بن سعد ﷺ قال: مَا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِينِ ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ مَنَاخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأَى رَسُولُ الله ﷺ مُنْخُلًا مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى حَتَّى قَبَضَهُ اللهُ تَعَالَى، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأْكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطْحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فَيَطِيرُ مَا طَارَ، وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ. رواه البخاري.

النَّقِيّ: وَهُوَ الخُبْزُ الحُوَّارَى، وَهُوَ: الدَّرْمَكُ. قَوْله: ثَرَّيْنَاهُ: أيْ: بَلَلْنَاهُ وَعَجَنَّاهُ، قال في القاموس: والحُوَّاري: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق، وكل ما حُوّر، أي: بُيّض من طعام.



**[٤٩٧]** وعن أَبِي هريرة ﷺ قال: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هٰذِهِ السَّاعَةَ؟**». قَالَا: الجُوعُ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومَا**»، فقَامَا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيْنَ فُلَانٌ؟**». قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لنَا المَاءَ، إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ الله وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ لله، مَا أَحدٌ اليَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ المُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذٰلِكَ العِذْقِ وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هٰذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هٰذَا النَّعِيمُ**». رواه مسلم.

يَسْتَعْذِبُ: أيْ يَطْلُبُ المَاءَ العَذْبَ، وَالعِذْقُ: الغُصْنُ، وَالمُدْيَةُ: السِّكِّينُ، وَالحَلُوبُ: ذاتُ اللَّبَن، وَالسُّؤالُ عَنْ هذَا النَّعِيمِ سُؤَالُ تَعْدِيد النِّعَم لا سُؤَالُ تَوْبيخٍ وتَعْذِيبٍ، وَهَذَا الأَنْصَارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ، أَبُو الهَيْثَم بْنُ التَّيِّهَانِ، كَذَا جَاءَ مُبَيَّنًا في رواية الترمذي وغيره.

وفيه: جواز ترحيب المرأة بالضَّيفين وإنزال الناس منازلهم، والنهي عن ذبح الحلوب نهي إرشاد لا كراهة، وعن ابن عباس مرفوعًا: «**إِذَا أَصَبْتُمْ مِثْلَ هٰذَا، فَضَرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ فَقُولُوا: بِسْمِ الله وَبِبَرَكَةِ الله، وَإِذَا شَبِعْتُمْ فَقُولُوا: الحَمْدُ لله الَّذِي أَشْبَعَنَا، وَأَرْوَانَا، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا، وَأَفْضَلَ، فَإِنَّ هٰذَا كَفَافُ هٰذَا**».

قال ابن القيم: كل أحد يُسأل عن تنعّمه الذي كان فيه، هل ناله من حل أو لا؟ وإذا خلص من ذلك يُسأل: هل قام بواجب الشكر فاستعان به على الطاعة أو لا؟



**[٤٩٨]** وعن خالد بن عُمَيْر العَدَوِيِّ، قال: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَى البَصْرَةِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفِيرِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَاللهِ لَتُمْلَأَنَّ! أَفَعَجِبْتُمْ؟! وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا. رواه مسلم.

آذَنَتْ: أَعْلَمَتْ. بِصُرْم: بِانْقِطَاعِهَا وَفَنَائِهَا. وَلَّتْ حَذَّاءَ: سريعة. الصُّبَابَةُ: البَقِيَّةُ اليَسِيرَةُ. يَتَصَابُّهَا: يجمعها. الْكَظِيظُ: الكثير الممتلئ. قَرِحَت: صار فِيهَا قُروح.

**[٤٩٩]** وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: أَخْرَجَتْ لَنَا عَائِشَةُ رضي الله عنها كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، قَالَتْ: قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي هٰذَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٥٠٠]** وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ مِنَ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ، وَهٰذَا السَّمُرُ، حَتَّى إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خَلْطٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الحُبْلَة وَهِيَ وَالسَّمُرُ: نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وهذه الغزوة تسمى غزوة الخبط، وفيه: ما كان الصحابة عليه من الضيق في أول الإسلام امتحاناً ليُظهر صدقهم.

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ، أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣].

**[٥٠١]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**قُوتًا**»: مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ. ومعنى الحديث طلب الكفاف، فإن القوت ما يقوت البدن، ويكف عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر.

**[٥٠٢]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الْجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ بِي النَّبِيُّ ﷺ، فَتَبَسَّمَ حِيْنَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**الحَقْ**»، وَمَضَى فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ هٰذَا اللَّبَنُ؟**»، قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلَانٌ- أَوْ فُلَانَةٌ، قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**»، قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ عَلَى أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَى أَحَدٍ، وَكَانَ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذٰلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هٰذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ! كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هٰذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاؤُوا وَأَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ؛ وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هٰذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**»، قُلْتُ:

لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**»، قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنظَرَ إِلَيَّ، فتبَسَّمَ، فَقَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**»، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ»، قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**»، فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «**اشْرَبْ**»، فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «**اشْرَبْ**»، حَتَّى قُلْتُ: لَا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا! قَالَ: «**فَأَرِنِي**»، فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ، وَسَمَّى، وَشَرِبَ الفَضْلَةَ. رواه البخاري.

في هذا الحديث معجزة عظيمة من علامات النبوة.

وفيه: استحباب الشرب وهو قاعد.

وفيه: جواز الشبع، وفيه: أن كتمان الحاجة والتلويح بها أولى من إظهارها، وفيه: كرم النبي ﷺ وإيثاره على نفسه، وأن ساقي القوم آخرهم شرباً، وفيه: استحباب الحمد على النعم والتسمية عند الشرب.



**[٥٠٣]** وعن محمد بن سيرين، عن أَبي هريرة رضي الله عنه، قال: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حُجْرَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَى عُنُقِي، وَيَرَى أَنِّي مَجْنُونٌ وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الجُوعُ. رواه البخاري.

في هذا الحديث: صبر الصحابة رضي الله عنهم على الفقر والجوع تَتمِياً لهجرتهم إلى الله ورسوله، وفيه: ثباتهم على دينهم بخلاف من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.



**[٥٠٤]** وعن عائشة ﵂، قالت: تُوُفِّي رَسُولِ اللهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال العلماء: الحكمة في عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة إلى معاملة اليهود؛ إما لبيان الجواز، أو لأنهم لم يكن عندهم إذْ ذاك طعام فاضل عن حاجتهم، أو خشي أنهم لا يأخذون ثمناً فلم يرد التضييق عليهم، وقيل: إن أبا بكر اِفْتَكَّ الدرع بعد النبي ﷺ.

**[٥٠٥]** وعن أنس ﵁ قال: رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**مَا أَصْبَحَ لِآلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلَا أَمْسَى**»، وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ. رواه البخاري.

الإِهَالَةُ: الشَّحْمُ الذَّائِبُ، والسَّنِخَةُ: المُتَغَيِّرَةُ.

فيه: إعراضه ﷺ عن المشتهيات، واجتزاؤه بما يسد الحاجة من القوت، وفيه: تسلية لذوي الفقر والحاجة من أمته، وقوله: "وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ"، إنه لم يقله متضجِّراً ولا شاكياً، وإنما قاله معتذراً عن إجابة دعوى اليهودي، ولرهنه درعه.

وفي الحديث: جواز معاملة الكفار فيما يجوز، واستُنبط منه جواز معاملة مَن أَكْثَرُ ماله حرام، وفيه: جواز بيع السلاح، ورهنه، وإجارته من الكافر ما لم يكن حربياً، وفيه: ما كان عليه النبي ﷺ من التواضع، والزهد في الدنيا، والتقلُّل منها مع قدرته عليها، والكرم الذي أفضى به إلى عدم الادّخار، والصبر على ضيق العيش، وفيه: فضيلة لأزواجه وصبرهن معه على ذلك.



**[٥٠٦]** وعن أبي هريرة ﵁، قال: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ، إِمَّا إِزَارٌ وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا فِي أَعْنَاقِهِم مِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَى عَوْرَتُهُ. رواه البخاري.

فيه: فضيلة الصحابة رضي الله عنهم، وصبرهم على الفقر، وضيق الحال، والاجتزاء من اللباس على ما يستر العورة، وقد أثابهم الله على ذلك فاستخلفهم في الأرض، ومكّن لهم دينهم وبدّلهم من بعد فقرهم غِنًى، ومن بعد خوفهم أمناً، مع ما أعد الله لهم في الآخرة من الثواب في الجنة.

**[٥٠٧]** وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أُدْمٍ حَشْوُهُ مِنْ لِيفٍ. رواه البخاري.

فيه: عدم مبالاته ﷺ بمستلذات الدنيا، كما قال: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، إِنَّمَا مِثْلِي فِي الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ قَالَ فِي ظِلِّ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَاحَ، وَتَرَكَهَا**». قَالَ: يعني استظلّ.

**[٥٠٨]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟**»، فَقَالَ: صَالِحٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟**»، فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ، وَلَا قُمُصٌ، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ، حَتَّى جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّى دَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ. رواه مسلم.



**[٥٠٩]** وعن عمران بن الحُصَيْنِ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، أنه قال: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»، قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، «**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

القرن: أهل زمان واحد متقارب، وقرنه: أصحابه، ثم قرن التابعين، ثم أتباع التابعين، ثم فَشَتِ البدع، وامتهن أهل العلم، ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وكثرت شهادة الزور، والخيانة، واتّباع الشهوات، ولا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه.

[٥١٠] وعن أبي أُمَامَة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أي: بذل المال، الإحسان خير لك في الدنيا والآخرة، وإمساكه شر لك لعدم أداء الحقوق، واشتغال القلب، ولا تلام على إمساك ما يكفيك، ويسد حاجتك، وابدأ في الإنفاق بحق من تعول.

[٥١١] وعن عُبيْدِ الله بن مِحْصن الأَنْصَارِيِّ الخطميِّ ﵁ قال: قَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

سِرْبِهِ: أي نَفْسه، وَقِيلَ: قومه. يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش: ٣ – ٤]. فإذا كان المسلم آمناً في محلِّه، صحيحاً، عنده من القوت ما يكفّه عن سؤال الناس، فهو في نعمة عظيمة.



[٥١٢] وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص ﵄: أن رسول الله ﷺ قال: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**». رواه مسلم.



**[٥١٣]** وعن أبي محمد فضَالَة بن عبيدٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**طُوبَى لِمَنْ هُدِيَ إِلَى الإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الكفاف: هو الكفاية من غير زيادة ولا نقص.

**[٥١٤]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ المُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبْزَ الشَّعِيرِ. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**[٥١٥]** وعن فُضَالَةَ بن عبيدٍ رضي الله عنه، أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى بِالنَّاسِ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الخَصَاصَةِ- وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ- حَتَّى يَقُولَ الأَعْرَابُ: هٰؤُلَاءِ مَجَانِينُ، فَإِذَا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ الله تَعَالَى، لَأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً**». رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

الخَصَاصَةُ: الفَاقَةُ وَالجُوعُ الشَّدِيدُ. في هذا الحديث: الحثُّ على الصبر على الفقر، وضيق العيش. قال الله تعالى: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ [يوسف: ٩].



**[٥١٦]** وعن أَبي كريمة المقدام بن معد يكرِبَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

أُكُلَاتٌ: أيْ لُقَمٌ.

قيل: إن كسرى سأل طبيباً: ما الداء الذي لا دواء له؟ قال: إدخال الطعام على الطعام، وسأله عن الحمية؟ قال: الاقتصاد في كل شيء، فإذا أكل فوق المقدار ضيّق على الروح.



**[٥١٧]** وعن أَبي أُمَامَة إياسِ بن ثعلبةَ الأَنْصَارِيِّ الحارثي ﵁ قال: ذَكَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا تَسْمَعُونَ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ، إِنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ**». رواهُ أَبو داود.

البَذَاذَةُ: رثاثة الهيئة وترك فاخر اللباس، والتَّقَحُّلُ: هو الرجل اليابس الجلد من خشونة العيش وتَرك التَّرَفُّه.

إنما كانت البذاذة من الإيمان لما تؤدي إليه من كسر النفس والتواضع، وعُوتب عليٌّ ﵁ في ثوب مرقوع، فقال: يقتدي به المؤمن، ويخشع له القلب، والأفضل التوسط في كل شيء.



**[٥١٨]** وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله ﵄، قال: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ ﵁ نَتَلَقَّى عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً، فَقِيلَ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِيُّ، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ المَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَى اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالمَاءِ فَنَأْكُلُهُ. قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَى سَاحِلِ البَحْرِ كَهَيْئَةِ الكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعى العَنْبَرَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ، ثُمَّ قَالَ: لَا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ الله ﷺ، وَفِي سَبِيلِ الله، وَقَدِ اضْطُرِرْتُمْ فَكُلُوا، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا، وَنَحْنُ ثَلَاثُمِائَةٍ حَتَّى سَمِنَّا، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِنْ وَقْبِ عَيْنِهِ بِالْقِلَالِ الدُّهْنَ، وَنَقْطَعُ مِنْهُ الفِدَرَ كَالثَّوْرِ أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ،

وَأَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا، ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا، وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذٰلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟**»، فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْهُ، فَأَكَلَهُ. رواه مسلم.

الجِرَابُ: وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ مَعْرُوفٌ. الخَبَطُ: وَرَقُ شَجَرٍ مَعْرُوفٍ تَأْكُلُهُ الإِبِلُ. الكَثِيبُ: التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ. الوَقْبُ: نُقْرَةُ العَيْنِ. القِلَالُ: الجِرَارُ. الفِدَرُ: القِطَعُ. رَحَلَ البَعِيرَ: جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْلِ. الوَشَائِقُ: اللَّحْمُ الَّذِي اقْتُطِعَ لِيُقَدَّدَ مِنْهُ.

فيه: ما كان عليه الصحابة من الزهد في الدنيا والتقلل منها، والصبر على الجوع، وخشونة العيش. وفيه: كرامة له ﷺ حيث كفى الواحد منهم نهاره ثمرة واحدة. وفيه: حِلُّ ميتة حوت البحر.

**[٥١٩]** وعن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الرُّصْغِ. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الرُّصْغُ وَالرُّسْغُ: المَفْصِلُ بَيْنَ الكَفِّ وَالسَّاعِدِ.

قيل: حكمة الاقتصار على الرصغ، أنه متى جاوز اليد شق على لابسه، ومتى قصر عنه تأذى الساعد ببروزه للحر والبرد، وخير الأمور أوسطها.



**[٥٢٠]** وعن جابر رضي الله عنه قال: إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاؤُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: هٰذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ، فَقَالَ: «**أَنَا نَازِلٌ**»، ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لَا نَذُوقُ ذَوَاقًا، فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ المِعْوَلَ، فَضَرَبَ

فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَوْ أَهْيَمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي إِلَى البَيْتِ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا فِي ذٰلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ: عِنْدِي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ، فَذَبَحْتُ العَنَاقَ، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ كَادَتْ تَنْضِجُ، فَقُلْتُ: طُعَيْمٌ لِي، فَقُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلَانِ، قَالَ: «**كَمْ هُوَ؟**»، فَذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «**كَثِيرٌ طَيِّبٌ، قُلْ لَهَا لَا تَنْزِعِي البُرْمَةَ وَلَا الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ حَتَّى آتِي**»، فَقَالَ: «**قُومُوا**»، فَقَامَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا، فَقُلْتُ: وَيْحَكِ، جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ وَمَنْ مَعَهُمْ! قَالَتْ: هَلْ سَأَلَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا**»، فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ البُرْمَةَ وَالتَّنُّورَ إِذَا أَخَذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَى أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يَكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ مِنْهُ، فَقَالَ: «**كُلِي هٰذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُمْ مَجَاعَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية قال جابر: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بَهِيمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحْتُهَا، وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إِلَى فَرَاغِي، وَقَطَعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَتْ: لَا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ، فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رسول الله، ذَبَحْنَا بَهِيمَةً لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «**يَا أَهْلَ الخَنْدَقِ: إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُؤْرًا فَحَيَّهَلًا بِكُمْ**»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُمْ وَلَا تَخْبِزَنَّ عَجِينَكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**»، فَجِئْتُ، وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقَالَتْ: بِكَ وَبِكَ! فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ لِي، فَأَخْرَجَتْ عَجِينًا، فَبَسَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ فِيهَا وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلَا تُنْزِلُوهَ**»، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لَأَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ.

عَرَضَتْ كُدْيَةٌ: وَهِيَ قِطْعَةٌ غَلِيظَةٌ صُلْبَةٌ مِنَ الأَرْضِ لَا يَعْمَلُ فِيهَا الفَأْسُ. وَالكَثِيبُ: أَصْلُهُ تَلُّ الرَّمْلِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: صَارَتْ تُرَابًا نَاعِمًا، وَهُوَ مَعْنَى أَهْيَلَ. الأَثَافِيُّ: الأَحْجَارُ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا القِدْرُ، وَتَضَاغَطُوا: أَيْ تَزَاحَمُوا. المَجَاعَةُ: الجُوعُ. الخَمَصُ: الجُوعُ. انْكَفَأْتُ: انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ. البُهَيْمَةُ: العَنَاقُ، الأُنْثَى مِنَ المعْزِ أَوِ الغَنَمِ قَبْلَ اكْتِمَالِ الحَوْلِ. الدَّاجِنُ: الَّتِي أَلِفَتِ البَيْتَ. السُّؤْرُ: الطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَى النَّاسُ إِلَيْهِ. حَيَّهَلًا: تَعَالُوا. وَقَوْلُهَا: بِكَ وَبِكَ: أَيْ خَاصَمَتْهُ وَسَبَّتْهُ، لِأَنَّهَا اعْتَقَدَتْ أَنَّ الَّذِي عِنْدَهَا لَا يَكْفِيهِمْ، فَاسْتَحْيَتْ، وَخَفِيَ عَلَيْهَا مَا أَكْرَمَ اللهُ ﷻ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ وَالآيَةِ البَاهِرَةِ. بَسَقَ: بَصَقَ؛ وَيُقَالُ أَيْضًا: بَزَقَ، ثَلَاثُ لُغَاتٍ. عَمَدَ: قَصَدَ. اقْدَحِي: اغْرِفِي؛ وَالمِقْدَحَةُ: المِغْرَفَةُ. تَغِطُّ: لِغَلَيَانِهَا صَوْتٌ.

في هذا الحديث: معجزة النبي ﷺ وفضيلة لأصحابه ﷺ، حيث صبروا معه على الجوع والحرب، فأثابهم الله على ذلك بأن استخلفهم في الأرض، ومكّن لهم دينهم، وبدّلهم من بعد خوفهم أمناً، مع ما أعد لهم من الثواب في الجنة.

**[٥٢١]** وعن أنسٍ رض الله عنه قال: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لِأُمِّ سُلَيْمٍ: قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضَعِيفًا أَعْرِفُ فِيهِ الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخَذَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ ثَوْبِي وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَالِسًا فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟**»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**أَلِطَعَامٍ؟**»، فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُومُوا**»، فَانْطَلَقُوا، وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ

رسولُ الله ﷺ بِالنَّاسِ وَلَيسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ الله ﷺ مَعَهُ حَتَّى دَخلا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ**»، فَأَتَتْ بِذٰلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ، فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشْرَةٍ**»، فَأَذِنَ لَهُمْ، حَتَّى أَكَلَ القَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَوْ ثَمَانُونَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية: فَمَا زَالَ يَدْخُلُ عَشرَةٌ وَيَخْرُجُ عَشَرَةٌ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ، فَأَكَلَ حَتَّى شَبِعَ، ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِيْنَ أَكَلُوا مِنْهَا. وفي رواية: فَأَكَلُوا عَشْرَةً عَشْرَةً، حَتَّى فَعَلَ ذٰلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلًا، ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذٰلِكَ وَأَهْلُ البَيْتِ، وَتَرَكُوا سُؤْرًا، أَيْ زَادًا. وفي رواية: ثُمَّ أَفْضَلُوا مَا بَلَغُوا جِيرَانَهُمْ. وفي رواية عن أنس، قال: جِئتُ رَسُولَ الله ﷺ يَوْمًا، فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَقُلتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: لِمَ عَصَبَ رَسُولُ الله ﷺ بَطْنَهُ؟ فَقَالُوا: مِنَ الجُوعِ، فَذَهَبْتُ إِلَى أَبِي طَلْحَةَ، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْتِ مِلْحَانَ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ، قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَقَالُوا: مِنَ الجُوعِ، فَدَخَلَ أَبُو طَلْحَةَ عَلَى أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ، فَإِنْ جَاءَنَا رَسُولُ الله ﷺ وَحْدَهُ أَشْبَعْنَاهُ، وَإِنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ... وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

في هذا الحديث: معجزة ظاهرة للنبي ﷺ. وفيه: استحباب أكل صاحب الطعام وأهله بعد فراغ الضيفان، وإطعام جيرانهم. وفيه: جواز تسمية زوج الأم أباً. وفيه: ما كان عليه الصحابة من الاعتناء بأحوال رسول الله ﷺ مع ما هم فيه من ضيق العيش يومئذٍ. وفيه: اجتزاؤهم بالقوت، وترك ما زاد عليه من شهوة النفس وحظها.





## ٥٧- القناعة والعفاف وذمُّ السُّؤال من غير ضرورة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]. أي: هو المتكفل بأرزاق المخلوقات في البر والبحر.

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. أي: الأَوْلى بالصدقات الفقراء المقيمون على طاعة الله، المتعفِّفون عن السؤال. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "اسْتَغْنِ عَمَّنْ شِئْتِ تَكُنْ نَظِيرَهُ، وَأَفْضِلْ عَلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَمِيرَهُ، وَاحْتَجْ إِلَى مَنْ شِئْتَ تَكُنْ أَسِيرَهُ".

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]. أي: الإنفاق بين الإسراف والإقتار هو القوام الذي تقوم به معيشة الإنسان بحسب حاله، وخير الأمور أوساطها.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦- ٥٧]. أي: ما خلق الله الجن والإنس إلا لأجل عبادته وحده، وليس محتاجاً إليهم كما يحتاج السادة إلى عبيدهم، فمن أطاعه جازاه أتمَّ الجزاء، ومن عصاه عذَّبه أشد العذاب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ، مَلَأْتُ صَدْرَكَ شُغْلًا، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ». رواه أحمد. وفي بعض الكتب الإلهية: «يَا ابْنَ آدَمَ خَلَقْتُكَ لِعِبَادَتِي فَلَا تَلْعَبْ، وَتَكَفَّلْتُ بِرِزْقِكَ فَلَا تَتْعَبْ، فَاطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ خَيْرٍ، وَإِنْ فُتُّكَ فَاتَكَ كُلُّ خَيْرٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ».



**[٥٢٢]** عن أَبي هريرة ؓ، عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ الغِنَى عَنْ كَثْرَةِ العَرَضِ، وَلٰكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

العَرَضُ: المَالُ. أي: ليس حقيقة الغنى كثرة المال، وإنما من استغنى بما آتاه الله، وقنع به.

**[٥٢٣]** وعن عبد الله بن عمرو ؓ: أن رسول الله ﷺ قال: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**». رواه مسلم.

الكَفَافُ: ما كفَّ عن السؤال مع القناعة.

وفي الحديث: شرف هذه الحال على الفقر والغنى.



**[٥٢٤]** وعن حكيم بن حزام ؓ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هٰذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ؓ يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَهُ العَطَاءَ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ؓ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهُ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، أُشْهِدُكُمْ عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ فِي هٰذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يَرْزَأُ: لَمْ يَنْقُصْ أَحَدًا شَيْئًا بِالأَخْذِ مِنْهُ. إِشْرَافُ النَّفْسِ: تَطَلُّعُهَا وَطَمَعُهَا بِالشَّيْء.
سَخَاوَةُ النَّفْسِ: عَدَمُ الإِشْرَافِ إِلَى الشَّيْءِ، وَالطَّمَعِ فِيهِ، وَالْمُبَالَاةِ بِهِ وَالشَّرَهِ.

وقيل: إنما امتنع حكيم من أخذ العطاء، مع أنه حقه، لأنه خشي أن يقبل من أحد شيئاً، فيعتاد الأخذ فيتجاوز به إلى ما لا يريده، ففطمها عن ذلك، وترك ما لا يريبه خوفَ ما يريبه.



**[٥٢٥]** وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ، فَنُقِّبَتْ أَقْدَامُنَا وَنُقِبَتْ قَدَمِي، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ. قَالَ أَبُو بُردَة: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهٰذَا الحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِهَ ذٰلِكَ، وَقَالَ: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ! قَالَ: كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: ما كان فيه الصحابة ﷺ من الشدة والضيق، فصبروا حتى كانت العقبى الطيبة لهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

وفيه: كراهية إفشاء العمل الصالح إلا إذا ترتب على ذلك مصلحة.



**[٥٢٦]** وعن عمرو بن تَغْلِبَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِمَالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَّمَهُ، فَأَعْطَى رِجالًا، وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلَغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بعْدُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلٰكِنِّي إِنَّمَا أُعطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَى فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَى مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبهِم مِنَ الغِنَى وَالخَيْرِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ**». قَالَ عَمْرُو بْنُ تَغْلِبَ: فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رَسُولِ الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ. رواه البخاري.



**[٥٢٧]** وعن حكيم بن حزام ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفُّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

اليد العليا: المنفقة. اليد السفلى: السائلة.

من يستعفف عن سؤال الناس يعفه الله، ومن يستغن ولا يسأل الناس يُغنِه الله، ولهذا قال العلماء: لا يحل لأحد أن يسأل شيئاً إلا عند الضرورة، أما أن يسأل للأمور الكماليات لأجل أن يسابق الناس فيما يجعله في بيته، فإن هذا لا شك في تحريمه، ولا يحل له أن يأخذ من الزكاة حتى لو أعطيها من أجل الكماليات.



**[٥٢٨]** وعن أبي عبد الرحمن معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تُلْحِفُوا فِي المَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ لَا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ**». رواه مسلم.

فيه: النهي عن الإلحاح في السؤال، وأنه لا يبارك له فيما أُعطي، وقد قال الله تعالى مادحًا أقواماً لتعففِهم: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا**﴾ [البقرة:٢٧٣].



**[٥٢٩]** وعن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك الأَشْجَعِيِّ ﵁ قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**»، وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللهِ؟**»، فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا، وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «**عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،**

وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، وَتُطِيعُوا اللهَ»، وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيفَةً: «**وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا**»، فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولٰئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ. رواه مسلم.



[٥٣٠] وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَزَالُ المَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المُزْعَةُ: القِطْعَةُ.

فيه: النهي عن السؤال من غير ضرورة، وأنه يحشر يوم القيامة ووجهه عظم لا لحم عليه.



[٥٣١] وعنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَى هِيَ السَّائِلَةُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وللطبراني بإسناد صحيح عن حكيم بن حزام مرفوعاً: «**يَدُ اللهِ فَوْقَ يَدِ المُعْطِي، وَيَدُ المُعْطِي فَوْقَ يَدِ المُعْطَى، وَيَدُ المُعْطَى أَسْفَلَ الأَيْدِي**».

[٥٣٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ**». رواه مسلم.

فيه: تحريم السؤال من غير حاجة ظاهرة، وأنه كلما كثر سؤاله كثر عذابه. يعني من سأل الناس أموالهم ليكثر بها ماله، زاد الجمر عليه، وإن استقلَّ قلَّ الجمر عليه، ففي هذا دليلٌ على أن سؤال الناس بلا حاجة من كبائر الذنوب.



**[٥٣٣]** وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدبٍ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا أَوْ فِي أَمْرٍ لَا بُدَّ مِنْهُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الكدُّ: الْخَدْشُ وَنَحْوُهُ.

فيه: قبح السؤال، ورخّص في سؤال السلطان، لأن للسائل في بيت المال حق، وكذلك السؤال للضرورة.

**[٥٣٤]** وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ فَأَنْزَلَهَا بِالنَّاسِ لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا بِاللهِ فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

يُوشِكُ: أَيْ يُسْرِعُ.

قال وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ لرجل يأتي الملوك: ويحك، تأتي من يغلق عنك بابه، وتدع من يفتح لك بابه، لأن من أنزل حاجته بالناس فإنها لا تُقضى حاجته؛ ومن وكّل إلى الناس أمره، فإنه خائب لا تُقضى حاجته، ويستمر دائماً يسأل ولا يشبع، ومن أنزلها بالله وتوكل عليه، وفعل الأسباب، فإنه يوشك أن تُقضى حاجته؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ**﴾ [الطلاق: ٣].



**[٥٣٥]** وعن ثوبان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟**»، فَقُلْتُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا. رواه أبو داود بإسناد صحيح.



**[٥٣٦]** وعن أَبي بِشْرٍ قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رضي الله عنه قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «**أَقِمْ حَتَّى تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا**»، ثُمَّ قَالَ: «**يَا قَبِيصَةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إِلَّا لِأَحَدِ ثَلَاثَةٍ: رَجُلٌ تَحَمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيش- أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّى يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَى مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلانًا فَاقَةٌ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّى يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ- أَوْ قَالَ: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ، فَمَا سِوَاهُنَّ مِنَ المَسْأَلَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ، يَأْكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا**». رواه مسلم.

الحَمَالَةُ: أَنْ يَقَعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصلِحُ إِنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَى مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ عَلَى نَفْسِهِ. الجَائِحَةُ: الآفَةُ تُصِيبُ مَالَ الإِنْسَانِ. القَوَامُ: مَا يَقُومُ بِهِ أَمْرُ الإنسَان مِنْ مَالٍ ونحوِهِ. السِّدَادُ: مَا يَسُدُّ حَاجَةَ المَعْوِزِ وَيَكْفِيهِ. الفَاقَةُ: الفَقْرُ. الحِجَى: العَقْلُ.

وفي هذا الحديث: تحريم السؤال إلا في غُرْم، أو جائحة، أو فاقة، فهؤلاء الثلاثة هم الذين تحل لهم المسألة، وما سوى ذلك يأكلها صاحبها سحتاً، والسُّحت هو الحرام، وسمي سحتاً؛ لأنه يسحت بركة المال، وربما يسحت المال كله من أصله، فيكون عليه آفات وغرامات تسحت ماله.



**[٥٣٧]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلٰكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



## ٥٨- الأخذ من غير مَسألة

**[٥٣٨]** عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر عن عمر قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعْطِينِي العَطَاءَ، فَأَقُولُ: أَعْطِهِ مَنْ هُوَ أَفْقَرُ إِلَيْهِ مِنِّي، فَقَالَ: «**خُذْهُ، إِذَا جَاءَكَ مِنْ هٰذَا المَالِ شَيْءٌ وَأَنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ، فَخُذْهُ فَتَمَوَّلْهُ، فَإِنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لَا، فَلَا تُتْبِعْهُ نَفْسَكَ**». قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عَبدُ الله لا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلَا يَرُدُّ شَيْئًا أُعْطِيَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

مُشْرِفٌ: مُتَطَلِّعٌ إِلَيْهِ.

وفي الحديث أنَّ للإمام أنْ يعطي بعض رعيته إذا رأى لذلك وجهاً وإن كان غيره أحوج إليه منه، وإن ردَّ عطيَّة الإمام ليس من الأدب، وإذا أعطاك أحد شيئاً فاقبله؛ لأن رد العطية والهدية قد يحمل من أعطاك على كراهيتك، فيقول: هذا الرجل استكبر، هذا الرجل عنده غطرسة، وما أشبه ذلك، فالذي ينبغي أن من يعطيك تقبل منه، إلا إذا كان الإنسان يخشى ممن أعطاه أن يمنَّ به عليه في المستقبل فيقول: أنا أعطيتك، فهنا يردُّه.





## ٥٩- الأكل مِن عمَل يَدهِ

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾ [الجمعة:١٠].



**[٥٣٩]** عن أبي عبد الله الزبير بن العَوَّام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ**». رواه البخاري.

إذن؛ ينبغي للإنسان أن يأكل من عمل يده، ويتعفَّف عن السؤال، وأن يكتسب ويتَّجر؛ لقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥»، أي في أنحائها، ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾، أي ابتغوا الرزق من فضل الله ﷻ.



**[٥٤٠]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا يدل على أن العمل والمهنة ليست نقصاً؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يمارسونها، ولا شك أن هذا خيرٌ من سؤال الناس.



**[٥٤١]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**كَانَ دَاوُدُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**». رواه البخاري.

**[٥٤٢]** وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**كَانَ زَكَرِيَّا نَجَّارًا**». رواه مسلم.

وما ثبت في صحيح البخاري، أن داود عليه السلام كان يأكل من كسب يديه، وكان يصنع الدروع كما قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ**﴾ [الأنبياء: ٨٠]، فكان حداداً، أما زكريا فكان نجاراً يعمل وينشر ويأخذ الأجرة على ذلك.

**[٥٤٣]** وعن المقدام بن مَعْدِ يكرِبَ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**». رواه البخاري.

وفي الحديث الآخر: أن النبي ﷺ سئل: أيُّ الكسب أطيب؟ قال: «**عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٌ**».

ولا شك أن هذا هو الخلق النبيل؛ ألَّا يخضع الإنسان لأحد، ولا يذل له، بل يأكل من كسب يده، من تجارته أو صناعته أو حرثه، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ**﴾ [المزمل: ٢٠]، ولا يسألون الناس شيئاً.





# ٦٠- الكَرم والجُود

الكرم: الإنفاق بطيب نفس، والجُود: الإنفاق فيما يعظم نفعه.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. أي: لا تنقصون.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. أي: ما تنفقوا من خير فثوابه لأنفسكم، فيجازيكم بقدره، فلا تمنُّوا به.

**[٥٤٤]** وعن ابن مسعود ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ويُعَلِّمُهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الحكمة: العلم. والعلم النافع هو القرآن والسنَّة، فالمال الذي أعطاه الله بني آدم، أعطاهم الله إياه فتنة؛ ليبلوهم هل يحسنون التصرف فيه أم لا.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ واللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]. فمن الناس من ينفقه في شهواته المحرمة، وفي لذائذه التي لا تزيده من الله إلا بعداً، فهذا يكون ماله وبالاً عليه، ومن الناس من ينفقه فيما يقرب إلى الله على حسب شريعة الله، فهذا ماله خير له.



**[٥٤٥]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «**فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**». رواه البخاري.

فيه: التحريض على تقديم مال في وجوه البر لينتفع به في الآخرة، وهذه حكمة عظيمة ممن أوتي جوامع الكلم ﷺ، فمالك الذي تقدمه لله تجده أمامك يوم القيامة، ومال الوارث ما يبقى بعدك، فهو مال وارثك على الحقيقة.

**[٥٤٦]** وعن عَدِيِّ بن حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: أن الصدقة تقي من النار، ولو كانت قليلة. وفي الحديث الآخر: «**وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**».

**[٥٤٧]** وعن جابرٍ ﷺ قال: مَا سُئِلَ رَسُولِ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فَقَالَ: لَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

كان ﷺ لا ينطق بالرد، فإن كان عنده المسؤول وساغ الإعطاء أعطى، وإلا وعد كما قال تعالى: ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا**﴾ [الإسراء:٢٨].

**[٥٤٨]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني أتلف ماله، والمراد بذلك من يمسك عما أوجب الله عليه من بذل المال فيه، وليس كل ممسك، بل الذي يمسك ماله عن إنفاقه فيما أوجب الله، فهو الذي تدعو عليه الملائكة بأن الله يتلفه ويتلف ماله.

والتلف نوعان: تلف حسّي، وتلف معنوي؛ فالتلف الحسي: أن يُتلَفَ المالُ نفسه، بأن يأتيه آفة تحرقه، أو يُسرق أو ما أشبه ذلك، والتلف المعنوي: أن تُنزع بركته، بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حسناته.

**[٥٤٩]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنْفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومن الناس من يبذل ماله في غير فائدة، ليس في شيء محرم ولا في شيء مشروع، فهذا ماله ضائع عليه، وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال، وينبغي للإنسان إذا بذل ماله فيما يرضي الله أن يكون واثقاً بوعد الله تعالى، حيث قال في كتابه: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ: ٣٩].

﴿**فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾: يعطيكم خلفاً عنه، وليس معناه فهو يَخلُفهُ، إذ لو كانت كذلك، لكان معنى الآية: أن الله يكون خليفة، وليس الأمر كذلك، بل فهو يُخلفه أي يعطيكم خلفاً عنه.

**[٥٥٠]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المراد به: إفشاء السلام على من لقيت ائتلافاً للقلوب، وهكذا أيضاً الفسَّاق، انصحْهم ولا تقل: أنا أبغضهم لله، ابغضهم لله، وادعهم إلى الله، وإن كنت تكرههم فلعلهم يوماً من الأيام يكونون من أحبابك في الله.



**[٥٥١]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلَاهَا مَنِيحَةُ العَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ تَعَالَى بِهَا الجَنَّةَ**». رواه البخاري.

في هذا الحديث: إن الإنسان ينبغي له أن يحرص على فعل الخير ولو كان قليلاً، كما قال النبي ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**».

**[٥٥٢]** وعن أبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عَجْلانَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى**». رواه مسلم.

**[٥٥٣]** وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: مَا سُئِلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى الإِسْلامِ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لَا يَخْشَى الفَقْرَ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا. رواه مسلم.

في هذا الحديث: جواز إعطاء المؤلفة قلوبهم ترغيباً في الإسلام، وكمال معرفته ﷺ بدواء كل داء، ولذلك ذهب هذا الرجل إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا، فانظر إلى هذا العطاء كيف أثَّر في هذا الرجل هذا التأثير العظيم، حتى أصبح داعية إلى الإسلام.



**[٥٥٤]** وعن عمر رضي الله عنه قال: قَسَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَغَيْرُ هٰؤُلَاءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «**إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسْأَلُونِي بِالفُحْشِ، أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ**». رواه مسلم.

ويؤخذ من هذا الحديث وأمثاله: أنه لا ينبغي لنا أن نبتعد عن أهل الكفر وعن أهل الفسوق، وأن ندعهم للشياطين تلعب بهم؛ بل نجذبهم إلينا بالمال واللِّين وحسن الخلق حتى يألفوا الإسلام، بل إن الله جعل لهم حظاً من الزكاة، حتى يدخلوا في دين الله، والإنسان قد يسلم للدنيا، ولكن إذا ذاق طعم الإسلام رغب فيه، فصار أحب شيء إليه، وقد قال بعض أهل العلم: طلبنا العلم لغير الله؛ فأبى أن يكون إلا لله.

**[٥٥٥]** وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخُطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هٰذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا**». رواه البخاري.

مَقْفَلَهُ: أيْ: حَال رُجُوعِه. السَّمُرَةُ: شَجَرَةٌ. العِضَاهُ: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ، وإذا كان هذا دأب الإسلام فيمن يُعطى على الإسلام ويجذب؛ فإنه ينبغي لنا أن ننظر إلى هذا نظرة جدية، فنعطي من كان كافراً إذا وجدنا فيه قرباً من الإسلام، ونهاديه ونحسن له الخلق.



**[٥٥٦]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**». رواه مسلم.

الشيطان يقول له: أنت إذا تصدقت نقص مالك، عندك مائة ريال إذا تصدقت بعشرة لم يكن عندك إلا تسعون، فلا تتصدَّق، ولكن الحقيقة أنها تزيده كيفاً وبركة، وربما هذه العشرة يأتي بدلها مائة، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ [سبأ: ٣٩]. أي يجعل لكم خلفاً عنه عاجلاً وآجلاً.

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١].

أما قوله ﷺ: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»؛ إذا جَنَى عليك أحد وظلمك في مالك، أو في بدنك، أو في أهلك، أو في حق من حقوقك، فإن النفس شحيحة تأبى إلا أن تنتقم منه، وأن تأخذ بحقك، وهذا لك.

قال تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦].

ولا يلام الإنسان على ذلك، لكن إذا همَّ بالعفو وحدَّث نفسه بالعفو، قالت له نفسه الأمَّارة بالسُّوء: إن هذا ذلٌّ وضعف، كيف تعفو عن شخص جنى عليك أو اعتدى عليك؟! هذا من خداع النفس الأمارة بالسوء، فإن الله تعالى يُثِيبُكَ على عفوك هذا، ولا يزيدك إلا عزاً ورفعة في الدنيا والآخرة.

ثم قال ﷺ: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**». ولكن الإنسان يظن أنه إذا تواضع نَزَلَ، ولكن الأمر بالعكس، إذا تواضعت لله؛ فإن الله تعالى يرفعك، بأن تتواضع لله بالعبادة، وتخضع له، وتنقاد لأمره، وأن تتواضع لعباد الله من أجل الله، لا خوفاً منهم، ولا مداراة لهم، ولا طلباً لمال أو غيره، وكلاهما سبب للرفعة، إنما تتواضع من أجل الله، فإن الله تعالى يرفعك في الدنيا أو في الآخرة.



**[٥٥٧]** وعن أبي كبشة عمرو بن سعد الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ:**

مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ- أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ:

عَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهٰذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ.

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ.

وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ للهِ فِيهِ حَقًّا، فَهٰذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ.

وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قوله ﷺ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ»، يشهد له قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩].

وقوله: «وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا»، يشهد له قوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣].

وقوله: «وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»، هذا مشاهدٌ بالحسِّ، ويشهد له قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ واللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥].

وقوله: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ»؛ فالأول: عَلِمَ وعَمِلَ صَالحًا، والثاني: عَلِمَ وَعَزَمَ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ لَوْ قَدِرَ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَالثَّالِثُ: لَمْ يَعْلَمْ وَلَمْ يَعمَلْ فِي مَالِهِ صَالحًا، والرَّابعُ: لَمْ يَعْلَمْ وَعَزَمَ عَلَى العَمَلِ السَّيِّئِ، لَوْ قَدِرَ عَلَى مَالٍ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٢١]، لأنك الآن تجد التجار يختلفون، منهم من ينفق أمواله في سبيل الله؛ في

أعمال الخير، وإعانة فقير، وبناء مساجد، وبناء مدارس، وطباعة كتب، وإعانة على الجهاد، وما أشبه ذلك. ومنهم من يسلطه على هلكته في اللذائذ المحرمة؛ يسافر إلى الخارج فيَزْني، ويشرب الخمر، ويلعب القمار، ويتلف ماله فيما يغضب الله تعالى.

**[٥٥٨]** وعن عائشة ﵂: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا بَقِيَ مِنْهَا؟**». قالت: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُها. قَالَ: «**بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرُ كَتِفِهَا**». رواه الترمذي، وقال: حديث صحيح.

ومعناه: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلَّا كَتِفَهَا، فَقَالَ: بَقِيَتْ لَنَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا كَتِفَهَا.

**[٥٥٩]** وعن أسماء بنت أَبي بكرٍ الصديق ﵄، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**لَا تُوكِي فَيُوكِي اللهُ عَلَيْكِ**». وفي رواية: «**أَنْفِقِي أَوِ انْفَحِي، أَوِ انْضَحِي، وَلَا تُحْصِي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**انْفَحِي**»: بمعنى أنفقي، وكذلك «**انْضَحِي**».

وفيه: أن من منع ما عنده من المال قطع الله عنه مادة الرزق، وهذا مفهوم قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ [سبأ:٣٩].

**[٥٦٠]** وعن أبي هريرة ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَثَلُ البَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبَغَتْ- أَوْ وَفَرَتْ- عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا البَخِيلُ، فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الجُبَّةُ: الدِّرْعُ؛ وَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمُنْفِق كُلَّمَا أَنْفَقَ سَبغَتْ، وَطَالَتْ حَتَّى تَجُرَّ وَرَاءَهُ، وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأَثَرَ مَشْيِهِ وَخطُوَاتِهِ.

القبض والشح من جبلة الإنسان، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾ [الإسراء:١٠٠]. فالنفقة تستوعب عيوبه.

وفي الحديث: وعدٌ للمنفق بالبركة والصيانة من البلاء والبخيل بضد ذلك، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

**[٥٦١]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ**».

الفَلُوُّ: المُهْرُ.

**[٥٦٢]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ. فَتَنَحَّى ذٰلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذٰلِكَ المَاءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ المَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ لِلاسْمِ الذي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هٰذَا مَاؤُهُ، يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ فَقَالَ: أَمَا إِذْ قُلْتَ هٰذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ**». رواه مسلم. وفي الحديث الآخر: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، بَلْ تَزِيدُهُ، بَلْ تَزِيدُهُ**».

الحَرَّةُ: الأَرْضُ المُلَبَّسَةُ حِجَارَةً سَوْدَاءَ. الشَّرْجَةُ: مَسِيلُ المَاءِ.



## ٦١- البُخْل والشُّحّ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى، وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾ [الليل: ٨-١١].

البخل: معروف، والشح أبلغ من البخل؛ لأنه يبخل بما عنده، ويطلب ما ليس له.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ أي: بالإنفاق، ﴿وَاسْتَغْنَى﴾ أي: بالدنيا عن الآخرة؛ استغنى بنفسه، وزعم أنه مستغنٍ عن رحمة الله، فلا يعمل ولا يستقيم، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ أي: بالجزاء في الدار الآخرة، وكذَّب بالكلمة الحسنى وهي ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾ نهيّئه ﴿لِلْعُسْرَى﴾؛ نعسّر عليه الأمور، فلا تسهل عليه الطاعات، بل يجدها ثقيلة؛ كالصلاة والصدقة والصيام والحج، كل شيء متعسر عنده، ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ﴾ الذي يبخل به ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾؛ إذا مات، وهو في جهنم، يعني أيّ شيء يُغني عنه ماله إذا هلك؟ والجواب أنه لا يغني عنه شيئاً، فهذا المال الذي بخل به لا يحميه من عذاب الله ولا عقابه.

فالإنسان المصّدّق المعطي لما يجب إعطاؤه من مال وغيره، ييسره الله لأيسر الطرق في الدنيا والآخرة. وقد أجاب النبي ﷺ أصحابه حينما حدَّثهم، قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ وَمِنَ النَّارِ**». يعني أن الأمر مفروغ منه. قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ وَنَدَعُ العَمَلَ؟ قال: «**لَا، اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**».

فأنت فكِّرْ في نفسك؛ هل عندك إعطاء وبذل لما يجب بذله؟ فإن تكن كذلك، فإنك موفق ميسر لليسرى، والعكس بالعكس.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦]. أي: ومن سلم من الحرص الشديد، فلا يطمع فيما ليس له. ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، أي: الفائزون.

ومن ذلك، ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْبَخِيلُ مَنْ إِذَا ذُكِرْتُ عِنْدَهُ لَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»، ﷺ.

[٥٦٣] وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**». رواه مسلم.

«**اتَّقُوا الظُّلْمَ**»: بمعنى احذروه وابتعدوا عنه، والظلم: هو العدوان على الغير، ويشمل الظلم ظلم العباد، مثاله ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ**»، يعني ممانعة الإنسان الذي عليه دَين عن الوفاء وهو غني قادرٌ على الوفاء، وهذا منع ما يجب؛ لأن الواجب على الإنسان أن يبادر بالوفاء إذا كان له قدرة، ولا يحل له أن يؤخر، فإن أخر الوفاء وهو قادر عليه؛ كان ظالماً، وكل ساعة أو لحظة تمضي على المماطل فإنه لا يزداد بها إلا إثماً، وربما يعسّر الله عليه أمره فلا يستطيع الوفاء؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٤]. فمفهوم الآية: أن من لا يتّقي الله لا يجعل له من أمره يسراً. ومن الظلم أيضاً اقتطاع شيء من الأرض؛ قال النبي ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا؛ طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ**».

ومن الظلم الاعتداء على الناس في أعراضهم بالغيبة أو النميمة أو ما أشبه ذلك، فإن الغيبة ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، فإن كان في حضرته؛ فهو سبٌّ وشتمٌ، فإذا ظلم الناس بالغيبة بأن قال: فلان طويل، فلان قصير، فلان سيء الخلق، فلان فيه كذا، فهذه غيبة وظلم يحاسب عليها يوم القيامة.

وكذلك أيضاً إذا جحد ما يجب عليه؛ بأن كان لفلان عليه حق، فيقول ليس له، فإن هذا ظلم؛ لأنه إذا كانت المماطلة ظلماً فهذا أظلم. وعلى كل حال؛ اتَّقوا الظلم بجميع

الأنواع، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، يكون على صاحبه بحسب الظلم الذي وقع منه؛ قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الانبياء: ٤٧]. وفي هذا دليلٌ على أن الظلم من كبائر الذنوب؛ لأنه لا وعيد إلا على كبيرة من كبائر الذنوب.

ثم قال: «**وَاتَّقُوا الشُّحَّ**»: يعني الطمع في حقوق الغير. اتقوه: أي احذروا منه واجتنبوه، فإنه أهلك من كان قبلكم، يعني من الأمم، فكان هلاكهم بذلك.





## ٦٢- الإيثار والمواساة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر:٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الدهر: ٨].

يعني: ويطعمون الطعام وهم يحبّونه ويشتهونه، وإن كان كافرًا.

**[٥٦٤]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى، فَقَالَتْ مِثْلَ ذٰلِكَ، حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذٰلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ يُضِيفُ هٰذَا اللَّيْلَةَ؟**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَنَا يَا رَسُولَ الله. فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ الله ﷺ. وَفِي رِوَايَةٍ، قَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتَ صِبْيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، وَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ. فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَقَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: "إِنِّي مَجْهُودٌ" يعني مجهد من الفقر والجوع، وهو ضيف على رسول الله ﷺ.

فيه: أن الرجل دعا زوجته وأمرها أن تشغل أولادها وتلهيهم، حتى إذا جاء وقت الطعام نوّمتهم، وأطفأت المصباح، وأرتِ الضيف أنهم يأكلون معه، ففعلت. قال لزوجته: أكرمي ضيف رسول الله، ولم يقل أكرمي ضيفنا، مع أن الذي أضافه في الحقيقة هو هذا الرجل، لكنه أضافه نيابة عن الرسول فجعله ضيفاً لرسول الله.

وفيه: أنه يجوز عرض الضيافة على الناس، ولا يعد هذا من المسالة المذمومة، لأنه لم يعين، فيجوز للإنسان مثلاً إذا نزل به ضيف وكان مشغولاً، أن يقول لمن حوله: من يضيف هذا الرجل؟ ولا حرج في ذلك.

وفيه: أنه ينبغي للإنسان ألا يُري ضيفه أنه مانٌّ عليه ومحرج له؛ لأن الرجل أمر بإطفاء المصباح حتى لا يظن الضيف أنه ضيّق عليهم وحرمهم العشاء.

وفيه: أنه يجوز للإنسان أن يؤثر الضيف على عائلته، وهذا في الأحوال النادرة، وإلا فقد قال النبي ﷺ: «**ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنَّ فَضُلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ**».

**[٥٦٥]** وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلمٍ عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَة يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**». يعني أنك لو أتيت بطعامك الذي قدّرت أنه يكفيك، وجاء رجلٌ آخر فلا تبخل؛ لا تبخل عليه وتقول هذا طعامي وحدي، بل أعطه، وكذلك لو جاء اثنان بطعامهما، ثم جاءهما اثنان، فلا يبخلان عليه ويقولان هذا طعامنا، بل يطعمانهما؛ فإن طعامهما يكفيهما ويكفي الاثنين، وهكذا الأربعة مع الثمانية.



**[٥٦٦]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ**»، فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم.

يقول الراوي: يعني أن الإنسان يبذل كل ما عنده حتى لا يبقى معه فضل، يعني من الطعام والشراب والرحل وغير ذلك، وهذا كله من باب الإيثار، وهو كحديث: «**إِنَّكَ يَا ابْنَ آدَمَ إِنْ تَبْذُلِ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَإِنْ تُمْسِكْه شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ**».



**[٥٦٧]** وعن سهل بن سعدٍ ﷺ، أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فَقَالَتْ: نَسَجْتُهَا بِيَدَيَّ لِأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا إِزَارُهُ، فَقَالَ فُلَانٌ: اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا! فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَجْلِسُ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ: فَقَالَ لَهُ القَوْمُ: مَا أَحْسَنْتَ! لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ سَائِلًا، فَقَالَ: إِنِّي وَالله مَا سَأَلْتُهُ لِأَلْبِسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ. رواه البخاري.

فالإيثار: أن يقدّم الإنسان غيرَه على نفسه، والمواساة: أن يواسي غيره بنفسه، والإيثار أفضل، ولكن ليعلم أن الإيثار ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ممنوع، ومكروه، ومباح:

أما الممنوع فهو: لا يجوز أن تقدم غيرك فيما يجب عليك شرعاً، ومثاله: إذا كان معك ماء يكفي لوضوء رجل واحد، وأنت لست على وضوء، فإما أن يتوضأ به صاحبك وتتيمم أنت، أو تتوضأ أنت ويتيمم صاحبك، ففي هذه الحال الماء لك، ولا يجوز أن تؤثره وأن تعطيه الماء وتتيمم أنت.

وأما القسم الثاني: وهو المكروه أو المباح، ومثاله: أن تؤثر غيرك في الصف الأول الذي أنت فيه، فتقوم عن مكانك وتؤثره به، فقد كره أهل العلم هذا، إذ كيف تقدم غيرك إلى مكان فاضل أنت أحق به منه؟! إلا إذا كان فيه مصلحة، كما لو كان أبوك فتؤثره بمكانك الفاضل، فهذا لا بأس به.

القسم الثالث: وهو المباح وقد يكون مستحباً، مثل: أن يكون معك طعام وأنت جائع، وصاحب لك جائع مثلك، فإذا آثرته فإنك محمود على هذا الإيثار؛ لقول الله ﷻ في وصف الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ووجه إيثارهم على أنفسهم أن المهاجرين لما قَدِموا المدينة تلقَّاهم الأنصار بالإكرام والاحترام والإيثار بالمال.

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الانسان: ٨].

يعني: يطعمون الطعام وهم يحبونه، ويتركون أنفسهم.



**[٥٦٨]** وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أَرْمَلُوا: أَيْ فَرَغَ زَادُهُمْ أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ.

حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، وأصحابه الذين هم من الأشعريين من أهل اليمن، كانوا يتساعدون في أمورهم، فإذا أتاهم شيء من المال جمعوه ثم اقتسموه بينهم بالسوية، وهذا الحديث أصلٌ في الجمعيات التعاونية التي يفعلها بعض الناس اليوم، تجتمع العائلة على أن يضعوا صندوقاً يجمعون فيه ما يريدون من المال؛ إما بالنسبة وإما بالاجتهاد والترشيح، فيكون مثلاً على كل واحد منهم أن يدفع اثنين في المائة من راتبه أو من كسبه أو ما أشبه ذلك، ويكون هذا الصندوق معداً للحوائج والنكبات التي تحصل على واحد منهم، فإذا جمع الناس صندوقاً على هذا النحو ليتساعدوا فيه على نكبات الزمان من الحوادث وغيرها، فإن لذلك أصلاً في السنة.

ولكن ينبغي أن نعلم أن هذا الصندوق قد يكون لمن يقع عليه الحادث، وقد يكون لمن يقع منه الحادث؛ فالأول: لمساعدة الناس الذين يحصل عليهم جوائح؛ لمن تتلف زروعهم ومواشيهم، أو أمطار تهدم بيوتهم، أو حوادث تحدث على سياراتهم من غيرهم، فيحتاجون إلى المساعدة. أما الثاني: فهو للحوادث التي تقع من الشخص، فإذا فعل شخص حادثاً كمن دعس أحد! فهذا ينبغي أن يُنظر في هذا الأمر؛ لأننا إذا وضعنا صندوقاً لهذا، فإن السُّفهاء قد يتهوَّرون، ولا يهمهم أن تقع الحوادث منهم.





## ٦٣- التَّنافس في أُمور الآخرة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين:٢٦]. أي: فليتسابق المتسابقون، كقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ [الصافات:٦١].



**[٥٦٩]** وعن سَهْلِ بن سَعدٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلْغُلَامِ: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هٰؤُلَاءِ؟**»، فَقَالَ الغُلَامُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ الله، لَا أُوْثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي يَدِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

تَلَّهُ: وَضَعَهُ. وهذا الغلام هو ابن عبَّاسٍ ﵄.



**[٥٧٠]** وعن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَا أَيُّوبُ ﵇ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟! قَالَ: بَلَى، وَعِزَّتِكَ، وَلٰكِنْ لَا غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ**». رواه البخاري.



## ٦٤- الغنيُّ الشَّاكِر

الغنيُّ: هو الذي أعطاه الله ما يستغني به عن غيره من مال أو علم أو جاه أو غير ذلك، وإن كان الأكثر استعمالاً أن الغني هو الذي أعطاه الله المال فقط!

والله سبحانه يبتلي عباده بالمال؛ يعني بالغنى وبالفقر، فمن الناس من لو أغناه الله لأفسده الغنى، ومن الناس من لو أفقره الله لأفسده الفقر، والله يعطي كل أحد بحسب ما تقتضيه الحكمة.

قال الله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الانبياء: ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾ [الليل:٥- ٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى، وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى، وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾» [الليل:١٧-٢١].

وقال الله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢٧١].

وقال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٩٢].

وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٢٧٤].

وإذا أعطى الله الإنسان المال فإنه ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: من يعطيه الله المال يكتسبه من طريق حرام؛ فهذا غِناه لا ينفعه؛ لأنه غِنى في الدنيا، ولكنه فقير في الدنيا والآخرة.

القسم الثاني: من أغناه الله بالمال الحلال، فهذا هو الذي ينفعه غِناه؛ لأن من كان كذلك؛ فالغالب أن الله يوفقه لصرفه فيما ينفع، وهذا هو الغني الشاكر الذي يأخذ المال بحقه، ويصرفه في حقه على الوجه الذي شرَّعه الله له، فعلى المؤمن إذا أغناه الله أن يكون شاكراً قائماً بما أوجب الله عليه من بذل المال في حقه على الوجه الذي يرضي اللهَ.



**[٥٧١]** وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ .

الحكمة هي العلم، فكان هذا الرجل يعمل بها ويعلِّمها الناس، فهذا هو الذي يُغبط؛ لأنك إذا قارنت بين حال هذا الرجل وحال الجاهل عرفت الفرق بينهما؛ الجاهل يعبد الله على جهل، ولا يعرف من شريعة الله إلا ما فعله الناس، فتجده يتبع الناس على الصواب والخطأ! وهذا نقص كبير؛ لأن الإنسان إذا عبد الله على غير بصيرة؛ صارت عبادته ناقصة، كذلك إذا قارنت بين رجل آتاه الله العلم ولكنه لم يعمل به، ورجل آتاه الله العلم فعمل به وعلَّمه الناس، تجد الفرق العظيم بين هذا وهذا.

والثاني: رجل آتاه الله مالاً، فهو ينفقه في كل ما يرضي الله ليلاً ونهاراً، فهذا هو الذي يُغبط، أما من آتاه الله المال ولكنه لم ينفقه في مرضاة الله؛ فلا غبطة فيه؛ لأن هذا المال انتفع به في الدنيا فقط.

والثالث: رجلٌ فقيرٌ لم يُؤْتَ مالاً فهو أيضاً لا يغبط.



**[٥٧٢]** وعن ابن عمر ﵄، عن النبي ﷺ قال: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الآناء: السَّاعاتُ، والمقصود بالحسد هنا هو الغبطة، وذلك أن الجامع المشترك بين الغبطة والحسد هو أن لكل واحد منهما تمنِّي النعمة؛ إلا أن الحسد فيه تمنِّي زوال النعمة عن المحسود، فهذا أسوأ أنواع الحسد، فالحسد حرام لا يجوز، والغبطة أمر لا إشكال فيه.

**[٥٧٣]** وعن أبي هريرة ﵁، أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**»، فَقَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلَا نَعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**»، قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ وَتَحْمِدُونَ وَتُكَبِّرُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً**»، فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الدُّثُور: الأَمْوَالُ الكَثِيرَةُ.

وفيه: أن العمل السهل قد يدرِك به صاحبه فضل العمل الشاق.



## ٦٥- ذِكْرُ الموتِ وقِصرُ الأمَل

ينبغي للعاقل أن يتذكَّر الموت، وأن يقصر الأمل في الدنيا؛ فكم من إنسان يتأمل أملاً بعيداً، يفكر أنه سيفعل ويفعل ويفعل، فإذا به قد انتهى أجله، وانقطع هذا الأمل في لحظة! فالذي ينبغي للإنسان العاقل أنه كلما رأى من نفسه طموحاً إلى الدنيا وانشغالاً بها واغتراراً بها أن يتذكر الموت، ويتذكر حال الآخرة؛ لأن هذا هو المآل الأكيد، وما يؤمله الإنسان في الدنيا فقد يحصل وقد لا يحصل.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ [الاسراء: ١٨]، لا ما يشاء هو، بل ما يشاء الله ﷻ ﴿لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

ثم ذكر تعالى مبيناً إنهم كما يعذبون بدنياً، فإنهم يعذبون قلبياً، فيُقرعون ويُوبّخون، فيُقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥]، فيقرّون أنهم قد ضلّوا، ما أوصلهم إلى هذه النار، ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ، إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٥-١١٠].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ، قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ، قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ، أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٢-١١٥]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ من بني آدم وغير بني آدم لا بد أن تذوق الموت، وعبّر بقوله: ﴿ذَائِقَةُ﴾، لأن الموت يكون له مذاق مرّ يكرهه كل إنسان، لكن المؤمن إذا حضره أجله وبُشّر بما عند الله ﷻ أحبّ لقاء الله، ولا يكره الموت حينئذٍ، وإن أوتي الإنسان أجره في الدنيا، فإنه ليس هذا هو الأجر فقط؛ بل الأجر الوافي الكامل يكون يوم القيامة، لأنه ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فالدنيا متاع الغرور، متاع ليس دائماً؛ بل كما يكون للمسافر متاع يصل به إلى منتهى سفره، فهي متاع غرور تغرّ الإنسان، تزدان له وتزدهر، وتكتحل وتتحسن، وتكون كأحسن شيء، ولكنها تغره، أي تخدعه، فاحذروا منها.

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤]. وهذه أحد مفاتح الغيب التي لا يعلمها إلا الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ومفاتح الغيب هي الخمس المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾، قال قتادة: أشياء استأثر الله بهنَّ، فلم يُطلع عليهنَّ ملكًا ولا نبيًّا، فعلم الساعة لا يعلمه أحد، حتى إن جبريل، وهو أشرف الملائكة، سأل رسول الله ﷺ محمداً وهو أعلم البشر، فقال: أخبرني عن الساعة؟ قال: «**مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**».

﴿وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾، وليس كل مطر يسمّى غيثاً، فإن المطر أحياناً لا يجعل الله فيه بركة، فلا تنبت به الأرض، كما قال النبي ﷺ: «**لَيْسَ السَّنَةُ أَلَّا تُمْطَرُوا**». السنة: القحط الشديد، يعني ليس الجدب ألا تمطروا، «**وَلَكِنِ السَّنَةُ أَنْ تُمْطَرُوا وَتُمْطَرُوا وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ**

﴿شَيْئًا﴾. وهذا يقع أحياناً، تكثر الأمطار ولا يجعل الله تعالى فيها بركة، فلا تنبت الأرض ولا تحيا، فالذي ينزل الغيث هو الله تعالى، وهو عالم متى ينزل، وأما ما نسمعه في الإذاعات من أنه يُتوقع مطر في المكان الفلاني، فهو ظن بحسب ما يتبادر من احتمال المطر بمقياس الجو، وهي مقاييس دقيقة يعرفون بها هل الجو متهيّئ للمطر أو لا، ومع ذلك فقد يخطئون كثيراً، كما أنهم لا يتوقعون أمطاراً تحدث بعد سنوات أو بعد أشهر.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾، الأجنة التي في الأرحام لها أحوال، فكونه ذكراً أو أنثى يُعلم وهو في بطن أمه، ولكنه لا يعلم إلا بعد مرور فترة من الحمل. وأما متى يولد؟ وهل يولد حياً أو ميتاً؟ وهل يبقى في الدنيا طويلاً أو لا يبقى؟ وهل يكون شقياً أو سعيداً؟ وهل يختم له بهذا أو هذا؟ وهل يبسط له في الرزق أو لا؟ فكل هذا لا يعلمه إلا الله.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾، يعني: ماذا تكسب في المستقبل؟ هل يحصل خيراً أو شراً؟ أو قد تموت اليوم أو يوم غد؟ أو يأتي غد وفيه ما يمنع العمل؟ فالإنسان يقول: غداً سأفعل كذا، وسأفعل كذا، لكنه قد لا يفعل، فهو لا يعلم علماً يقينياً ماذا يكسب غداً، ولكنه يُقدّر وقد تخلف الأمور.

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾. هل يموت بأرض بعيدة؟ أو قريبة؟ أو يموت في البحر؟ أو يموت في الجو؟ لا يدري! فإذا كنت لا تدري بأي أرض تموت، فكذلك لا تعلم متى تموت، هل ستموت في الصباح؟ أو في المساء؟ في الليل؟ أو في وسط النهار؟ لا تدري، بعد شهر؟ بعد سنة؟ بعد ساعة؟ بعد دقيقة؟ لا تدري، فإذا كنت كذلك؛ فأقصِرِ الأمل، لا تمد الأمل طويلاً، لا تقل أنا شاب وسوف أبقى زماناً طويلاً، فكم من شابٍّ مات في شبابه، ولا تقل إني صحيح البدن، فكم من إنسان حصل عليه حادث، وكم من إنسان مات بغتة وهو صحيح البدن، لذلك لا ينبغي للإنسان أن يطيل الأمل؛ بل عليه أن يعمل، وللدنيا عملها، وللآخرة عملها، فيسعى للآخرة سعيها، وقد

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]. فإذا جاء أجل الإنسان لا يمكن أن يتأخر ولا دقيقة واحدة، ولا يمكن أن يتقدم؛ بل هو بأجل معدود محدود، فلماذا تجعل الأمل طويلاً؟ وهذا في كل وقت وزمان، كم بلغنا عن أناس تأخروا قليلاً فجاءهم حادث فماتوا به، ولو تقدموا قليلاً لسَلِموا منه، وهذا لأن الله تعالى قد قدّر كل شيء بأجل محدود، فالإنسان يجب عليه أن يحتاط لنفسه.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ، وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[المنافقون: ٩-١١].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

في قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾، أي: ارجعوني إلى الدنيا، ولم يقل لعلي أتمتع في قصورها ونسائها وغير ذلك؛ بل قال: ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، أي: فيما تركت من المال الذي بخلت به حتى أنفقه في سبيل الله. قال الله تعالى ﴿كَلَّا﴾، لا يمكن الرجوع؛ لأنه إذا جاء الأجل ﴿فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [يونس: ٤٩]، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾.

وفي قوله: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ وقوله: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾، يعني: من أمام هؤلاء الذي حضرتهم الوفاة. ﴿بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، البرزخ هو الفاصل بين الدنيا وبين قيام الساعة، وسواء كان الإنسان مدفوناً في الأرض أو على ظهر الأرض تأكله السباع وتتلفه الرياح، أو كان في قاع البحار؛ كل هذا يسمى ﴿بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾، يعني: يخرجون من القبور لله في يوم القيامة، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾، وذلك عند قيام الساعة، والنفخ في الصور مرتان:

النفخة الأولى: يكون فيها الفزع والصعق يعني الموت، فينفخ إسرافيل في الصور نفخة يكون لها صوت عظيم مزعج جداً، فيفزع الناس والخلق ثم يموتون كلهم إلا ما شاء الله.

والنفخة الثانية: يُنفخ في الصور، فتخرج الأرواح وتعود إلى أجسادها، وهذه التي يكون بها الحياة الأبدية التي لا موت بعدها.

فالله أمرنا بالإنفاق مما رزقنا، وحذرنا مما لا بد منه، إنه الموت؛ حينئذٍ يندم الإنسان على عدم الإنفاق، يتمنى لو أن الله يؤخره بعضاً من الوقت! فمن الناس من يطول بقاؤه في الدنيا ومن الناس من يقصر، ومنهم من يكثر رزقه ومنهم من يقل، ومنهم من يكثر علمه ومنهم من يقل، ومنهم من يقوى فهمه ومنهم من يضعف، ومنهم من يختلف عن الآخر في خَلقه وخُلُقه، فعباد الله متفاوتين في كل شيء.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾، يعنى: بعد أن يبعثوا من قبورهم لا تنفعهم الأنساب والقرابات.

﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾، لا يسأل بعضهم عن بعض؛ بل إن الله يقول: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦]،

هذه الآية تبيّن أن الإنسان ينبغي له أن ينتهز فرصة العمر، وألا يخسر عمره كما خسره هؤلاء، وأنه سوف يُبعث ويُجازى ويُحاسب على عمله. قال ابن مسعود: إنَّ بني إسرائيل لما طال عليهم الأمد فقست قلوبهم، اخترعوا كتاباً من عند أنفسهم استهوته قلوبهم، واستحلته ألسنتهم، وكان الحق يحول بينهم وبين كثير من شهواتهم، فقالوا: تعالوا ندعو بني إسرائيل إلى كتابنا هذا، فمن تابعنا عليه تركناه، ومن كره أن يتابعنا قتلناه، ففعلوا ذلك.

قوله تعالى: ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُم﴾، لأن النبي ﷺ بُعث بعد عيسى بستمائة سنة، وهي فترة طويلة انحرف فيها أهل الكتاب، ولم يبق على الأرض من أهل الحق إلا بقايا يسيرة، ولهذا قال: ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، ولم يقل أكثرهم، فحذر الله ﷻ ونهى أن نكون كهؤلاء.

وإذا نظرت إلى الأمة الإسلامية اليوم، وجدت أنها ارتكبت ما ارتكبه الذين أوتوا الكتاب من قبل، فإن الأمة الإسلامية في هذه العصور التي طال فيها الأمد من بعثة الرسول ﷺ، قست قلوب كثير منهم، واستولى على المسلمين من ليس أهلاً للولاية، كالذين لا يحكمون بكتاب الله ولا سنة رسول الله، ويرون أن الحكم بالقوانين أفضل من حكم الله ورسوله، فهم كفار بلا شك، ومرتدون عن الإسلام.



**[٥٧٤]** عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمِنْكَبِي، فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما، يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.

الإنسان في الدنيا غريب، ووطنه الحقيقي الجنة، والمسافر لا يأخذ من المتاع إلا ما تدعو إليه ضرورته.

وقوله عليه السلام: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**»: سبحان الله! أعطى الله نبيه جوامع الكلم؛ هاتان الكلمتان يمكن أن تكونا نبراساً يسير الإنسان عليه في حياته، والفرق بينهما أن عابر السبيل يمرّ بالقرية وهو ماشٍ منها، وأما الغريب فهو مقيم فيها حتى يرتحل عنها، يقيم فيها يومين أو ثلاثة أو عشرة أو شهراً، وكل منهما لم يتخذ القرية التي هو فيها وطناً وسكناً، ولو أن الإنسان عامل نفسه في هذه الدنيا بهذه المعاملة لكان

دائماً مستعداً للآخرة، لا يريد إلا الآخرة، ولا يكون أمام عينيه إلا الآخرة، فكم من إنسان أصبح ولم يمس! وكم من إنسان أمسى ولم يصبح! وكم من إنسان لبس ثوبه ولم يخلعه إلا الغاسل! وكم من إنسان خرج من أهله قد هيأوا له غداءه أو عشاءه ولم يأكله! وكم من إنسان نام ولم يقم من فراشه! وما أكثر الذين يؤملون أن هذه الصحة سوف تبقى وتدوم، وأنه سوف تطول به الدنيا، فتجده قد ضيع هذه الصحة، فتضيق عليه الدنيا ولا يستطيع أن يعمل العمل الذي يعمله في حال الصحة، فليأخذ من صحته لمرضه، ومن حياته لموته. قِسْ ما بين حياتك وموتك أيهما أطول؟ وقت حياتك معروف بالساعة والدقيقة، أما وقت موتك فأنت لا تدري.

**[٥٧٥]** وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ**».
قال ابن عمر: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذٰلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.

والوصية: معناها العهد، وهي أن يعهد الإنسان لشخص في تصريف شيء من ماله بعد موته، أو يعهد بالنظر على أولاده الصغار، أو يعهد لشخص في أي شيء من الأعمال التي يملكها، وهي أنواع:

أولاً: الوصية الواجبة: الأمر الأول وهو أن يوصي الإنسان بما عليه من الحقوق الواجبة؛ لئلا يجحدها الورثة، كأن يكون على الإنسان دَين أو حق لغيره، والورثة لا يلزمون أن يصدّقوا كل من جاء من الناس وقال: إن لي على ميتكم كذا وكذا، إذا لم يوص الميت بذلك. والأمر الثاني: إذا ترك مالاً كثيراً، فإنه يلزمه أن يوصي لأقاربه من غير الوارثين.

ثانياً: الوصية المحرّمة: إذا أوصى لأحد من الورثة، فإنه حرام عليه، مثل أن يوصي لولده الكبير من دون سائر الورثة، أو يوصي لزوجته بشيء من دون سائر الورثة، فإن هذا حرام عليه، حتى ولو قدّر أن المرأة أي الزوجة كانت تخدمه في حياته وتطيعه وتحترمه،

وأراد أن يكافئها؛ فإنه لا يحل له أن يوصي لها بشيء، وكذلك لو كان أحد أولاده يبرّ به ويخدمه ويسعى في ماله، فأراد أن يوصي له بشيء؛ فإن ذلك حرام عليه، وكذلك ما يفعله بعض الناس، إذا كان له أولاد وزوّج الكبير، أوصى للصغار بمثل المال الذي زوج به الكبير، فإن هذا حرامٌ أيضاً؛ لأن التزويج دفع حاجة؛ كالأكل والشرب، وهذه مسألة تخفَى على كثير من الناس، فالوصية للوارث لا تجوز مطلقاً.

ثالثاً: الوصية المباحة: فهي أن يوصي الإنسان بشيء من ماله لا يتجاوز الثلث، وهذا الحد الأعلى؛ لك أن توصي فيه لمن شئت إلا الورثة، وإذا كان الورثة محتاجين فترك الوصية أولى؛ هم أحق به من غيرهم.

وفي حديث ابن عمر العمل بالكتابة؛ لقوله ﷺ: «**إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ**»، فدلّ هذا على وجوب العمل بالكتابة؛ إما بخط الموصي نفسه، أو بخط شخص معتمد، وأما إذا كانت بخط مجهول؛ فلا عبرة بها ولا عمل عليها. وفي قوله: «**عِنْدَهُ**» إشارة إلى أنه ينبغي أن يحتفظ الإنسان بالوثائق، وتكون في شيء محفوظ كالصندوق؛ لأنه إذا أهملها فربما تضيع منه، أو يأخذها أحد ويتلفها.



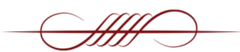
**[٥٧٦]** وعن أنس رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا، فَقَالَ: «**هٰذَا الأَمَلُ، وَهٰذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ**». رواه البخاري.

القصد؛ بيان أن الموت أقرب إلى الإنسان من الأمل، وأنه يأتيه من حيث لا يحتسب، وأنه ينبغي عليه أن يتفكر في هذا الموت، لقول الله تعالى:﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف:٣٤]، وأنه إذا قابل ربه سبحانه فسيندم على ما فرّط في هذه الدنيا من أعمال كان يقدر أن يعملها فتركها وسوَّف، حتى لقي الله، فلم يجد إلى الرجوع إلى الدنيا سبيلاً.



**[٥٧٧]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هٰذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَط، فَقَالَ: «**هٰذَا الإِنْسَانُ، وَهٰذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ- أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهٰذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهٰذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخطَأَهُ هٰذَا، نَهَشَهُ هٰذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هٰذَا، نَهَشَهُ هٰذَا**». رواه البخاري.

ذُكر فيه صور كثيرة، وأقربها هكذا، فالخط الأوسط: هو الإنسان، والمربع: أجله، والصغار: الآفات تُعرض له، والخارج من المربع: أمله. وفي الحديث: التحريض على قصر الأمل والاستعداد لقُرب الأجل.



**[٥٧٨]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ؟!**» رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا**»، يعني: اعملوا قبل أن تصيبكم هذه السبع، فبادروا بها.

«**فَقْرًا مُنْسِيًا**»، بأن يصاب الإنسان بفقر يُنسيه ذِكر ربه؛ فإنه إذا كان فقيراً يحتاج إلى أكل وشرب ولباس وسكن وزوجة، فلا يجد من ذلك شيئاً، فتضيق عليه الأرض، ويذهب يتطلّب ليحصل على شيء من ذلك فينسى ذكر الله، ولا يتمكن من أداء العبادة على وجهها، وكذلك يفوته كثيرٌ من العبادات التي تستوجب أو تستلزم الغنى؛ كالزكاة، والصدقات، والحج، والإنفاق في سبيل الله.

«**غِنًى مُطْغِيًا**»: بأن يُغني الله الإنسان ويفتح عليه من الدنيا فيطغى بذلك، ويرى أنه استغنى عن ربه عز وجل، فلا يقوم بما أوجب الله عليه، ولا ينتهي عما نهاه الله عنه. قال الله

تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٧- ٦].

«**مَرَضًا مُفْسِدًا**»: لأن الإنسان ما دام في صحة فهو في نشاط وانشراح صدر، والدنيا أمامه مفتوحة، فإذا مرض ضعف البدن، وضعفت النفس وضاقت، وصار الإنسان دائماً في همٍّ وغمٍّ فتفسد عليه حياته.

«**هَرَمًا مُفَنِّدًا**»: يعني كبراً يُفنّد قوة الإنسان ويحطمها، كما قال تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، فالإنسان ما دام شاباً، يتوضأ بنشاط، ويصلي بنشاط، ويذهب إلى العلم بنشاط، لكن إذا كبر، فهو كما قال الله ﷻ عن زكريا: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، أي ضعف العظم، والعظم هو الهيكل الذي ينبني عليه الجسم، فيضعف وتضعف القوة، ولا يستطيع أن يفعل ما كان يفعله في حال الشباب.

«**مَوْتًا مُجْهِزًا**»: أي سريعاً، فكم من إنسان مات من حيث لا يظن أنه لا يموت، وكم من إنسان مات وهو في شبابه وصحته في حوادث احتراق، أو انقلاب سيارة، أو سقوط جدار عليه، أو سكتة قلبية، ولو كان شاباً.

«**الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ**»، يعني: أو تنتظرون الدجال، وهو الرجل الخبيث الكذاب الذي يُبعث في آخر الزمان، يدعو الناس إلى عبادته ويوهمهم، فيفتتن به الخلق، ولهذا أُمرنا أن نستعيذ بالله منه في كل صلاة؛ قال النبي ﷺ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمُ التَّشَهُّدَ الْأَخِيرَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ**».

«**السَّاعَةَ**»، يعني: أو تنتظرون قيام الساعة؛ قال الله ﷻ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦]، يعني أشدّ داهية وأمرّ مذاقاً.

هذه السبعة كلها تعيقه عن العمل، فعليه أن يبادر، ما دام في صحة، ونشاط، وشباب، وفراغ، وأمن، فليبادر الأعمال قبل أن يفوته ذلك كله فيندم حيث لا ينفع الندم.

**[٥٧٩]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ**»، يَعْنِي: المَوْتَ. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وفي حديث أنس مرفوعًا: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ فَإِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ فِي ضِيقٍ مِنَ العَيْشِ إِلَّا وَسَّعَهُ عَلَيْهِ، وَلَا ذَكَرَهُ فِي سِعَةٍ إِلَّا ضَيَّقَهَا عَلَيْهِ**». وفي روايةٍ عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ**». قلنا: يا رسول الله! وما هادم اللذات؟ قال: «**المَوْتُ**». يعني: اجعلوه على بالكم كثيرًا، والهادم: القاطع؛ لأَنَّه يقطع اللَّذات في الدنيا، ولكنه يُقرِّب من لذَّات الآخرة، وأولها ما يحصل له في قبره، ولروحه في الجنة؛ فإنَّ روح المؤمن طائرٌ يعلق بشجر الجنة حتى يردَّه الله إلى جسده، كما جاء في الحديث الصَّحيح.

**[٥٨٠]** وعن أُبَيِّ بن كعبٍ ﷺ، كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ**». قُلْتُ: الرُّبُع. قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ: فَالنِّصْف؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «**إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**الرَّاجِفَةُ**»: النفخة الأولى. «**الرَّادِفَةُ**»: النفخة الثانية.

قال الله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر:٦٨ ].

وقوله ﷺ: «**جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**»، أي: من الأهوال عند الاحتضار، وفي القبر وأهواله.

وقول القائل: "فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي"، أي: من دعائي.






[٥٨١] عن بُرَيْدَة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا**». رواه مسلم.

الإنسان له أربعة دور: الأولى: في بطن أمه، الثانية: الدنيا، والثالثة: القبور، والرابعة: الآخرة وهي المقرّ، والنهاية والغاية.

هذه القبور، كان النبي ﷺ نهى عن زيارتها؛ لأن الناس كانوا حديثي عهد بجاهلية، فلما كان الناس يعظمون القبور؛ نهاهم، فلما استقر الإيمان في قلوبهم؛ أذن لهم فقال: «**كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الآخِرَةَ**»، والذي يذكّر الآخرة ينبغي للإنسان أن يعمل به؛ لأن القلب إذا نسي الآخرة؛ غفل واشتغل بالدنيا، وأضاع الدنيا والآخرة، ولكن نزورها لنفعها، ليدعو للأموات لا ليدعوهم، فيخرج الإنسان ويسلم على القبور، كما فعل النبي ﷺ.

[٥٨٢] عن عائشة ﷺ، قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ كُلَّمَا كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَى البَقِيعِ فَيَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ**». رواه مسلم.

[٥٨٣] وعن بريدة ﷺ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَى المَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسْلِمِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَلَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ**». رواه مسلم.



**[٥٨٤]** وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِقُبورٍ بِالمَدِينَةِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أَنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحْنُ بِالأَثَرِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

هذا الدعاء الذي جاءت به السُّنة، فإن لم يعرف الإنسان شيئاً منه؛ دعا بما تيسر: اللهم اغفر لهم، اللهم ارحمهم، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم، واغفر لنا ولهم، ثم ينصرف، وينبغي له أن يزور القبور في كل وقت، في الليل، في النهار، في الصباح، في المساء، في يوم الجمعة، في غير يوم الجمعة، ليس لها وقت محدد، وكلما غفل قلبك واندمجت نفسك في الحياة الدنيا؛ فاخرج إلى القبور، وتفكر في هؤلاء القوم الذين كانوا بالأمس مثلك على الأرض يأكلون ويشربون ويتمتعون، والآن أين ذهبوا؟ صاروا الآن مرتهنين بأعمالهم.

وأما ما يفعله بعض الجهال من البقاء هناك! والتمرغ على التراب! والطواف بالقبر! وما أشبه ذلك؛ فكله أمر منكر؛ وبِدعة محظورة، فإن اعتقد أن هؤلاء الأموات ينفعون أو يضرون؛ كان مشركاً خارجاً عن الإسلام؛ لأن هؤلاء الأموات لا ينفعون ولا يضرّون، فلا يستطيعون الدعاء لك، ولا يشفعون لك، وليس هذا وقت الشفاعة أيضاً، وقت الشفاعة يوم القيامة، والواجب على إخواننا الذين يوجد مثل هذا في بلادهم، أن ينصحوا هؤلاء الجهال.





# ٦٧- تمنّي الموت بسبب ضرٍّ نزلَ بهِ

[٥٨٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ؛ إِنَّهُ إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلَّا خَيْرًا**».

كأنْ يصاب الإنسان بمرض شديد، أو بفقر شديد، أو بدَين متعب، أو ما أشبه ذلك، فيقول: اللهم أمتني حتى أستريح من هذه الدنيا، فإنَّ هذا حرام ولا يجوز؛ لأنه لو مات فإنه لن يستريح، ربما ينتقل من عذاب الدنيا إلى عذاب في الآخرة أشد وأشد، ولكن قابلْ هذه المصائب بالصبر والاحتساب، وانتظار الفرج، واعلم أن دوام الحال من المحال.

أما ما يتعلق بفتنة الدين؛ إما في زخارف الدنيا أو أفكار فاسدة، أو ديانات منحرفة، فهذا أيضاً لا يتمنى بسببه الإنسان الموت، ولكن يسأل الله أن يثبته، يقول: اللهم اقبضني إليك غير مفتون، وليصبر.



[٥٨٦] وعن أنسٍ رضي اله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيرًا لِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي الحديث الآخر: «**خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**».

فالإنسان إذا نزل به الضُرّ فلا يتمنى الموت؛ فإن هذا خطأ وسَفه في العقل، وضلال في الدين، لأن الإنسان إذا بقي في حياته، فإما محسناً فيزداد، وإما مسيئاً فيستعتب إلى الله،

وكونه يموت، فإنه لا يدري، فلعله يموت على أسوأ خاتمه، والنهي هنا للتحريم؛ لأن تمني الموت فيه شيء من عدم الرضا بقضاء الله، والمؤمن يجب عليه الصبر، إذا إصابته الضراء يصبر، فإذا صبر نال شيئين مهمين :

الأول: تكفير الخطايا؛ فإن الإنسان لا يصيبه همٌّ ولا غمٌّ ولا أذى ولا شيء إلا كفّر عنه حتى الشوكة يشاكها؛ حتى الشوكة إذا يشاكها الإنسان؛ فإنه يكفّر بها عنه.

والثاني: فإنه يُثاب، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ومن المعلوم أن التّسبيحة الواحدة في صحيفة الإنسان خيرٌ من الدنيا وما فيها؛ لأن الدنيا وما فيها تذهب وتزول، والتسبيح والعمل الصالح يبقى.

قال الله ﷻ: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

فلا تتمنَّ الموت؛ لأن الأمر كله مقضيّ، وربما يكون في بقائك خيرٌ لك أو خيرٌ لك ولغيرك، فلا تتمنّ الموت؛ بل اصبر واحتسب، ودوام الحال من المحال.



**[٥٨٧]** وعن قيس بن أبي حازم، قال: دَخَلْنَا عَلَى خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوَى سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا، وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ، وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ، ثُمَّ أَتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ، فَقَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هٰذَا التُّرَابِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا الحديث شاهد على ورع أصحاب النبي ﷺ، ومراقبتهم لله في كل أفعالهم، فخباب رضي الله عنه قد ناله من المرض ما ناله، واكتوى في جسده سبع كَيَّاتٍ بالنار لمرض أصابه،

والكيُّ كان علاجاً شائعاً عندهم، فلما دخلوا عليه في مرضه قال لهم: "إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيَا"؛ يقصد الصحابة الذين ماتوا قبل اتساع الفتوحات وزيادة المال، وأن هؤلاء لم تنقص أجورهم شيئًا؛ لأن الدنيا لم تفتح عليهم كما فتحت على الذين شهدوا الفتوحات. ثم قال: "وَإِنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ"؛ أي: نالنا من الغِنى حتى لم نجد له مصرفاً إلا التراب؛ يقصد إلا وضعه في البنيان والعمارة. ثم قال: "وَلَوْلَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِهِ"؛ أي: لدعوت به على نفسي؛ لما كان يلاقيه من ألم المرض، فلما مروا به مرة أخرى وهو يبني حائطاً له قال لهم: "إِنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إِلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هٰذَا التُّرَابِ"، ومرادُ خَبَّابٍ في البُنيان الزائد على الحاجة، فذلك الذي لا يُؤجر عليه.





## ٦٨- الورَع وترْك الشُّبهات

الوَرَعُ: ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس، والشبهات: ما لم يتّضح وجه حِلّهِ ولا حرمته، ومنزلة الزاهد أرفع من منزلة الورع، وربما يطلق أحدهما على الآخر؛ قال حسان بن أبي سنان: ما رأيت شيئاً أهون من الوَرَع: دع ما يريبك إلى ما يريبك.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٥]. أي: تظنون أنه سهل لا إثم فيه، ووزره عظيم.

نزلت في قصة الإفك حين اتَّهم المنافقون أم المؤمنين عائشة بارتكاب الفاحشة، وكان الورع والتقى ألا يتكلموا في هذا الأمر، وأن يسألوا أنفسهم: من أين مصدره؟ مصدره من المنافقين الذين هم أكذب عباد الله، وهذا ينطبق تماماً على زماننا الآن؛ ما أكثر الذين يتكلمون في عباد الله بغير علم، فيتكلم الإنسان بما يسمعه من غير أن يتحقق، وهذا من الظلم.

قال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ بُعْدَ مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ**».

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].



**[٥٨٨]** عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى الله مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

كلّ ما في القرآن من كلمة ﴿أُحِلَّ﴾ فهو حلال، وكل كلمة ﴿حُرِّمَ﴾ فهو حرام، فقوله تعالى: «﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، هذا حلال بَيِّنٌ، وقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥]، فهذا حرامٌ بَيِّنٌ، وهناك أمور مشتبهات تخفى على الناس، وأسباب الخفاء كثيرة، منها: ألا يكون النصُّ ثابتاً، يعني يتردد: هل يصح عن الرسول ﷺ أو لا يصح؟ ثم إذا صح قد تشتبه دلالته: هل يدل على هذا أو لا يدل؟ ثم إذا دلّ على شيء معين فقد يشتبه: هل له مخصص إن كان عامًّا؟ هل له مقيد إن كان مطلقًا؟ ثم إذا تبين قد يشتبه: هل هو باقٍ أو منسوخ؟ فإذا كانت أسباب الاشتباه كثيرة، فما هو الطريق إلى حل هذا الاشتباه؟ الجواب: إن الطريق بَيَّنَهُ النبي ﷺ فقال: «**فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ؛ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ**»، أي مَن اتَّقاها يعني تجنَّبها إلى الشيء الواضح البيِّن؛ استبرأ لدينه: حيث سَلِمَ من الوقوع في المحرَّم، ولعرضه: حيث سَلِمَ من كلام الناس فيه؛ لأنه إذا أخذ الأمور المشتبهة؛ صار عرضة للكلام.

والحِمَى: يعني المكان الذي حماه أحد من الناس، أو الحكومة، لا يرعى فيه أحد، والراعي مع ذلك فإنه قد يغفل، وقد تغلبه هذه البهائم، فترتع في هذا الحمى.

ثم قال ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ**».

إن الله ﷻ أحاط الشريعة بسياج محكم، حمى كل شيء محرم يضر الناس في دينهم ودنياهم، وإذا كان الشيء مما تدعو النفوس إليه وتشتهيه أكثر شدد السياج حوله.

انظر مثلاً إلى الزنا، سببه قوة الشهوة، لأنه جبلة وطبيعة، فجعل حوله سياجاً يبعد الناس عنه، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣٢]. لم يقل ولا تزنوا، بل قال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾؛ يشمل كل ذريعة من النظر واللمس والمحادثة وغير ذلك.

وقوله ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً**»: يعني قطعة لحم صغيرة بقدر ما يمضغه الإنسان، لكن شأنها عظيم، هي التي تدبر الجسد، ليست العين، ولا الأنف، ولا اللسان،

ولا اليد، ولا الكبد، ولا غيرها من الأعضاء، إنما هي القلب، فالإنسان مدار صلاحه وفساده عليه، والشأن كل الشأن في صلاح القلب.

انظر أنت في قلبك؟ هل فيه شيء من كراهة ما أنزل الله؟ هل فيه شيء من كراهة عباد الله الصالحين؟ هل فيه شيء من الميل إلى الكفار؟ هل فيه شيء من موالاتهم؟ هل فيه شيء من الحسد؟ هل فيه شيء من الغل؟ هل فيه شيء من الحقد؟ وما أشبه ذلك من الأمراض العظيمة، فطهّر قلبك من هذا وأصلحه.

**[٥٨٩]** وعن أنس ﵁ أن النبي ﷺ وجد تمرةً في الطريق، فقال: «**لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَة لَأَكَلْتُهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٥٩٠]** وعن النَّواس بن سمعان ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**». رواه مسلم.

«**حَاكَ**»: أي تَرَدَّدَ.

وحسن الخلق يكون في عبادة الله، ويكون في معاملة عباد الله، فحسن الخلق في عبادة الله؛ أن يتلقى الإنسان أوامر الله بصدر منشرح، يؤدي الصلاة مع الجماعة من دون تردد ونفس مطمئنة، ويدفع الزكاة والصدقة من ماله عن طيب نفس لا يضق بذلك ذرعاً، ويصوم رمضان عن رضا خاطر ولا يتضجر منه، ويتوضأ في أيام البرد من دون تسخط.

أما في معاملة الناس بأن يقوم ببرّ الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والنصح بالمعاملة وغير هذا، وهو منشرح الصدر، وواسع البال، فإذا علمت من نفسك أنك في هذه الحال، فإنك من أهل البر.

وأما الإثم، فهو أن الإنسان يتردد في الشيء، ولا ترتاح له نفسه، وهذا فيمن نفسه مطمئنة راضية بشرع الله، وأما أهل الفسوق والفجور، تجد الإنسان منهم يفعل المعصية منشرحاً بها صدره، لا يبالي بذلك، لكن صاحبَ الخير الذي وُفق للبرّ هو الذي يتردد الشيء في نفسه، ولا تطمئن إليه، ويحيك في صدره، فهذا هو الإثم، وموقف الإنسان من هذا أن يدعه، وأن يتركه إلى شيء تطمئن إليه نفسه، وهذا هو الورع.

**[٥٩١]** وعن وَابِصَةَ بن مَعبدٍ ﷺ قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقال: «**جِئْتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «**اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ**». حديث حسن، رواه أحمد والدَّارِمِيُّ في مُسْنَدَيْهِمَا.

قوله ﷺ: «**وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتُوكَ**»: حتى لو أفتاك مُفْتٍ بأن هذا جائز، ولكن نفسك لم تطمئن ولم تنشرح إليه فدعه، فإن هذا من الخير والبر، إلا إذا علمت أن في نفسك مرضاً من الوسواس والتردد فيما أحل الله، فلا تلتفت لهذا، والنبي ﷺ إنما يخاطب الناس على الوجه الذي ليس فيه أمراض، أي ليس في قلب صاحبه مرض، فإن البر هو ما أطمأنت إليه نفسه، والإثم ما حاك في صدره، وكره أن يطلع عليه الناس.



**[٥٩٢]** وَعَنْ أَبِي سِرْوَعَةَ عُقْبَةَ بْنِ الحَارِثِ ﷺ أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابْنَةً لِأَبِي إِهَابِ بْنِ عَزِيزٍ، فَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا، فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعْلَمُ أَنَّكِ أَرْضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِني. فَرَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟**». فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَتْ زَوْجًا غَيْرَهُ. رواه البخاري.

عقبة تزوج امرأة، ثم تبيّن أنه أخوها من الرضاع، يُحرم عليها كما يُحرم عليها أخوها من النسب؛ ولكن لا بد لهذا شروط:

الشرط الأول: أن يكون اللبن من آدمية، فلو اشترك طفلان في الرضاع من شاة أو من بقرة أو من بعير، فإنهما لا يصيران أخوين؛ لقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ [النساء: ٢٣].

الشرط الثاني: لا بد أن يكون الرضاع خمس رضعات فأكثر، فلو أن امرأة أرضعت طفلاً أربع مرات في أربعة أيام كل مرة يشبع، فإنه ليس بشيء، ولا يؤثر، لا يكون ابناً لها؛ لأنه لا بد من خمس، ولو لم يشبع، كمن ترك الثدي للتنفس والراحة، وقيل: الشرط أن تكون الرضعة مشبعة، وحقيقة الإشباع: أن يرضع الصبي الثدي باختياره، ثم يتركه باختياره.

الشرط الثالث: لا بد أن يكون في زمن الإرضاع، وهو ما قبل الفطام في الحولين، فلو أن طفلاً له خمس سنوات رضع من امرأة خمس مرات أو عشر مرات، فإنه لا يكون ابناً لها من الرضاع؛ لأنها ليس في زمن الإرضاع، وإذا ثبت التحريم، فإنه ينتشر إلى المرتضع وذريته فقط، ولا ينتشر إلى إخوانه وآبائه وأمهاته، وإنما ينتشر إليه وإلى فروعه فقط، وهم ذريته، وعلى هذا فيجوز لأخ الطفل الراضع أن يتزوج أخت أخيه من الرضاع، لأنه لا علاقة له في الرضاع، وما اشتهر عند العامة من أن أخوته الذين هم أصغر منه يلحقهم حكم الرضاع، فإنه لا صحة له.



**[٥٩٣]** وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: حَفِظتُ من رسول الله ﷺ: «**دَعْ مَا يُرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

«**يَرِيبُكَ**»: يحصل لك به ريب وشك، فدعه ولا تأخذ إلا بما تيقَّنته أو غلب على

ظنك، إن كان مما يفيد فيه غلبة الظن، وأما ما شككت فيه فدعه، وهذا أصل من أصول الورع، ولهذا رأى النبي ﷺ تمرة في الطريق فلم يأكلها وقال: «**لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا**».

ومن ذلك أيضاً: إذا كان بينك وبين شخص محاسبة، وشككت فيها فدعها، وإذا شك فيها صاحبك وتركها، فتصدق بها تخلّصاً منها.



**[٥٩٤]** وعن عائشة ﵂، قالت: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﵁ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ، فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلَامُ: تَدْرِي مَا هٰذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَمَا أُحْسِنُ الكَهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي، فَأَعْطَانِي بِذٰلِكَ هٰذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. رواه البخاري.

الخَرَاجُ: شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَى عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ إِلَى السَّيِّدِ كُلَّ يَوْمٍ، وَبَاقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ.

أما بالنسبة للعمال الذين يجلبهم الإنسان إلى البلاد ويقول: اذهبوا وعليكم كل شهر كذا وكذا، فإن هذا حرامٌ وظلم ومخالف لنظام الدولة، فليس لصاحب العمل شيء مما فرضه على هؤلاء العمال؛ لأن العامل ربما يكدح ويتعب ولا يحصل ما فرضه عليه كفيله، وربما لا يحصل شيئاً أبداً.

الكهانة: أي قضى له بالغيب.

ذكر أحمد عن ابن سيرين: لم أعلم أحداً استقاء من طعام غير أبي بكر. قال الحافظ: إنما قاء أبو بكر لما ثبت عنده من النهي عن حلوان الكاهن، لأن الأجرة على فعل الحرام حرام.

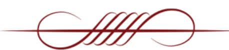
من ذلك تأجير البنوك في المحلات فهي حرام؛ لأن البنك معاملته كلها أو غالبها حرام، والأصل في إنشاء البنوك أنها للربا، فإذا أجَّر الإنسان بيته أو دكانه للبنك فتعامل فيه بالربا فإن الأجرة حرامٌ، وكذلك من أجَّر شخصاً يبيع المجلات الخليعة والأفكار الرديئة ومصادمة الشرع؛ فإنه لا يجوز؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وتأجير المحلات لهؤلاء معونة لهم، وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ شَيْئًا حَرَّمَ ثَمَنَهُ**».

وفي هذا الحديث دليلٌ على شدة ورع أبي بكر رضي الله عنه، حتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كان يقول على منبر الكوفة، وقد تواتر ذلك عنه: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر، وقال: لا أوتى برجل يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلدة الفِرية، يعني جلد القذف والكذب، وفيه ردٌّ ظاهرٌ على الرَّوافض الذين يفضّلون عليًّا على أبي بكر وعمر، بل بعضهم يفضّل عليًّا على رسول الله ﷺ ويقول: عليٌّ أفضل من مُحَمَّدٍ وأحق بالرسالة، ولكن جبريل خان الأمانة وانصرف بالرسالة إلى محمد!



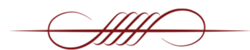
**[٥٩٥]** وعن نَافِعٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ فَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَفَرَضَ لِابْنِهِ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبَوَاهُ، يَقُولُ: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ. رواه البخاري.

وهذا يدل دلالة عظيمة على شدة ورع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهكذا يجب على من تولى شيئاً من أمور المسلمين ألا يحابي قريباً لقربه، ولا غنياً لغناه، ولا فقيراً لفقره، بل يُنزل كل أحد منزلته، فهذا من الورع والعدل، ولم يقل عبد الله بن عمر: يا أبت، أنا مهاجر ولو شئت لبقيت في مكة؛ بل وافق على ما فرضه له أبوه.



**[٥٩٦]** وعن عَطِيَّةَ بن عُروة السَّعْدِيِّ الصحابي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ، حَذَرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وهذا فيما اشتبه مباح بمحرم وتعذر التمييز، فإنه من تمام اليقين والتقوى أن تدع الحلال خوفاً من الوقوع في الحرام، وهذا أمر واجب، كما قال أهل العلم: إنه إذا اشتبه مباح بمحرم وجب اجتناب الجميع؛ لكن لو اضطر إلى أحدهما فلّه أن يتحرّى في هذه الحال، ويأخذ بما غلب على ظنه، ولنفرض أنه اشتبه طعام غيره بطعام نفسه، ولكنه مضطر إلى الطعام، ففي هذه الحال يتحرى ويأكل ما يغلب على ظنه أنه طعامه.





## ٦٩- استحباب العُزلة عند فَساد النَّاس والزَّمان

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [الذاريات:٥٠].

قال ابن كثير: الجأوا إلى الله ﷻ، واعتمدوا في أُموركم عليه، والفرار إلى الله يكون باتِّباع أوامره واجتناب نواهيه.

إنه فرارٌ من ذلّ الشهوة ومرارتها إلى عزِّ الطاعة وحلاوتها. كل الناس في حالة فرار، أما السعداء منهم ففرارهم إلى الله وإلى جنَّته، وأما الأشقياء ففرارهم منه، ينشغلون عنه بملهياتٍ كثيرة، فالعزلة خير إن كان في الاختلاط شرٌّ وفتنة في الدين، وإلا فالأصل أن الاختلاط هو الخير، يختلط الإنسان مع الناس فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعو إلى حق، ويبيّن السُّنة للناس، لكن إذا عجز عن الصبر وكثرت الفتن؛ فالعزلة خير، ولو أن يعبد الله على رأس جبل أو في قعر وادٍ.



**[٥٩٧]** عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ**». رواه مسلم.

«**الغَنِيّ**»: غَنِيَّ النَّفْسِ، كَمَا جاء في الحديث الصحيح. «**الخَفِيّ**»: الخاملَ المشتغلَ بعبادة ربِّه وأُمور نفسه. والأفضل هو المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم، ولكن أحياناً تحدث أمور تكون العزلة فيها خيراً من الاختلاط بالناس؛ من ذلك إذا خاف الإنسان على نفسه فِتنة، مثل أن يكون في بلد يطالب فيها بأن ينحرف عن دينه، أو يخشى على نفسه من الفواحش، وما أشبه ذلك، فهنا العزلة خير له، وكذلك إذا تغير الناس والزمان.

فالذي يتقي الله، يقوم بأوامره من فعل الصلاة وأدائها في جماعة، وإعطاء الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت، ويبرّ والديه، ويصل أرحامه، ويحسن إلى جيرانه، ويحسن إلى

اليتامى، إلى غير ذلك من أعمال الخير، والذي استغنى بنفسه عن الناس، لا يسأل الناس شيئاً، ولا يتعرض للناس بتذلل؛ مستغن بربه لا يلتفت إلى غيره، والذي لا يظهر نفسه، ولا يهتم أن يظهر عند الناس، أو يشار إليه، أو يتحدث الناس عنه، تجده من بيته إلى المسجد، ومن مسجده إلى بيته، ومن بيته إلى أقاربه وإخوانه، يُخفي نفسه، ولكن لا يعني ذلك أن الإنسان إذا أعطاه الله علماً أن يتقوقع في بيته ولا يُعلم الناس، فهذا يعارض التقى، أو يقعد في بيته ولا ينفع الناس بماله، لكن إذا دار الأمر بين أن يلمّع نفسه ويظهر نفسه، وبين أن يخفيها، فحينئذٍ يختار الخفاء، أما إذا كان لا بد من إظهار نفسه فلا بد أن يظهرها بما يحبُّه الله ﷻ.



**[٥٩٨]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ**». وفي رواية: «**يَتَّقِي اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: فضل العزلة عند خوف الفتنة، ولا ينافيه الحديث النبوي: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»، ونحوه، لأن هذا يختلف بحسب الأوقات، والأشخاص، والأحوال.



**[٥٩٩]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**». رواه البخاري.

«**شَعَفَ الجِبَالِ**»: أَعْلَاهَا. وكذلك من كان في مكان من الأودية والشعاب منعزلاً عن الناس، يعبد الله ﷻ، ليس من الناس إلا في خير، فهذا فيه خير، وهذه النصوص تُحمل على ما إذا كان في الاختلاط فتنة وشر، وأما إذا لم يكن فيه فتنة وشر؛ فإن المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على آذاهم، خيرٌ من المؤمن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.



**[٦٠٠]** وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ**»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**». رواه البخاري.

«**قَرَارِيطَ**»: مفردها قيراط، وهو جزء من الدينار والدرهم.

قال العلماء: والحكمة من ذلك أن يتمرَّن الإنسان على رعاية الخلق وتوجيههم إلى ما فيه الصلاح، لأن الراعي للغنم تارة يوجهها إلى وادٍ مزهر مخضر، وتارة على وادٍ خلاف ذلك، وتارة إلى أرض ليس فيها هذا ولا هذا، وتارة لا يرعاها أبداً، وتارة يبقيها واقفة. فالنبي ﷺ سيرعى الأمة ويوجهها إلى الخير عن علم وهدى وبصيرة؛ كالراعي الذي عنده علم بالمراعي الحسنة، واختيرت الغنم، لأن الغنم صاحبها صاحب سكينة وهدوء واطمئنان، بخلاف الإبل؛ لأن أصحابها في الغالب عندهم شدة وغلظة؛ فلهذا اختار الله لرسله أن يرعوا الغنم، حتى يتعودوا ويتمرنوا على رعاية الخلق.



**[٦٠١]** وعنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً، طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ، أَوِ الْمَوْتَ مَظَانَّهُ، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هٰذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هٰذِهِ الْأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ**». رواه مسلم.

«**يَطِيرُ**»: يُسْرِعُ، «**مَتْنِهِ**»: ظَهْرِهِ. «**هَيْعَةً**»: صَوْتٌ لِلْحَربِ. «**فَزْعَةً**»: نحوه. «**مَظَانَّهُ**»: مَظَانُّ الشَّيْءِ: المَوَاضِعُ الَّتي يُظَنُّ وُجُودُهُ فِيهَا. «**غُنَيْمَةٍ**»: تَصْغِيرُ غَنَمٍ. «**شَعَفَةٍ**»: أَعلى الجَبَل.

في الحديث النبوي: فضيلة القتل أو الموت في سبيل الله.

قال الله تعالى: «**وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**» [آل عمران: ١٥٧].

وفيه: فضيلة اعتزال الناس عند وقوع الفتنة، وفيه أيضاً دليل على أن العزلة خيرٌ، فيكون الإنسان ممسكاً بعنان فرسه، يطير عليه كلما سمع هيعة، يعني أنه بعيد عن الناس يحمي ثغور المسلمين، مهتم بأمور الجهاد منعزل عن الناس، لكنه على أتم استعداد للنفور والجهاد كلما سمع هيعة ركب فرسه فطار به، أي مشى مشياً مسرعاً.





## ٧٠-الاختلاط بالنَّاس

الاختلاط والاجتماع للتعاون بين الناس، وفعل المأمورات، كالجمعة والجماعات وإقامة الشرائع، وفيه التعاون على التقوى عن المنهيات وترك المحرمات، كقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].





# ٧١-التَّواضُع للمُؤمنين

التَّواضع: ضد التعالي، يعني ألا يترفع الإنسان على غيره؛ بعلم، ولا نسب، ولا مال، ولا جاه، ولا إمارة، ولا وزارة، ولا غير ذلك؛ بل الواجب على المرء أن يخفض جناحه للمؤمنين.

قال الله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء: ٢١٥]. أي: تواضع؛ وذلك أن المتعالي والمترفع يرى نفسه أنه كالطير يسبح في جو السماء، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

وقد ارتد قبائل من العرب في عهده ﷺ وفي خلافة أبي بكر، فقاتلهم أبو بكر والصحابة، ولما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، أشار ﷺ إلى أبي موسى الأشعري وقال: «**هُمْ هٰذَا وَقَوْمُهُ**»، يعني أهل اليمن.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. أي: جعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا لا لتفاخروا. وقال النبي ﷺ: «**تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَنْسَأَةٌ فِي الأَجَلِ**».

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢]. أي: لا تمدحوها، ولا تفخروا بأعمالكم. وفي الحديث الصحيح: «**إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا صَاحِبَهُ لَا مَحَالَةَ، فَلْيَقُلْ: أَحْسَبُ فُلَانًا كَذَا، وَكَذَا، وَاللهُ حَسِيبُهُ، وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللهِ أَحَدًا**».

وقال تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨-٤٩].

الأعراف جمع عرف، وهو المكان المرتفع، لكن ليسوا في الجنة وليسوا في النار، وهم يطلعون إلى هؤلاء وإلى هؤلاء، وفي النهاية يدخلون الجنة. وقِيلَ: هو السُّوْرُ المضروب بين الجنة والنار، وأصحابه رجال تساوت حسناتهم وسيآتهم، يقولون لأهل النار: ما أغنى عنكم مالكم ولا افتخاركم عن دخول النار، وهؤلاء الضعفاء الذين كنتم تسخرون منهم وتحقرونهم في الدنيا وأقسمتم أن الله لا يُدخلهم الجنة، أدخلهم الله إيَّاها برحمته.



**[٦٠٢]** عن عِيَاضِ بنِ حمارٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**». رواه مسلم.

وكان من عادة السلف رحمهم الله، أن الإنسان منهم يجعل مَن هو أصغر منه مثل ابنه، ومَن هو أكبر مثل أبيه، ومَن هو مثله مثل أخيه، فينظر إلى من هو أكبر منه نظرة إكرام وإجلال، وإلى من هو دونه نظرة إشفاق ورحمة، وإلى من هو مثله نظرة مساواة، فلا يبغي أحد على أحد، وأما الكافر فقد أمر الله تعالى بمجاهدته والغلظة عليه، وإغاظته وإهانته بقدر المستطاع، لكن من كان له عهد وذمّة فإنه يجب على المسلمين أن يَفُوا له، وألا يخفروا ذمته، وألا يؤذوه ما دام له عهد.



**[٦٠٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**». رواه مسلم.

يعني أن الصدقات لا تنقص الأموال كما يتوهمه الإنسان، وكما يعد به الشيطان، فإن الشيطان كما قال الله عز وجل: ﴿**يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [البقرة: ٢٦٨].

الفحشاء: كل ما يُستفحش من بخل أو غيره، فهو يعد الإنسان الفقر، إذا أراد الإنسان أن يتصدق قال: لا تتصدق هذا ينقص مالك، هذا يجعلك فقيراً، لا تتصدق،

أمسك. فإن قال قائل: كيف لا تنقص المال، والإنسان إذا كان عنده مائة فتصدق بعشرة صار عنده تسعون، فيقال: هذا نقصُ كمٍّ، ولكنها تزيد في الكيف، ثم يفتح الله للإنسان أبواباً من الرزق تردّ عليه ما أنفق، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، أي يجعل بدله خلفاً، فلا تظن أنك إذا تصدقت أن ذلك ينقص المال؛ بل يزيده بركة ونماءً، وتُرزق من حيث لا تحتسب.

قوله: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**»: يعني أن الإنسان إذا عفا عمن ظلمه فقد تقول له نفسه: إن هذا ذل وخضوع وخذلان، والحقيقة أن الله ما يزيد أحداً بعفو إلا عزاً، وفي هذا حثّ على العفو، ولكن العفو مقيد بما إذا كان إصلاحاً؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. أما إذا لم يكن إصلاحاً؛ فإنه لا يؤمر به، مثال ذلك: اعتدى شخص شرير معروف بالعدوان على آخر، فهل نقول للآخر الذي اعتُدي عليه: اعف عن هذا الشرير؟ لا، لأنه شرير، إذا عفوت عنه تعدَّى على غيرك، أو عليك أنت أيضاً، لأن العفو عن أهل الشر لا يزيدهم إلا فساداً وشرًّا، فأما إذا كان في العفو خير وإحسان، فربما يخجل الذي عفوت عنه، ولا يتعدى عليك ولا على غيرك، فهذا خير.

وقوله: «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»؛ هذا الشاهد من الحديث.

والتواضع لله له معنيان:

المعنى الأول: أن تتواضع لدين الله، فلا تترفع عن الدين ولا تستكبر عنه وعن أداء أحكامه.

المعنى الثاني: أن تتواضع لعباد الله من أجل الله، لا خوفاً منهم، ولا رجاء لما عندهم، فمن تواضع لله؛ رفعه الله ﷻ في الدنيا وفي الآخرة، وهذا أمر مشاهد؛ أن الإنسان المتواضع يكون محل رفعة عند الناس، ويحبه الناس.



**[٦٠٤]** وعن أنس ﷺ: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وإذا كان هذا يقع من النبي ﷺ على الصبيان، فإننا اليوم نأسف لقوم يمرون بالكبار البالغين ولا يسلمون عليهم، قد لا يكون ذلك هجراً أو كراهة، لكن عدم مبالاة، وعدم اتِّباعٍ للسنة، وجهل، وغفلة، وهم إن كانوا غير آثمين؛ لأنهم لم يتخذوا ذلك هجراً، لكنهم قد فاتهم خيرٌ كثير، ولهذا كان ابتداء السلام أفضل من الرد، وإن كان الرد فرضاً وهذا سُنَّة، لكن لما كان الفرض ينبني على هذه السنة؛ كانت السنة أفضل من هذا الفرض؛ لأنه مبني عليها.



**[٦٠٥]** وعنه قال: إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ المَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. رواه البخاري.

وانظر إلى تواضع الرسول ﷺ وهو أشرف الخلق، لا يقول أين تذهبين بي؟ أو يقول: اذهبي إلى غيري، لكن مع هذا، ما زاده الله بذلك إلا عزًّا.



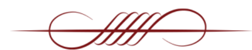
**[٦٠٦]** وعن الأَسْوَدِ بن يَزِيدَ، قال: سَأَلْتُ عَائِشَةَ ﷺ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: كَانَ يَكُون فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ- يَعْنِي: خِدْمَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ. رواه البخاري.

ومِن تواضع النبي ﷺ أنه كان في بيته في خدمة أهله، يحلب الشاة، ويخصف النعل، ويخدمهم في بيتهم؛ فمثلاً الإنسان إذا كان في بيته فمن السنة أن يصنع الشاي مثلاً لنفسه، ويطبخ إذا كان يعرف، ويغسل ما يحتاج إلى غسله، كل هذا من السنة، أنت إذا فعلت ذلك تثاب عليه ثواب سنة، اقتداء بالرسول ﷺ وتواضعاً لله.



**[٦٠٧]** وعن أبي رِفَاعَةَ تَميم بن أُسَيْدٍ ﷺ قال: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وتَرَكَ خُطْبَتَهُ حَتَّى انْتهَى إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا. رواه مسلم.

فإن قال قائل: أليست المصلحة العامة أولى بالمراعاة من المصلحة الخاصة؟ وحاجة هذا الرجل خاصة، وهو ﷺ يخطب في الجماعة؟ قلنا: نعم لو كانت مصلحة العامة تفوت؛ لكان مراعاة المصلحة العامة أولى، لكن مصلحة العامة لا تفوت، بل إنهم سيستفيدون مما يعلمه الرسول ﷺ لهذا الرجل الغريب، والمصلحة العامة لا تفوت.



**[٦٠٨]** وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ، كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، قَالَ: وَقَالَ: «**إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذَى، وَلْيَأْكُلْها وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**». وَأَمَرَنَا أَنْ تُسْلَتَ القَصْعَةُ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَة**». رواه مسلم.

وقد زعموا أن هذا مستقبح، كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي علق بالأصابع جزءٌ ما أكلوه وليس فيه أكثر من مصها بباطن الشفة، وإنما يستقذر اللعق أثناء الأكل، وفيه فائدة ذكرها بعض الأطباء؛ أن الأنامل تفرز عند الأكل شيئاً يعين على هضم الطعام، فيكون في لعق الأصابع بعد الطعام فائدتان: فائدة شرعية: وهي الاقتداء بالنبي ﷺ، وفائدة صحية طبية: وهي هذا الإفراز الذي يكون بعد الطعام يعين على الهضم. وكذلك إذا سقطت اللقمة أو التمرة أو ما أشبه ذلك على السفرة؛ فخذها، وأزل ما فيها من الأذى من تراب وكلها؛ تواضعاً لله، وامتثالاً لأمر النبي ﷺ، وحرماناً للشيطان من الأكل معك، لأنك إذا تركتها أكلها الشيطان، والشيطان ربما يشارك الإنسان في أكله إذا أكل ولم يُسَمِّ.

والثالث: أمر بسلت الصحن أو القصعة، وهو الإناء الذي فيه الطعام، فإذا انتهيت فاسلته، بمعنى أن تلحسه، تمرر يدك عليه وتجمع ما علق فيه من طعام بأصابعك وتلعقه، وهذا أيضاً من السنة التي غفل عنها كثير من الناس مع الأسف، إذا فرغوا من الأكل لا يلعقون الصحفة، قد تكون البركة من هذا الطعام.

[٦٠٩] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ**». قَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ**». رواه البخاري.

[٦١٠] وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ**». رواه البخاري.

[٦١١] وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَتْ نَاقَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ العَضْبَاءُ لَا تُسْبَقُ، أَوْ لَا تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَعُودٍ لَهُ، فَسَبَقَهَا، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى عَرَفَهُ، فَقَالَ: «**حَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ لَا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ**». رواه البخاري.

فكل ارتفاع يكون في الدنيا، فإنه لا بد أن يؤول إلى انخفاض، فإن صحب هذا الارتفاع ارتفاع في النفوس وعلو، فإن الوضع إليه أسرع؛ لأن الوضع يكون عقوبة، كما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ**﴾ [يونس: ٢٤]، أي ظهر فيه من كل نوع ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً فَجَعَلْنَاهَا حَصِيداً كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ**﴾ [يونس: ٢٤].

ذهبت كلها، كل هذه الزينة، وكل هذا النبات الذي اختلط من كل صنف، كله يزول كأن لم يكن، وهكذا الدنيا كلها تزول كأن لم تكن، حتى الإنسان نفسه يبدو صغيراً ضعيفاً، ثم يقوى، فإذا انتهت قوته عاد إلى الضعف والهرم، ثم إلى الفناء والعدم.



## ٧٢- الكِبر والإِعجاب

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

والكبر: هو الترفع واعتقاد الإنسان نفسه أنه كبير، وأنه فوق الناس، وأن له فضلاً عليهم، والإعجاب: أن يرى الإنسان عمل نفسه فيعجب به، ويستعظمه ويستكثره، فالإعجاب يكون في العمل، والكبر يكون في النفس، وكلاهما خلق مذموم.

والكبر نوعان: كبر على الحق، وكبر على الخلق، وقد بيّنهما النبي ﷺ في قوله: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**». أما بطر الحق: فهو ردّه، وألا يقبل الإنسان الحق، بل يرفضه ويرده اعتداداً بنفسه ورأيه، فيرى أنه أكبر من الحق، وعلامة ذلك أن الإنسان يؤتى إليه بالأدلة من الكتاب والسنة، ولكنه لا يقبل؛ بل يستمر على رأيه، وكثيرٌ من الناس ينتصر لنفسه، فإذا قال قولاً لا يمكن أن يتزحزح عنه، ولو رأى الصواب، والواجب أن يرجع الإنسان للحق حيثما وجده، حتى لو خالف قوله فليرجع إليه، فإن هذا أعز له عند الله، وأعز له عند الناس، وأسلم لذمته، وهذا يقع من بعض الناس، يتبين له بعد المناقشة وجه الصواب، ولكنه يبقى على رأيه، يملي عليه الشيطان أنه إذا رجع استهان الناس به، فالأئمة العلماء كان لهم في المسألة الواحدة أقوال متعددة، وها هو الإمام أحمد رحمه الله إمام أهل السنة، نجد أن له في المسألة الواحدة أكثر من أربعة أقوال، لماذا؟ لأنه إذا تبين له الدليل رجع إليه.

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [لقمان: ١٨]. يعني لا تمشِ مرحاً مستكبراً متبختراً متعاظماً في نفسك، وفي الآية الثانية قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٧]. يعني مهما كنت فأنت لا تقدر أن تنزل في الأرض ولا تتباهى حتى تساوي الجبال؛ بل إنك أنت أنت. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَمَا**

**رَجُلٌ يَمْشِي فِي مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ يَتَبَخْتَرُ فِيهما، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾ [لقمان: ١٨].

﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ**﴾: أن يعرض الإنسان عن الناس، فتجده مستكبراً لاوياً عنقه، تحدثه وهو يحدثك وقد صدّ عنك، وصعّر خدّه.

﴿**وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**﴾: يعني لا تمشِ تبختراً وتعاظماً وتكبراً.

﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾: المختال في هيئته، والفخور بلسانه وقوله، فهو بهيئته مختال؛ في ثيابه، في ملابسه، في مظهره، في مشيته، فخور بقوله ولسانه، والله تعالى لا يحب هذا.

رُوي عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**رُبَّ ذِي طِمْرَيْنِ لَا يُؤْبَهُ لَهُ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، لَوْ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الجَنَّةَ لَأَعْطَاهُ اللهُ الجَنَّةَ وَلَمْ يُعْطِهِ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا**».

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ**﴾ [القصص:٧٦] إلى قوله تعالى: ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ**﴾ [القصص:٨١]. وقارون رجل من بني إسرائيل من قوم موسى، أعطاه الله ﷻ مالاً كثيراً، هذا الرجل بطر وتكبّر، فأنكر فضل الله عليه.

وقوله: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي**﴾ [القصص: ٧٨]، أي عندي علم أدركت به هذا المال؛ علم بالتجارة، ووجوه تثمير المال، ولم يعترف بفضل الله تعالى عليه فيه، وكانت النتيجة أن الله خسف به وبداره الأرض، وزال هو وأملاكه.

إذن، تأمّل نتيجة الكبر والعجب والاعتداد بالنفس، وكيف كان عاقبة ذلك من الهلاك والدمار.

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**لَيْسَ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ**».

وقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ**﴾، فإنْ قال قائل: ما هو الفساد في الأرض؟ فالجواب أن الفساد في الأرض ليس هدم المنازل ولا إحراق الزروع، بل هو بالمعاصي، كما جاء في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا**﴾ [الأعراف: ٥٦]، أي لا تعصوا الله؛ لأن المعاصي سبب للفساد وانتشار الجريمة في المجتمع الآمن.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: ٩٦]، فهؤلاء عاقبهم، ولم يفتح الله عليهم بركات من السماء ولا من الأرض.



**[٦١٢]** وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**». رواه مسلم.

فالذي في قلبه كبر، إما أن يكون كبراً عن الحق وكراهة له، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة؛ لقول الله تعالى: ﴿**ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [محمد: ٩]، وأما إذا كان كبراً على الخلق وتعاظماً، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولاً كاملاً مطلقاً، بل عذاب على ما حصل من كبره وعلوائه على الخلق، ثم إذا طهر دخل الجنة.

«**بَطَرُ الحَقِّ**»: يعني رده والإعراض عنه، وعدم قبوله.

«**غَمْطُ النَّاسِ**»: يعني احتقارهم وازدراءهم، ويرى أنه فوقهم. قيل لرجل: ماذا ترى الناس؟ قال لا أراهم إلا مثل البعوض، فقيل له: إنهم لا يرونك إلا كذلك. وقيل

لآخر: ما ترى الناس؟ قال: أرى الناس أعظم مني، ولهم شأن، ولهم منزلة، فقيل له: إنهم يرونك أعظم منهم.

**[٦١٣]** وعن سلمة بن الأكوع ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**». قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم.

وقوله: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»: أي دعا عليه، فأجاب الله دعوته فلم يرفعها إلى فمه بعد ذلك، كأن أصابها شلل.

في هذا الحديث: جواز الدعاء على من قصد الخروج عن أحكام الشريعة عمدًا.

**[٦١٤]** وعن حارثة بن وهْبٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

العتل: معناها الشديد الغليظ الجافي، ومنه العتلة التي تحفر بها الأرض، فإنها شديدة غليظة، والجواظ: يعني أنه فيه زيادة من سوء الأخلاق، والمستكبر- وهذا هو الشاهد-: هو المختال الفخور الذي عنده كِبر وغطرسة، وكِبر على الحق وعلى الخلق، فهو لا يلين للحق أبداً، ولا يرحم الخلق، وهؤلاء هم أهل النار، أما أهل الجنة فهم الضعفاء المساكين الذين ليس عندهم ما يستكبرون به؛ بل هم دائماً متواضعون ليس عندهم كبرياء ولا غلظة.

**[٦١٥]** وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ، وَقَالَتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ، فَقَضَى اللهُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: دليل على أن غالب أهل النار الجبارون والمتكبرون، وأن غالب أهل الجنة الضعفاء، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُواْ مَا أَغْنَى عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٨ – ٤٩].



**[٦١٦]** وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذه مسألة خطيرة، وذلك أن الرجل منهيٌّ عن أن ينزل ثوبه عن الكعب، فإنّ فِعله هذا من الكبائر، لأنه إن نزل كبراً وخيلاء فإن الله لا ينظر إليه يوم القيامة، ولا يكلّمه، وله عذابٌ أليم، وإن كان نزل لغير ذلك، كأن يكون طويلاً ولم يلاحظه، فإنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا أَسْفَلَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ**»، فكانت العقوبة حاصلة على كل حال.

فإذا قال قائل: ما هي السنة؟

قلنا: من الكعب إلى نصف الساق هذه هي السنة، نصف الساق سنة، وما دونه سنة، وما كان إلى الكعبين فهو سنة؛ لأن هذا هو لبس النبي ﷺ وأصحابه.



**[٦١٧]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**». رواه مسلم.

ثلاثة: يعني ثلاثة أصناف، وليس المراد ثلاثة رجال، بل قد يكون آلاف الناس، وهكذا كلما جاءت كلمة ثلاثة أو سبعة أو ما أشبه ذلك فالمراد أصنافاً لا أفراداً، فهؤلاء الثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكّيهم، ولهم عذاب أليم، وسبب تخصيص هؤلاء بهذا الوعيد الشديد:

الأول: الشيخ، لأن الشيخ قد ضعفت دواعي الشهوة فيه، وليس عنده ما يدفعه أو يجبره على أن يفعل هذا الفعل، فكونه يزني هذا يدل على أنه سيءٌ للغاية.

الثاني: ملك كذّاب، أي كثير الكذب، وذلك لأن الملك لا يحتاج أن يكذب، كلمته هي العليا بين الناس، لا يخشى من أحد من رعيته، فإذا كذب يقول: سأفعل كذا، ولكن لا يفعل، ويحدّث الناس يلعب بعقولهم.

الثالث: عائل مستكبر: وهذا هو الشاهد من الحديث، عائل يعني فقير، ومستكبر يعني يتكبر على الناس، فإن هذا العائل الفقير ليس عنده ما يوجب الكبر فيتكبر على عباد الله، وما دام فقيراً فكيف يستكبر؟! ولهذا تجد الناس إذا رأوا غنياً متواضعاً استغربوا ذلك منه، واستعظموه، ورأوا أن هذا الغني في غاية ما يكون من الخلق النبيل، لكن لو يجدون فقيراً متواضعاً لكان من سائر الناس؛ لأن الفقر يوجب للإنسان أن يتواضع؛ ولأي شيء يستكبر؟!



**[٦١٨]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: العِزُّ إِزَارِي، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**». رواه مسلم.

هذا من الأحاديث القدسية التي يرويها النبي ﷺ عن الله ﷻ، وهي ليست في مرتبة القرآن، لأنها تُروى بالمعنى، وفيها أحاديث ضعيفة، وفيها أحاديث مكذوبة على الرسول ﷺ ليست بصحيحة، وهي كثيرة، فالمهم أنها ليست في منزلة القرآن إلا أنه يُقال إن النبي ﷺ يرويه عن ربه، يقول: «**العِزُّ إِزَارِي، وَالكِبْرِيَاءُ رِدَائِي**»، وهذا من الأحاديث التي تمرّ كما جاءت عن النبي ﷺ، ولا يتعرّض لمعناها بتحريف أو تكييف، وإنما يُقال: هكذا قال الله تعالى فيما رواه النبي ﷺ عنه، فمن نازع الله في عزته وأراد أن يتخذ سلطاناً كسلطان الله، أو نازع الله في كبريائه وتكبر على عباد الله، فإن الله يعذبه على ما صنع، ونازع الله تعالى فيما يختص به.



**[٦١٩]** وعنه أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ فِي مَشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ في الأَرْضِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ**»: أَيْ مُمَشِّطُهُ. «**يَتَجَلْجَلُ**»: أَيْ يَغُوصُ وَيَنْزِلُ، يعني انهارت به الأرض وانغمس فيها واندفن، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة؛ لأنه لما صار عنده هذا الكبرياء، وهذا التيه، وهذا الإعجاب خُسف به، وهذا نظير قارون الذي خرج على قومه في زينته ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ**﴾ [القصص: ٧٩-٨١]، وفي هذا دليلٌ على تحريم الكبر وتحريم الإعجاب، وأن الإنسان يجب عليه أن يعرف قدر نفسه.



**[٦٢٠]** وعن سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الجَبَّارِينَ، فَيُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ**»: أَيْ يَرْتَفِعُ وَيَتَكَبَّرُ، وقيل: يرفع نفسه ويعتقدها عظيمة مرتفعة المقدار على الناس، على ما فيها من الاستعلاء، ويشهد لهذا قوله تعالى: «**فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾ [النازعات: ٣٧- ٣٩].

وقد حذّر النبي ﷺ الإنسانَ من أن يعجب بنفسه، فلا يزال يترفع ويتعاظم حتى يكتب من الجبارين، فيصيبه ما أصابهم، والجبارون لو لم يكن من عقوبتهم إلا قول الله ﷻ: ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ [غافر: ٣٥] لكان عظيماً، فالجبار يُطبع على قلبه حتى لا يصل إليه الخير، ولا ينتهي عن الشر.





# ٧٣- حُسْن الخُلق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

«وَإِنَّكَ»: يعني يا محمَّد، لعلى خلق عظيم لم يتخلّق أحد بمثله، في كل شيء؛ خلق مع الله، ومع عباد الله، في الشجاعة والكرم، وحسن المعاملة، وفي كل شيء، وكان ﷺ خُلُقه القرآن يتأدّب بآدابه؛ يمتثل أوامره، ويجتنبُ نواهيه.

أما حسن الخلق مع الله: فهو الرضا بحكمه شرعاً وقدراً، وتلقي ذلك بانشراح صدر وعدم التضجر، وعدم الأسى والحزن، فإذا قدر الله على المسلم شيئاً يكرهه، رضي بذلك واستسلم وصبر، وانقاد لأمره بصدر منشرح ونفس مطمئنة، أما مع الخَلْق: فيُحسن الخُلُق معهم بكف الأذى، وطلاقه الوجه، ولا شك أن الذي يفعل هذا؛ فيكفّ الأذى ويجعل وجهه منطلقاً؛ لا شك أنه سيصبر على أذى الناس، لأن هذا من حسن الخُلق أيضاً، فإن من الناس من يؤذي أخاه، وربما يعتدي عليه بما يضرّه؛ بأكل ماله، أو يجحد حقه، فيصبر ويحتسب الأجر من الله، والعاقبة للمتقين، وهذا كله من حسن الخلق مع الناس.

وقال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤]، يعني: إذا غضب، ملك نفسه، ولم يتعد على أحدٍ بموجب هذا الغضب، وإذا أساءوا إليه: ﴿وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، فإن هذا من الإحسان أن تعفو عمّن ظلمك، ولكن العفو له محل؛ إن كان المعتدي أهلاً للعفو فالعفو جائز، لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، وإن لم يكن أهلاً للعفو؛ فإن العفو ليس جائزاً؛ فلو أن رجلاً اعتدى عليك بضربك، أو أخذ مالك، أو أهانك، فهل الأفضل أن تعفو عنه أم لا؟ نقول: إن كان الرجل شريراً سيئاً، إذا عفوت عنه ازداد في الاعتداء عليك وعلى غيرك، فلا تعفُ عنه، خذ حقك منه بيدك، ما لم يترتب على ذلك ضرر أكبر، إلا أن تكون

تحت ولاية شرعية، فترفع الأمر إليه، أما إذا كان الإنسان أهلاً للعفو فالأفضل أن تعفو عنه، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ**».

**[٦٢١]** عن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

كان حسن الخلق غريزة في النبي ﷺ، جَبَلَهُ الله عليها، واكتساباً من القرآن، ولهذا قال ﷺ: «**أَدَّبَنِي رَبِّي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي**».

**[٦٢٢]** وعنه قال: مَا مَسِسْتُ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَقَدْ خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينٍ، فَمَا قَالَ لِي قَطُّ: أُفٍّ، وَلَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ وَلَا لِشَيءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ: أَلَا فَعَلْتَ كَذَا؟ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وكان أنس بن مالك رضي الله عنه قد خدم النبي ﷺ عشر سنين؛ جاءت به أمّه حين قدمَ النبي ﷺ المدينة، فقالت: يا رسول الله، هذا أنس بن مالك يخدمك، فقبل، ودعا له أن يبارك الله له في ماله وولده، حتى قيل إنه كان له بستان يثمر في السنة مرتين، أما أولاده فبلغوا مائة وعشرين ولداً، كل هذا ببركة دعوة النبي ﷺ.

وكما أَلَانَ الله يده ﷺ فقد أَلَانَ الله قلبه؛ قال الله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكذلك أيضاً رائحته ﷺ، حتى كان الناس يتبادرون إلى أخذ عرقه من حسنه وطيبه، ويتبركون به وبريقه وبثيابه، أما غير النبي فلا يتبرك بعرقه ولا بثيابه ولا بِريقه، مهما كان حسناً.

وقوله: "فَمَا قَالَ لِي قَطُّ: أُفٍّ": بينما الواحد منا إذا خدمه صاحبه أو خدمه أحد لمدة أسبوع أو نحوه، لا بد أن يجد منه تضجّراً، لكن الرسول ﷺ عشر سنوات وهذا الرجل يخدمه، ومع ذلك ما قال له أفّ قط، فكان ﷺ يعامله بما أرشده الله إليه في قوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، يعني خذ من الناس ما تيسر، ولا تريد أن يكون الناس لك على ما تريد في كل شيء، عامل الناس بما إن جاءك قبلت، وإن فاتك لم تغضب.

**[٦٢٣]** وعن الصعب بن جَثَّامَةَ ؓ قال: أَهْدَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، حِمَارًا وَحْشِيًّا، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رَأَى مَا فِي وَجْهِي، قَالَ: «**إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الصعب بن جثامة، مرّ به النبي ﷺ وهو محرم، فذهب يصيد للرسول صيداً، فصاد له حماراً وحشياً، وكان في الجزيرة العربية في ذلك الوقت، فرده النبي ﷺ، فَصَعُبَ عليه ذلك؛ كيف يرد النبي ﷺ هدّيته؟ فتغيّر وجهه، فلما رأى ما في وجهه وقال: «**إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ**»، يعني مُحْرِمون، والمُحْرِم لا يأكل من الصيد الذي صيد من أجله، أما إذا لم تصده من أجله، فالصحيح أنه حلال.



**[٦٢٤]** وعن النَّوَاس بنِ سمعان ؓ قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ، فَقَالَ: «**البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**». رواه مسلم.

«**الإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ**»: يعني بما حاك في النفس، ولم تطمئن إليه النفس، بل ترددت فيه، وكرهت أن يطلع عليه الناس، ولكن هذا خطاب للمؤمن، أما الفاسق فلا يهمه إن حاك، ولا يهمه أن يطلع عليه الناس؛ بل يجاهر به ولا يبالي، فهذا الميزان إنما هو في

حق المؤمنين، أما الفاسقون فإنهم لا يهمهم، لأن الله ﷻ يقول في حق هؤلاء: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨].



**[٦٢٥]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ الله ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الفحش: ما يشتد قبحه من الأقوال والأفعال، والتفحش: الزيادة في ذلك.



**[٦٢٦]** وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ العَبْدِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُقِ، وَإِنَّ اللهَ يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيَّ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

البَذِيُّ: هو الذي يتكلَّم بِالفُحْشِ ورديء الكلام، لأنه يورث البغض من الله وعباده، أما حسن الخلق، فهو يورث صاحبه محبة الله ومحبة عباده.



**[٦٢٧]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «**تَقْوَى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ**»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «**الفَمُ وَالفَرْجُ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

تقوى الله: وهذه كلمة جامعة لفعل ما أمر الله به، وترك ما نَهى الله عنه، لأن التقوى مأخوذة من الوقاية، وهي أن يتخذ الإنسان ما يقيه من عذاب الله، ولا شيء يقي من عذاب الله إلا فعل الأوامر واجتناب النواهي، وأكثر ما يدخل الناس النار الفم والفرج، لأن الكلام لا يتعب به الإنسان، ليس كعمل اليد، وعمل الرجل، فتجده يتكلم كثيراً

بأشياء تضرّه؛ كالغيبة، والنّميمة، واللّعن، والسّب، والشّتم، وهو لا يشعر بذلك، فيكتسب بهذا آثاماً كثيرة، أما الفرج فالمراد به الزنا، وأخبث منه اللواط، فإن ذلك أيضاً تدعو النفس إليه كثيراً، فتهوي بالإنسان وتدرِّجه، حتى يقع في الفاحشة وهو لا يعلم.

[٦٢٨] وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فينبغي للإنسان أن يكون مع أهله خير صاحب وخير محب وخير مُربٍّ؛ لأن الأهل أحق بحسن خلقك من غيرهم، ابدأ بالأقرب فالأقرب، على العكس من ذلك حال بعض الناس اليوم؛ تجده مع الناس حسن الخلق، لكن مع أهله سيء الخلق، وهذا خلاف هدي النبي ﷺ، ولهذا لما سئلت عائشة: ماذا كان النبي يصنع في بيته؟ قالت: كان في مهنة أهله. أي يساعدهم على مهمات البيت، حتى أنه كان يحلب الشاة لأهله، ويخصف نعله، ويرقع ثوبه، وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون مع أهله.

[٦٢٩] وعن عائشة ﵂، قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**». رواه أبو داود.

في هذا الحديث: فضيلة حسن الخلق، وأنه يبلغ صاحبه أَعْلى الدرجات. وبسط الوجه، وبذل الندى، وكف الأذى.

[٦٣٠] وعن أبي أُمَامَة الباهِلِيِّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**». حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

الزَّعِيمُ: الضَّامِنُ.

في هذا الحديث: استحباب ترك الجدال، وفي بعض الآثار: إذا أراد الله بعبد خيرًا؛ فتح له باب العلم، وأغلق عنه باب الجدل، وإذا أراد بعبد شرًّا؛ فتح له باب الجدل وأغلق عنه باب العلم.

**[٦٣١]** وعن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**المُتَكَبِّرُونَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الثرثارون: الذين يكثرون الكلام عن الناس، فإذا جلس في المجلس أخذ الكلام عن غيره، وصار كأن لم يكن في المجلس إلا هو؛ يتكلم ولا يدع غيره يتكلم، وهذا لا شك أنه نوع من الكبرياء، لكن لو فرضنا أن أهل المجلس فوّضوه فلا حرج، كذلك أيضاً المتشدّقون، والمتشدق: هو الذي يتكلم بملء شدقيه، تجده يتكلم وكأنه أفصح العرب تكبّراً وتبختراً، ومن ذلك من يتكلم باللغة العربية أمام العامة، فإن العامة لا يعرفون اللغة العربية، أما إذا كنت تدرِّس لطلبة فينبغي أن تتكلم باللغة العربية، لأجل أن تمرّنهم على النطق بها، أما العامة تكلم معهم بلغتهم التي يعرفون، ولا تأتِ بكلمات غريبة تُشكِل عليهم، أما المتفيهقون فقد وصفهم النبي ﷺ بالمتكبرين؛ لأن الإنسان بشرٌ فينبغي أن يعرف قدر نفسه، حتى لو أنعم الله عليه بمال أو علم أو جاه، فينبغي أن يتواضع، وتواضع هؤلاء أفضل من تواضع غيرهم، ممن لا يكون كذلك.





## ٧٤- الحِلْم والأناة والرِّفق

هذه ثلاثة أمور متقاربة: الحلم، والأناة، والرّفق؛ أما الحلم: فهو أن يملك الإنسان نفسه عند الغضب، ولا يُعاجِل بالعقوبة، وأما الأناة: فهو التأني في الأمور، وألا يأخذ الإنسان الأمور بظاهرها فيتعجّل، وأما الرفق: فهو معاملة الناس بالرفق والهون، حتى وإن استحقوا العقوبة، ولكن هذا فيما إذا كان الإنسان الذي يرفق به محلاً للرفق، أما إذا لم يكن محلاً للرفق، فإن الله ﷻ قال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

في قوله: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾: دليلٌ على أنهم يشق عليهم ذلك، لكنهم يغلبون أنفسهم فيكظمون غيظهم.

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾: مُرْ بما يتعارفه الناس ويعرفه الشرع من أمور الخير، ولا تسكت عن الأمر بالخير إذا كان الناس أخلوا به، لما أنزل الله ﷻ على نبيّه ﷺ ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، قال: «مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟»، قال: «إِنَّ اللهَ أَمَرَكَ أَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ».

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٤، ٣٥].

قال قتادة: الحظ العظيم: الجنة، وقال ابن عباس: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم عند الجهل، والعفو عند الإِساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان، وخضع لهم عدوّهم كأنه وليٌّ حميم.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، أي من الأمور التي تدل على عزم الرجل، وعلى حزمه، وعلى أنه قادر على نفسه مسيطر عليها، فالذي يصبر على أذى الناس ويتحمل ويحتسب الأجر من الله ويغفر لهم، فإن ذلك من عزم الأمور التي أمر الله بها.

**[٦٣٢]** عن ابن عباس ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ لأَشَجِّ عَبْدِ القَيْسِ: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**». رواه مسلم.

الحِلم: عندما يثار الإنسان ويُجنى عليه ويُعتدى عليه يحلم، لكنه ليس كالحمار لا يبالي، لكن يكون حليماً لا يتعجل بالعقوبة. والأناة: التأني في الأمور وعدم التسرع، وما أكثر ما يهلك الإنسان بسبب التعجل في الأمور، وسواء في نقل الأخبار، أو في الحكم على ما سمع، أو في غير ذلك، فمن الناس مثلاً من يتخطّف الأخبار بمجرّد ما يسمع الخبر يحدِّث به وينقله، وقد جاء في الحديث: «**كَفَى بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**».

ومن الناس من يتسرّع في الحكم؛ سمع عن شخص شيئاً من الأشياء، وتأكد أنه قاله أو أنه فعله، ثم يتسرع في الحكم عليه أنه أخطأ، وهذا غلط.

**[٦٣٣]** وعن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٦٣٤]** وعنها، أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**». رواه مسلم.



**[٦٣٥]** وعنها، أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**». رواه مسلم.

الرِّفق: لين الجانب بالقول والفعل، والأَخذ بالأَسهل، وهو ضد العنف، فصاحب الرفق يدرك حاجته أَو بعضها، وصاحب العنف لا يدركها ولا تتمّ، ولهذا فإن الإنسان إذا عامل الناس بالرفق يجد لذة وانشراحاً، وإذا عاملهم بالشدة والعنف ندم، ثم قال: ليتني لم أفعل، لكن بعد أن يفوت الأوان.



**[٦٣٦]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَالَ أَعْرَابِيٌّ فِي المَسْجِدِ، فَقَامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ**». رواه البخاري.

السَّجْلُ: وَهِيَ الدَّلو المُمْتَلِئَةُ مَاءً، وَكَذلِكَ الذَّنُوبُ.

وفي رواية ابن ماجة: فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ بَعْدَ أَنْ فَقِهَ: بِأَبِي وَأُمِّي ﷺ. فلم يُؤنِّب ولم يُسب، فقال: «**إِنَّ هٰذَا المَسْجِدَ لَا يُبَالُ فِيهِ، وَإِنَّمَا بُنِي لِذِكْرِ اللهِ، وَالصَّلَاةِ فِيهِ**».

في هذا الحديث فوائد، منها: العذر بالجهل، وأن الإنسان الجاهل لا يُعامل كما يُعامل العالم؛ لأن العالم معاند. ومنها: أن الشرع يقتضي دفع أعلى المفسدتين بأدناهما، فهنا أمامنا مفسدتان: استمرار هذا الأعرابي في بوله، أو إقامته من بوله، لكن هذه أكبر؛ لأن هذه يترتب عليها الضرر في مسالك البول.

وفي هذا الحديث أن الرسول ﷺ لما كلم الأعرابي بهذا اللطف واللين، قال: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً. انظر كيف انشرح صدره بكلام محمد ﷺ.



**[٦٣٧]** وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وقال النبي ﷺ: «**صَلِّ قَائِمًا فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**».

والتّعسير يُوجب التّنفير، لذا قال: «**يَسِّرُوا**»، ولهذا كان النبي ﷺ أنه ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما في العبادات والمعاملات، وفي كل شيء مع الناس؛ لأن اليسر هو الذي يريده الله ﷻ منّا، ويريده بنا: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فمثلاً إذا كان لك ماءان وأنت في الشتاء، وكان أحدهما بارد يؤلمك والثاني ساخن ترتاح له، فالأفضل أن تستعمل الساخن، وإذا كان يمكن أن تحج بسيارة أو تحج بطائرة والطائرة أسهل، فالحج بالطائرة أفضل.

وقوله: «**وَلَا تُعَسِّرُوا**»: لا تسلكوا طرق العسر لا في عبادتكم ولا في معاملاتكم، ولا في غير ذلك، ولهذا لما رأى النبي ﷺ رجلاً واقفاً في الشمس، سأل عنه، قالوا يا رسول الله، نذر أن يصوم ويقف في الشمس، فنهاه؛ لأن هذا فيه عسر على الإنسان ومشقة.

وقوله: «**وَبَشِّرُوا**»: بشرّوا أنفسكم وبشرّوا غيركم، وإذا دعوت الله فبشر نفسك أن الله يستجيب لك؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، لهذا قال بعض السلف: من وفّق للدعاء فليبشّر بالإجابة، كذلك بشّر غيرك، فإذا جاءك إنسان، قال: فعلت كذا وفعلت كذا وهو خائف فبشره، وأدخل عليه السرور.

وقوله: «**وَلَا تُنَفِّرُوا**»: ومن ذلك أن يطيل الإمام بالجماعة، فإن معاذ بن جبل ﷺ، كان إذا صلى مع النبي ﷺ صلاة العشاء، ذهب إلى قومه فصلى بهم تلك الصلاة، فدخل يوماً من الأيام في الصلاة، فشرع في سورة طويلة، فانصرف رجل وصلى وحده، فقيل نافق فلان، فذهب الرجل للنبي ﷺ، ثم إن معاذاً أتى إلى رسول الله ﷺ فقال له: «**أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ**». وفي رواية: «**إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ**».



**[٦٣٨]** وعن جرير بن عبدِ الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ**». رواه مسلم.

فيه الحثّ على الرّفق في جميع الأمور.

قال الله تعالى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهذا شيء مجرب ومشاهد؛ أن الإنسان إذا صار يتعامل بالعنف والشدة؛ فإنه يحرم الخير ولا ينال الخير، وإذا كان يتعامل بالرفق والحلم والأناة وسعة الصدر؛ حصل على خيرٍ كثير، وعلى هذا فينبغي للإنسان الذي يريد أن ينال الخير أن يكون دائماً رفيقاً.



**[٦٣٩]** وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أَوْصِنِي. قَالَ:«**لَا تَغْضَبْ**»، فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**». رواه البخاري.

مداخل الشيطان ثلاثة، وهي: الغفلة، والشهوة، والغضب، وقال عمر بن عبد العزيز ﷺ تعالى: قد أفلح من عصم من الهوى، والغضب، والطمع.

والمعنى: لا تكن سريع الغضب يستثيرك كل شيء؛ بل كن مطمئناً متأنياً؛ لأن

الغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب الإنسان حتى يغلي القلب، ولهذا تنتفخ الأوداج وعروق الدم، وتحمرّ العينان، ثم ينفعل الإنسان حتى يفعل شيئاً يندم عليه، وإنما أوصى النبي ﷺ هذا الرجل ألا يغضب من دون أن يوصيه بتقوى الله أو بالصلاة أو بالصيام أو ما أشبه ذلك؛ لأن حال هذا الرجل تقتضي ذلك، ولهذا أوصى غيره بغير هذا الشيء؛ أوصى أبا هريرة أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر، وأن يوتر قبل أن ينام، وأوصى أبا الدرداء بمثل ذلك، أما هذا فأوصاه ألا يغضب؛ لأن النبي ﷺ علم من حاله أنه غضوب كثير الغضب، فلذلك قال لا تغضب.

وكما هو مشاهد ومعلوم؛ تجد الإنسان الذي يغضب، يبرد ثم يندم ندماً عظيماً، وما أكثر الذين يسألون: غضبت على زوجتي فطلقتها بالثلاثة، فحرّمت عليه، وما أشبه ذلك، فأنت لا تغضب، فإن الغضب لا شك أنه يؤثر على الإنسان حتى يتصرف تصرف المجانين، ولهذا قال بعض العلماء: إن الإنسان إذا غضب غضباً شديداً حتى لا يدري ما يقول؛ فإنه لا عبرة بقوله.



**[٦٤٠]** وعن أبي يعلى شدَّاد بن أوسٍ رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَة، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**». رواه مسلم.

معنى إِحسان القتلة: أن لا يقصد التعذيب للمقتول، وإِحسان الذبحة أن يرفق بالبهيمة عند الذبح. قال الإمام أحمد: ما أبهمت عليه البهائم فلم تبهم أنها تعرف ربها، وتعرف أنها تموت، فالذبح والنحر يكون فيما يحل ويؤكل، ويكون النحر للإبل، والذبح فيما سواها، والنحر يكون في أسفل الرقبة مما يلي الصدر، والذبح يكون في أعلى الرقبة مما يلي الرأس، ولا بد في الذبح والنحر من قطع الودجين، وهما العرقان الغليظان اللذان يجري

منهما الدم ويتوزع على بقية البدن، أما الحلقوم الذي هو مجرى النفس، والمريء الذي هو مجرى الطعام، فقطعهما أكمل، ولكن ليس بشرط. وأما القتل فيكون فيما أمر بقتله ولا يحل أكله، كالفأر والعقرب، وكذلك الحية والكلب العقور، وكذلك كل مؤذٍ فإنه يقتل، وعند العلماء قاعدة تقول: ما آذى طبعاً قُتل شرعاً، يعني ما كان طبيعته الأذى فإنه يقتل شرعاً، ولكن أحسن القتلة، فمثلاً إذا أردت أن تقتل فأرة اقتلْها بما يزهق روحها حالاً، ولا تؤذها، ومن أذيتها ما يفعله بعض الناس حيث يضع لها شيئاً لاصقاً، ثم يدعها يومين أو ثلاثة تموت جوعاً وعطشاً، ويُخشى عليك أن تدخل النار بذلك؛ لأن النبي ﷺ قال: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**».

لكن لو وجب قتله بالحرابة، يعني أنه صار يقطع الطريق ويأخذ الأموال ويقتل الناس، فهذا يُقتل بالسيف، إلا إذا كان قد مثل بمن قتله فيُمثل به حسب ما فعل، فإن قال قائل: ما تقولون في الرجل إذا زنا وهو محصن فإنه يرجم بالحصى حتى يموت؟ وهذا يؤلمه ويؤذيه؟ فهل يعارض هذا الحديث؟ فالجواب لا، لأنه موافق للشرع، ودلّ عليه صريح السنة، والحكمة من هذا أن البدن الذي تلذذ بالشهوة المحرمة، عمَّت الشهوة جميع بدنه، فمن الحكمة أن تعم العقوبة جميع بدنه، وهذا من حكمة الله ﷻ.

«**وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ**»: يعني إذا أردت أن تذبح فاذبح بسكين مسنونة، بحيث يكون ذلك أقرب إلى القطع من دون ألم.

«**وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»: وذلك بأن يضع السكين على الرقبة ثم يجرها بقوة، حتى يكون ذلك أسرع من كونه يجرّها مرتين أو ثلاث، ومن إراحة الذبيحة أن تضع رجلك على رقبتها، وتمسك الرأس باليد اليسرى وتذبح باليمنى، وحينئذٍ تكون مضجعة على الجنب الأيسر، ودع القوائم اليدين والرجلين تتحرك بسهولة؛ وفيه فائدة وهي تفريغ الدم بهذه الحركة أكثر.

ولننتبه: إذا قُتل الإنسان بحدٍّ، يعني قُتل وهو زانٍ أو قتل قصاصًا، فإنه يُصلى عليه، ويُدعى له بالرحمة والعفو مثل سائر المسلمين، أما من قُتل كافرًا مرتدًّا فإنه لا يدعى له

بالرحمة، ولا يغسل، مثل أن يُقتل إنسان لا يصلي، فإنه يقتل مرتدًا كافرًا، هذا لا يغسل ولا يكفن، ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين، ولا يدعى له بالرحمة، ومن دعا له بالرحمة فإنه آثم، لقول الله تعالى: ﴿**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [التوبة: ١١٣].

**[٦٤١]** وعن عائشة ﵂ قالت: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ تَعَالَى. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: استحباب الأَخذ بالأَيسر في أُمور الدين والدنيا إذا لم يكن فيه معصية.

وفيه: استحباب ترك الانتقام للنفس كما في الحديث: «**وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا**».

وفيه: ما كان عليه ﷺ من الحلم والصبر والقيام بالحق، والصلابة في الدين، وهذا هو الخلق الحسن، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤].

**[٦٤٢]** وعن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُخبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ؟ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّار؟ تَحْرُمُ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وفي الحديث الآخر: «**إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَرْزَاقِكُمْ، وَلٰكِنْ لِيَسَعَهُمْ مِنكُمْ بَسْطُ الوَجْهِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ**».





## ٧٥- الإِعراضُ عن الجاهِلين

قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وذلك لأنَّ في الإِعراض عن الجاهل إخمادًا لشرّه.

وقال تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]. نزلت في شأن أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه لما حلف أن لا ينفق على مسطح لرميه عائشة بالإِفك، فقال أبو بكر: بلى يا رب، إني أُحبُّ أن تغفر لي، فرجع إلى مسطح ما كان يعطيه قبل.

وقال تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. أي: من صبر على الأذى وعفا، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].



**[٦٤٣]** وعن عائشة رضي الله عنها: أنها قالت للنبي ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيْلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، وَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبرِيلُ عليه السلام، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا**

**مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا الذي حدث؛ فإن الله قد أخرج من أصلاب هؤلاء الذين آذوا الرسول ﷺ هذه الأذية العظيمة، أخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، وهكذا ينبغي للإنسان أن يصبر على الأذى، لا سيما إذا أوذي في الله، فإنه يصبر ويحتسب وينتظر الفرج، وقد قال النبي ﷺ: «**وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا**».

الأَخْشَبَان: الجَبَلان المُحيطان بمكَّة، وَالأَخشبُ: هُوَ الجبل الغليظ.



**[٦٤٤]** وعنها قالت: مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ للهِ تَعَالَى. رواه مسلم.

وهذا من كرمه ﷺ أنه لا يضرب أحداً على شيءٍ من حقوقه الخاصة به؛ لأن له أن يعفو عن حقّه أو يأخذ به، ولكن إذا انتهكت محارم الله؛ فإنه ﷺ يكون أشد ما يكون أخذاً بها؛ وهكذا ينبغي للإنسان أن يحرص على أخذ العفو، وما عفى من أحوال الناس وأخلاقهم ويعرض عنهم، إلا إذا انتهكت محارم الله، وقد قال الله تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب:٢١].



**[٦٤٥]** وعن أنس ﷺ قال: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجبذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَالتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعطَاءٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: مزيد حُسْن خُلُقِهِ ﷺ، وصبره على سوء أَدب هذا الأَعرابي الجافي، وحلمه ﷺ؛ فإنه عفا عن جنايته عليه، وزاد على العفو بالبشر والعطاء. وفي رواية البيهقي: ثم قال: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِيَ مِنْ مَالِ الله الَّذِي عِنْدَكَ، فَإِنَّكَ لَا تَحْمِلُ لِي مِنْ مَالِكَ، وَلَا مِنْ مَالِ أَبِيكَ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**المَالُ مَالُ الله وَأَنَا عَبْدُهُ**». وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون ذا سعة، وإذا اشتد الناس أن يسترخي هو. سئل معاوية ﷺ بِمَ سُستَ الناس؟ وذلك لأن معاوية معروف بالسياسة والحكمة، فقال: أجعل بيني وبين الناس شعرة؛ إن جذبوها تبعتهم، وإن جذبتها تبعوني، لكن لا تنقطع. ومعنى كلامه أنه سهل الانقياد؛ فهكذا ينبغي للإنسان أن يكون دائماً في سياسته كما كان النبي ﷺ.

**[٦٤٦]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُه عَلَيهِمْ، ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وكم نال الأنبياء من أذى قومهم؟! قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا**﴾ [الأنعام: ٣٤].

فهذا النبي ﷺ ضربه قومه حتى أدموا وجهه، فيقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**»، وكأنّ هؤلاء القوم كانوا مسلمين، لكن حصل منهم مغاضبة مع نبيهم ففعلوا هذا معه، فدعا لهم بالمغفرة، وإلا كان يدعو لهم بالهداية.

والقول الراجح فيمن سبَّ النبي ﷺ ثم تاب أن توبته تُقبل، ولكنه يُقتل، وأما من سبّ الله ثم تاب فإن توبته تُقبل ولا يُقتل، وليس هذا يعني أن سبّ الرسول ﷺ أعظم من سبّ الله، بل سبّ الله أعظم، لكن الله قد أخبرنا أنه يعفو عن حقه لمن تاب منه، فهذا الرجل تاب فعلمنا أن الله تعالى قد عفا عنه.

**[٦٤٧]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والمصارعة معروفة، وهي من الرياضة النبوية المباحة، فإن الرسول ﷺ صارع ركانة بن يزيد، وكان هذا الرجل لا يصرعه أحد، فصارعه النبي ﷺ فصرعه.

وليس هذا هو الشديد حقيقة، لكن الشديد الذي يصرع غضبه، ولهذا قال ﷺ: «**إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**».

هذا هو الشديد، وذلك لأن الغضب جمرة يلقيها الشيطان في قلب ابن آدم فيفور دمه، فإن كان قوياً ملك نفسه، وإن كان ضعيفاً غلبه الغضب، وحينئذٍ ربما يتكلم بكلام يندم عليه، أو يفعل فعلاً يندم عليه، لأن الغضب ينتج عنه أحياناً مفاسد عظيمة؛ ربما سب الإنسان نفسه، أو سب دينه، أو سب ربه، أو طلق زوجته، أو كسر إناءه، أو أحرق ثيابه، وكثيرٌ من الوقائع تصدر من بعض الناس إذا غضبوا، كأنما صدرت من المجنون.





## ٧٦- احتمال الأذى

الأذى: هو ما يتأذّى به الإنسان من قول أو عمل أو غير ذلك، والأذى إما أن يكون في أمر ديني أو أمر دنيوي، فإذا كان في أمرٍ ديني بمعنى أن الرجل يؤذى من أجل دينه، كان في هذا الصبر على الأذى أسوة بالرسل الكرام؛ لأن الله يقول: ﴿لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الغَيْظَ والْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ والله ُيُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

وقد يُبتلى المرء على قدر دينه، فيسلط الله عليه من يؤذيه امتحاناً واختباراً، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللهِ﴾ [العنكبوت:١٠].

يعني إذا أوذي في الله من جهة دينه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ودعوته للخير، جعل هذه الفتنة كالعذاب، فنكص على عقبَيْه، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

يعني أن بعض الناس يعبد الله على تردد، وليس عنده عبادة متمكنة، فإن أصابه خير ولم تأته فتنة ولا أذية استمر، مشى وأطمأن، وإن أصابته فتنة من شبهه أو أذية؛ انقلب على وجهه، فخسر الدنيا والآخرة.

وأما الأذى فيما يتعلق بأمور الدنيا ومعاملة الناس؛ فأنت بالخيار إن شئت فاصبر، وإن شئت فخذ بحقك، والصبر أفضل، إلا إذا كان في الصبر عدوان واستمرار في

العدوان، فالأخذ بحقك أولى؛ ولنفرض أن لك جاراً يؤذيك بأصوات مزعجة، أو دق الجدار، أو إيقاف السيارة أمام بيتك، أو ما أشبه ذلك، فالحق إذاً لك، وهو لو يؤذك في ذات الله، فإن شئت فاصبر وتحمل وانتظر الفرج، والله ﷻ يجعل لك نصيراً عليه، وإن شئت فخذ بحقك؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤١]، ولكن الصبر أفضل ما لم يحصل بذلك زيادة عدوان من المعتدي، فحينئذٍ الأفضل أن يأخذ بحقه ليردعه عن ظلمه.

**[٦٤٨]** عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ! فَقَالَ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ تَعَالَى ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَٰلِكَ**». رواه مسلم.

وقول الرجل يشكو حاله لرسول الله ﷺ ولسان حاله يقول: فماذا أصنع؟ فقال النبي ﷺ ما ذكره، يعني: ينصرك الله عليهم ولو في المستقبل، والمَلّ: الرماد الحار، وتسفّهم: يعني تلقمهم إياه في أفواههم، وهو كناية عن أن هذا الرجل منتصر عليهم.

وليس الواصل لرحمه من يكافئ من وصله، ولكن الواصل حقيقة هو الذي إذا قطعته رحمه وصلها، هذا هو الواصل حقاً، فعلى الإنسان أن يصبر ويحتسب على أذيّة أقاربه وجيرانه وأصحابه وغيرهم، فلا يزال له من الله ظهيرٌ عليهم، وهو الرابح، وهم الخاسرون.





## ٧٧- الغضب إِذا انتُهكتْ حُرمات الله

الغضب له أسباب؛ منها أن ينتصر الإنسان لنفسه؛ وهذا الغضب منهيٌّ عنه؛ والثاني: الغضب لله، بأن يرى الإنسان شخصاً ينتهك حرمات الله فيغضب ويثأر لذلك، غيرة وحمية لدين الله، فإن هذا يُثاب الإنسان عليه؛ لأنه داخل في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

والمراد بنصر الله نصر دينه، فإن الله بنفسه لا يحتاج إلى نصر، هو غني عمن سواه، لكن النصر هنا نصر دين الله، بحماية الدين.

ومن هذا الجهادُ في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وقد وعد الله ﷻ من ينصره بهذين الأمرين: ﴿يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾؛ ينصركم على من عاداكم، ويثبت أقدامكم على دينه حتى لا تزالّوا.

فتأمّل الآن إذا نصرنا الله مرة؛ أثابَنا مرّتين، ثم قال بعدها: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٨].

التعس: هو الخسران والذل والهوان، وأضل أعمالهم: يعني يكون تدبيرهم تدميراً عليهم، وتكون أعمالهم ضالّة لا تنفعهم.



**[٦٤٩]** عن أبي مسعود عقبة بن عمرو البدري ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنْ صَلَاةِ الصُّبحِ مِنْ أَجْلِ فُلَانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا! فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ فِي مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ؛ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإِنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وذلك أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ قال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح- الفجر- من أجل فلان مما يطيل بنا، وكان هذا الإمام يطيل بهم إطالة أكثر من السنة، فغضب النبي ﷺ وقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**»، يعني ينفرون الناس عن دين الله، وهذا الرجل لم يقل للناس لا تصلوا صلاة الفجر، لكنه نفرهم بفعله؛ بالتطويل، ولهذا كان الرسول ﷺ يداري في الأمور الشرعية، فيترك ما هو حسن لدرء ما هو أشد منه فتنة وضرراً، من أجل أن يقبل الناس دين الله بطمأنينة.

والأئمة في هذه المسألة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

الأول: قسم مُفرّط، يسرع سرعة تمنع الطمأنينة في الصلاة، هذا مخطئ وآثم.

والثاني: قسم مُفرِط أي زائد، يُثقل بالناس وكأنه يصلي لنفسه، فتجده يثقل بالقراءة، والركوع، والسجود، والقيام بعد الركوع، والجلوس بين السجدتين، وهذا أيضاً مخطئ ظالمٌ لنفسه.

والثالث: يصلي بهم كصلاة النبي ﷺ فهذا خير الأقسام.



**[٦٥٠]** وعن عائشة ﵂، قالت: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ هَتَكَهُ وَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

السَّهْوَةُ: كَالصُّفَّةِ تكون في البيت. القِرَامُ: سِتر رقيق. هَتَكَهُ: يعني مزقه. التماثيل: الشيء المصور سواء كان شاخصًا، أو نقشًا، أو نسجًا، أو دهانًا. يضاهون: أي يشبهون ما يضعونه بما يصنعه الله، وفي هذا دليلٌ على مشروعية تمزيق الصور التي تصور باليد؛ لأنه يضاهي بها خلق الله ﷻ، وإقرار المنكر كفعل المنكر، وفيه الغضب إذا انتهكت حرمات الله ﷻ.

وفي الحديث: تحريم التصوير واستعماله، وكانوا فيما سبق يصورون باليد؛ لأنه ليس عندهم آلات وأجهزة تلتقط الصور، فكانوا يخططون بأيديهم، على أنها صوره ويتقنها لتشابه صورة الله، ليُقال: كيف استطاع أن يقلد خلق الله؟ فهم يريدون بذلك أن يشاركون الله في تصويره، وهو القائل: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]، وقال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤].

**[٦٥١]** وعنها، أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟!**». ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَأَيْمُ الله، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قصة المخزومية، وهي امرأة من بني مخزوم كانت تستعير المتاع فتجحده، يعني تأتي للناس تقول: أعرني قدراً، أعرني إناءً، أعرني كذا، فإذا أعاروها جحدت وقالت: لم آخذ منكم شيئاً، فأمر النبي ﷺ أن تُقطع يدُها؛ لأن هذا نوع من السرقة، وكانت هذه المرأة من أشرف قبائل العرب، فأهمّ قريشاً شأنُها، ثم طلبوا شفيعاً إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: أسامة حِبّ رسول الله، يعني أنه يحبه، فأنكر عليه الرسول ﷺ، وغضب وقال: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟!**». والشاهد من هذا أن الرسول ﷺ غضب لشفاعة أسامة بن زيد في حدّ من حدود الله، وهذا الغضب جائز إذا انتهكت حرمات الله.



**[٦٥٢]** وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ؛ فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَإِنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ القِبْلَةِ، فَلَا يَبْزُقَنَّ أَحَدُكُمْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، وَلٰكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ**»، ثُمَّ أَخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ، فَقَالَ: «**أَوْ يَفْعَلُ هٰكَذَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي هذا الحديث دليلٌ على أن النخامة ليست نجسة؛ ولو كانت نجسة ما أذن له أن يبصق في ثوبه.

وفيه التعليم بالفعل.

وفيه أن من المروءة ألَّا يُرى في ثوبك شيء يستقذره الناس، لأنه حكَّ بعضها ببعض لئلا تبقى صورتها، فإذا رآها الناس تأذوا منه وكرهوه، فالإنسان ينبغي أن يكون نظيفاً في مظهره، حتى لا يتقزّر الناس مما يشاهدونه منه.



# ٧٨- ولاة الأمور

أما ولاة الأمور، لهم حق وعليهم حق؛ فيجب عليهم الرفق بالناس، والإحسان إليهم، وإتباع مصالحهم، ودفع الشر عنهم؛ لأنهم مسؤولون عنهم أمام الله ﷻ، وأما الرعية فالواجب عليهم السمع والطاعة في غير المعصية، والنصح للولاة، وعدم التشويش بإثارة الناس عليهم، وطيّ مساوئهم، بحيث يمكن أن يُنصح فيها الولاة سراً، لأن نشر مساوئ ولاة الأمور أمام الناس لا يُستفاد منه؛ بل لا يزيد الأمر إلا شدة؛ فتحمل صدور الناس البغضاء والكراهية لولاة الأمور، وإذا كره الناس ولاة الأمور وأبغضوهم وتمردوا عليهم، حصل بذلك إيغار الصدور والشر وتفرق الأمة، والأمة إذا تفرقت وتمزقت حصلت الفتنة بينها ووقعت، مثل ما حصل في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه حين بدأ الناس يتكلمون فيه، فأوغروا الصدور عليه، وحشدوا الناس ضده، وحصل ما حصل من الفتن والشرور إلى يومنا هذا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]. هذا خطاب الله لرسوله؛ ومن بعده للأئمة المسلمين؛ يعني لا تتعال عليهم، ولا ترتفع في الجو؛ بل اخفض الجناح، وأما من خالفك وعصاك فأقم عليه العقوبة اللائقة به؛ لأن الله تعالى لم يقل اخفض جناحك لكل أحد، بل قال: لمن اتبعك من المؤمنين، وأما المتمردون والعصاة، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فالله تعالى يأمر:

بالعدل: وهو واجب، فيجب على الإنسان أن يقيم العدل في نفسه، وفي أهله، وفيمن استرعاه الله عليهم، فلا تحابِ قريبك لأنه قريبك، ولا الغنيّ لأنه غني، ولا الفقير لأنه فقير، ولا الصديق لأنه صديق، لا تحابِ أحداً فالناس سواء، حتى إن العلماء رحمهم الله قالوا: يجب العدل بين الخصمين إذا دخلا على القاضي؛ لا تنظر لهذا نظرة غضب ولهذا نظرة رضا، لا تقل لأحدكم كيف أنت؟ كيف أهلك؟ كيف أولادك؟ والثاني لا تقول له مثله، بل اعدل بينهما، حتى المؤمن والكافر إذا تخاصما عند القاضي، يجب أن يعدل بينهما في الكلام والنظر والجلوس.

والإحسان: فهو فضل زائد على العدل، ومع ذلك أمر الله به سنة وتطوعاً.

وينهى عن: الفحشاء: هي كل ما يُستفحش من الذنوب شرعاً وعرفاً. والمنكر: هو ما يُنكر، وهو دون الفحشاء كعامة المعاصي.

البغي: تجاوز الحد، وهو الاعتداء على الخلق بأخذ أموالهم، والاعتداء على دمائهم وأعراضهم. قال بعض العلماء: لو لم يكن في القرآن إلا هذه الآية لصُدِّق عليه أنه تبيانٌ لكل شيء وهدًى ورحمةٌ.



**[٦٥٣]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهلِهِ وَمَسؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا يدل على أن ولاة الأمور مسؤولون عن كل صغيرة وكبيرة، وعليهم أن ينصحوا بالطرق التي فيها صلاحهم، في معادهم ومعاشهم، فيمنع عنهم كل ما يضرهم

في دينهم ودنياهم، يمنع عنهم الأفكار المنحرفة والسيئة، والأخلاق السافلة، وما يؤدي إلى ذلك من المجلات والصحف وغيرها؛ ولهذا يجب على ولي الأمر، وهو الرجل أن يمنع من وجود هذه الأشياء في بيته.

**[٦٥٤]** وعن أَبي يعلى مَعْقِل بن يَسارٍ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**فَلَمْ يَحُطْهَا بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ**». وفي رواية لمسلم: «**مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أُمُورَ المُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ، وَيَنْصَحُ لَهُمْ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ**».

في هذا الحديث: وعيدٌ شديد لمن ولي أمر المسلمين، ثم خانهم، وغشهم، وقدّم مصلحته على مصلحتهم، وذلك لأن هذه الأشياء إذا شاعت بين الناس؛ صار المجتمع مجتمعاً بهيمياً؛ لا يهمه إلا إشباع البطن، وشهوة الفرج، وتحلّ الفوضى، ويزول الأمن. فلو أن كل واحد منا في بيته منع أهله من مشاهدة التمثيليات والمسلسلات الخبيثة، لصلح الناس؛ لأن الناس هم أفراد الشعب؛ أنت في بيتك، والثاني في بيته، والثالث في بيته، وهكذا إذا صلحوا صلح كل شيء.



**[٦٥٥]** وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**». رواه مسلم.

وهذا دعاء من النبي ﷺ على من تولى أمور المسلمين الخاصة والعامة؛ حتى الإنسان يتولى أمر بيته، ومدير الشركة؛ وحتى مدير المدرسة يتولى أمر المدرسة، وحتى المدرّس يتولى أمر الفصل، وحتى الإمام يتولى أمر المسجد. قد يظن بعض الناس معنى الرفق؛ أن تأتي

للناس على ما يشتهون ويريدون! وليس الأمر كذلك! بل الرفق أن تسير بالناس حسب أمر الله ورسوله، ولكن تسلك أقرب وأرفق الطرق، فإن شققت عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله؛ فإن الله يشقق عليك؛ إما بآفات في بدنه، أو في قلبه، أو في صدره، أو في أهله؛ وربما لا تظهر للناس هذه المشقة، قد يكون في قلبه نار حارقه والناس لا يعلمون، لكن نحن نعلم أنه إذا شق على الأمة؛ فإنه مستحق لهذه الدعوة من رسول الله.



**[٦٥٦]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَانَتْ بَنُو إِسرَائِيلَ تَسُوسُهُم الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «**أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، وَاسْأَلُوا اللهَ الَّذِي لَكُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**تَسُوسُهُم الأَنْبِيَاءُ**»؛ تُبعث فيهم الأنبياء فيصلحون من أحوالهم.

«**لَا نَبِيَّ بَعْدِي**»؛ ولهذا من ادَّعى النبوة بعده؛ كافر مرتد يجب قتله، ومن صدّق من ادعى النبوة بعده؛ مرتد يجب قتله إلا أن يتوب، ولكن جعل الله له خلفاء؛ خلفاء في العلم، وخلفاء في السلطة، والمراد في هذا الحديث: خلفاء السلطة.

«**الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ**»؛ أن ينبذوا كلّ من أراد الخلافة وهو حي، لأن كل من نازع السلطان في سلطانه؛ فإنه يجب أن يُقاتل؛ حتى تكون الأمة واحدة، فإن الناس لو تركوا وشأنهم انتشرت الفوضى، وصار كل من لا يريد هذا السلطان يذهب ويتخذ له حزباً يقاتل به السلطان؛ كما هو الحال في أكثر بلاد الإسلام اليوم.

وفي آخر الحديث، أن النبي ﷺ حمّل هؤلاء الخلفاء ما عليهم، ثم أمرنا نحن أن نوفي لهم بحقهم، ونسأل الله الذي لنا، أي لا نقل هؤلاء ظلموا هؤلاء جاروا، هؤلاء لم يقوموا بالعدل، استأثروا المال والمنصب والجاه لأنفسهم، ثم ننابذهم ولا نطيعهم فيما أمرنا الله به،

لا، هذا لا يجوز، كالإنسان الذي له قريب فليصِله، حتى إذا قطعه أو آذاه أو ظلمه.

وهناك مَن فصل الدين عن السياسة فهو بين أمرين: إما جاهل بالدين ولا يعرف ويظن أن الدين عبادات بين الإنسان وربه فقط، أو أنه انبهر بالدول الكافرة وما هم عليه من القوة المادية فظن أنهم على حق، وأما من عرف الإسلام حق المعرفة عرف أنه شريعة وسياسة.



**[٦٥٧]** وعن عائِذ بن عمرو ﷺ، أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُبَيْد الله بْنِ زِيَادٍ، فَقَالَ لَهُ: أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ**»، فَإِيَاكَ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**الحُطَمَةُ**»: العنيف بالبهائم في رعيها، ضرب مثلاً لوالي السوء الذي لا يرفق بالناس ولا يرحمهم، وهو الذي يحطم الناس ويشق عليهم ويؤذيهم، فهذا شر الرعاء، وإذا كان هذا شر الرعاء؛ فإن خير الرعاء اللَّين السهل، الذي يصل إلى مقصوده من دون عنف.



**[٦٥٨]** وعن أبي مريم الأزدِيِّ ﷺ أنه قال لمعاوية ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ وَلَّاهُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فجعل معاوية رجلاً على حوائج الناس. رواه أبو داود والترمذي.

في الحديث: وعيدٌ شديدٌ لمن احتجب عن الرعية ولم يقض حوائجهم، سواء كان ملكاً، أو وزيراً، أو قاضياً، أو أميراً، أو مديراً، أو من دونهم ممن له ولاية على شيء من أُمور المسلمين، ولما حُدّث معاوية ﷺ بهذا الحديث؛ اتخذ رجلاً لحوائج الناس يستقبلهم وينظر

ما حوائجهم، ثم يرفعها إليه، وهكذا أيضاً، من له نوع من الولاية وحاجة الناس إليه؛ فإنه لا ينبغي أن يحتجب دون حوائجهم، ولكن له أن يرتب أموره بحيث يجعل لهؤلاء وقتاً ولهؤلاء وقتاً، حتى لا تنفرط ولا تتراكم عليه الأمور.



# ٧٩- الوالي العادل

الوالي: هو الذي يتولّى أمراً من أمور المسلمين الخاصة أو العامة، حتى الرجل في أهل بيته يُعتبر والياً عليهم، والعدل واجب حتى في معاملة الإنسان نفسه؛ وهو في كل شيء، لكنه في حق ولاة الأمور أعظم؛ لأن الظلم إذا وقع من ولاة الأمور؛ حصلت الفوضى والكراهة، ولكن موقفنا نحو الإمام الوالي الذي لم يعدل أن نصبر؛ نصبر على ظلمه، وعلى جوره، وعلى استئثاره، لقوله ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً**»، يعني استئثاراً عليكم، «**فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**»؛ ذلك لأن منازعة ولي الأمر يحصل بها الشر والفساد الذي هو أعظم من جوره وظلمه.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿**وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾ [الحجرات: ٩].

فالعدل من الوالي ألا يفرّق بين الناس، ولا يجور على أحد، ولا يحابي غنياً لغناه، ولا قريباً لقرابته، ولا فقيراً لفقره، حتى إن العلماء قالوا: يجب على القاضي أن يستعمل العدل مع الخصمين، ولو كان أحدهما كافراً.



**[٦٥٩]** عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ**

**تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ**».

سبعة يظلهم الله، وليس هذا على سبيل الحصر، هناك أناس آخرون يظلهم الله غير هؤلاء، وقد جمعهم الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فزادوا على العشرين، لكن الرسول ﷺ يتحدث أحياناً بما يناسب المقام، مع أن هناك أشياء أخرى لم يذكرها.

قوله ﷺ: «**يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**»: وذلك يوم القيامة؛ لأنه في يوم القيامة ليس هناك شجر، ولا بناء، ولا جبال، ولا ثياب، ولا غير ذلك، حتى الناس يحشرون حفاة عراة غرلاً، ليس هناك ظل إلا ظل الله تعالى، أي ظل يخلقه الله ﷻ يظلل من يظلهم الله تعالى في ذلك اليوم؛ لأنه ليس هناك ظل مصنوعات أبداً، ليس هناك إلا الظل الذي ييسره الله تعالى للإنسان، يخلق ﷻ ظلاً من عنده، والله أعلم بكيفيته.

الأول: إمام عادل: ومن ذلك أن يقتصّ الحق حتى من نفسه ومن أقرب الناس إليه؛ بعض القضاة تجده إذا كان الحق على القريب تهاون في تنفيذه وجعل يسوّف ويؤخّر!

والثاني فهو: شاب نشأ في طاعة الله، والغالب أن الشباب يكون لهم صبوة وميل وانحراف، ولكن إذا كان هذا الشاب نشأ في طاعة الله، ولم يكن له ميل ولا انحراف، واستمر على هذا؛ فإن الله تعالى يظله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والثالث: رجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ليس بينهما صلة من نسب أو غيره، اجتمعا عليه في الدنيا بالعبادة وأداء العمل الصالح والتواجد في المسجد، وبقيا على ذلك إلى أن ماتا فتفرّقا على ذلك.

والرابع: رجلٌ قلبه معلق بالمساجد: يعني أنه يألف الصلاة ويحبها، وكلما فرغ من صلاة إذا هو يتطلع إلى صلاة أخرى، وهذا يدل على قوة صلته بالله ﷻ؛ لأن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه.

والخامس: رجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال لنفسها، لكنه كان عفيفاً طاهر النفس والعرض، فهو ذو شهوة، ودعوة المرأة توجب أن يفعل؛ فهي التي طلبته، والمكان خال ليس فيه أحد، لكن منعه خوفه من الله ﷻ؛ قال إني أخاف الله، ولم يقل: أخشى أن يطلع علينا أحد، ولم يقل إنه لا رغبة له في الجماع.

والسادس: رجل تصدق بصدقة مخلصاً بذلك لله ﷻ، حتى إنه لو كان أحدٌ على يساره ما علم بذلك من شدة الإخفاء، فهذا عنده كمال الإخلاص، وهذا ما لم يكن إظهار الصدقة فيه مصلحة وخير، فإذا كان في إظهار الصدقة مصلحة كان إظهارها أولى.

والسابع: رجل ذكر الله خالياً في مكان لا يطلع عليه أحد، خالياً قلبه من التعلق بالدنيا، فخشع من ذلك وفاضت عيناه.

هؤلاء السبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وقد توجد صفتان فأكثر في شخص واحد، وقد لا يوجد في الإنسان إلا صفة واحدة وهي كافية.



**[٦٦٠]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوْا**». رواه مسلم.



**[٦٦١]** وعن عوفِ بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وشِرَارُ أَئِمَّتِكُم الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ؟ قَالَ: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ. لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**». رواه مسلم.

«**وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ**»: تدعون لهم.

هؤلاء الأئمة الذين هم ولاة أمورنا، ينقسمون إلى قسمين: قسم نحبهم ويحبوننا، ومعلوم أن من قام بواجب النصيحة فإن الله تعالى يحبه، ثم يحبه أهل الأرض. أما شرار الأئمة، فهم الذين تبغضونهم ويبغضونكم؛ لأنهم لم يقوموا بما يجب عليهم من إعطاء الحقوق إلى أهلها، وإذا فعلوا ذلك فإن الناس يبغضونهم، فتحصل البغضاء من هؤلاء وهؤلاء؛ تحصل البغضاء من الرعية للرعاة؛ لأنهم لم يقوموا بواجبهم، ثم تحصل البغضاء من الرعاة للرعية؛ لأن الرعية إذا أبغضت الوالي؛ تمردت عليه، ولم تطع أوامره، وحينئذ تلعنونهم ويلعنونكم؛ يعني يسبونكم وتسبونهم.

في هذا الحديث: أنه لا يجوز الخروج على الإمام إذا أقام الصلاة. وفي حديث عبادة: «**إِلَّا أَنْ تَرَوا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ الله فِيهِ بُرْهَانٌ**». وفي حديث أُم سلمة: قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**».



**[٦٦٢]** وعن عِياضِ بن حِمارٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أَهْلُ الجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ومُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيالٍ**». رواه مسلم.

وهذا هو الشاهد من هذا الحديث: «**رَجُلٌ رَحِيمٌ**»: يرحم عباد الله، ويرحم الفقراء، ويرحم العجزة، ويرحم الصغار، ويرحم كل من يستحق الرحمة. «**وَرَجُلٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ومُسْلِمٍ**»، وأما للكفار فإنه غليظ عليهم، هذا أيضاً من أهل الجنة. «**وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ**»، يعني أنه فقير ولكنه متعفف، لا يسأل الناس شيئاً. « **ذُو عِيالٍ**»: يعني أنه مع فقره عنده عائلة، فتجده صابراً محتسباً يكدّ على نفسه، ربما يأخذ الحبل يحتطب ويأكل منه، ولكنه صابر على البلاء، فهذا من أهل الجنة.



## ٨٠- طاعة وُلَاة الأُمور

ولاة الأمور، ذكر أهل العلم أنهم قسمان: العلماء والأمراء، أما العلماء فهم ولاة أمور المسلمين في بيان الشرع وتعليمه، وهداية الخلق إلى الحق، وأما الأمراء فهم ولاة الأمور في ضبط الأمن وحماية الشريعة وإلزام الناس بها، والأصل العلماء؛ لأن العلماء هم الذين يبيّنون الشرع، ويقولون للأمراء هذا شرع الله فاعملوا به، ويلزمُونهم بذلك، والأمراء ينصاع لهم من خاف من سطوتهم، ومن كان عنده ضعف إيمان، يخاف من الأمير أكثر مما يخاف من العالم، أو بعضهم يخاف أكثر مما يخاف من الله.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

﴿أَطِيعُوا اللهَ﴾ أي: اتبعوا كتابه، ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي: خذوا بسنته، ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أي: فيما أمروكم به من طاعة الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلذلك كان لا بد للأمة الإسلامية أن تطيع العلماء وأن تطيع الأمراء، ولكن طاعة هؤلاء وهؤلاء تابعة لطاعة الله؛ لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، ولم يقل أطيعوا أولي الأمر منكم؛ لأن طاعة ولاة الأمر تابعة لا مستقلة، أما طاعة الله ورسوله فهي مستقلة، ولهذا أعاد فيها الفعل فقال: أطيعوا وأطيعوا، أما طاعة ولاة الأمور فإنها تابعة ليست مستقلة، وعلى هذا فإذا أمر ولاة الأمور بمعصية أو مخالفة؛ فإنه لا سمع لهم ولا طاعة.



**[٦٦٣]** عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلَا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**عَلَى المَرْءِ**»: هذه كلمة تدل على الوجوب، وأنه يجب على المرء المسلم أن يسمع ويطيع لولاة الأمور، حتى لو بشيء يكرهه؛ فإنه يجب عليه أن يقوم به، ولو كان يكره أن ينفذه، إلا إذا أمر بمعصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أما في الأمور الحياتية، تنظم الحكومة شيئاً لا يخالف الشرع، لكن لم يأتِ به الشرع بعينه، فيأتي بعض الناس ويقول: لا نطيع في هذا، فيقال: بل يجب عليك أن تطيع، فإن عصيت فإنك آثم، ومن ذلك مثلاً أنظمة المرور؛ ليس فيها معصية، فإذا خالفها الإنسان فهو عاصٍ وآثم، والسير في الطريق على اليسار، والسير على اليمين، أو إشارة قف في الاتجاه الفلاني، كل هذا يجب أن ينفذ وجوباً، لا تقل: ما أمرنا الله بذلك، فإذا تجاوزت فإنك آثم؛ كأنك قلت لربك لا سمع ولا طاعة، لأن النظام يقتضي ذلك، وإلا أصبحت المسألة فوضى، وكل إنسان له رأي، وكل إنسان يحكم بما يريد، وأصبح ولاة الأمور لا قيمة لهم، فالواجب على الإنسان أن يمتثل لأمر ولاة الأمور إلا فيما كان فيه معصية الله، فلو قالوا لنا مثلاً: لا تخرجوا إلى المساجد، لا تصلوا الجمعة والجماعة، قلنا لهم: لا سمع ولا طاعة.



**[٦٦٤]** وعنه قال: كُنَّا إِذَا بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنَا: «**فِيمَا اسْتَطَعْتُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفيه: أن وجوب السمع والطاعة على قدر الاستطاعة. قال الله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا**﴾ [التغابن: ١٦].



**[٦٦٥]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**». رواه مسلم.

وفي رواية له: «**وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ مُفَارِقٌ لِلْجَمَاعَةِ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

ثم أشد من ذلك من لا يعتقد للإمام بيعة؛ وهذا أيضاً من الأمر المنكر العظيم؛ فإن الرسول ﷺ أخبر أن من مات من غير بيعة وليس له إمام؛ فإنه يموت ميتة جاهلية، يعني ليست ميتة إسلامية؛ فالواجب أن يعتقد الإنسان أن له إماماً، يدين له بالطاعة في غير معصية الله.

فإذا قال مثلاً: أنا لم أبايع، قلنا: البيعة لا تكون من عوام الناس، إنما تكون لأهل الحل والعقد، ولهذا نقول: هل بايع كل الناس أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً؟ أبداً لم يبايعوهم، ولم يأت أهل مكة يبايعون أبا بكر، ولا أهل الطائف، إنما بايعه أهل الحل والعقد في المدينة، وليست البيعة لازمة لكل واحد من عوام الناس، لكن من مات من هؤلاء العوام وهو يعتقد أنه ليس له ولي أمر، وأنه ليست له بيعة، فإنه يموت ميتة جاهلية.

**[٦٦٦]** وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**». رواه البخاري.

كان أهل الجاهلية يأنفون من الدخول تحت الطاعة خصوصاً العرب، فأخبرهم النبي ﷺ أن ذلك واجبٌ لكل أمير ولو أنه حقير، والنبي ﷺ هنا يخاطب العرب، ويقول: ولو استعمل عليكم عبد حبشي غير عربي؛ فلو فُرض أن سلطاناً غلب الناس واستولى وسيطر وليس من العرب؛ فإن علينا أن نسمع ونطيع؛ لأن العلّة واحدة وهي أنه إن لم نسمع ونطع حصلت الفوضى، وزال النظام، وزال الأمن، وحل الخوف.



**[٦٦٧]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ**». رواه مسلم.

في المنشط: يعني في الأمر الذي إذا أمرك به كنت نشيطاً فيه لأنه يوافق هواك، وفي المكره: في الأمر الذي أمروك به لم تكن نشيطاً فيه لأنك تكرهه. اسمع في هذا وهذا، وفي العسر واليسر، حتى إن كنت غنياً فأمروك فاسمع ولا تستكبر لأنك غني، وإذا كنت فقيراً فاسمع ولا تقل لا أسمع وهم أغنياء وأنا فقير، اسمع وأطع في أي حال من الأحوال، حتى في الأثرة؛ يعني إذا استأثر ولاة الأمور على الشعب، وسكنوا القصور الفخمة، وركبوا السيارات والطائرات، ولبسوا أحسن الثياب، وتنعموا في الدنيا، والناس سواهم في بؤس وشقاء وجوع، فعليهم السمع والطاعة؛ لأننا لنا شيء والولاة لهم شيء آخر، لا نقول إذا استأثروا علينا وكانت لهم القصور الفخمة، والسيارات الجميلة، لا نقول: والله لا يمكن أن نقول سمعاً وطاعةً وهم في قصورهم وسياراتهم ونحن في بؤس وحاجة، هذا حرامٌ علينا، يجب أن نسمع ونطيع، فإن الله سائلهم عن ذلك، وقد قال النبي ﷺ لأصحابه الأنصار ﷺ: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**». يقول للأنصار ذلك منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة: " **سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً**»، فمنذ ذاك الوقت والولاة يستأثرون على الرعية، ومع هذا يقول: اصبروا.



**[٦٦٨]** وعن عبدِ الله بن عمرو ﷺ قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رسولِ الله ﷺ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ**

**هٰذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هٰذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هٰذِهِ هٰذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى إِلَيْهِ، وَمَنْ بَايَعَ إِمَامًا فَأَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ، وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ، فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ، فَإِنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ»**. رواه مسلم.

يَنْتَضِلُ: يُسَابِقُ بِالرَّمْيِ بِالنَّبْلِ وَالنُّشَّابْ. الجَشَرُ: الدَّوَابُّ الَّتِي تَرْعَى وَتَبِيتُ مَكَانَهَا.

قوله: «**يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا**»: يُصَيِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا خَفِيفًا لِعِظَمِ مَا بَعْدَهُ، فَالثَّانِي يُرَقِّقُ الأَوَّلَ.

وقوله: «**وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هٰذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا**»: قال القرطبي: المراد به زمان الخلفاء الثلاثة إلى قتل عثمان، فهذه كانت أزمنة اتفاق هذه الأمة، واستقامة أمرها، وعافية دينها، فلما قتل عثمان هاجت الفتن، ولم تزل ولا تزال إلى يوم القيامة.

أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أنه تأتي فتن يرقق بعضها بعضاً، أي إن بعضها يجعل ما قبله سهلاً، لأن الثانية أعظم من الأولى، كل واحدة أعظم من الأخرى.

وقوله: «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ**»، نسأل الله أن يُميتنا على ذلك.

وقوله: «**وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤتَى إِلَيْهِ**»: يعني يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به، فلا يكذب عليهم، ولا يغشهم، ولا يخدعهم، ولا يحب لهم الشر، فإذا جاء يسأل مثلاً هل هذا حرام أم حلال؟ قلنا له: هل تحب أن يعاملك الناس بهذا؟ إذا قال: لا قلنا له: اتركه سواء كان حلالاً أم حراماً، ما دمت لا تحب أن يعاملك الناس به فلا تعامل الناس به، واجعل هذا ميزاناً بينك وبين الناس في معاملتهم.



**[٦٦٩]** وعن أبي هُنَيْدَةَ وَائِلِ بن حُجرٍ ﵁ قال: سأل سَلَمَةُ بن يزيد الجُعفِيُّ رسول الله ﷺ فقال: يَا نَبِيَّ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْمَعْوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حملْتُمْ**». رواه مسلم.

سُئل ﷺ عن أمراء يسألون حقهم الذي لهم، يظلمون ويستأثرون؛ ويمنعون الحق الذي عليهم، ماذا نصنع معهم؟ فأعرض النبي ﷺ عنه، كأنه كره هذه المسائل، وكره أن يفتح هذا الباب، ولكن أعاد السائل عليه ذلك، فأمر النبي ﷺ أن نؤدي لهم حقهم، وأن عليهم ما حُملوا وعلينا ما حُملنا، فنحن حُمِّلنا السمع والطاعة، وهم حُمِّلوا أن يحكموا فينا بالعدل وألا يظلموا أحداً، وأن يقيموا حدود الله على عباد الله، وأن يقيموا شريعة الله في أرض الله، وأن يجاهدوا أعداء الله، هذا الذي يجب عليهم، فإن قاموا به؛ فهذا هو المطلوب، وإن لم يقوموا به، يجب أن نؤدّي الحق الذي علينا، وعدم إثارة الضغائن والأحقاد عليهم، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة، حتى أن الإمام أحمد ﵀، يضربه السلطان بالسياط حتى يغمى عليه، وهو إمام أهل السنة، ويجرّه بالبغال في الأسواق، ومع ذلك يدعو للسلطان ويسمّيه أمير المؤمنين، كل هذا من أجل ألا ينابذ السلطان؛ لأنه سبق لنا أنهم قالوا: يا رسول الله أفلا ننابذهم؟ قال: «**لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلَاةَ**». نسمع ونطيع ونقوم بالحق الذي علينا وهم عليهم ما حُمّلوا. وفي آخر الأحاديث قال النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ**». أجل، ليصبر وليتحمل، لأن التمرد والخروج عليهم فيه خطر وفوضى ومفاسد أعظم وأعظم.



**[٦٧٠]** وعن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**».، قالوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذٰلِكَ؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**». **مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ**.

الأثرة: استئثار ولاة الأمر بالأموال والمناصب، والتفرد بالحكم والجاه، وقد ظهر ذلك، فهو من جملة معجزاته ﷺ، كما لا يجوز لنا أن نتكلم بين العامة فيما يثير الضغائن على ولاة الأمور، وفيما يسبب البغضاء لهم؛ لأن في هذا مفسدة كبيرة، أما أن تتحدث من وراء حجاب في سب ولي الأمر والتشهير به، فهذا ليس من الصدع بالحق؛ بل هذا من الفساد، هذا مما يوجب إيغار الصدور وكراهة ولاة الأمور والتمرد عليهم، وربما يُفضي إلى ما هو أكبر إلى الخروج عليهم، وكل هذه أمور يجب أن نتفطن لها، ويجب أن نسير فيها على ما سار عليه أهل السنة والجماعة، إلا إذا رأينا كفراً بواحاً صريحاً عندنا فيه من الله برهانٌ، فهنا يجب علينا ما استطعنا أن نزيل هذا الحاكم، وأن نستبدله.



**[٦٧١]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في الحديث: وجوب طاعة الأمراء، وتحريم معصيتهم.

قال الله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا**﴾ [النساء:٨٠].



**[٦٧٢]** وعن ابن عباسٍ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والنبي ﷺ لا يأمر إلا بالوحي؛ والشرع الذي شرعه الله تعالى له ولأمّته، فإذا أمر بشيء؛ فهو شرع الله، فمن أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، والأمير إذا أطاعه الإنسان فقد أطاع الرسول؛ لأن النبي ﷺ أمر في أكثر من حديث بطاعة ولي الأمر،

وقال: «**وَأَطِعْ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ**»، لما في طاعتهم من الخير والأمن والاستقرار، وعدم الفوضى وعدم اتّباع الهوى، ويحصل إعجاب كل ذي رأي برأيه، وتفسد الأمور، وتكثر الفتن، فلهذا يجب علينا نحن أن نسمع ونطيع.

**[٦٧٣]** وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللهُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

يعني: أن يسخر بأوامر السلطان، فإذا أمر بشيء قال: انظروا ماذا يقول؟ انظروا ماذا يفعل؟ يريد أن يهون أمر السلطان على الناس بنشر معايبه وذمه والتشنيع عليه والتشهير به، فإذا هان أمر السلطان على الناس استهانوا به، ولم يمتثلوا أمره، وتمرد الناس عليه فعصوه، وحينئذٍ يكون هذا سبب فوضى وشر، حينئذ يكون عرضة لأن يهينه الله؛ فإن أهانه في الدنيا فقد أدرك عقوبته، وإن لم يهنه في الدنيا فإنه يستحق أن يهان في الآخرة؛ لأن كلام الرسول ﷺ حق: «**مَنْ أَهَانَ السُّلْطَانَ أَهَانَهُ اللهُ**».



## ٨١- سؤال الإِمارة واختيار ترك الولايات

الإمارة: معناها التآمر على الناس والاستيلاء عليهم، وهي كبرى وصغرى، أما الكبرى: فهي التي تكون إمارة عامة على كل المسلمين، كإمارة أبي بكر الصديق ﷺ وهو خليفة رسول الله ﷺ، وكإمارة أمراء المؤمنين عمر وعثمان وعلي بن أبي طالب وغيرهم من الخلفاء، وإمارة خاصة من دون ذلك، تكون إمارة على منطقة من المناطق، تشتمل على قرى ومدن، أو إمارة أخص من ذلك تكون على قرية واحدة أو مدينة واحدة، وكلها ينهى الإنسان أن يطلب فيها أن يكون أميراً، وطلب الإمارة ربما يكون قصد الطالب للإمارة أن يعلو على الناس، ويملك رقابهم، ويأمر وينهي، فيكون قصده سيّئاً.

لذا نَهى الله ﷻ عن طلب الإمارة، فقال ﷻ: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].



**[٦٧٤]** وعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سَمُرَة ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يا عبد الرحمن بن سمرة، ناداه باسمه واسم أبيه من أجل أن ينتبه لما يلقي إليه، لأن الموضوع ليس بالهين، لا تسأل الإمارة، يعني لا تطلب أن تكون أميراً، فإنك إن أعطيتها عن مسألة، يعني بسبب سؤالك وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها، والمعين هو الله، فإذا أعطيتها بطلب منك وكلك الله إليها وتخلى الله عنك، وفشلت فيها، وإن أعطيتها عن غير مسألة، بل الناس هم الذين اختاروك وطلبوك، فاقبلها، ولهذا ينبغي

للإنسان ألا يسأل من الوظائف، فإن رُقّي من دون مسألة فهذا هو الأحسن، وله أن يقبل حينئذ، أما أن يطلب ويلح فإنه يخشى أن يكون داخلاً في هذا الحديث، إن أعطيت فخذ، وإن لم تعط فالأحسن والأروع والأتقى ألا تطالب، فكل الدنيا ليست بشيء، وإذا رزقك الله رزقاً كفافاً فهو خير من مال كثير.

وإذا كان الإنسان أميراً فحلف على شيء، فربما تملي عليه أنفة الإمارة ألا يتحول عن حلفه، ولكن ينبغي إذا حلف على شيء ورأى الخير في تركه أن يتركه، أو حلف ألا يفعل شيئاً ورأى الخير في فعله أن يفعله، وهذا شامل الأمير وغيره. مثال ذلك: رجل حلف ألا يزور قريبه لأنه صار بينه وبينه شيء، فهذا حلف على قطع الرحم، فنقول: يجب عليك أن تكفِّر عن يمينك، وأن تزور قريبك. مثال آخر: رجل حلف ألا يكلم أخاه المسلم ويهجره، نقول: كفِّر عن يمينك وكلِّمه، ولكن الذي ينبغي للإنسان ألا يتسرع في الحلف، فإن كثيراً من الناس يتسرعون في الحلف ويندمون بعد ذلك، فنقول: لا تتعجل ولا تتسرع، ثم إن ابتليت بكثرة الحلف فاقرن حلفك بقولك إن شاء الله، فإنه لا يضر، فلو قلت: والله إن شاء الله لا أفعل هذا الشيء ثم فعلته، فليس عليك شيء.



**[٦٧٥]** وعن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَى اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ**». رواه مسلم.

قال له: إنك امرؤ ضعيف، وهذا القول إذا كان مصارحة أمام الإنسان فلا شك أنه ثقيل على النفس، وأنه قد يؤثر فيك أن يقال لك إنك امرؤ ضعيف، لكن الأمانة تقتضي هذا؛ أن يصرح للإنسان بوصفه الذي هو عليه، من باب النصيحة لا من باب السب والتعيير.

ولما كانت الجملة الأولى فيها شيء من الجرح، قال في الثانية: وإني أحب لك ما أحب لنفسي، وفي الثالثة: فلا تأمرنّ على اثنين، يعني لا تكن أميراً على اثنين وما زاد فهو

من باب أولى، والمعنى أن النبي ﷺ نهاه أن يكون أميراً لأنه ضعيف، والإمارة تحتاج إلى إنسان قوي أمين، بحيث تكون له سلطة وكلمة حادة، وإذا قال فعل، لأن الناس إذا استضعفوا الشخص لم يبق له حرمة عندهم، وتجرّؤوا عليه، وصار ليس بشيء، وفي الرابعة: لا تولين مال يتيم، لأن مال اليتيم يحتاج إلى عناية ورعاية، وأبو ذر ضعيف لا يستطيع أن يرعى هذا المال، يعني لا تكن ولياً عليه، دعه لغيرك، ففي هذا دليل على أنه يشترط للإمارة أن يكون الإنسان قوياً وأن يكون أميناً.

وتختلف الأنظار فيما إذا كان لدينا رجلان أحدهما أمين غير قوي والثاني قوي غير أمين، كل منهما معيب من وجه، لكن في باب الإمارة يُفضّل القوي، وإن كان فيه ضعف في الأمانة، لأن القوي ربما يكون أميناً، لكن الضعيف الذي طبيعته الضعف فإن الطبع لا يتغير ولا يتحول، فالقوي أنفع للناس لأنهم يحتاجون إلى سلطة وإلى قوة.

**[٦٧٦]** وعنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُنِي؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا**». رواه مسلم.

ووجه ضعفه: أن الغالب على أبي ذر، الزَّهادة في الدنيا والإعراض عنها، ومَن كان كذلك لم يعتن بمصالح الدنيا.

**[٦٧٧]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه البخاري.

قال بعض السلف: أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها خزي يوم القيامة. يعني: لمن لم يقم بحقّها ولم يعدل فيها.





## ٨٢- اتّخاذ وزيرٍ صالح

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧].

الأخلاء جمع خليل، والخليل هو الذي أحبك وتحبه حباً عظيماً، حتى يتخلل حبه جميع البدن.

لهذا اتخذ الله ﷻ إبراهيم عليه السلام خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلا، ولا نعلم أنه اتخذ خليلاً من خلقه إلا هذين النبيين، ومن قال إن إبراهيم خليل الله وموسى كليم الله ومحمداً حبيب الله، يقولون ذلك مع أنه يروى أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا**». فالخلة أعظم من المحبة. قال ابن كثير: كل صداقة وصحبة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله، فإنه دائم بدوامه. وقيل: الصحبة ثلاث درجات: الأُولى: للدنيا، فهذه تزول بزوال سببها. الثانية: صحبةٌ على المعاصي، فإنها تنقلب عداوةً. الثالثة: صحبة الدين، فإنها تبقى في الدنيا والآخرة.



**[٦٧٨]** عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ**». رواه البخاري.



**[٦٧٩]** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صِدْقٍ؛ إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ. وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ؛ إِنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ**». رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ على شرط مسلم.

وهذا شيء مشاهَد؛ تجد الأمراء بعضهم يكون صالحاً في نفسه، لكن يقيّض الله له

قرناء سوء فيصدونه، ويزينون له السوء، ويبغضونه لعباد الله، وتجد بعض الأمراء يكون في نفسه غير الصالح، لكن عنده بطانة تدله على الخير وتحثّه عليه.

«**المَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ**»، إذا كان هذا في الأمراء ففتّش نفسك أنت بنفسك، إذا رأيت من أصحابك أنهم يدلونك على الخير ويعينونك عليه، وإذا نسيت ذكّروك، وإذا جهلت علّموك، فاستمسك بهم، وإذا رأيت من أصحابك من هو مهمل في حقك، ولا يبالي هل هلكت أم بقيت، بل ربما يسعى لهلاكك، فاحذره، فإنه السم الناقع، لا تقرب هؤلاء، بل ابتعد عنهم، والإنسان الموفق هو الذي لا يكون بليداً كالحجر، بل يكون ذكياً كالزجاجة، يُرى ما وراؤها من صفاء، فيكون عنده قوة وصلابة، لكن عنده يقظة، كأنما يرى بالغيب ما ينفعه مما يضرّه.



## ٨٣- تولية الإِمارة والقضاء لمن سألها

[٦٨٠] عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَا وَرَجُلَانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رَسُولَ الله، أَمِّرْنَا عَلَى بَعْضِ مَا وَلَّاكَ اللهُ ﷻ، وَقَالَ الآخَرُ مِثلَ ذٰلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي هٰذَا العَمَلَ أَحَدًا سَأَلَهُ، أَوْ أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لا ينبغي لولي الأمر إذا سأله أحد أن يؤمّره على بلد أن يؤمّره، حتى وإن كان أهلاً لذلك، لأن النبي ﷺ لما سأله الرجلان أن يؤمرهما على بعض ما ولّاه الله عليه قال: «**إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي هٰذَا العَمَلَ أَحَدًا سَأَلَهُ، أَوْ أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ**»، لأن الذي يطلب أو يحرص على ذلك ربما يكون غرضه بهذا أن يجعل لنفسه سلطة لا أن يصلح الخلق، فلما كان قد يُتهم بهذه التهمة منع النبي ﷺ ذلك، وكذلك أيضاً لو أن أحداً سأل القضاء، كوزير العدل مثلاً قال: ولّني القضاء في البلد الفلاني، فإنه لا يولّى، فإن قال قائل: كيف تجيبون عن قول يوسف عليه السلام للعزيز: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾، فإننا نجيب بأحد جوابين:

أولاً: إما أن يقال، شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافة، وقد ورد شرعنا بخلافه.

ثانياً: أو يقال إن يوسف عليه السلام رأى أن المال ضائع، وأنهم يفرطون فيه ويتلاعبون به، فأراد أن ينقذ البلاد من هذا التلاعب، والغرض منه إزالة سوء التدبير، ويكون هذا لا بأس به.

ويحضرني في هذا حديث عثمان بن أبي العاص أنه قال للنبي ﷺ: اجعلني إمام قومي، يعني في الصلاة، فقال: «**أَنْتَ إِمَامُهُمْ**»، فوليّ الأمر ينظر ما هو السبب في أن هذا الرجل طلب أن يكون أميراً، أو طلب أن يكون قاضياً، أو طلب أن يكون إماماً، ثم يعمل بما يرى أن فيه المصلحة.





## ٨٤- الأدب والحياء

الأدب: هو عبارة عن أخلاق يتخلق بها الإنسان، يُمدح عليها، ومنها الحياء. والحياء: صفة في النفس تحمل الإنسان على فعل ما يجمّل ويزيّن، وترك ما يدنّس ويشين، فتجده إذا فعل شيئاً يخالف المروءة استحيا من الناس، وإذا فعل شيئاً محرماً استحيا من الله، وإذا ترك واجباً استحيا من الله، وإذا ترك ما ينبغي فعله استحيا من الناس، فالحياء من الإيمان.



**[٦٨١]** عن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَار وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية، قال النبي ﷺ: «**بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**».



**[٦٨٢]** وعن عمران بن حصينٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلمٍ: «**الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**»، أَوْ قَالَ: «**الْحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**».

**[٦٨٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

البِضْعُ: مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى الْعَشَرَةِ. وَالشُّعْبَةُ: القِطْعَةُ وَالخَصْلَةُ. والإِمَاطَةُ: الإِزَالَةُ. وَالأَذَى: مَا يُؤْذِي كَحَجَرٍ وَشَوْكٍ وَطِينٍ وَرَمَادٍ وَقَذَرٍ وَنَحْوِ ذٰلِكَ.

الإيمان: يطلق على جميع أمور الدين من اعتقاد القلب، وقول اللسان، وفعل الجوارح.

ذكر الرسول الكريم أن الإيمان شعب كثيرة، ولم يبيّنها لأجل أن يجتهد الإنسان بنفسه، ويتتبع نصوص الكتاب والسنة حتى يجمع هذه الشعب ويعمل بها.

وكثيراً ما يكون في القرآن والسنة أشياء مبهمة من أجل امتحان الخلق، فمثلاً ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، لكن لا تعلم في أي ليلة، ذلك من أجل أن يحرص الناس على العمل في كل الليالي رجاء هذه الليلة، ولو عُلمت بعينها لاجتهد الناس في هذه الليلة وكسلوا عن بقية الليالي، ومن ذلك ساعة الإجابة في يوم الجمعة، هذه أيضاً مبهمة، من أجل أن يحرص الناس على التحري والعمل، كذلك في كل ليلة ساعة إجابة، هذه أيضاً مبهمة.

كذلك أخبر النبي ﷺ أن لله تسعة وتسعون اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، ولم يعدّها، والحديث الوارد في سردها حديث ضعيف لا تقوم به حجة، وعلى هذا فإن قول النبي ﷺ هنا الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، ترك تعيينها من أجل أن نحرص نحن على تتبعها في الكتاب والسنة، حتى نجمع هذه الشعب، ثم نقوم بالعمل بها. يقول ﷺ عن هذه الشعب: «**فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، هذه الكلمة العظيمة، وهي كلمة التوحيد التي إذا قالها الإنسان صار مسلماً، وإذا استكبر عنها صار كافراً، فهي الحد الفاصل بين الإيمان والكفر، ولذلك كانت أعلى شعب الإيمان، ومن كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة.

«**وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ**»، وهذا يدل على سعة الإيمان، فإذا وجدت أذى في الطريق؛ حجراً أو زجاجاً أو شوكاً أو غير ذلك فأزِلْه، فإن ذلك من الإيمان، حتى السيارة إذا جعلتها في وسط الطريق وضيقت على الناس، فقد وضعت الأذى في الطريق، تجد بعض الناس الآن يوقف السيارة في أي مكان بالطول أو بالعرض ما يهتم، المكان ضيق أو المكان واسع ما يبالي، ليست هذه خصال المؤمن، المؤمن يشعر بشعور الناس، يحبّ

للناس ما يحب لنفسه، كيف تأتي مثلاً وتوقف سيارتك عند باب مسجد؟ فإذا خرج الناس يوم الجمعة ضيقوا عليهم!

**[٦٨٤]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وإذا كان عند الإنسان حياء، وجدته يمشي مشياً مستقيماً، ليس بالعجلة التي يذم عليها، وليس بالتماوت الذي يذم عليه أيضاً، كذلك إذا تكلم تجده لا يتكلم إلا بالخير وبكلام طيب وبأدب وبأسلوب رفيع، وإذا لم يكن حييًّا فإنه يفعل ما شاء، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**». وكان النبي ﷺ أشد حياء من العذراء في خدرها، ولكنه لا يستحي من الحق، لا يبالي بأحد.





## ٨٥- حفظُ السِّرِّ

السِّرُّ: هو ما يقع خفيةً بينك وبين صاحبك، ولا يحل لك أن تفشي هذا السر أو أن تبيّنه لأحد سواء قال لك لا تخبرْ أحداً، أو علم بالقرينة الفعلية أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد، كأن يلتفت يخشى أن يكون أحد يسمع، أو علم بالقرينة الحالية أنه لا يحب أن يطلع عليه أحد، كأن يكون هذا الذي حدثك به من الأمور التي يستحي من ذكرها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء:٣٤].

ومن العهود: الشروط التي تقع بين الناس في الشراء والإجارة والاستئجار والرهن وغير ذلك، فإن هذه الشروط من العهد، وكذلك ما يجرى بين المسلمين والكفار من العهد فإنه يجب على المسلمين أن يوفوا به، ومنها أيضاً جميع ما يشترط بين الناس فإنه من المعهود، ومن ذلك التزام الموظفين بأداء عملهم؛ فإن الموظف قد التزم بالشروط التي تشترطها الحكومة على الموظفين من الحضور في أول الدوام وعدم الخروج إلا بعد انتهاء الدوام، وإلا فدعها.



**[٦٨٥]** وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى المَرْأَةِ وتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**». رواه مسلم.

الإفضاء: كناية عن الجماع.

في الحديث وعيدٌ شديدٌ على من ذكر تفاصيل ما يقع بينه وبين امرأته حال الجماع، فيصبح ينشر سرّها وهي تنشر سرّه، فيقول: فعلت في امرأتي البارحة كذا وفعلت كذا، فالغائب كأنه يشاهد ما كان بينهما في الفراش، كذلك تخبر النساء بأن زوجها يفعل بها كذا وكذا، وكل هذا حرام.



[٦٨٦] وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه حِيْنَ تَأَيَّمَتْ بِنْتُهُ حَفْصَةُ، قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه، فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سَأَنْظُرُ فِي أَمْرِي، فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قَدْ بَدَا لِي أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هٰذَا، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه، فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَصَمتَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا! فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثَ لَيَالِيَ ثُمَّ خَطَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِيْنَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا. رواه البخاري.

تَأَيَّمَتْ: أَيْ صَارَتْ بِلَا زَوْجٍ، وَكَانَ زَوْجُهَا تُوُفِّيَ.

وَجَدْتَ: غَضِبْتَ.

[٦٨٧] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا، وَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِي عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ، فَلَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَتْ: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِيْنَ سَارَّنِي فِي المَرَّةِ الأُولَى، فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، وَأَنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لَا أُرَى الأَجَلَ إِلَّا قَدِ اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا

لَكِ، فَبَكَيْتُ بُكَائِي الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ المُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هٰذِهِ الأُمَّةِ؟**»، فَضَحِكْتُ ضَحِكِي الَّذِي رَأَيْتِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ مسلم.

**[٦٨٨]** وعن ثَابِتٍ عن أنس ﷺ قال: أَتَى عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَسَلمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي فِي حاجَةٍ، فَأَبْطَأتُ عَلَى أُمِّي، فَلَمَّا جِئْتُ، قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَني رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إنَّهَا سرٌّ، قالت: لا تُخْبِرَنَّ بِسرِّ رسول الله ﷺ أحَداً، قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أحَداً لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم وروى البخاري بعضه مختصراً.





## ٨٦- الوفاء بالعَهد

العهد: ما يعاهد الإنسان به غيره، وهو نوعان: عهد مع الله ﷻ، فإن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾، فقد أخذ الله العهد على عباده جميعا أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء:٣٤]. يعني أن الوفاء بالعهد مسؤول عنه الإنسان يوم القيامة، يُسأل عن عهده هل وفّى به أم لا. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ [النحل:٩١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١].

قال زيد بن أسلم: هي ستة: عهد الله، وعقد الحلف، وعقد الشركة، وعقد البيع، وعقد النكاح، وعقد اليمين.

[٦٨٩] عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

زَادَ في روايةٍ لمسلم: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

لهذا ينبغي للإنسان أن يحدد المواعيد ويضبطها، فإذا قال لأحد إخوانه أواعدك في المكان الفلاني فليحدد الساعة الفلانية، حتى إذا تأخر الموعود وانصرف الواعد يكون له عذر، حتى لا يربطه في المكان كثيراً. وقد اشتهر عند بعض السفهاء أنهم يقولون: أنا وعدي إنجليزي! يظنون أن الذين يوفون بالوعد هم الإنجليز، ولكن الوعد الذي يوفى به هو وعد المؤمن.



**[٦٩٠]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

النفاق: هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو نوعان: اعتقادي وعملي، فالاعتقادي: هو النفاق الأكبر، وصاحبه مع الكفار مخلّد معهم في النار، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ**﴾ [التوبة: ٦٨].

والنفاق العملي خمسة أنواع: والدليل قوله ﷺ: «**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»، وفي رواية: «**إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**».

والفجور في الخصومة على نوعين: الأول: أن يدّعي ما ليس له. والثاني: أن ينكر ما يجب عليه.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**».



**[٦٩١]** وعن جابر ﵁ قال: قال لي النبي ﷺ: «**لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هٰكَذَا وَهٰكَذَا**»، فَلَمْ يَجِئْ مَالُ البَحْرَينِ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمَّا جَاءَ مَالُ البَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ فَنَادَى: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْتُهُ، وَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِي كَذَا وَكَذَا، فَحَثَى لِي حَثْيَةً فَعَدَدْتُهَا، فَإِذَا هِيَ خَمْسُ مِئَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ مِثْلَيْهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفيه دليل على قبول دعوى المدّعي إذا لم يكن له منازع يردّ دعواه، وكان هذا المدّعي ثقة، أما إذا كان له منازع فإن البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.

وفي هذه القصة لا منازع لجابر ﵁، لأن أبا بكر هو المسؤول عن بيت المال، وقد عرض على الناس من كان له عدة أو دين فليأتنا، فجاء جابر ولم يقل له أبو بكر أين البينة، لأنه واثق به، ولا منازع له.





## ٨٧- المحافظة على ما اعتاده من الخير

إن الإنسان إذا اعتاد فعل الخير فينبغي أن يداوم عليه، فمثلاً إذا اعتاد ألّا يدع الرواتب؛ يعني الصلوات النوافل التي تتبع الصلوات الخمس فليحافظْ على ذلك، وإذا كان يقوم الليل فليحافظ على ذلك، وإذا كان يصلى ركعتين من الضحى فليحافظ على ذلك، وكل شيء من الخير إذا اعتاده فإنه ينبغي أن يحافظ عليه.

وكان من هدي النبي ﷺ أن عمله ديمة، يعني يداوم عليه، فكان إذا عمل عملاً أثبته ولم يغيّره، لأن الرجوع بعد الإقدام شر من عدم الإقدام، فلو أنك لم تفعل الخير ابتداء لكان أهون مما إذا فعلته ثم تركته، وهذا شيء مشاهد مجرب.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]. أي: لا يغير نعمة أنعمها على قوم حتى يُغَيِّروا ما بأنفسهم فيعصوا ربهم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ [النحل:٩٢].

أَنْكَاثُ: جَمْعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ الْمَنْقُوضُ، يعني لا تكونوا كالمرأة الحمقاء التي كانت تغزل الصوف، ثم إذا غزلته وأتقنته، نقضته أنكاثاً ومزقته، بل دوموا على ما أنتم عليه. قال مجاهد: هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده؛ قال: كانوا يحالفون الحلفاء فيجدون أكثر منهم وأعز، فينقضون حلف هؤلاء ويحالفون أولئك الذين هم أكثر وأعز، فنُهوا عن ذلك، والآية تتناول نقض سائر العهود؛ لأن القرآن يعمّ بلفظه ولا يُقْصَرُ على سبب نزوله.



**[٦٩٢]** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**فُلَان**»: هذه الكلمة يحتمل أنها من كلام الرسول ﷺ، وأن الرسول لم يذكر اسمه لعبد الله بن عمرو ستراً عليه، لأن المقصود القضية من دون صاحبها، ويحتمل أن الرسول ﷺ عيّنه، لكن أبهمه عبد الله بن عمرو، والقضية أن رجلاً كان يقوم من الليل، فلم يداوم عليه مع أن قيام الليل في الأصل سنّة، فلو لم يفعله الإنسان لم يُلم عليه، لكن كونه يقوم ثم يرجع ويترك، هذا هو الذي يلام عليه.





## ٨٨- طيّب الكلام وطلاقة الوجه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

**[٦٩٣]** عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٦٩٤]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٦٩٥]** وعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**». رواه مسلم.

طلاقة الوجه توجب سرور صاحبك، لأنه يفرق بين شخص يلقاه بوجه معبس وشخص يلقاه بوجه طلق، ثم إذا قرن ذلك بالكلمة الطيبة حصل بذلك مصلحتان: طلاقة الوجه، والكلمة الطيبة، مثل أن تقول له: كيف أنت؟ كيف حالك؟ كيف إخوانك؟ كيف أهلك؟ كل كلمة طيبة فهي صدقة لك عند الله.





## ٨٩- بيان الكلام وإيضاحه

**[٦٩٦]** عن أنسٍ ﵁ أن النبي ﷺ: كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا. رواه البخاري.

قوله: "حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ"، يدل على أنها إذا فهمت من دون تكرار فإنه لا يكررها، وهذا هو الواقع، فإن الرسول ﷺ نسمع عنه أحاديث كثيرة يقولها في خطبه وفي المجتمعات ولا يكرر ذلك، لكن إذا لم يفهم الإنسان بأن كان لا يعرف المعنى جيداً فكرر عليه حتى يفهم، أو كان سمعه ثقيلاً لا يسمع، أو كان هناك ضجة حوله لا يسمع، فهنا يستحب أن تكرر حتى يفهم عنك.

وكان ﷺ إذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثاً، أيه أنه كان لا يكرر أكثر من ثلاث، يسلّم مرة، فإذا لم يجب سلّم الثانية، فإذا لم يجب سلّم الثالثة، فإذا لم يجب تركه.

وكذلك في الاستئذان؛ كان ﷺ يستأذن ثلاثاً؛ يعني: إذا جاء للإنسان يستأذن في الدخول على بيته يدق عليه الباب ثلاث مرات، فإذا لم يُجب انصرف، فهذه سنته ﷺ أن يكرر الأمور ثلاثاً ثم ينتهي، وهل مثل ذلك إذا دقّ جرس الهاتف ثلاث مرات؟ يُحتمل، وأنك إذا اتصلت بإنسان ودق الجرس ثلاث مرات وأنت تسمعه وهو لم يجبك، فأنت في حل إذا وضعت سماعة الهاتف، ويحتمل أن يقال: إن الهاتف له حكم آخر، وإنك تبقى حتى تيأس من أهل البيت، لأنهم ربما لا يكونون حول الهاتف عند اتصالك، ربما يحتاجون إلى خطوات كثيرة حتى يصلوا إلى الهاتف.



[٦٩٧] وعن عائشة ﵂، قالت: كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَلَامًا فَصْلًا يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ. رواه أبو داود.

أي: إن كلامه ﷺ بَيِّنٌ ظاهر لكل من سمعه ليس فيه تعقيد ولا تطويل.

قال ﷺ: «**أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ وَاخْتُصِرَ لِي الكَلَامُ اخْتِصَارًا**».

وجوامع الكلم أن تجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، والمعنى أنه ينبغي للإنسان إذا تكلم وخاطب الناس، أن يكلمهم بكلام بيّن لا يستعجل في إلقاء الكلمات، ولا يدغم شيئاً في شيء، ويكون حقه الإظهار، بل يكون كلامه فصلاً بيّناً واضحاً حتى يفهم المخاطب من دون مشقة ومن دون كلفة، فبعض الناس يأكل الكلام حتى إن الإنسان يحتاج إلى أن يقول له: ماذا تقول؟ فهذا خلاف السنة، فالسنة أن يكون الكلام بيّناً واضحاً يفهمه المخاطَب، وليس من الواجب أن يكون خطابك باللغة الفصحى.





## ٩٠- إصغاءُ الجليس لحديث جَليسِه

[٦٩٨] عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «**اسْتَنْصِتِ النَّاسَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وحُسن الإصغاء يكون بالقول وبالفعل؛ أما القول: فبأَلَّا يتكلم إذا كان جليسه يتكلم، فيحصل بذلك التشويش، بل أن يكون الكلام كلاماً واحداً حتى ينتفع الناس جميعاً بما يتكلم به بعضهم، وأما الإصغاء بالفعل: فينبغي إذا كان الإنسان يحدّثك أن تُقبل إليه بوجهك وألا تلتفت يميناً وشمالاً، لأنك إذا التفت يميناً وشمالاً وهو يحدثك نسبك إلى الكبرياء.

وقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا**﴾، فينبغي أن تصغي إليه وأن تقابله بوجهك حتى يعرف أنك قد أحسست به، وأنك قد اهتممت بكلامه، إلا إذا كان يتكلم بشيء محرم، كغيبة، أو كلام لغو، فإنك لا تصغي إليه، بل انْهه عن ذلك الشيء، فإن استمر يتكلم بالكلام المحرم، ولم يصغ إلى قولك وإلى نصحك، فالواجب عليك أن تقوم من مكانك وأن تفارقه، لأن الله يقول: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ الله يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾.

أما قوله: «**لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا**»: ففي هذا دليل على أن قتال المؤمنين بعضهم كفر، وقد أيّد هذا الحديث قوله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**»، لكنه كفرٌ لا يخرج من الملّة، والدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**﴾، إلى قوله تعالى: «**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾.





## ٩١- الوَعظ والاقتصاد فيهِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

في هذه الآية: الأمر بالدعوة إلى دين الله، وبالقرآن وما فيه من المواعظ بلين ورفق من غير تعنيف، ولهذا قال: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

الوعظ: هو ذكر الأحكام الشرعية مقرونة بالترغيب أو الترهيب، كأن نقول للإنسان مثلاً: إنه يجب عليك كذا وكذا فاتّق الله، وقمْ بما أوجب الله عليك، وأعظم واعظ هو كتاب الله ﷻ، فإن الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، لأنه جامع بين الترغيب والترهيب.



**[٦٩٩]** عن أبي وائلٍ شقيقِ بنِ سَلَمَةَ، قال: كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ ﵁ يُذَكِّرُنَا فِي كُلِّ خَمِيسٍ مَرَّةً، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذٰلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يَتَخَوَّلُنَا: يَتَعَهَّدُنَا. فينبغي الاقتصاد في الموعظة، فلا تكثر على الناس فتُملّهم، وتكرّه إليهم القرآن والسنة وكلام أهل العلم، لأن النفوس إذا ملّت كلّت، وتعبت وسئمت وكرهت الحق وإن كان حقاً، ولهذا كان أحكم الواعظين من الخلق محمد ﷺ يتخوّل الناس بالموعظة، ما يكثر عليهم لئلا يملّوا ويسأموا ويكرهوا ما يقال من الحق.

والموعظة يجب أن تكون في الوقت المناسب، والكلام المناسب، والقول المناسب، لأن بعض الأماكن لا تنبغي فيها الموعظة، وبعض الأزمنة لا تنبغي فيها الموعظة، وكذلك بعض الأشخاص لا ينبغي أن تعظهم في حال من الأحوال، بل تنتظر حتى يكون مهيّئاً لقبول الموعظة، ولهذا قال ﷻ: ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾.

قال العلماء: الحكمة: وضع الأشياء في مواضعها، والموعظة الحسنة: يعني تكون حسنة من حيث الأسلوب والصياغة وكذلك الإقناع، تكون فيها أدلة مقنعة، أدلة شرعية وأدلة عقلية، لأن بعض الناس يقتنع بالأدلة الشرعية كالمؤمنين الخلص، ومن الناس من لا يكتفي بالأدلة الشرعية بل يحتاج إلى أدلة عقلية، ولهذا يستدلّ الله ﷻ في آيات كثيرة بالأدلة العقلية.

انظر مثلاً إلى البعث بعد الموت، أنكره الكفار، وقالوا: ﴿مَنْ يُحْيِى الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟﴾، كيف يموت الإنسان وتأكل الأرض عظامه ولحمه وجلده، ثم يُبعث؟ فأجاب الله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. وكذلك يستدل الله ﷻ على إمكان البعث بإحياء الأرض بعد موتها، فإن الله تعالى ينزل المطر على أرض هامدة قاحلة، ليس فيها حياة ولا نبات، فتصبح مخضرة بهذا المطر، من الذي أحيا هذا النبات؟ فالذي أحيا هذا النبات بعد يبسه وموته قادر على إحياء الموتى، ولا بد من حياة أخرى، لأنه ليس من الحكمة أن الله ينشئ هذا الخلق ويرسل إليهم الرسل، وينزل الكتب، ثم تكون المسألة مجرد دنيا تذهب وتروح، فهذا لا يمكن، وهذا خلاف الحكمة.



**[٧٠٠]** وعن أبي اليقظان عمار بن ياسر ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ، مَئِنَّةٌ مِنْ فِقْهِهِ، فَأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ**». رواه مسلم

«**مَئِنَّةٌ**»: أَيْ عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَى فِقْهِهِ.

إنما كان قصر الخطبة علامة على فقه الرجل، لأن الفقيه هو المطلع على حقائق المعاني، وجوامع الألفاظ فيتمكن من التعبير بالكلام المفيد، وهذا وإن كان ظاهراً في خطبة الجمعة فهو عام أيضاً، حتى في الخطب العارضة لا ينبغي للإنسان أن يطيل على الناس،

فكلما قصر كان أحسن لوجهين؛ الوجه الأول: ألّا يمل الناس، والوجه الثاني: أن يستوعبوا ما قال، لأن الكلام إذا طال ضيّع بعضه بعضاً، فإذا كان قصيراً مهضوماً مستوعباً انتفع به، وكذلك لا يلحقهم الملل، وأما طول الصلاة فالمراد أن تكون كصلاة النبي ﷺ ليست طويلة، لأن النبي ﷺ أنكر على معاذ إطالته في صلاة العشاء، وأنكر على الرجل الآخر إطالته في صلاة الفجر، وقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ: إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ**»، هذا إذا كان الإنسان إماماً، أما إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء.

[٧٠١] وعن مُعاوِيَة بن الحكم السُّلَمي رضي الله عنه قال: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي، قَالَ: «**إِنَّ هٰذِهِ الصَّلَاةَ لا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِرَاءَةُ القُرْآنِ**»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ؟ قَالَ: «**فَلَا تَأْتِهِمْ**». قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: «**ذٰاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**». رواه مسلم.

الثُّكْلُ: المُصِيبَةُ وَالفَجِيعَةُ. مَا كَهَرَنِي: مَا نَهَرَنِي.

في هذا الحديث دليل على أنه لا بأس أن يلتفت المصلي أو ينظر إذا كان ذلك لمصلحة أو حاجة، وإلا فالأفضل أن يكون نظره إلى موضع سجوده، وفي حال الجلوس يكون نظرة إلى موضع إشارته، لأن الجالس في التشهد أو بين السجدتين يرفع إصبعه قليلاً ويشير بها عند الدعاء، فيكون نظره إلى موضع إشارته، وأما في حال القيام والركوع فينظر إلى موضع سجوده.

وقال بعض العلماء: ينظر تلقاء وجهه. والأمر في هذا واسع، إن شاء نظر إلى موضع سجوده، وإن شاء نظر تلقاء وجهه، لكن إذا حصلت حاجة والتفت، فإن ذلك لا بأس به.

وفيه أيضاً: إن العمل اليسير في الصلاة لا يضرّ، لأن الصحابة جعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، ولم ينكر النبي ﷺ عليهم ذلك، إلا أنه ﷺ قال في حديث آخر: «**إِذَا نَابَكُمْ شَيْءٌ فَلْيُسَبِّحِ الرِّجَالُ وَلْتُصَفِّقِ النِّسَاءُ**».

وفيه دليل: على أن الكلام في الصلاة لا يجوز وأنه مبطل لها، إلا إذا كان الإنسان جاهلاً أو ناسياً أو غافلاً؛ فمثلاً لو أن أحداً سلّم عليك وأنت تصلي، أو دق الباب وأنت تصلي فقلت غافلاً ادخلْ أو قلت: وعليكم السلام ناسياً أو غافلاً، فصلاتك صحيحة، لأن الله لا يؤاخذ الإنسان بالجهل أو النسيان أو بالغفلة.

والكاهن: عبارة عن رجل يأتيه الشيطان يخبره بما سمع من خبر السماء ويضيف إلى هذا الخبر أشياء كثيرة من الكذب، يأتيهم الناس فيسألونهم ما حالنا؟ ما مستقبلنا؟ يسألونهم عن أمور مستقبلة عامة أو خاصة، فيخبرونهم بما وسمعوا من أخبار الشياطين. وقد قال النبي ﷺ: "**فَلَا تَأْتِهِمْ**»؛ كلمة واحدة، وهل تظن أن معاوية أو غيره من الصحابة إذا قال لهم الرسول ﷺ لا تفعلوا أن يفعلوا؟ لا، لا نظن ذلك.

قوله: "وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ". والتطير: هو التشاؤم بالأشياء، وكان العرب يتشاءمون أكثر ما يتشاءمون في الطيور، فإذا طار يميناً فله حال، وإن طار يساراً فله حال، وإن اتّجه أماماً فله حال، أو رجع فله حال، حسب اصطلاحات العرب وخرافاتهم. وربما تشاءموا من الأيام، وربما تشاءموا من الشهور، وربما تشاءموا حتى من الأشخاص، حتى إنه يوجد الآن أناس إذا خرج أحدهم من بيته ثم لاقاه شخص قبيح المنظر قال: هذا اليوم سوء وتشاءم، وإذا لقي رجلاً جميل الوجه قال: هذا اليوم خير فتفاءل، فقال النبي ﷺ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**».

والإنسان إذا ركن إلى التطيّر تنغّصت عليه حاله، وربما يصنع الجنّي ما يكره ليبقى دائماً في غمّ وهمّ، وكان العرب يتشاءمون من شهر شوال في النكاح، يقولون: الذي يتزوج في شهر شوال لا يوفّق في زواجه، هكذا كانوا يقولون، فكانت عائشة ﵂ تقول: "تَزَوَّجَنِي النَّبِيُّ ﷺ فِي شَوَّالَ، فَأَيُّكُمْ أَحْظَى إِلَيْهِ مِنِّي؟!".



# ٩٢-الوَقار والسَّكِينة

الوقار: هو هيئة يتصف بها العبد يكون وقوراً، بحيث إذا رآه من رآه يحترمه ويعظمه. والسّكينة: هي عدم الحركة الكثيرة، وعدم الطيش، بل يكون ساكناً في قلبه وفي جوارحه وفي مقاله، لأن ضد ذلك يكون الإنسان لا شخصية له، ولا هيبة له، وكذلك السكينة ضدها؛ أن يكون الإنسان كثير الحركات، كثير التلفّت، ومن ذلك أيضاً العجلة؛ أن يكون الإنسان عجولًا لا يتحرّى ولا يتأنّى، ليس له همّ إلا القيل والقال اللذان نهى عنهما رسول الله ﷺ، فقد كان ينهى عن القيل والقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال، فإذا كان الإنسان ليس متأنياً ولا متثبتاً في الأمور حصل منه زلل كثير، وأصبح الناس لا يثقون في قوله، وصار عند الناس من القوم الذين يرد حديثهم ولا ينتفع به.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]. يعني إذا رأيت أحدهم رأيت رجلاً في مشيته وقار. ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾، ليس المعنى أهم يُلقون السلام، بل المعنى أنه إذا خاطبه الجاهل قال قولاً يَسلم به من شرّه؛ إما أن يدفعه بالتي هي أحسن، وإما أن يسكت، لأن الجاهل أمره مشكل، إن خاصمته أو جادلته فربما يبدر منه كلام سيئ عليك، وربما يبدر منه كلام سيئ فيسب الدين.



**[٧٠٣]** عن عائشة ﵂ قالت: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا حَتَّى تُرَى مِنهُ لَهَوَاتُهُ إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

اللَّهَوَاتُ: جَمْعُ لَهَاةٍ: وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي فِي أَقْصَى سَقْفِ الْفَمِ.

فالنبي ﷺ لم يستجمع قطّ ضاحكاً تبدو منه لهواته، يعني ليس يضحك ضحكاً فاحشاً بقهقهة يفتح فمه حتى تبدو لهاته، ولكنه كان يبتسم أو يضحك باعتدال، وهذا من وقار النبي ﷺ.

لهذا تجد الرجل كثير الكركرة الذي إذا ضحك قهقه وفتح فاه، يكون هيّناً عند الناس ليس له وقار، وأما الذي يكثر التبسم في محله، فإنه محبوب تنشرح له الصدور، وتطمئن به القلوب.





## ٩٣- إِتيانُ الصَّلاة

الصلاة، من المعلوم أنها آكد أركان الإسلام بعد الشهادتين، وهي من أعظم شعائر الله، والإنسان إذا أقبل إلى الصلاة فإنما يقبل إلى الوقوف بين يدي الله، ومن المعلوم أن الإنسان إذا أتى إلى شخص من بني آدم يعظمه، فإنه يأتي إليه بأدب وسكينة ووقار، فكيف إذا أتى ليقف بين يدي الله؟ ولهذا ينبغي للإنسان أن يأتي إلى الصلاة في سكينة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

والذي يعظّم شعائر الله فيرى أنها عظيمة في قلبه، فإن هذا علامة على صلاح نيّته وتقوى قلبه، وإذا اتّقى القلب اتّقت الجوارح، فإذا سمعتم الإقامة من خارج المسجد.

يقول النبي ﷺ: «**ائْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ**»؛ تمشون مشياً عادياً معتاداً، لا يقارب الخطى كما استحبه بعض أهل العلم، لكن يمشي من دون إسراع، فإذا أتى الإنسان على هذا الوجه، قال النبي ﷺ: «**فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**». إلا أن أهل العلم قالوا: إذا خشي فوات الركعة، يعني فوات الركوع، فلا بأس أن يسرع قليلاً؛ سرعة لا تكون سرعة قبيحة يكون لها جلبة وصوت.

يُستفاد من هذا الحديث فوائد منها: أنه لا بأس أن تسمع الإقامة من خارج المسجد، وعلى هذا فإذا أقام المؤذّن في مكبر الصوت ليسمع من كان خارج المسجد فلا بأس، وإن كان بعض الناس قد اعترض على هذا فقالوا: إنه إذا أقام من خارج المسجد تكاسل الناس، وصاروا لا يحضرون إلا إذا سمعوا الإقامة، وربما تفوتهم الركعة الأولى، ولكن ما دام قد حدث مثله في عهد الرسول ﷺ، وأن الإقامة كانت تسمع من الخارج، فإننا نرى أنه لا بأس بذلك .



**[٧٠٤]** عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَونَ، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

زاد مسلِمٌ في روايةٍ لَهُ: «**فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ**».

لكن الشيء الذي يُخشى منه الإثم، ما يفعله بعض الناس؛ فينقل الصلاة نفسها عبر مكبر الصوت، فإن هذا يشوش على من حوله، لاسيما في صلاة الليل الجهرية، يشوش على البيوت، ويشوش على المساجد القريبة، حتى إننا سمعنا بعض الناس إذا سمع مكبر الصوت من مسجد قريب، وكان الإمام حسنَ الصوت والقراءة، صار المأموم الذي في هذا المسجد يتابع بقلبه الإمام في المسجد الثاني، حتى سمعنا أن بعضهم أمّنَ على قراءة إمام المسجد الثاني، لما قال إمام المسجد الثاني ﴿**وَلَا الضَّالِّينَ**﴾، قال هؤلاء: آمين! لأن القلب إذا انشغل بشيء أعرض عن غيره.

وقد ثبت في موطأ الإمام مالك أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة وأصحابه في المسجد يصلون وقد علت أصواتهم بالقراءة، فقال ﵊: «**إِنَّ الْمُصَلِّي يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يُنَاجِيهِ بِهِ، وَلَا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِالْقُرْآنِ**».

وعند أبي داود: «**أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّهُ، فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ**»، فجعل هذا أذية، ونهى عنه.

والواقع شاهد بذلك، ولهذا نرى أن الذين يؤدون الصلاة عبر مكبر الصوت، إذا كانوا يؤذون من حولهم، فإنهم آثمون، ولا شك أن تركه أولى، وهو في الحقيقة لا فائدة منه، لأن الإنسان لا يصلي إلى من هم خارج المسجد، إنما يصلي لأهل المسجد، أما الذين في الخارج فلا عليك منهم، ثم إن هذا العمل فيه مفسدة أخرى وهي: أن بعض الناس يتكاسل عن إتيان المسجد للصلاة ما دام أنه يسمع صوت قراءة الإمام، وكلما أراد أن يقوم

ثبطه الشيطان وقال له: انتظر الركعة الثانية، انتظر الثالثة، اجلس حتى لا يبقى إلا ركعة. لهذا نوصي إخواننا لاسيما الأئمة، ألّا يفعلوا هذا، وأن يَسلم إخوانهم من أذيتهم حتى في البيوت، أيضاً ربما بعض الناس يكون قد صلى ويجب أن ينام ويرتاح، قد يكون مريضاً فيزعجه هذا الصوت، وقد يكون المسجد قريباً من السطوح في أيام الصيف وفيه الصبيان فيفزعهم صوت المكبر، فالحاصل أن هذه المسالة ابتلي بها بعض الناس، وصاروا يؤذون من بجوارهم من المساجد أو البيوت في أمر لا فائدة منه.

ومعنى قوله ﷺ: «**فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»، أن الإنسان يكبّر تكبيرة الإحرام، ثم يدخل مع الإمام على الحال التي فيها، فإذا جئت والإمام راكع فكبّر تكبيرة الإحرام وأنت معتدل ثم اركع، وبذلك تدرك الركعة، وإذا أتيت وهو قائم من الركوع، فكبّر وادخل معه واسجد معه، ولا تحسب هذه الركعة، لأن الإنسان إذا لم يدرك ركوع الإمام فاتته الركعة، وإذا أتيت وهو ساجد فكبّر للإحرام وأنت قائم ثم اسجد ولا تنتظر حتى يقوم، وإذا أتيت وهو جالس فكبّر وأنت قائم واجلس، أي حال أدركت الإمام عليها فاصنع كما يصنع الإمام، وإذا أتيت وهو في التشهد الأخير نظرت؛ إن كان معك جماعة في مثل حالك فلا تدخل معه، لأنك لا تدرك صلاة الجماعة بإدراك التشهد الأخير، لقول النبي ﷺ: «**مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصَّلَاةِ فَقَدْ أَدْرَكَ الصَّلَاةَ**».

وفي قوله ﷺ: «**فَأَتِمُّوا**»، دليل على أن المسبوق إذا قام يقضي، فإنه يقضي آخر صلاته لا أولها، فإذا أدرك الركعتين الأخيرتين من الظهر مثلاً وقام يقضي، فإن الركعتين اللتين يقضيهما هما آخر صلاته فلا يزيد على الفاتحة، لأن السنة في الركعتين الأخيرتين أن لا يزيد عن الفاتحة.



**[٧٠٥]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ وَرَاءَهُ زَجْرًا شَدِيدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا لِلْإِبْلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ**». رواه البخاري.

البِرُّ: الطَّاعَةُ. الإِيضَاعُ: الإِسْرَاعُ.

كان العرب في الجاهلية إذا دفعوا من عرفة أسرعوا إسراعاً عظيماً، يبادرون النهار قبل أن يظلم الجو، فكانوا يضربون الإبل ضرباً شديداً، فأَوْمَأَ النبي ﷺ إليهم بسوطه، وقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ**»، يعني الطمأنينة والهدوء، ففي هذا دليل على أن الإنسان لا ينبغي له أن يسرع إذا تقدم إلى أماكن العبادة للصلاة ومجالس العلم وغيرها، حتى لا يُستهان بك أمام الناس، ويكون تعظيمك لهذه المجالس من تعظيم الله.



# ٩٤- إِكرام الضَّيف

الضَّيف: هو الذي ينزل بك مسافراً لأجل أن تتلقّاه بالإيواء والطعام والشراب، وما يحتاج إليه، والضيافة خُلق فاضل قديم منذ عهد إبراهيم الخليل ﷺ، إن لم يكن قبل ذلك، وأن إكرامه من الإيمان بالله واليوم الآخر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ، إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ، فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨].

﴿هَلْ أَتَاكَ﴾: الاستفهام هنا للتشويق، من أجل أن ينتبه المخاطب، وهؤلاء الضيوف ملائكة أرسلهم الله ﷻ إلى إبراهيم ثم إلى لوط، ومعنى كونهم منكرين أنه لا يعرفهم. ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾: ذهب بسرعة وخفية إلى بيته، فجاء بعجل سمين، وفي الآية الأخرى أنه جاء بعجل حينئذ، أي مشوي، وهذا ألذّ ما يكون من اللحم. ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ﴾: لم يضعه بعيداً عنهم وقال تقدموا، لم يقل أيضاً كلوا بصيغه الأمر، ولكن قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾: وهو أيضاً من حسن معاملته لضيوفه، ثم إن هؤلاء الضيوف ذهبوا إلى لوط بصورة شبان مرد ذوي جمال وفتنة، وكان قوم لوط قد ابتلوا بداء اللواط، وهو إتيان الذّكرِ الذّكرَ، فانطلقوا يخبر بعضهم بعضاً، فجاؤوا ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾: يسرعون، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾، يشير إلى بنات قومه ما هنّ بناته من صُلبه، لأن النبي لقومه بمنزله الأب لهم، كأنه يقول: عندكم النساء!

والحاصل أنك إذا نزل بك ضيف، فإنه يجب عليك أن تضيفه يوماً وليلة، ولكن لا تفعل كما يفعل السفهاء، تذهب وتتكلف وتصنع وليمة كبيرة، ترمى معظمها، حتى إنّا نسمع عن بعض الناس أنه إذا نزل به الضيف، ذهب صاحب البيت من أجل أن يذبح له ذبيحة، فيقول الضيف: لا تذبح، عليّ الطلاق ما تذبح! فيقول الثاني عليّ الطلاق أن أذبح! هذا منكر، فلا حاجة إلى ذلك، إما أن تذبح، وإما أن لا تذبح، لأن الحلف بالطلاق أمره ليس بالهين، فالأئمة الأربعة: مالك، وأبو حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، يرون أن الحلف بالطلاق طلاق، هذا مذهب جمهور الأمة، إذاً المسألة خطيرة، وتهاون الناس بهذه المسألة أعظم خطراً.



**[٧٠٦]** عن أبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا من باب الحثّ والإغراء على إكرام الضيف، يعني إن إكرام الضيف من علامة الإيمان بالله واليوم الآخر، وذلك أن الذي يكرم ضيفَه يثيبُه الله يوم القيامة وفي الدنيا. وإكرام الضيف يختلف بحسب أحوال الضيف، فمن الناس من هو من أشراف ووجهاء القوم فيكرم بما يليق به، ومن الناس من هو من سقط القوم فيكرم بما يليق به، فمن الناس إذا نزل بك ضيفاً لا يرضيه أن تأتي له بطعام عليه دجاجتان وما أشبه ذلك، بل يحتاج إلى أن تأتي بطعام عليه ذبيحة. ويكون من إكرامه أيضاً أن تدعو أقاربك وجيرانك، ومن الناس من هو دون ذلك، فالنبي ﷺ لم يقيّد الإكرام بشيء، بل أطلق، فيكون راجعاً إلى ما يعدّه الناس إكراماً.

قوله: «**فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»: الرَّحِمُ: هم الأقارب، وكلما كان القريب إليك أقرب كان حقه أوجب، ولم يبيّن النبي ﷺ بماذا يصله؟ فيرجع أيضاً إلى العرف، فمن الأقارب من تصله بالزيارة والإكرام البدني، ومن الأقارب من تصله بإعطاء المال لحاجته لذلك، ومن الأقارب من تكرمه بالطعام والكسوة، كل بحسب حاله، فمثلاً إذا كان قريبك غنياً كريما فهذا لا يمكن أن ترسل إليه طبقاً من طعام، إنما تكرمه بالزيارة والكلام اللّين، أما إذا كان قريبك فقيراً فطبق الطعام أحب إليه من غيره، أما إذا كان قريبك يحتاج إلى المال فالأفضل أن ترسل إليه المال، فكل إنسان يكرم بما يليق بحاله.

أما قوله: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**». ويا ليتنا نسير على ذلك في حياتنا، فمثلاً الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم مسألة من مسائل العلم والدين، والكلام من أجل أن تُدخِل الإنس على ضيفك، والأنس والسرور، هذا أيضاً خير، وإن من لم يقل الخير فإن إيمانه بالله واليوم الآخر يكون ناقصاً، فكيف بمن يقول الشر؟ وكيف بمن أصبح يأكل لحوم الناس؟ ويسعى بينهم بالنميمة؟ ويكذب؟ بل كيف من يسبّ أهل العلم ويذمهم؟ فإن هذا أعظم وأعظم، لأن الكلام في أهل العلم جَرح فيما يحملونه من الشريعة، والناس لن يثقوا بهم، ولهذا يجب أن يحرص الإنسان على كف لسانه، فمن صمت نجا، ومن تكلم فإنه على خطر.

**[٧٠٧]** وعن أَبي شُرَيْح خُوَيْلِدِ بن عَمرو الخُزَاعِيِّ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**»، قَالُوا: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذٰلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لِمسلمٍ: «**وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّى يُؤْثِمَهُ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: «**يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يُقْرِيهِ بِهِ**».

معناه: لا يحل للضيف أن يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الإثم؛ لأنه قد يغتابه لطول مقامه، وهذا كله محمول على ما إذا أقام بعد الثلاث من غير استدعاء من المُضيف، أما إذا استدعاه وطلب زيادة إقامته فلا بأس؛ فينبغي للضيف أن يخفف الجلوس والبقاء عند المضيف، حتى يكون محبوباً.

وقوله: «**يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يُقْرِيه بِهِ**»: يعني: ما عندي شيء أضيفك به. والغرض الشرعي هو عدم إيقاع المضيف في الإثم والحرج، ونعمة الإحساس نعمة عظيمة جداً، أن الإنسان يشعر بأخيه من غير أن يشكو له، مثلاً: أنت ذهبت ضيفاً، فإذا بهذا المُضيف شديد الفقر، وليس عنده شيء ينفقه على أولاده، ثم أنت تذهب تكلّفه فوق ذلك إثماً بأن يذكرك بسوء ويغتابك، وتريد أن تأخذ حقك الثلاثة الأيام، فليس من حقك ذلك.





## ٩٥- التَّبشِير والتَّهنئة بالخَير

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧ – ١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ﴾ [التوبة:٢١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، وهو إسماعيل عليه السلام، وأكثر الأنبياء المذكورين في القرآن كلهم من ذرية إسرائيل، أما التي ذكر الله فيها: ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾، فهذا إسماعيل أبو العرب، وليس في ذريته إلا رسول واحد، ولكنه ختم جميع الرسالات، وبُعث إلى الناس كافة، وغيره من الأنبياء كان يُبعث إلى قومه خاصة، هذا الرسول الذي من بني إسماعيل هو محمد صلوات الله وسلامه عليه.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ [هود: ٦٩].

والبشارة تكون في الأمور التي تسُرّ، وسميت بذلك لأن الإنسان كان إذا بُشّر بما يسرّه ظهر أثر ذلك في وجهه وفي بشرته، وقد تكون البشارة فيما يسوء، مثل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ومن الأمور التي تبشر بالخير في أمور الآخرة: الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو تُرى له، مثل أن يرى إنسان رؤيا فيقال له في المنام مثلاً: بشر فلاناً بأنه من أهل الجنة، هذه بشرى، كذلك أيضاً الإنسان إذا رأى من نفسه أنه ينقاد للخير وأنه يكره الشر، فهذه أيضاً بشرى.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ المَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي المِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: ٣٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ المَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ﴾ [آل عمران:٤٥].

قِيل: سُمِّي عيسى عليه السلام كلمة لأنه كان بـ﴿كُنْ﴾.

وينبغي للإنسان أن يكون متفائلاً مستبشراً بالخير، وألّا يرى الدنيا أمامه كالحة مظلمة فيقنط، وينبغي للإنسان أيضاً إذا حصل له خير أن يهنئ به، حتى لو رأيت مثلاً إنساناً مغتمّاً، قد ضاقت عليه الدنيا، وتكالبت عليه الأمور، فقل له أبشر بالفرج، لأن النبي ﷺ يقول: «وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا»، فإذا رأيت أخاك مكروباً فقل له أبشر، فالفرج قريب، وكما قال ابن عباس رضي الله عنهما: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ"، في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾، فالعسر ذُكر مرتين، واليسر ذُكر مرتين، لكن حقيقة الأمر أن العسر لم يذكر إلا مرة واحدة، واليسر ذكر مرتين، لماذا؟ قال العلماء: إذا تكررت الكلمة معرّفة بأل فهي واحدة، وإذا تكررت غير معرّفة بأل فهي اثنتان، واليسر كُرر مرتين لكن من دون أل، فيكون اليسر الثاني غير اليسر الأول، ولهذا قال ابن عباس: "لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ".



**[٧٠٨]** عن أبي إبراهيم، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو معاوية عبد الله ابن أبي أوفى رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ، وَلَا نَصَبَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

القَصَبُ: هُنَا اللُّؤْلُؤُ المُجَوَّفُ، وَالصَّخَبُ: الصِّيَاحُ وَاللَّغَطُ، وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ.

فقَصر خديجة ليس فيه صخب، وليس فيه نصب، وليس فيه تعب، لا يحتاج إلى

كنس القمامة ولا غيره، وهذه بشارة لأم المؤمنين خديجة، وهي أول امرأة تزوجها النبي ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة ولها أربعون سنة، من زوج سابق قبله، وولدت له بناته الأربع وأولاده الثلاثة أو الاثنان، ولم يتزوج عليها أحداً حتى ماتت، وكانت امرأة عاقلة ذكية حكيمة.

**[٧٠٩]** وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عن، أَنَّهُ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: لَأَلْزَمَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، وَلَأَكُونَنَّ مَعَهُ يَوْمِي هٰذَا، فَجَاءَ المَسْجِدَ، فَسَأَلَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالُوا: وَجَّهَ ها هنا، قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَى أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّى دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجَلَسْتُ عِندَ البَابِ حتَّى قَضَى رَسُولُ الله ﷺ حَاجَتَهُ وَتَوَضَّأَ، فَقُمْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ قَدْ جَلَسَ عَلَى بِئْرِ أَرِيسٍ وَتوَسَّطَ قُفَّهَا، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ وَدَلَّاهُمَا فِي البِئْرِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ، فَجَلَسْتُ عِنْدَ البَابِ، فَقُلْتُ: لَأَكُونَنَّ بَوَّابَ رَسُولِ الله ﷺ الْيَوْمَ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَدَفَعَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بَكْرٍ، فقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ ذَهَبْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، هٰذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ**»، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرَسُولُ الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ أَبُو بَكرٍ حَتَّى جَلَسَ عَنْ يَمِينِ النَّبِيِّ ﷺ مَعَهُ فِي القُفِّ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ كَمَا صَنَعَ رَسُولُ الله ﷺ، وَكَشَفَ عَنْ سَاقَيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَجَلَسْتُ، وَقَدْ تَرَكْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فَقُلْتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ- يُرِيدُ أَخَاهُ- خَيْرًا يَأْتِ بِهِ، فَإِذَا إِنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، ثُمَّ جِئْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَقُلْتُ: هٰذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ؟ فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فَجِئْتُ عُمَرَ، فَقُلْتُ: أَذِنَ، وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ، فَدَخَلَ، فَجَلَسَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ، وَدَلَّى رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ، فَجَلَسْتُ، فَقُلتُ: إِنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ خَيْرًا- يَعْنِي أَخَاهُ- يَأْتِ بِهِ، فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ، فَقُلْتُ: مَنْ

هٰذَا؟ فَقَالَ: عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، فَقُلْتُ: عَلَى رِسْلِكَ، وَجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فَجِئْتُ، فَقُلْتُ: ادْخُلْ، وَيُبَشِّرُكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَى تُصِيبُكَ، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ القُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخَرِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَجَّهَ: تَوَجَّهَ. القُفُّ: المَبْنِيُّ حَوْلَ البِئْرِ. عَلَى رِسْلِكَ: ارْفِقْ.

وزاد في رواية: وَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحِفْظِ البَابِ، وَفِيهَا: أَنَّ عُثْمَانَ حِيْنَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللهَ تَعَالَى، ثُمَّ قَالَ: اللهُ المُسْتَعَانُ.

في هذا دليل على أن الإنسان ينبغي إذا خرج من بيته أن يكون متوضئاً لأجل أن يكون مستعداً للصلاة وهو خارج البيت، فإذا جاء وقت الصلاة كان على طهارة وصلّى، وربما أيضاً يحصل له الموت في هذا الوقت فيكون على طُهر، فالإنسان يحرص ما استطاع أن يكون على طهر، لا سيما إذا خرج من بيته.

فهؤلاء الثلاثة كانوا في جانب واحد، ثم استأذن عثمان فأذن له، وقال: يبشرك الرسول بالجنة مع بلوى تصيبك، فاجتمع في حقه نعمة وبلوى، وهذه البلوى هي ما حصل له من اختلاف الناس عليه، وقتلهم إياه في بيته وهو يقرأ القرآن، فقُتل شهيداً، وبذلك تحقق قول الرسول ﷺ حينما صعد على جبل أحد هو وأبو بكر وعمر وعثمان، وارتج بهم الجبل ارتجاج فرح، قال له النبي ﷺ: اثبتْ، فإنما عليك نبيّ وصدّيق وشهيدان، فالنبيّ هو ﷺ، والصدّيق أبو بكر، والشهيدان: عمر وعثمان وكلاهما قُتل شهيداً.



**[٧١٠]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمَعَنَا أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا، وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللهِ ﷺ حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا

لِلْأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَارِ، فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ! فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَهُ، فَاحْتَفَزْتُ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**أَبُو هُرَيْرَةَ؟**»، فَقُلْتُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**مَا شَأْنُكَ؟**»، قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، فَقُمْتَ، فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا، فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هٰذَا الحَائِطَ، فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وَهٰؤُلَاءِ النَّاسُ وَرَائِي، فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**»، وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: «**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هٰذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ. رواه مسلم.

الرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ. احْتَفَزْتُ: تَضَامَمْتُ وتَصَاغَرْتُ حَتَّى أَمْكَنَنِي الدُّخُولُ.

وكأن الرسول ﷺ أعطاه النعلين أمارة وعلامة أنه صادق، لأن هذه بشارة عظيمة أن من شهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه دخل الجنة، لأن الذي يقول هذه الكلمة العظيمة لا بد أن يقوم بأوامر الله ويجتنب نواهي الله، ولهذا لا يكون هذا الحديث دليلاً على أن تارك الصلاة لا يكفّر، لأن تارك الصلاة يكفّر ولو قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لأنه يقولها من غير يقين: إذ كيف يقولها من يقين ويترك الصلاة؟ ولكن قد يَرِدُ على القلب وساوس من الشيطان في الله ﷻ، وهذه الوساوس لا تضر المؤمن شيئاً، فإن النبي ﷺ قال: هذا صريح الإيمان، ليس معنى ذلك أن الوساوس نفسها صريح الإيمان، لكن الوساوس دليل على خالص الإيمان، لأن الشيطان يأتي إلى القلب الخالص الصريح الخالي من الشك، ويوقع عليه الوساوس لعله يشك أو لعله يفسد إيمانه، فإذا دافعه الإنسان وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وأعرض عن هذه الوساوس زالت عنه، والشيطان لا يأتي إلى قلب خراب ليفسده، لأن القلب الخراب خراب.

ويذكر أن ابن مسعود أو ابن عباس، جاء إليه ناس يقولون: نحن لا نوسوس في الصلاة فقال ابن عباس، أو ابن مسعود: وما يصنع الشيطان بقلب خراب؟ معنى هذا أن

قلوبهم خربة، والقلوب الخربة لا يأتي الشيطان لها، ففي هذا الحديث بشارة بالخير، وهو أن من شهد أن لا إله إلا الله موقناً بها قلبه فليبشر بالجنة.



**[٧١١]** وعن ابن شِمَاسَة قال: حَضَرْنَا عَمْرَو بنَ العَاصِ ﵁ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ المَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَى الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاهُ، أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رَسُولُ الله ﷺ بِكَذَا؟ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدُّ بُغْضًا لِرَسُولِ الله ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُهُ، فَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإِسْلَامَ فِي قَلْبِي، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعُكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، فَقَبَضْتُ يَدِي، فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**»، قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: «**تَشْتَرِطُ مَاذَا؟**»، قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَن الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهَا، وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**»، وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلأَ عَيْنِي مِنْهُ؛ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأَ عَيْنِي مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَى تِلْكَ الحَالِ لَرجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا؟ فَإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصْحَبَنِّي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا، حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. رواه مسلم.

شُنُّوا: صُبُّوهُ قَلِيلًا قَلِيلًا.

في هذا الحديث: أن المؤمن لا تفارقه خشية الله ولو عمل من الصالحات ما عمل، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ**﴾ [المؤمنون:٦٠].

أطباق: يعني أحوال. ثم ذكر هذه الأطباق الثلاث، أنه كان يبغض النبي ﷺ بغضاً شديداً، وأنه لم يكن على وجه الأرض أحد يبغضه كما كان يبغضه هو، وأنه يودّ أنه لو تمكن منه فقتله، وهذا أشد ما يكون من الكفر، فجاء إلى النبي ﷺ، فقال يا رسول الله: ابسط يدك فلأبايعك على الإسلام فمد يده ولكن عمرو بن العاص كفّ يده، ليس استكباراً، ولكن استثباتاً لما سيذكره، فقال: إني أشترط أن يغفر الله لي؛ هذا أكبر همّه، ظن أن الله لن يغفر له، فقال له النبي ﷺ: أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله، ثلاثة أشياء، فبايع وأحبّ النبي ﷺ حباً شديداً.

سبحان مقلّب القلوب؛ بالأمس كان يبغضه بغضاً شديداً حتى يتمنى أنه يقدر عليه فيقتله، والآن ما يستطيع أن يرفع طرفه إليه إجلالاً له! ثم إنه بعد ذلك تولى أموراً؛ إمارات وقيادات، وكان عمرو بن العاص معروفاً أنه من أدهى العرب وأذكى العرب، فأمر أهله أن يقيموا عليه قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها ليستأنس بهم، وهذا يدل على أن الميت يحسّ بأهله، وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الميت يسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا من دفنه، وقد ثبت عن النبي ﷺ في حديثٍ حسنٍ أنه كان إذا دفن الميت وقف عليه وقال: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّه الآنَ يُسْأَلُ**»، فيستحبّ إذا دفن الميت أن يقف الإنسان على قبره، ويقول: اللّهم ثبّته، اللّهم ثبّته، اللّهم ثبّته، اللّهم اغفر له، اللّهم اغفر له، اللّهم اغفر له.



## ٩٦- وداع الصَّاحب ووصيَّته

الإنسان إذا سافر، فينبغي لذويه وأقاربه وأصحابه أن يودّعوه، وأن يوصوه بتقوى الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وذلك أن الإنسان يحتاج إلى من يساعده ويعينه، لا سيما عند السفر، لأن السفر فيما سبق من الزمان لما كانت الأسفار بعيدة، على الدوابّ والأقدام، فالناس يحتاجون إلى وصية، وإلى تثبيت، وإلى إعانة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢]. يعني: وصّى بهذه الوصية، وهي أن يسلِموا لله ظاهراً وباطناً، فإسلام الظاهر يكون بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والإسلام الباطن يكون بالإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. يعني أن إبراهيم ويعقوب كلًّا منهما وصّى بها بنيه قائلًا: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾، ولا ترتدّوا عنه.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، وهذا غاية التوحيد، وهو من نصح يعقوب عليه السلام لبنيه حيث أراد أن يعرف حالهم قبل أن يفارق الدنيا، أما إبراهيم فهو أبوه يعني جده، وإسحاق أبوه من صلبة، وأما إسماعيل فهو عمّه، لكن أطلق عليه لفظ الآباء من باب التغليب لأن العم صنو الأب.



**[٧١٢]** حديث زيد بن أرقم ﷺ الذي سبق في باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ قال: قَامَ رَسُولُ الله ﷺ فِينَا خَطِيبًا، فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ، أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». رواه مسلم.

**[٧١٣]** وعن أبي سليمان مالك بن الحُوَيْرِثِ ﷺ قال: أَتَيْنَا رَسُولَ الله ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ، وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا فِي حِيْنِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

زاد البخاري في رواية له: «**وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»، وكان هذا في عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة، وكانوا شباباً، جاؤوا من أجل أن يتفقّهوا في دين الله.

من فوائد الحديث: أن الإنسان مأمور بأن يعلّم أهله، ولهذا قال: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ**»، وعلّموهم ما تعلّمتُموه من رسول الله ﷺ. ومنها: وجوب صلاة الجماعة لقوله: «**وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»، واللام هنا للأمر. ومنها: أن صلاة الجماعة واجبة على المسافرين كما هي واجبة على المقيمين في المساجد.

بعض العامة إذا قلت له: صلّ، قال: أنا مسافر، والمسافر ما عليه صلاة جماعة! هذا خطأ، فأنت وأهل البلد سواء. ومنها: تقديم الكبير في الإمامة لقوله: «**وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**»، وهذا لا ينافي قوله: «**يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ**»، لأن هؤلاء الشباب وفدوا في وقت واحد، ولا فرق بينهم في قراءة القرآن، وليس بعضهم أقرأ من بعض، فهم متساوون في

القراءة أو متقاربون، فإذا تساووا فإنه يرجع إلى الأكبر سناً. ومن فوائده: أن النبي ﷺ كان يعلّم الناس بالقول وبالفعل.



**[٧١٤]** وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي العُمْرَةِ، فَأَذِنَ، وَقَالَ: «**لَا تَنْسَانَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ**»، فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا. وفي رواية قَالَ: «**أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

هذا الحديث أخرجه الترمذي، وقال إنه حديث حسن صحيح، ولكن الحقيقة أنه ضعيف، وأنه لا يصح عن النبي ﷺ، وطلب الدعاء من الغير لصالح المسلمين جميعاً فهذا لا بأس به، فإذا طلبت من شخص صالح مرجو الإجابة شيئاً عاماً للمسلمين فهذا لا بأس به، لأنك لم تسأل لنفسك، مثال ذلك: لو أن رجلاً جاء إليك يطلب منك الشفاعة لتغيث رجلاً ملهوفاً أو تقضي عنه دينه، أو ترفع الظلم عن رجل ضعيف من المسلمين، فإن هذا لا بأس به، لأن المصلحة لغيره، أما أن يطلب الدعاء من الغير لمصلحة نفسه هو، فهذا أجازه بعض العلماء، وقال لا بأس أن تطلب من الرجل الصالح أن يدعو لك، لكن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال لا ينبغي، إذا كان قصدك مصلحة نفسك فقط، لأن النبي ﷺ بايع أصحابه ألا يسألوا الناس شيئاً، وكذلك لأنه ربما يعتمد هذا السائل الذي سأل غيره أن يدعو له على دعاء هذا الغير، وينسى أن يدعو هو لنفسه، فيعتمد على غيره، وربما يلحق المسؤول غرور في نفسه، وأنه رجل صالح يطمع الناس إلى دعائه، وعلى كل حال فإن هذا الأمر مختلَف فيه، فمن العلماء من قال: جائز، ومنهم من قال: لا، والأحسن ألّا تطلب ذلك، لأنه ربما يمنّ عليك بهذا، وربما تذلّ أمامه بسؤالك، ثم إنه؛ من الذي يحول بينك وبين ربك؟ ادع الله بنفسك، لماذا تذهب تفتقر إلى غيرك وتقول: ادع الله لي؟ وأنت ليس بينك وبين ربك وساطة؟

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

**[٧١٥]** وعن سالم بن عبد الله بن عمر: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، كَانَ يَقُولُ لِلرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا: ادْنُ مِنِّي حَتَّى أُوَدِّعَكَ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

**[٧١٦]** وعن عبد الله بن يزيد الخطْمِيِّ الصحابيِّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يودع الجيش، قال: «**أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ، وَأَمَانَتَكُمْ، وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ**». رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

**[٧١٧]** وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: «**زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى**»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «**وَغَفَرَ ذَنْبَكَ**»، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «**وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.





## ٩٧-الاستخارة والمشاورة

الاستخارة مع الله، والمشاورة مع أهل الرأي والصلاح، وذلك أن الإنسان عنده قصور أو تقصير، والإنسان خلق ضعيفاً، فقد تشكل عليه الأمور، وقد يتردد فيها، فماذا يصنع؟

لنفرض أنه همّ بسفر وتردّد، هل هو خير أم شر؟ أو همّ أن يشتري سيارة أو بيتاً، أو أن يصاهر رجلاً يتزوج ابنته، أو ما أشبه ذلك، ولكنه متردد، فماذا يصنع؟ نقول: هناك طريقتان: الطريقة الأولى: استخارة رب العالمين، الذي يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون. الطريقة الثانية: استشارة أهل الرأي والصلاح والأمانة، لقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وهذا خطاب للنبي ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ﴾. وكان النبي ﷺ، وهو أصوب الناس رأياً، يستشير أصحابه في بعض الأمور، وكذلك خلفاؤه من بعده.

ولا بد من شرطين فيمن تستشيره: أن يكون ذا رأي، وخبرة في الأمور، وتأنّ، وتجربة، وعدم تسرع، وأن يكون صالحاً في دينه، حتى وإن كان ذكياً وعاقلاً ومحنكاً في الأمور، فإذا لم يكن صالحاً في دينه فلا خير فيه، وليس أهلاً لأن يكون من أهل المشورة، لأنه ربما يخون، ولنفرض أنه رجل من أهل الفسق والمجون والفجور، فلا يجوز أن تستشيره، لأن هذا يوقعك في هلاك، كذلك لو كان رجلاً صالحاً في دينه أميناً لكنه مغفل، أو متسرع لا خبرة له، يأخذ الأمور بظواهرها.

وقال الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨]. يعني أمرهم المشترك الذي هو للجميع كالجهاد مثلاً، فإذا أراد وليّ الأمر أن يجاهد أو أن يفعل شيئاً عاماً للمسلمين فإنه يشاورهم.



**[٧١٨]** وعن جابر ﵁ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ، فَلْيَركعْ ركْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيْمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي**»، أَوْ قَالَ: «**عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هٰذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي**»، أَوْ قَالَ: «**عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ؛ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ**»، قَالَ: «**وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ**». رواه البخاري.

وورد في بعض الآثار: ما ندم من استخار الله وشاور المخلوقين، وفي كلام الحكمة: أن الناس ثلاثة: رجل، ونصف رجل، ولا رجل؛ فالرجل من كان له رأي ويستشير، ونصف الرجل من كان له رأي ولا يستشير أو ليس له رأي ويستشير، ولا رجل من لا رأي له ولا يتشير. وقد يسأل سائل: كيف تكون المشورة؟ المشورة تكون إذا حدث له أمر يتردد فيه، جمع الإمام أو أي إنسان من يرى أنهم أهل للمشورة واستشارهم، أما الاستخارة فهي مع الله ﷻ، يستخير الإنسان ربه إذا همّ بأمر وهو لا يدري عاقبته، ولا يدري مستقبله.

والاستخارة معناها طلب خير الأمرين، وقد أرشد النبي ﷺ إلى ذلك؛ بأن يصلي الإنسان ركعتين من غير الفريضة، في غير وقت النهي، ثم يسلّم، وإذا سلَم يقول هذا الحديث المذكور، ثم بعد ذلك يأخذ بما ينشرح به صدره، فإن لم ينشرح صدره لشيء، وبقي متردداً، أعاد الاستخارة مرة ثانية وثالثة، فإذا لم يتبين له شيء بعد الاستخارة، فإنه يشاور أهل الرأي والصلاح، وما أشير عليه به.

وقد اختلف العلماء، هل المقدَّم المشورة أو الاستخارة؟ والصحيح أن المقدم الاستخارة، لقول النبي ﷺ: «**إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ**»، ثم إذا كررتها ثلاث مرات ولم يتبين لك الأمر فاستشر، ثم ما أشير عليك به فخذ به، وإنما قلنا: إنه يستخير ثلاث مرات، لأن من عادة النبي ﷺ أنه إذا دعا دعا ثلاثاً، والاستخارة دعاء، وقد لا يتبين للإنسان خير الأمرين من أول مرة، بل قد يتبين في الثانية أو في الثالثة، وإذا لم يتبين فليستشر.



# ٩٨- الذَّهاب إلى العِيد

**[٧١٩]** عن جابر رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يَوْمُ عِيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاري.

خَالَفَ الطَّرِيقَ: ذَهَبَ فِي طَرِيقٍ، وَرَجَعَ فِي طَرِيقٍ آخَرَ. وهذا ثابت عن النبي ﷺ في العيدين كما رواه جابر رضي الله عنه، واختلف العلماء لِمَ كان رسول الله ﷺ يصنع ذلك؟ فقيل: ليشهد له الطريقان يوم القيامة، لأن الأرض يوم القيامة تشهد على ما عمل فيها من خير وشر، كما قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾، تشهد الأرض فتقول عمل عليّ فلان كذا، وعمل عليّ فلان كذا، فإذا ذهب من طريق ورجع من آخر شهد له الطريقان بأنه أدى صلاة العيد، وقيل: من أجل إظهار شعيرة العيد، حتى تكتظ الأسواق هنا وهناك، تجد هذا يخرج من هذا الطريق وهذا من هذا، فإذا انتشر الناس في طرق المدينة صار في هذا إظهار لهذه الشعيرة، والدليل على ذلك أن الناس يؤمرون بالخروج إلى الصحراء إظهاراً لذلك وإعلاناً له، وبعضهم قال إنما خالف الطريق من أجل المساكين الذين يكونون في الأسواق، قد يكون في هذا الطريق ما ليس في هذا، فيتصدّق على هؤلاء وهؤلاء، ولكن الأقرب أنه من أجل إظهار تلك الشعيرة.

ثم اختلف العلماء رحمهم الله: هل يلحق في ذلك صلاة الجمعة؟ قالوا: نعم، فيأتي إلى الجمعة من طريق ويرجع من طريق آخر، ثم توسّع بعض العلماء وقالوا: يُشرع ذلك أيضاً في الصلوات الخمس، فيأتي مثلاً في صلاة الظهر من طريق ويرجع من طريق آخر، وهكذا صلاة العصر وبقية الصلوات، وتوسّع آخرون فقالوا: تشرع مخالفة الطريق في كل عبادة، حتى عيادة المريض، فإذا عدت مريضاً فاذهب إليه من طريق وارجع من طريق آخر، وكذلك إذا شيعت جنازة فاذهب من طريق وارجع من طريق آخر، وكل هذه الأقيسة الثلاثة كلها ضعيفة.



**[٧٢٠]** وعن ابن عمر ﭬ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ، وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ، وَإِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا، وَخَرَجَ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَى. مُتَّفقٌ عَلَيْهِ.

الثنية العليا والسفلى: أسماء مواقع.

هذا في الحج، فإن الرسول ﷺ خالف الطريق في دخوله إلى مكة؛ دخل من أعلاها وخرج من أسفلها، وكذلك في ذهابه إلى عَرَفَة؛ ذهب من طريق ورجع من طريق آخر، واختلف العلماء أيضاً في هذه المسألة، هل كان النبي ﷺ فعل ذلك على سبيل التعبّد، أو لأنه أسهل لدخوله وخروجه؟ فمن من العلماء قال بالأول، ومنهم من قال: إن هذا حسب تيسر الطريق، فاسلك المتيسر سواء من الأعلى أو من الأسفل، كما هو الواقع في وقتنا الحاضر، حيث إن الطرق قد وجهت توجيهاً واحداً.





# ٩٩- تقدِيمُ اليَمِين

كَالوُضُوءِ، وَالغُسْلِ، وَالتَّيَمُّمِ، وَلُبْسِ الثَّوْبِ وَالنَّعْلِ وَالخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ، وَدُخُولِ المَسْجِدِ، وَالسِّوَاكِ، وَالاكْتِحَالِ، وَتَقْلِيمِ الأَظْفَارِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَنَتْفِ الإِبْطِ، وَحَلْقِ الرَّأْسِ، وَالسَّلَامِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالأَكْلِ، وَالشُّرْبِ، وَالمُصَافحَةِ، وَاسْتِلَامِ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، وَالخُرُوجِ مِنَ الخَلَاءِ، وَالأَخْذِ وَالعَطَاءِ، وَيُسْتَحَبُّ تَقْدِيمُ اليَسَارِ فِي ضِدِّ ذٰلِكَ، كَالامْتِخَاطِ وَالبُصَاقِ عَنِ اليَسَارِ، وَدُخولِ الخَلَاءِ، وَالخُرُوجِ مِنَ المَسْجِدِ، وَخَلْعِ الخُفِّ وَالنَّعْلِ وَالسَّرَاوِيلِ وَالثَّوْبِ، وَالاسْتِنْجَاءِ، وَفِعْلِ المُسْتَقْذَرَاتِ وَأَشْبَاه ذٰلِكَ.

والجامع لهذا أنه يُستحبّ تقديم اليمين في كل ما هو من باب التطييب والتكريم، وتقديم اليسرى في كل ما هو من باب الإهانة والاستقذار.

فالوضوء مثلاً يبتدئ فيه الإنسان باليد اليمنى قبل اليد اليسرى، وبالرجل اليمنى قبل الرجل اليسرى، هذا إذا كانا عضوين متميزين، أما إذا كان عضواً واحداً كالوجه مثلاً، فإننا لا نقول ابدأ بيمين الوجه قبل يساره، بل يغسل الوجه مرة واحدة، كما جاءت به السنة، ولو فرض أن الإنسان لا يستطيع أن يغسل وجهه إلا بيد واحدة فهنا يبدأ باليمين، وكذلك الأذنين يمسحان جميعاً، إلا إذا كان الإنسان لا يستطيع أن يمسح بيديه جميعاً فيبدأ باليمنى قبل اليسرى، وكذلك في الغسل إذا أراد الإنسان أن يغتسل من الجنابة، فإنه يتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يفيض الماء على رأسه ثلاث مرات حتى يروي، ثم يغسل سائر جسده، ويبدأ بالشق الأيمن منه قبل الأيسر، لقول النبي ﷺ للنساء اللاتي كن يغسلن ابنته: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنْهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهُ**».

ولكن التّيمّم، جاءت السنّة أن الإنسان يمسح وجهه بيديه جميعاً، ثم يمسح كل واحدة بالأخرى، فلا يظهر فيها التيامن، لأن التيمم في عضوين فقط، في الوجه والكفين،

فالوجه يمسح مرة واحدة، والكفان يمسح بعضهما ببعض، كذلك لبس الثوب والنعل والخف والسراويل كل هذه يبدأ فيها باليمين، وكذلك دخول المسجد تبدأ بالرجل اليمنى قبل الرجل اليسرى، كذلك تقليم الأظفار، ونتف الإبط وحلق الرأس، وكذلك أيضاً السلام من الصلاة، والأكل والشرب فيأكل بيمينه ويشرب بيمينه، لكن الشيطان يزيّن للناس الأكل بالشمال والشرب بالشمال، وربما بعض الناس يظن أن هذا تقدم وحضارة، لأن الغربيين يقدمون اليسار، ولهذا يجب على الإنسان أن يأكل باليمين وأن يشرب باليمين إلا للضرورة، ويجب علينا أن نعلّم أولادنا الصغار أن يأكلوا باليمين ويشربوا باليمين، كذلك المصافحة، فإن مدّ إليك يده اليسرى للمصافحة فلا تصافحه، إلا إذا كانت اليد اليمنى شلاء فهذا عذر.

وقد نهى النبي ﷺ أن يستنجئ الرجل بيمينه، لأن اليمين محل الإكرام ويؤكل بها ويشرب بها، فينبغي إبعادها عن القاذورات، وكذلك كل شيء مستقذر، فإنه يكون باليد اليسرى، وأما اليمنى فهي لما يكون فيه الإكرام، واعلم أن الناس حينما ظهرت الساعات صاروا يلبسونها باليد اليسار، من أجل أن تبقى اليد اليمنى طليقه، وقد ظن بعض الناس أن الأفضل جعلها في اليمين بناء على تقديم اليد اليمنى، ولكن هذا ظن ليس مبنياً على صواب، لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يتختم بيمينه ويتختم أحياناً بيساره.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩]. كما نشاهد الآن؛ الطالب إذا أخذ ورقة النجاح صار يريها أصدقاءه وأقاربه فرحاً بها. ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾، فإنه على العكس من ذلك.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ [الواقعة: ٨- ٩].

الناس يكونون يوم القيامة ثلاثة أقسام: فالسّابقون هم المقرّبون، وأصحاب الميمنة ناجون، وأصحاب المشأمة هالكون. وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة:٢٥]، أي: تُلوَى يده اليسرى خلف ظهره، ثم يُعطى كتابه.

**[٧٢١]** عن عائشة ﵂ قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، فِي طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٧٢٢]** وعنها قالت: كَانَتْ يَدُ رَسُولِ الله ﷺ اليُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ يَدُهُ الْيُسْرَى لِخَلَائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى. رواه أبو داود وغيره بإسنادٍ صحيحٍ.

**[٧٢٣]** وعن أم عطية ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُنَّ فِي غَسْلِ ابْنَتِهِ زَيْنَبَ ﵂: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والشاهد من هذا قوله: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا**».

كما أن المرأة لا يغسلها إلا نساء، حتى أبوها لا يغسلها، ولا ابنها، ولا أحد من محارمها، إلا النساء أو الزوج، والرجل لا يغسله إلا رجل، فلا تغسله أمه، ولا بنته، ولا أحد من النساء إلا زوجته، وما سوى ذلك لا يغسل الذكر الأنثى ولا الأنثى الذكر.

**[٧٢٤]** وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَى، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدأْ بِالشِّمَالِ، لِتكُنْ اليُمْنَى أَوَّلَهُمَا تُنْعَلُ، وَآخِرُهُمَا تُنْزَعُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٧٢٥]** وعن حفصة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَجْعَلُ يَمِينَهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ لِمَا سِوَى ذٰلِكَ. رواه أبو داود وغيره.

**[٧٢٦]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَؤُوا بِأَيَامِنِكُمْ**». رواه أبو داود والترمذي.

**[٧٢٧]** وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى مِنًى، فَأَتَى الجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَى مَنْزِلَهُ بِمِنًى وَنَحرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ: «**خُذْ**»، وَأَشَارَ إِلَى جَانِبِهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ الأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية: لَمَّا رَمَى الجَمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ وَحَلَقَ، نَاوَلَ الحَلَّاقَ شِقَّهُ الأَيْمَنَ فَحَلَقَهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأَيْسَرَ، فَقَالَ: «**احْلِقْ**»، فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فَقَالَ: «**اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ**»، من أجل التبرّك به، ولا يجوز هذا مع غير النبي ﷺ.





## ١٠٠- التَّسمِية في أوَّل الطعام والحَمد في آخِرِه

**[٧٢٨]** عن عمر بن أبي سَلمة رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذه ثلاثة آداب في الأكل، علمها النبي ﷺ هذا الغلام:

أولاً: «**سَمِّ اللهَ**»، قل: بسم الله، فإن قال بسم الله الرحمن الرحيم فلا حرج، وإن اقتصر على بسم الله كفى، والتسمية على الأكل واجبة، إذا تركها الإنسان فإنه يأثم، ويشاركه الشيطان في أكله، فإن نسيت أن تسمّي في أوله، وذكرت في أثنائه، فقل: بسم الله أوله وآخره.

ثانياً: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»: الأكل باليمين واجب، ومن أكل بشماله فهو آثم عاصٍ للرسول ﷺ، ومن عصى الرسول فقد عصى الله، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله.

ثالثاً: «**كُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»: يعني إذا كان معك مشارك فلا تأكل من جهته، فإن هذا سوء أدب. قال العلماء: إلا أن يكون الطعام أنواعاً فلا بأس أن تتخطّى يدك إلى هذا النوع أو ذاك، وكذلك لو كنت تأكل وحدك فلا حرج، لأنك لا تؤذي أحداً في ذلك، لكن لا تأكل من أعلى الصحفة، لأن البركة تنزل في أعلاها، ولكن كل من الجوانب، وفي هذا الحديث دليل على أنه ينبغي لنا أن نعلّم الصبيان آداب الأكل والشرب، وكذلك آداب النوم، فضلاً عن الأمور الأخرى كالصلاة وغيرها.



**[٧٢٩]** وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَى، فَإِنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



**[٧٣٠]** وعن جابرٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لِأَصْحَابِهِ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ؛ وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُم المَبِيتَ وَالعَشَاءَ**». رواه مسلم.

وذِكْرُ الله تعالى عند دخول البيت أن يقول: بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، اللهم إني أسألك خير المولج، وأسألك خير المخرج. هذا الذكر عند دخول المنزل سواء في الليل أو في النهار، وأما الذكر عند العشاء فأن يقول: بسم الله، فإذا ذكر الله عند دخوله البيت وذكر الله عند أكله عند العشاء قال الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ولا عشاء، لأن هذا البيت وهذا العشاء حُمي بذكر الله، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء.

**[٧٣١]** وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قال: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ طَعَامًا، لَمْ نَضَعْ أَيْدِينَا حَتَّى يَبْدَأَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ، وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَنْ لَا يُذْكَرَ اسْمُ الله تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بِهٰذِهِ الجَارِيَةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بِهٰذَا الأَعْرَابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدَيْهِمَا**»، ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ الله تَعَالَى وَأَكَلَ. رواه مسلم.

جارية: يعني طفلة صغيرة. كأنما تُدفع دفعاً، يعني: كأنها تركض، فأرادت أن تضع يدها في الطعام من دون أن تسمّي، فأمسك النبي يدها، ثم جاء أعرابي كذلك، فأمسك

يده، ثم أخبر النبي ﷺ أن هذا الأعرابي وهذه الجارية جاء بهما الشيطان لأجل أن يستحلّ الطعام بهما إذا أكلا من دون تسمية، وهما قد يكونان معذورين لجهلهما.

يستفاد من هذا الحديث: أن الإنسان إذا أتى في أثناء الطعام فليسمّ، ولا يقل سمّى الأولون قبلي، ولكن إذا كانوا جميعاً وبدؤوا بالطعام جميعاً، فهل يكفى تسمية الواحد؟ والجواب: إن كان الواحد سمّى سرًّا فإن تسميته لا تكفى، لأن الآخرين لم يسمعوها، وإن سمّى جهرًا ونوى عن الجميع، فقد يُقال إنها تكفي، وقد يقال الأفضل أن يسمّي كل إنسان لنفسه، وهذا أكمل وأحسن.

ومن فوائده: إذا جاء أحد يريد أن يأكل ولم تسمعه سمّى، فأمسك بيده حتى يسمّي، لأن النبي ﷺ أمسك بأيديهم ولم يقل سمّيا، حتى يكون في ذلك ذكرى لهم، يذكُرون هذه القصة ولا ينسون التسمية في المستقبل.



**[٧٣٢]** وعن أُمَيَّةَ بن مَخْشِيٍّ الصحابيِّ ﵁ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ جَالِسًا، وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ اللهَ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ، قَالَ: بِسْمِ الله أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسْمَ الله اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ**». رواه أبو داود والنسائي.

وهذه من نعمة الله سبحانه، أن الشيطان يُحرم أن يأكل معنا إذا سمّينا في أول الطعام، وكذلك إذا سمّينا في آخره، وقلنا بسم الله أوّله وآخره، فإن ما أكله يتقيّؤه. وفي الحديث دليل على أن الشيطان يأكل ويشرب، ويشارك الآكل والشارب إذا لم يسمّ الله تعالى على آكله وشربه.



**[٧٣٣]** وعن عائشة ﵂، قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ، فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى لَكَفَاكُمْ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وهذا يدل على أن الإنسان إذا لم يسمّ نزعت البركة من طعامه، لأن الشيطان يأكل معه فيكون الطعام الذي يظن أنه يكفيه لا يكفيه، لأن البركة تُنزع منه.

وبقية الأحاديث فيها دليل على أن الإنسان ينبغي له إذا أكل أكلاً أن يحمد الله ﷻ، وأن يقول: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، ومعنى هذا أنه لولا أن الله تعالى يسّر لك هذا الطعام ما حصل لك، ولهذا قال بعض العلماء: إن الطعام لا يصل إلى الإنسان ويقدّم إليه إلا وقد سبق ذلك نحو مائة نعمة من الله، ولكننا أكثر الأحيان في غفلة عن هذا.



**[٧٣٤]** وعن أبي أُمَامَة ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ، قَالَ: «**الحَمْدُ لله كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا**». رواه البخاري.

«**غَيْرَ مَكْفِيٍّ**»: أنه يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ. «**وَلَا مُسْتَغْنًى عَنْهُ رَبَّنَا**»: أن كل خلقه محتاجون إليه، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى الله والله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر:١٥].



**[٧٣٥]** وعن معاذ بن أنسٍ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ طَعَامًا، فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنِي هٰذَا الطَّعَامَ، وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ**»: أي حيلة وقوة.

قيل: أشار به إلى طريقَي تحصيل الطعام، فإن القوي يحصّله ظاهراً بقوّته، والضعيف بحيلته، فأشار به إلى أن حصول ذلك بمحض الفضل من الله تعالى.





## ١٠١ - لا يَعِيبُ الطَّعامَ

**[٧٣٦]** عن أبي هريرة ﵁ قال: مَا عَابَ رَسُولُ الله ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

مثال ذلك: رجل قدّم له تمراً، وكان التمر رديئاً، فلا يقل هذا تمر رديء، بل يُقال له: إن اشتهيته فكُلْ وإلا فلا تأكله، أما أن تعيبه، وهو نعمة أنعم الله بها عليك، فهذا لا يليق، كذلك إذا صنع طعام فقدّم إليه، ولكنه لم يعجبه فلا يعيبه.

**[٧٣٧]** وعن جابر ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ أَهْلَهُ الأُدْمَ، فَقَالُوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ، فَدَعَا بِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ، وَيَقُولُ: «**نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ**». رواه مسلم.





## ١٠٢ - ما يقوله مَن حضَر الطَّعامَ وهو صائمٌ

[٧٣٨] عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ**». رواه مسلم.

«**فَلْيُصَلِّ**»: فَلْيَدْعُ. «**فَلْيَطْعَمْ**»: فَلْيَأْكُلْ.

المراد بالصوم هنا صيام التطوع، فالإنسان إذا دُعي إلى الطعام فلا يكفي الحضور، بل يأكل، لأن الرجل الذي دعاك لم يصنع الطعام إلا ليؤكل، فقد تكلّف لك وصنع طعاماً ودعاك إليه، فإذا تركت الأكل، لزم من هذا أن يبقى طعامه لم يؤكل.

فمثلاً: لو دعا عشرة وصنع لهم طعاماً، ثم قاموا ولم يأكلوا لصار في ذلك مضيعة لماله، وصار في قلبه على الحاضرين شيء! لماذا لم يأكلوا طعامي؟

وإذا كان الداعي هو الزوج في وليمة العرس، فإن الواجب أن تجيبه إلى دعوته، ولا يحل لك أن تمتنع، لقول النبي ﷺ: «**مَنْ لَمْ يُجِبْ فَقَدْ عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ**»، يعني دعوة الوليمة.

أمّا غيرها من الدعوات فأنت بالخيار، مثل ذلك: لو أن إنساناً دعاك في طعام لأنه قدِم من سفر فأنت بالخيار، إن شئت فأجب وإن شئت فلا تجب، لكن الأفضل أن تجيب، وهذا الذي عليه جمهور العلماء، فقال بعض العلماء: يجب أن تجيب في دعوة الطعام في العرس وغيره، فإن كنت مفطراً فكُلْ، وإن كنت صائماً صوم تطوّع، فادعُ لصاحب الطعام، وأخبره بأنك صائم، حتى لا يكون في قلبه شيء، وإذا أفطرت وأكلت صار أطيب لقلبه.

أما البطاقات، فلا تجب الإجابة فيها، إلا إذا علمت أن الرجل أرسل إليك البطاقة بدعوة حقيقية، لأن كثيراً من البطاقات ترسل إلى الناس من باب المجاملة، ولا يهمّه حضرت أم لم تحضر، لكن إذا علمت أنه يهمّه أن تحضر لكونه قريباً لك أو صديقاً لك فأَجِبْ.



## ١٠٣ - مَن دُعِيَ إِلى طعام فتبِعَه غَيرُه

**[٧٣٩]** عن أبي مسعود البَدْرِيِّ ﵁ قال: دَعَا رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ هٰذَا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ**»، قَالَ: لَا، بَلْ آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني حدّد العدد بأنهم خمسة، فتبعهم رجل فكانوا ستة، فلما بلغ النبي ﷺ منزل الداعي، استأذن ﷺ للرجل السادس.

في هذا دليل على أنه يجوز للإنسان إذا دعا قوماً أن يحدد العدد ولا حرج في ذلك، وبعض الناس يقول: إنه إذا حدد العدد فإنه بخيل، ولكن يقال: قد يكون الإنسان قليل ذات اليد، لأجل أن يصنع الطعام الذي لا يزيد عن كفايتهم، ولا سيما في مكان يكون فيه عامة الناس فقراء، أما الأغنياء فلا يحددون.

وفيه أيضاً: دليل على جواز اتّباع الرجل للمدعوين لعلّه يحصل على طعام.

وفيه أيضاً: دليل على أنه إذا جاء مع الإنسان من لم يُدع فإنه يُستأذن له، خصوصاً إذا كنت تظن أن صاحب البيت دعاك لغرض خاص لا يحبّ أن يطلع عليه أحد.

وفيه أيضاً: دليل على أنه لا حرج على صاحب البيت إذا لم يأذن، ودل على أنه بالخيار؛ إن شاء أذن، وإن شاء قال ارجع.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾.

فلا يكن في صدرك حرج إذا استأذنت على شخص وقال ارجع أنا الآن مشغول، خلافاً لبعض الناس؛ إذا استأذن على إنسان وقال له: ارجع أنا مشغول، صار في قلبه شيء، لأن الناس لهم حاجات خاصة في بيوتهم، وقد يكون لهم تعلّقات بأناس آخرين أهمّ، فإذا قال لك الآن عندي شغل فارجع، ارجع بكل راحة وطمأنينة، لأن هذا هو الشرع.





# ١٠٤- الأكل ممَّا يَليه

**[٧٤٠]** عن عمر بن أبي سَلمَة ﷺ، قال: كُنْتُ غُلَامًا فِي حِجْرِ رَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ تَعَالَى، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٧٤١]** وعن سلمةَ بن الأَكْوَع ﷺ: أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»! مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ! فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. رواه مسلم.

قوله: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، يعني دعا عليه أن يعجز أن يرفع يده اليمنى إلى فمه، لأنه ما منعه إلا الكبر، فلم يرفعها بعد ذلك. وأياً كان، فإن دعاء الرسول عليه بهذه الدعوة التي أوجبت أن تنشلّ يده، دليل على أن الأكل بالشمال حرام، فأنت الآن أمامك هدي النبي ﷺ وهدي الشيطان، فهل تأخذ بهدي الرسول أو بهدي الشيطان؟ فاختر أي الطريقين شئت. ولهذا كان أولياء الشيطان من اليهود والنصارى لا يعرفون الأكل ولا الشرب إلا بالشمال، فإيّاك أن تكون مثلهم، والرسول ما يتكلّم من عند نفسه، بل يتكلّم لأنه رسول رب العالمين.

## ١٠٥- القِرانُ بين تمرَتيْن

**[٧٤٢]** عن جَبلَة بن سُحَيْم قال: أَصَابَنَا عَامُ سَنَةٍ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ؛ فَرُزِقْنَا تَمْرًا، وَكَانَ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ ﷺ يَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ نَأْكُلُ، فَيَقُولُ: لَا تُقَارِنُوا، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الإِقْرَانِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِلَّا أَنْ يَسْتَأْذِنَ الرَّجُلُ أَخَاهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لَا تُقَارِنُوا: لا تأكل حبّتين أو أكثر في وقت واحد.

فمثلاً: الشيء الذي جرت العادة به، أن يأكل واحدة واحدة، إما تمراً أو عنباً أو غير ذلك، أمّا إذا كان معك جماعة فلا تأكل تمرتين معاً، لأن هذا يضرّ بإخوانك الذين معك، فلا تأكل أكثر منهم، إلا إذا استأذنت وقلت تأذنون لي أن آكل تمرتين في آن واحد، فإن أذنوا لك فلا بأس.

وكذلك ما جاء في العادة بأنه يؤكل أفراداً، كبعض الفواكه الصغيرة التي يلتقطها الناس حبة حبة ويأكلونها، فإن الإنسان لا يجمع بين اثنتين، مخافة أن يأكل أكثر مما يأكل صاحبه، أما إذا كان الإنسان وحده فلا بأس أن يأكل الحبتين، لأنه لا يضرّ بذلك أحداً.





## ١٠٦ - ما يَقوله ويَفعله مَن يأكل ولا يَشبع

**[٧٤٣]** عن وَحْشِيِّ بن حرب ﵁ أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا نَأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ؟ قَالَ: «**فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ**»، قالوا: نَعَمْ، قال: «**فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ**». رواه أبو داود.

زاد الطبراني من حديث ابن عمر: «**فَإِنَّ طَعَامَ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامَ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ**».

أما الذي يأكل ولا يشبع، ولذلك أسباب منها: أنه لا يسمّي الله على الطعام، فيأكل الشيطان معه.

ومنها: أن يأكل من أعلى الصحفة، فإن ذلك مما ينزع البركة من الصحفة، فيأكل من الجوانب.

ومنها: التفرّق على الطعام، بأن كل واحد يجعل له إناء خاص، فإن هذا من أسباب نزع البركة، وهذا يدل على أنه ينبغي للجماعة أن يكون طعامهم في إناء واحد، ولو كانوا عشرة.





## ١٠٧- الأكل من جانب القَصْعَة

**[٧٤٤]** عن ابن عباس ﭭ، عن النبي ﷺ قال: «**البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**[٧٤٥]** وعن عبد الله بن بُسْرٍ ﭬ قال: كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الغَرَّاءُ، يَحْمِلُهَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ؛ فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ، وَقَدْ ثُرِدَ فِيهَا، فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هٰذِهِ الجِلْسَةُ؟ قَالَ رُسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَهَا يُبَارَكْ فِيهِ**». رواه أبو داود بإسنادٍ جيّد.

ذِرْوَتَها: أعلاها. الغَرَّاءُ: سميت غراء لبياضها بالألية والشحم أو لبياضها باللّبن.

جَثَا: قعد على ركبتيه، وفيه: استحباب هذه الجلسة عند ضيق المجلس.

وينبغي للناس أن يأكلوا من حواف القصعة، يعني من جوانبها لا من وسطها ولا من أعلاها، وإذا كان معه جماعة فليأكل مما يليه ولا يأكل مما يلي غيره، إلا إذا كان الطعام أنواعاً، وكان نوع منه في الوسط، وأراد أن يأخذ منه شيئاً فلا بأس، مثل أن يوضع اللحم في وسط الصحفة، فإنه لا بأس أن تأكل من اللحم ولو كان في وسطها، لأنه ليس له نظير في جوانبها.

وفيه دليل على استحباب ركعتي الضحى، لقوله: فَلَمَّا أَضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَى، أي لما صلوا صلاة الضحى، وصلاة الضحى سُنَة، ووقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح، يعني من ربع ساعة من طلوع الشمس إلى قُبيل الزوال، يعني إلى أن يبقى على الظهر عشر دقائق، كل هذا وقت لها، ينبغي للإنسان أن يحافظ عليها، لأنها تغني عن الصدقات التي تصبح على كل عضو من أعضاء البدن، كما أخبر النبي ﷺ.





## ١٠٨- الأكلُ مُتَّكِئًا

**[٧٤٦]** عن أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْبِ بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا آكُلُ مُتَّكِئًا**». رواه البخاري.

الأكل ينقسم بالنسبة للجلوس له إلى قسمين: قسم منهيٌّ عنه، وهو ما يجب الحديث عنه، وهو أن يأكل الإنسان متكئاً إما على اليد اليمنى أو على اليد اليسرى، وذلك لأن الاتكاء يدل على غطرسة وكبرياء.

**[٧٤٧]** وعن أنس ﷺ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جَالِسًا مُقْعِيًا يَأْكُلُ تَمْرًا. رواه مسلم.

المُقْعِي: هُوَ الَّذِي يُلْصِقُ أَلْيَتَيْهِ بِالأَرْضِ، وَيَنْصِبُ سَاقَيْهِ، لأن الغالب أن الإنسان إذ كان مقعياً لا يكون مطمئناً في الجلوس فلا يأكل كثيراً، وإذا كان مطمئناً فإنه يأكل كثيراً، هذا هو الغالب، لكن من أسباب تقليل الأكل ألا يستقر الإنسان في جلسته، وألا يكون مطمئناً الطمأنينة الكاملة، ولكن أحسن ما يكون ألا تجلس جلسة الإنسان المطمئن المستقر، لئلا يكون ذلك سبباً لإكثار الطعام، والأفضل أن يجعل الإنسان ثلثاً للأكل، وثلثاً للشراب، وثلثاً للنَّفَس، هذا أصح ما يكون في الغذاء، فإن تيسر فهذا هو المطلوب، ولا بأس أن يشبع الإنسان أحياناً.





## ١٠٩- الأكل بثلاث أصابع ولَعْقها

**[٧٤٨]** عن ابن عباس ﵄، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ حَتَّى يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٧٤٩]** وعن كعب بن مالك ﵁، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْكُلُ بِثَلَاثِ أَصَابِعَ، فَإِذَا فَرَغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم.

ينبغي للإنسان أن يأكل بثلاثة أصابع الوسطى والسبابة والإبهام، لأن ذلك دليل على عدم الشّره وأدلّ على التواضع، أما الطعام الذي لا يكفى فيه ثلاثة أصابع مثل الأرز فلا بأس بأن تأكل بأكثر.

كما ينبغي للإنسان إذا انتهى من الطعام أن يلعق أصابعه قبل أن يمسحها بالمنديل، أو يلعقها غيره، وقول بعض الناس: إن هذا لا يمكن أن يقوله النبي ﷺ، لأنه كيف يلعق الإنسان أصابع غيره؟ نقول إن النبي ﷺ لا يقول إلا حقاً، ولا يمكن أن يقول شيئاً لا يمكن، فالأمر في هذا ممكن جداً، وحتى لا نقول هذا إجبار للناس على شيء يشق عليهم، العقها أنت، فإنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة، قد تكون البركة ونفع الطعام الكثير بهذا الجزء الذي تلعقه من أصابعك، حتى إنه ذكر لي بعض الناس عن بعض الأطباء، أن الأنامل تفرز إفرازات عند الطعام تعين على هضم الطعام في المعدة، فإن حصلت لنا هذه الفائدة حصلت، وإن لم تحصل فلا يهمّنا، الذي يهمّنا امتثال أمر النبي ﷺ.



**[٧٥٠]** وعن جابر ﵁ أن رسول الله ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وقال: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ**». رواه مسلم.

كما ينبغي للإنسان أن يلعق الصحن أو القدر أو الإناء الذي فيه الطعام، إذا انتهيت فالحس حافته، كما أمر بهذا النبي ﷺ، فإنك لا تدري في أي طعامك البركة، ومع الأسف أن الناس يتفرقون عن الطعام من دون تنفيذ هذه السنة، فتجد حافات الآنية عليها الطعام كما هي، والسبب في هذا الجهل بالسنة.

**[٧٥١]** وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ، فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بِالْمِنْدِيل حَتَّى يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ**». رواه مسلم.

وينبغي على الإنسان إذا سقطت منه اللقمة أن لا يتركها، وإذا كان فيها أذى يمسحه، لأن الإنسان ليس مجبراً أن يأكل شيئاً لا يشتهيه، كأن يكون فيها تراب أو ما أشبه، امسحه ثم كلها، لماذا؟ لأن النبي ﷺ قال: «**وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ**»، لأن الشيطان يحضر ابن آدم في كل شؤونه، فهو يشارك أهل الغفلة، ويترقب اللقمة إذا سقطت على الأرض، فإن تركتها أكلها، فضيق عليه في ذلك أيضاً.



**[٧٥٢]** وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ، حَتَّى يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًى، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، فَإِذَا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ الْبَرَكَةُ**». رواه مسلم.



**[٧٥٣]** وعن أنسٍ ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، وقال: «**إِذَا سقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الأَذَى، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلْشَّيْطَانِ**»، وَأَمَرَنَا أَن نَسْلُتَ القَصْعَةَ، وَقَالَ: «**إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ**». رواه مسلم.



**[٧٥٤]** وعن سعيد بن الحارث: أَنَّهُ سَأَلَ جَابِرًا ﷺ، عَنِ الوُضُوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ، فَقَالَ: لَا، قَدْ كُنَّا زَمَنَ النَّبِيِّ ﷺ لَا نَجِدُ مِثْلَ ذٰلِكَ مِنَ الطَّعَامِ إِلَّا قَلِيلًا، فَإِذَا نَحْنُ وَجَدْنَاهُ، لَمْ يَكُنْ لَنَا مَنَادِيلُ إِلَّا أَكُفَّنَا، وَسَوَاعِدَنَا، وَأَقْدَامَنَا، ثُمَّ نُصَلِّي وَلَا نَتَوَضَّأُ. رواه البخاري.

أما الوضوء من الطعام المطبوخ الذي مسّته النار، كالخبز والأرز وغيرها، هل يتوضأ الإنسان إذا أكله أم لا؟ قال بعض العلماء إنه يجب، ولكن الصحيح أنه لا يجب، كما أن النبي ﷺ سئل: أنتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «**نَعَمْ**». قال: نتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «**إِنْ شِئْتَ**».



## ١١٠ - تكثير الأيدي على الطَّعام

**[٧٥٥]**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**». مُتَّفَق عَلَيْهِ.



**[٧٥٦]** وعن جابر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**». رواه مسلم.

يعني: إذا اجتمعوا كفاهم.

وعند الطبراني، عن ابن عمر، بلفظ: «**طَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ، فَاجْتَمِعُوا عَلَيْهِ وَلَا تَفَرَّقُوا**».



## ١١١ - آداب الشُّرب والتَّنفس ثلاثًا خارجَ الإِناء

**[٧٥٧]** عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلَاثًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ولله سبحانه على عباده نِعَمٌ لا تحصى، فمَن حُرمها وذاق الجوع وذاق العطش؛ عرف نعمة الله، فإذا أكل أو شرب يقول: بسم الله، ومنها أن يتنفس في الشرب ثلاثاً. كيف يتنفس في الشراب ثلاثاً؟ يعني يشرب، ثم يفصل الإناء عن فمه، والحكمة من ذلك؛ أن النَّفَس في الإناء مستقذر على من يشرب من بعده، وربما تخرج من النفس أمراض وميكروبات قد تلتصق بالإناء. وقد أخبر النبي ﷺ بأن هذا أهنأ، وأبرأ، وأمرأ؛ أهنأ لأنه يشرب بمهلة، وأبرأ: يعني من العطش، وأسلم من المرض، ووَجْه ذلك أن العطش عبارة عن حرارة المعدة لقلّة الماء، فإذا جاءها الماء دفعة واحدة ربما يضرّ، ولهذا ينبغي أيضاً إذا شرب أن يمصّ الماء مصًّا لا يعبّه عبًّا، فيأخذ جرعات كبيرة، ويجوز بنَفَس واحد كما ورد في بعض الروايات، إذا أبعد فمه عن الإناء.

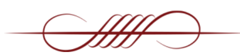


**[٧٥٨]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ البَعِيرِ، وَلٰكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُمْ شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

النهي عن الشرب من نفس واحد للتنزيه.

قال عمر بن عبد العزيز: إنما نهي عن التنفس داخل الإناء، أما من لم يتنفس فإن شاء فليشرب بنفسٍ واحد.

وفي الحديث: الأمر بالتسمية عند الشراب، والحمد عند الفراغ.



**[٧٥٩]** وعن أبي قَتَادَة ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَاءِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

النَّهي عن التَّنفُّس في الشرب كالنهي عن النَّفخ في الطعام، لئلا يتقذَّر به من البزاق، أو أثر رائحة كريهة تعلق بالماء.

**[٧٦٠]** وعن أنس ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بِمَاءٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ أَعْرَابِيٌّ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَبُو بَكْر ﷺ، فَشَرِبَ، ثُمَّ أَعْطَى الأَعْرَابِيَّ، وَقَالَ: «**الأَيْمَنَ فَالأَيْمَنَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

شِيبَ: خُلِطَ.

كانت العادة جارية بتقديم الأيمن في الشرب وغيره، فبيَّن النبي ﷺ بفعله وقوله أن تلك العادة لم يغيّرها الشرع، وأن السنَّة تقديم الأيمن وإن كان الأيسر أفضل منه.

وأما التناول، يعني بمن يبدأ في إعطاء الإناء؟ مثال ذلك: رجل دخل ومعه شاي أو قهوة، بمن يبدأ؟ نقول: إذا كان أحد من الناس قد طلب أولاً فقال هات الماء مثلاً، فإنه يبدأ به، وإذا لم يكن أحد طلبه، فإنه يبدأ بالأكبر ثم الأكبر، وإذا كان لكل واحد إناء كالكؤوس مثلاً، فليبدأ بالأكبر، ثم يعطي الذي عن يمين الصّابّ الذي على يسار الشارب.

**[٧٦١]** وعن سهل بن سعدٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أُتِيَ بِشَرَابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَشْيَاخٌ، فَقَالَ لِلغُلَامِ: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلَاءِ؟**»، فَقَالَ الغُلَامُ: لَا وَالله، لَا أُوثِرُ بنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا، فَتَلَّهُ رَسُولُ الله ﷺ فِي يَدِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

تَلَّهُ: وَضَعَهُ.

هذا الغلام هو ابن عباس ﷺ.

في هذا الحديث دليل: إذا كان الذي على اليمين أصغر سناً فإنه يفضّل على الذي على اليسار ولو كان أكبر سناً، لقول الرسول ﷺ: «**الأَيْمَنُونَ الأَيْمَنُونَ، أَلَا فَيَمِّنُوا**».

أما ما يفعله الناس اليوم، يأتي الرجل بالإبريق ويدخل المجلس، فهُنا يبدأ بالأكبر، لأن الرسول ﷺ كانوا يبدؤون به، فيعطونه أولاً، وقد ورد في ذلك أيضاً أحاديث عن النبي ﷺ، أنك إذا دخلت المجلس تبدأ بالأكبر لا بِمَن على يمين.





# ١١٢ - الشُّرب من فَم القِربَة

**[٧٦٢]** عن أبي سعيد الخُدْريِّ ﷺ، قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ؛ أَنْ تُكْسَرَ أَفْوَاهُهَا، وَيُشْرَبَ مِنْهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

سبب النهي؛ أن رجلاً شرب من سقاء فانساب في بطنه جيان (يعني ثعبان)، فنهى رسول الله ﷺ عن اختناث الأسقية.

الحكمة من هذا؛ أن المياه فيما سبق ليست بتلك المياه النظيفة، فإذا صارت في القربة أو في السقاء، فإنه يكون فيها أشياء مؤذية؛ عيدان، أو حشرات، أو غير ذلك مما هو معروف لمن كانوا يستعملون هذا من قبل.

وذكر أن رجلاً شرب مرة هكذا فخرجت حية من القربة، وهذا لا شك أنه على خطر، إما أن تلدغه أو تؤذيه، لهذا ينهى عن الشرب من فم القربة، وليس من ذلك الشرب من الصنبور أو من الجرار، لأن هذه نظيفة كالشرب من الأواني، لكن إذا كان هناك حاجة فلا بأس أن يشرب من فم القربة، مثل أن يكون محتاجاً وليس عنده إناء، وعلى هذا فيكون النهي للكراهة وليس للتحريم.



**[٧٦٣]** وعن أبي هريرة ﷺ، قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُشْرَبَ مِنْ فِيِّ السِّقَاءِ أَوْ القِرْبَةِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٧٦٤]** وعن أُمِّ ثَابِتٍ كَبْشَةَ بِنْتِ ثَابِتٍ أُخْتِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ، فَشَرِبَ مِنْ فِيِّ قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا، فَقُمْتُ إِلَى فِيهَا فَقَطَعْتُهُ. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قَطَعَتْهَا لِتَحْفَظَ مَوْضِع فَمِ رَسُولِ الله ﷺ، وَتَتَبَرَّكَ بِهِ، وتَصُونَهُ عَنِ الابْتِذَالِ.

في الحديث دليل على جواز التبرك بآثار النبي ﷺ، وقد كان الصحابة يتبركون بعرق النبي، ويتبركون بريقه، ويتبركون بثيابه، ويتبركون بشعره، أما غيره ﷺ فإنه لا يتبرك بشيء من هذا منه، لا قديماً ولا مستقبلاً، سواء كان رجلاً صالحاً أو شيخاً فاضلاً أو عالماً، فهذا حرام.

ويستفاد من الحديث أنه يجوز أن يشرب الإنسان قائماً إذا دعت الحاجة إلى ذلك، مع أن النبي ﷺ نهى عن الشرب قائماً، لكن إذا كان هناك حاجة فلا بأس، لأن النهي عن الشرب حال القيام ليس على سبيل التحريم، بل على سبيل التَّنزيه.



## ١١٣ - النَّفْخ في الشَّراب

**[٧٦٥]** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، نَهَى عَنِ النَّفْخِ فِي الشَّرَابِ، فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ أَرَاهَا فِي الإِنَاءِ؟ فَقَالَ: «**أَهْرِقْهَا**». قَالَ: إِنِّي لَا أَرْوَى مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ. قَالَ: «**فَأَبِنِ القَدَحَ إِذًا عَنْ فِيكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وذلك لأن الإنسان إذا نفخ، ربما يحصل من الهواء الذي يخرج منه أشياء مؤذية أو ضارة كمرض ونحوه، فسأله الرجل: يا رسول الله القذاة؟ يعني مثل العود الصغير، فقال النبي ﷺ: «**أَهْرِقْهَا**»: يعني صبّ الماء الذي فيه القذاة ولا تنفخ فيه، ثم سأله: أنه لا يُروى بنفس واحد، فقال: «**فَأَبِنِ القَدَحَ إِذًا عَنْ فِيكَ**». يعني يفصِله ثم يتنفس، ثم يعود فيشرب. إلا أن بعض العلماء استثنى من ذلك ما دعت الحاجة إليه، لو كان الشراب حاراً ويحتاج إلى السرعة، ولكن الأولى ألا ينفخ حتى لو كان حاراً، يصبّه في الإناء ثم يعيده مرة ثانية حتى يبرد.

**[٧٦٦]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، نَهَى أَنْ يُتَنَفَّسَ فِي الإِنَاءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

النهي عن النفخ في الإناء والتنفس فيه لئلا يقذر الشراب أو الطعام، وفي هذا دليل أن الشريعة الإسلامية كاملة من جميع الوجوه، كل شيء قد علّمنا إيّاه رسول الله ﷺ، كما قال أبو ذر: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً. وقال رجل من المشركين لسلمان الفارسي: علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة؟ قال: أجل، وذكر في ذلك ألا نستقبل القبلة، وألا نستنجي باليمين، وألا نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، وألا نستنجي برجيع أو عظم.

المهم أن شريعتنا، ولله الحمد، كاملة من كل وجه، ليس فيها نقص ولا تحتاج إلى أحد يكملها، وفيه رد على السفهاء الذين يزعمون أن الشريعة الإسلامية إنما تنظم العبادة بين الله وبين الخلق فقط، وأما المعاملات بين الناس بعضهم بعضاً فإن الشريعة لا تعتني بها، فيقال لهؤلاء: تباً لكم! أطول آية في كتاب الله المداينة في التعامل بين الناس، وما أكثر الآيات في القرآن الكريم في تنظيم أمور المال، والأسرة، والعلاقات الإنسانية والدولية.





## ١١٤- الشُّرْبُ قائمًا

**[٧٦٧]** عن ابن عباس ﭬ، قال: سَقَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ، فَشَربَ وَهُوَ قَائِمٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: جواز الشرب قائمًا لعذر.

قيل: إنما شرب النبي ﷺ قائمًا لضيق المحل عن التمكن من الجلوس، وزمزم ماء مبارك، طعام طعم وشفاء سقم، وهو لما شرب له، إن شربته لعطش رويت، وإن شربته لجوع شبعت، حتى إن بعض العلماء أخذ من عموم هذا الحديث، أن الإنسان إذا كان مريضاً وشربه للشفاء شفى، وإذا كان كثير النسيان وشربه للحفظ صار حافظاً، وإذا شربه لأي غرض فإنه ينفعه.



**[٧٦٨]** وعن النَّزَّالِ بن سَبْرَةَ ﭬ قال: أَتَى عَلِيٌّ ﭬ بَابَ الرَّحْبَةِ بِماءٍ، فَشَرِبَ قائِماً، وَقَالَ: إنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَعَلَ كَما رَأَيْتُمُوني فَعَلْتُ. رواه البخاري. فيه: دليل على جواز الشرب قائمًا في بعض الأحيان، فلا يحرم وإن كان منهياً عنه، فالنهي فيه للتَّنزيه.



**[٧٦٩]** وعن ابن عمر ﭭ، قال: كُنَّا نَأْكُلُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ وَنَحْنُ نَمْشِي، وَنَشْرَبُ وَنَحْنُ قِيَامٌ. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.



**[٧٧٠]** وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جَدِّهِ ﭬ، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَشْرَبُ قَائِمًا وَقَاعِدًا. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**[٧٧١]** وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ: أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْنَا لِأَنَسٍ: فَالْأَكْلُ؟ قَالَ: ذٰلِكَ أَشَرُّ - أَوْ أَخْبَثُ. رواه مسلم. وفي رواية له: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ زَجَرَ عَنِ الشُّرْبِ قَائِمًا، وهذا محمول عند الجمهور على بيان الجواز، أو أن ضرورة ضيق المحل حملته على ذلك، وأما شربه ﷺ قاعداً فهو الأكثر. قال الحافظ: وإنما جعل الأكل شرًّا لطول زمانه بالنسبة لزمان الشرب.

**[٧٧٢]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ**». رواه مسلم

النّهي محمول على التّنزيه، والتّقيّؤ محمول على الاستحباب، فالأفضل في الأكل والشرب أن يكون الإنسان قاعداً، لأن هذا هو هدي النبي ﷺ، فإنه صح عنه أنه نهى عن ذلك، والأكل قائماً من باب أولى، لكن في حديث ابن عمر يدل على أن النهي ليس للتحريم، ولكنه لترك الأولى، بمعنى أن الأحسن والأكمل أن يشرب الإنسان وهو قاعد، وأن يأكل وهو قاعد.

وبقي أن يقال: إذا كانت البرّادة في المسجد ودخل، فهل يجلس ويشرب أو يشرب قائماً؟ لأنه إن جلس خالف قول النبي ﷺ: إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين، فنقول الأفضل أن يشرب قائماً لأن الجلوس قبل صلاة الركعتين حرام عند بعض العلماء، بخلاف الشرب قائماً فهو أهون، وعلى هذا فيشرب قائماً، ثم يذهب ويصلي تحية المسجد.





## ١١٥- سَاقي القَوم آخرهم شُربًا

**[٧٧٣]** عن أبي قتادة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**سَاقِي الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال النّووي: هذا أدب من آداب ساقي الماء واللبن ونحوهما، وفي معناه من يقدم للناس طعاماً كاللحم والفاكهة وغيرهما، فليكن هذا آخرهم تناولاً منه لنفسه؛ من أجل أن يكون مؤثراً على نفسه، ومن أجل أن يكون النقص، إن كان، على الساقي نفسه، لكنه إذا كان يشتهي أن يشرب فليس بلازم أن يشرب بعدهم، إن شاء شرب، وإن شاء لا يشرب، والأفضل أن يكون هو الأخير، لما في ذلك من الإيثار، وامتثال أمر النبي ﷺ.

قد يسأل سائل: هل الأفضل أن يشاركهم في الطعام، سواء كان غداء أو عشاء أو فطور، أو الأفضل أن ينصرف ولا يشاركهم؟ هذا يرجع إلى عادة الناس والعرف بينهم، فإذا كانت مشاركته أطيب لقلوب الضيوف وأكثر إيناسا فليأكل معهم، وإذا كان الأمر بالعكس، وجرت العادة أنه لا يأكل مع ضيوفه، وأن تجعله حرًّا يأكل ما شاء، فلا يأكل، وقد قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»، ولم يبين نوع الإكرام، فيرجع في ذلك إلى ما جرى به عرف الناس.



## ١١٦- الشُّرب من أواني الذَّهب والفضَّة

**[٧٧٤]** عن أنس ﷺ قال: حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَقَامَ مَنْ كَانَ قَرِيبَ الدَّارِ إِلَى أَهْلِهِ، وَبَقِيَ قَوْمٌ، فأُتِيَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَخْضَبٍ مِنْ حِجَارَةٍ، فَصَغُرَ المِخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، قَالُوا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وَزِيَادَةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية له ولمسلم: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ مَاءٍ، فَأُتِيَ بقَدَحٍ رَحْرَاحٍ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَوَضَعَ أَصَابِعَهُ فِيهِ. قَالَ أَنَسٌ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَى المَاءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَحَزَرْتُ مَنْ تَوضَّأَ مِنْهُ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَى الثَّمَانِينَ.

المِخْضَبُ: يطلق على الإناء المصنوع من الحجر، فأوانيّهم كانت تصنع إما من الحجر أو النحاس ونحو ذلك.

الرَّحْرَاحُ: الواسع المنبسط قريب القعر.



**[٧٧٥]** وعن عبد الله بن زيد ﷺ، قال: أَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً فِي تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ. رواه البخاري .

الصُّفْر: وَهُوَ النُّحاس. التَّوْر: كالقَدح.

فيه: جواز الوضوء في إناء النحاس ونحوه.



**[٧٧٦]** وعن جابر ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ فِي شَنَّةٍ وَإِلَّا كَرَعْنَا**». رواه البخاري.

الشَّنُّ: القِربة. الكَرْعُ: الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد.



**[٧٧٧]** وعن حذيفة رضي الله عنه قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ، نَهَانَا عَنِ الحَرِيرِ، وَالدِّيبَاجِ، وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَقَالَ: «**هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الدِّيبَاجُ: نوع من الحرير.

فيه: تحريم الشرب في آنية الذهب والفضة، ولبس الحرير، وأن ذلك للكفار في الدنيا، وللمؤمن في الآخرة.

**[٧٧٨]** وعن أُمِّ سلمة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ، قال: «**الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: الوعيد الشديد في استعمال أواني الذهب والفضة في الأكل والشرب، ويقاس على ذلك سائر الاستعمالات، وهناك قاعدة نافعة وهي: أن الأصل في كل ما خلق الله في الأرض أنه حلال، إلا ما قام الدليل على تحريمه، ودليل ذلك قول الله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾. وبناءً على هذه القاعدة العظيمة، فإن كل مَن ادّعى أن هذا حرام فعليه الدليل، إذا قال مثلاً: إن هذا الحيوان حرام، نقول: هات الدليل، وإذا قال: هذه الآنية حرام، قلنا: هات الدليل، وإلا فالأصل أنه حلال، لأن الذي قال إنه حلال معه دليل، وهو قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**﴾، وقوله أيضاً: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ**﴾، وهذا هو الأصل.

لهذا؛ فإن جواز الشرب من جميع الآنية، من خشب، أو حجر، وخزف، أو معادن، أو زجاج، أو غير ذلك، إلا الذهب والفضة، فإنه لا يجوز فيهما الأكل ولا الشرب، والعلّة والحكمة من ذلك قوله: هي لهم في الدنيا يعني الكفار، وهي لكم في الآخرة، ولذلك نهي النبي ﷺ عن الأكل والشرب فيهما لأنهما آنية الجنة، وهذا خاص بآنية الذهب والفضة، ولو أن الإنسان شرب في آنية من معدن أغلى من الذهب والفضة لم يكن هذا حراماً، إذا لم

يصل إلى حد السرف، والمطلي بالذهب والفضة قال العلماء: إنه كالخالص، لا يجوز أن يؤكل فيه، ولا أن يشرب فيه.





# ١١٧ - الثَّوب الأبيض

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

قوله تعالى: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ﴾ أي: خلقنا لكم، لما كان بقضاء سماوي، والريش: ما يُتجمَّل به ظاهرًا، وعن عليٍّ مرفوعًا أنه لبس ثوبًا، فقال حين لبسه: الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمَّل به في الناس، وأُواري به عورتي. رواه الإمام أحمد. فقد ذكر الله نوعين من اللباس: نوعًا ظاهرًا ونوعًا باطنًا، أو نوعًا حسيًّا ونوعًا معنويًّا، وذكر أن الحسي قسمان: قسم ضروري تواري به العورة، وقسم كمالي وهو الريش، ومن حكمته تعالى أن جعل بني آدم محتاجين للباس لتغطية السوءة، ولهذا نجد غالب المخلوقات سوى الآدمي لها ما يستر جلدها من شعر أو صوف أو وبر أو ريش، بخلاف بني آدم فإنهم محتاجون إلى أن يتذكروا العورة المعنوية، وهي عورة الذنوب.

ويجب على الإنسان أن يفكر، حيث تجدنا نحرص على نظافة اللباس الظاهر، فالإنسان إذا أصاب ثوبه بقعة أو وسخ هبّ يغسلها بالماء والصابون وأنواع المنظفات، لكن لباس التقوى كثير من الناس لا يهتم به، مع أن هذا كما قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾، ولم يقل: ولباس التقوى هو خير، لأن اسم إشارة ﴿ذَٰلِكَ﴾ جيء بها للبعيد، إشارة إلى أنه أهم، فينبغي للإنسان أن يتّقي الله، ويفكّر دائماً في سيئاته ومعاصيه وتنظيفها، أسهل من تنظيف الثياب من البقع والأوساخ الظاهرة، والأمر سهل جداً: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾، فبالاستغفار والتوبة يُمحى كل ما سلف.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل:٨١].

السَّرَابِيلُ: الدُّروع، وهي عبارة عن حلق من الحديد المنسوج، كانوا في السابق يلبسونها عند الحرب والقتال، لأنها تقي الإنسان السهام وضربات السيوف. لماذا لم يقل تقيكم البرد؟ أجاب العلماء عن ذلك بأن التقدير: وتقيكم البرد، لكنه ذكر الحر لأن السورة مكية نزلت في مكة وأهل مكة ليس عندهم برد.

[٧٧٩] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ، قال: «**الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمْ البَيَاضَ؛ فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في الحديث: استحباب لبس البياض، وأنه أطيب من غيره من سائر الألوان، فالثوب الأبيض خير من غيره من جهة الإضاءة والنور، ومن جهة أنه إذا اتسخ أدنى اتساخ ظهر فيه، فبادر الإنسان إلى غسله، أما الثياب الأخرى فربما تتراكم فيها الأوساخ والإنسان لا يشعر بها ولا يغسلها، وإذا غسلها فلا يدري هل تنظف أم لا؟



[٧٨٠] وعن سَمُرَة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْبَسُوا البَيَاضَ فَإِنَّهَا أَطْهَرُ وَأَطْيَبُ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ**». رواه النسائي والحاكم، وقال: حديث صحيح.

قوله: «**فَإِنَّهَا أَطْهَرُ**»: أي لأنها يظهر ما يخالطاها من الدنس وإن قلّ، « **وَأَطْيَبُ**»: لسلامتها غالباً عن الخيلاء.



[٧٨١] وعن البراء رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَرْبُوعًا، وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الحُلَّةُ: ثوبان من جنس واحد. حَمْرَاء: قال الحافظ ابن حجر: هي ثياب ذات خطوط حمراء، فلهذا قال ﷺ: «**فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ**»، كلها ينبغي أن تكون من البياض، فإنه أفضل، ولكن لو أنه لبس من لون آخر فلا بأس، لكن بشرط ألا يكون أحمر خالصاً، لأن فيه مبالغة في الزينة وتشبّها بالنساء، فإن كان أحمر وفيه أبيض فلا بأس، وعلى هذا يحمل الحديث: أن النبي ﷺ كان مربوعاً، وأنه كان عليه حلة حمراء، هذه الحلة الحمراء ليس معناها أنها كلها حمراء، لكن كما تقول الشماغ أحمر، وليس هو كله أحمر، بل فيه بياض كثير، أما أن يلبس الرجل أحمراً خالصاً ليس فيه شيء من البياض، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك.



**[٧٨٢]** وعن أَبي جُحَيفَةَ وَهْب بن عبد الله رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ وَهُوَ بِالأَبْطَحِ فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدمٍ، فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ وَنَائِلٍ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَيَاضِ سَاقَيْهِ، فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلَالٌ، فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، يَقُولُ يَمِينًا وَشِمَالًا: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، ثُمَّ رُكِزَتْ لَهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ، فَصَلَّى، يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالْحِمَارُ لَا يُمْنَعُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

العَنَزَة: عصا أو عُكازَة.

وفيه: مشروعية السترة للمصلي، وأن المارّ من ورائها لا يضرّ المصلي، فإن النبي لما قدم مكة في السنة العاشرة من الهجرة، قدمها ضُحى، ونزل إلى المسجد الحرام، فطاف وسعى، ثم خرج وعليه حلة حمراء، يعني أن أعلامها حمر، لأن الأحمر الخالص قد ثبت نهي النبي ﷺ عن لبسه، فتحمل هذه على أن المراد أن أعلامها يعني خطوطها ونقشها.



**[٧٨٣]** وعن أبي رِمْثَة رِفَاعَةَ التَّيْمِيِّ ﷺ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبَانِ أَخْضَرَان. رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح.

قال ابن بطال: الثياب الخضر من لباس أهل الجنة، وكفى بذلك شرفاً.

وفيه إشارة أنه يجوز للإنسان أن يلبس ما شاء من الثياب، البيض والسود والخضر والصفر والحمر، إلا أن الأحمر الخالص قد ثبت فيه النهي عن النبي ﷺ إلا مشوباً بلون آخر.

**[٧٨٤]** وعن جابر ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. رواه مسلم.



**[٧٨٥]** وعن أبي سعيد عمرو بن حُرَيْثٍ ﷺ قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أَرْخَى طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رواه مسلم. وفي روايةٍ له: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. يدل هذا على جواز لبس العمامة السوداء، وكذلك الشماغ الذي نقشه أسود أو أخضر أو أحمر كل هذا جائز، وأن من الأفضل أن يجعل الإنسان لها ذؤابة، وأن يرخي طرفها من خلف، والتي ليس لها ذؤابة تسمى العمامة الصماء، وكلاهما جائز، وكلاهما أيضاً يجوز المسح عليه على القول الراجح.



**[٧٨٦]** وعن عائشة ﷺ قالت: كُفِّنَ رَسُولُ الله ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

السَّحُولِيَّة: ثِيَابٌ تُنْسَبُ إِلَى سَحُول: قَرْيَة باليَمنِ. الكُرْسُف: القُطْنُ.

هذا أفضل الكفن من العدد للرجال، ومن الألوان للرجال والنساء، وفيه دليل على أن الأفضل أن يكفن الأموات في الثياب البيض، وهذا إن تيسّر، لكن لو فرض أنه لم يتيسر، فيكفّن الميت في مثل ما يلبسه الحي من أي لون كان، إلا الأحمر الخالص، وفيه دليل على أن الميت لا يجعل عليه قميص ولا عمامة، وإنما توضع القطع واحدة فوق الأخرى، ثم يوضع عليها الميت، ثم تلف القطع العليا عليه، ثم الوسطى ثم السفلى، وتربط وتحزم من عند رأسه ومن عند الرجلين، فإذا أدخل القبر فإنها تفكّ؛ قال العلماء: تُفكّ لأن الميت إذا مات ينتفخ، فإذا انتفخ وقد ربط فربما يتفجر، فتفك من أجل أن لا يتفجر.

**[٧٨٧]** وعنها قالت: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَد. رواه مسلم.

المِرْط: كساءٌ يلتف به الرجل. المُرَحَّلُ: الَّذِي فِيهِ صورةُ رحال الإبل.

في الحديث جواز تصوير ما لا روح فيه، وجواز لبسه، وجواز لبس الشعر أي من جلود الحيوانات كالماعز وغيرها.

**[٧٨٨]** وعن المغيرة بن شُعْبَةَ رضي الله عنه قال: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَسِيرٍ، فَقَالَ لِي: «**أَمَعَكَ مَاءٌ؟**»، قُلْتُ: نَعَمْ، فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَى حَتَّى تَوَارَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّى أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ، وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لِأَنْزَعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: «**دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**»، وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية: وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْنِ، وفي رواية: أَنَّ هذِهِ القَضِيَّةَ كَانَتْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

من فوائد الحديث: بيان جهل بعض الناس الذين يظنون أن ما يسمى بالمانيكير مثل الخفين، إذا وضعته المرأة على طهارة تغسلها يوماً وليلة، وهذا خطأ، فالمانيكير يجب أن يُزال عند الوضوء حتى يصل الماء إلى الأظافر وأطراف الأصابع.

ومن فوائد الحديث: جواز استخدام الأحرار، لأن المغيرة كان يخدمه، وكان للنبي ﷺ خدم من الأحرار، كعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك وغيرهما. ومنها: جواز إعانة المتوضئ على وضوئه، يعني تصبّ عليه الماء وما أشبه ذلك، فلو فرض أن في يده كسراً أو شللاً فلا حرج أن تغسل أعضاءه أنت.

ومنها: أن المسح على الخفين أفضل من أن يخلعهما ويغسل قدميه، لأن الرسول ﷺ قال: «**دَعْهُمَا**»، أي لا تخلعهما، فمسح عليهما.

ومنها: ما ذهب إليه بعض العلماء من أن المسح على الخفين يكون مرة واحدة، إذ إن المغيرة لم يذكر أنه بدأ باليمنى قبل اليسرى، فاستنبط بعض العلماء من ذلك أن المسح على الخفين يكون باليدين جميعاً مرة واحدة، ولكن لا حرج أن الإنسان يفعل هذا، أو يمسح على الرجل اليمنى قبل اليسرى، فإن فعل الإنسان هذا أو هذا فلا حرج، والأمر في هذا واسع.

ومنها: أنه لا يجوز المسح على الخفين أو الجوربين إلا إذا كان لبسهما على طهارة، فإن لبسهما على غير طهارة وجب عليه أن يخلعهما عند الوضوء، ويغسل قدميه.





## ١١٨ - لبس القميص

**[٧٨٩]** عن أُمِّ سَلَمَة ﵂ قالت: كَانَ أَحَبُّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ الْقَمِيصُ.

رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

القَمِيصُ: هو ما يطلق عليه في أيامنا الدشداش، وهو الذي يستر البدن كله. وروي أنه كان قميص رسول الله ﷺ قصير الطول والكمين، وكان النبي ﷺ يحبّ القميص لأنه قطعة واحدة يلبسها الإنسان مرة واحدة، فهو أسهل، ولكن لو كنت في بلد تعيش فيه، يعتادون لباس البنطلون والثياب المألوفة كالتي اعتادها الناس اليوم، فلا حرج، والمهم ألا تخالف لباس أهل بلدك فتقع في الشهرة، وقد نهى النبي ﷺ عن لباس الشهرة.





## ١١٩ - صفة طول القميص والكم والإزار

[٧٩٠] عن أسماءَ بنتِ يزيد الأنصاريَّةِ رضي الله عنها، قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى الرُّسْغِ. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

القميص: الثوب الذي يطلق عليه اليوم اسم الدشداش. الرسغ: مفصل الكف.

قال ابن الجزري: فيه دليل أن لا يجاوز بكم القميص الرسغ، وأما غير القميص فالسنَّة أن لا يجاوز رؤوس الأصابع.



[٧٩١] وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، قال: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلَاءَ**». رواه البخاري.

فيه: وعيدٌ شديدٌ لمن سحب ثوبه تكبرًا وإعجابًا بنفسه. وفيه: أن من وقع له ذلك بغير قصد لا محظور فيه، وأن الأحكام تختلف بحسب النية.



[٧٩٢] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا الوعيد شامل لجميع أنواع الثياب.



[٧٩٣] وعنه، عن النبي ﷺ، قال: «**مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ**». رواه البخاري.

[٧٩٤] وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**»، قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا! مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ**». رواه مسلم.

[٧٩٥] وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ، وَالقَمِيصِ، وَالعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

[٧٩٦] وعن أبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيْم رضي الله عنه قال: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ، لَا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ. قُلْتُ: مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: رَسُولُ الله ﷺ. قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ الله- مَرَّتَيْنِ-. قَالَ: «**لَا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلَامُ؛ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ المَوْتَى، قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكَ**». قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رَسُول الله؟ قَالَ: «**أَنَا رَسُولُ الله الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَهُ عَنْكَ، وَإِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ، فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ**». قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ. قَالَ: «**لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا**». قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا وَلَا شَاةً. قَالَ: «**وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، إِنَّ ذٰلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَار فَإِنَّهَا مِنَ المخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المَخِيلَةَ، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذٰلِكَ عَلَيْهِ**».

رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح، وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في هذا الحديث: إن الإزار يكون رفعه من نصف الساق إلى الكعبين، وإن الإسبال لا يجوز لأنه من الاختيال والكبر والإعجاب.

معنى قوله ﷺ: «**عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ المَوْتَى**»، يعني أنهم كانوا في الجاهلية يسلّمون على الأموات هكذا، لكن الإسلام نسخ هذا، وكان النبي ﷺ يخرج إلى المقبرة فيقول: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**»، ولا يقول: عليكم السلام.

وينبغي للإنسان أن يعفو ويصفح، ولا يجعل كل كلمة يسمعها مقياساً له في الحكم على الناس، وأنت إذا عيّرته أو سببته بما تعلم فيه طال النزاع، وربما حصل بذلك العداوة والبغضاء، فإذا كففت وسكت هدأت الأمور، وهذا شيء مجرب، ولا تُرد من الناس أن يكونوا على أكمل حال بالنسبة لك، فالناس ليسوا على هواك.



**[٧٩٧]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا رَجُلٌ يُصَلِّي مُسْبِلٌ إِزَارَهُ، قَالَ لَهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ**»، فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ**»، فَقَالَ لَهُ رجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ؟ قَالَ: «**إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط مسلم.

قيل: هذا نص صريح في أن الله لا يقبل صلاة المسبل، يعني فتكون صلاته فاسدة، ويلزم بإعادتها، ولكن هذا فيه نظر، فإن الحديث ضعيف لا يصح عن النبي ﷺ، والصحيح من أقوال العلماء أن صلاة المسبل صحيحة، ولكنه آثم، ومثل ذلك أيضاً من لبس ثوباً محرماً عليه كثوب سرقه الإنسان فصلى به، أو ثوب فيه تصاوير، أو فيه صليب مثلاً، فكل هذا يحرم لبسه في الصلاة وفي خارج الصلاة، فإذا صلى الإنسان في مثل هذا فالصلاة صحيحة، لكنه آثم، هذا هو القول الراجح في هذه المسألة.



**[٧٩٨]** وعن قيس بن بشر التَّغْلِبيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي- وَكَان جَلِيسًا لِأَبِي الدَّرْدَاءِ- قَالَ: كَانَ بِدِمَشْقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يُقَالُ لَهُ سَهْلُ بْنُ الحَنْظَلِيَّةِ، وَكَانَ رَجُلًا مُتَوَحِّدًا قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إِنَّمَا هُوَ صَلَاةٌ، فَإِذَا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّى يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَمَرَّ بِنَا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ. قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي المَجْلِسِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِهِ: لَوْ رَأَيْتَنَا حِينَ التَقَيْنَا نَحْنُ وَالعَدُوُّ، فَحَمَلَ فُلَانٌ وَطَعَنَ، فَقَالَ: خُذْهَا مِنِّي، وَأَنَا الغُلَامُ الغِفَارِيُّ، كَيْفَ تَرَى فِي قَوْلِهِ؟ قَالَ: مَا أَرَاهُ إِلَّا قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ، فَسَمِعَ بِذٰلِكَ آخَرُ، فَقَالَ: مَا أَرَى بِذٰلِكَ بَأْسًا، فَتَنَازَعَا حَتَّى سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ، لَا بَأْسَ أَنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ**»، فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ سُرَّ بِذٰلِكَ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ: أَنْتَ سَمِعْتَ ذٰلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَمَا زَالَ يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّى إِنِّي لَأَقُولُ لَيَبْرُكَنَّ عَلَى رُكْبَتَيْهِ. قَالَ: فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ. قَالَ: قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**المُنْفِقُ عَلَى الخَيْلِ كَالبَاسِطِ يَدَهُ بِالصَّدَقَةِ لَا يَقْبِضُهَا**». ثُمَّ مَرَّ بِنَا يومًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ. قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيْمٌ الأَسَدِيُّ! لَوْلَا طُولُ جُمَّتِهِ وَإِسْبَالُ إِزَارِهِ!**»، فَبَلَغَ ذٰلِكَ خُرَيْمًا، فَعَجَّلَ، فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقَطَعَ بِهَا جُمَّتَهُ إِلَى أُذُنَيْهِ، وَرَفَعَ إِزارَهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَى إِخْوانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّى تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ**». رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ، إلا قيس بن بشر فاختلفوا في توثِيقِهِ وَتَضْعِيفِهِ، وَقَدْ روى لَهُ مسلم.

رَجُلًا مُتَوَحِّدًا: يعني أنه يحب التفرد، ولا يحب أن يذهب عمره سدى مع الناس، في القيل والقال والكلام الفارغ الذي ليس فيه فائدة، يصلّي ويسبّح ويكون في أهله.

السَّرِيَّةُ: الجيش القليل، أقل من أربعمائة نفر. الجُمَّةُ: الشَّعر، يعني أنه عنده شيء من الخيلاء، هذا الرجل قد أطال شَعره وأطال ثوبه، ولا بأس أن الإنسان يفتخر فيها أمام العدو، ولهذا جاز للإنسان في مقابلة الأعداء أن يمشي الخيلاء، وأن يتبختر في مشيته، وأن يضع على عمامته ريش النعام، وما أشبه ذلك، لأن هذا يغيظ الأعداء، وكل شيء يغيظ الكفار فلك فيه أجر عند الله.



**[٧٩٩]** وعن أبي سعيد الخدريِّ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ- أَوْ لَا جُنَاحَ- فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ**». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

قوله: «**إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ**»، لأن ذلك أطهر لبعده عن احتمال وصول النجس، وأطيب لبعده عن الكبر وقربه من التواضع، ولا كراهة في إرخائه إلى ما فوق الكعبين، ويحرم إرخاء الثياب تحت الكعبين.



**[٨٠٠]** وعن ابن عمر ﵄ قال: مَرَرْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَفِي إِزَارِي اسْتِرْخَاءٌ، فَقَالَ: «**يَا عَبْدَ اللهِ ارْفَعْ إِزَارَكَ**»، فَرَفَعْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**زِدْ**»، فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ: إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ. رواه مسلم.

وليس بلازمٍ أن يرفع الإنسان إزاره إلي نصف الساق، أو يرى أن ذلك حتم عليه، وأن الذي لا يرفع قد خالف السنة، لأن الرسول ﷺ قال: «فَإِنْ أَبَيْتَ إِلَى الكَعْبَيْنِ»، ولم يقل فإن أبيت فعليك كذا وكذا من الوعيد. ولا ينبغي للإنسان أن يشدد على نفسه أو على الناس، فدل ذلك على أن الأمر في هذا واسع.



**[٨٠١]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: «**يُرْخِينَ شِبْرًا**». قَالَتْ: إِذًا تَنْكَشِفُ أَقْدَامُهُنَّ. قَالَ: «**فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في هذا الحديث: الإذن للنساء في إطالة أذيالهن إلى الأرض لتكون أقدامهن مستورة، ثم حذر النبي ﷺ من المخيلة، يعني أن يختال في مشيته أو ثوبه أو عمامته، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾، فالإنسان ينبغي له أن يكون متواضعاً دائماً، في لباسه ومشيته وهيئته وكل أحواله، لأن من تواضع لله رفعه الله، وفي هذا: دليل على وجوب تغطية الوجه، لأنه إذا كانت القدم يجب سترها، مع أن الفتنة فيها أقل من الفتنة في الوجه، فستر الوجه من باب أولى، ولا يمكن للشريعة التي نزلت من لدن حكيم خبير، أن تقول للنساء يغطّين أقدامهن ولا يغطّين وجوههن، لأن هذا تناقض.





## ١٢٠- التَّرفُّع في اللِّباس

حديث أبي هريرة ﵁: رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم من رجل عليه رداء، إِما إِزار، وإِما كساء، قد ربطوا في أعناقهم، منها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين. وحديث عائشة ﵂: كان فراش رسول الله ﷺ من أدم حشوه ليف. وحديث أبي أمامة مرفوعًا: «**البَذَاذَةُ مِنَ الإِيمَانِ**»، وهي رثاثة الهيئة، وترك فاخر اللباس.



**[٨٠٢]** عن معاذ بن أنسٍ ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا للهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: فضيلة من ترك الفاخر من اللباس تواضعاً؛ لأن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه، ومن تواضع لله رفعه في الدنيا والآخرة. وهذا يعني: أن الإنسان إذا كان بين أناس متوسّطي الحال، لا يستطيعون اللباس الرفيع، فتواضع وصار يلبس مثلهم، لئلا تنكسر قلوبهم، ولئلا يفخر عليهم، فإنه ينال هذا الأجر العظيم.





## ١٢١ - التَّوسُّط في اللِّباس

**[٨٠٣]** عن عمرو بن شعيب عن أَبيهِ عن جَدِّهِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

أما إذا كان هذا الرجل يعيش بين أناس قد أنعم عليهم، ويلبسون الثياب الرفيعة لكنها غير محرمة، فإن الأفضل أن يلبس مثلهم، لأن الله تعالى جميل يحب الجمال، أما إذا لبس دونهم، يخرج إلى الناس بلباس رث كلباس الفقراء، وكأنه أفقر عباد الله، فإن هذا يُعدّ لباس شهرة، من أجل أن يقال هذا رجل متواضع ومتقشف وزاهد.





## ١٢٢ - لِباسُ الحرير

**[٨٠٤]** عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ؛ فَإِنَّ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٨٠٥]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا يَلْبَسُ الحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٨٠٦]** وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ في الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ في الآخِرَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا وعيدٌ يدل على أن لباس الحرير للرجال من كبائر الذنوب، لأن فيه الوعيد في الآخرة، وكل ذنب فيه وعيد الآخرة فهو كبيرة من كبائر الذنوب عند أهل العلم، ولا فرق بين أن يكون قميصاً أو سروالاً أو غترة أو قبعة طاقية أو غير ذلك مما يلبس، كل هذا حرام على الرجال إذا كان من الحرير، لا قليلاً ولا كثيراً.



**[٨٠٧]** وعن علي ﷺ قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ حَرِيرًا، فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ هٰذَيْنِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي**». رواه أبو داود بإسنادٍ حسنٍ.



**[٨٠٨]** وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لإِنَاثِهِمْ**».

رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

والحكمة في ذلك، أن المرأة محتاجة إلى التجمل لزوجها، فأبيح لها الذهب والحرير، وأما الرجل فليس في حاجة إلى ذلك، فلهذا حرّم عليه، إنما يلبسه من لا خلاق له في الآخرة، يعني من لا نصيب له في الآخرة، ولهذا ذهب بعض العلماء إلى أن الإنسان إذا لبس الحرير في الدنيا فإنه لا يدخل الجنة، وهذا في الحرير الطبيعي الذي يخرج من دود القز، وأما الحرير الصناعي فليس حراماً، لكن لا ينبغي للرجل أن يلبسه لما فيه من الميوعة، ولأن الجاهل إذا رآه يظنه حريراً طبيعياً فيظن أن ذلك سائغ للرجل وربما يقتدي به، لكن الفائدة من قولنا: إن الحرير الصناعي ليس حراماً.



**[٨٠٩]** وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: نَهَانَا النَّبيُّ ﷺ أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ، وَأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ. رواه البخاري.

خص الأكل والشرب بالذكر، فهما أغلب أنواع الاستعمال، وإلا فكل استعمال الذهب والفضة حرام، وفيه: تحريم الجلوس على الحرير، وهو قول الجمهور، وأما الدبلة من الذهب حرام على الرجل، وأما المرأة فإن كان ذلك عقيدة، كاعتقادها أنها تحببها إلى زوجها فهي حرام، وإن كان من دون عقيدة فهي خاتم من الخواتم.





## ١٢٣ - لبس الحرير لمن به حكّة

**[٨١٠]** عن أنسٍ رضي الله عنه قال: رَخَّصَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لِلزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنهما فِي لُبْسِ الحَرِيرِ لِحَكَّةٍ بِهِمَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، فإنه لا بأس به، مثل أن يكون في الإنسان حكة، يعني حساسية، واحتاج إلى لبس الحرير فإنه يلبسه، ويكون مما يلي الجسد، لأن الحرير لين وناعم وبارد يناسب الحكة فيطفئها .





## ١٢٤ - افتراش جُلود النُّمور

**[٨١١]** عن معاوية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَرْكَبُوا الخَزَّ وَلَا النِّمَارَ**».

حديث حسن، رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن.

الخَزُّ نوعان: فنوعٌ معمولٌ من الحرير، وهو حرام، وأما المعمول من الصوف فيُحمل النهي فيه على التنزيه لأجل التشبه بالعجم. النِّمَارُ: جمع نمر، وهو حيوان معروف، فلا يجوز للإنسان أن يلبس فرواً من جلود النمار.

**[٨١٢]** وعن أبي المليح عن أبيه ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ. رواه أبو داود والترمذيُّ والنسائيُّ بأسانِيد صِحَاحٍ.

وفي رواية للترمذي: نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ.

وكذلك لا يجوز للإنسان أن يلبس فرواً من جلود السباع، كما يدل عليه الحديث، لأن جلود السباع نجسة، كل السباع نجسة وأخبثها الكلب، لأن نجاسة الكلب مغلظة، وعلى كل حال، فجلود الذئاب وجلود النمور وأي جلود أخرى حرام، كجلد الأسد مثلاً يحرم لبسها، وكذلك يحرم افتراشها، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، يعني لو جعلتها مقاعد تجلس عليها فإن ذلك حرام، أما جلود الضأن وجلود ما تحله الزكاة، فلا بأس أن يفترشها الإنسان ولا بأس أن يلبسها أيضاً لأنها طاهرة والطاهر لا بأس باستعماله.



## ١٢٥ - ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا

**[٨١٣]** عن أبي سعيد الخدْريِّ ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثَوْبًا سَمَّاهُ بِاسْمِهِ- عِمَامَةً أَوْ قَمِيصًا أَوْ رِدَاءً- يقولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

لا شك أن الإنسان لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله، ولا شك أن ما نأكله ونشربه ونلبسه من نعمة الله ﷻ، وأنه هو الذي خلقه لنا، ولولا أن الله يسره ما تيسر، ومن ذلك اللباس، فأنت تحمد الله عليه، فهو يستر بدنك، ويعطيك جمالاً وهيبة أمام الناس، وتستعيذ من شره ومن شر ما صنع له، فكم من هذه الثياب تصنع من مواد بلاستيكية وكيميائية قد تسبب أمراضاً جلدية خطيرة ومزمنة، وقد تسبب أمراضاً سرطانية قاتلة، وفي وقتنا الحاضر، حذرت من هذا جمعيات طبية كثيرة.





## ١٢٦ - الابتداء باليَمين في اللِّباس

تقدم ذلك تحت عنوان تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم، ومن ذلك أن يدخل يده اليمنى في كمها قبل إدخال اليسرى، ويدخل رجله اليمنى في كل من الخف والنعل والسراويل قبل إدخال اليسرى.





## ١٢٧ - النّوم والاضْطِجاع

النوم من آيات الله ﷻ، تأتي القوم مثلاً في حجرة أو في سطح أو في برّ وهم نيام، كأنهم جثث موتى، لا يشعرون بشيء، ثم هؤلاء القوم يبعثهم الله.

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾.

ثم إن الإنسان يعتبر بالنوم اعتباراً آخر؛ وهو إحياء الأموات بعد الموت، فإن القادر على رد الروح حتى يصحو الإنسان ويستيقظ ويعمل عمله في الدنيا، قادر على أن يبعث الأموات من قبورهم.



**[٨١٤]** عن البَراءِ بن عازِبٍ ﵄، قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ نَامَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**». رواه البخاري.

من آداب النوم: أن ينام الإنسان على الشق الأيمن، هذا هو الأفضل سواء كانت القبلة خلفك أو أمامك، أو عن يمينك أو عن شمالك، لأمر النبي ﷺ به، بعض الناس اعتاد أن ينام على الجنب الأيسر، ولو نام على الأيمن ربما لا يأتيه النوم، لكن عليه أن يعوّد نفسه، عوّدْ نفسك وجاهدها على ذلك، يوماً أو يومين أو أسبوعاً، لتستطيع النوم وأنت ممتثل لسنة نبيك ﷺ.



**[٨١٥]** وعنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَن، وَقُلْ...**»، وذَكَرَ نَحْوَهُ، وفيه: «**وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. في هذا الحديث: استحباب الوضوء عند النوم، واستحباب هذا الدعاء، لأنه إن مات مات على الفطرة، وإن أصبح أصاب خيراً، وقد أمر النبي ﷺ البراء بن عازب أن يعيد عليه هذا الذكر فأعاده، لكنه قال: "وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ"، فقال له النبي ﷺ: «**لَا، قُلْ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ وَلَا تَقُلْ وَبِرَسُولِكَ**». قال أهل العلم: وذلك لأن الرسول يطلق على الرسول البشري والرسول الملكي جبريل، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ**﴾، والنبي يطلق للنبي البشري، وأنت إذا قلت نبيك الذي أرسلت؛ جمعت بين الشهادة للرسول ﷺ بالنبوة والرسالة، فكان هذا اللفظ أولى من قولك وبرسولك الذي أرسلت، لأنك لو قلت وبرسولك الذي أرسلت، يمكن أن يكون جبريل، لأن جبريل رسول أرسله الله إلى الأنبياء بالوحي.



**[٨١٦]** وعن عائشة ﵂ قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً، فَإِذَا طَلَعَ الفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَجِيءَ المُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: استحباب الضجعة بعد سنة الفجر لمن كان تهجد بالليل، ليقوم إلى الفرض بنشاط. وفيه دليل على استحباب الاضطجاع على الجنب الأيمن بعد سنة الفجر لمن تطوع في بيته، كما فعل النبي ﷺ، واختلف العلماء في هذه الضجعة: منهم من قال إنها سنة بكل حال، ومنهم من قال إنها ليست بسنة، إلا إذا كان الإنسان صاحب صلاة في آخر الليل، فإنه يضطجع ليعطي بدنه شيئاً من الراحة، ومنهم من شدد فيها حتى جعلها بعض العلماء من شروط صلاة الفجر، وقال: من لم يضطجع بعد السنة فلا صلاة له، لكن هذا قول

شاذ، وإنما ذكرناه لنبين لكم أن بعض العلماء يأتون بأقوال شاذة بعيدة عن الصواب، والصواب أنها سنة لمن كان له تهجد من الليل، وهذا في حق الإمام ظاهر، أما المأموم فإنه ربما لو اضطجع يقيمون الصلاة فيفوته شيء منها وهو لا يشعر، لأن المأموم ينتظر ولا يُنتظر، لكن الإمام هو الذي ينتظره الناس.

**[٨١٧]** وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»، وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**». رواه البخاري.

والأفضل أن ينام الإنسان على جنبه الأيمن، كما ينبغي أن يضع الإنسان يده تحت خده، ومعلوم أنها اليد اليمنى تكون تحت الخد الأيمن، وهذا ليس على سبيل الوجوب، ولكن على سبيل الأفضلية، فإن تيسر لك هذا وإلا فالأمر واسع، ويقول: باسمك اللهم أموت وأحيا؛ والمراد بالموت هنا موت النوم، لأن النوم يسمى وفاة، أو أنه الموت الأكبر الذي هو مفارقة الروح للبدن.

قال الله تعالى: ﴿**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الزمر:٤٢].

**[٨١٨]** وعن يَعيشَ بْنِ طِخْفَةَ الغِفَارِيِّ ﷺ قال: قَالَ أَبِي: بَيْنَمَا أَنَا مُضْطَجِعٌ فِي المَسْجِدِ عَلَى بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي بِرِجْلِهِ، فَقَالَ: «**إِنَّ هٰذِهِ ضَجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ**»، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ. رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

في هذا الحديث دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن ينام على بطنه، لاسيما في الأماكن التي يغشاها الناس، لأن الناس إذا رأوه على هذا الحال فهي رؤية مكروهة، لكن إذا كان في الإنسان وجع في بطنه وأراد أن ينام على هذه الكيفية لأنه أريح له، فإن هذا لا بأس به، لأن هذه حاجة.

**[٨١٩]** وعن أبي هريرة ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضجَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ**». رواه أبو داود بإسنادٍ حسن.

الترة: النقص والخسارة؛ أن تجلس مجلساً لا تذكر الله فيه، فهذا خسارة، وفيه دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يُكثر من ذكر الله قائماً وقاعداً وعلى جنبه، وكذلك إذا اضطجعت مضطجعاً لم تذكر اسم الله فيه، فإنه يكون عليك من الله ترة، أي خسارة، فأكثرْ من ذكر الله دائماً وأبداً، وكن كمن قال الله تعالى فيهم: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقال تعالى ﴿**وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥].



## ١٢٨- الاستلقاء على القفا

**[٨٢٠]** عن عبد الله بن زيد ﵁: أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ الله ﷺ مُسْتَلْقِيًا فِي المَسْجِدِ، وَاضِعًا إِحْدَى رِجْلَيْهِ عَلَى الأُخْرَى. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٨٢١]** وعن جابر بن سَمُرَة ﵁ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى الفَجْرَ تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ. حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بأسانيد صحيحة.

وهذا يكون بعد حوالي ربع الساعة من طلوع قرص الشمس كاملاً، فعندها يجوز لك أن تصلي صلاة الضحى، فكان ﷺ يفعل ذلك، وقد جاء فضل ذلك في حديث رواه الترمذي وغيره من حديث أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ**- يعني صلاة الفجر في جماعة- **ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّة، تَامَّةٍ، تَامَّةٍ**».

فيمكن للإنسان أن يحصل كل يوم أجر حجة وعمرة، وإن كان هذا لا يغني عن حجة الإسلام، ولا عن عمرة الإسلام، ولكن الأجر يساوي أجر حجة، وأجر عمرة، وكم نفرط في مثل ذلك من غير سبب! وعلى المؤمن أن يحاول أن يكسب الثواب قدر المستطاع، والإنسان لا ينظر في العبادة إلى من هو دونه، ولكن الأسوة الحسنة والقدوة العظيمة هو النبي ﷺ، فافعل ما فعله، إذا رأيت غيرك يفرط في مثل هذا الأجر فالتمس له العذر، فلعل لديه ما يشغله، أو أنه موظف لا يستطيع، أو أنه لم ينم بالليل ويحتاج لأن ينام الآن، فأنت عليك بنفسك، فإذا كان عندك الوقت لتفعل هذا الشيء فلا تفرط في هذا الثواب.



**[٨٢٢]** وعن ابن عمر ﷺ، قال: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ بِفَنَاءِ الكَعْبَةِ مُحْتَبِيًا بِيَدَيْهِ هٰكَذا، وَوَصَفَ بِيَدَيْهِ الاحْتِبَاءَ، وَهُوَ القُرْفُصَاءُ. رواه البخاري.

القرفصاء: أن يجلس على أليته ويلصق بطنه بفخذيه، ويحتبي بيديه يضعهما على ساقيه كما يحتبي بثوب، وقيل: إن القرفصاء أن يجلس على ركبتيه منكباً، ويلصق بطنه بفخذيه وبباطن كفيه، وهي جلسة الأعراب.

**[٨٢٣]** وعن قَيْلَةَ بنْتِ مَخْرَمَةَ ﷺ، قالت: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ رَسُولَ الله المُتَخَشِّعَ فِي الجِلْسَةِ أُرْعِدْتُ مِنَ الفَرَقِ. رواه أبو داود والترمذي.



**[٨٢٤]** وعن الشَّرِيدِ بن سُوَيْدٍ ﷺ قال: مَرَّ بِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هٰكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَى أَلْيَةِ يَدِي فَقَالَ: «**أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!**». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

الأفضل لمن أراد أن ينام على الجنب الأيمن، وسبق أن النوم على البطن لا ينبغي إلا لحاجة، وبقي النوم على الظهر وهو لا بأس به، شرط أن يأمن انكشاف العورة، بحيث يرفع إحدى رجليه وليس عليه سراويل، لكن إذا أمن انكشاف العورة فإن ذلك لا بأس به، وبقي شيء رابع وهو النوم على الجنب الأيسر، فهذا أيضاً لا بأس به، فالنوم على الظهر، والنوم على الجنب الأيسر، والنوم على الجنب الأيمن أفضل، والنوم منبطحاً لا ينبغي إلى لحاجة، أما القعود فإن جميع أشكال القعود لا بأس بها، سواء متربعاً، أو محتبي القرفصاء، يعني يقيم فخذيه وساقيه ويجعل يديه مضمومتين على الساقين، هذا لا بأس به، لأن النبي ﷺ قعد هذه القعدة، ولا يكره من الجلوس إلا ما وصفه النبي ﷺ بأنه قعدة

المغضوب عليهم، بأن يجعل يده اليسرى من خلف ظهره، ويجعل بطن الكف على الأرض ويتكئ عليها، أما وضع اليدين كلتيهما من وراء ظهره واتكأ عليهما فلا بأس، ولو وضع اليد اليمنى فلا بأس.





## ١٢٩- آداب المجْلِس

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

إن الشريعة الإسلامية شريعة شاملة لكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم ودنياهم، فقد قال الله ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.

وقال أبو ذر رضي الله عنه: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً، ولهذا تجد الشريعة بيّنت مسائل الدين المهمة الكبيرة، كالتوحيد وما يتصل به من العقيدة والصلاة والزكاة والصيام والحج، وما كان دون ذلك من آداب النوم والأكل والشرب والمجالس.



**[٨٢٥]** عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَٰكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا**».

وكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني: إذا دخلت مكاناً ووجدت المكان ممتلئاً، فلا تقلْ يا فلان قمْ ثم تجلس في مكانه، ولكن إذا كنت لا بد أن تجلس فقل توسعوا، فإن الله تعالى يوسع لهم، أما أن تقيم الرجل وتجلس مكانه فإن هذا لا يجوز، حتى في مجالس الصلاة، لو رأيت إنساناً في الصف الأول فإنه لا يحل لك أن تقول له قم ثم تجلس في مكانه، حتى لو كان صبياً لكنه يصلي، فإنه لا يحل لك أن تقيمه من مكانه وتصلي فيه، لأن الحديث عام، والصبي لا بد أن يصلي مع الناس، ويكون في مكانه الذي يكون فيه. وأما قول النبي ﷺ: «**لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولِي**

**الأَحْلَامِ وَالنُّهَى**»، فهو أمر للبالغين العقلاء، أن يتقدموا حتى يلوا الرسول ﷺ، وليس نهياً أن يكون الصغار قريبين منه، ولو كان أراد ذلك لقال: لا يلني إلا أولو الأحلام والنهي.

وكان ابن عمر، من ورعه إذا قام أحد له، وقال له اجلس في مكاني لا يجلس فيه، كل هذا من الورع، يخشى أن هذا الذي قام، قام خجلاً وحياء، ومعلوم أن الذي يهدي إليك أو يعطيك شيئاً خجلاً وحياء أنك لا تقبل منه، لأن هذا كالمكره، ولهذا قال العلماء ﷺ: يحرم قبول الهدية إذا علمت أنه أهداك حياء أو خجلاً، ومن ذلك أيضاً، إذا مررت ببيت وفيه صاحبه، وقال لك تفضل، وأنت تعرف أنه إنما قال ذلك حياء وخجلاً، فلا تدخل عليه، لأن هذا يكون كالمكره.



**[٨٢٦]** وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ**». رواه مسلم.

فيه: أن من قام من مجلسه لعذر ثم عاد إليه فهو أحق، سواء ترك فيه متاعاً أو لا.



**[٨٢٧]** وعن جابر بن سَمُرَة ﷺ، قال: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ جَلَسَ أَحَدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: استحباب الجلوس حيث ينتهي به المجلس، سواء كان في صدر المحل أو أسفله. هكذا كان فِعل النبي ﷺ وفِعل الصحابة إذا أتوا مجلس النبي ﷺ. يعني لا يتقدم إلى صدر المجلس إلا إذا آثره أحد بمكانه، أو كان قد ترك له مكان في صدر المجلس فلا بأس، وأما أن يشق المجلس، وكأنه يقول للناس ابتعدوا وأجلس أنا في صدر المجلس، فهذا خلاف هدي النبي ﷺ وهدي أصحابه، وهو يدل على أن الإنسان عنده شيء من الكبرياء والإعجاب بالنفس، ثم إن كان الرجل صاحب خير وتذكير وعلم، فإن

مكانه الذي هو فيه، سيكون هو صدر المجلس، فسوف يتجه الناس إليه، ولهذا كان الرسول ﷺ إذا دخل المجلس جلس حيث ينتهي به، ثم يكون المكان الذي هو فيه الرسول ﷺ هو صدر المجلس.

[٨٢٨] وعن أبي عبد الله سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى**». رواه البخاري.

«**فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ**»: يعني لا يجلس بينهما فيضيّق عليهما، أما لو كان هناك فرجة فهذا ليس بتفريق، لأن هذين الاثنين هما اللذان تفرّقا، لكن أن تجد اثنين متراصّين ليس بينهما مكان ثم تجلس بينهما، هذا من الإيذاء، وقد رأى النبي ﷺ رجلاً يتخطّى الرقاب يوم الجمعة والنبي يخطب، فقال له: «**اجْلِسْ فَقَدْ آذَيْتَ**».

[٨٢٩] وعن عمرو بن شُعَيْب عن أبيهِ عن جَدِّهِ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وفي رواية لأبي داود: «**لَا يُجْلَسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا**»، يعني إذا جئت ووجدت شخصين جلس أحدهما إلى جنب الآخر فلا يفرق بينهما، إلا إذا أذنا لك في هذا، إما باللسان، يعني إذا قال أحدهما تعال اجلس هنا، أو بالفعل، بأن يتفرق بعضهما عن بعض إشارة إلى أنك تجلس بينهما، وإلا فلا تفرق بينهما لأن هذا من سوء الأدب.



**[٨٣٠]** وعن حذيفة بن اليمان ﷺ: أن رسول الله ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الحَلْقَةِ. رواه أبو داود بإسنادٍ حسن.

وروى الترمذي عن أبي مِجْلَزٍ: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ وَسَطَ حَلْقَةٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَلْعُونٌ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ لَعَنَ اللهُ عَلَى لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ مَنْ جَلَسَ وَسَطَ الحَلْقَةِ. قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فلا يجوز للإنسان أن يجلس وسط الحلقة، يعني إذا رأيت جماعة متحلّقين سواء كانوا متحلقين على من يعلمهم أو على من يتكلم معهم، فلا يجلس في وسط الحلقة، وذلك لأنك تحول بينهم وبين من معهم، ثم إنهم لا يرضون في أن يجلس أحد في الحلقة، إلا إذا أذنوا لك، بأن وقفت مثلاً وكان المكان ضيقاً، وقالوا تفضل اجلس هنا فلا حرج.



**[٨٣١]** وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خَيْرُ المَجَالِسِ أَوْسَعُهَا**». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح على شرط البخاري.

ومما ينبغي في المجالس أيضاً أن تكون واسعة فإن سعة المجالس من خير المجالس كما قال ﷺ، لأنها إذا كانت واسعة حملت أناساً كثيرين، وصار فيها انشراح وسعة صدر، وهذا على حسب الحال، قد يكون بعض الناس بيته ضيقة، لكن إذا أمكنت السعة فهو أحسن.



**[٨٣٢]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

كذلك أيضاً من آداب المجالس: أن الإنسان إذا جلس مجلساً فكثر فيه لغطه، فإنه يكفّره بالدعاء المذكور، فإذا قال ذلك فإن هذا يمحو ما كان منه من لغط.

**[٨٣٣]** وعن أَبي بَرْزَة ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ بِأَخَرَةٍ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ المَجْلِسِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَى؟ قَالَ: «**ذٰلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي المَجْلِسِ**». رواه أبو داود، ورواه الحاكم في "المستدرك" وقال: صحيح الإسناد.

هذا دليل على أن النبي ﷺ كان يفعله، وبيّن أنّ هذا كفارة المجلس، وقلّما يجلس الإنسان مجلساً إلا ويحصل له فيه شيء من اللغط أو من اللغو، أو من ضياع الوقت، فيحسن أن يقول ذلك كلما قام من مجلسه.

**[٨٣٤]** وعن ابن عمر ﷺ قال: قَلَّمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّى يَدْعُوَ بِهٰؤُلَاءِ الدَّعَواتِ: «**اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا، وَأَبْصَارِنَا، وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوَارِثَ مِنَّا، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الخشية: هي الخوف مع معرفة جلال الله، ولذا اختصت بالعلماء بالله؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، لأن الإنسان كلما خشي الله منعته خشيته من الله أن ينتهك محارم الله، فإن الجنة طريقها طاعة الله واجتناب محارمه.

المصائب: في الحقيقة تكون في مال الإنسان، بأن يحترق ماله أو يسرق أو يتلف فهذه مصيبة، وتكون أيضاً في أهل الإنسان، فيمرض أهله أو يموتون، لكن أعظم مصيبة هي مصيبة الدين، وهناك مصائب في الدين خفيفة، كشيء من المعاصي، وهناك مصائب في الدين مهلكة مثل الكفر والشرك والشك، هذه مُهلكة مثل الموت للبدن، ولا بد للإنسان من الدنيا، لكن لا تكون الدنيا أكبر همه ولا مبلغ علمه، فهذه مهما كانت فإنها ستزول، يعني لو كان الإنسان عالماً في الطب أو عالماً في الفلك، أو عالماً في الجغرافيا، أو عالماً في أي شيء من علوم الدنيا، فهي علوم تزول، فالكلام على علم الشرع وعلم الآخرة، وهذا الدعاء جامع لخيري الدنيا والآخرة، والمقصود بهذا أن الرسول ﷺ كان يقول ذلك في أكثر أحيانه، ولكن هل هو في كل مجلس حتى مجالس الوعظ ومجالس الذكر؟ في هذا نظر، وابن عمر لا يتابع النبي في كل مجلس، بل قد يفوته بعض المجالس، فإن قال الإنسان هذا الذكر في أثناء المجلس أو في أوله أو في آخره حصل بذلك السنة التي كان النبي ﷺ يفعلها.



**[٨٣٥]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لَهُمْ حَسْرَةٌ**». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

وذكر جيفة الحمار زيادة في التّنفير، وإيماءٍ إلى أن تارك الذكر بمثابة الحمار المضروب به المثل في البلادة، فمثلاً، إذا تحدث أحد الأشخاص في المجلس عن آية من آيات الله، فإن هذا من ذكر الله، مثل أن يقول: سبحان الله؛ لو اجتمع الخلق على أن يدفئوا هذا الجو البارد جداً ما استطاعوا، وقد جاء عن بعض السلف أنه قال: «**يُعْرَضُ عَلَى ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ سَاعَاتُ عُمْرِهِ، فَكُلُّ سَاعَةٍ لَمْ يَذْكُرِ اللهَ فِيهَا تَتَقَطَّعُ نَفْسُهُ عَلَيْهَا حَسَرَاتٍ**».



**[٨٣٦]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَى فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[٨٣٧]** وعنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ**». رواه أبو داود.

"ترة": نقص وخسارة. وفي الحديث: استحباب الذكر في كل حال من الأحوال، ولا يقصد بالذكر ما يُطلقون عليه (الحضْرة): وهي اسم يطلق على نوع من الذكر الجماعي تقوم به طوائف من الصوفية؛ يجتمعون في حلقة يرددون فيها طائفة من أورادهم وأذكارهم وأناشيدهم، وما يُطلق (الدراويش) على الحفلات الدينية التي يحيونها بانتظام كل يوم من أيام الجمعة اسم (الحضْرات)، وعادة ما يصاحب ذلك تمايل أو حركات رقص، وقد يصاحبها دفّ أو بعض آلات المعازف، ولكل طائفة من طوائف الصوفية مناسبات معينة يقيمون فيها هذه الحضرة، ويتعلق كثير منها بقبور من يرونهم أولياء وصالحين! وهذه الحضرة مما يقطع بأنها حَوَت جملة من المخالفات، وبعضها أشد من بعض؛ منها: أنها تعبّد لله تعالى بما لم يشرعه؛ فالأصل في العبادات التوقيف، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله تعالى.





## ١٣٠- الرُّؤيا

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الروم:٢٣]، وذلك لما فيه من إذهاب الشعور والإدراك حتى يصير النائم كالميت، ثم يستيقظ منه فيعود له إدراكه وشعوره كما كان قبله، والرؤيا لا تكون إلا في النوم.

**[٨٣٨]** عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتِ**»، قَالُوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ**». رواه البخاري.

معناه: أن الوحي انقطع بموته ﷺ، فلم يبق منه إلا الرؤيا الصالحة، أي: الصادقة، فالإنسان إذا نام، فإن الله تعالى يتوفى روحه، لكنها وفاة صغرى، كما قال الله تعالى: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾، وهذه الوفاة الصغرى تذهب فيها الروح إلى حيث يشاء الله، ثم إن الروح في هذه الحال ترى منامات ومرائي تنقسم إلى ثلاثة أقسام: رؤيا محبوبة، ورؤيا مكروهة، ورؤيا عبارة عن أشياء ليس لها معنى، قد تكون من تلاعب الشيطان، وقد تكون من حديث النفس.

القسم الأول: الرؤيا الصالحة الحسنة: وهي إذا رأى الإنسان ما يحب، فهي عاجل بشرى المؤمن، يراها أو ترى له.

والقسم الثاني: الرؤيا المكروهة، وهي من الشيطان، حيث يضرب الشيطان للإنسان أمثالاً في منامه يزعجه بها، ودواؤها أن يستعيذ بالله من شرّ الشيطان ومن شرّ ما رأى، ولا يذكرها لأحد، فإنها لا تضره، ولا يحرص على أن تُعبّر، لأن بعض الناس إذا رأى ما يكره، ذهب إلى المفسرين، أو يطالع في الكتب، ولكنها إذا عُبّرت فإنها تقع على الوجه المكروه، وإذا استعاذ بالله من شرّ الشيطان ومن شرّ ما رأى، ولم يحدّث بها أحداً، فإنها لا تضرّه مهما كانت، وهذا دواء سهل أن الإنسان يتصبّر ويكتمها.

أما القسم الثالث: هو الذي ليس له هدف معين، فهذا أحياناً يكون من حديث النفس، حين يكون الإنسان متعلقاً قلبه بشيء من الأشياء يفكر فيه، وينشغل به، ثم يراه في المنام، أو أحياناً يلعب به الشيطان في منامه، يُريه أشياء ليس لها معنى، كما ذكر رجل للنبي ﷺ قال: يا رسول الله، رأيت في المنام أن رأسي قد قطع، وذهب رأسي يركض وأنا أسعى وراءه، فقال النبي ﷺ: «**لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِتَلَعُّبِ الشَّيْطَانِ بِكَ فِي مَنَامِكَ**».

**[٨٣٩]** وعنه: أن النبي ﷺ قال: «**إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَرُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا، أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا**».

**[٨٤٠]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ- أَوْ كَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ- لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقد يتمثل الشيطان بصورة إنسان ويراه النائم، إلا النبي ﷺ، فإن الإنسان إذا رأى النبي ﷺ على هذا الوصف المعروف فإنه قد رآه حقاً، لأن الشيطان لا يتمثل بالنبي ﷺ أبداً، ولا يجرؤ، فإذا رأى الإنسان شخصاً، ووقع في نفسه أنه النبي ﷺ، وتطابقت أوصافه مع أوصاف النبي ﷺ فهو هو، وإن لم تتطابق فليس هو، وإنما هذه أوهام من الشيطان أوقعها في نفس النائم أن هذا هو الرسول ﷺ، وليس هو الرسول ﷺ، ولذلك دائماً يأتي أحد يقول: رأيت الرسول ﷺ وقال كذا وفعل كذا، ثم إذا أوصافه لا تطابق أوصاف النبي ﷺ، فنجزم أن هذا ليس هو الرسول ﷺ، ولو جاء إنسان وقال رأيت الرسول ﷺ، وقال لي كذا، وأوصاني بكذا، فإن كان يخالف الشريعة فهو كذب.



**[٨٤١]** وعن أَبي سعيدٍ الخدرِيِّ رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ اللهِ تَعَالَى، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا**». وفي رواية: «**فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ، وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذٰلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية الترمذي: «**وَلَا تُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا لَبِيبًا، أَو حَبِيبًا، وَإِذَا رَأَى الرُّؤْيَا القَبِيحَةَ فَلَا يُفَسِّرْهَا، وَلَا يُخْبِرْ بِهَا أَحَدًا**».

**[٨٤٢]** وعن أَبي قَتَادَةَ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ...**»، وفي رواية: «**الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ مِنَ اللهِ، وَالحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهَا لَا تَضُرُّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

النَّفْثُ: نَفْخٌ لَطِيفٌ لَا رِيقَ مَعَهُ.

فالرؤيا قد تكون رؤيا حسنة، وقد يكون الحلم، وهذا من الشيطان فيما يكره الإنسان، أي إن الشيطان يُريه الإنسان حتى يفزع ويتكدر ويحزن، وربما يمرض، فقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾.

فالحلم هو هذا الذي يراه الإنسان في منامه يكرهه ويزعجه، ولكن دواء هذا الداء: أن يبصق الإنسان على يساره ثلاث مرات، ويستعيذ بالله من شر الشيطان ثلاث مرات، ومن شر ما رأى، ويتحول إلى الجانب الثاني، وإذا لم ينفع هذا، فليقم ويتوضأ ويصلي ولا يخبر بها أحداً، فلا يقول رأيت ورأيت، ولا يذهب إلى أحد يفسرها، فإنها لا تضره أبداً، حتى وكأنها ما وقعت، وفي هذا راحة له.



**[٨٤٣]** وعن جابر ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّل عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ**». رواه مسلم

التحوّل: تفاؤل يتحول الحال من الرؤيا القبيحة إلى الرؤيا الحسنة.

وجاء من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ، وَلَا يُحَدِّثْ بِهِ النَّاسَ**». مُتَّفَق عَلَيْهِ.

المهم ألّا نعتمد على ما يوجد في بعض الكتب، ككتاب تفسير الأحلام لابن سيرين وما أشبهها، فإن ذلك خطأ، وذلك لأن الرؤيا تختلف بحسب الرائي، وبحسب الزمان، وبحسب المكان، وبحسب الأحوال، يعني ربما يرى الشخص رؤيا فنفسرها له بتفسير، ويرى آخر الرؤيا نفسها فنفسرها له بتفسير آخر، وذلك لأن هذا رأى ما يليق به، وهذا رأى ما يليق به، فالمهم ألّا يرجع الإنسان إلى الكتب المؤلفة في تفسير الأحلام، لأن الأحلام والرؤى تختلف.

**[٨٤٤]** وعن أبي الأَسْقَعِ واثِلةَ بن الأَسْقَعِ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِي عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ**». رواه البخاري.

في هذا الحديث: أن هذه الخصال الثلاث من أعظم الكذب، لأن المنتسب إلى غير أبيه يدَّعي أن الله خلقه من ماء فلان، والكذب في الرؤيا كذب على الله، لأنها جزء من النبوة.

وعن ابن عباس مرفوعًا: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ**».

والكذب على الرسول ﷺ كذب في الدين، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «**مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**».





## ١٣١ - إفشاء السَّلام

السّلام: يراد به التحية التي شرعها النبي ﷺ لأُمّته، وهو بمعنى الدعاء بالسلامة من كل آفة، من المرض ومن الجنون، ومن شر الناس، يسلمه من المعاصي وأمراض القلوب، يسلمه من النار، ومن كل ما يسوؤه. وأفشوا السلام بينكم، يعني: أظهروه، أعلنوه، لأنه من أسباب المحبة، ولذلك إذا لاقاك رجل ولم يسلم عليك كرهته، وإذا سلم عليك أحببته، وإن لم يكن بينك وبينه معرفة، ولهذا كان من حُسن الإسلام أن تفشي السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور:٢٧].

الأنس: يعني حتى لا يكون في قلبك وحشة، لأن الإنسان إذا دخل بيت غيره من دون استئذان استوحش، وإذا دخل باستئذان فقد استأنس.

مثلاً قال له: ائتني الساعة الرابعة والنصف وتجد الباب مفتوحاً، فإذا جئت في الموعد ووجدت الباب مفتوحاً فلا حاجة لأن أستأذن، أنت الآن مستأنس لا مستوحش، لأن عندك إذناً مسبقاً، فقراءة ﴿حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا﴾ هي الصحيحة، يعني هي أشمل من قراءة حتى تستأذنوا. عن الحسن قال: فإن كانوا في دار واحدة يتنحنح، ويتحرك أدنى حركة.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور:٦١].

قوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾، يعني على من فيها، وجعلكم من أنفسكم، لأنكم أنتم وإياهم نفس واحدة.

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وليس المعنى أن الإنسان يلمز نفسه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء:٨٦].

﴿بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾: يشمل الأحسن نوعًا والأحسن كمًّا، والأحسن كيفية، فمثلاً: إذا قال السلام عليك، فقلت أهلاً ومرحباً، حيَّاك الله، تفضل، فهذا لا يجزئ، ولو قلته ألف مرة، لن ينفع، وكنت آثماً، لأنك لم ترد بأحسن ولا بالمثل، فإذا قلت أهلاً ومرحباً، فهذه تحية بلا دعاء، وإذا قال: السلام عليك ورحمة الله، فقلت: عليك السلام، فهذا لا يجوز، لأنك ما رددت بأحسن ولا بالمثل، فلا بد أن تقول كما قال وأحسن مما قال، وإذا سلّم عليك بصوت واضح مرتفع لا ترد عليه بطرف أنفك. وظاهر هذه الآية الكريمة، أنه لو حيّاك رجل من الكفار؛ قال: السلام عليك، بعبارة واضحة، فقلت وعليك السلام، فلا بأس بها. وأما قول النبي ﷺ: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا وَعَلَيْكُمْ**»، يعني: لا تقولوا وعليكم السلام، فإنه بيّن سبب ذلك في الحديث نفسه، فقال: «**إِنَّ اليَهُودَ إِذَا سَلَّمُوا يَقُولُونَ السَّامُّ عَلَيْكُمْ**»، يعني يدعون عليكم بالموت، فقال ﷺ: «**قُولُوا وَعَلَيْكُمْ**»، أي وعليك أنت أيضاً السَّامُّ. يُفهم من هذا الحديث أنهم لو قالوا السلام عليكم فإننا نقول وعليكم السلام، ولا بأس، لأن الله قال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾.



**[٨٤٥]** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رجلا سأل رسول الله ﷺ: أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

سئل الرسول ﷺ "أَيُّ الإِسْلَامِ خَيْرٌ؟"، والصحابة رضي الله عنهم إذا سألوا الرسول في مثل هذه الأسئلة، لا يريدون مجرد العلم، وإنما يريدون العمل، فقال النبي ﷺ: «**تُطْعِمُ**

**الطَّعَامَ**»، يعني من احتاج إليه، وأول من يلزمك هو إطعام عائلتك، وإطعامهم صدقة وصِلة، وأفضل من إطعام الأباعد، وبعض الناس ينفق على أهله ما ينفق، ولكنه لا يشعر بأنه يتقرب إلى الله، ولو جاءه مسكين وأعطاه ريالاً واحداً، يشعر بأنه أفضل.

و«**وَتَقْرَأُ السَّلَامَ**»: وهذا هو الشاهد، يعني تقول السلام عليكم على من عرفت ومن لم تعرف، أما من لا يسلم إلا سلام معرفة، فسوف يفوته خير كثير، لأنه ربما مرّ به العشرات لا يعرف منهم إلا واحداً، إلا إذا كان الذي مررت به كافراً، فلا تسلم عليه، لأن النبي ﷺ قال: «**لَا تَبْدَؤُوا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ**»، وغيرهم أخبث منهم؛ مثل السيخ والبوذيين والهندوس والمشركين والشيوعيين ومن شابههم، فلا تقرأ ﷺ، ولا تسلّم عليهم، وكذلك الفاسق المعلن بفسقه، وهو أنك إذا لم تسلم عليه تاب من فسقه ورجع إلى الله، أما إذا كان الأمر بالنسبة له سيّان، سلّمت أو لم تسلّم، وكان عدم سلامك عليه يجعل في قلبه عداوة عليك، ويستمر في باطله، ولا يقبل منك النصيحة، فسلم عليه.

[٨٤٦] وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ آدَمَ ﷺ، قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ- نَفَرٍ مِنَ المَلَائِكَةِ جُلُوس- فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ، فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ**».
مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث دليل على أن هذه الخليقة البشرية كانت من العدم، وأنها لم تكن شيئاً مذكوراً من قبل، كما قال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾، فخلقها الله وأوجدها لحكمة عظيمة، وأن الملائكة أجسام وليست أرواحاً بلا أجسام، لأنهم جلوس والجالس يعني أنه جسم، وقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته التي خلق عليها، له ستمائة جناح قد سدّ الأفق.

من فوائد هذا الحديث: أن السنّة في السلام (السلام عليك) إذا كان المسَلَّمُ عليه واحداً، وإذا كانوا جماعة تقول: (السلام عليكم)، وأن السلام متلقَّن من الملائكة بأمر الله، حيث قال: «**فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ مِنْ بَعْدِكَ**»، وأن الأفضل في ردّ السلام أن يزيد الإنسان: ورحمة الله، لأن الملائكة زادوا، والله ﷻ قال: ﴿**فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا**﴾ فبدأ بالأحسن، ﴿**أَوْ رُدُّوهَا**﴾.

**[٨٤٧]** وعن أبي عُمارة البراءِ بن عازِبٍ رضي الله عنه، قال: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٨٤٨]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**». رواه مسلم.

**[٨٤٩]** وعن أبي يوسف عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**[٨٥٠]** وعن الطُّفَيْل بن أُبَيِّ بن كعبٍ: أَنَّه كَانَ يَأْتِي عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ، فَيَغْدُو مَعَهُ إِلَى السُّوقِ، قَالَ: فَإِذَا غَدَوْنَا إِلَى السُّوقِ، لَمْ يَمُرَّ عَبْدُ اللهِ عَلَى سَقَّاطٍ وَلَا صَاحِبِ بَيْعَةٍ، وَلَا

مِسْكِينٍ، وَلَا أَحَدٍ، إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ. قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ يَوْمًا، فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بِالسُّوقِ وَأَنْتَ لَا تَقِفُ عَلَى البَيْعِ، وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلَا تَسُومُ بِهَا، وَلَا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ؟ وَأَقُولُ: اجْلِسْ بِنَا هَا هُنَا نَتَحَدَّث، فَقَالَ: يَا أَبَا بَطْنٍ- وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ- إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ، فنُسَلِّمُ عَلَى مَنْ لَقِيْنَاهُ. رواه مالك في المُوطَّأ بإسنادٍ صحيح.

قوله: "يَا أَبَا بَطْنٍ"، فإن الطفيل كان كبير البطن، وهذا من باب المداعبة، وليس قصده أن يعيّره بأنه كبير البطن.

فالإنسان إذا سلّم وأفشى السلام وأظهره، كان هذا سبباً لدخول الجنة، كما في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»، ولأن الإنسان إذا قال السلام عليكم أو السلام عليك، إذا كان واحداً، فإنه يُكتب له بذلك عشر حسنات، فإذا سلّم على عشرة أشخاص كتب له بذلك مائة حسنة، وهذا خير من البيع والشراء، فكان عبد الله بن عمر يدخل السوق من أجل ذلك، لأنه في بيته لا يأتيه أحد.

هذا دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يملّ من كثرة السلام، لو قابلت مائة شخص فيما بينك وبين المسجد مثلاً فسلّم، إذا سلّمت على مائة شخص تحصل على ألف حسنة، هذا أيضاً دليل على أن السلف الصالح لا يفرطون في كسب الحسنات، بخلاف الناس في وقتنا الحاضر.





## ١٣٢ - كيفيَّة السَّلام

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ المُبْتَدِئُ بِالسَّلَامِ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِ بِضَمِيرِ الجَمْعِ، وَإِنْ كَانَ المُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، وَيقُولُ المُجِيبُ: وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، فَيَأْتِي بِوَاوِ العَطْفِ فِي قَوْلِهِ: وَعَلَيْكُمْ، فَكَمَالُ السَّلَامِ يَأْتِي بِضَمِيرِ الجَمْعِ لِيَعُمَّ مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ المَلَائِكَةِ، وَإِنْ أَفْرَدَ الضَّمِيرَ جَازَ.

**[٨٥١]** عن عِمْرَان بن الحصين ﷺ، قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَشْرٌ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**عِشْرُونَ**»، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبركَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**ثَلَاثُونَ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[٨٥٢]** وعن عائشةَ ﷺ، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**هٰذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ**»، قَالَتْ: قُلْتُ: وَعليه السلام وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهكذا وقع في بعض رواياتِ الصحيحين: «**وَبَرَكَاتُهُ**»، وفي بعضها بحذفِها.

في هذا الحديث: جواز سلام الرجل الأجنبي على المرأة عند أمن الرّيبة، وزاد البخاري في روايته: أنها قالت: "تَرَى مَا لَا نَرَى يَا رَسُولَ الله".

ولكن؛ هل يجب عليك أن تنقل الوصية؟ إذا قال: سلم لي على فلان؟ فصّل العلماء، فقالوا: إن التزمت له بذلك وجب عليك، لأن الله تعالى يقول: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾، وأنت الآن تحمّلت هذا، أما إذا قال سلّم لي على فلان وسكت، أو

قلت له مثلاً: إذا تذكّرت، فهذا لا يلزم، إلا إذا تذكّرت، وقد التزمت له أن تسلّم عليه إذ تذكّرت، لكن الأحسن ألا يكلّف الإنسان أحداً بهذا، لأنه ربما يشقّ عليه.



**[٨٥٣]** وعن أنسٍ ﷺ، أن النبي ﷺ: كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّى تُفهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا. رواه البخاري.

وَهٰذا مَحْمُولٌ عَلَى مَا إِذَا كَانَ الجَمْعُ كَثِيرًا.

في هذا الحديث: كمال حسن خُلُقه ﷺ ومزيد شفقته، والاقتصار على الثلاث في الكلام إشعار بأن مراتب الفهم كذلك: أعلى، وأوسط، وأدنى، ومن لا يفهم في ثلاث لا يفهم ولو زيد على ذلك، وكان ﷺ إذا تكلم، تكلم ثلاثاً، وإذا سلّم، سلّم ثلاثاً، لكنه يتكلم ثلاثاً إذا لم تفهم الكلمة عنه، أما إذا فهمت فلا يكرر، فإذا فهمت الكلمة فلا حاجة، لكن لو لم تفهم لكون المخاطب ثقيل السمع أو لكثرة الضجة حوله، فليعد مرتين، فإن لم تكف فثلاث، يعني وبعد الثلاث لا يجوز، كما أنه إذا استأذن للدخول في البيت ثلاث مرات ولم يؤذن له انصرف، وكذلك هنا إذا تكلم ثلاث مرات ولم يكلمه، أو لم يفهم، يتركه، كذلك إذا سلمت ولم يسمع، أعد مرة ثانية وثالثة، وهكذا لو قلت: السلام عليك، قال: أهلاً ومرحباً، أعد السلام، قل: السلام عليك، إذا قال أهلاً مرحباً، أعد السلام، قل: السلام عليك، ثلاث مرات، فإن لم ينفع فاتركه، ولكن نبّهه بأن قول القائل في الإجابة أهلاً ومرحباً لا يكفي.



**[٨٥٤]** وعن المِقْدَادِ ﷺ في حديثه الطويل، قال: كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبِيِّ ﷺ نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم.

يُفهم من هذا مشروعية إلقاء السلام لمن دخل على قوم وإن كانوا نياماً، لكن بحيث لا يحصل بسبب ذلك شيء من الإزعاج، وإنما يسمعه اليقظان، ولا يوقظ النائم؛ يسلّم تسليمًا خفيفاً، وهذا من كمال أدبه ﷺ ورحمته بأمته، فيلقي ﵇، ولكنه أيضاً يراعي أحوالهم.

**[٨٥٥]** وعن أسماء بنت يزيد ﵂: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ فِي المَسْجِدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وَهٰذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّه ﷺ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالإِشَارَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي رِوَايةِ أَبِي دَاودَ: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، وفي هذا الحديث: جواز الإشارة بالسلام مع التلفظ به ليتنبه المسلَّم عليه.



**[٨٥٦]** وعن أَبي جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ ﵁ قال: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَقُلتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**لَا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلَامُ؛ فَإِنَّ عَلَيْكَ السَّلَامُ تَحِيَّةُ المَوْتَى**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

في هذا الحديث: نهيُ المبتدئ بالسلام عن قوله: عليك السلام، لأن ذلك تحيَّة الموتى. وقد ورد عنه ﷺ تقديم لفظ السلام على الموتى حين قال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**»، فهو أحسن.



## ١٣٣- آداب السَّلام

**[٨٥٧]** عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

تسليم الماشي لتشبيهه بالداخل على أهل المنزل، وتسليم الراكب لئلا يتكبر بركوبه فيرجع إلى التواضع، وتسليم القليل لأجل حق الكثير لأن حقهم أعظم. قال ابن بطال: وذلك لأن الصغير مأمور بتوقير الكبير والتواضع له، ولكن لو قدر أن القليلين في غفلة ولم يسلّموا فليسلّم الكثيرون، ولو قدر أن الصغير في غفلة فليسلّم الكبير، ولا تترك السنة.



**[٨٥٨]** وعن أَبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عجلان الباهِلِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالله مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلَامِ**». رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ.

ورواه الترمذي عن أَبي أُمَامَةَ ﷺ، قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلَانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ؟، قَالَ: «**أَوْلَاهُمَا بِالله تَعَالَى**». قَالَ الترمذي: هذا حديث حسن.

صار البادئ بالسلام أولى بالله لما صنع من المبادرة إلى طاعة الله والمسارعة إليها. وروى البيهقي عن ابن مسعود يرفعه: «**إِذَا مَرَّ الرَّجُلُ بِالْقَوْمِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ فَرَدُّوا عَلَيْهِ، كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ فَضْلٌ، لِأَنَّهُ ذَكَّرَهُمُ السَّلَامَ، وَإِنْ لَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ خَيْرٌ مِنْهُمْ وَأَطْيَبَ**».

فاحرصْ على أن تكون أنت الذي تسلّم قبل صاحبك، ولو كان أصغر منك، لأن خير الناس من يبدؤهم بالسلام، وأولى الناس بالله من يبدؤهم بالسلام، فهل تحب أن تكون أولى الناس عند الله؟ كلنا يحب ذلك، إذن فابدأ الناس بالسلام.





## ١٣٤- إِعادة السَّلام

**[٨٥٩]** عن أبي هريرة ﵁ في حديثِ المسِيءِ صلاته: أَنَّهُ جَاءَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ﵇، فَقَالَ: «**ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»، فَرَجَعَ فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى فَعَلَ ذٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٨٦٠]** وعنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «**إِذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ، أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ**». رواه أَبُو داود.

فالإنسان إذا سلّم على أخيه ثم خرج، ورجع عن قرب أو عن بعد من باب أولى، فإنه يعيد السلام؛ مثلاً إنسان عنده ضيوف في البيت، فدخل إلى البيت يأتي لهم بماء أو طعام أو نحو ذلك، فإنه إذا رجع يسلّم، وهذه من نعمة الله، كلما غاب الإنسان عن أخيه سواء غيبة طويلة أو قصيرة، فإن الله شرّع لنا أن يسلّم بعضنا على بعض، لأن السلام عبادة.





## ١٣٥ - السَّلام إذا دخلَ البيتَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً**﴾ [النور: ٦١].

هذه الآية عامّة في جميع البيوت، فإذا دخل بيتًا فيه أهله فليسلِّمْ عليهم، وإذا دخل بيتًا خاليًا فليقلْ: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

**[٨٦١]** عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ، فَسَلِّمْ، يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ، وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.





# ١٣٦ - السَّلام على الصِّبيان

**[٨٦٢]** عن أنسٍ ﷺ: أَنَّهُ مَرَّ عَلَى صِبْيَانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَفْعَلُهُ. متفقٌ عَلَيْهِ.

الصِّبيان يعني الصِّغار من سن التمييز إلى سن الثانية عشرة ونحوها، وقد جرت عادة الكثير من الناس ألا يسلَم على الصبيان استخفافاً بهم، ولكن هذا خلاف هدي النبي ﷺ، حيث كان يسلَم على الصغير والكبير.

وللسلام على الصبيان أكثر من فائدة، منها: اتِّباع سنة النبي ﷺ، والتواضع، وقد قال النبي ﷺ: «**مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ**»، وتعويد الصبيان؛ إذا رأوا الرجل يمر بهم ويسلّم عليهم تعودّوا ذلك، واعتادوا هذه السُّنة، يعني أن الصبي يحب الذي يسلّم عليه ويفرح لذلك، وربما لا ينساها أبدًا.



## ١٣٧- سلام الرَّجل على النّساء

إن السلام على المحارم من النساء والزوجات سُنَّة، والمحارم: يعني التي لا يحلّ لك أن تتزوج بها، تسلّم عليها ولا حرج، فأنت تسلّم على زوجتك، وأختك، وعمتك، وبنت أخيك، وبنت أختك، أما الأجانب فلا تسلّم عليهن، اللهم إلا العجائز الكبيرات، إذا كنت آمناً على نفسك من الفتنة، وأما إذا خفت الفتنة فلا تسلّم، ولهذا جرت عادة الناس اليوم أن الإنسان لا يسلّم على المرأة إذا لاقاها في السوق وهذا هو الصواب، ولكن لو أتيت بيتك، ووجدت فيه نساء من معارفك وسلّمت فلا بأس، بشرط أمن الفتنة، وكذلك المرأة تسلم على الرجل بشرط أمن الفتنة.



**[٨٦٣]** عن سهل بن سعدٍ ﷺ قال: كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ- وفي رواية: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ- تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ، وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَإِذَا صَلَّيْنَا الْجُمُعَةَ، وَانْصَرَفْنَا، نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا. رواه البخاري.

تُكَرْكِرُ: تطحن، والسِّلْقُ: بقل معروف، يجلو، ويحلل، ويلين، ويفتح ويسرّ النفس، وهو نافع للنِّقْرِسِ والمفاصل.

كانت تلك العجوز تأخذ من هذه الأصول وتلقيها في الماء، وتغليها على النار، وتكركر عليها حبات من شعير، فإذا خرج الصحابة، يأكل من هذا السلق ويفرحون به، لأن الصحابة ﷺ لم يكونوا أغنياء إلا بعد فتح الله عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿وَعَدَكُمْ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾، فكثرت الأموال بعد الفتوح، أما قبل ذلك فإن غالبية الصحابة كانوا فقراء.



**[٨٦٥]** وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ ﵂، قالت: مَرَّ عَلَيْنَا النّبِيُّ ﷺ فِي نِسْوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن.

ولفظ الترمذي: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، مَرَّ فِي المَسْجِدِ يَوْمًا وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَى بِيَدِهِ بِالتَّسْلِيمِ.

فيه: جواز التسليم على الأجنبيات إذا أمنت الفتنة بهن أو منهن.



## ١٣٨- ابتداءُ الكافر بالسَّلام

[٨٦٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ وَلَا النَّصَارَى بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: النهي عن ابتداء الكافر بالسلام، وهو قول الجمهور، قطعًا للتوادّ، وجواز بعض العلماء ابتداءهم به لضرورة وحاجة وسبب، فالسلام على المسلمين سنة مؤكدة، أما السلام على الكفار فإنه لا يحل لنا أن نبدأهم بالسلام، لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، وذلك لأن تسليمنا عليهم فيه نوع من الإكرام لهم، والكافر ليس أهلاً للإكرام، بل الكافر حقّه منّا أن نغيظه، وأن نذلّه، وأن نهينه، لأن الله ﷻ قال: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾. ولهذا لما كثرت العمالة النصرانية بيننا اليوم، فذهبت الغيرة من القلوب، وكأن النصراني أو اليهودي أو البوذي أو الوثني، لا يخالفنا إلا كما يخالف المالكي الحنبلي والشافعي عند بعض الناس؛ يظنون اختلافنا مع أهل الكفر كاختلاف المذاهب الأربعة في الإسلام وهذا لا شك أنه من موت القلوب.

قوله: «**فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَى أَضْيَقِهِ**»، يعني: لا نوسّع لهم الطريق؛ لو كان جماعة مسلمون وجماعة كفار تلاقوا في الطريق، لا يفسح المسلمون لهم المجال، ولو تفرقوا في الطريق، لأنك إذا أفسحت الطريق لهم يُعدّ هذا إكراماً لهم. لماذا نعاملهم هذه المعاملة؟ لأنهم أعداء لله قبل كل شيء، وأعداء لنا، فقد قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**﴾، فهم أعداء الله وأعداؤنا، وأفعالهم بالمسلمين سابقاً ولاحقاً وإلى اليوم، تدل على ذلك، وعلى شدة عداوتهم للمسلمين.



**[٨٦٧]** وعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال بعض العلماء: إذا قال الكافر (السلام عليكم) باللام الواضحة، فقل وعليكم السلام، لأنه زال الأمر الذي بنى عليه الرسول ﷺ، كما في حديث ابن عمر في البخاري إنهم يقولون: (السَّامُّ عليكم)، فإذا سلّموا فقولوا وعليكم، وهذه علّة واضحة، لأن السبب أننا نقول وعليكم، أما إذا قالوا (السلام) صراحة، فنقول: وعليكم السلام، صراحة، وإن قالوا أهلاً وسهلاً فقل أهلاً وسهلاً، وإن قالوا مرحباً، فقلْ مرحباً، فنعطيهم مثل ما يعطوننا، لكن قد أشكل على بعض الناس الآن، أننا ابتلينا بقوم من الكفار يكونون رؤساء في بعض الشركات، فيدخل المسلم على مكتب الرئيس، رئيس الشركة وهو يهودي أو نصراني، فماذا يقول؟ يسلّم ويقول: (سلام) فقط، وينوي بقلبه أنه السلام على المسلم، لأنك إذا حذفت ضمير المخاطب لا يدري لمن هذا السلام، وهذا إذا خفت شرّه، أما إذا لم تخف شرّه، فادخل لقضاء مصلحتك منه من دون سلام.

فلا يحلّ للإنسان أبداً أن يعتزّ بالكافر، والمفترض أن نعمل كل ما فيه غيظ لهم، ولكن يجب علينا أن نَفِي لهم بالعهد الذي بيننا وبينهم، فمثلاً: عمالٌ ولو كانوا نصارى، فالأَولى أن لا نأتي بعمال نصارى في الجزيرة العربية، لأن الرسول ﷺ قال: «**لَأُخْرِجَنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبْ**»، وأمر فقال: «**أَخْرِجُوا اليَهُودَ وَالنَّصَارَى مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبْ**»، وقال وهو في مرض موته: «**أَخْرِجُوا المُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبْ**»، فلا تأتِ بكافر وأنت يمكنك أن تأتي بمسلم، وأما من يقول: أنا آتي بعمال كفار لأنهم لا يصلّون، فلو صلّوا لنقص العمل! وحتى لا يصوموا فيضعف العمل! وحتى لا يذهبوا لعمرة أو حج! فهذا ممن اختار الدنيا على الآخرة.

واختلف العلماء، هل يجوز أن نبدأهم بغير السلام، مثل مرحباً، أهلاً وسهلاً؟ منهم من قال يجوز؛ لا سيما إن خاف منه أو لم يأمن شرّه، ومنهم من قال لا؛ لأن ذلك فيه تعظيم لهم، والإنسان في هذه الحال ينظر ما تقتضيه الحاجة أو المصلحة.

**[٨٦٨]** وعن أسامة ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، مَرَّ عَلَى مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ- عَبَدَةِ الأَوْثَانِ- وَاليَهُودِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِم النَّبِيُّ ﷺ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أما إذا مرّ الإنسان بجمع فيه مسلمون وكفار، هل يترك السلام لأن فيهم كفاراً؟ أم يسلّم لأن فيه مسلمين؟ اجتمع الآن سببان، والقاعدة الشرعية أنه إذا اجتمع مبيح وحاظر، وتعذر انفكاك أحدهما عن الآخر، فإنه يغلب جانب الحاظر، أي المنع، لكن هنا يمكن من الانفكاك؛ تسلّم وتنوي بقلبك أن السلام على المسلمين.



## ١٣٩ - السَّلام إذا قامَ منَ المجْلِسِ

**[٨٦٩]** عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا انْتَهى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَى بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

كمال الشريعة أنها جعلت المبتدي والمنتهي على حد سواء في مثل هذه الأمور، والشريعة كما نعلم جميعاً من لدن حكيم خبير، فتجدها كلها متناسقة متصاحبة ليس فيها تناقض ولا تفريط.



## ١٤٠- الاستئذان وآدابه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

الاستئذان: أن تطلب من صاحب البيت أن يأذن لك في الدخول، فإن أذن لك فادخل، وإن لم يأذن لك فلا تدخل، حتى لو قال لك بصراحة ارجع فارجع، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾.

وأنت يا صاحب البيت لا تستح أن تقول ارجع، وأنت أيها المستأذن لا تغضب عليه إذا قال لك أرجع، لأن الإنسان قد يكون غير مستعد لاستقبال الناس، فلا يمكن أن تلجئه وتحرجه، وإذا رجعت بعد أن قال لك ارجع، فإن الله يقول ذلك: ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾. [النور:٥٩].

بلغوا الحلم يعني: بلَغوا بالإنزال، لكن كُني عنه بالحلم، لأن الغالب أن الإنسان لا يخرج منه المنيّ أول ما يخرج إلا بالاحتلام، وإن كان بعض الناس يبلغ من دون احتلام، فإذا بلغ الطفل الحلم فإنه لا يدخل البيت إلا باستئذان، أما قبل ذلك فأمره هيّن.



[٨٧٠] عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الاسْتِئْذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



[٨٧١] وعن سهلِ بن سعدٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٨٧٢]** وعن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ، قال: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بيتٍ، فَقَالَ: أَأَلِجُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِخَادِمِهِ: «**أُخْرُجْ إِلَى هٰذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئْذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلِ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُل؟**»، فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُل؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَدَخَلَ. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

**[٨٧٣]** وعن كِلْدَةَ بن الحَنْبل ﵁ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

لكن هناك ثلاث عورات لا بدّ من الاستئذان فيها:

الأولى: من قبل صلاة الفجر.

الثانية: حين تضعون ثيابكم من الظهيرة.

الثالثة ومن بعد صلاة العشاء.

لأن الإنسان في هذه الأوقات الثلاثة قد يكون متهيئاً للنوم، وأما بالنسبة للنظر؛ نظر الطفل للمرأة، فليس مقيداً بالبلوغ، بل هو مقيد بما إذا عرف من الطفل أنه ينظر إلى المرأة نظر شهوة، فإذا علم ذلك، ولو لم يكن له إلا عشر سنوات، فإنه يجب عليها أن تحتجب عنه، وهذا يختلف، قد يكون هذا الطفل يجلس مع قوم أكثر حديثهم في النساء، فهذا تتربى فيه الشهوة الجنسية من البداية.





## ١٤١ - إذا قِيل للمُستأْذِن: مَن أنتَ؟

**[٨٧٤]** عن أنس ﷺ في حديثه المشهور في الإسراءِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثُمَّ صَعَدَ بِي جِبْرِيلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. ثُمَّ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ وَالثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَسَائِرِهِنَّ، وَيُقَالُ فِي بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ: مَنْ هٰذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٨٧٥]** وعن أبي ذرٍّ ﷺ قال: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ القَمَرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: «**مَنْ هٰذَا؟**»، فَقُلْتُ: أَبُو ذَرٍّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٨٧٦]** وعن أُمِّ هانئ ﷺ، قالت: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فَقَالَ: «**مَنْ هٰذِهِ؟**»، فَقُلْتُ: أَنَا أُمُّ هَانِئٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[٨٧٧]** وعن جابر ﷺ قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ: «**مَنْ ذَا؟**»، فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ: «**أَنَا، أَنَا!**»، كَأَنَّهُ كَرِهَهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.





## ١٤٢ - تشميت العاطس

العُطَاسُ: يدل على الخفة والنشاط، فلهذا كان محبوباً إلى الله، وكان مشروعاً للإنسان إذا عطس أن يقول الحمد لله، لأنها نعمة أعطيها فليحمد الله عليها، سواء أكان في الصلاة أو خارج الصلاة، وفي أي مكان كان، إلا إذا كان في قضاء الحاجة فلا يقول بلسانه الحمد لله، ولكن يحمد بقلبه.

**[٨٧٨]** عن أَبي هريرة ﷺ، أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى كَانَ حَقًّا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ**». رواه البخاري.

وذهب بعض العلماء إلى أن تشميت العاطس فرض كفاية، يعني إذا قال واحد من الجماعة يرحمك الله كُفي، وأما التثاؤب فإنه من الشيطان، ولهذا كان الله يكرهه، لماذا؟ لأن التثاؤب يدل على الكسل، ولكن إذا تثاءب فالأولى أن يرده، أي يرد التثاؤب، يكظمه ويتصبر، فإن عجزت عن الكظم فضع يدك على فمك، والسبب في ذلك أن الإنسان إذا تثاءب ضحك الشيطان منه، لأنه يعرف أن هذا يدل على كسله، ويكره الإنسان النشيط الجاد الذي يكون دائماً في حزم وقوة ونشاط، ولكن هل تقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؟ لا، لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ، فالنبي ﷺ علّمنا ماذا نفعل عند التثاؤب، قال: اكظموا أو ردّوا باليد، أما ما اشتهر عند بعض الناس أن الإنسان إذا تثاءب يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فهذا لا أصل له.



**[٨٧٩]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ، وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**». رواه البخاري.

**[٨٨٠]** وعن أَبي موسى رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ فَلَا تُشَمِّتُوهُ**». رواه مسلم.

وفي هذه الأحاديث دليل على أن من عطس ولم يقل الحمد لله، فإنه لا يقال له يرحمك الله، ولكن هل نذكّره فنقول له قل الحمد لله، لا، الحديث هذا يدل على أنك لا تذكّره، فلم يقل النبي ﷺ في الحديث، إذا عطس ولم يحمد الله فذكّروه، بل قال: لا تشمتوه، ولكن فيما بعد علينا أن نخبره، ويكون ذلك من باب التعليم.



**[٨٨١]** وعن أنس رضي الله عنه قال: عَطَسَ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلَانٌ فَشَمَّتَّهُ وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فَقَالَ: «**هٰذَا حَمِدَ اللهَ، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللهَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[٨٨٢]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ- أَوْ غَضَّ- بِهَا صَوْتَهُ. شك الراوي. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ورُوِيَ من حديث عبادة مرفوعًا: «**إِذَا تَجَشَّى أَحَدُكُمْ أَوْ عَطَسَ فَلَا يَرْفَعُ بِهِمَا الصَّوْتَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ بِهِمَا الصَّوْتُ**».

من آداب العطاس: أنه ينبغي للإنسان إذا عطس أن يضع ثوبه على وجهه؛ قال أهل العلم: وفي ذلك حكمتان:

الحكمة الأولى: أنه قد يخرج مع هذا العطاس أمراض تنتشر على من حوله.

الحكمة الثانية: أنه قد يخرج من أنفه شيء مستقذر تتقزز النفوس منه، فإذا غطى وجهه صار ذلك خيرًا.



**[٨٨٣]** وعن أبي موسى ﵁ قال: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ: يَرْحَمُكُمُ اللهُ، فَيَقُولُ: «**يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

كان اليهود يعلمون نبوته ﷺ ورسالته باطنًا، وإن أنكروها ظاهرًا حسدًا وعنادًا؛ قال الله تعالى: ﴿**يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ**﴾ [البقرة:١٤٦]. وفيه: أن الكافر لا يقال له: يرحمك الله، بل يقال: يهديكم الله، ويصلح بالكم.



**[٨٨٤]** وعن أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَى فِيهِ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ**». رواه مسلم.

وعند ابن ماجه من حديث أبي هريرة: «**إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ وَلَا يَعْوِي فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَضْحَكُ مِنْهُ**»، وما ذكره بعض العلماء أنك تضع ظهرها على الفم فلا أصل له، وإنما تضع بطنها تسدّ الفم.





## ١٤٣ - المصافحة عند اللِّقاء

**[٨٨٥]** عن أَبي الخطاب قتادة، قال: قُلْتُ لِأَنَسٍ: أَكَانَتِ المُصَافَحَةُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه البخاري.

ينبغي أن نعرف أن بعض الناس إذا سلّم من صلاةٍ مفروضةٍ صافح أخاه، وأحياناً يقول له: تقبل الله أو قبول، قبول، وهذا من البدع، فما كان الصحابة يفعلون هذا، وإنما يكفي أن يسلّم المصلي عن يمينه وعن يساره، السلام عليكم ورحمة الله.

**[٨٨٦]** وعن أنس رضي الله عنه قال: لَمَّا جَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَدْ جَاءَكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ**». وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالمُصَافَحَةِ. رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.



**[٨٨٧]** وعن البراءِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا**». رواه أبو داود.



**[٨٨٨]** وعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَى أَخَاهُ أَوْ صَدِيقَهُ، أَينحَنِي لَهُ؟ قَالَ: «**لَا**». قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «**لَا**». قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

سئل ﷺ: أننحني؟ قال: لا. قال السائل: أيلتزمه ويعانقه؟ قال: لا، فإذا لاقاه فإنه لا يلتزمه، أي لا يضمّه إليه ولا يعانقه ولا ينحني له، والانحناء أشد وأعظم، لأن فيه نوعاً من الخضوع لغير الله، فهو منهيّ عنه، ولكنّه يصافحه وهذا كافٍ، إلا إذا كان هناك سبب، كأن يكون قادماً من سفر، فإن قال قائل: كيف يكون قول الرسول ﷺ لا ينحني له، مع

قول الله تعالى في إخوة يوسف لما دخلوا عليه: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾؟ فالجواب: هذا في شريعة سابقة، وشريعتنا الإسلامية قد نسخته ومنعت منه، فلا يجوز لأحد أن يسجد لأحد.



## ١٤٤ - تقبيل اليَد والرِّجْل

**[٨٨٩]** وعن صَفْوَانَ بن عَسَّالٍ ﵁ قال: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَى هٰذَا النَّبِيِّ، فَأَتَيَا رَسُولَ الله ﷺ، فَسَأَلَاهُ عَنْ تِسْعِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى قَوْلِهِ: فقَبَّلَا يَدَهُ وَرِجْلَهُ، وَقَالَا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. رواه الترمذي وغيره بأسانيد صحيحةٍ.

في هذا جواز تقبيل اليد والرِّجل للإنسان الكبير الشرف والعلم، كذلك تقبيل اليد والرِّجل من الأب والأم، لأن لهما حقاً، وهو كتقبيل الرأس ليس بينهما فرق، لكن الذي يُنتقد ويُستنكر من بعض الناس، أنه إذا سلّم عليه أحد مدّ يده إليه، وكأنه يقول قبِّلْ يدي! ويقال للإنسان عندئذ لا تفعل.

ولفظ الحديث عند الترمذي، فقال لهم:

**«لَا تُشرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلَا تَمْشُوا بِبريءٍ إِلَى ذِي سُلْطانٍ، وَلَا تَسْحَرُوا، وَلَا تَأْكُلُوا الرِّبَا، وَلَا تَقْذِفُوا المُحْصَنَةَ وَلَا تَوَلَّوا يَوْمَ الزَّحْفِ، وَعَلَيْكُم خَاصَّةَ يَهُودَ أَنْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ»**.

قال الطيبي: كان عند اليهود عشر كلمات: تسع منها مشتركة بينهم وبين المسلمين، وواحدة مختصة بهم، فسألوا عن التسع المشتركة، وأضمروا ما كان مختصًّا بهم، فأجابهم ﷺ عمّا سألوه، وعما أضمروه ليكون أدلّ على معجزاته.

واليهود في المدينة، كان أصلهم من مصر من بني إسرائيل، ثم انتقلوا إلى الشام إلى الأرض المقدسة، وكانوا يقرؤون في التوراة أنه سيُبعث نبيٌّ في آخر الزمان، وأنه سيكون من مكة ومهاجره المدينة، فهاجر كثير منهم من الشام إلى المدينة ينتظرون هذا النبي ليتبعوه، وكانوا إذا جرى بينهم وبين المشركين شيء، يستفتحون على الذين كفروا، يقولون: سيبعث نبي ونتبعه ونستفتح به ونغلبكم، ثم إنهم صاروا ثلاث قبائل: بنو

قينقاع، وبنو النضر، وبنو قريظة، وعاهدهم النبي ﷺ لما قدم المدينة، وكلّهم نقضوا العهد، فطُردوا منها، آخرهم بنو قريظة، قتل منهم نحو سبعمائة نفر لما خانوا العهد في يوم الأحزاب، وانتقلوا إلى خيبر، وفتحها النبي ﷺ وأبقاهم فيها، لأنهم أصحاب مزارع يعرفون الحرث والزرع، والصحابة مشتغلون عن ذلك بما هو أهم، فعاملهم النبي ﷺ، وقال لهم: تبقون في محلكم خيبر، على أن لكم نصف الثمر وللمسلمين نصفهما، واستمر ذلك في عهد أبي بكر، ولما تولى عمر ﵁ حصل منهم خيانة كما هي طبيعتهم، فأجلاهم عمر رضي الله من خيبر في السنة السادسة عشرة إلى أذرعات في الشام، وهي مدينة درعا السورية، تقع بالقرب من الحدود الأردنية. هذا أصل وجود اليهود في الجزيرة العربية، كانوا ينتظرون بعث النبي ﷺ ليتبعوه، ولكنهم لما رأوه عين اليقين كفروا به، ولعلّهم كانوا في أول الأمر يظنون أنه من بني إسرائيل، هكذا قال بعض العلماء، ولكن لما تبين أنه من بني إسماعيل حسدوهم وكفروا به.

**[٨٩٠]** وعن ابن عمر ﵄، قِصَّةٌ قَالَ فِيهَا: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَبَّلْنَا يَدَهُ. رواه أبو داود.



**[٨٩١]** وعن عائشة ﵂ قالت: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ وَرَسُولُ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي، فَأَتَاهُ، فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ يَجُرُّ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.



**[٨٩٢]** وعن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ منَ المَعرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**». رواه مسلم

يعني المعروف والإحسان إلى الناس، لا تحقر شيئاً منه أبداً وتقول هذا قليل، حتى ولو أعطيته قلماً، أو شيئاً قليل القيمة مادياً، فلا تحقر شيئاً، فإن هذا يذكره الإنسان ولو بعد حين؛ يقول هذا الرجل أهداني هذا سنة كذا وكذا، فكل شيء يجلب المودة والمحبة بين الناس لا تحقره.

**[٨٩٣]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَبَّلَ النَّبِيُّ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ، فَقَالَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: إِنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا الرجل الجافي، كأنه استغرب كيف تقبل هذا الطفل! فدلّ ذلك على جواز تقبيل الأولاد الصغار رحمة وشفقة، سواء كانوا من أبنائك، أو من أولاد أبنائك وبناتك، أو من الأجانب؛ لأن هذا يوجب الرحمة، وكلما كان الإنسان بعباد الله أرحم كان إلى رحمة الله أقرب.





## ١٤٥ - عيادة المريض

**[٨٩٤]** عن البَرَاءِ بن عازِبٍ ﵄، قال: أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ، وَنَصْرِ المَظْلُومِ، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

عيادة المريض سُنَّة مؤكدة، ومن آدابها أن لا يطيل الجلوس عنده، وينفس له في أجله، ويذكر له فضل الصبر، ويدعو له. وذهب بعض العلماء إلى أنها فرض كفاية، فإذا لم يقم بها أحد، فإنه يجب على من علم بحال المريض أن يعوده، ولا يليق بالمسلمين أن يعلَموا أن أخاهم مريض ولا يعوده أحد منهم، لأن هذا قطيعة وأية قطيعة، وهذا القول هو الراجح؛ أن عيادة المرضى فرض كفاية، ومن المعلوم أن غالب المرضى يعودُهم أقاربهم وأصحابهم، وتحصل بذلك الكفاية، لكن لو علمنا أن أحداً أجنبياً في البلد مريض، وليس معروفاً، وقد علمت أنه لم يعدْه أحد، فإن الواجب عليك أن تعودَه، لأن ذلك من حقوق المسلمين بعضهم على بعض.



**[٨٩٥]** وعن أَبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلَامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: «**حَقُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ سِتٌّ**»، وزاد: «**وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ**»، والشاهد منه قوله: وعيادة المريض، والمراد بالمريض الذي يُعاد هو الذي انقطع في بيته ولا يخرج، وأما المريض مرضاً خفيفاً لا يعوقه عن الخروج ومصاحبة الناس فإنه لا يعاد، لكن يُسأل عن حاله.

وللعيادة آداب كثيرة منها: أن ينوي الإنسان بها امتثال أمر النبي ﷺ؛ فإن النبي أمر بها، وأن ينوي الإحسان إلى أخيه؛ ففي ذلك راحة عظيمة وانشراح صدر، وأن يستغلّ الفرصة في توجيه المريض إلى ما ينفعه؛ فيأمره بالتوبة والاستغفار والخروج من حقوق الناس، وأنه ربما يكون على المريض إشكالات في طهارته أو صلاته؛ فلا بد أن يخبره عما ينبغي أن يقوم به، وأن الإنسان ينظر للمصلحة في إطالة البقاء عند المريض أو عدمها؛ فإذا رأى أن المريض مستأنس منبسط فليتأنّ، وإن رأى أن المريض لا يرغب في بقائك حتى يأتيه أهله فإنه يقوم ولا يتأخر، وأن يتذكر الإنسان نعمة الله عليه بالعافية؛ فإن الإنسان لا يعرف هذا إلّا إذا رأى من ابتلي بفقدها، كما قيل وبضدّها تتميز الأشياء، ومنها ما يرجى من دعاء المريض، ودعاء المريض حري بالإجابة.



**[٨٩٦]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ! أَمَا أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي!**». رواه مسلم

قوله: «**لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ**»: أي بالعلم، كما قال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذٰلِكَ عِنْدِي**»، أي: ثوابه، كما قال تعالى: ﴿**وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا**﴾ [المزمل: ٢٠].

وهذا الحديث ليس فيه إشكال في قوله تعالى: «**مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي**»؛ لأن الله تعالى يستحيل عليه المرض، ولهذا جاء في الحديث الصحيح القدسي أيضاً: «**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»، يعني: من يعادي أولياء الله، كذلك إذا مرض عبد من عباد الله الصالحين، فإن الله ﷻ يكون عنده، ولهذا قال: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ**»، ولم يقل لوجدت ذلك عندي كما قال في الطعام والشراب، وهذا يدل على قرب المريض من الله، ولهذا قال العلماء: إن المريض حريٌّ بإجابة الدعاء.

**[٨٩٧]** وعن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عُودُوا المَرِيضَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي**». رواه البخاري.

العَانِي: الأَسيرُ.



**[٨٩٨]** وعن ثوبان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ المُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ**»، قِيلَ: يَا رَسولَ الله، وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «**جَنَاهَا**». رواه مسلم.

يعني أنه يجني من ثمار الجنة مدة دوامه جالساً عند هذا المريض، وقد سبق أن الجلوس عند المريض يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص.



**[٨٩٩]** وعن عليٍّ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِي، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الخَرِيفُ: الثَّمرُ المَخْرُوفُ؛ المُجْتَنَى، والصلاة من الملائكة؛ أي الاستغفار والدعاء؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [غافر: ٧].

وأمّا استغفار الملائكة له ففيه نظر؛ لأن فضل الله واسع، لكن من قواعد الحديث الضعيف عند العلماء، كثرة الثواب في عمل يسير جداً، وعلى كل حال فهو يدل على فضيلة عيادة المريض.

**[٩٠٠]** وعن أنسٍ ﵁ قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**». رواه البخاري.

نظر إلى أبيه يعني كأنه يستشيره. وفي هذا الحديث عدة فوائد منها: جواز استخدام اليهودي بشرط أن يأمن من مكره، لأن اليهود أصحاب مكر وخديعة وخيانة، وجواز عيادة المريض اليهودي، وينبغي على من عاد المريض أن يرشده، يقول: يا فلان استغفر الله، أما الحكاوي والقصص فلها وقت آخر، وأن الأب قد يؤثر ابنه ويحب له الخير وهو محروم منه، وفيه دليل على أن النبي ﷺ حق، ودليل ذلك أن اليهودي قال لابنه أطع أبا القاسم، والحق ما شهدت به الأعداء، ومعلوم أن اليهود والنصارى يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، فهو معروف مشهور باسمه ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾، لكن الحسد والاستكبار منعهم من الإيمان به ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾. فالعمال الذين عندنا الآن من الكفار كثيرون، لا ينبغي أن نتركهم هكذا، وأنا نجعلهم في منزلة البهائم، يعملون لنا دون أن ندلهم على الحق، فهم لهم حق علينا أن ندعوهم للإسلام ونرغبهم فيه

حتى يسلموا، أما أن يكون عندنا هذا العدد الهائل من النصارى والبوذيين وغيرهم، ثم لا نجد من يُسلِم منهم إلا واحداً بعد واحد بعد عدة أيام، فهذا دليل على ضعف الدعوة عندنا، وإلا فإن العامل جاء يتكفّف الناس يريد لقمة العيش، فليس عنده دافع الاستكبار، فلو أننا دعوناه باللّين ورغّبناه، لاهتدى على أيدينا أناس كثيرون، ولكننا في غفلة عن هذه الدعوة، والذي ينبغي لنا أن ننتهز الفرص في هذه الأمور.



## ١٤٦ - ما يُدعى به للمَريض

[٩٠١] عن عائشة ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بِأُصْبُعِهِ هٰكَذَا- وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَة الرَّاوِي سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَها- وَقَالَ: «**بِسْمِ الله، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي بعض الروايات: أن النبي ﷺ كان يبلّ أصبعه ويضعها على الأرض ليلتزق بها التراب، فيأخذ من التراب بهذا البلل ثم يمسح به الجرح، ويذكر هذا الدعاء، ووجه ذلك أن التراب طهور وريق المؤمن طاهر أيضاً، فيجتمع الطهوران مع قوة التوكل على الله ﷻ، والثقة به، فيشفى بها المريض.

ولكن لا بدّ من أمرين: قوة اليقين بأن الله ﷻ سوف يشفي هذا المريض بهذه الرقية، وقبول المريض لهذا وإيمانه بأنه سينفع، أما إذا كانت المسألة على وجه التجربة فإن ذلك لا ينفعه.

[٩٠٢] وعنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ اليُمْنَى، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَأْسَ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**»: لا يترك مرضًا، والشفاء إزالة المرض وبرء المريض، فيقال اشف ولا يقال أشف، لأن الثانية (أشف) بمعنى أهلك، وأما الأولى اشف فمعناها البرء من السقم، فالكلمتان عند العامة يظن أن معناهما واحد، ولكن بينهما هذا الفرق العظيم، لأن الأدوية أو يقرأ من الرقى فما هو إلا سبب، قد ينفع وقد لا ينفع، ولهذا ربما يمرض

رجلان بمرض واحد، ويداويان بدواء واحد، فيموت هذا ويسلم ذاك، لأن الأمر كله بيده الله، ونحن مأمورون بالأخذ بالأسباب، كما قال النبي ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً**»، فليس الطبيب وليس الدواء هما اللذان يشفيان، بل الطبيب سبب والدواء سبب، وإنما الشافي هو الله.

**[٩٠٣]** وعن أنسٍ رضي الله عنه أنه قال لِثابِتٍ رحمه الله: أَلَا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَأْسَ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا**». رواه البخاري.

وأجمع العلماء على جواز الرقية إذا كانت بكلام الله تعالى، أو بأسمائه، أو بصفاته، وباللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وسئل ابن عبد السلام عن الحروف المقطعة، فمنع منها ما لا يعرف لئلا يكون كُفرًا.



**[٩٠٤]** وعن سعدِ بن أَبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: عادني رسول الله ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا**». رواه مسلم.

وفي الحديث دليل على أن الإنسان يكرر الدعاء، وأن الله يحب المُلحِّين فيه.



**[٩٠٥]** وعن أَبي عبدِ الله عثمان بنِ أَبي العاصِ رضي الله عنه: أَنَّه شَكَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ وَجَعًا، يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولِ الله ﷺ: «**ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ، وَقُلْ: بِسْمِ اللهِ ثَلَاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ**». رواه مسلم.



**[٩٠٦]** وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذٰلِكَ المَرَضِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري.

فينبغي للإنسان إذا أحسَّ بألمٍ أن يضع يده على هذا الألم، ويذكر هذا الدعاء سبع مرات، فإذا قاله موقناً بذلك مؤمناً به، وأنه سوف يستفيد من هذا، فإنه يسكّن الألم بإذن الله، وهذا أبلغ من الدواء الحسي كالأدوية والحقن، هذا إذا لم يحضر الأجل، أما إذا حضر الأجل فلا ينفع الدواء ولا القراءة.

**[٩٠٧]** وعنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَى مَنْ يَعُودُهُ، قَالَ: «**لَا بَأْسَ؛ طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللهُ**». رواه البخاري.

قوله: إن شاء الله، لأن الأمر كله بمشيئة الله عز وجل.



**[٩٠٨]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أَنَّ جِبرِيلَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ، اللهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللهِ أُرقِيكَ. رواه مسلم.

هذا دعاء من جبريل أشرف الرسل، للنبي ﷺ أشرف الأنبياء والرسل، لكن جبريل أشرف الرسل الملكيين، وأما النبي محمد ﷺ فأشرف الرسل البشريين، وفي هذا دليل على أنه لا بأس أن يقول المريض للناس إني مريض إذا سألوه، على سبيل الإخبار لا الشكوى، وفيه أيضاً دليل على أنه ينبغي أن نقرأ على المريض بهذه الرقية، من مرض حزن

أو همّ أو غمّ، أو ما يسمونه الناس بالعين، وهذه النفس الخبيثة الشريرة قد ينطلق منها ما يصيب المحسود، فيكون مهموماً بسبب هذه العين، وإذا لم تعرف هذا الدعاء فادع بالمناسب. وفي هذا الحديث دليل أن القراءة على المريض لا تنافي كمال التوكل، بخلاف الذي يطلب من الناس أن يقرؤوا عليه، لأنه سأل الخلق واعتمد على سؤالهم، لكن إذا جاء إنسان يقرأ عليه ولم تمنعه، فإن ذلك لا شيء فيه، ولا يعد نقصاً في التوكل إذا كان بغير سؤال، وفيه: جواز الإِخبار بالمرض على طريق بيان الواقع من غير تضجر ولا تبرم. وفيه: تنبيه على أن الرقى لا ينبغي أن تكون إلا بأسماء الله وصفاته.



**[٩٠٩]** وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يَقُولُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنَا لِيَ الْمُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله، قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَا أَنَا وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي**»، وَكَانَ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.





## ١٤٧- سؤال أهل المَريض عن حالِه

[٩١٠] عن ابن عباسٍ ﭭ، أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﭬ، خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا. رواه البخاري.

وفي رواية: فقال العباس: والله إني لأرى رسول الله ﷺ سيُتوفّى من وجعه هذا، وإني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت... الحديث.

فيه: دليل على أنه إذا لم يمكن الوصول إلى المريض، فإنه يَسأل عنه من يراه من أقاربه، ليطمئن الإنسان، وفي وقتنا الحالي حصل الاتصال بالهاتف، فإن الإنسان إذا لم يتمكن من الذهاب إلى المريض بنفسه فهذا الهاتف يدخل على البيوت من دون استئذان، لهذا نقول إذا لم تتمكن من عيادة المريض بنفسك فإنك تتصل بالهاتف وتسأل عن حاله، ويكتب لك بذلك الأجر إن شاء الله.



## ١٤٨- ما يقوله مَن أيس من حياتِه

**[٩١١]** عن عائشة ﵂، قالت: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ، يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: تنبيهٌ على أن سؤال المغفرة والرحمة لا يغفل عنه المستيقظ خصوصًا في مثل هذه الحال، لأنها حالة الانتقال، وساعة الارتحال، وقد قال النبي ﷺ: «**اعْمَلُوا وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ**»، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**».

**[٩١٢]** وعنها قالت: رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ بِالمَوْتِ، عِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بِالمَاءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ وَسَكَرَاتِ المَوْتِ**». رواه الترمذي.

اليأس من الحياة لا يُعلم إلا إذا حضر الموت، أما قبل ذلك فإنه مهما اشتد المرض فإن الإنسان لا ييأس، وكم من إنسان اشتد به المرض ثم شفاه الله، وكم من إنسان أشرف على الموت فنجّاه الله، لكن اليأس الحقيقي هو ما إذا حضر الإنسان الموت وصار في النزع، فحينئذ لا يمكن أن يحيا.

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾، بلغت الروح الحلقوم يعني الحلق، والملائكة أقرب إلى الإنسان من حلقومه عند احتضاره. هل أحد يمكن أن يردّ روحه بعد أن بلغت الحلقوم؟ أبداً أبداً، إذا ييأس الإنسان من حياته إذا عاين الموت، فماذا يقول؟ كان يقول: اللهم اغفر لي، وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى.

من هم الرفيق الأعلى؟ هم النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون، وقد أوتي من شدة الموت وسكراته ما لم يُؤتَ أحد، لأنه ﷺ يمرض مرض رجلين، شُدّد عليه المرض والنزع، لماذا؟ من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر. وقوله: «**اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ وَسَكَرَاتِ المَوْتِ**»، أي أعنّي حتى أتحمل وأصبر ولا يزيغ عقلي، وحتى يختم لي بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، لأن المقام مقام عظيم، مقام هول وشده، إذا لم يعنك الله ﷻ وتصبر فأنت على خطر.

وفي رواية أخرى يقول: «**لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٌ**».

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى غَمَرَاتِ المَوْتِ، وَأَنْ يُحْسِنَ لَنَا وَلَكُمُ الخَاتِمَةَ، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا، إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.





# ١٤٩- وصيَّة أهل المريض

ينبغي للإنسان أن يُحسن إلى المريض، ويتحمّله، ويصبر على ما يجد منه من كلام قاسٍ، لأن المريض نفسه ضيّقة، والدنيا عليه قد ضاقت، فربما يحصل منه كلام أو تضجّر، فليصبر الإنسان على هذا وليحتسب، فإنه يُثاب على إحسانه لهذا المريض، ويُثاب على تحمّله المشقة منه والأذى.

**[٩١٣]** عن عِمْران بن الحُصَيْنِ ﭬ: أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ وَهِيَ حُبْلَى مِنَ الزِّنَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «**أَحْسِنْ إِلَيْهَا، فَإِذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا**»، فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَت، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهَا. رواه مسلم.

في هذا الحديث: دليل على أنه لا يشترط في الإقرار بالزنا أن يتكرر أربع مرات، وأن الزاني إذا أقر ولو مرة واحدة وهو عاقل، لا اشتباه في حاله، فإنه يؤخذ بإقراره، ويقام عليه الحد.

وفيه أيضاً: دليل على أنه يشترط في إقامة الحد ألا يتعدى الضرر إلى غير المحدود، لأنها لو رجمت لمات الذي في بطنها، ولهذا أمر النبي أن تنتظر حتى تضع مولودها وتفطمه.

وفيه أيضاً: دليل على أن المرأة لا يُحفر لها في الرجم، ولكن تربط عليها ثيابها، ثم تلقى عليها الحجارة، لا صغيرة ولا كبيرة، حتى تموت، وإنما كان الحد هكذا؛ لأن الشهوة المحرمة شملت جميع البدن، فناسب أن يذوق جميع البدن ألم العقوبة.

وفيه: دليل آخر على أن الحدود إذا أقيمت فإن صاحبها يبرأ منها، ويخلص منها، ويطهر منها، ولهذا أمر النبي ﷺ بها، فصلى عليها وصلى الناس.





## ١٥٠ - قول المريض: أنا وجع

**[٩١٤]** عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ، فَمَسَسْتُهُ، فَقلتُ: إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا، فَقَالَ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يجوز للمريض أن يخبر عمّا فيه من المرض وشدّته، بشرط أن يكون ذلك إخباراً، لا شكوى وتسخّط من قدر الله وقضائه، وذلك من أجل أن ينال أعلى درجات الصبر، وعلى الإنسان أن يصبر على أقدار الله المؤلمة ويحتسب، ويعلم أنه ما من شيء يصيبه إلا كفّر الله به عنه خطيئة، حتى الشوكة يشاكُها.

**[٩١٥]** وعن سعدِ بن أَبِي وقّاصٍ رضي الله عنه قال: جَاءَنِي رَسُولُ الله ﷺ، يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: بَلَغَ بِي مَا تَرى، وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلَا يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَتِي... وَذَكَرَ الحَدِيثَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشاهد من الحديث: تقرير النبي ﷺ سعدًا على قوله: بلغ بي من الوجع ما ترى، ولو كان منهيًّا عنه لنهاه.

**[٩١٦]** وعن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضي الله عنها: وَارَأْسَاهُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**بَلْ أَنَا، وَارَأْسَاهُ!**»... وَذَكَرَ الحَدِيثَ. رواه البخاري.

فيه: جواز مثل ذلك، إذا لم يكن على وجه التّسخّط والجزع، فهذا الحديث اجتمع فيه سنّتان: إقرارية وقولية، أما الإقرارية: فإن النبي ﷺ أقر عائشة عندما قالت: "وَارَأْسَاهُ"، وأما القولية: فهو نفسه قال: «**وَارَأْسَاهُ**».

وعليه؛ فإن الإنسان إذا قال وارأساه أو وابطناه، فلا حرج، بشرط ألا يقصد بذلك أن يشكو الخالق إلى المخلوق، بل يقصد التوجع، فإذا كان مجرد خبر فهذا لا بأس به، ليس المراد به الاعتراض والتسخط على قضاء الله وقدره.





## ١٥١ - تلقين المحتضر: لا إله إلا الله

**[٩١٧]** عن معاذ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**». رواه أبو داود والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

**[٩١٨]** وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ**». رواه مسلم.

المحتضر هو الذي حضرت الملائكة لقبض روحه، والله تعالى قد وكل بالإنسان ملائكة يحفظونه في حال حياته وبعد مماته.

قال الله تعالى: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللهِ**﴾.

وقال الله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ**﴾.

الإنسان إذا حضر أجله نزل إليه ملائكة يقبضون روحه من يد ملك الموت، معهم كفن وحنوط من الجنة إذا كان من المؤمنين، وأما إذا كان من الكافرين فملائكة العذاب معهم كفن من النار وحنوط من النار، فإذا احتضر الإنسان، وعلمنا أنه في النزع، وأنه ميت، فإننا نلقنه لا إله إلا الله. قال العلماء: فيلقّنه برفق، لا يأمره، لا يقل: قل لا إله إلا الله، لأنه في هذه الحال قد ضاق صدره وقد ضاقت عليه الدنيا، ربما يقول لا، بل تقول لا إله إلا الله، ترفع صوتك بها ليسمع، فيقول كما قلت. قال أهل العلم: فإذا قال لا إله إلا الله فليسكت، ولا يقل شيئاً لتكون آخر كلامه.





## ١٥٢ - ما يقوله بعد تغميض الميِّت

**[٩١٩]** عن أُم سلمة ﵂، قالت: دَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ، تَبِعَهُ البَصَرُ**»، فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: استحباب تغميض الميت لئلا يتشوه منظره، واستحباب الدعاء له، فالإنسان إذا حضر الميت فإنه في الغالب يشخص بصره، فينفتح باتساع، فيشاهد الروح إذا خرجت من البدن، لأن الروح لها جسم، لكنه جسم لا يراه الناس، ولا يراه إلا الميت والملائكة فقط، وتأخذها.

وكانوا في الجاهلية إذا حصل مثل هذا؛ يدعون على أنفسهم بالويل والثبور، فقال ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ**».

وقوله: «**وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ**»، يعني وسّع له فيه، فإن القبر بالنسبة لمنازل الدنيا ضيق بحسب الحس، لكنه يفسح للمؤمن، حتى يكون كمد البصر، ويكون روضة من رياض الجنة. وينبغي لمن حضر الميت أن يغمضه مادام حاراً، لأنه إذا برد وعيناه شاخصتان بقيتا على حالهما، وينبغي أيضاً أن يليّن مفاصلة إلى مكانها قبل أن تبرد، ليسهل تغسيله وتكفينه.



## ١٥٣ - ما يقال عند الميّت

[٩٢٠] عن أم سلمة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ المَرِيضَ أَوِ المَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ**». قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ أَبَا سَلَمَةَ قَدْ مَاتَ. قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي مِنْهُ عُقْبَى حَسَنَةً**»، فَقُلْتُ: فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّدًا ﷺ. رواه مسلم.

[٩٢١] وعنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا آجَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**». قَالَتْ: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قُلْتُ كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺ، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ؛ رَسُولَ الله ﷺ. رواه مسلم.



[٩٢٢] وعن أبي موسى ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: فَمَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قوله: "حمدك واسترجع": قال الحمد لله، إنا لله وإنا إليه راجعون، مما يدل على صبر الإنسان على قضائه وقدره، على هذه المصيبة.

وكان النبي ﷺ إذا أصابه ما يكره قال: «**الحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ**»، وإذا أصابه ما يسرّه قال: «**الحَمْدُ لله الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**».



**[٩٢٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الْجَنَّةَ**». رواه البخاري.

**[٩٢٤]** وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: أَرْسَلَتْ إِحْدَى بَنَاتِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ تَدْعُوهُ وَتُخْبِرُهُ أَنَّ صَبِيًّا لَهَا- أَوِ ابْنًا- فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ لِلرَّسُولِ: «**ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا أَنَّ للهِ تَعَالَى مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَمُرْهَا، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ**»... وذكر تمام الحديث. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فينبغي للإنسان في تعزية أخيه أن يقول له هذه الكلمات؛ فهي أحسن ما يعزي به: «**إِنَّ للهِ تَعَالَى مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى**» اصبرْ واحتسِبْ.



## ١٥٤ - البكاءُ على الميّت

**[٩٢٥]** عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَادَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ وَمَعَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوفٍ، وَسَعدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ الله بْنُ مَسْعُودٍ، فَبَكَى رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ رَسُولِ الله ﷺ، بَكَوْا، فَقَالَ: «**أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزنِ القَلْبِ، وَلٰكِنْ يُعَذِّبُ بِهٰذَا أَوْ يَرْحَمُ**»، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أجمع العلماء على أن البكاء الذي يعذب به هو النّياحة والتّسخّط على قضاء الله وقدره، لا مجرَّد دمع العين.

**[٩٢٦]** وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ ابْنُ ابْنَتِهِ وَهُوَ فِي المَوْتِ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا هٰذَا يَا رَسُولَ الله؟! قَالَ: «**هٰذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لهذا ينبغي لك أن تعوّد نفسك على الرحمة والرقة للأطفال والحيوان وغيرها ممّن هو أهل للرحمة حتى تكون أهلاً لرحمة الله «**إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**»، ففيه أن جزاء الله من جنس العمل، فلما كان هذا الإنسان راحماً لعباد الله كان الله تعالى راحماً له، لأن الله تعالى يقضي حاجة العبد ما دام هذا العبد يقضي حاجة أخيه.



**[٩٢٧]** وعن أنسٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، دَخَلَ عَلَى ابْنِهِ إِبْرَاهِيمَ رضي الله عنه وَهُوَ يَجُودُ بِنَفسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ الله ﷺ تَذْرِفَان، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟! فَقَالَ: «**يَا ابْنَ عَوْفٍ، إِنَّهَا رَحْمَةٌ**»، ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى، فَقَالَ: «**إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ، وَالقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**». رواه البخاري .

وفي رواية: فَقُلْتُ: يَا رَسُول الله، تَبْكِي؟ أَوَ لَمْ تَنْهَ عَنِ البُكَاءِ؟! فَقَال: «**إِنَّمَا نُهِيتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ فَاجِرَيْنِ: صَوْتِ نَغْمَةِ لَهْوٍ وَلَعِبٍ، وَمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ، وَصَوْتٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ؛ خَمْشِ وُجُوهٍ، وَشَقِّ جُيُوبٍ، وَرَنَّةِ شَيْطَانٍ. إِنَّمَا هَٰذِهِ رَحْمَةٌ، وَمَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**».

ابنه إبراهيم، هذا الولد ليس من زوجته خديجة، بل من مارية التي أهداها له ملك القبط، فسراها النبي ﷺ، أي وطئها، بملك اليمين، فأتت له بهذا الولد، وبقي ستة عشر شهراً، ومات في حياته ﷺ، فكان له من الأولاد سبعة؛ ثلاثة ذكور وأربع بنات، ولم يزوج الرسول ﷺ أحداً من صحابته ابنتين إلا عثمان؛ رُقيَّة وأم كلثوم، بعد أن ماتت الأولى تزوج الثانية، لهذا السبب لقب الخليفة عثمان رضي الله عنه بذي النُّورين، ولم يبق أحد من أولاده؛ لا ذكورهم ولا إناثهم، بعد موته إلا فاطمة، فقد ماتوا جميعاً في حياته.





## ١٥٥ - ما يُرى من الميِّت من مكروهٍ

[٩٢٨] عن أبي رافع أسلم مولى رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ، قال: «**مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا فَكَتَمَ عَلَيْهِ، غَفَرَ اللهُ لَهُ أَرْبَعِينَ مَرَّةً**». رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

المكروهات نوعان:

الأول: ما يتعلق بحاله.

الثاني: ما يتعلق بجسده.

فالأول: لو رأى مثلاً أن الميت تغير وجهه واسود وقبح، فهذا دليل على سوء خاتمته، فلا يحل له أن يقول للناس إني رأيت هذا الرجل على هذه الصفة، والرجل قدم على ربه، وسوف يجازيه بما يستحق من عدل أو فضل.

والثاني: ما يتعلق بجسده، كأن يرى عيبًا، أو برصاً، أو سوادا خلقيًّا مما يكره الإنسان أن يطلع عليه غيره، فهذا أيضًا لا يجوز له أن يكشفه للناس، ويقول رأيت فيه كذا وكذا في بطنه أو في ظهره، أما إذا رأى خيرًا واستنارة بوجهه أو رآه يتبسم، فليخبر به الناس، ولا يعد هذا من الرياء، فإن هذا يعد من عاجل بشرى المؤمن.





# ١٥٦ - الصَّلاةُ على الميِّت وحضور دَفنهِ

الجَنازة (بالفتحة) اسم للميت، والجِنازة (بالكسرة) اسم للنعش الذي عليه الميت.

وليُعلم أن تشييع الجنائز من حقوق المسلمين على إخوانهم.

قال العلماء: وإذا خرج مع الجنازة فينبغي أن يكون متخشّعاً متفكّراً في مآله، وأنه كما أنه الآن يتبع جنازة هذا الرجل، فسوف يأتي اليوم الذي يتبع الناس فيه جنازته، وسيحمل على النعش، ولو طالت سلامته، وطالت به الدنيا، ولهذا قالوا: لا ينبغي لتابع الجنازة أن يتحدث في شيء من أمور الدنيا، بل يفكر في نفسه.

**[٩٢٩]** عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ**»، قِيلَ: وَمَا القِيرَاطَانِ؟ قَالَ: «**مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلم: «**أَصْغَرُهُمَا مِثْلَ جَبَلِ أُحُدٍ**».

لكن في رواية البخاري، اشترط أن يكون ذلك إيماناً واحتساباً، يعني إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، واحتساباً لثوابه، وليس قصدك المجاملة لأهل الميت، لأن المجاملة لأهل الميت ثواب عاجل في الدنيا فقط، وقد يؤجر الإنسان على مجاملة إخوانه، لكن الأجر الذي هو قيراطان فهو لمن تبعها إيماناً واحتساباً.



**[٩٣٠]** وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّى يُصَلَّى عَلَيْهَا، وَيُفرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإِنَّهُ يَرْجعُ مِنَ الأَجْرِ بِقيرَاطَيْنِ، كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أَنْ تُدْفَنَ، فَإِنَّهُ يَرْجعُ بِقِيرَاطٍ**». رواه البخاري.



**[٩٣١]** وعن أم عطية ﵂، قالت: نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

معناهُ: وَلَمْ يُشَدَّدْ فِي النَّهْيِ كَمَا يُشَدَّدُ فِي المُحَرَّمَاتِ.

قولها: نُهينا: أي: نَهانا رسول الله ﷺ، والمراد جماعة النساء.

قال القرطبي: ظاهر سياق حديث أم عطية أن النهي نهيُ تنزيهٍ، وبه قال جمهور أهل العلم، وقد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث أن اتّباع النساء للجنائز مكروه لأنها قالت: نهينا ولم يعزم علينا. وقال بعض العلماء: بل اتّباع النساء للجنائز محرم لثبوت النهي.

والصحيح أن اتّباع المرأة للجنازة حرام، لأنها إذا تبعتها فهي لا شك ضعيفة، فربما تصيح وتولول وتضرب الخد وتنتف الشعر وتمزق الثوب، لا تصبر المرأة، وأيضاً ربما يحصل اختلاط بين الرجال والنساء في تشييع الجنازة فيحصل بذلك فِتنة، فالأراذل من الرجال ليس لهم همّ إلا ملاحقة هؤلاء النساء أو التمتع بالنظر إليهنّ، كما أن زيارة المرأة للمقابر حرام؛ لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور.





## ١٥٧ - تكثير المصلّين على الجنازة

**[٩٣٢]** عن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مَائَةً، كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ**». رواه مسلم.

والدعاء للميت في الجنازة، من أوجب ما يكون في الصلاة، بل هو ركن من أركان الصلاة، لا تصح صلاة الجنازة إلا به.



**[٩٣٣]** وعن ابن عباسٍ ﵄، قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**». رواه مسلم.

لا مخالفة بين هذا الحديث والذي قَبْله؛ لأن مفهوم العدد غير حجة على الصحيح، أو أن الله أخبره بما جاء فيمن صلَّى عليه مائة، ثم زاد الفضل من الله تعالى بحصول مثل ذلك فيمن صلَّى عليه أربعون فأخبر به، والله أعلم.



**[٩٣٤]** وعن مرثدِ بن عبدِ الله اليَزَنِيِّ، قال: كَانَ مَالِكُ بْنُ هُبَيْرَةَ ﵁ إِذَا صَلَّى عَلَى الجَنَازَةِ، فَتَقَالَّ النَّاسُ عَلَيْهَا، جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أَوْجَبَ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**فَقَدْ أَوْجَبَ**»: أي وجبت له الجنة.

هذه الأحاديث كلها تدل على أنه كلما كثر الجمع كان أفضل، فينبغي للإمام إذا رأى الناس الذين جاؤوا ليشهدوا صلاة الجنازة فاتهم شيء من صلاة الفريضة، ألّا يتعجل بالصلاة على الميت، حتى ينتهي الذين يقضون صلاتهم، ليشاركوا الحاضرين في الصلاة

على الميت، فيكون ذلك أكثر، وربما تكون دعوة واحد منهم هي المستجابة، والأفضل أن ينتظر الإمام حتى يتم الناس صلاتهم، ويصلون على الجنازة، وهذا لا يفوت شيئاً كثيراً، غاية ما هنالك عشر دقائق على الأكثر.



## ١٥٨ - ما يقرأ في صلاة الجنازة

يُكَبِّرُ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، وَيَتَعَوَّذُ بَعْدَ الأُولَى، ثُمَّ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَقُولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَالأَفْضَلُ أَنْ يُتَمِّمَهُ بِقَوْلِهِ: كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبراهِيمَ- إِلَى قَوْلِهِ- إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَلَا يَفْعَلُ مَا يَفْعَلهُ كَثِيرٌ مِنَ العَوَامِّ مِنْ قِرَاءَتِهِمْ: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب:٥٦]، فَإِنَّهُ لَا تَصِحُّ صَلَاتُهُ إِذَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الثَّالِثَةَ، وَيَدْعُو لِلْمَيِّتِ وَلِلْمُسْلِمِينَ بِمَا سَنَذْكُرُهُ مِنَ الأَحَادِيثِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ الرَّابِعَةَ وَيَدْعُو، وَمِنْ أَحْسَنِهِ: «**اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ**»، وَالْمُخْتَارُ أَنَّهُ يُطَوِّلُ الدُّعَاءَ فِي الرَّابِعَةِ خِلَافَ مَا يَعْتَادُهُ أَكْثَرُ النَّاسِ، قِيلَ: لَا يَدْعُو بِشَيْءٍ بَعْدَ الرَّابِعَةِ وَهُوَ صَحِيحٌ، وَإِنَّمَا يَقِفُ قَلِيلًا، وَقِيلَ: يَقِفُ وَيَدْعُو، فَأَمَّا الأَدْعِيَةُ الْمَأْثُورَةُ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الثَّالِثَةِ، فمِنْها ما يأتي:



**[٩٣٥]** عن أبي عبد الرحمن عوف بن مالك ﵁، قال: صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ، وَهُوَ يقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا ذٰلِكَ المَيِّتَ. رواه مسلم.

قوله: فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ: فيه جواز الجهر به ولو سمعه من يليه.

صلاة الجنازة: أربع تكبيرات؛ يكبر الإنسان التكبيرة الأولى، ثم يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ثم يقرأ الفاتحة كاملة، ثم يكبر التكبيرة الثانية فيصلي على النبي ﷺ، وأحسن ما يصلى به عليه: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم

وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، ثم يكبر الثالثة فيدعو لعامة المسلمين: اللهم اغفر لحيّنا وميّتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا، ثم يدعو للميت الدعاء الخاص: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نُزله- يعني ضيافته، لأن الميت في ضيافة الله ﷻ؛ إذا انتقل من هذه الدنيا إلى قبره، فهو إما أن يكون في قبره منعّماً أو معذّباً، ويقول: وأوسع مُدخله: أوسع قبره، واغسله بالماء والثلج والبَرَد: طهّره من الذنوب، وذكر الثلج والبرد لأنه بارد، وذكر الماء لأن به النظافة، ونقِّه من الخطايا كما يُنقّى الثوب الأبيض من الدّنس: نظِّفْه تنظيفاً كاملاً من الخطايا كما ينقّى الثوب الأبيض من الوسخ، وذكَر الثوب الأبيض لأنه يظهر به أدنى دنس بخلاف الثوب الأسود والأحمر والأخضر، وأبدله داراً خيراً من داره لأنه انتقل من دار الدنيا إلى دار البرزخ، ودار الدنيا كما نعلم دار محن وأذى وكدر، فيقول أبدله داراً خيراً من داره ليكون منعّماً في قبره، وأهلاً خيراً من أهله، كأمه وأبيه وإخوته وأبنائه وبناته وذويه، وزوجاً خيراً من زوجه: زوجة خيراً من زوجته، وذلك بالحور العين، وكذلك بزوجته في الدنيا لأن الإنسان إذا تزوج امرأة في الدنيا وماتت على الإيمان فإنها تكون زوجته في الآخرة، فإن قال قائل: كيف تكون خيراً من زوجتي وهي واحدة في الدنيا؟ نقول خيراً منها في الصفات والجمال، وأدخله الجنة وأعذْهُ من عذاب القبر وعذاب النار. كل هذا دعاء يدعو به الإنسان للميت، وينبغي أن يُخلص الإنسان للميت في هذا الدعاء، فإن كان كانت امرأة فإنه يقول: اللهم اغفر لها وارحمها وعافها واعف عنها، يعني بضمير المؤنث، فإن كان لا يدري هل هي ذكر أم أثنى، فإنه مخيّر، إن شاء قال اللهم اغفر له يعني لهذا الشخص، فالمرأة تسمّى شخصاً، أو إن شاء قال: اغفر لها أي لهذه الجنازة، والجنازة تطلق على الرجل وعلى المرأة، وإن كان يعلم أنه ذكرٌ ذكّره، وإن كان يعلم أنها أنثى أنّثها، وإن كان لا يدري جاز أن يذكّره وجاز أن يؤنّثه.



**[٩٣٦]** وعن أبي هريرة وأبي قتادة وأبي إبراهيم الأشهلي عن أبيه- وأبوه صَحَابيٌّ- رضي الله عنهم- عن النبيِّ ﷺ: أَنَّهُ صَلَّى عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ**». رواه الترمذي قَالَ الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وهذه الجمل تُغنِي عنها جملة واحدة، لو قال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا**» فقد شمل الجميع، لكن مقام الدعاء ينبغي فيه البسط والتفصيل، لأن الدعاء كل جملة منه عباده لله عز وجل، وإذا كرّرته ازددت بذلك ثواباً، فقوله: حيّنا وميّتنا يشمل الحي الحاضر والميت القديم والميت في عصره، وذكر الصغير مع أن الصغير لا ذنب له من باب التبعية، وليس له ذنب حتى تسأل له المغفرة، وذَكَرنا وأنثانا مثلها عامة، وشاهدنا وغائبنا الحاضر والمسافر، وفي يوم القيامة، اللهم لا تحرمنا أجره يعني بالصلاة عليه، لأن الإنسان يؤجر بالصلاة على الميت، أن من شهدها حتى يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان، كذلك أيضاً أجر آخر للمصاب بهذا الميت الذي حزن لفراقه، فيؤجر أيضاً على صبره على المصيبة، ولا تفتنّا بعده: لا تضلّنا عن ديننا بعده، لأن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ما دام الإنسان لم يخرج روحه، فإنه عرضة لأن يفتن في دينه.



**[٩٣٧]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى المَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ**». رواه أبو داود.

يعني: أنك تدعو بحضور قلب وإلحاح على الله لأخيك الميت، لأنه محتاج لك، وقيل: أن يدعو له بخصوصه، وإن كان طفلاً.



**[٩٣٨]** وعنه عن النبيِّ ﷺ في الصلاة على الجنازة: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبُّهَا، وَأَنْتَ خَلَقْتَهَا، وَأَنْتَ هَدَيْتَهَا لِلْإِسْلَامِ، وَأَنْتَ قَبَضْتَ رُوحَهَا، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِسِرِّهَا وَعَلَانِيَتِهَا، جِئْنَا شُفَعَاءَ لَهُ، فَاغْفِرْ لَهُ**». رواه أبو داود.

**[٩٣٩]** وعن وَاثِلَة بنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ فُلَانَ ابْنَ فُلَانٍ فِي ذِمَّتِكَ وَحَبْلِ جِوَارِكَ، فَقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ، وَعَذَابَ النَّارِ، وَأَنْتَ أَهْلُ الوَفَاءِ وَالحَمْدِ؛ اللَّهُمَّ فَاغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**». رواه أبو داود.

الحبل: العهد والأمان والذمة، أي هو في كنف حفظك.

**[٩٤٠]** وعن عبد الله بنِ أبي أَوْفى رضي الله عنهما: أَنَّهُ كَبَّرَ عَلَى جَنَازَةِ ابْنَةٍ لَهُ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ، فَقَامَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ كَقَدْرِ مَا بَيْنَ التَّكْبِيرَتَيْنِ يَسْتَغْفِرُ لَهَا وَيَدْعُو، ثُمَّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصْنَعُ هٰكَذَا. وفي رواية: كَبَّرَ أَرْبَعًا فَمَكَثَ سَاعَةً حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكَبِّرُ خَمْسًا، ثُمَّ سَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْنَا لَهُ: مَا هٰذَا؟ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَزِيدُكُمْ عَلَى مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَصْنَعُ، أَوْ: هٰكَذَا صَنَعَ رَسُولُ الله ﷺ. رواه الحاكم، وقال: حديث صحيح.

يؤخذ من هذا الحديث: استحباب الدعاء للميت بعد الرابعة، وقوله: " ثُمَّ سَلَّمَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ". قِيلَ: والصحيح وجوب التسليمة الأولى، والراجح وجوب الأولى وجواز الثانية.



## ١٥٩ - الإِسراع في الجنازة

ما يفعله بعض الناس اليوم؛ إذا مات الميت قالوا: انتظروا حتى يقدم أهله من كل مكان، وبعضهم ربما كان في أوروبا أو في أمريكا، وربما طال ذلك يوماً، أو يومين، أو ربما ثلاثة أيام! فهذا جناية على الميت، وعصيان لأمر الرسول ﷺ، وهو إذا تأخر دفنه حتى يأتوا، ماذا ينفعه ذلك؟ إنه لا ينفعه إلا الدعاء له بالصلاة عليه، وهذا حاصل، ولا وجه لهذا الحبس إطلاقاً، فإن قال قائل: أليس النبي ﷺ مات يوم الاثنين، ولم يدفن إلا ليلة الأربعاء؟ قلنا بلى، لكن الصحابة أرادوا ألا يدفنوا الرسول حتى يقيموا خليفة، لئلا تخلو الأرض عن خليفة لله، ولهذا لما تمّت مبايعة أبي بكر دفنوا النبي ﷺ، وهذه علة ظاهرة واضحة.



**[٩٤١]** عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**أَسْرِعُوا بِالجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً، فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذٰلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا عَلَيْهِ**».

والمراد: الإسراع فوق المشي المعتاد، وأن لا يشق على من تبعها، ولا يحرّك الميت، والميت إذا مات، فإما أن يكون صالحاً، وإما أن يكون سوى ذلك، فإن كان صالحاً فإن حبسه حيلولة بينه وبين ما أعده له الله من النعيم في قبره، لأنه حين احتضاره ومنازعته الموت، يقال لروحه: أبشري برحمة من الله ورضوان، فيشتاق لهذه البشرى، فإذا حبس كان في هذا شيء من الجناية عليه، والحيلولة بينه وبين ما أعده الله له من النعيم، وإن كان غير صالح فإنه لا ينبغي أن يكون بيننا، وينبغي أن نسارع بالتخلص منه، وينبغي أن يعبّر عن الألفاظ السيئة بما يدل عليها، والنبي ﷺ عدل عن كلمة فاسدة إلى قوله: «**وَإِنْ تَكُ سِوَى ذٰلِكَ**»، وهذا من باب التأدب في اللفظ، وإلا فالمعنى واحد.



**[٩٤٢]** وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان النبي ﷺ يقول: «**إِذَا وُضِعَتِ الجَنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعناقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قَالَتْ لِأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ تَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإِنْسَانَ، وَلَوْ سَمِعَ الإِنْسَانُ لَصَعِقَ**». رواه البخاري.

قالت: قدِّموني؛ تقول ذلك بصوت مسموع يسمعه كل شيء إلا الإنسان لا يسمعه، لأننا لو سمعنا ما يقوله الأموات على نعوشهم لانزعجنا، لكن الله أخفاه عنا، لكن تسمعه الدواب، ويسمعه كل شيء، تقول قدِّموني قدِّموني، إلى أي شيء يقدمونها؟ لِما أعده الله لها من النعيم الذي بُشّرت به عند الاحتضار، وإن لم تكن صالحة قالت: يا ويلها، أين تذهبون بها؟ تدعو بالويل لأنها ستقدم إلى عذاب في القبر، يضيق عليها القبر حتى تختلف الأضلاع، ويفتح لها باب إلى النار، ولا أحد من الأحياء البشر يعلم ويشعر بذلك، ومن نعمة الله أن أخفاه علينا، ولو علمنا بذلك ما تدافنَّا أبداً.



## ١٦٠ - قضاء الدَّيْن عن الميِّت

الورثة ليس لهم حقّ في شيء من التّركة حتى يُقضى الدَّين، كما جاء في آية المواريث: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوْصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾، ويجب عليهم المبادرة في قضاء الدين إلا إذا كان مؤجلاً، فإنه يطلب من أهل الدين أن ينظروا، فإن أبوا فإنه يعجل لهم، وقد تهاون الناس في ذلك، فتجد الميت يموت وعليه الدين، فيلعب الورثة بالتركة، ويؤخرون قضاء الدين، مع أن المال ليس لهم بل هو للميت، ومن ذلك إذا كان الإنسان قد اقترض من صندوق التنمية العقارية ولم يدفع أقساطاً، تجد الورثة يلعبون ولا يوفون، وربما يرفعون إلى الحكومة طلب العفو عنه!

**[٩٤٣]** عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[٩٤٤]** وعن حُصَيْنِ بن وَحْوَحٍ رضي الله عنه، أَنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ بْنَ عَازِبٍ رضي الله عنهما مَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «**إِنِّي لَا أَرَى طَلْحَةَ إِلَّا قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فَآذِنُونِي بِهِ، وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أَنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانِيْ أَهْلِهِ**». رواه أبو داود.

لكن لو حبست لساعة أو ساعتين لانتظار كثرة الجمع؛ لو مات في أول النهار يوم جمعة، وقالوا ننتظر للصلاة لكثرة الجمع، فهذا لا بأس به، وهو تأخير لا يضرّ.

في هذا الحديث: الأمر بالمبادرة إلى تجهيز الميت.

وروي أنه توفي ليلاً فقال: ادفنوني ليلاً، والحقوني بربي، ولا تدعو رسول الله ﷺ فإني أخاف عليه من اليهود أن يصاب في سببي، فأخبر رسول الله ﷺ حين أصبح، فجاء

حتى وقف على قبره، وصفّ الناس معه، ثم رفع يديه، وقال: «**اللَّهُمَّ الْقَ طَلْحَةَ وَأَنْتَ تَضْحَكُ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَضْحَكُ إِلَيْكَ**».





## ١٦١- الموعظة عند القبر

قلوب أكثر الناس لا تتّعظ بالقرآن لأن فيها قسوة، فلا يشعرون به كما يشعر به غيرهم من أهل التقوى، ولكن مع ذلك قد يأتي إنسان أعطاه الله بياناً وفصاحة وعلماً، فيعظ الناس، ويذكّرهم، ويلين قلوبهم، وهذا شيء مشاهد مجرب.

[٩٤٥] عن عَلِيٍّ ﷺ قال: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ، فَنَكَّسَ، وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**». وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الموعظة: هي التذكير بعذاب الله وبثوابه.

المخصرة: عصا ذات رأس معوج.

فنكس: طأطأ رأسه، وذلك يكون عند التفكر والتدبر.

فيه: الأمر بالعمل وعدم الاتكال على الكتاب السابق، وذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قالوا يا رسول الله أفلا ندع العمل ونتّكل على الكتاب؟ يعني ما دام الأمر مكتوباً فما حاجة العمل؟ فقال لا تدَعوا العمل، فالجنة لا تأتي إلا بعمل، والنار لا تأتي إلا بعمل، اعملوا فكل ميسر لما خلق له، لأن الكتاب أمر مجهول ما ندري ما فيه. فأنت يا أخي، إذا رأيت الله قد يسر لك عمل أهل السعادة فأبشر أنك من أهل السعادة، وإذا رأيت نفسك أنك تنقاد للصلاة وباقي العبادات فاستبشر أنك من أهل السعادة، لأن الله قال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾، وإن رأيت العكس، تنشرح نفسك بفعل السيئات، وتضيق ذرعاً بفعل الطاعات، فاحذرْ، وأنقذْ نفسك.

وعلى هذا، فإذا جاء الإنسان إلى المقبرة، وجلس الناس حوله، فهنا يحسن أن يعظهم، هذه هي الموعظة عند القبر، أما أن يقوم القائم عند القبر يتكلم كأنه يخطب، فهذا لم يكن من هدي الرسول ﷺ، هذا ليس من السنة، السنة فقط إذا كان الناس جلوساً ولم يدفن الميت، فاجلس في انتظار دفنه، وتحدث حديث المجالس، حديثاً عادياً.

بعض الناس أخذ من بعض الآثار أن يكون خطيباً في الناس، يخطب، ويرفع صوته، يقول: يا عباد الله، وما أشبه ذلك من الكلمات التي تقال في الخطب، وهذا فهم خاطئ وغير صحيح، لئلا تتخذ المقابر منابر، فالمواعظ هادئة، يكون الإنسان فيها جالساً، ويبدو عليه أثر الحزن والتفكّر، لا أثر الشجاعة، وكأنه ينذر الجيش!



## ١٦٢ - الدُّعاء للميِّت والقعود عند قبره

**[٩٤٦]** عن أبي عمرو، وقيل أبو عبد الله، وقيل أَبو ليلى - عثمان بن عفان ﷺ قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا فُرِغَ مِنْ دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ؛ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ**». رواه أبو داود.

وذلك أن الميت إذا دفن، فإنه يأتيه ملكان يسألان عن ربه ودينه ونبيه، فكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل، فيُسَنّ للإنسان إذا فرغ الناس من دفن الميت أن يقف عنده ويقول: اللهم اغفر له ثلاث مرات، اللهم ثبته ثلاثاً، لأن النبي ﷺ كان غالب أحيانه إذا دعا دعا ثلاثاً، ثم ينصرف، ولا يجلس بعد ذلك لا للذّكر ولا للقراءة ولا للاستغفار. هكذا جاءت به السنة، أما ما ذكره ﷺ عن عمرو بن العاص ﷺ أنه أمر أهله أن يقيموا عنده إذا دفنوه قدر ما تنحر جزور، قال لعلي أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي، يعني الملائكة، فهذا اجتهاد منه، لكنه اجتهاد لا نوافقه عليه، لأن هدي النبي ﷺ أكمل من هدي غيره، ولم يكن النبي ﷺ يقف أو يجلس عند القبر بعد الدفن قدر ما تنحر الجزور ويقسم لحمها! ولم يأمر أصحابه بذلك!



**[٩٤٧]** وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: إِذَا دَفَنْتُمُونِي، فَأَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَعْلَمَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي. رواه مسلم .

قال الشافعي ﷺ: ويستحب أن يقرأ عنده شيء من القرآن، وإن ختموا القرآن عنده كان حسناً.

إن الرد على هذا القول: إن غاية ما هنالك، أن الرسول ﷺ أمرهم أن يقفوا على القبر، ويستغفروا لصاحبه، ويسألوا له التثبيت، فقط، هذا هو السنة، ثم ينصرف الناس، وأما القراءة عند القبر، فالأصح أنها مكروهة، وأنه يكره للإنسان أن يذهب إلى القبر، ثم يقف أو يجلس عنده ويقرأ، لأن هذا من البدع، وقد قال النبي ﷺ «**كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»، وأقلّ أحوالها أن تكون مكروهة.



## ١٦٣ - الصَّدقة عن الميِّت والدُّعاء له

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠].

هذه الآية نزلت في الذين يجيؤون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، يدعون لأنفسهم ولمن سبقهم، ويُقاس به الصدقة عنه، فإذا رأيت الرجل يترحم على الصحابة، ويستغفر لهم، ويحبهم، فاعلم أنه منهم، أي يحشر معهم، وإذا رأيت الرجل يسبّ الصحابة، ولا يترحم عليهم، ولا يستغفر لهم، فإنهم بريؤون منه، وهو بريء منهم، وليس له حظ في هذه الأمة، لأن الصحابة هم الوساطة بيننا وبين رسول الله ﷺ، الذين بلغوا شريعة الله عن رسول الله، والرسول ﷺ هو الوساطة التي بيننا وبين ربنا، فإذا طعن أحد في الوساطة التي بيننا وبين رسول الله، فهو طعن في الشريعة كلها.

**[٩٤٨]** وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا، وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

دلّ ذلك على جواز الصدقة على الميت، فتنوي إذا أردت أن تتصدق؛ أن هذه عن أمك أو عن أبيك أو عن أخيك أو عن أختك أو عن أي إنسان مسلم ميت، فإن ذلك ينفعه، وأما الدعاء للميت قوله: أو ولد صالح يدعو له لأن غير الصالح لا يدعو لوالديه ولا يبرهما، ولهذا يتأكد أن نحرص على صلاح أولادنا.



**[٩٤٩]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**». رواه مسلم.

وأفضل هذه الثلاثة العلم الذي ينتفع به، وأضرب لكم أمثلةً؛ أبو هريرة ﷺ، من أفقه الصحابة بعد الرسول ﷺ، يسقط أحياناً على الأرض من شدة الجوع، ومع ذلك أكثر المسلمين الآن يقرؤون رواياته، وهي صدقة جارية إذا ما قورنت بأية صدقات أخرى في عهده، والإمام أحمد شيخ الإسلام ابن تيمية يدرّسنا الآن وهو في قبره، لأن كتبه بين أيدينا، بينما أكبر خليفة، أو أكبر تاجر في عهد ابن تيمية، هل وصل خيره إلينا اليوم؟! أبداً.

فالصدقة الجارية قد تتعثر، والولد الصالح قد يموت، لكن العلم النافع الذي ينتفع به المسلمون باق إلى ما شاء الله، وفي هذا دليل على أن عمل ابن آدم ينقطع بعد الموت، لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم: ٣٩]. قال ابن كثير: ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي ﷺ ومن تبعه، أن قراءة القرآن لا يصل إهداؤها إلى الموتى، لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم، وأما حديث: «**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ**»، فهي في الحقيقة من سعيه وكدّه وعمله.



## ١٦٤ - ثناءُ النَّاس على الميِّت

**[٩٥٠]** عن أنسٍ ﷺ قال: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**»، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَجَبَتْ**»، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﷺ: مَا وَجَبَت؟ فَقَالَ: «**هٰذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهٰذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّارُ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فانطلاق الألسنة بالثّناء الحسن من المؤمنين علامة على صلاح العبد، وانطلاق الألسنة بالثناء القبيح علامة على فساده، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة أننا لا نشهد لأحد بجنة أو نار إلا مَن يشهد له النبي ﷺ، فنشهد لمن شهد له الرسول بالجنة، ونشهد بالنار لمن شهد له بالنار، فمثال من شهد له بالجنة الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وكذلك بقية العشرة المبشرين بالجنة: سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح، والزبير بن العوام، فهؤلاء عشرة، وعكاشة بن المحصن، لما أخبر النبي ﷺ أنه يدخل من هذه الأمة سبعون ألفاً بلا حساب أو عذاب، قال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال أنت منهم، فقال آخر يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم قال سبقك بها عكاشة، وكذلك ثابت بن القيس، كان جهوري الصوت، ولما نزل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾، خاف وبقي في بيته محبوساً يبكي، يخشى أن يكون حبط عمله، لأنه جهوري الصوت، ففقده النبي ﷺ، فأرسل إليه فأخبره الخبر، فقال: بل تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنة، فكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة نشهد له، ومن شهد له بالنار فإننا نشهد له، وقد شهد النبي ﷺ لجماعة بالنار، وكذلك في القرآن، قال الله تعالى في أبي

لهب وهو عم النبي ﷺ: ﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾، وأخبر النبي أيضاً أن عمّه أبا طالب في ضحضاح من نار وعليه نعلان يغلي منهما دماغه.

**[٩٥١]** وعن أبي الأَسْوَدِ الديلي قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه، فَمَرَّتْ بِهِمْ جَنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَى فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ عَلَى صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ. قَالَ أَبُو الأَسْوَدِ: فَقُلْتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قُلْتُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ**»، فَقُلْنَا: وَثَلَاثَةٌ؟ قَالَ: «**وَثَلَاثَةٌ**»، فَقُلْنَا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «**وَاثْنَانِ**»، ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الوَاحِدِ. رواه البخاري.

وعند أحمد: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ تَشْهَدُ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْيَاتٍ مِنْ جِيرَانِهِ الأَدْنَيْنَ إِلَّا قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَدْ قَبِلْتُ عِلْمَهُمْ فِيهِ، وَغَفَرْتُ لَهُ مَا لَا يَعْلَمُونَ**».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وكذلك من أجمعت الأمة على الثّناء عليه فإننا نشهد له بالجنة، فمثلاً الإمام أحمد والشافعي وأبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وغيرهم من الأئمّة، أجمعت الأمة على الثّناء عليهم، وشيخ الإسلام ابن تيمية أجمع الناس بالثّناء عليه إلا من شذّ، ومن شذّ شذّ في النار.





## ١٦٥ - مَن ماتَ له أولادٌ صِغارٌ

**[٩٥٢]** عن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الحِنْثُ: الحلم، وعبّر بالحنث عن البلوغ، لأن الإنسان يؤاخذ بما يرتكبه فيه، وخص الصغير بذلك، لأن الشفقة عليه أعظم، والرحمة له أكثر، ومن مات له أولاد صغار لم يبلغوا الحنث، يعني لم يبلغوا الحلم، فاحتسب الأجر من الله وصبر، فإنهم يكونون له ستراً من النار بفضل رحمته إياهم، لأن هؤلاء الأولاد الصغار هم محل الرحمة، فالأولاد إذا كبروا استقلّوا بأنفسهم .

**[٩٥٣]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَمُوتُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَا تَمَسُّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

تَحِلَّةُ القَسَمِ: قول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلا وَارِدُهَا**﴾. وَالوُرُودُ: هُوَ العُبُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى ظَهْرِ جَهَنَّمَ. وفي رواية عند الطبراني: «**مَنْ مَاتَ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الحِنْثَ لَمْ يَرِدِ النَّارَ إِلَّا عَابِرُ سَبِيلٍ**». يعني الجواز على الصِّراط.



**[٩٥٤]** وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ. قَالَ: «**اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا**». فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ، فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُنَّ مِنِ امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ ثَلَاثَةً مِنَ الوَلَدِ إِلَّا كَانُوا لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ**»، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ: وَاثْنَينِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَاثْنَيْنِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الولد يشمل الذكر والأنثى، والكبير والصغير، وخُصت الثلاثة بالذكر لأنها أول مراتب الكثرة، والحديث يتناول ما فوق الثلاثة بالأولى.





## ١٦٦- البكاء والخوف عند المرور بقبور الظَّالمين

**[٩٥٥]** عن ابن عُمَرَ ﵄: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ- يَعْنِي لَمَّا وَصَلُوا الحِجْرَ؛ دِيَارَ ثَمُودَ: «**لَا تَدْخُلُوا عَلَى هٰؤُلَاءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لَا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي روايةٍ قال: لَمَّا مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِالحِجْرِ، قَالَ: «**لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ**». ثُمَّ قَنَّعَ رَسُولُ الله ﷺ رَأْسَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى أَجَازَ الوَادَ.

أي: لا تدخلوها إلا حال الاعتبار الباعث على البكاء، لا على سبيل التفرج.

دِيَارَ ثَمُودَ: ثمود قوم نبي الله صالح ﵇، وثمود قبيلةٌ عربيةٌ كانت تسكن الحِجر الذي يقع بين الحجاز وتبوك، طريق الشام، وكانوا قد ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، وقد أعطاهم الله تعالى قدرة وقوة في نحت الجبال وبناء القصور في السهول، وصاروا أمة قوية، ولكن الله العظيم أخذهم برجفة وصيحة، فماتوا عن آخرهم.

مرّ بهم النبي ﷺ في طريقه إلى تبوك، فقال ما قال. ولهذا نقول: لا يجوز لأحد أن يذهب لديار ثمود ليتفرج وينظر مساكنهم، لأن ذلك وقوع في معصية الرسول ﷺ، إلا رجلاً يريد أن يذهب للعبرة، ويكون باكياً عند مروره، وبه نعرف خطأ هؤلاء الجهلة الذين يذهبون إلى ديار ثمود للتفرج والتنزه، ويبقون فيها أياماً ينظرون آثارهم القديمة، فإن ذلك معصية للرسول ومخالفة لهديه وسنته، فإنه ﷺ لما مرّ بهذه الديار أسرع وقنّع رأسه حتى جاوز الواد، وحذّر من أن يسكن الإنسان في مساكن هؤلاء.



## ١٦٧ - الخروج يوم الخميس وفي أوّل النّهار

[٩٥٦] عن كعب بن مالك ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية في لأبي داود: لَقَلَّمَا كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَخْرُجُ إِلَّا فِي يَوْمِ الخَمِيسِ. يعني في أسفاره، وسمّي السفر سفراً، لأنه يسفر عن أخلاق الرجال، أي يبيّن ويوضّح أحوالهم، فكم من إنسان لا تعرفه ولا تعرف سيرته إلا إذا سافرت معه، حتى كان عمر ﷺ إذا زكّى رجل شخصاً عنده قال له: هل سافرت معه؟ هل عاملته؟ إن قال نعم قبل ذلك، وإن قال لا فلا، ثم إن السفر ينبغي للإنسان أن يتحرّى فيه الأوقات التي تكون أسهل وأنسب، ومن ذلك أن يكون في آخر الأسبوع، كما كان النبي ﷺ في أكثر أسفاره يخرج يوم الخميس، وربما خرج في غيره، والحكمة من ذلك أنه يوم ترفع فيه الأعمال وتعرض على الله.



[٩٥٧] وعن صخر بن وَداعَةَ الغامِدِيِّ الصحابيِّ ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا**»، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، وَكَانَ صَخْرٌ تَاجِرًا، وَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ أَوَّلَ النَّهَارِ، فَأَثْرَى وَكَثُرَ مَالُهُ. رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وكان ﷺ يحب أن يخرج من أول النهار، لأنه ربما يفاجأ الإنسان في سفره أمراً يصعب عليه التخلص منه وهذا في الأسفار على الدواب والأرجل. أما اليوم فكما تشاهدون؛ الناس لا يجدون صعوبة في أول النهار أو آخره، ثم إن السفر في الوقت الحاضر مرتبط بطائرات ومواعيد، وعلى كل حال إذا خرج في أول النهار وفي يوم الخميس فهو أفضل، وإن لم يتيسر له ذلك فلا بأس.

بكورها: في أول النهار، لأنه مستقبل العمل، وفيه معاشنا، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾.

فإذا استقبله الإنسان من أوّله صار في ذلك بركة، وهذا شيء مشاهد، لكن وللأسف أكثرنا اليوم ينامون في أول النهار ولا يستيقظون إلا في الضحى، فيفوت عليهم أول النهار الذي فيه بركة.

وقد قال العامة: أمير النهار أوله، يعني أن أول النهار هو الذي يتركز عليه العمل، وكان صخر يبعث بتجارته أول النهار فأثرى وكثر ماله، من أجل دعاء النبي ﷺ بالبركة لهذه الأمة في بكورها.



## ١٦٨ - طلبُ الرِّفقة وتأميرُ أحدِهم

**[٩٥٨]** عن ابن عمرَ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ**». رواه البخاري.

يعني أن الإنسان لا ينبغي أبداً أن يسير وحده في السفر، لأنه ربما يصاب بمرض أو إغماء، أو يتسلّط عليه أحد، أو غير ذلك من المحظورات، فلا يكون معه أحد يدافع عنه أو يخبر عنه، وهذا في الأسفار التي تتحقق فيها الوحدة، وأما ما يكون في الخطوط العامرة التي لا تكاد تمر فيها دقيقة واحدة إلا وتمر بك فيها سيارة، فهذا وإن كان الإنسان في سيارة وحده فليس من هذا الباب، لأن الخطوط الآن عامرة من محافظة لأخرى ومن مدينة لأخرى، فلا يدخل في النهي.



**[٩٥٩]** وعن عمرِو بن شُعَيْبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ**». رواه أبو داود والترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وهذا أيضاً على الحذر والتّنفير من سفر الوحدة، وهذا مقيد بالأسفار الطويلة في الطرق الصحراوية البعيدة، والتي لا يكون فيها ذاهب وآتٍ، وإنما كُره ذلك لأنّ الواحِدَ لو مات في سفره ذاكَ في حادث سير أو مرض أو ما أشبه، أو تعرضت السيارة لعطل ما، أو خطر، فإنه يستوحش، لـم يجِد مَن يؤنسه، وكذلكَ الاثنان، بخِلاف الثّلاثة .



**[٩٦٠]** وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله تعالى عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ**». حديث حسن، رواه أبو داود بإسنادٍ حسن.

يعني يؤمّرون واحداً منهم يتولّى تدبيرهم، يقول نذهب ونجلس ونتوضأ ونتناول العشاء، لأنهم إذا لم يؤمّروا واحداً صار أمرهم فوضى. وظاهر الحديث أن هذا الأمير إذا رضوه وجبت طاعته فيما يتعلق بمصالح السفر، لأنه أمير، أما ما لا يتعلق بأمور السفر فلا تجب طاعته، كالمسائل الخاصة بالإنسان، إلا أنه لا يعني ذلك أن هذا الأمير يستبدّ، بل يكون كما قال الله ﷻ: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، فعليه أن يشاورهم في الأمور التي يخفى فيها جانب المصلحة، ولا يستبدّ برأيه، أما الأمور الواضحة فلا حاجة للمشورة فيها.

**[٩٦١]** وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ الصَّحَابَةِ أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا أَرْبَعُمِائَةٍ، وَخَيْرُ الجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلَافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

والسَّرِيَّة: هي القطعة من الجيش تَغِير وترجع إليه.

قوله: «**مِنْ قِلَّةٍ**»: قلّة عدد، بل لسبب آخر، كالإعجاب بكثرة العدد، أو الاغترار بأنفسهم من قدرتهم على الحرب وشجاعتهم وقوتهم ونحو ذلك. ألا ترى وقعة حُنَيْنٍ؛ فإن المسلمين كان عدّتهم فيها اثني عشر ألفاً أو قريباً منها، فأعجبهم كثرتهم واعتمدوا عليها، وقالوا لن نغلب اليوم عن قلّة، فغلبوا عند ذلك.





## ١٦٩ - آداب السَّير والنَّوم في السَّفر

[٩٦٢] عن أَبي هُريرةَ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا سَافَرْتُمْ فِي الخِصْبِ، فَأَعْطُوا الإِبلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُمْ فِي الجدْبِ، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأْوَى الهَوَامِّ بِاللَّيْلِ**». رواه مسلم.

«**أَعْطُوا الإِبلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ**»: ارْفُقُوا بِهَا فِي السَّيْرِ لِتَرْعَى فِي حَالِ سَيرِهَا.

«**نِقْيَهَا**»: المُخُّ: أَسْرِعُوا بِهَا قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ مُخُّهَا مِنْ ضَنْكِ السَّيْرِ.

«**عَرَّسْتُمْ**»: التَّعْرِيسُ: النُّزولُ فِي اللَّيْلِ.

في هذه الحديث: أن المسافر إذا سافر على راحلة بهيمة من الإبل أو حمر أو بغال أو خيل، فإن عليه أن يراعي مصلحتها، لأنه مسؤول عنها، فإذا سافر في أيام الخصب فإنه ينبغي أن يتأنّى في السير ليعطي فيه الإبل حقها من الرعي، أما إذا كان الأمر بالعكس وكانت السنة جدباً، فإن المفروض أن تسرع، لأنك إذا أمهلت في السير وطالت مدة السفر فإنها لا ترعى، فيذهب مخّها أي عقلها، وتصاب بالغيبوبة وفقدان الوعي بسبب الجوع والتعب.

كذلك أمر ﷺ أننا إذا عرَّسنا، أي نزلنا ليلاً لنستريح وننام، فإننا لا ننام في الطريق، لأنها مأوى الهوام والزواحف السامة، تأتي إلى هذه الطرق حتى إذا سقط من أحد شيء من الطعام أكلته، ومثل ذلك، بل من باب أولى طرق سيارات اليوم، فإن الإنسان يبتعد عنها، حتى لا تقع في الخطر، لأنه ربما يأتي سائق ينعس ولو لحظة فيقتحم بسيارته هؤلاء الذين ينامون على الطريق، وتحدث كارثة.



**[٩٦٣]** وعن أبي قتادة ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَعَرَّسَ بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ. رواه مسلم.

قال العلماءُ: إِنَّمَا نَصَبَ ذِرَاعَهُ لِئَلَّا يَسْتَغْرِقَ فِي النَّوْمِ، فَتَفُوتَ صَلَاةُ الصُّبْحِ عَنْ وَقْتِهَا.

وقوله: "اضْطَجَعَ عَلَى يَمِينِهِ"، لأن النوم على اليمين أشرف جهة، لكون القلب يكون حينئذٍ معلّقًا فلا يستغرق في النوم، فإنه لا ينام نومة المطمئن بل نومة المستيقظ، وفي هذا دليل على أن الإنسان ينبغي له أن يستعمل المنبه حتى لا تفوته الصلاة.

**[٩٦٤]** وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَى بِاللَّيْلِ**». رواه أبو داود بإسناد حسن.

**الدُّلْجَةُ**: السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ. ذلك أن المسافر إذا سافر في الليل يقطع من المسافة ما لا يقطعه في النهار، لأن الليل وقت براد، فهو أنشط للرواحل وأسرع في سيرها، خصوصًا آخره.



**[٩٦٥]** وعن أَبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنِيِّ ﷺ قال: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنْزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هٰذِهِ الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ إِنَّمَا ذٰلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ!**»، فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذٰلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. رواه أبو داود بإسناد حسن.

لأن ذلك أقوى لهم وأحفظ، ولو تسلّط عليهم عدوّ في هدأة الليل من إنسان أو وحش، وكانوا جميعاً أمكنهم المدافعة، لكن إذا تفرقوا توزّعوا وفشلوا، كما أن التفرق ينتج عنه وساوس الشيطان وإغوائه وهواجس مزعجة، فالرفقة وعدم التفرق يدفع ذلك كله.



**[٩٦٦]** وعن سهل بن عمرو- وقيل: سهل بن الربيع بن عمرو- الأنصاري المعروف بابن الحنظلِيَّة، وهو من أهل بيعة الرِّضْوَانِ قال: مَرَّ رَسُولُ الله ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ فِي هٰذِهِ البَهَائِمِ المُعْجَمَةِ، فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً، وَكُلُوهَا صَالِحَةً**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

سمّيت البهيمة عجماء لأنها لا تتكلم.

في هذا الحديث: الأمر بتقوى الله فيها، ونص على صفتها بأنها معجمة للاستعطاف عليها، ومزيد الشفقة بها، ولأنها لا تقدر على الفرار ولا الشكوى إلا إلى الله.

وقد ورد في بعض الآثار: أن الملك يمسح خاصرتها كل ليلة، فإن كانت شابعة دعى لصاحبها بالبركة، وإن كانت جائعة دعا عليه بالفقر، وهذا مشاهد بالحسّ.



**[٩٦٧]** وعن أبي جعفر عبد الله بن جعفر ﵄، قال: أَرْدَفَنِي رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، وَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ أَوْ حَائِشُ نَخْلٍ. رواه مسلم هكذا مُختصرًا.

حَائِشُ نَخلٍ: حَائِطَ نَخْلٍ.

وزادَ فِيهِ البَرْقَاني بإسناد مسلم بعد قَوْله حَائِشُ نَخْلٍ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى رَسولَ الله ﷺ جَرْجَرَ وذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ فَمَسَحَ سَرَاتَهُ، أَيْ: سِنَامَهُ، وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: «**مَنْ رَبُّ هٰذَا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هٰذَا الجَمَلُ؟**»، فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصارِ، فَقَالَ: هٰذَا لِي يَا رسولَ الله، فَقَالَ: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هٰذِهِ البَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ يَشْكُو إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ**». رواه أبو داود كرواية البرقاني.

ذِفْرَاهُ، وَهُوَ المَوْضِعُ الَّذِي يَعْرَقُ مِنَ البَعِيرِ خَلْفَ الأُذُنِ.

تُدْئِبُهُ: تُتْعِبُهُ.

في هذا الحديث: معجزة من معجزات النبي ﷺ الدالة على صدقة. وفيه: تواضعه وكمال شفقته ﷺ.

وفي رواية لأحمد: فقال النبي ﷺ: «**انْظُرْ لِمَنْ هٰذَا الجَمَلُ؟**»، قال: فخرجت ألتمس صاحبه، فوجدته لرجل من الأنصار فدعوته له، فقال: «**مَا شَأْنُ جَمَلِكَ هٰذَا؟**»، فقال: ما شأنه لا أدري، والله ما شأنه عملنا عليه ونضحنا عليه حتى عجز عن السقاية، فائتمرنا البارحة أن ننحره، ونقسم لحمه. قال: «**فَلَا تَفْعَلْ**».

قوله: «**أَفَلَا تَتَّقِي اللهَ فِي هٰذِهِ البَهِيمَةِ الَّتي مَلَّكَكَ اللهُ إِيَّاهَا؟ فَإِنَّهُ يَشْكُو إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ**»، له شاهد في رواية لأحمد: «**شَاكِيًا كَثْرَةَ العَمَلِ، وَقِلَّةَ العَلَفِ**». والمعنى: ألا تتقي الله في ما لا لسان له فتشكو ما بها من جوع، وعطش، ومشقة.



**[٩٦٨]** وعن أنس ﷺ قال: كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا، لا نُسَبِّحُ حَتَّى نَحُلَّ الرِّحَالَ. رواه أبو داود بإسناد على شرط مسلم.

قَوْلُه: لا نُسَبِّحُ: أي لا نُصَلِّي النَّافِلَةَ.

معناه: أَنَّا مَعَ حِرْصِنَا عَلَى الصَّلَاةِ، لَا نُقَدِّمُهَا عَلَى إِرَاحَةِ الدَّوَابِّ.

في هذا الحديث: استحباب إراحة البهائم بالحطّ عنها قبل الاشتغال بعبادة أو غيرها لما لحقها من التّعب.





## ١٧٠- إِعانة الرَّفيق

**[٩٦٩]** عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ**»، فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَهُ، حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم.

قوله: "فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا": ينظر من يتوسّم فيه الإعانة، فعرف النبي ﷺ أنه محتاج، فأمر بمواساته ومواساة غيره من المحتاجين لمن كان عنده فضل من طعام أو غيره، وكذلك صار الناس كل منهم ينظر إلى رفيقه ويركبه معه ويشركه في زاده.



**[٩٧٠]** وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ: أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَغْزُوَ، فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، إِنَّ مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ مَالٌ وَلَا عَشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ، فَمَا لِأَحَدِنَا مِنْ ظَهْرٍ يَحْمِلُهُ إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ**». يَعْنِي أَحَدَهُمْ. قَالَ: فَضَمَمْتُ إِلَيَّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً مَا لِي إِلَّا عُقْبَةٌ كَعُقْبَةِ أَحَدِهِمْ مِنْ جَمَلِي. رواه أبو داود.

قوله: «**فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ**»: أي على حسب القدرة والحال، يتعاقب الرجلان والثلاثة على البعير الواحد حتى يكون الناس كلهم سواء.



**[٩٧١]** وعنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَخَلَّفُ فِي المَسِيرِ، فَيُزْجِي الضَّعِيفَ، وَيُرْدِفُ وَيَدْعُو لَهُ. رواه أبو داود بإسناد حسن.

يزجي: يسوق.

فيه: استحباب التخلف وراء المسير لإعانتهم فيما يعرض لهم، حيث كان رسول الله ﷺ يسير في أُخريات القوم في السفر، يزجي الضعيف، ويسوقه، ويدعو له، ويقضي حاجته.



## ١٧١ - ما يقول إذا ركب دابَّةً للسَّفر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ، لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١٢ - ١٣].

وظاهر الآية الكريمة أن الحكم عام، وأن الإنسان إذا ركب دابّته أو سيارته أو السفينة أو الطائرة، فإنه يقول ما ذكره الله ﷻ ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾: خلق وسيّر لكم، ﴿مِنَ الْفُلْكِ﴾: السفن، وهي ثلاثة أنواع: بحرية، وبرية، وجوية، أما البحرية فكانت معروفة من زمن نوح ﵇، وأما السفن البرية فظهرت متأخرة وهي السيارات، وأما الجوية فهي الطائرات، ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: الإبل والبغال والحمير والخيل وغيرها مما يركب.

وقد اختلف العلماء في جواز ركوب الإنسان ما لم تجر العادة بركوبه، كما لو ركب البقر، فمنهم من قال: إنه جائز، ومنهم من قال: إنه لا يجوز، لأنها لم تخلق لهذا، والصحيح أنه جائز، لكن بشرط ألا يشقّ عليها. وقوله تعالى: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾: فلم يجعله صعبًا وشاقًّا، وهذا مشاهد في السيارات والسفن والطائرات والإبل وغيرها من وسائط النقل، ثم بعد ذلك، تذكرون نعمة الله بما يسّر لكم وتقولوا: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾: ما كنّا مطيقين له، لولا أن الله سخره، أي ذلَّلَهُ كما قال الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾.

أرأيتم لو كانت هذه البعير الكبيرة الجسم القوية؛ لو لم تسخر هل نركبها؟ هل نقدر عليها؟ الجواب: لا، هناك من السباع ما هو دونها بكثير ولا نستطيع أن نقدر عليه، حتى إن الصبي الصغير يأخذ بزمام الناقة ويقودها إلى حيث شاء، هذا من تسخير الله تعالى وتذليله.

﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: هذه جملة عظيمة، كأن الإنسان لما ركب مسافراً يتذكّر

السفر الأخير من هذه الدنيا، وهو سفر الإنسان إذا مات، وحملته الناس على أعناقهم، لا فرق أن تموت هنا أو هناك، أو في بلد مقدّس أو غير مقدّس، ولا في هذا الشهر، ولا في هذا اليوم، ولا في هذا الوقت، المهم أن تموت على خير، فينبغي للإنسان إذا ركب سيارته أو الطائرة أن يقول هذا الذّكر الوارد عن النبي ﷺ ويكبّر ثلاثاً ويقول: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾، ثم يدعو بهذا الدعاء، في هذا الحديث:



**[٩٧٢]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾، **اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هٰذا البِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ العَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هٰذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المَالِ وَالأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»**. رواه مسلم.

مُقْرِنِينَ: مُطِيقِينَ. الوَعْثَاءُ: الشِّدَّةُ. الكَآبَةُ: تَغَيُّرُ النَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ وَنَحْوِهِ. المُنْقَلَبُ: المَرْجِعُ.

قوله: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ**»: أي الملازم بالعناية والحفظ من الحوادث والنوازل، «**وَالخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ**»: أي المعتمد عليه والمفوض إليه حضورًا وغيبة.



[٩٧٣] وعن عبد الله بن سَرجِسَ ﵁ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ، وَالحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ في الأَهْلِ وَالمَالِ. رواه مسلم.

الحَوْرُ بَعْدَ الكَوْنِ: الرُّجُوعُ مِنَ الاسْتِقَامَةِ وَالهُبُوطُ بَعْدَ الرِّفْعَةِ.



[٩٧٤] وعن عَلِيّ بن ربيعة، قال: شَهِدْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﵁ أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ الله، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَى ظَهْرِهَا، قَالَ: الحَمْدُ لله، ثُمَّ قَالَ: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ لله، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ، ثُمَّ ضَحِكَ، فقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «**إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن أو حسن صحيح.

كل هذا مما جاء عن النبي ﷺ فإن ذكرته بلفظه فهذا هو الأحسن والأفضل، وإلا فقل ما تيسّر، وأهم شيء ما ذكره الله تعالى في القرآن: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ**﴾.

وفي حديث عليٍّ ﵁، بيان سعة مغفرة الله ورحمته، وأنه ﷻ يفرح من عبده إذا استغفره وتاب إليه، فإن استغفرت الله تعالى بصدق وإخلاص، فإن الله يغفر لك: ﴿**وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾.





## ١٧٢ - تكبير المسافر إذا صعد وتسبيحه إذا هبط

**[٩٧٥]** عن جابر رضي الله عنه قال: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا. رواه البخاري.

ومن ذلك، من آداب السفر، أنه إذا صعد الإنسان شيئاً مرتفعاً كالجبل، وكذلك الطائرة عند ارتفاعها تكبِّر، إذا صعدت فإنه يقول: الله أكبر، إما مرة أو مرتين أو ثلاثاً، وعند نزولها المطار سبح قال: سبحان الله، مرة أو مرتين أو ثلاثاً، ووجه ذلك أن الإنسان إذا علا وارتفع فإنه فقد يستعظم نفسه، يعني: لو علوتِ أيتها النفس فإن فوقك من هو أعلى منك وهو الله عز وجل، أما إذا نزل فالنزول سفولٌ ودنوٌّ وذلٌّ، فيقول: سبحان الله، يعني أُنزّه الله لأنه فوق كل شيء.

**[٩٧٦]** وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم وجيُوشُهُ إِذَا عَلَوا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قال المهلب: تكبيره صلى الله عليه وسلم عند الارتفاع استشعار لكبرياء الله عز وجل، ولما يقع عليه العين من عظيم خلقه، وتسبيحه في بطون الأودية مستنبط من قصة يونس، فإن بتسبيحه في بطن الحوت نجّاه الله من الظلمات، فسبح النبي صلى الله عليه وسلم في بطون الأودية لينجيه الله منها.



**[٩٧٧]** وعنه قَالَ: كَانَ النَّبي صلى الله عليه وسلم إِذَا قَفَلَ مِنَ الحَجِّ أَوْ العُمْرَةِ، كُلَّمَا أَوْفَى عَلَى ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: إِذَا قَفَلَ مِنَ الجيُوشِ وَالسَّرَايَا أَوِ الحَجِّ أَوِ العُمْرَةِ.

أَوْفَى: ارْتَفَعَ. الفَدْفَدُ: الغَلِيظُ المُرْتَفِعُ مِنَ الأَرْضِ.

**[٩٧٨]** وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِنِي. قَالَ: «**عَلَيْكَ بِتَقْوَى الله، وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ**»، فَلَمَّا وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**اللَّهُمَّ اطْوِ لَهُ البُعْدَ**»: يسِّر له السير بمنح القوة لمركوبه، وأن لا يرى ما يتعبه.

**[٩٧٩]** وعن أَبي موسى الأشعريِّ ﷺ قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَى وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا وَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُنَا، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ارْبَعُوا: ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ. في هذا الحديث: النهي عن المبالغة في رفع الصوت بالذكر، لأنه سبحانه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو السميع البصير العليم الخبير، وأما الجهر بالذكر من غير مبالغة فهو مطلوب إذا أمن الرياء، ولم يؤذ به نحو نائم أو مصلٍّ؛ قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا**﴾ [الإسراء: ١١٠].

إن الله ﷻ قريب، مع أنه فوق السماوات، لكنه محيط بكل شيء.

قال ابن عباس: ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في كف أحدكم! فهو ﷻ محيط بكل شيء، وهو فوق كل شيء.

في هذا دليل أنه لا ينبغي للإنسان أن يشق على نفسه في العبادات، لا في أدائها ولا

في المداومة عليها؛ بعض الناس في أيام الشتاء يكون عنده الماء الساخن والبارد، يتوضأ بالبارد ويترك الساخن، يعذب نفسه! والله ﷻ يقول: ﴿مَا يَفْعَلُ اللهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ﴾.

كذلك بعض الناس يمشي على رجليه للحج لأنه أصعب من المشي بالسيارة! هذا أيضاً خطأ، فافعلْ ما تيسّر، أما إذا لم يمكن إلا مع تعب فهذا الأمر إلى الله، ولك أجر.





## ١٧٣ - الدُّعاء في السَّفر

[٩٨٠] عن أَبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

المسافر: هو الذي فارق وطنه حتى يرجع إليه، ودعوة المسافر دعوة محتاجٍ في الغالب، والإنسان إذا احتاج ودعا ربه أوشك أن يستجاب له، لأن الله تعالى يجيب دعوة المضطر والمحتاج أكثر مما يستجيب لغيرهما، ثم ذكر ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد؛ أما دعوة المظلوم، حتى ولو كان المظلوم كافراً وظلمته، ثم دعا الله فإن الله يستجيب دعاءه، لا حبًّا للكافر ولكن حبًّا للعدل. والثانية: دعوة المسافر إذا دعا الله فإن الله يستجيب له، ولذا ينبغي أن يغتنم فرصة الدعاء في السفر. والثالثة: دعوة الوالد سواء دعا لولده أو عليه فإنها مستجابة.





## ١٧٤ - ما يَدعو إذا خافَ ناسًا أو غيرَهم

**[٩٨١]** عن أبي موسى الأشعريِّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قَوْمًا قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**». رواه أبو داود والنسائي بإسنادٍ صحيحٍ.

في هذا الحديث: أن من اعتصم بالله تعالى ولجأ إليه كفاه كيد الأَعادي والحسَّاد. قال الله تعالى: ﴿**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة: ١٣٧].





## ١٧٥ - ما يقول إذا نزل مَنْزلًا

**[٩٨٢]** عن خولة بنتِ حَكِيمٍ ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**». رواه مسلم.

«**نَزَلَ مَنْزِلًا**»: يشمل من نزل منزلاً في السفر إذا كان مسافراً، ثم نزل ليستريح لغداء أو عشاء أو نوم أو غير ذلك، فإنه إذا نزل يقول هذا الدعاء، وكلمات الله التامات تشمل كلماته الكونية التي ذكرها الله في قوله: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾، فيحميك الله، ويدفع عنك ما يضرك، كذلك الكلمات الشرعية وهي الوحي، فيها وقاية من كل سوء وشر، أما قبل نزوله فقد ثبت عن النبي ﷺ أن من قرأ آية الكرسي في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، وأما بعد نزول الأثر فقد ثبت عنه ﷺ أن الفاتحة إذا قرئ بها على المريض فإنه يبرأ بها.



**[٩٨٣]** وعن ابن عمر ﵄ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا سَافَرَ فَأَقْبَلَ اللَّيْلُ، قَالَ: «**يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّكِ، وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، أَعُوذُ باللهِ مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ**». رواه أبو داود.

الأَسَدُ: الشَّخْصُ. سَاكِنُ البَلَدِ: الجِنُّ الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُ الأَرْضِ.

قِيلَ: وَالبَلَدُ مِنَ الأَرْضِ مَا كَانَ مَأْوَى الحَيَوانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بِنَاءٌ وَمَنَازِلُ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّ المُرَادَ بِالوَالِدِ إِبْلِيسُ وَمَا وَلَدَ الشَّيَاطِينُ. وَالأَسْوَدُ: الحَيَّةُ العَظِيمَةُ وَهِي أَخْبَثُ الحَيَّاتِ.





## ١٧٦ - تعجيل المسافر الرُّجوعَ إلى أهلِه

**[٩٨٤]** عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**نَهْمَتَهُ**»: حَاجَتُهُ ومَقْصُودُهُ.

المسافر إذا سافر فإنه يترك أهله، وربما يحتاجون إليه في تعليمهم ورعايتهم، وربما يحدث لهم أشياء توجب أن يكون عندهم، ولهذا قال ﷺ في هذا الحديث، إن السفر قطعة من العذاب، يعني ذلك عذاب الضمير وعذاب الجسم، ولا سيما الذي كان في الزمن السابق حيث يسافرون على الإبل ويكون فيها مشقات كبيرة؛ حر في الصيف وبرد في الشتاء، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، لأنه أي المسافر مشغول البال، لا يأكل ولا يشرب طعامه وشرابه العادي في أيامه العادية، وكذلك في النوم، فإذا كان كذلك فليرجع الإنسان إلى الراحة إلى أهله وبلده، فدل ذلك على أن الإنسان لا ينبغي أن يغيب عن أهله إلا بقدر الحاجة.






**[٩٨٥]** عن جابر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَطَالَ أَحَدُكُمُ الغَيْبَةَ فَلَا يَطْرُقَنَّ أَهْلَهُ لَيْلًا**». وفي روايةٍ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلاً. متفقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: كراهة القدوم ليلاً إذا لم يُعلمهم بوصوله لكي تمتشط الشعثة، وتستحد المغيبة.

وقال البخاري: باب لا يطرق أهله ليلاً إذا أطال الغيبة مخافة أن يتخونهم، أو يلتمس عثراتهم.

**[٩٨٦]** وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَكَانَ يَأْتِيهِمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لا يطرقهم ليلاً: أي لا يأتيهم في الليل إلا لحاجة، مثل أن يحصل عليه مشقة لو انتظر إلى الصباح، وكذلك أيضاً إذا كان قد أعلمهم أنه سيقدم عليهم الليلة الفلانية فلا بأس، أما إذا كان أطال الغيبة فإنه لا يطرقهم ليلا، لأن النبي ﷺ علّل ذلك فقال: لكي تمتشط الشعثة وتستحدّ المغيبة، يعني: لأجل أن المرأة تتجمل وتتزين لزوجها، وتحلق عانتها بالحديدة أي الشفرة، أما إذا لم يطل السفر، كسفر يوم أو يومين فلا حرج عليه أن يقدم إلى أهله متى شاء.





## ١٧٨ - ما يقول إذا رجعَ ورأى بلدته

**[٩٨٧]** وعن أنس ﵁ قال: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ المَدِينَةِ، قَالَ: «**آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**»، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذٰلِكَ حَتَّى قَدِمْنَا المَدِينَةَ. رواه مسلم.

الآيِبُ: الراجع. أي: نحن آيبون.

قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا**﴾ [الإسراء: ٢٥].

وقوله: «**تَائِبُونَ**»، فيه إشارة إلى التقصير في العبادة، وقوله هذا على سبيل التواضع وتعليمًا لأمّته.





## ١٧٩- ابتداء القادم بالمسجد

**[٩٨٨]** عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: استحباب الصلاة في المسجد عند قدومه ليبدأ بتعظيم بيت الله قبل بيته، وليقوم بشكر نعمة الله عليه في سلامته، فإذا قدم الإنسان من السفر، قبل أن يدخل على أهله، فليبدأ قبل كل شيء بالمسجد، ويصلي فيه ركعتين، وهذه السنة قد غفل عنها كثير من الناس إما جهلاً بذلك وإما تهاوناً، ولكن ينبغي للإنسان أن يُحيي هذه السنة، وإذا وصل إلى البلد فليكن أول ما يبدأ به أن يدخل إلى المسجد ويصلي ركعتين، ثم بعد ذلك يذهب إلى أهله.



## ١٨٠ - سَفرُ المرأةِ وحدَها

**[٩٨٩]** عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المرأة ناقصة العقل والدين، وكل إنسان يمكن أن يخدعها، وكل إنسان يذلّ بها، وهي فتنة الرجال، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا كَانَتْ فِتْنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي النِّسَاءِ**»، وقال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**». وقداختلف العلماء فيما إذا كان السفر قصيراً هل تمنع منه أم لا؟ فمنهم من قال تمنع، ومنهم من قال لا تمنع إلا من السفر الطويل، والصحيح أنها تمنع مما يسمّيه الناس سفراً، خوفاً عليها من الفتنة والشر والبلاء.

وظاهر الحديث أنه لا فرق بين المرأة الشابة والكبيرة، والحسناء والقبيحة، ومن معها نساء ومن لا نساء معها، ومن هي آمنة وغير آمنة، فالحديث عام، ولما كانت المسألة خطيرة، منعت المرأة منعاً باتاً من السفر بلا محرم، وقد تهاون بعض الناس اليوم في السفر بلا محرم، لاسيما في سفر الطائرة، وكذلك النقل الجماعي، وهذا غلط وتهاون في طاعة الله ورسوله، فلا يحل للمرأة أن تسافر بلا محرم، حتى لو كان محرمها سيشيعها من مطار المغادرة، ومحرمها الثاني يقابلها في البلد الآخر، فإن ذلك لا يجوز، لأن النساء الآن في الطائرة تجد المرأة إلى جانب الرجل، لهذا نقول إنه يحرم على المرأة أن تسافر بلا محرم في الطائرة أو السيارة أو الجمل أو الحمار أو الأرجل، كل ذلك حرام، والمحرم هو من تحرم عليه تحريماً مؤبّداً، بنسب أو مصاهرة أو رضاعة.



**[٩٩٠]** وعن ابن عباس ﭭ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «**انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ**». متفقٌ عَلَيْهِ.





## ١٨١ - فضل قراءة القرآن

القرآن الذي بين أيدينا؛ هو كلام الله ﷻ، تكلّم به ﷻ حقيقة، كلاماً سمعه جبريل، ثم تلاه جبريل على النبي ﷺ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾، لأن القلب هو محل الوعي والإدراك والفقه.

وقوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾، لا تقاطع جبريل في القراءة، والله ﷻ يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء، ولا يحل لنا أن نقول إن كلام الله تعالى ككلامنا، يعني أن صوته في القرآن كأصواتنا، كلا، لكنه يتكلم بالحروف التي نتكلم بها، هذا هو ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف وأئمة أهل السنة.

وجبريل أمين الملائكة، ومحمد أمين البشر، وكلاهما أمين على وحي الله ﷻ.

هذا القرآن له فضائل عظيمة، وفضائل في آيات وسور خاصة، مثلاً الفاتحة هي السبع المثاني وهي أم الكتاب، وآية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله، وهناك آيات أو سور لها فضائل خاصة، أما القرآن عموماً فلَه أيضاً فضائل عامة، وهذا يوجب علينا أن نحرص غاية الحرص على تلاوة كتاب الله ﷻ ليلاً ونهاراً، الإنسان إذا تَلا كلام الله صار له بكل حرف عشر حسنات، فمثلاً ﴿قُلْ﴾ فيها عشرون حسنة، لأنها حرفان القاف واللام، وهذا ثواب عظيم لا يتصوره الإنسان.

وينبغي إذا قرأ القرآن أن يترسل فيه وألا يتعجل عجلة توجب سقوط بعض الحروف، لكن التجويد المصطلح عليه في كتب التجويد ليس بواجب، لكنه من كمال تحسين الصوت، فالواجب ألا تسقط حرفاً من الحروف ولا شدة من الشدات، ولهذا يَضْعُفُ القول إن التجويد واجب، وإن من لم يجوّد القرآن آثم، فإن هذا قول ضعيف جداً.

واعلمْ أن القرآن أول ما نزل، نزل على سبعة أحرف، لأن الناس عرب من قبائل متعددة ولهجات مختلفة، وأنتم تعرفون أن الواحد إذا أراد أن يتكلم بلهجة غيره يصعب عليه، ويشق عليه، فكان من رحمة الله أن جعل القرآن على سبعة أحرف، كلٌّ يقرأ بلهجته، بقي على هذا في عهد النبي ﷺ كلّه، وفي عهد أبي بكر، وفي عهد عمر، وفي عهد عثمان، صار الناس يقرؤون على لهجاتهم، فصار في هذا اختلاف، واللغة القرشية كانت غلبت على جميع اللهجات، فلما خاف أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه أن يختلف الناس في كلام الله، وأن تؤدّي هذه الأحرف السبعة إلى شقاق ونزاع، أمر أن يوحّد القرآن على حرف واحد، ألا وهو حرف قريش، أي لغة قريش، فجمع القرآن على حرف واحد على لغة قريش، وهو الذي نقرأ به الآن، ثم أمر بسائر المصاحف فأحرقت لئلّا تبقى فيختلف الناس بها، فكان في ذلك مصلحة عظيمة وفضيلة لأمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه.

وأدنى ما يكون من الكمال أن تقرأه كل ثلاثة أيام، وإن رأيت أنه لا يتيسّر لك إلا في الأسبوع مرة، أو كل عشرة أيام مرة، أو في الأسبوعين مرة، أو في ثلاثة أسابيع مرة، أو في الشهر مرة، المهم لا تهجر القرآن لأنه كلام الله، ولا يزيدك إلا نوراً في القلب وبصيرة في العلم.



**[٩٩١]** عن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقْرَؤُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ**». رواه مسلم.

ومثله حديث النواس بن سمعان، أن النبي ﷺ أخبر أن من قرأ القرآن وعمل به، فإنه يأتي يوم القيامة يتقدمه سورة البقرة وآل عمران يحاجّان عن صاحبهما يوم القيامة، ولكن الرسول ﷺ قيد في هذا الحديث قراءة القرآن بالعمل به، لأن الذين يقرؤون القرآن ينقسمون إلى قسمين: قسم لا يعمل به، فلا يؤمنون بأخباره، ولا يعملون بأحكامه، هؤلاء

يكون القرآن حجة عليهم، وقسم آخر يؤمنون بأخباره، ويصدقون بها، ويعملون بأحكامه، فهؤلاء يكون القرآن حجة لهم، يُحاجّ عنهم يوم القيامة، لأن النبي ﷺ قال: «**الْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ**»، وفي هذا دليل على أن أهم شيء في القرآن العمل به، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، أي يتفهّمون معانيها ويعملون بها، وإنما أخّر العمل عن التدبر لأنه لا يمكن العمل بلا تدبر.



**[٩٩٢]** وعن النَّوَّاسِ بنِ سَمْعَانَ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا**». رواه مسلم.

وفي هذا دليل على أن الترتيب بين سورة البقرة وآل عمران والنساء، هو ما في المصحف الآن، وأما حديث حذيفة بن اليمان أنه صلى مع النبي ﷺ، فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم بآل عمران، فإن هذا نُسخ في الترتيب الأخير.



**[٩٩٣]** وعن عثمان بن عفان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**». رواه البخاري.

هذا الخطاب للأمّة عامة، فخير الناس من جمع بين هذين الوصفين؛ مَن تعلّم القرآن وعلّمه، تعلمه من غيره وعلمه غيره، والتعلم والتعليم يشمل التعلم اللفظي والمعنوي، وبه نعرف فضيلة الحلق الموجودة الآن في كثير من البلاد، في المساجد، حيث يتعلم الصبيان فيها القرآن، فمن ساهم فيها بشيء فله أجر، ومن أدخل أولاده فيها فله أجر، ومن تبرع وعلّم فيها فله أجر.

والنوع الثاني: تعليم المعنى، يعني تعليم التفسير، وليعلم أن القرآن الكريم ليس كغيره من الكتب من حيث التفسير، يعني أنه لا يجوز للإنسان أن يفسر القرآن بهواه، ويحمل الآيات على ما يريده هو، كما يفعل أهل الإلحاد بآيات الله ﷻ، من أهل التعطيل وغيرهم يحملون الآية على غير ما أراد الله، مثلاً يقول في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾. يقول: وجاء أمر ربك هذا حرام، لا يجوز، لأن الذي يفسر القرآن إنما يشهد على الله أنه أراد كذا، وهذه عظيمة وليست هينة، لكن إذا كان طالب علم، وتكلم بمعنى الآية عند من هو أعلم منه على أساس أنه سيرشده إذا أخطأ، فلا بأس، ومن ذلك ما يلقى في الامتحانات، مثل فسر الآية كذا وكذا؟ ويكون الطالب ليس عنده في تلك الساعة استحضار لمعناها، فهل يفسرها بما عنده؟ نقول نعم، لأن هذا إذا أخطأ فعنده من سينبهه.

في هذا الحديث: أكبرُ فضيلةٍ لمن حفظ القرآن وعمل به، وعلمه النَّاس، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

وقال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ النُّبُوَّةَ بَيْنَ جَنبَيْهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ»، أي أنه أُلحق ببعض درجات الأنبياء، وكان من جملة الصِّدِّيقين القائمين بحقوق الله تعالى، وحقوقِ عباده.



**[٩٩٤]** وعن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الكرام البررة: هم الملائكة، وذكر الحديث بلفظ: «**مَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَهُوَ حَافِظٌ لَهُ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَمَثَلُ الَّذِي يَقْرَأُ وَهُوَ يَتَعَاهَدُهُ وَهُوَ عَلَيهِ شَدِيدٌ فَلَهُ أَجْرَانِ**»، ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة: «**أَجْرُكِ عَلَى قَدْرِ نَصْبِكِ**»، أي على قدر تعبك، فالذي

يتتعتع في القرآن ويشق عليه له أجران؛ أجر التلاوة وأجر قراءة القرآن، لكن الأول أفضل منه لأن الأول مرتبته عظيمة، وفرق بين إنسان له مرتبة عالية وإنسان دون ذلك، ولكن له أجر، ونضرب مثلاً لهذا: لو أن رجلاً له شرف وسيادة ومنزلة عالية في الناس لكن دراهمه قليلة، وآخر وضِيع بين الناس ليس له قيمة لكن دراهمه كثيرة، الأول أفضل.

**[٩٩٥]** وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والمنافق هو الذي يُظهر أنه مسلم ولكن قلبه كافر، وهو الذي قال الله فيه: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ، يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ، فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾. يوجد منافقون يقرؤون القرآن قراءة طيبة مرتلة مجودة لكنهم منافقون، كما قال النبي ﷺ في الخوارج: «**يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ**»، هؤلاء ضرب لهم النبي ﷺ مثلاً بالريحانة؛ ريحها طيب وطعمها مر، لخبث طويتهم وفساد نيتهم.



**[٩٩٦]** وعن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**». رواه مسلم.

يعني من عمل بالقرآن رفعه الله في الدنيا والآخرة، ومن ضيَّع حدوده وضعه الله

وإنْ كان شريفًا، فمن هذا ومن هذا، من عمل بهذا القرآن تصديقاً بأخباره، وتنفيذاً لأوامره، واجتناباً لنواهيه، وتخلّقاً بما جاء به من أخلاق، فإن الله تعالى يرفعه به في الدنيا والآخرة، أما في الآخرة فيرفع الله به أقواماً، ويقال للقارئ اقرأ ورتل واصعد إلى منتهى قراءته في الجنة، وأما الذين يضعهم الله به؛ فقوم يقرؤونه ويحسنون قراءته، لكنهم يستكبرون عنه، لا يصدقون بأخباره، ولا يعملون بأحكامه، إذا جاءهم شيء كقصص الأنبياء السابقين أو غيرهم أو عن اليوم الآخر، صاروا يشككون في ذلك، مرتابون، هؤلاء يضعهم الله في الدنيا والآخرة، حتى لو فرض أن الدنيا دانت لهم وتزخرفت فإن مآلهم إلى الخسارة، ولكن يمهل ويملي لهم، وتنفتح عليهم الدنيا، وكلما انفتح عليهم شيء من زهرة الدنيا فإنهم لا يزدادون به إلا خساراً.

قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾.

يعني: ربما يمهل الله الكافر الجاحد المستكبر، وتزدان له الدنيا، لكنه لا يزيده ذلك إلا خساراً، فالحذر الحذر.



**[٩٩٧]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاء اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الآنَاءُ: السَّاعَاتُ. قوله: لا حسد: أي لا غبطة تنبغي إلا في هذه الخَصْلتين، وهي من جنس قوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]. وقوله تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦].

ولأحمد من حديث يزيد بن الأخنس السلمي: «**رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ وَيَتَّبِعُ مَا فِيهِ**».

فتجد مثلاً بعض الناس يغبط هذا الرجل حين أعطاه الله المال والأولاد والأهل والقصور والسيارات، يقول هذا هو الحظ، يحسد ويغبط بعض الناس على أنه له شرف وجاه في قومه، لكن النبي ﷺ بيّن أن الذي يُغبط من حصل على هذين الاثنين؛ الأولى: آتاه الله الحكمة أي القرآن، حفظه وفهمه وعمل به آناء الليل والنهار، يقوم به يفكر ماذا قال الله عن الصلاة فيقيمها، وماذا قال عن الزكاة فيؤتيها، وماذا قال عن الوالدين وصلة الأرحام فيصل رحمه، وماذا قال عن الجيران: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ إلى آخره، فتجده يقوم بالقرآن آناء الليل والنهار، هذه هي الغبطة، وهي الغنيمة وهي الحظ. والثاني: رجل آتاه الله المال، يعني صار غنيًّا، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار، يعني فيما يرضي الله ﷻ؛ ينفق ماله في بناء المساجد، والصدقات على الفقراء، وإعانة المجاهدين، وإعانة الملهوفين، ليس ممسكاً ولا مبذّراً، هذا هو الذي يُغبط، أما الذي عنده مال كثير يتمتع به كما تتمتع البهيمة بالعلف، ثم يذهب عنها، أو تذهب عنه، هذا ليس محسوداً لأنه تالف أو متلوف عنه.



**[٩٩٨]** وعن البراءِ بن عازِبٍ رضي الله عنهما، قال: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو، وَجَعَلَ فَرَسُه يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذٰلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّطَنُ: الحَبْلُ.

المراد بالسكينة في هذا الحديث: الملائكة، وقيل: هي روح من الله، قال النووي: والمختار أنها شيء من المخلوقات فيه طمأنينة ورحمة، ومعه الملائكة.

في هذا الحديث: أن البراء بن عازب، كلما قرأ نزل من فوقه شيء، وجعلت الفرس وهي مربوطة بشطنين، أي حبلين، تميل وتنفر من هذا الذي رأته، فقال ﷺ: تلك السكينة نزلت لقراءة القرآن، إذا قرأه الإنسان بتمهل وتدبر، فإن السكينة تنزل حتى تصل إلى قلب القارئ، وهذه القصة من كرامات الأولياء، لكن ليس لكل وليّ كرامة، إنما يؤتي الله بعض أوليائه كرامة تثبيتاً له وتصديقاً لما كان عليه من الحق، ومن الناس يدّعون أنهم أولياء، ويلعبون بعقول السفهاء وعقول العامة، تجد الإنسان يكبر عمامته ويوسع كُمّه ويطيل لحيته، ويعفر جبهته في الأرض ليظهر عليه أثر السجود، وما أشبه ذلك من اللعب بعقول الناس، ثم يستخدم الشياطين لأغراض خاصة، فتُقلب له الأشياء وربما تحملها في الهواء وتطير !



**[٩٩٩]** وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: أَلٓمٓ حَرْفٌ، وَلٰكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وأما الضابط المتقن فله عشرون حسنة، كما في رواية البيهقي من حديث ابن عمر: «**مَنْ قَرَأَ القُرْآنَ فَأَعْرَبَ فِي قِرَاءَتِهِ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَرَأَ بِغَيْرِ إِعْرَابٍ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرُ حَسَنَاتٍ**»، وما دام هذا الحديث ضعيفاً، فلا فائدة من شرحه، ويغني عنه ما ثبت في صحيح مسلم وغيره عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**المَاهِرُ بِالقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ، وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ؛ لَهُ أَجْرَانِ**».



**[١٠٠٠]** وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في هذا الحديث: التحريض على حفظ القرآن، أو بعضه ليكون جوفه عامرًا به.

**[١٠٠١]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في هذا الحديث: أنَّ حافظ القرآن الملازم لتلاوته وتدبّره، والعمل به، أنه يصعد في درج الجنة حتى يبلغ منزلته على قدر عمله وحفظه، ويؤخذ من هذا الحديث أنه لا ينال هذا الثواب الأعظم إلا من حفظ القرآن.





## ١٨٢ - تعهُّد القرآن والتّحذير من نِسيانه

**[١٠٠٢]** عن أبي موسى ﵁، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَاهَدُوا هٰذَا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فينبغي لك أن تجعل لك حزبًا معيّنًا تتعاهده كل يوم، مثلاً تقول: كل يوم أقرأ جزءًا، فتختم القرآن في شهر أو جزأين أو ثلاثة أجزاء أو أكثر، تعاهد هذا حتى لا تنساه، أما من نسيه بمقتضى الطبيعة فإنه لا يضر، لكن من أهمل وتغافل عنه فإنه يُخشى عليه من العقوبة.

وينبغي لمن قرأ القرآن أن يقرأه بتدبّر وتمهّل، ولا يحلّ له أن يسرع السرعة التي توجب إسقاط بعض الحروف، لأنه إذا أسقط بعض الحروف فقد غيّر كلام الله من موضعه وحرّفه، وخصّ الإبل بالذكر لأنها أشد الحيوان الإنسيّ نفورًا.

وقوله: «**بِئْسَ مَا لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَقُولَ: نَسِيتُ آيَةَ كَيتَ وَكِيتَ، بَلْ نُسِّيَ**»، أي: بئس الحال حال من حفظه ثم غفل عنه حتى نسيه.





# ١٨٣ - تحسين الصَّوت بالقُرآن

**[١٠٠٤]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسَولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**أَذِنَ اللهُ**»: اسْتَمَعَ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الرِّضَا وَالقَبُولِ.

«**يَتَغَنَّى بِالقُرْآنِ**»: التَغَنِّي بِالقُرْآنِ: تحسين الصوت بقراءته، وقيل: الاستغناء به، وقيل: التحزُّن به، وقيل: التلذذ به والاستحلاء له، ولا شكَّ أنَّ النُّفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنُّم أكثر من ميلها لمن لا يترنَّم؛ لأن التطرُّب له تأثيرٌ في رقة القلب، وإجراء الدمع.

وقد كان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالألحان، أما تحسين الصوت فلا نزاع في ذلك. وأجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفًا، أو أخفاه حرم، ولكن تحسين الأداء لا ينبغي المبالغة فيه بحيث تجد الرجل يقرأ القرآن يتكلف ويحمرّ وجهه، ولتكن قراءته طبيعية يبيّن فيها الحروف والحركات، وبه نعلم أن تعلم التجويد ليس بواجب، وقد يقول قائل: حسن الصوت ليس باختيار الإنسان، نعم، حسن الصوت غريزي ومكتسب، لكن يحسّن الإنسان الصوت بالتعلم.



**[١٠٠٥]** وعن أبي موسى الأشعري ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ: «**لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلمٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ: «**لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ**».

«**لَوْ رَأَيْتَنِي**»: أي لسرَّك ذلك.

فيه: دليل على استحباب تحسين الصوت بالقراءة، وأن الجهر بالعبادة قد يكون في بعض المواضع أفضل من الإسرار، لأن الإنسان الذي يستمع قد يكون أقرب إلى تدبر القرآن من القارئ، فالقارئ تجده يركّز على ألا يخطئ في القراءة والمستمع يتدبر ويتأمل، فالمهم أنه يجوز للإنسان أن يطلب من شخص قارئ أن يقرأ عليه، لأنه حسن الصوت وحسن الأداء وإن كان قليل العلم.



**[١٠٠٧]** وعن أَبي لُبَابَةَ بشير بن عبد المنذر ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا**». رواه أبو داود بإسنادٍ جيدٍ.

**يَتَغَنَّى**: يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ.

وروى الحاكم وغيره: «**زَيِّنُوا القُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتَ الحَسَنَ يَزِيدُ القُرْآنَ حُسْنًا**».

وروى عبد الرزاق وغيره: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ، وَحِلْيَةُ القُرْآنِ الصَّوْتُ الحَسَنُ**». قالوا: فإن لم يكن حسن الصوت؟ قال: «**يُحَسِّنُهُ مَا اسْتَطَاعَ**».



## ١٨٤ - طلبُ القراءة من حَسَن الصَّوت

**[١٠٠٨]** وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال العلماء: في هذا دليل على أن الإنسان لو حسّن صوته بالقرآن لأجل أن يتلذذ السامع، فإن ذلك لا بأس به، ولا يُعَدّ من الرّياء، كما أن استماع قراءة القرآن والتدبر فيها، واستحباب طلب القراءة من الغير ليستمع له، هو أبلغ في التفهُّم والتدبَّر من قراءته بنفسه، كما أن البكاء عند قراءة القرآن صفة العارفين وشعار الصالحين.

قال الله تعالى: ﴿**وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا**﴾ [الإسراء:١٠٩].

وقال الله تعالى: ﴿**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا**﴾ [مريم: ٥٨].



## ١٨٥ - سُوَرٌ وآياتٌ مخصوصةٌ

**[١٠٠٩]** عن أَبِي سَعِيدٍ رَافِعِ بن المُعَلَّى رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟**»، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ قُلْتَ: لَأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ؟ قَالَ: «**الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ، هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ**». رواه البخاري.

في هذا الحديث دليل على أن الفاتحة أعظم سورة في القرآن، وفي حديث أبي هريرة: «**أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟**». قال العلماء: وإنما كانت أعظم سورة؛ لأنها جمعت جميع مقاصد القرآن، ولذا سمّيت بأمّ القرآن، بسبب أنَّ الله أودع علوم الكتب السابقة في القرآن، ثم أودع علومه في الفاتحة، فمن علم تفسيرها كان كمن علم تفسيره.

قوله: «**هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي**»، لأن الفاتحة سبع آيات، وسمّيت الفاتحة مثاني لأنها تثنى في الصلاة في كل ركعة، ولاشتمالها على قسمين: ثناء، ودعاء.

وقوله: «**وَالقُرْآنُ العَظِيمُ**»، فيه دلالة على أن الفاتحة هي القرآن العظيم، وقيل التقدير: ما بعد الفاتحة، أي: ما زاد على الفاتحة، فَعَنِ ابن مسعود رضي الله عنه قال: السَّبْعُ المَثَانِي: هي فاتحة الكتاب، والقرآن العظيم سائر القرآن.

وفي روايةٍ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟**»، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ الله؟ فَقَالَ: «**﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ﴾ ثُلُثُ القُرْآنِ**». رواه البخاري.

قوله: «ثُلُثُ القُرْآنِ»، أي باعتبار معانيه؛ لأن القرآن أحكامٌ، وأخبارٌ، وتوحيدٌ، وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد خالصًا، ولهذا سميت بسورة الإخلاص.



**[١٠١١]** وعنه: أَنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَٰلِكَ لَهُ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، فَقَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». رواه البخاري.

**[١٠١٢]** وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾، «**إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**». رواه مسلم.

يقال إن المشركين سألوا النبي ﷺ، وقالوا: انسب لنا ربك؟ أو أنهم سألوه من أي شيء هو؟ أمن ذهب أو فضة؟ فأنزل الله هذه السورة.

﴿**الصَّمَدُ**﴾: هو الكامل في صفاته وكل الخلائق تصمد إليه في حاجتها وتسأله، حتى المشركون إذا كانوا في البحر.

﴿**كُفُوًا**﴾: لا أحد يكافئه. واعلم أن ﴿**كُفُوًا**﴾ فيها ثلاث قراءات؛ ﴿**كُفُوًا**﴾ بضم الفاء وتخفيف الواو، ولا يصلح أن تكون (كُفْوًا) بسكون الفاء، وفيها قراءتان أخريان: ﴿**كُفْؤًا**﴾ بالهمز مع سكون الفاء، و﴿**كُفُؤًا**﴾ بالهمزة مع ضم الفاء.

ومعنى: «**إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»: أي إن أجرها كأجر ثلث القرآن، لكنها لا تُجزئ عن القرآن، ولهذا لو قرأها الإنسان مثلاً ثلاث مرات بدل قراءة الفاتحة في الصلاة لا تجزئ.

**[١٠١٣]** وعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إني أحبّ هذه السورة: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ**﴾. قال: «**إِنَّ حُبَّهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ**». رواه الترمذي، وقال حديث حسن، ورواه البخاري في صحيحه تعليقًا.

في هذه الأحاديث: جواز تخصيص بعض القرآن بميل النفس إليه، والاستكثار من قراءته، ولا يعد ذلك هجرانًا لغيره.



**[١٠١٤]** وعن عقبة بن عامِر ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ**؟ ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ**﴾، وَ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾». رواه مسلم.

قوله: «**لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ**»، أي: في التعويذ، وقد استعاذ بهما ﷺ لما سَحَرَهُ لبيد بن الأعصم، فذهب عنه ذلك بالكلية.

﴿**الفَلَقِ**﴾: فلق الصبح وفلق الحب والنوى. قال الله تعالى: ﴿**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ**﴾، وقال: ﴿**إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى**﴾، فلا يستطيع أحد أن يفلق شيئًا من هذه إلا الله.

﴿**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**﴾ أي: من شرّ كل ما خلق من الإنس والجنّ والنّفس وغير ذلك.

﴿**وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ**﴾. الغاسق: الليل، تخرج فيه الهوام والسباع وتكون فيه الشرور.

﴿**وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾. يعني: السّاحرات اللاتي ينفثن في العقد ليسحرن الناس، ونصّ على النساء من دون الرجال لأنه هو الغالب فيهن، وهي تشمل النساء والرجال.

﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾. هو: صاحب العين الشريرة الذي لا يحب الخير للغير، تجده إذا منَّ الله على أحد بشيء من مال أو جاه أو علم أو ولد أو زوجة أو غير ذلك، يخرج من نفسه الخبيثة كما يخرج السهم فيصيب الرجل فيصاب بالعين. قال النبي ﷺ: «**لَوْ سَبَقَ القَضَاءُ شَيْءٌ أَوْ قَالَ القَدَرُ لَسَبَقَتْهُ العَيْنُ**». والحاسدون لا يحرقون إلا أنفسهم، كلما أنعم الله على عباده احترق قلبه.



**[١٠١٥]** وعن أَبِي سَعِيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإِنْسَانِ، حَتَّى نَزَلَتْ المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا، أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[١٠١٦]** وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مِنَ القُرْآنِ سُورَةٌ ثَلَاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وفي رواية أبي داود: «**تَشْفَعُ**».

**[١٠١٧]** وعن أبي مسعودٍ البَدْرِيِّ ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ بِالآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قِيلَ: كَفَتَاهُ المَكْرُوهَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَقِيلَ: كَفَتَاهُ مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ.

وعن أبي مسعود رفعه: «**مَنْ قَرَأَ خَاتِمَةَ البَقَرَةِ أَجْزَأَتْ عَنْهُ قِيَامَ لَيْلَةٍ**».

وعن النعمان بن بشير رفعه: «**أَنَّ اللهَ كَتَبَ كِتَابًا، وَأَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ، خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ البَقَرَةِ، لَا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ فَيَقْرَبُهَا الشَّيْطَانُ ثَلَاثَ لَيَالٍ**». أخرجه الحاكم وصححه.

**[١٠١٨]** وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ**». رواه مسلم.

أي: لا تجعلوها كالمقابر لا يُصلّى فيها، ولكن صلّوا في بيوتكم تطوّعًا واقرؤوا فيها؛ لأن الشيطان ينفر من قراءة القرآن، خصوصًا سورة البقرة.

جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْمَقْبَرَةَ وَالْحَمَّامَ**»؛ فالمقبرة لا تصحّ فيها صلاة النافلة ولا الفريضة، ولا سجدة التلاوة، ولا سجدة الشكر، ولا أي شيء من الصلوات إلا صلاة واحدة وهي صلاة الجنازة، سواء كان ذلك قبل الدفن أم بعده.

[١٠١٩] وعن أُبَيِّ بنِ كَعبٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟**». قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟**». قُلْتُ: ﴿**اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾، فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «**لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**». رواه مسلم.

يقصد بذلك آية الكرسي: ﴿**اللهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة:٢٥٥].

﴿**لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ**﴾. السِّنَةُ: هي النعاس مقدمة النوم، يعني مستحيل غاية الاستحالة أن ينام الله، ومن يقوم على الخلق لو نام الخالق؟!

﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**﴾ كل الأمور المستقبلة.

﴿**وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ كل الأمور الماضية، وهذا دليل على كمال علمه، وأنه محيط بكل شيء ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا.

﴿**كُرْسِيُّهُ**﴾: عِلْمُهُ، وقيل: موضع القدمين، والعرش لا يقدّر أحد قدره. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَدَرَاهِمَ سَبْعَةٍ أُلْقِيَتْ فِي تُرْسٍ**». وقال أبو ذر:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلْقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ**».

وقوله: ﴿**وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا**﴾، أي: لا يُثقله، بل ذلك سهل عليه.

وهذه الآيات فيها طريقة السلف الصالح؛ إمرارها كما جاءت من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ.

**[١٠٢١]** وعن أَبي الدَّرداءِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**». وفي رواية: «**مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ**». رواهما مسلم.

المراد: المسيح الدَّجَّال الذي يخرج في آخر الزمان مدَّعيًا الأُلوهية، يجعل الله على يديه آيات خوارق فتنة للناس، منها أنه يأمر السماء، فتمطر ويأمر الأرض فتنبت. هل تجدون أعظم من هذه الفتنة؟ فيتبعه أناس كثيرون، فمَن تبعه أدخله جنته فيما يبدو للناس لكنها نار، ومن أنكره أدخله ناره فيما يبدو للناس وهي جنة، ولكن الناس ليس لهم إلا الظاهر. هذا الرجل مكتوب بين عينيه كافر يقرؤها كل مؤمن حتى الذي لا يستطيع القراءة.

ولقد أعطانا نبينا ﷺ بيّنةً، وهي أنه أعور ليس له إلا عين واحدة، يبقى هذا الدجال الخبيث في الأرض أربعين يومًا، أول يوم كسنة يعني اثني عشر شهرًا، واليوم الثاني كشهر ثلاثون يومًا، والثالث كالأسبوع سبعة أيام، وبقية الأيام كأيامنا، يبقى هذه المدة، ثم ينزل عيسى ابن مريم فيقتله. ومن أجل عظم فتنته أمرنا رسول الله ﷺ أن نستعيذ منه في كل صلاة؛ فقال: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَالِ**».

ثم إنه من أسباب الوقاية من فتنته؛ أن من حفظ عشر آيات من سورة الكهف من أولها أو آخرها وقرأهن عليه عصم من فتنته.

وعن أنس الجهني، عن رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ أَوَّلَ سُورَةِ الكَهْفِ وَآخِرِهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مِنْ قَدَمِهِ إِلَى رَأْسِهِ، وَمَنْ قَرَأَهَا كُلَّهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**».

وعن أبي سعيدٍ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ فِي يَوْمِ الجُمْعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمْعَتَيْنِ**». أخرجه الحاكم وصحّحه.

وعن عليٍّ مرفوعًا: «**مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الكَهْفِ يَوْمَ الجُمْعَةِ فَهُوَ مَعْصُومٌ إِلَى ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ فِتْنَةٍ، وَإِنْ خَرَجَ الدَّجَّالُ عُصِمَ مِنْهُ**».

[١٠٢٢] وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عليه السلام قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «**هٰذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا اليَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هٰذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا اليَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الكِتَابِ، وَخَواتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**». رواه مسلم.

**النَّقِيضُ**: الصَّوْتُ. قيل كفتاه المكروه تلك الليلة، وقيل كفتاه من قيام الليل.

قوله: فاتحة الكتاب، سُمِّيت بذلك لأنه يُفتح بها في المصاحف فتُكتب قبل جميع السور، ويبدأ بقراءتها في الصلاة، وسُمِّيت أُمُّ القرآن لاشتمالها على المعاني التي في القرآن: من الثناء على الله تعالى، والتعبُّد بالأمر والنهي والوعد والوعيد، وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل، واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش.

ولها أسماء أخرى أوردها جلال الدين السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن، وهي: الفاتحة، فاتحة الكتاب، أم الكتاب، أم القرآن، القرآن العظيم، السبع المثاني، الوافية، الكنز، الكافية، الأساس، النور، سورة الحمد، سورة الشكر، سورة الحمد الأولى، سورة الحمد القصرى، الرُّقية، الشفاء، الشافية، سورة الصلاة.





## ١٨٦- الاجتماع على قِراءَة القرآن

**[١٠٢٣]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلاَئِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: استحباب الاجتماع على القراءة، كما يوجد الآن في حلقات تحفيظ القرآن في المساجد لما فيه من تعظيم القرآن، وإظهار شعائره وتكثير مجالسه، وخصوصًا المساجد، لأنها أفضل المواضع وأشرفها.

وفيه: بيان ثواب المجتمعين لقراءة القرآن، وأعلاه ذكر الله لهم فيمَن عنده من الملائكة.

قال الله تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة:١٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿**وَلَذِكْرُ الله أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت:٤٥].





## ١٨٧ - الوضوء

الوضوء في اللغة العربية مأخوذ من الوضاءة، وهي الحسن والنظافة، وأما في الشرع فهو تطهير الأعضاء الأربعة على صفة مخصوصة، والأعضاء الأربعة هي الوجه واليدان والرأس والرِّجلان.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦].

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يتوضؤوا، وإن كانوا جنبًا أن يغتسلوا، وإن كان أحدٌ منهم مريضًا يخاف ضررًا من استعمال الماء أو كان مسافرًا وخاف العطش جاز له التيمم.

قيل: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فانتبه وارعها سمعك، فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه، وإما خبر صادق تنتفع به.

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾: إذا أردتم القيام إلى الصلاة فريضة أو نافلة، ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾، ولم يذكر الله تعالى غسل الكفين لأنه سنة وليس بواجب، ويدخل في الوجه المضمضة في الفم والاستنشاق في الأنف، ﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾، والمرفق هو المفصل الذي بين الذراع والعضد، وهو داخل في الغسل، لأن النبي ﷺ كان إذا غسل يديه شرع في العضد،﴿وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾، الرأس يُمسح ولا يجب غسله، وهذا من رحمة الله بعباده، لأن الرأس فيه شعر، فلو فرض غسله لكان فيه مشقّة على الناس، ولجرى الماء على الثياب، وللحق الناس مشقة في أيام الشتاء، ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾، والكعبان هما العظمان النّاتئان أسفل الساق، وهما داخلتان في الغسل، وإذا كان الإنسان عليه جنابة، وجب عليه أن يُطهّر جميع بدنه من رأسه إلى أخمص قدميه، ومنه المضمضة، فهما واجبتان في الوضوء وكذلك الغسل.

والجنب: هو الذي حصلت عليه جنابة، والجنابة إما إنزال المني بشهوة وإما جماع وإن لم ينزل، وإذا أنزل وجب عليه الغُسل سواء جامع أو لم يجامع، حتى لو فكر وأنزل وجب عليه الغسل.

﴿وَإِنْ كُنْتُم مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾، يعني: أن الإنسان إذا وجب عليه الوضوء أو الغسل ولم يجد ماء، أو كان مريضًا يتضرر باستعمال الماء فإنه يتيمّم؛ يضرب الأرض بكفيه ويمسح وجهه وكفيه.

قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ [المائدة:٦]، أي: جامعتموهن. عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: بَعَثَنِي النَّبيُّ ﷺ فِي حَاجَةٍ فَأَجْنَبْتُ فَلَمْ أَجِدِ المَاءَ، فَتَمَرَّغْتُ فِي الصَّعِيدِ كَمَا تَتَمَرَّغُ الدَّابَّةُ، ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**إِنَّمَا يَكْفِيكَ أَنْ تَقُولَ بِيَدَيْكَ هٰكَذَا**»، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ الأَرْضَ ضَرْبَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ مَسَحَ الشِّمَالَ عَلَى اليَمِينِ، وَظَاهِرَ كَفَّيْهِ وَوَجْهِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

﴿مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق، ﴿وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ من الأحداث والذنوب، ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتَهُ، فيزيدها عليكم.



**[١٠٢٤]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الغرَّة: في الوجه، لمعة بيضاء تكون في جبهة الفرس، والمراد بها هنا النور الكائن في وجوه أمة محمَّد ﷺ.

التَّحجيل بياض أطراف اليدين وأطراف الرجلين، يعني أن هذه المواضع تكون نورًا يتلألأ يوم القيامة لهذه الأمة، وهذه خاصة بنا كما قال النبي ﷺ: «**سِيمَا لَيْسَتْ لِغَيْرِكُمْ**»، يعني علامة تتبين بها أمة محمَّد ﷺ في هذا اليوم المشهود، يقول: فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل! هذه الجملة ليست من كلام النبي ﷺ، بل هي من كلام أبي هريرة رضي الله عنه، وليست بصحيحة من جهة الحكم الشرعي.

**[١٠٢٥]** وعنه قال: سَمِعْتُ خَلِيلي ﷺ يَقُولُ: «**تَبْلُغُ الحِلْيَةُ مِنَ المُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: التحريض على إطالة الغرّة والتّحجيل، وإطالة الغرة: أن يغسل جميع وجهه طولًا وعرضًا.



**[١٠٢٦]** وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى تَخْرُجِ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**». رواه مسلم. ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ تَوَضَّأَ هٰكَذَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلَاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى المَسْجِدِ نَافِلَةً**». رواه مسلم.

فالوضوء يكون سببًا لكفارة الخطايا حتى من أدقّ مكان وهو ما تحت الأظفار، وهذه الأحاديث تدل على أن الوضوء من أفضل العبادات، ينبغي للإنسان أن ينوي به التقرب إلى الله، يعني أن يستحضر وهو يتوضأ أنه يتقرب إلى الله كما أنه إذا صلى يستشعر أنه يتقرب إلى الله، وكذلك أيضًا يستحضر أنه يريد الثواب على هذا العمل حتى يُتقنه، ولكن من منّا يستحضر هذا الفضل؟ فهل يُكتب هذا الفضل للإنسان سواء استحضره أم لا؟ الظاهر أنه يُكتب له سواء استحضر أو لم يستحضر، لكن إذا استحضر فهو أكمل، بخلاف ما إذا توضأ وهو غافل، لكننا نرجو أن يكتب هذا الأجر حتى من الإنسان الغافل الذي يتوضأ على سبيل إبراء ذمّته.

وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ، وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:١١٤-١١٥].



**[١٠٢٨]** وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المُسْلِمُ- أَوِ المُؤْمِنُ- فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ**». رواه مسلم.

المراد بتكفير الخطايا هنا الصغائر، لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**».

وذكر العلماء: أنه يستحب لمن أسبغ الوضوء أن يصلي ركعتين، وتسمّى سنة الوضوء سواء في الصباح أو المساء، لأنها سنة لها سبب، فإنه يُغفر له ما تقدم من ذنبه.



**[١٠٣٠]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**». قالوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ؛ فَذَٰلِكُمُ الرِّبَاطُ؛ فَذَٰلِكُمُ الرِّبَاطُ**». رواه مسلم.

«**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ**»: إتمامه في نحو برد وقلَّة ماء. وأصل الرباط: الحبس على الشيء، فكأنه حبس نفسه على هذه الطاعة، يعني أن الإنسان يتوضأ وضوءه على كره منه، إما لكونه فيه حمّى ينفر من الماء، وإما أن يكون الجو باردًا وليس عنده ما يسخن به الماء، وإما أن يكون هناك أمطار تحول بينه وبين الوصول لمكان الوضوء، المهم أنه يتوضأ على كرهٍ ومشقة

لكن من دون ضرر، أما مع الضرر فلا يتوضأ بل يتيمم، ولكن هذا لا يعني أن الإنسان يشق على نفسه ويذهب يتوضأ بالماء البارد ويترك الساخن، أو يكون عنده ما يسخن به الماء ويقول لا، أريد أن أتوضأ بالماء البارد لأنال هذا الأجر! فهذا غير مشروع.

«**كَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ**»: ليس المعنى أن يتقصّد الطريق البعيد أو أن يقارب الخطا، هذا غير مشروع، بل يمشي على عادته ولا يتقصّد البعد، يعني مثلًا لو كان بينه وبين المسجد طريق قريب وآخر بعيد لا يترك القريب، كما يكون قلبه معلقًا بالمساجد، كلما فرغ من صلاة فهو ينتظر الصلاة الأخرى، وذلك بالتردد إلى المسجد، واستحباب الجلوس فيه للعبادة.



**[١٠٣١]** وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**». رواه مسلم.

«**شَطْرُ الإِيمَانِ**»: نصفه، والنصف الثاني هو التحلّي بالأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة، لأن خصال الإيمان قسمان: ظاهرةٌ، وباطنةٌ، فالطهور من الخصال الظاهرة، والتوحيد من الخصال الباطنة.



**[١٠٣٢]** وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ- أَوْ فَيُسْبِغُ- الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**». رواه مسلم.

وزاد الترمذي: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ**».



## ١٨٨ - الأَذَان

الأذان هو الإعلام بالصلاة، أي بدخول وقتها، وفرض في السنة الثانية من الهجرة، واختلف الصحابة حين تشاوروا كيف يُعلم بدخول وقت الصلاة؟ فقال بعضهم نوقد نارًا عظيمة، وقالوا بل نضرب بالناقوس الذي يشبه الجرس في كنائس النصارى، وقال آخرون: بل ننفخ بالبوق كما يفعل اليهود، وكل هذا كرهه النبي ﷺ، ثم رأى أحد الصحابة في منامه رؤيا؛ أن رجلًا قرأ عليه الأذان وقرأ عليه الإقامة، فلما أصبح أخبر النبي بالخبر، فقال النبي ﷺ إن هذا رؤيا حق، ثم علمه بلال فأذن به، ولما كان في زمن عثمان بن عفان وكثر الناس، جعل أذانًا أولًا للجمعة قبل الأذان الثاني الذي هو عند حضور الإمام، فكان في يوم الجمعة أذانان، وفي رمضان أمر النبي ﷺ بلالًا أن يؤذن في آخر الليل إذا قرب وقت السحور، ليوقظ النائم، وأذان ابن أم مكتوم حين يطلع الفجر، ولم ينكر الصحابة هذا ولا هذا.

ولهذا كان الأذان مرتبته في الشرع أعلى من مرتبة الإمامة، فإن قال قائل: إذا كان كذلك، لماذا لم يكن الرسول ﷺ يؤذن ولا الخلفاء الراشدون؟ أجاب العلماء عن هذا بأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين كانوا مشغولين بمصالح العباد لأنهم خلفاء أئمة يدبّرون أمر الأمة، والأذان في عهد الرسول ﷺ ليس كالأذان في وقتنا الآن، إذا أراد الإنسان أن يؤذن الآن ليس عليه سوى أن ينظر إلى الساعة، لكن في وقتهم كانوا يراقبون الشمس والظل، ثم يراقبون الشفق، ففيه صعوبة عظيمة؟



**[١٠٣٣]** عن أبي هريرة ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ، وَلَو يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الاسْتِهَامُ: الاقْتِرَاعُ. التَّهْجِيرُ: التَّبْكِيرُ إِلَى الصَّلاةِ.

معنى هذا أن الناس لو يعلمون ما في الأذان من فضل وأجر لكانوا يقترعون أيّهم الذي يؤذّن، بينما الناس الآن مع الأسف يتدافعون؛ هذا يقول أذن، وهذا يقول بل أذّن أنت! فينبغي عليك إذا كنت في رحلة أن تحرص أن تكون أنت المؤذن.

قوله: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ والصَّفِ الأَوَّلِ**» أي: من الخير والبركة، «**ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ**» أي: على ما ذكر من الأذان والصف الأول «**لَاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ**» أي: اقترعوا.

قال العلماء: في الحضّ على الصف الأول، والمسارعة لدخول المسجد والقرب من الإمام.



**[١٠٣٤]** وعن معاوية ﵁ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ**» رواه مسلم.

قوله: «**أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا**»، أي أنهم إذا ألجم الناسَ العرقُ يوم القيامة طالت أعناقهم، لئلا ينالهم ذلك الكرب والعرق، وقيل: معناه أنهم سادة ورؤساء، والعرب تصف السادة بطول العنق، والحاصل أنهم يعلنون الأذان من الأماكن العالية، ولهذا كان جزاؤهم من جنس العمل، بأن تعلو رؤوسهم وأن تعلو وجوههم، وذلك بإطالة أعناقهم يوم القيامة، وهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون مؤذناً، حتى لو كان في نزهة هو وأصحابه.



**[١٠٣٥]** وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة: أن أبا سعيد الخدري ﵁ قال له: «**إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ- أَوْ بَادِيَتِكَ- فَأَذَّنْتَ للصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَومَ القِيَامَةِ**». قال أبو سعيد: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ. رواه البخاري.

وعند أبي داود من حديث أبي هريرة: «**الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ، وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ رَطِبٍ وَيَابِسٍ**».

يُستفاد من هذا الحديث: أن حب الغنم والبادية ولا سيما عند نزول الفتنة، من عمل السلف الصالح.

**[١٠٣٦]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ بِالصَّلَاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ، حَتَّى إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا وَاذْكُرْ كَذَا- لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُر مِنْ قَبْلُ- حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

التَّثْوِيبُ: الإِقَامَةُ.

في هذا الحديث: أن للأذان هيبة يشتدّ انزعاج الشيطان بسببها، لأنه لا يكاد يقع في الأذان رياء ولا غفلة عند النطق به، بخلاف الصلاة، فإن النفس تحضر فيها، فيفتح لها الشيطان أبواب الوسوسة، ويشبه أن يكون الزَّجر عن خروج المرء من المسجد بعد أن يؤذِّن المؤذن من هذا المعنى، لئلا يكون متشبِّهًا بالشيطان، الذي يفرُّ عند سماع الأذان؛ فإذا أذن المؤذن أدبر الشيطان وله ضراط كراهة أن يسمع ذكر الله، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿**من شر الوسواس الخناس**﴾ الذي يخنس عند ذكر الله، ويختفي ويبعد، لأنه يأمر بالفحشاء، فإذا أذّن المؤذن ولّى وأبعد عن مكان الأذان حتى يخرج بعيدًا عن البلاد لئلا يسمع الأذان، فإذا انتهى الأذان أقبل، فإذا أقيمت الصلاة فإنه يدبر، ثم إذا فرغت الإقامة أقبل، حتى يحول بين المرء وقلبه في صلاته، يقول له: اذكر كذا، اذكر كذا، وهذا أمر يشهد له الواقع.



**[١٠٣٧]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنه سمع رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ الله، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: مجاوبة المؤذن بمثل ما يقول في كل كلمة من الأذان إلا الحيعلة، فيقول: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**»، كما في حديث معاوية، واستحباب الصلاة على النَّبِيِّ ﷺ، والدعاء له بالوسيلة، وهي درجة عالية في الجنة أعلى ما يكون، لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله، قال النبي ﷺ: وأرجو أن أكون أنا هو، وهذا الرجاء سيكون محققًا إن شاء الله تعالى.

**[١٠٣٨]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وينبغي لنا إذا سمعنا المؤذّن أن نقول مثل ما يقول حتى لو كنا نقرأ فنقطع القراءة، ونجيب المؤذن، وإذا فرغنا نقبل على القراءة. واختلف العلماء فيما إذا كان الإنسان يصلي، هل يتابع المؤذن؟ فقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: نعم، ولو كنت تصلي لأن الأذان ذكر لا يبطل الصلاة! ولكن أكثر العلماء يقولون إذا كنت تصلي لا تجب المؤذن، لأن إجابة المؤذن طويلة تشغلك عن الصلاة، وإذا كنت على قضاء الحاجة وأذن المؤذن فلا تجبه لأن هذا ذكر، وقيل بل يجيبه بقلبه، كذلك لو سمعت عدة مؤذنين فهل تجيب كل مؤذن؟ نقول: انشغل بالأول، ولا عليك بالثاني.



**[١٠٣٩]** وعن جابر ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه البخاري.

المقام المحمود: هو شفاعة النبي ﷺ عند الله ﷻ في القضاء بين خلقه حين يتأخر عنها آدم وأولوا العزم من الرسل، ومن هذا المقام المحمود الشفاعة العظمى، فإن الناس يوم القيامة يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون في ذلك اليوم العظيم؛ الذي مقداره خمسون ألف سنة، في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، عارية أجسادهم وحافية أقدامهم وشاخصة عيونهم، لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًّا، يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه؛ الشمس تدنو منهم قدر ميل، ولا هناك عوج ولا أمت ولا ظل ولا بناء ولا شيء، فيطلبون من يشفع لهم عند الله، فيأتون آدم، ثم نوحًا، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، حتى تصل إلى النبي محمد ﷺ فيقوم ويشفع، فيحمده الأولون والآخرون. هذا الحديث رواه البخاري، وقد صحَّت الزيادة: «**إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ المِيعَادَ**». فينبغي أن يقولها الإنسان لأنها صحيحة.



**[١٠٤٠]** وعن سعدِ بن أبي وقاص ﵁، عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «**مَنْ قَالَ حِيْنَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ**». رواه مسلم.



**[١٠٤١]** وعن أنس ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.





## ١٨٩ - الصَّلاة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾[العنكبوت:٤٥].

الصلاة هي عبادة معلومة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم، وهي أكد أركان الإسلام، وأفضلها وأنفعها بعد الشهادتين، وهي صلة بين الإنسان وربه، لأن الإنسان يقوم بين يدي الله يناجيه يقول: الحمد لله رب العالمين، فيقول الله: حمدني عبدي ﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فيقول الله: أثنى عليّ عبدي، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، فيقول الله: مجدني عبدي، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فيقول: هذا بيني وبين عبدي نصفين، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل. ثم هي أيضًا أفعال وأقوال كلها تعظيم من حين يبدأ الإنسان بقوله الله أكبر، يعني أكبر من كل شيء علما وسلطانا وكبرياء وجبروتا.

فالصلاة عبادة عظيمة، فرضها الله على رسوله بواسطة الوحي مباشرة، في أعلى مكان وصل إليه بشر في أشرف ليلة هي ليلة المعراج، ولها ثمرات جليلة عظيمة منها: ما ذكره الله تعالى في الآية: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾.

الفحشاء: فواحش الذنوب كالزنا واللواط وما أشبهها، والمنكر: ما دون ذلك. لكن متى؟ إذا كانت صلاة مقامة على الوجه الأكمل، ولهذا نجدنا كثيرًا نصلي ولا نجد القلوب تتغير أو تكره الفحشاء أو المنكر، لا نجد هذا، لأن الصلاة التي نصليها ليست الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر. قال بعض السلف: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله إلّا بعدًا، وعن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا يُصَلِّي بِاللَّيْلِ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَرقَ، فقال: «إِنَّهُ سَيَنْهَاهُ مَا تَقُولُ». رواه أحمد.



**[١٠٤٢]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ؟**». قَالُوا: لَا يَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ. قَالَ: «**فَذٰلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١٠٤٣]** وعن جابرٍ ﷺ قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَى بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ**». رواه مسلم.

الغَمْرُ: الماء الكثير الجاري. فالصلوات تكفّر صغائر الذنوب من دون كبائرها؛ ولهذا قَالَ ﷺ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمْعَةُ إِلَى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**».

**[١٠٤٤]** وعن ابن مسعود ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[هود:١١٤]، فَقَالَ الرَّجُلُ أَلِيَ هٰذَا؟ قَالَ: «**لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية عند أحمد ومسلم: قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبّلتها ولزمتها ولم أفعل غير ذلك، فافعل بي ما شئت، فلم يقل رسول الله ﷺ شيئًا، فذهب الرجل، فقال عمر: لقد ستر الله عليه ولو ستر على نفسه، فأتبعه رسول الله ﷺ ثم قال: «**رُدُّوهُ عَلَيَّ**»، فردوه، فقرأ عليه: ﴿**أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ، إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود:١١٤].



**[١٠٤٥]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغْشَ الكَبَائِرُ**». رواه مسلم.

قال الله تعالى ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء:٣١].

**[١٠٤٦]** وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا؛ وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**». رواه مسلم.

فالصلوات الخمس تكفر الصغائر لكن الكبائر لا؛ مثلاً الغش في المعاملات من الكبائر، فإذا صلى الإنسان الصلوات الخمس وهو غاشّ فإن الغش لا يكفَّر، كذلك الحلف الكاذب في السلعة، كذلك لو كان الإنسان يُنزل ثوبه خيلاء، ولو لم يكن خيلاء فإنه من كبائر الذنوب، فلا يغفر له بصلاته لأنه كبيرة، والغيبة أيضًا من كبائر الذنوب، فإذا اغتاب الإنسان رجلًا واحدًا فقط بين صلاة الفجر والظهر فإن صلاة الظهر لا تكفِّر هذه الغيبة، لأنها من كبائر الذنوب.





## ١٩٠ - صلاة الصُّبح والعَصر

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤- ٥].

وقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩]

وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

صلاة العصر تميّزت بأنها الصلاة الوسطى، بنص الحديث عن النبي ﷺ؛ حيث خصها بالذكر بعد أن عمّم فقال: «**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ**»، هذا عام، «**وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى**»، يعني صلاة العصر فخصها بالذكر لفضيلتها، وهناك فضائل وميزات اشتركت فيها صلاة الفجر وصلاة العصر منها:



**[١٠٤٧]** عن أبي موسى رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

البَرْدَانِ: الصُّبْحُ والعَصْرُ، سُمِّيا البردين؛ لفعلهما وقت البرد، ووجه تخصيصهما بالذكر عن سائر الصلوات أن وقت الصبح يكون عند لذَّة النوم، ووقت العصر يكون عند الاشتغال، وأن العبد إذا حافظ عليهما كان أشد محافظة على غيرهما.

فيه: إيماء إلى حسن خاتمة مصليهما بوفاته على الإسلام.



**[١٠٤٨]** وعن أبي زهير عُمارة بن رُؤَيْبَةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يَلِجَ النَّارَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**». رواه مسلم.

يعني: الفَجْرَ وَالعَصْرَ.

تخصيصها بذلك أنَّ وقت الصبح يكون عند النوم ولذَّته، ووقت العصر عند الاشتغال بتتمّات أعمال النهار، ففي صلاتهما دليلٌ على خلوص النفس من الكسل ومحبتها للعبادة، ويلزم من ذلك إتيانه ببقية الصلوات الخمس.

**[١٠٤٩]** وعن جُنْدُبِ بن سفيان ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله، فَانْظُرْ يَا ابْنَ آدَمَ، لَا يَطْلُبَنَّكَ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ**». رواه مسلم.

فِي ذِمَّةِ الله: في عهده وأمانه.

**[١٠٥٠]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ وَصَلَاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ- وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في الحديث، الإشارة إلى عِظَمِ هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيهما الطائفتان، وفي غيرهما طائفة واحدة، والإشارة إلى شرف الوقتين المذكورين، وقد أورد أن الرزق يقسم بعد صلاة الصبح، وأن الأعمال ترفع آخر النهار، فمن كان حينئذٍ في طاعة بورك في رزقه وفي عمله.

**[١٠٥١]** وعن جرير بن عبد الله البَجَليِّ ﷺ قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هٰذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٠٥٢]** وعن بُرَيْدَة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَرَكَ صَلَاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ**». رواه البخاري.

ومن فضائل صلاة الفجر والعصر:

١- أن الله وكّلَ بالعباد ملائكة معقبّات يتعاقبون فينا، ويحفظوننا من أمر الله، ويجتمعون في صلاة الفجر وفي صلاة العصر، ثم يصعد الذين باتوا فينا إلى الله فيسألهم، فيقولون: أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون، ونزولهم بهاتين الصلاتين لفضلهما، لأن صلاة العصر هي الصلاة الوسطى وصلاة الفجر هي الصلاة المشهودة.

٢- ومن ذلك ما رواه جرير بن عبد الله البجلي، ليس المعنى أن الله مثل القمر، لأن الله ليس كمثله شيء، بل هو أعظم وأجل، لكن المراد من المعنى تشبيه الرؤية بالرؤية، فكما أننا نرى القمر ليلة البدر رؤية حقيقية ليس فيها اشتباه، فإننا سنرى ربنا كذلك، يقول رسول الله ﷺ: «**فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا**»، ومعناه أن تأتوا بهما كاملتين، منها أن تصلي في جماعة، وفي هذا دليل على أن المحافظة على صلاة الفجر وصلاة العصر من أسباب النظر إلى وجه الله ﷻ.

٣- من فضائل صلاة العصر خاصة، أن من تركها فقد حبط عمله، لأنها عظيمة، وقد استدل بهذا بعض العلماء على أن من ترك صلاة العصر كفر، لأنه لا يحبط الأعمال إلا الردة، وكذلك من ترك بقية الصلوات عمومًا فقد كفر، وهذا القول ليس ببعيد من الصواب.






قال تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: أعمالهم، ﴿وَآثَارَهُمْ﴾ [يس:١٢]، أي: خطاهم بأرجلهم، فالمشي للمساجد يعني الصلاة فيها، وهذا المقصود، كلما غدا أو راح، يعني ذهب في الصباح وراح في العشي، فإنه يُكتب له نزلًا في الجنة كلما غدا أو راح، ونحن نغدو إلى المساجد ونروح في كل يوم وليلة خمس مرات فيُكتب للإنسان نزلٌ في الجنة يعني ضيافة، هذه من فضائل المشي إلى المساجد.

**[١٠٥٣]** عن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٠٥٤]** وعنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خُطُوَاتُهُ، إِحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً**». رواه مسلم.



**[١٠٥٥]** وعن أُبَيِّ بن كعبٍ ﷺ قال: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ لَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لَا تُخْطِئُهُ صَلَاةٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَى جَنْبِ المَسْجِدِ؛ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَى المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ**».
رواه مسلم.

دَلَّ ذلك على أن المجيء إلى المسجد على القدمين أفضل من المجيء على شيء يركبه، لأنه يحسب لك أجر الخُطا، ولكن إذا كان الإنسان معذورًا فلا بأس أن يأتي بالسيارة، وخطوة السيارة دورة لعجلتها؛ إذا دار عجلها دورة واحدة فهذه خطوة، لأنه عند دوراته يرتفع الذي باشر الأرض ثم يدور حتى يرجع ثانية إلى الأرض، فهو كرفع القدم من الأرض ثم وضعها مرة ثانية.



**[١٠٥٦]** وعن جابر ﵁ قال: خَلَتِ البِقَاعُ حَوْلَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلَمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِيَّ ﷺ: فَقَالَ لَهُمْ: «**بَلَغَنِي أَنَّكُم تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟**». قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُول اللهِ، قَدْ أَرَدْنَا ذٰلِكَ فَقَالَ: «**بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثارُكُمْ**»، فَقَالُوا: مَا يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا. رواه مسلم.

ديارَكم: منصوب على الإغراء، يعني الزموا ديارَكم تُكتب آثارُ خطاكم حسنات، أي المشي في الأرض بأرجلهم. وفيه: استحباب السُّكنى بقرب المسجد، إلَّا لمن حصلت به منفعة أخرى، أو أراد تكثير الأرجل بكثرة المشي.



**[١٠٥٧]** وعن أبي موسى ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا فِي الصَّلَاةِ أَبْعَدُهُمْ إِلَيْهَا مَمْشًى، فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإِمَامِ أَعظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لكن لا يعني هذا أن الإنسان يتقصّد أن ينزل بعيدًا من المسجد. وفيه: أن الصلاة مع الجماعة ولو تأخرت أفضل من صلاته منفردًا في أول الوقت.



**[١٠٥٨]** وعن بُريدَة ﵁، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَشِّرُوا المَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ.

هذا الحديث ضعيف، لكن معناه صحيح، فالذي يذهب إلى المسجد في الظُّلَم فإن جزاءه من جنس العمل، يعني كما تجشَّم الظُّلَم وأتى إلى المساجد فإنه يكتب له النور يوم القيامة.

**[١٠٥٩]** وعن أبي هريرة ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ، فذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ**». رواه مسلم.

سُمِّيت هذه الخصال الثلاث رباطًا، لأنها مجاهدة للنفس، لأن الإنسان إذا غلب نفسه فاز، وإن غلبته خاب، قال الله تعالى: «**قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**» [الشمس:٩- ١٠].

**[١٠٦٠]** وعن أبي سعيد الخدري ﵁، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالإِيمَانِ، قَالَ اللهُ ﷿: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾**»الآية.رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

هذا أيضًا حديث ضعيف، لا يصحّ رفعه إلى رسول الله ﷺ، لكنه يكفي في فضل المشي إلى المساجد ما سبق.





## ١٩٢ - انتظار الصَّلاة

**[١٠٦١]** وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٠٦٢]** وعنه ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**». رواه البُخَارِيُّ.

«**مَا لَمْ يُحْدِثْ**»: قيل: ما لم يَعْصِ، وقيل: ما لم يحدث حدثًا ينقض الوضوء لأنه يبطل الصلاة فيمنع أن يكون في صلاة.

وذكر البخاري حديث أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ: قَالَ: «**الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ مَا لَمْ يُحْدِثْ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أَنْ يَنْقَلِبَ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا الصَّلَاةُ**».

قوله: «**لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ**»، أي: في ثواب الصلاة، لا في حكمها، لأنه يحل له الكلام وغيره مما مُنِع في الصلاة.



**[١٠٦٣]** وعن أنس ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَّرَ لَيْلَةً صَلَاةَ العِشَاءِ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَ مَا صَلَّى، فَقَالَ: «**صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا**». رواه البُخَارِيُّ.

في هذا الحديث: أن منتظر الجماعة في صلاة ولو تأخرت عن أول وقتها، وفيه دليل على أن الأفضل تأخير صلاة العشاء، إلا إذا كان يشق على الناس أو على بعضهم.





## ١٩٣- صلاة الجماعة

اتَّفق العلماء على أن صلاة الجماعة من أفضل العبادات وأجلِّ الطاعات، لكن اختلفوا في حكمها على أقوال ثلاثة هي:

١- أنها سُنَّة، إن قام بها الإنسان أثيب، وإن تركها فلا إثم عليه.

٢- أنها واجبة، فإن لم يفعل فهو آثم وصلاته صحيحة.

٣ - أنها شرط لصحة الصلاة، وأنه إذا لم يصل مع الجماعة فصلاته باطلة ولا تقبل منه، وهذا الأخير اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. وروي عن الإمام أحمد أن الإنسان إذا صلى وحده من دون عذر شرعي فإن صلاته لا تقبل، كالذي يصلي بغير وضوء، وعلَّلوا ذلك بأن صلاة الجماعة واجبة، والقول الراجح أنها واجبة، يأثم الإنسان بتركها، ولكنه إذا صلى وحده قبلت صلاته.



**[١٠٦٤]** عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٠٦٥]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذٰلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّى لَمْ تَزَلِ المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلَا يَزَالُ فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلَاةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال الترمذي: عامَّةُ مَن رواه قالوا: خمسًا وعشرين درجةً، إلَّا ابن عمر فإنه قال: سبعًا وعشرين، وقيل السبع مختصة بالجهرية، والخمس بالسرية، لأن في الجهرية الإنصات عند قراءة الإمام، والتأمين عند تأمينه.

**[١٠٦٦]** وعنه قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَى، فقَالَ: يَا رَسُولَ الله، لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلى المَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**»، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَأَجِبْ**». رواه مسلم.

**[١٠٦٧]** وعن عبدِ الله- وقيل: عَمْرو بن قَيسٍ المعروف بابن أُمّ مكتوم المؤذن رضي الله عنه- أنَّه قال: يَا رَسُول الله، إنَّ المَدِينَةَ كَثِيرةُ الهَوَامِّ وَالسِّبَاعِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ حَيَّ عَلَى الفَلَاحِ، فَحَيَّهَلًا**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن.

«**حَيَّهَلًا**»: تعال.

هذا دليلٌ على وجوب حضور الجماعة لمن سمع النداء بالصلاة، وأما قصة عتبان التي في الصحيح، فإنما سأل الترخيص عند وجود مانع من حيلولة السيل بينه وبين مسجد قومه مع ضعف بصره، ودل ذلك أيضًا على أنها تجب في المسجد؛ وأنه ليس المقصود الجماعة فقط، بل الجماعة في المسجد، ودل ذلك أيضًا على أن العبرة بسماع النداء، ولكن المراد سماع النداء المعتاد وليس بالميكروفون، ودل ذلك أيضًا على أنه لا يصح اقتداء من كان خارج المسجد بمن في المسجد؛، مثلًا: لو كان الإنسان في بيت بجوار المسجد وهو يسمع تكبيرات الإمام، فقال لابنه نصلي مع الإمام جماعة في بيتنا فإن ذلك لا يصح، لأنه لا بد من حضور المكان الذي تقام فيه الجماعة، إلا أنه إذا امتلأ المسجد وصلى الناس في الأسواق فإن الذين خارج المسجد يكونون تبعًا لمن في المسجد في اتصال الصفوف.

وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْتَطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هناك فائدة؛ كونه ﷺ همّ أن يعاقبهم هذه العقوبة، دليل على تأكد الجماعة، وأنها أمر مهم. وقد روي بسند ضعيف؛ أنه قال: لولا ما فيها من النساء والذرية، ولكن يكفي أن يكون همّ بذلك وأخبر الأمّة به، ثم من الذي تجب عليه الجماعة؟ هو الذي يستطيع أن يصل إليها وهو يسمع النداء، فإذا قال قائل: إذا كان مريضًا ولا يستطيع الحضور لكن يسمع النداء بواسطة الميكروفون يتابع الإمام، قلنا: لا يصلي مع الإمام؛ هو معذور في ترك الجماعة، وإذا كان من عادته أنه يصلي مع الجماعة فإنه يكتب له ما كان يعمل لما كان صحيحًا.



**[١٠٦٩]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى غَدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هٰؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هٰذَا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ، يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ. رَوَاهُ مُسلِم.

وفي رواية له قال: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَى؛ وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَى الصَّلَاةَ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ.

كلُّنا يسرّه أن يلقى الله تعالى مسلمًا مؤمنًا به ﷻ، فمن أراد ذلك فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، أي في المسجد، ولو أن كل واحد صلى في بيته كما صلى هذا المتخلف لتركنا السنة، ولتعطلت المساجد، ولانقطع الناس بعضهم عن بعض، ولما

تعارفوا ولا تآلفوا، ولا حصل هذا المظهر العظيم في الدين الإسلامي. ثم ذكر أن الرجل المريض من المسلمين يهادونه، يمشون به رويدًا رويدًا حتى يقام في الصف فيصلي مع الجماعة، ولما تخلفت الأمة الإسلامية واختلفت قلوبها صارت إلى ما ترون الآن؛ أمّة ذليلة، لأنهم متفرقون، بل بعضهم متعادون، بل بعضهم يرى أن الآخر أشد عليه من اليهود والنصارى!



**[١٠٧٠]** وعن أبي الدرداء ﵁ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلَا بَدْوٍ، لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ**». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن.

لكن؛ هناك أحاديث أخرى تدل على أن الجماعة تجب إذا كانا اثنين فأكثر، أما في الجمعة فلا تجب إلا إذا كانوا ثلاثة فأكثر في غير البرية، أما البادية والمسافرون في البر فليس عليهم جمعة، لكن القرى والأمصار فيها جمعة، وأدنى ما يكون ثلاثة، فإن قيل: كيف يمكن أن تكون قرية أو مدينة ليس فيها إلا ثلاثة؟ فالجواب: يمكن هذا بأن يكون ساكنو هذه المدينة مسافرين جاؤوا للدراسة مثلًا، كما يوجد الآن في بعض البلاد، فهؤلاء تلزمهم الجمعة لأن فيها ثلاثة مواطنين، وأما البادية فلا تجب عليهم الجمعة.





## ١٩٤ - حضور الجماعة في الصُّبح والعِشاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:٩].

**[١٠٧١]** عن عثمان بن عفان ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّى اللَّيْلَ كُلَّهُ**». رواه مسلم.

يعني: كأنك قائم الليل كله وأنت في فراشك، لأنهما أثقل الصلوات على المنافقين، وصلاة العشاء والفجر ظلمة لا يُشاهدون، لكن الظهر والعصر والمغرب يأتون لأن الناس يشاهدونهم، والعشاء والفجر ما فيهما مراءاة لأنها ظلمة، وفي عهد النبي ﷺ لم تكن توجد أنوار فلا يشاهدهم أحد، هذا من وجه، ومن وجه آخر، أن صلاة العشاء والفجر وقت الراحة والنوم، ففي عهد الرسول ﷺ كان الناس لا يسهرون كما يسهر الناس اليوم، ينامون مبكرين بعد صلاة العشاء، لكن صلاة العشاء ليست أفضل من صلاة العصر، ولهذا صارت صلاة الفجر قرينة للعصر وقرينة للعشاء.

وفي رواية الترمذي عن عثمان بن عفان ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفَ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى العِشَاءَ وَالفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ**». قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

وخصّهما بالذكر لثقلهما على النفوس لأن صلاة الفجر في وقت طيب النوم ولذته، وصلاة العشاء في غلبة الظلمة والحديث مع الأهل والأصدقاء.



**[١٠٧٢]** وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١٠٧٣]** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَيْسَ صَلَاةٌ أَثْقَلَ عَلَى المُنَافِقِينَ مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لأن صلاة العشاء والفجر تأتي في وقت الراحة والنوم فهي ثقيلة على المنافقين لا يأتون إليها، وفيه دليل على أن عدم حضور الجماعة في صلاة الفجر والعشاء من علامات النفاق، وفيه إيماءٌ على عظم ثواب الآتي إليهما.





# ١٩٥- المحافظة على الصَّلوات المكتوبات

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة (٢٣٨]، أي: داوموا عليهنَّ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:١- ٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾ [المعارج:٣٤- ٣٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة:٥]، والآية الأخرى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبه:١١]. هذه الآية تدل على أن من لم يقم الصلاة فهو كافر، واستنبط العلماء منها، أنَّ من ترك الصلاة كسلًا قُتِل حدًّا إن لم يتب، وأما من جَحَد وجوبها فهو كافر بالكتاب والسنَّة، وحَدّه القتل بإجماع العلماء.



**[١٠٧٤]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»: أداؤها، فلا تصح الصلاة قبل دخول وقتها، ولا تقبل بعد خروجه، أما بالنسبة لصلاة الفجر، فالمعروف أن التوقيت الذي يعرفه الناس الآن ليس بصحيح، فالتوقيت مقدم على الوقت بخمس دقائق على أقل تقدير، وبعض الإخوان خرجوا إلى البر فوجدوا أن الفرق نحو ثلث ساعة، فالمسألة خطيرة جدًّا، ولهذا لا ينبغي

للإنسان في صلاة الفجر أن يبادر في إقامة الصلاة، وليتأخر ثلث ساعة أو خمسًا وعشرين دقيقة حتى يتيقَّن أن الفجر قد حضر وقته.

[١٠٧٥] وعن ابن عمر ﭭ، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أي: خمس دعائم، أي: أركان. وهذا الحديث: أصل عظيم في معرفة الإِسلام، والصلوات الخمس: عمود الدين، لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلاة، بني الإسلام؛ يعني أنه شبه الإسلام بالقصر الذي له خمسة أعمدة، وأنه إذا فقدت الأعمدة تداعى البنيان وانهدم، وهذه الأعمدة الخمسة بيّنها ﷺ بقوله: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، يعني أن تشهد معترفًا بلسانك مؤمنًا بقلبك أنه لا معبود بحق إلا الله. هناك أناس يعبدون الشمس، وهناك أناس يعبدون القمر، أو البقر، أو وليًّا أو صالحًا أو عالمًا أو رئيسًا، وهناك أناس يعبدون فروج النساء! أمم مختلفة، لكن المعبود حقًّا هو الله، هذا هو مقتضى الشرع ومقتضى العقل.

[١٠٧٦] وعنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى الله**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ**» أي: شرائعه. كما قاتل الصحابة ﭫ مانعي الزكاة بعدما مات النَّبِيُّ ﷺ، وكما ذكر العلماء، أنه إذا اتفق أهل بلد على ترك الأذان، كان للإمام قتالهم؛ لأن الأذان من شعائر الإِسلام.

أما الركن الثاني بعد الشهادتين، فهو إقام الصلاة، يعني الصلوات الخمس وما يتبعها من النوافل، فالوتر اختلف العلماء هل هو واجب يأثم الإنسان بتركه؟ أم سنة؟ أم فيه تفصيل؟ وهو أن من له ورد من الليل وجب عليه، ومن ليس له ورد لا يجب؟ وأما صلاة الكسوف فمختلف فيها من العلماء من يقول واجبة ومنهم من يقول ليست بواجبة والصحيح أنها واجبة، لكنها فرض كفاية إذا قام بها من يكفي من أهل البلد سقطت من الباقين، وكذلك تحية المسجد هل هي واجبة أم لا، والقول بالوجوب قول قوي، وقيل ليست بواجبة، مثل مجيء الإمام يوم الجمعة، فإن النبي ﷺ يدخل المسجد يوم الجمعة ويصعد المنبر ويخطب الناس ويجلس ولا يصلي تحية المسجد، وكذلك صلاة العيدين، اختلف فيهما العلماء، منهم من يقول إنها واجبة، ومنهم من يقول إنها سنة، ومنهم من يقول فرض كفاية.

ومعنى إقام الصلاة؛ أن يأتي بها الإنسان في أوقاتها متممًا شروطها وأركانها وواجباتها ومستحبَّاتها.



[١٠٧٧] وعن معاذٍ رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «**إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذٰلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صلوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذٰلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذٰلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفيه أن البدء بالشهادتين، وهذا هو مفتاح الإسلام؛ لأن ذلك أصل الدين، ثم الأهم فالأهم، وفيه: دليل على جواز إخراج الزكاة في صنف واحد.



**[١٠٧٨]** وعن جابرٍ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ، تَرْكَ الصَّلَاةِ**». رواه مسلم.

فالصلاة هي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، وليعلم أيضًا أن تارك الصلاة إذا مات على ترك الصلاة فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين، ولا يُدعى له بالرحمة، ولا تناله شفاعة النبي ﷺ يوم القيامة، ولكن ماذا نصنع به؟ هل نلقي جيفته للكلاب تأكلها ونحن نشاهده، لا، لأن هذا فساد لقلوب أقاربه، لكن نخرج به برًّا ونحفر له حفرة، ونغرسه فيها بثيابه من دون تكفين ولا غُسْل ولا صلاة عليه، ولا كرامة له، لأن الله قال: ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ**﴾.



**[١٠٧٩]** وعن بُرَيْدَة ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**». رواه التِّرمِذيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ثم اعلمْ أنه إذا مات لك ميت وهو لا يصلي فإنه لا يحل لك من ميراثه شيء على قول أكثر أهل العلم، لأن ميراثه ليس لأقاربه المسلمين، كما أنه هو لو مات عنه قريب مسلم فإنه لا يرثه، وهذا هو الذي دلَّت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع الصحابة.

وقد صرَّح علماؤنا المتأخرون كالشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ بأنه كافر كفرًا مخرجًا عن الملَّة، وأنه مرتدٌّ عن دين الإسلام، ومع الأسف أن الناس الآن يتهاونون في هذا الأمر.



**[١٠٨٠]** وعن عبد الله بن شقيق التَّابِعيِّ قال: كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ بإسنادٍ صحيحٍ.

واختلف العلماء، هل يجب القتل لترك صلاة واحدة أو أكثر؟ فالجمهور أنه يقتل لترك صلاة واحدة، الذي أمره بقتالهم هو الذي خلقهم، وله أن يتصرف في ملكه كيف يشاء، له أن يأمر بقتل هؤلاء، وله أن يأمر بقتالهم إلى أن يسلموا، فإذا أسلموا كف عنهم، ليس تعصبًا من المسلمين لدينهم، لكن لأنه دين الله. قال أحمد بن حنبل: إذا دعي إلى الصلاة فامتنع، وقال: لا أصلي حتى خرج وقتها، وجب قتله. وقال الشافعي: من ترك الصلاة كسلًا حتى أخرجها عن وقت الضرورة يقتل حدًّا، إن لم يَتُبْ.

فالذي لا يصلي أشد من اليهود والنصارى، فاليهود لو ذبحوا لأكل الإنسان ذبيحتهم والنصراني كذلك، أما تارك الصلاة لو ذبح فإن ذبيحته لا تحل. وتارك الصلاة مثلًا لو كان أنثى لا تصلي فإنه لا يحل للمسلم أن يتزوجها، ولو كانت نصرانية جاز أن يتزوجها المسلم، ولو كانت يهودية جاز أن يتزوجها أيضًا، فدل ذلك على أن ترك الصلاة أعظم من اليهودية والنصرانية، هذا الأمر الذي يتهاون به الناس اليوم.



**[١٠٨١]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُ ﷻ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَيُكَمَّلُ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ تَكُونُ سَائِرُ أَعْمَالِهِ عَلَى هٰذَا**». رواه التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: الحث على إكثار النوافل لتكون جابرة لخلل الفرائض، وذلك لأن الإنسان لا بد أن يكون في صلاته خلل فيكمل بهذه النوافل، فالظهر له أربع ركعات قبلها بتسليمين وركعتان بعدها، وصلاة العصر ليس لها راتبة لكن لها سنة مطلقة كما قال النبي

ﷺ: «**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ**»، وصلاة المغرب لها راتبة بعدها ركعتان وسنة مطلقة قبلها، وصلاة العشاء بعدها ركعتان، والفجر قبلها ركعتان، وصلاة الليل وصلاة الوتر وصلاة الضحى؛ كل هذه النوافل يزداد بها أجر المصلي، ويكمل بها النقص الذي حصل في الفريضة، وهذه فضل الله.



## ١٩٦ - الصَّفُّ الأَوَّل في الصَّلاة

**[١٠٨٢]** عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، وَكَيْفَ تُصَفُّ المَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**». رواه مسلم.

وهذه مسائل ينبغي للإنسان أن ينتبه لها: ألا يقف في صف حتى يكمل الذي قبله، ويتراصون في الصلاة، يلصق كعبه بكعب أخيه ومنكبه بمنكبه، لأنهم إذا لم يتراصوا تدخل الشياطين بينهم كأولاد الغنم الصغار، ثم يشوشون عليهم صلاتهم، وليس المراد بالمراصة التي تشوش على الآخرين، وإنما المراد منها ألا يكون بينك وبينه فرجة.

**[١٠٨٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٠٨٤]** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا**». رواه مسلم.

فيه: عِظَمُ ثواب الأذان، وثواب الصف الأول، وتسوية الصف بإكمال الأول فالثاني، فلا يصفّ أحد في الصف الثاني والأول لم يتم، أو في الثالث والثاني لم يتم، كما لا يجوز التقدم للصف الأول بوضع منديل أو كتاب أو غيرهما، كأنه ملك له يحجزه دائمًا سواء جاء أو لا، وكأنما اشتراه من كيسه، يقول: لماذا تجلس؟ هنا مكاني! فالأول هو أحق، أما إذا كان إنسان حاضرًا بالمسجد لكنه أراد أن يبتعد عن الصف الأول لأجل أن يقرأ أو

يصلي أو يراجع أو ينام في المسجد فلا بأس، لكن يجب أن يصل إلى مكانه قبل أن تتصل الصفوف فلا يحتاج إلى تخطي الرقاب.

**[١٠٨٥]** وعن أبي سعيد الخدريِّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «**تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**». رواه مسلم.

**[١٠٨٦]** وعن أبي مسعود ﵁ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «**اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِيَنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**». رواه مسلم.

**[١٠٨٧]** وعن أنس ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية للبخاري: «**فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ**».

وكان هذا عادته، ولما كثر الناس في زمن أمير المؤمنين عمر ﵁، وفي زمن عثمان ﵁، صار هناك رجال موكلون من قبل الخليفة يسوُّون الصفوف، فإذا جاؤوا إلى الإمام وقالوا إن الصفوف قد تمت وكملت كبر للصلاة.

أما إقامة الصلاة، فإذا كانوا ثلاثة فإنه يتقدم أحدهم إمامًا ويكون الباقيان خلفه، وإن كانا بالغين أو صغيرين أو بالغ وصغير، كلهم يكونون خلفه، لأن ذلك ثبت عن النبي ﷺ في صلاة الفرض والنفل.

وذكر البخاري حديث أبي هريرة: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَلَا تَخْتَلِفُوا عَلَيْهِ، وَأَقِيمُوا الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ إِقَامَةَ الصَّفِّ مِنْ أَحْسَنِ الصَّلَاةِ**». فكلما تقدموا فهو أفضل، وهذه خطيرة؛ أن الإنسان كلما تأخر عن الصف الأول أو الثاني أو الثالث ألقى الله في قلبه محبة التأخر في كل عمل، ولهذا قال: «**لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ**»، فإذا اختلف الناس فيما بينهم ظاهرا أدى ذلك إلى اختلاف القلوب وإذا اختلفت القلوب صار الشر والفساد.

**[١٠٨٨]** وعنه قال: أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**». رواه البُخَارِيُّ بلفظه، ومسلم بمعناه.

وفي رواية للبخاري: وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ. وفي هذا الوصف، دليل على فساد فهم هؤلاء الذين إذا وقفوا في الصف فتحوا بين أرجلهم حتى تكون القدم لاصقة بالقدم، لكن المناكب متباعدة وهذا بدعة ليس من السنة، ولفظ مسلم: «**أَتِمُّوا الصُّفُوفَ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**»، أخبر أنه ﷺ يراهم من وراء ظهره، وهذا من خصائص النبي ﷺ أنه في هذه الحالة المعينة يرى الناس من وراء ظهره، أما فيما سوى ذلك فإنه لا يرى من وراء ظهره شيئًا، وهذا لا ينافي حديثَ:«**لَا أَعْلَمُ مَا وَرَاءَ جِدَارِي**»، لأن هذا خاص بحالة الصلاة.



**[١٠٨٩]** وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سَمِعْت رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُسَوِّي صُفُوفَنَا، حَتَّى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا القِدَاحَ حَتَّى رَأَى أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَومًا فَقَامَ حَتَّى كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَى رَجُلًا بَادِيًا صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فَذَكَّرَهُ. وهذا دليل على وجوب تسوية الصفوف، وعلى جواز كلام الإمام فيما بين الإقامة والصلاة لما يعرض من الحاجة. قوله: «**أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**»، أي: يوقع بينكم العداوة والبغضاء، واختلاف الظواهر سبب لاختلاف البواطن؛ لأن تقدم الشخص على غيره مظنة الكبر المفسد للقلب والداعي إلى القطيعة.

**[١٠٩٠]** وعن البراءِ بن عازِبٍ رضي الله عنهما قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَى نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: «**لَا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ**»، وَكَانَ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ**». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن.

**[١٠٩١]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ، وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ**». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسناد صحيح.

«**وَلِينُوا بِأَيْدِي إِخْوَانِكُمْ**»، أي: بالتقديم والتأخير حتى يستوي الصف.



**[١٠٩٢]** وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بِالأَعْنَاقِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَرَى الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ**». حديث صحيح رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم.

«**الحَذَفُ**»: غَنَمٌ سُودٌ صِغَارٌ تَكُونُ بِاليَمَنِ.

وقد نبّه ﷺ بهذا القسم العظيم على تأكيد التراص بين الصفوف، والتقارب لعظم فائدتها، وهي منع دخول الشيطان بينهم، المستلزم لتسلطه وإغوائه، ووسوسته، حتى يفسد عليهم صلاتهم، وخشوعهم الذي هو روح الصلاة.

**[١٠٩٣]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَتِمُّوا الصَّفَّ المُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقْصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ**». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسناد حسن.

وفيه: الحث على إتمام الصفوف الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ.

**[١٠٩٤]** وعن عَائِشَةَ ﵂، قالت: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ الصُّفُوفِ**». رواه أَبُو دَاوُدَ بإسنادٍ عَلَى شرط مسلم.

ومحل ذلك؛ إذا لم تتعطل ميسرة الإمام، وإلا فتوسيط الإمام أفضل كما في الحديث الآخر: «**وَسِّطُوا الإِمَامَ وَسُدُّا الخَلَلَ**».

وفي الأحاديث هنا أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِينِ الصُّفُوفِ**»، لكن هذا الحديث فيه رجل مختلف في توثيقه، وعلى هذا فيكون ضعيفًا، وإن كان على شرط مسلم من حيث الإسناد، والنبي ﷺ أمر أن يوسّط الإمام فقال: «**وَسِّطُوا الإِمَامَ**» يعني اجعلوه وسطًا وهذا هو العدل، وما يفعله بعض الناس الآن، تجدهم يكملون الصف يمينًا والأيسر ليس فيه إلا القليل، هذا خلاف السنة، والسنة أن يكون اليمين واليسار متقاربين، فإذا تساويا فهنا نقول الأيمن أفضل، فإن زاد رجل أو رجلان في الأيمن فلا بأس.



**[١٠٩٥]** وعن البراء ﵁ قال: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ- أَوْ تَجْمَعُ- عِبَادَكَ**». رواه مسلم.

ولا مخالفة بين هذا الحديث وحديث ابن ماجة: «**مَنْ عَمَّرَ مَيْسَرَةَ المَسْجِدِ كُتِبَ لَهُ كِفْلَانِ مِنَ الأَجْرِ**»، وذلك أنه ﷺ لما حثَّ على التَّيامن تعطَّلت الميسرة، فقال ذلك.

**[١٠٩٦]** وعن أبي هريرة ﵁ قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**وَسِّطُوا الإِمَامَ وَسُدُّوا الخَلَلَ**». رواه أَبُو دَاوُد.

فيه الأمرُ بتوسيط الإِمام قدّام الصف، وسدّ فُرَجِهِ.






شرع الله لعباده نوافل زائدة عن الفريضة لتكمل بها الفرائض، لأن الفرائض لا تخلو من نقص، ولولا أن الله شرعها لكانت بدعة. والنوافل أنواع متعددة وأجناس منها: الرواتب التابعة للمفروضات وهي اثنتا عشرة ركعة: أربع قبل الظهر يسلم بين كل ركعتين، وركعتان بعدها، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وركعتان قبل صلاة الفجر، من صلَّاهن في كل يوم وليلة بنى الله له بيتا في الجنة.

**[١٠٩٧]** عن أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَة بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ للهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي لله تَعَالَى كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ الفَرِيضَةِ، إِلَّا بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ**». رواه مسلم.



**[١٠٩٨]** وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَينِ بَعْدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَينِ بَعْدَ العِشَاءِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والأفضل أن تصلى هذه الرواتب في البيت للمأموم والإمام، حتى لو كنت في مكة أو في المدينة، لأن النبي ﷺ كان يصليها في بيته، ويقول: أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة، ثم إذا ما فاتته، مثال ذلك، دخل رجل والإمام يصلي الظهر وهو لم يصل سنة راتبة الظهر، فإذا انتهت الصلاة يصلي أولًا الركعتين اللتين بعد الصلاة ثم يقضي الأربع التي قبلها.

أما صلاة الجمعة؛ قال ابن عمر ﭭ: إن النبي ﷺ كان يصلي بعدها ركعتين، وثبت عنه ﷺ أنه أمر أن يصلي بعدها أربع ركعات، وقيل ست ركعات، وقال بعضهم إن صليت في المسجد فأربع، وإن صليت بالبيت فركعتان، لأن الرسول ﷺ كان يصليها بالبيت ركعتين، والأمر في هذا واسع.



**[١٠٩٩]** وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ ﭬ قال: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ**». قال في الثَّالِثةِ: «**لِمَنْ شَاءَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المُرَادُ بِالأَذَانَيْنِ: الأَذَانُ وَالإِقَامَةُ.

في هذا الحديث: استحباب الصلاة بين الأذان والإقامة، وهذا عام مخصوص، فإن الوقت الذي بعد طلوع الفجر لا يصلى فيه إلا راتبة الفجر أو تحية المسجد.



## ١٩٨ - رَكْعَتا سُنَّة الصُّبح

ركعتا الصبح يعني سُنَّة الفجر؛ وهي ركعتان قبل الصلاة، تمتاز بأمور: أنه يُسَنُّ تخفيفهما، فلو أطالهما الإنسان لكان مخالفًا للسنة، حتى كانت عائشة ﵂ تقول: إنه ﷺ كان يخفِّف فيهما حتى أقول: أقرأ بأم القرآن من شدة التخفيف؟

كما أنه يُسَنُّ فيهما قراءة معيَّنة: إما ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ في الركعة الأولى، و: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ في الثانية، وإما ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا...**﴾ البقرة:١٣٦]، و﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ...**﴾ [آل عمران: ٦٤].

يعني: مرة هذا ومرة هذا، ومنها أن النبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد تعاهدًا منه على ركعتي الفجر، وأن النبي ﷺ أخبر أنهما خير وأحب إليه من الدنيا وما فيها، وأن النبي ﷺ لم يكن يدعهما حضرًا ولا سفرًا، وإذا فاتته قبل الصلاة فليصلهما بعدها، إما في الوقت نفسه، وإما بعد ارتفاع الشمس قيد رمح.

**[١١٠٠]** عن عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

كما وقع في حديث ابن عمر أن قبل الظهر ركعتين، وفي حديث عائشة أربعًا، وقال الحافظ: كان تارة يصلي ركعتين، وتارة يصلي أربعًا، وقال الطبري: الأربع كانت في كثير من أحواله، والركعتان في قليلها.

**[١١٠١]** وعنها قالت: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنهُ عَلَى رَكْعَتَي الفَجْرِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١١٠٢]** وعنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**». رواه مسلم. وفي رواية: «**لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا**».





## ١٩٩ - تخفيف ركعتيِّ الفجر

**[١١٠٤]** عن عَائِشَة ﵂: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية: يُصَلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ إِذَا سَمِعَ الأَذَانَ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّى أَقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهِمَا بِأُمِّ القُرْآنِ؟ وفي رواية لمسلم: كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ إِذَا سَمِعَ الأَذَانَ وَيُخَفِّفُهُمَا.

**[١١٠٥]** وعن حفصة ﵂، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلْصُّبْحِ وَبَدَا الصُّبْحُ، صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ لَا يُصَلِّي إِلَّا رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ.

اختُلف في حكمة تخفيف ركعتي الفجر، فقيل: ليبادر إلى صلاة الصبح في أول الوقت، وقيل: ليستفتح صلاة النهار بركعتين خفيفتين، كما كان يصنع في صلاة الليل ليدخل في الصلاة بنشاط.

**[١١٠٦]** وعن ابْنِ عُمَرَ ﵄ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الغَدَاةِ، وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المراد بالأذان هنا: الإقامة. والمعنى: أنه كان يسرع في ركعتي الفجر إسراع من يسمع إقامة الصلاة.



**[١١٠٧]** وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ، فِي الأُولَى مِنْهُمَا: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾، الآيَةُ الَّتِي فِي سُورَةِ البَقَرَةِ، وَفِي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿**آمَنَّا بِاللهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾. وفي رواية: وَفِي الآخِرَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿**تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**﴾. رواهما مسلم.

قوله: ﴿**وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ الآية، ولفظها: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:٦٤].

**[١١٠٨]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَرَأَ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ**﴾ وَ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾. رَوَاهُ مُسلِمٌ.

**[١١٠٩]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رَمَقْتُ النَّبِيَّ ﷺ شَهْرًا فَكَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**﴾ وَ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.



## ٢٠٠- الاضْطِجاع بعد ركعتيِّ الفجر

[١١١٠] عن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى رَكْعَتَيِّ الفَجْرِ، اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ. رَوَاهُ البُخَارِي.

في هذا الحديث: استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر لمن تهجَّد بالليل ليستريحَ من التعب، وينشطَ لصلاة الفجر. قال حبر الأمة وبحر العلوم العقلية والنقلية شيخ الإسلام ابن تيمية: إن هذا حديث منكر، وإنه لم يصح الأمر به عن النبي ﷺ، وهذا هو الصحيح، ومن أعجب الأقوال وأغربها أن بعض العلماء قال إن الاضطجاع بعد سنة الفجر شرط لصحة صلاة الفجر، وإن من لم يضطجع فصلاته باطلة! ألا يخشى أن يغلبه النوم فتفوته الصلاة؟



[١١١١] وعنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلَاةِ العِشَاءِ إِلَى الفَجْرِ إِحْدَى عَشرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَإِذَا سَكَتَ المُؤَذِّنُ مِنْ صَلَاةِ الفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الفَجْرُ، وَجَاءَهُ المُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَينِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، هٰكَذَا حَتَّى يأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ لِلْإِقَامَةِ. رَوَاهُ مُسلِم.

قَوْلُهَا: "يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ": هكذا هو في مسلمٍ، ومعناه: بَعْدَ كُلِّ رَكْعَتَيْن، وفي هذا دليل على وهم من توهَّم أنه إذا صلى إحدى عشرة ركعة يصلي أربعًا أربعًا ثم ثلاثًا بناء على حديثها أنها قالت: كان النبي ﷺ لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا فلا يسأل عن حسنهن وطولهن، ثم أربعًا فلا يسأل عن حسنهن وطولهن، ثم ثلاثًا، فظن بعض الناس أنه يصلي أربعًا جميعًا، ثم أربعًا جميعًا، ثم ثلاثًا، وهذا وهمٌ؛ فقد أخذوا بظاهر الحديث، فيحمل هذا على أنه يصلي أربعًا على ركعتين ركعتين ثم يستريح،

ثم يصلي أربعًا على ركعتين ركعتين ثم يستريح، ثم يصلي ثلاثًا، لا يقال إنه يفعل هذا مرة وهذا مرة، لأن كلمة (كان) تدل على دوام الفعل غالبًا.



**[١١١٢]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**إِذا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتَيِّ الفَجْرِ، فَلْيَضْطَجِعْ عَلَى يَمِينِهِ**». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ بأسانيد صحيحة. قال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال ابن القيم نقلًا عن ابن تيمية: هذا ليس بصحيح، وإنما الصحيح عنه الفعل لا الأمر بها، والأمر تفرد به عبد الواحد بن زياد وغلط فيه.

وعن ابن جريج، أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: إن النبي ﷺ لم يكن يضطجع لسُنَّة، ولكنه كان يدأب ليلته فيستريح، قال: وكان ابن عمر يحصبهم إذا رآهم يضطجعون على أيمانهم، وقد غلا في هذه الضجعة طائفتان؛ فأوجبها جماعة من أهل الظاهر، وكرهها جماعة من الفقهاء، وتوسط فيها مالك وغيره، فلم يروا بأسًا لمن فعلها راحة، وكرهوها لمن فعلها سُنَّةً.





## ٢٠١- سُنَّة صَلَاة الظُّهر

ورد في سُنَّةِ الظهر أحاديث متعددة كلها تدل على أن الظهر لها ست ركعات؛ أربع قبلها بسلامين وركعتان بعدها، وأنه إذا نسي الإنسان أو فاته الأربع القبلية فإنه يصليها بعد الظهر، لأن الرواتب تُقضى كما تقضى الفرائض، ولكن يبدأ أولًا بالسنة البعدية ثم السنة القبلية.



**[١١١٣]** عن ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الأربع المذكورة في هذا الحديث من الرواتب العشر.



**[١١١٤]** وعن عَائِشَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

في هذا الحديث: استحباب المداومة على أربع ركعاتٍ قبل الظهر.



**[١١١٥]** وعنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ، فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ المَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ العِشَاءِ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسلِم.

**[١١١٦]** وعن أُمِّ حَبِيبَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ**». رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**[١١١٧]** وعن عبد الله بن السَّائب ﵁: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وقَالَ: «**إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ**». رواه التِّرمِذِيُّ وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[١١١٨]** وعن عَائِشَةَ ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، صَلَّاهُنَّ بَعْدَهَا. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: مشروعية قضاء الرواتب والاهتمام بها.





## ٢٠٢- سُنَّة صَلاةِ العَصْر

سبق بيان سنة الفجر وسنة الظهر، فأما العصر فمن السنن قبلها أن يصلي الإنسان أربع ركعات استئناسًا بهذا الحديث: «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا**».

هذه الجملة دُعائية؛ يعني أن النبي ﷺ دعا لمن صلى قبل العصر أربعًا، وهذا الحديث، وإن كان فيه مقال عند أهل العلم، لكنه يرجى أن ينال الإنسان الأجر إذا صلى هذه الأربع.



**[١١١٩]** عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كَانَ النبِيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى المَلَائِكَةِ المُقَرَّبِينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ. رَوَاهُ التِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: مشروعية أربع ركعات قبل العصر واستحباب التسليم بينهن.

**[١١٢٠]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّى قَبْلَ العَصْرِ أَرْبَعًا**».

رواه أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

هذا الحديث يتناول فعلها موصولة ومفصولة. وفيه: إيماء إلى التبشير لمصليها بالموت على الإسلام.



**[١١٢١]** وعن علي بن أبي طالب ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ رَكْعَتَيْنِ.

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بإسناد صحيح.

ولا مخالفة بين هذا الحديث وحديثه السابق؛ لأنه كان يصلِّيها تارة أربعًا وتارةً ركعتين.





## ٢٠٣- سُنَّة صلاة المغرب: قبلَها وبعدَها

سُنَّةُ المغرب لها قبلها وبعدها، لكن السنة التي قبلها ليست راتبة، والتي بعدها راتبة.

السنة التي قبلها، قال: صلوا قبل المغرب، كررها ثلاثًا، وقال في الثالثة لمن شاء، لئلا تتخذ سنة راتبة، فإذا أذّن المغرب فصلّ ركعتين سنّة، لكن ليست كالتي بعدها راتبة مؤكدة بل هي سنّة، إن تركها الإنسان فلا حرج، وإن فعلها فلا حرج، ولهذا قال أنس: كان النبي ﷺ يرانا نصلي؛ فلم يأمرنا، ولم يَنْهَنَا.

وقد تقدم حديث ابن عمر وحديث عائشة، وهما صحيحان: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بَعْدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ، هَاتَانِ الرَّكْعَتَانِ مِنَ الرَّوَاتِبِ العَشْرِ.



**[١١٢٢]** وعن عبد الله بن مُغَفَّل رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ**»، وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «**لِمَنْ شَاءَ**». رواه البُخَارِيُّ.

وفي رواية: «**ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: لِمَنْ شَاءَ**»، كراهية أن يتخذها الناس سنَّة لازمة.



**[١١٢٣]** وعن أنس رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ عِنْدَ المَغْرِبِ. رَوَاهُ البُخَارِيُّ.

وفي لفظ: يُصَلُّونَ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ المَغْرِبِ، ولم يكن بين الأذان والإقامة شيء.



**[١١٢٤]** وعنه قال: كُنَّا نُصَلِّي عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ المَغْرِبِ، فَقِيلَ: أَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ صَلَّاهُمَا؟ قَالَ: كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا. رواه مسلم.

وتقريره ﷺ على العبادة يدل على استحبابها.



**[١١٢٥]** وعنه قال: كُنَّا بِالمَدِينَةِ فَإِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلَاةِ المَغْرِبِ، ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ الغَرِيبَ لَيَدْخُلُ المَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلاَةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا. رواه مسلم.

هذه الأحاديث: واردة فيمن كان جالسًا في المسجد قبل غروب الشمس، وأما الذي يجيء بعد الغروب فلا يجلس حتى يصلي ركعتين تحية المسجد، كما ورد ذلك في الحديث الصحيح.





## ٢٠٤- سُنَّة صلاة العِشاء

فِيهِ حديث ابن عمر: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ.

وحديث عبد الله بن مُغَفَّلٍ: «**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والركعتان بعد العشاء من السنن الرواتب المؤكدة، واللتان قبلها من السنن المستحبات، وأما العشاء فلها سنة قبلها وبعدها، لكن السنة قبلها ليست راتبة بل هي داخلة في عموم قول النبي ﷺ: «**بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلَاةٌ**»، أما بعدها فيُسَنّ ركعتان، فتبين بهذا أن الصلوات الخمس:

صلاة الفجر: لها سنة قبلها وليس لها سنة بعدها.

صلاة الظهر: لها سنة قبلها وبعدها.

العصر: ليس لها سنة قبلها ولا بعدها؛ يعني راتبة، لكن لها سنة غير راتبة قبلها وأما بعدها فهو وقت نهي.

المغرب: لها سنة بعدها أي راتبة وقبلها غير راتبة.

صلاة العشاء: لها سنة بعدها، يعني راتبة، وقبلها وليست براتبة.

هذه هي السنن التابعة للمفروضات، ومن فوائدها أنه إذا حصل نقص بالفرائض فإنها تجبرها وتكملها.





## ٢٠٥- سُنَّة صلاة الجُمعة

سُنَّة صلاة الجمعة فِيها حديث ابن عمر السابق: أَنَّه صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١١٢٦]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا**». رواه مسلم.

قال ابن عربي: إن أمره ﷺ لمن يصلي بعد الجمعة بأربع، لئلا يخطر على بال جاهل أنه صلى ركعتين لتكملة الجمعة.

**[١١٢٧]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ. رواه مسلم.

الجمعة صلاة مستقلّة ليست هي الظهر، ولهذا لا يجمع العصر إليها، ولأنها تختلف عن سائر الصلوات بما يشرع قبلها وبعدها، فلا سنة لها؛ يعني ليس لها راتبة، إذا جاء الإنسان إلى المسجد يصلي ما شاء إلى أن يحضر الإمام من غير عدد معين حتى يأتي الإمام، سواء صلى ركعتين أم أربعًا أم ستًّا على حسب نشاطه، وأما بعدها فلها سنة راتبة وهي ركعتان بالبيت؛ لقول ابن عمر، وفي حديث أبي هريرة يصلي بعدها أربعًا. وقد اختلف العلماء: هل سنة الجمعة أربع ركعات بسلامين أم ركعتان؟ فمنهم من قال إنها أربع ركعات لأنّ هذا أمره ﷺ، وأما الركعتان فهما فعله، وأمره مقدم على فعله، فتكون أربع ركعات. ومنهم من فصّل فقال: إن صلى سنة الجمعة في المسجد صلى أربعًا، وإن صلى بالبيت صلى ركعتين؛ وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية. ومنهم من قال يجمع بين هذا وهذا؛ فيصلي أربعًا بأمر النبي ﷺ، ويصلي ركعتين بفعله، فتكون السنة بعد الجمعة ست ركعات.





## ٢٠٦- صلاة النّوافل في البيت

سواء الراتبة وغيرها، والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام، والأصل في الإنسان أن يصلي في بيته السنن الرواتب التابعة للفروض، وذكر في ذلك أحاديث منها:

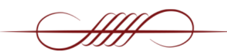


**[١١٢٨]** عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١١٢٩]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْعَلُوا مِنْ صَلَاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أي: لا تجعلوا بيوتكم كالقبور لأن القبور لا يُصلى فيها.



**[١١٣٠]** وعن جابر رضي الله عنه قال: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**إِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلَاتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلَاتِهِ خَيْرًا**». رواه مسلم.

**[١١٣١]** وعن عمر بن عطاءٍ: أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أَرْسَلَهُ إِلَى السَّائِبِ ابْنِ أُخْتِ نَمِرٍ يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: نَعَمْ، صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ فِي المَقْصُورَةِ، فَلَمَّا سَلَّمَ الإِمَامُ، قُمْتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: لَا تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ، إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ فَلَا تَصِلْهَا بِصَلَاةٍ حَتَّى تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ؛ فَإِنَّ رسولَ الله ﷺ أَمَرَنَا بِذٰلِكَ؛ أَنْ لَا نُوصِلَ صَلَاةً بِصَلَاةٍ حَتَّى نَتَكَلَّمَ أَوْ نَخْرُجَ. رواه مسلم.

المقصورة: الحجرة، وأول من عملها معاوية حين ضربه الخارجيُّ، واختلفوا في المقصورة فأجازها كثير من السلف وصلَّوا فيها.

قال الشافعي: من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه جهرًا فقد فضحه وشانه.

قوله: فإن صلاة المرء في بيته أفضل إلا المكتوبة، فدلّ ذلك على أن الإنسان ينبغي له أن تكون جميع رواتبه في بيته، سواء الرواتب أو صلاة الضحى أو التهجد أو غير ذلك، حتى في مكة والمدينة، الأفضل أن تكون الرواتب في البيت، أفضل من كونها في المسجد الحرام أو المسجد النبوي، لأن النبي ﷺ قال هذا وهو في المدينة، وكثير من الناس الآن يفضل أن يصلي النافلة في المسجد الحرام من دون البيت، وهذا نوع من الجهل، فمثلًا إذا كنت في مكة وأذن لصلاة الفجر، وسألك سائل هل الأفضل أن تصلي الراتبة في البيت أو أذهب إلى المسجد الحرام؟ قلنا الأفضل في البيت.

هل سنة الضحى أفضل في المسجد الحرام أم في البيت؟ قلنا: في البيت. التهجد أفضل في المسجد الحرام أم في البيت؟ قلنا: في البيت؛ فالبيت إذا صليت فيه جعل الله فيه خيرًا، أهلك إذا رأوك تصلي اقتدوا بك، وألفوا الصلاة وأحبوها ولاسيما الصغار منهم، ومنها أن الصلاة في البيت أبعد من الرياء، فإن الإنسان في المسجد يراه الناس، ومنها أن الإنسان إذا صلى في بيته وجد فيه راحة قلبية وطمأنينة، وهذا لا شك أنها تزيد في إيمان العبد.

والأفضل في قيام رمضان وهي التراويح، أن يكون جماعة في المساجد مع أنه سنة وليس بواجب، فإن الرسول ﷺ صلى بأصحابه ثلاث ليال أو ليلتين ثم تخلى، وقال إني خشيت أن تفرض عليكم.

وإذا صليت الظهر، وأردت أن تصلي الراتبة؛ لا تصل في مكانك؛ قم إلى مكان آخر أو اخرج إلى بيتك وهو أفضل، أو على الأقل تكلم، لأن النبي ﷺ نهى أن توصل صلاة بصلاة حتى يخرج الإنسان أو يتكلم، ولهذا قال العلماء: يسنّ الفصل بين الفرض وسنته بكلام أو انتقال من موضعه، والحكمة من ذلك ألا يوصل الفرض بالنفل، فليكن الفرض وحده، والنفل وحده.





## ٢٠٧- صلاة الوِتر

**[١١٣٢]** عن عليٍّ ﷺ قال: الوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلَاةِ المَكْتُوبَةِ، وَلٰكِنْ سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ القُرْآنِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: أن الوتر سُنَّة مؤكدة وليس بفرض، ومن العلماء من أوجبه، فلا تضيّع الوتر، ثم إن كنت ترجو أن تستوتر من آخر الليل فاجعل الوتر في آخر الليل، وإن كنت تخاف ألا تقوم فاجعل الوتر من أول الليل، لا تنمْ إلا موترًا.

**[١١٣٣]** وعن عائشة ﷺ قالت: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: جواز الوتر فيما بين صلاة العشاء، إلى طلوع الفجر.



**[١١٣٤]** وعن ابن عمر ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١١٣٥]** وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا**». رواه مسلم.

فالوتر ينتهي وقته بطلوع الفجر، فإذا طلع الفجر فلا وتر، حتى ولو بين أذان الفجر والإقامة لا وتر، ولكن إذا طلع الفجر والإنسان لم يوتر فإنه يصلي في النهار شفعًا؛ إن كان يوتر بثلاث صلى أربعًا؛ وإن كان يوتر بخمس صلى ستًّا، وإن كان يوتر بسبع صلى ثماني، لقول عائشة ﷺ: كان النبي ﷺ إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة.

وآخر وقت الوتر الاختياري طلوع الفجر، ووقت الضرورة إلى صلاة الفجر لقول النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنِ الوِتْرِ أَوْ نَسِيَهُ فَلْيُصَلِّ إِذَا أَصْبَحَ أَوْ ذَكَرَ**».

**[١١٣٦]** وعن عائشة ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي صَلَاتَهُ بِاللَّيْلِ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أَيْقَظَهَا فَأَوْتَرتْ. رواه مسلم. وفي روايةٍ لَهُ: فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، قَالَ: «**قُومِي فَأَوْتِري يَا عَائِشَةُ**».

واعلم أن الوتر سنة في الحضر والسفر، ومن ذلك ليلة المزدلفة، فإن الإنسان إذا صلى العشاء فإنه يصلي المغرب والعشاء جمعًا ثم يوتر، وإن كان جابر ﵁ لم يذكره، لكن الأصل بقاء ما كان على ما كان، وأن الرسول ﷺ لا يدع الوتر حضرًا ولا سفرًا.

**[١١٣٧]** وعن ابن عمرَ ﵄: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَادِرُوا الصُّبْحَ بِالوِتْرِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. أي: بادروا بصلاة الوتر قبل فواتها بطلوع الفجر.

**[١١٣٨]** وعن جابر ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ خَافَ أَنْ لَا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيلِ، فَإِنَّ صَلَاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وَذٰلِكَ أَفْضَلُ**». رواه مسلم.

صلاة آخر الليل أفضل من أوله لشهود الملائكة لها، ولقول النَّبيِّ ﷺ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ**».

فإذا أوتر وأراد أن يصلي آخر الليل جاز له ذلك، ولا يوتر ثانية لقول النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ**».

واعلم أن الوتر له صفات:

الأولى: أن يوتر بواحدة فقط، وهذا جائز ولا يكره الوتر بها.

الثانية: أن يوتر بثلاث، وله الخيار إن شاء سلم من الركعتين ثم أتى بالثالثة، وإن شاء سردها سردًا بتشهد واحد.

الثالثة: أن يوتر بخمس، فيسردها سردًا لا يتشهد إلا في آخرها.

الرابعة: أن يوتر بسبع فيسردها سردًا لا يتشهد إلا في آخرها.

الخامسة: أن يوتر بتسع، فيسردها سردًا، لكن يتشهد بعد الثامنة ولا يسلم ثم يصلي التاسعة ويسلم.

السادسة: أن يوتر بإحدى عشرة، فيسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة.





## ٢٠٨- صلاة الضُّحى

صلاة الضُّحى هي: ركعتان أو أكثر، تفعلان من ارتفاع الشمس قدر رمح، وهذا يكون بمقدار ربع ساعة أو نحوها بعد طلوع الشمس، فمن ثم يبدأ وقت صلاة الضحى إلى قبيل الزوال، أي إلى قبل وقت صلاة الظهر بعشر دقائق أو قريب منها، لكن فِعلها في آخر الوقت أفضل لقول النبي ﷺ: «**صَلَاةُ الأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمِضُ الفِصَالُ**».

الفصال: أولاد النوق. ترمض: تشتد عليها الرمضة، وهذا في آخر الوقت.



**[١١٣٩]** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِّ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَرْقُدَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وإنما أوصاه بالوتر قبل أن ينام، لأن أبا هريرة رضي الله عنه كان يدرِّس في أول الليل أحاديث رسول الله ﷺ، فلا ينام إلا متأخرًا، ويخشى ألا يقوم من آخر الليل، فلهذا أوصاه أن يوتر قبل أن ينام.

وهذه من الصلوات التي يُسنّ تأخيرها، ونظيرها في الفرائض صلاة العشاء، فإن صلاة العشاء لها أن تؤخر في آخر وقتها إلا إذا شق على الناس.



**[١١٤٠]** وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئ مِنْ ذٰلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**». رواه مسلم.

السُّلامى: الأعضاء أو العظام والمفاصل.

وقد ذكر العلماء أن في كل إنسان ثلاثمائة وستين مفصلًا، كل مفصل يطالبك كل يوم بصدقة، لكنها ليست بصدقة مال، بل هي كل ما يقرب إلى الله من قول أو عمل أو بذل مال أو غير ذلك، ومثل هذا يسير على المرء أن يؤدي ثلاثمائة وستين صدقة كل يوم، قال: ويجزئ من ذلك؛ يعني بدلًا عن ذلك يجزئ ركعتان يركعهما في الضحى، وهذه نعمة كبيرة.

**[١١٤١]** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللهُ. رواه مسلم.

**[١١٤٢]** وعن أُمِّ هَانِئٍ فاختة بنت أَبي طالب رضي الله عنها، قالت: ذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ عَامَ الفَتْحِ فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، وَذٰلِكَ ضُحًى. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ولكن: هل لها عدد معين؟ نقول إن أقلها ركعتان، وأما أكثرها فما شاء الله، ولهذا تقول عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يصلي من الضحى أربع ركعات ويزيد ما شاء الله، ولم تحدد.

وعُلِمَ باستقراء الأحاديث أنه ﷺ لم يزد على الثمان في صلاة الضحى، ولم يرغب في أكثر من اثنتي عشرة.





## ٢٠٩- صلاة الضُّحى عند اشتداد الحرِّ

**[١١٤٣]** عن زيد بن أَرْقَم رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَى قَوْمًا يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَى، فَقَالَ: أَمَا لَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الصَّلَاةَ في غَيْرِ هٰذِهِ السَّاعَةِ أَفْضَلُ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**صَلَاةُ الأَوَّابِينَ حِيْنَ تَرْمَضُ الفِصَالُ**». رواه مسلم.

«**تَرْمَضُ**»: يَشْتَدُّ الحَرُّ.

«**الفِصَالُ**»: جَمْعُ فَصِيلٍ وَهُوَ الصَّغِيرُ مِنَ الإِبِلِ.

«**الأَوَّابِينَ**»: الأَوَّابُونَ: الرَّجَّاعُونَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالغَفْلَةِ إِلَى التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَار.

وفي قوله: "هٰذِهِ السَّاعَةِ": ربما يقصد صلاةُ الإشراقِ، وهي صلاةُ الضُّحَى في أوَّلِ وقتِها، وهذا اختيارُ الطِّيبيِّ، وابنِ حجرٍ الهيتميِّ، والرَّمليِّ، وابنِ باز، وابنِ عُثَيمين.

وقتُ صلاةِ الضُّحى يبدأُ مِن ارتفاعِ الشَّمسِ قِيدَ رُمحٍ؛ أي نحو ربع ساعة، إلى استواءِ الشَّمسِ قبلَ زوالِ الشمس، أي قبل وقت الظهر بنحو ربع ساعة.





## ٢١٠- صلاة تحيَّة المسجد

[١١٤٤] عن أَبي قتادة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: كراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل، وسواء صلَّى ركعتين بنيَّة التَّحِيَّةِ أَوْ صلاة فريضة أَوْ سنة راتبة أَوْ غيرها، والأحوط أنه لا يصلي التحية بعد صلاة العصر، ولا صلاة الفجر؛ لأن النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عن الصلاة بعد الصبح والعصر.



[١١٤٥] وعن جابرٍ رضي الله عنه قال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: «**صَلِّ رَكْعَتَيْنِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: أمرُ من دخل المسجد بصلاة ركعتين وإنْ جلس، كما روى مسلم من حديث أبي قتادة: أنه دخل المسجد فوجد النَّبِيَّ ﷺ جالسًا بين أصحابه، فجلس معهم، فقال له: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تَرْكَعَ؟**». قال: رأيتك جالسًا والناس جلوس. قال: «**فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ**».



## ٢١١- صلاة ركعَتَيْن بعد الوضوء

**[١١٤٦]** عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لِبِلَالٍ: «**يَا بِلَالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ فِي الإِسْلَامِ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ**». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أَرْجَى عِنْدِي مِنْ أَنِّي لَمْ أَتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا صَلَّيْتُ بِذٰلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أَنْ أُصَلِّيَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**الدَّفُّ:** صَوْتُ النَّعْلِ وَحَرَكَتُهُ عَلَى الأَرْضِ.

في الحديث: استحباب الصلاة بعد كل وضوء.



## ٢١٢- يوم الجمعة ووجوب الاغتسال فيه

يوم الجمعة: هو اليوم الذي خُصّت به هذه الأمة، وأضلّ الله عنه اليهود والنصارى. اليهود كان لهم السبت، والنصارى كان لهم الأحد، فكانوا تبعًا لنا مع أنهم قبلنا في الزمن، وهذا من فضائل هذه الأمة، ويستحب التطيّب لها والتّبكير إليها والدعاء والصلاة على النبي ﷺ، وفِيهِ بيان ساعة الإجابة، واستحباب إكثار ذكر الله تعالى بعد الجمعة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾ [الجمعة:٩].

والمراد به النداء الثاني الذي يكون إذا حضر الإمام، أما النداء الأول فإن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما كثر الناس في المدينة أمر أن يؤذن أذان سابق ليستعد الناس للحضور، ولقد ضل من قال إنه بدعة، ونحن نقول له: أنت المبتدع في هذا القول، وكيف يكون بدعة؟ وقد سماه الرسول ﷺ سنة، سنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، كيف تضلل الصحابة رضي الله عنهم بقائدهم عثمان بن عفان، وتدّعي أنك أنت صاحب السنة؟

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ، وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ، وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠].

والمراد بذكر الله: الخطبة والصلاة، ولهذا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة حرّم البيع إلا على من لا تجب عليه كالنساء مثلًا، والمسافر الذي في البلد إذا سمع أذان الجمعة يجب أن يحضر الجمعة، لأنه مؤمن، فإذا قال أنا مسافر، قلنا ألست مؤمنًا؟

﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾، يعني: لا تظنوا أنكم إذا فرغتم من ذكر الله في الخطبة والصلاة أنكم انتهيتم من ذكر الله، لا، ذِكر الله في كل حال، وفي كل وقت، وفي كل مكان.

فالحاصل أنه إذا قضيت الصلاة فلا جلوس بعدها ملزم، اخرج ابتغ الرزق، وابتغ من فضل الله، وفي هذا إشارة إلى أنه لا خطبة بعد صلاة الجمعة، لأن الله قال: ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ**﴾، فلا خطبة ولا كلام ولا موعظة، ولهذا قال الإمام أحمد ﷺ: إذا تكلم أحد بعد الصلاة فلا تستمع له، ولم يكن محمد ﷺ يخطب بعد الصلاة، ولم يُرْوَ عنه ذلك بحرف صحيح ولا ضعيف. يوجد بعض الناس يتخذها سنة راتبة، كلما انتهت صلاة الجمعة قام يتكلم، فتكون الجمعة فيها ثلاث خطب، من أين هذا؟!

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا**». رواه مسلم.

والمراد بذلك خير يوم من أيام الأسبوع، لئلّا يتعارض مع قول النبي ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ عَرَفَةَ**»، فإن يوم عرفة أفضل باعتبار العام، وهذا أفضل باعتبار الأسبوع.

فيه بيان ما وقع فيه، وما سيقع من الأمور العظام. وفي رواية: «**وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ**»، وفيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، لما أكلا من الشجرة وهبطا إلى الأرض، فانظر كيف أُخرج منها بمعصية واحدة؟ فما بالك بنا ونحن معاصينا كثيرة؟!



**[١١٤٨]** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا**». رواه مسلم.

قوله: « **وَزِيَادَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ**»، لأن الحسنة بعشر أمثالها.

وقوله: «**وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا**»، أي: ومن لغا فلا جمعة له، وفي الحديث النهي عن العبث في حال الخطبة.



**[١١٤٩]** وعنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ**». رواه مسلم.

يشهد لهذا الحديث قول الله تعالى: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا**﴾ [النساء:٣١].

**[١١٥٠]** وعنه، وعن ابن عمر رضي الله عنهم: أَنَّهُمَا سَمِعَا رَسُولِ الله ﷺ يَقُولُ عَلَى أَعْوَادِ مِنْبَرِهِ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونَنَّ مِنَ الغَافِلِينَ**». رواه مسلم.

**[١١٥١]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١١٥٢]** وعن أَبِي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المُرَادُ بِالمُحْتَلِمِ: البَالِغُ، وَالمُرَادُ بِالوُجُوبِ: وُجُوبُ اخْتِيارٍ.

في هذا الحديث مشروعية الاغتسال يوم الجمعة، ويتأكد على من له عرق أو ريح يتأذى به الناس.

**[١١٥٣]** وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَبِهَا وَنِعْمَتْ، وَمَنِ اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أَفْضَلُ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

فيه: دليل على أن غسل الجمعة ليس بفرض، وهو قول الجمهور.



**[١١٥٤]** وعن سَلمان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَى**». رواه البخاري.



**[١١٥٥]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الأُولَى فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ، حَضَرَتِ المَلَائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**غُسْلَ الجَنَابَةِ**»، أَيْ غُسْلاً كغُسْلِ الجَنَابَةِ في الصِّفَةِ. «**رَاحَ**»: ذهب.

وأول الساعات ارتفاع الشمس، ولابن خزيمة: على كل باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الأول فالأول، وفي الحلية: إذا كان يوم الجمعة بعث الله ملائكة بصحف من نور وأقلام من نور، ولابن خزيمة: فيقول بعض الملائكة لبعض: ما حبس فلانًا؟ فيقول: اللَّهُمَّ إن كان ضالًّا فاهده، وإن كان فقيرًا فأغنه، وإن كان مريضًا فعافه.



**[١١٥٦]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «**فِيهَا سَاعَةٌ لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**». وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١١٥٧]** وعن أَبي بُرْدَةَ بن أَبي موسى الأشعريِّ ﷺ قال: قال عبد الله بن عمر ﵄: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي شَأْنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ**». رواه مسلم.

قال الطبري: أشهر الأقوال، قول عبد الله بن سلام: إنها آخر ساعة بعد العصر.



**[١١٥٨]** وعن أوس بن أوسٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

هذا دليل على استحباب تكثير الصلاة على النَّبِيِّ ﷺ يوم الجمعة.





## ٢١٣- سُجود الشُّكر

لو كُلِّف الإنسان أن يسجد عند كل نعمة أوجدها الله، لبقي ساجدًا مدى الدهر، لكن هناك نعم تتجدّد للإنسان؛ كإنسان ولد له، أو تسهّل له زواج، أو قدِم له غائب ميئوس منه، أو حصل له مال، أو ما أشبه ذلك من النعم التي تتجدّد، فهذا يستحب للإنسان أن يسجد لله شكرًا له.

**[١١٥٩]** عن سعد بن أَبي وقاص ﷺ قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَاءَ نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا اللهَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَمَكَثَ طَوِيلًا، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَعَلَهُ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «**إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لِأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخَرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي**». رواه أَبُو داود.

فيسجد لله كما يسجد في الصلاة، ويقول: أشكرك يا ربي على هذه النعمة، وهكذا أيضًا في اندفاع النقم، ويبقى الإنسان في سلامة دائمة، ولنضرب لذلك مثلًا؛ إنسان يمشي في الطريق فانقلبت السيارة فنجا، هذه اندفاع نقمة، فيسجد لله تعالى شكرًا، ويقول: سبحان ربي الأعلى ثلاث مرات، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، اللهم إني أشكرك على أن نجَّيتني من هذه المصيبة، ويذكرها. هذا سجود الشكر، واختلف العلماء ﷺ، هل تشترط له الطهارة أو لا؟ والصحيح أنها لا تشترط، وذلك لأن هذا يأتي بغتة، والإنسان غير متأهب، فلو ذهب يتوضأ لطال الفصل بين السبب ومسببه.



## ٢١٤- قِيامُ اللَّيل (التَّهَجُّد)

التَّهَجُّد: الصلاة في الليل وقراءة القرآن بعد النوم، وهو أفضل الصلاة بعد المكتوبة، فأن يتهجد من الليل يعني لا كل الليل، لأن قيام كل الليل ليس من السنة إلا أحيانًا، كقيام عشر رمضان، وأما البقية فالسنة أن ينام ويقوم.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء:٧٩].

قوله: ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾، قيل: المعنى أن هذا خاص بك يعني وجوب التهجد، وقيل: المعنى ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾، أي زيادة فضل وهذا له ولغيره، ومن ثمرات التهجد، قال: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾. قال العلماء: إذا قال الله تعالى في القرآن عسى فهو واجب، يعني أن الله سيبعثك يوم القيامة مقامًا تحمد عليه من كل الخلائق، وهذا يوم القيامة، ومنه الشفاعة العظمى، وهي أن الناس يُبعثون في صعيد واحد؛ ليس هناك جبال ولا أشجار ولا بناء ولا أنهار، وتدنو الشمس منهم، ويطول هذا اليوم حتى يكون مقداره خمسين ألف سنة، وطبيعة الإنسان لا يستطيع أن يقف ساعة! فيلحق الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون، فينظر الناس لعل أحدًا يشفع لهم عند الله لكي يريحهم من هذا الموقف، يلهمهم الله أن يذهبوا إلى آدم، فيقولون له: ألا ترى ما نحن فيه؟ فيعتذر، ويقول: إن الله نهاه عن أكل الشجرة فأكل منها، وهذه معصية، فيذهبون إلى نوح، ولكنه يعتذر، فيذهبون إلى إبراهيم أبو الأنبياء، فيعتذر، ويقول: اذهبوا إلى موسى، فيعتذر بأنه قتل نفسًا وهو القبطي، فيقول: اذهبوا إلى عيسى، ولكنه يعتذر، ويدلهم على محمَّد ﷺ فيقول: أنا لها، ويذهب ويسجد تحت العرش، ثم يؤذن له بالشفاعة، فينزل الرب ﷻ فيقضي بينهم ويستريحون من هذا الموقف.

انظر كيف كانت هذه السلسلة؛ يعني لو شاء الله لدلهم على محمد من أول الأمر، لكن ليظهر فضل هذا النبي الكريم، ويتحقق قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾.

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة:١٦].

﴿تَتَجَافَى﴾ أي: تتباعد عن المراقد، فهم يحيون الليل بالصلاة وذكر الله ﷻ، وإذا أتموا صلاتهم ختموا ذلك بالاستغفار، كما قال تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أي في آخر الليل خوفًا من أن يكونوا قصّروا مع الله ﷻ.

وقال تعالى: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾؛ أوصاف المتّقين الذين أعد الله لهم الجنات والعيون، كانوا لا يهجعون من الليل إلا قليلًا، لأنهم يشتغلون بالقيام والتهجد وقراءة القرآن وغير ذلك، أي: يقومون لصلاة الليل وهم المتهجِّدون.

وفي حديث معاذ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ تَلَا:** ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ، فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦ - ١٧] الآية.

﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي يدعون الله دعاء المسألة، ودعاء العبادة، ودعاء المسألة أن يقولوا: يا ربنا اغفر لنا ويسر أمورنا، أما دعاء العبادة أن يقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، ويصوموا رمضان، وغير ذلك من العبادات، ولهذا قال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾، أي: يعبدونه ويسألونه ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي خوفًا من عقابه إن فعلوا حرامًا، وطمعًا في ثوابه، فما هو الجزاء وما هي الثمرة؟ يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وذلك في جنات النعيم، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

أتظنون أن قول الله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾، أتظنون أن ذلك كالذي في الدنيا؟ لا والله، ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء، اسم الرمان لكن لا يمكن أن يخطر على بالك! اسم النخل لكن لا يخطر على بالك! اسم الفاكهة لكن ما تخطر على بالك!

وروى البغوي وغيره: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ كَمَنْ قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ**».

وقال تعالى: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾ [الذاريات:١٧].

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال رجل من بني تميم لأبي: يَا أبا أسامة، صفة لا أجدها فينا، ذكر الله تعالى قومًا فقال: ﴿**كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**﴾، ونحن والله قليلًا من الليل ما نقوم، فقال له أبي رضي الله عنه: طوبى لمن رقد إذا نعس، واتقى الله إذا استيقظ.

**[١١٦٠]** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هٰذَا يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ولكن، لو قال قائل: هل الأفضل في قراءة الليل أن أطيل القيام، أو أن أطيل السجود والركوع؟ قلنا: انظر ما هو أصلح لقلبك؛ قد يكون الإنسان في حال السجود أخشع، وقد يكون في حال القيام يقرأ ويتدبر القرآن، ولكن الأفضل أن يجعل صلاته متناسبة إذا أطال القيام أطال الركوع والسجود، وإذا قصر القيام قصر الركوع والسجود، حتى تكون متناسبة كصلاة النبي ﷺ.



**[١١٦١]** وعن علي رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيْلًا، فَقَالَ: «**أَلَا تُصَلِّيَانِ؟**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

طَرَقَهُ: أي أن النبي أتاه ليلًا وطرق الباب عليه.

وفي هذا الحديث: فضل صلاة الليل، لإيقاظه ﷺ لعليٍّ وفاطمة من نومهما للصلاة.



**[١١٦٢]** وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، عن أَبِيهِ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ الله، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ**»، فَكَانَ عَبْدُ الله بَعْدَ ذٰلِكَ لَا يَنامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا. مُتَّفقٌ عَلَيْهِ.

**[١١٦٣]** وعن عبد الله بن عَمرو بن العاصِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا عَبْدَ الله، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١١٦٤]** وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّى أَصْبَحَ، قَالَ: «**ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**»، أَوْ قَالَ: «**فِي أُذُنِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ**»: أَيْ اسْتَخَفَّ بِهِ، وَاحْتَقَرَهُ، وَاسْتَعْلَى عَلَيْهِ، وَخَصَّ الأُذُنَ بِالذِّكْرِ مِنْ دُونِ عَيْنَيْهِ أَو بَقِيَّةِ حَوَاسِّهِ؛ لِأَنَّ الأُذُنَ هِيَ أَدَاةُ الانْتِبَاهِ الأُولَى لِلنَّائِمِ لِأَنَّهُ لَا يَرَى، وَخَصَّ البَوْلَ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ مَدْخَلًا فِي التَّجَاوِيفِ، وَأَوْسَعُ نُفُوذًا فِي العُرُوقِ، فَيُورِثُ الكَسَلَ فِي جَمِيعِ الأَعْضَاءِ.

والمرادُ: أن من نام عن الصلاة ولم يستيقظ حتى يصبح، ولا يصلي الفجر في وقته، تمكن الشيطان منه، وتحكم به، وساقه بعيدًا عن طريق الطاعة.

**[١١٦٥]** وعن أَبِي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَافِيَةُ الرَّأْسِ: أَيْ آخِرُهُ.



[١١٦٦] وعن عبد الله بن سلام ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ: أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

«**أَفْشُوا السَّلَامَ**»؛ فالمسلم ينبغي له أن يسلّم على كل من لاقاه، سواء عرفه أو لم يعرفه، والذي يستحق أن يسلّم عليه هو المسلم الذي لا يحل هجره، أمام الكافر فلا تبدأه بالسلام لأنه لا يستحق، وينبغي للمسلم أن يرفع صوته حتى يسمع، وألا يسلم بأنفه، لأن بعض الناس يكون عنده كبرياء أو جفاء، لا تكاد تسمعه، هذا خلاف إفشاء السلام، قال العلماء: إلا إذا سلّم على قوم أيقاظ بينهم نيام، فلا ينبغي أن يرفع صوته، لأن هذا يؤذي النائمين. ثم إن الصيغة المستحبة أن تقول: السلام عليك، وإن كانوا جماعة تقول: السلام عليكم، أو نساء تقول السلام عليكن، حسب المخاطب، فإنك تشعر أنك تدعو لهم بالسلامة، وليست مجرد تحية، ولهذا لو قلت: أهلًا ومرحبًا، بدل السلام، ما أجزأك، وليس فيها دعاء، أما المسلّم عليه، فالواجب عليه أن يرد كما سلم عليه، هذا أمر واجب لقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾، فإذا قال: السلام عليكم، فقلت: أهلًا ومرحبًا، تفضل، كل هذه الكلمات لا تجزئ، لا بد أن تقول: وعليكم السلام، فإن لم تفعل فأنت آثم.

«**أَطْعِمُوا الطَّعَامَ**»، ما معنى أطعموا الطعام؟ أن يطعم الطعام لمن يحتاج إليه، وإطعامك أهلك من الزوجة والأولاد بنين أو بنات ومن في بيتك أفضل ما يكون، أفضل من أن تتصدق على مسكين، لأن إطعامك أهلك قيام بواجب، والقيام بالواجب أفضل من القيام بالتطوع، وما فضل وزاد عن حاجتك فتصدق به.

«**صَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»، وهذا محل الشاهد من هذا الحديث، أن الرسول ﷺ جعل الصلاة بالليل من أسباب دخول الجنة، وربما كان أحسن وألذ النوم ما كان من بعد منتصف

الليل إلى الفجر، فإذا قام الإنسان في هذا الوقت يتهجد، والناس نائمون فهذا من أفضل الأعمال، وقوله: «**تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»، ظاهره أنه بلا عقاب ولا عذاب، لأن من عُذِّب لم يسلم.

**[١١٦٧]** وعن أَبِي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ: صَلَاةُ اللَّيْلِ**». رواه مسلم.

وشهر المحرم أفضل الشهور التي يتطوع بها بالصوم بعد الفريضة، وهو من الصيام المستحب، وأما الشاهد من هذا الحديث؛ أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل، فصلاة الليل أفضل من صلاة النهار، ما عدا الرواتب التابعة للمكتوبات فإنها أفضل من النفل المطلق في الليل، فمثلًا راتبة الظهر أربع ركعات بسلامين قبلها وركعتان بعدها، أفضل من ست في الليل، لأنه راتبة مؤكدة تابعة للفريضة، وأما النفل المطلق ففي الليل أفضل من النهار، ولهذا قال: أفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل.

وفي صلاة الليل فوائد كثيرة منها: أنه وقت السكون والخشوع والخضوع، مع ما فيه من البعد عن الرياء، ومنها: نزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا، ومنها: تواطؤ القلب واللسان على القراءة كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا**﴾ [المزمل:٦].

**[١١٦٨]** وعن ابن عمر ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**صَلَاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأَوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**مَثْنَى مَثْنَى**»: ركعتان ركعتان، أي: يسلّم من كل ركعتين ويوتر بركعة واحدة، ويجوز الوصل كما وردت بذلك الأحاديث الصحيحة.



**[١١٦٩]** وعنه، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أما حديث ابن عمر الأول والثاني، ففيه دليل على أن صلاة الليل تكون مثنى مثنى، لا يمكن أن تصلي أربعًا، بل لا بد من اثنتين ويسلم، اثنين ويسلم. قال الإمام أحمد رحمه الله: فإن قام إلى الثالثة ناسيًا فهو كما لو قام إلى ثالثة في الفجر، يعني: فيجب عليه أن يرجع فإن لم يفعل بطلت صلاته، يعني لو كنت تصلي بالليل على ركعتين ركعتين، فقمت إلى الثالثة ناسيًا، وجب عليك أن ترجع حتى لو بدأت في قراءة الفاتحة، فإن لم تفعل بطلت صلاتك، إلا أنه استثنى من ذلك الوتر، إذا أوتر بثلاث أو خمس أو سبع أو تسع، فإذا أوتر بثلاث فإن شاء سلّم من الركعتين الأوليين وأتى بالثالثة وحدها، وإن شاء جمع الثلاث جميعًا بسلام واحد، وإن أوتر بخمس سردها كلها بسلام واحد وتشهّد واحد، وإن أوتر بسبع كذلك، كلها بسلام واحد، وإن أوتر بتسع كذلك، إلا أنه في الثامنة يجلس ويتشهّد ولا يسلّم ثم يأتي بالتاسعة ويسلّم، وإن أوتر بإحدى عشرة سلّم من كل ركعتين كما فعل النبي ﷺ.



**[١١٧٠]** وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لَا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وَكَانَ لَا تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّيًا إِلَّا رَأَيْتَهُ، وَلَا نَائِمًا إِلَّا رَأَيْتَهُ. رواه البخاري.

ولم يكن لتهجده ﷺ وقت معين، بل بحسب ما يتيسر له القيام، وفيه دليل على أن رسول الله ﷺ كان أحيانًا يديم العمل الصالح، حتى لا تراه إلا على هذا العمل، فأحيانًا يديم الصوم وأحيانًا يديم الفطر، وأحيانًا يديم النوم، لأنه عليه السلام يتبع ما هو الأفضل وما هو الأريح لبدنه.



**[١١٧١]** وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً- تَعْنِي فِي اللَّيلِ- يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذٰلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلَاةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُنَادِي للصَّلاةِ. رواه البخاري.

في هذا الحديث: مشروعية تطويل صلاة الليل في قيامها وركوعها وسجودها، وفيه دليل على أنه ينبغي أن يصلي الإنسان الراتبة في بيته أفضل من المسجد، لاسيما الإمام، وفيه أيضًا أن الإمام لا يخرج من بيته إلا للإقامة، فيبقى في بيته حتى يأتي وقت الإقامة، أما غير الإمام فينتظر الإمام، إن لم يكن لهذا سبب أو في تقدمه مصلحة مثل أن يكون تقدمه يشجع المصلين فيتقدمون، ولو تأخر لكسلوا.



**[١١٧٢]** وعنها قالت: مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعًا فَلَا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلَا يَنَامُ قَلْبِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: أنه ﷺ يديم التهجُّد في رمضان وفي غيره، ولكنه إذا أراد الزيادة أطال الصلاة.

وفيه: أنه لا ينبغي النوم قبل الوتر، إلا لمن وثق بالقيام، وقد ظن بعض الناس أنها أربع مجموعة بسلام واحد، وهذا خطأ، لأنه قد جاء مفصلًا مبينًا أنها أربع ركعات، يسلّم من كل ركعتين، وأربع ركعات يسلّم من كل ركعتين، وثلاث ركعات، ففي هذه المسألة ينبغي للإنسان ألا يتعجل في فهم النصوص، بل يجمع شواردها حتى يضم بعضها إلى

بعض ليتبين له الأمر، فبعض الإخوان يصلّون بالناس أربع ركعات جميعًا، وهذا غلط وفهم خاطئ، لأن النبي ﷺ سئل عن صلاة الليل فقال: مثنى مثنى، لا يمكن أن يصلي أربعًا، وممكن أن يصلي خمسًا جميعًا، وسبعًا جميعًا، وتسعًا جميعًا.

**[١١٧٣]** وعنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: أن غالب أحواله ﷺ نوم أول الليل وقيام آخره.

**[١١٧٤]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قَائِمًا حَتَّى هَمَمْتُ بِأَمْرِ سُوءٍ! قِيلَ: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال: هممت أن أجلس وأدعه وهو شاب! والرسول ﷺ أسنّ منه، ومع ذلك كان يقف ويطيل حتى يعجز الشباب عن قيامه، والمرة الثانية صلى معه حذيفة بن اليمان فبدأ بسورة البقرة فأتمها، ثم بدأ بسورة النساء فأتمها، ثم بدأ بسورة آل عمران فأتمها، وهذه السور الثلاث تمثل خمسة أجزاء وربع بالترتيل، كم تستغرق من وقت؟ والنبي ﷺ واقف فيجمع بين القراءة والذكر والدعاء، مع هذا الطول العظيم، ثم ركع، وكان ركوعًا نحوًا من قيامه، ثم رفع قائلًا: سمع الله لمن حمده، وكان قيامه نحوًا من ركوعه، ثم سجد فكان سجوده نحوًا من قيامه، وهكذا صلاته، فالصلاة روضة من رياض العبادات، ولهذا كانت هي أفضل العبادات البدنية، أفضل من الصيام، وأفضل من الزكاة، وأفضل من الحج، وأفضل من كل العبادات، إلا التوحيد؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، لأن هذا هو مفتاح الإسلام.



**[١١٧٥]** وعن حذيفة ﵁ قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المَائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقرأُ مُتَرَسِّلًا: إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ**»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم.

قال الله تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [الزمر:٩].

وقد اختلف العلماء ﵏ أيهما أفضل؛ طول القراءة مع تخفيف الركوع والسجود، أو الأفضل تقصير القراءة والركوع والسجود؟ والصواب أن الأفضل في ذلك أن تكون الصلاة متناسبة.



**[١١٧٦]** وعن جابر ﵁ قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**طُولُ القُنُوتِ**». رواه مسلم.

المراد بالقُنُوتِ: القِيام، والمراد بطول القُنُوتِ؛ طول الخشوع لله ﷻ، والقيام والركوع والسجود.

في هذا الحديث: دليل على فضل تطويل القيام في صلاة الليل؛ لأنه محل قراءة القرآن، ولأن النبي ﷺ كان يطوّل القيام في الليل، أكثر من تطويل السجود.



**[١١٧٧]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى الله صَلَاةُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى الله صِيَامُ دَاوُدَ؛ كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

كان عبد الله بن عمرو من المتعبِّدين، فأخبر النبي ﷺ أنه كان يقول: والله لأصومنَّ النهار، ولأقومنَّ الليل ما عشت، فقال له النبي ﷺ: «**فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ...**»، الحديث.

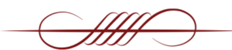
ومحصّل قصة عبد الله بن عمرو، أن الله لم يتعبد عبده بالصوم خاصة، بل تعبده بأنواع من العبادات، فلو استفرغ جهده لقصَّر في غيره، فالأولى الاقتصاد فيه، ليستبقي بعض القوة في غيره، وفيها النهي عن التعمق في العبادة لما يخشى من إفضائه إلى الملل أو ترك البعض.

وكان داود عليه السلام يجمّ نفسه بنوم أول الليل، ثم يقوم في الوقت الذي ينادي الله فيه: هل من سائل فأعطيه سؤاله، ثم يستدرك بالنوم ما يستريح به من نصب القيام في بقية الليل، وفيه من المصلحة، استقبال صلاة الصبح وإذكار النهار بنشاط.



**[١١٧٨]** وعن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لَا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**». رواه مسلم.

فيه الحديث: الحثُّ على الدعاء في الليل، رجاء مصادفة ساعة الإجابة، وأحرى ما تكون في النصف الأخير، وهذه الساعة غير معلومة بعينها، لكن الرسول ﷺ أخبرنا بهذا من أجل أن نجتهد، وأن نتحرى، وهذه الساعة كساعة يوم الجمعة مبهمة.



**[١١٧٩]** وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلَاةَ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ**». رواه مسلم.

قيل: الحكمة في هذه الركعتين إذهاب ما قد يبقى في الجسد من كسل النوم.

**[١١٨٠]** وعن عائشة ﷺ قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رواه مسلم.

هذه سنة فعلية للنبي ﷺ، وقد ثبتت هذه السنة بقوله أيضًا في الحديث الذي سبقه.

**[١١٨١]** وعنها ﷺ قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ مِن اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ، صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً. رواه مسلم.

وفيه: استحباب قضاء الفوائت من النوافل المؤقتة، وكانت صلاته ﷺ بالليل إحدى عشرة ركعة، فالإنسان إذا فاته قيام الليل فإنه يقضيه من النهار، ولكنه لا يوتر، كما دل على ذلك حديث عائشة، أن النبي ﷺ إذا غلبه وجع أو نوم، فلم يصلّ في الليل، صلى في النهار ثنتي عشرة ركعة، لأنه ﷺ كان يواظب في أكثر أحيانه على إحدى عشرة ركعة، فكان يقضي ما هو الأكمل والأكثر، وعلى هذا، فإذا كان من عادة الإنسان أنه يوتر بثلاث ولم يقم، فإنه يقضي بالنهار أربعًا ولا يقضي ثلاثًا، وإذا كان من عادته أن يوتر بخمس يقضي ستًّا وهكذا، ولكن متى يقضي؟ إنه يقضي ذلك في الضحى، فإن نسي ولم يتذكر إلا بعد الظهر قضاه بعد الظهر، لعموم قول النبي ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا**».



**[١١٨٢]** وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ**». رواه مسلم.

**[١١٨٣]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّى، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

النَّضَحُ: ما ترشَّ من الماء.

أخبر النبي ﷺ أن من قام من الليل فصلى وأيقظ زوجته للصلاة، فامتَنَعت من الاستيقاظ لغَلَبة النوم وكثرة الكسل، كما يحدث أحيانًا مع تلاميذ المدرسة، أو الموظف حين يتأخر عن وظيفته، فالعبادة لله أحق وأولى، فإذا رشّ على وجْهِها أو رشت على وجهه الماء رشًّا خفيفًا؛ برفق ولطف، فإنه يكون كل منهما مستحقًّا لرحمة الله تعالى.

في هذا الحديث: الحثُّ على التعاون على الطاعة، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾ [طه:١٣٢].

هذا يعني؛ ليس من اللازم أن توقظ أهلك معك، قد يكون أهلك ليسوا مثلك في النشاط البدني أو في النشاط النفسي، إلا إذا رأيت أنهم يرغبون، ولكن لا تنسهم من صلاة الفريضة أو من آخر الليل، يقومون ولو للوتر، كما كان رسول الله ﷺ يفعل.

**[١١٨٤]** وعنه وعن أَبي سعيدٍ ﷺ قالَا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا، أَوْ صَلَّى، رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

في الحديث: فضيلة أمر الرجل أهله بصلاة النوافل والتطوعات كما في الفرض، ومشروعية الجماعة فيها، ولكن صلاة الجماعة في النوافل تكون أحيانًا، وليس في كل مرة.

**[١١٨٥]** وعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَرْقُدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبَّ نَفْسَهُ**». متفقٌ عَلَيْهِ.

في الحديث: الندب إلى الرقاد إذا غلبه النعاس؛ لأن لبَّ الصلاة الخشوع فيها، والحضور مع الله ﷻ، وإنما يكون ذلك مع نشاط العقل وصحة القلب، وسلامته من الكسل.

**[١١٨٦]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ القُرْآنَ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ**». رواه مسلم.

استعجم: أي التبس، والمعنى: أن غلبة النعاس عليه تمنعه من تدبر القرآن.





## ٢١٥- قِيام رمضانَ (التَّراوِيح)

التَّراوِيحُ سُنَّةٌ، وهي عشرون ركعةً أو أقل أو أكثر، وعشر ركعات إذا خشع فيها ورتل القراءة أحسن من العشرين بلا خشوع ولا تدبّر، وسمِّيت تراويح، لأن السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا يقومون رمضان،ويطيلون القيام والركوع والسجود، فإذا صلُّوا أربع ركعات، يعني بتسليمتين، استراحوا، وإذا صلُّوا أربعًا استراحوا، ثم يصلُّون ثلاثًا، وهذا يؤيده حديث عائشة رضي الله عنها السابق، كان يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعًا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا.

[١١٨٧] عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



[١١٨٨] وعنه رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُرَغِّبُ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ، فَيَقُولُ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». رواه مسلم.

وقام النبي ﷺ بأصحابه ثلاث ليال في رمضان، يصلي بهم جماعة، ثم تأخر وقال: إني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها فتركه، وبقي الناس يأتون إلى المسجد يصلون الرجلين والثلاثة، كلٌّ يصلي مع صاحبه، فخرج عمر ذات ليلة فوجدهم يصلون متفرقين، فرأى أن يجمعهم على إمام واحد، فأمر أبيّ بن كعب وآخر معه أن يصلِّيا بالناس إحدى عشرة ركعة، فاجتمع الناس على إمام واحد، وبقي المسلمون على هذا إلى يومنا هذا.

لكن اختلف العلماء في عدد ركعات التراويح؛ فمنهم من قال: إحدى عشرة ركعة، ومنهم من قال: ثلاث عشرة ركعة، ومنهم من قال: ثلاث وعشرون ركعة، ومنهم من قال أكثر من ذلك، والأمر في هذا واسع.

ونقول: صلّ ما شئت ما دامت جماعة المسجد قد رضوا بذلك، ولم ينكر أحد، أما إذا اختلف الناس فالرجوع إلى السنة أولى، والسنة ألا يزيد على ثلاث عشرة ركعة، لأن عائشة سُئلت كيف كان النبي ﷺ يصلي في رمضان؟ فقالت: كان لا يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة، ومع عدم الخلاف فإنه يصلي ثلاثًا وعشرين أو أكثر، ما دام الناس لم يقولوا خفِّف، فإذا قالوا: خفف، فلا يزيد على إحدى عشرة، أو ثلاث عشرة ركعة.





## ٢١٦- قِيام ليلة القَدْر وبيان أرجَى ليَاليها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١].

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ﴾ أي القرآن، ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أي: الفضل والشرف، وهي ليلة يقدِّر الله فيها أمر السّنة في عباده وبلاده إلى السنة المقبلة.

قال ابن عباس وغيره: أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزَّة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ أي: تعظيم لشأنها.

﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ أي: العمل فيها أفضل من عبادة ألف شهر.

﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ أي: جبريل.

﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ مع نزول البركة والرحمة.

﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ أي: لأجل كل أمر قُدِّر في تلك السنة.

﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ أي: ليلة القدر، سلام وخير كلها ليس فيها شر، وقال مجاهد: يعني أن ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا ولا أن يحدث فيها أذى.

﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾. قال الشعبي: تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان:٣].



**[١١٨٩]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: أن من قام ليلة القدر مؤمنًا بها ومحتسبًا العمل فيها، أنه يرجى له مغفرة ذنوبه.

[١١٩٠] وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ: أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي المَنَامِ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الأَوَاخِرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[١١٩١] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُجَاوِرُ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَيَقُولُ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضانَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قولها: "يُجَاوِرُ"، أي: يعتكف في العشر الأواخر يتحرى ليلة القدر فيها.

[١١٩٢] وعنها رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ فِي الوَتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**». رواه البخاري.

«**فِي الوَتْرِ**»: أي الحادية والعشرين، والثالثة، والخامسة، والسابعة، والتاسعة.

قال الحافظ: ليلة القدر منحصرة في رمضان، ثم في العشر الأخير منه، ثم في أوتاره لا في ليلة بعينها، وهذا هو الذي يدل عليه مجموع الأخبار الواردة فيها، وقال بعد ما ذكر الاختلاف فيها على ستة وأربعين قولًا، وأرجحها كلها أنها في وتر من العشر الأخير، وإنما تنتقل، وأرجاها عند الجمهور ليلة سبعة وعشرين.



**[١١٩٣]** وعنها ﵂ قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: إِذَا دَخَلَ العَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ، وَشَدَّ المِئْزَرَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: استحباب إحياء ليالي العشر بالصلاة والذكر والفكر وأنواع العبادات، وإيقاظ الأهل، وبذل الجهد في الطاعة، واعتزال النساء في ليالي العشر ليتقوَّى على العبادة.

**[١١٩٤]** وعنها قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رواه مسلم.

**[١١٩٥]** وعنها قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قال العلماء: الحكمة في إخفاء ليلة القدر ليحصل الاجتهاد، وفي التماسها، بخلاف ما لو عينت لها ليلة لاقتصر عليها، كما تقدم نحوه في ساعة الجمعة، وليلة القدر سميت بذلك لوجهين:

الوجه الأول: أنه يقدر فيها ما يكون في السنة من أعمال بني آدم وغيرها، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**﴾، يعني: يفصل ويبيّن.

والوجه الثاني: أن ذلك الشرف، أي ليلة القدر، لأن قدرها عظيم، ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿**خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ**﴾، هذه الليلة خصت بفضلها هذه الأمة، فكانت لها، ويذكر أن النبي ﷺ عُرضت عليه أعمار أمته فتقاصرها، فأعطي ليلة القدر، وجعلت هذه

الليلة خيرًا من ألف شهر، فإذا كان الإنسان له عشرون سنة، صار له عشرون ألف سنة في ليلة القدر، وهذا من فضل الله ﷻ على هذه الأمة، وقد خصها الله بخصائص لم تكن لمن سبقهم.

وقد وردت أحاديث عن عائشة رضي الله عنها، مما يدل على فضل هذه المرأة، وأنها حفظت لأمة محمد ﷺ من سنته ما لم تحفظه امرأة أخرى من النساء. تقول عائشة للرسول ﷺ: أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيُّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قال: «**قُولِي: اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**».

قال العلماء: معنى العفو يعني خذ ما عفي من الناس، يعني ما سهل منه خذه، ولا تشد الحبل، فخذ العفو، واترك ما وراء ذلك، وهذا من آداب القرآن أن الإنسان يكون واسع الصدر لبني آدم يأخذ العفو.





## ٢١٧- السِّواكُ وخِصَالُ الفِطْرَة

[١١٩٦] عن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي- أَوْ عَلَى النَّاسِ- لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

السواك من التسوك، وهو دلك الأسنان واللثة واللسان بعود الأراك، أو بغيره من كل عود يشابهه، والصحيح أنه يحصل أيضًا بأية أداة أخرى كالإصبع وفرشاة الأسنان، لكن العود أفضل. والسواك فيه فائدتين عظيمتين؛ كما في حديث عائشة، أن النبي ﷺ قال: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِ**». يعني: يطهر الفم من الأوساخ والأنتان مما يضر. والفائدة الثانية: مرضاة للرب، أي أنه من أسباب رضا الله، وهو سنة بالإجماع، وهو مشروع في كل وقت، ويتأكَّد عند الصلاة والوضوء وقراءة القرآن، والانتباه من النوم، وتغير الفم.

[١١٩٧] وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشَّوْصُ: الدَّلْكُ، وفيه استحباب السواك عند القيام من النوم؛ لأنه مقتضى لتغير الفم لما يتصاعد إليه من أبخرة المعدة، وهو سنة، ومشروع كل وقت حتى للصائم بعد الزوال، وأما من كره ذلك من أهل العلم فقوله لا دليل عليه.



[١١٩٨] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنَّا نُعِدُّ لِرَسُولِ الله ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوضَّأُ وَيُصَلِّي. رواه مسلم.



**[١١٩٩]** وعن أنس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ فِي السِّوَاكِ**».

رواه البخاري.

وذلك لمبالغته ﷺ في بيان فضله.

**[١٢٠٠]** وعن شريح بن هانئٍ، قال: قلت لعائشة ﷺ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسِّوَاكِ. رواه مسلم.

**[١٢٠٢]** وعن عائشة ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ للرَّبِّ**».

**[١٢٠٣]** وعن أَبي هريرة ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أَوْ خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأَظْفَارِ، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الاسْتِحْدَادُ: حَلقُ العَانَةِ، وَهُوَ حَلْقُ الشَّعْرِ الَّذِي حَوْلَ الفَرْجِ.

الفِطْرَةُ: الجِبِلَّةُ التي خلق الله الناس عليها، والمراد بذلك الفطر السليمة لأن الفطر المنحرفة لا عبرة بها.

الخِتَانُ: الذي يسمى عند الناس الطهارة، وهو للرجال والنساء، أما الرجال فختانهم واجب، وأما النساء فختانهن سنة، وذلك أن الرجل إذا لم يختن وبقيت الجلدة التي فوق الحشفة فإنه يحتقن بها البول وتكون سببًا في النجاسة، وهي أيضًا سبب مشقة شديدة عند الجماع، ولهذا كان كثير من الكفار الآن يختتنون، لا لأجل الطهارة والنظافة، لكن من أجل التلذذ عند الجماع، وهنا أنبّه على مسألة، وهي أن بعض الناس قد يولد مختونًا. ومتى يكون الختان؟ يكون من اليوم السابع فما بعده، وكلما كان في الصغر فهو أفضل؛ لأن ختان الصغير يكون فيه ألم جسمي فقط، أما الكبير فإنه يكون فيه ألم جسمي وقلبي.

الاسْتِحْدَادُ: كما ذكرنا، يعني حلق العانة، والعانة هي الشعر الخشن الذي ينبت حول القبل باستعمال آلة حادة وهي الشفرة، وهو من علامات البلوغ، لأنه إذا طال يتلوّث بالنجاسة، ويحصل في ذلك وسخ وقذر.

قَصُّ الشَّارِبِ: وهو الشعر النابت فوق الشفة العليا، لأن بقاءه يكون فيه تلويث بما يخرج من الأنف من الأذى ثم عند الشرب، وربما يحمل ميكروبات ضارة، وهو من السنة ومن التقرب إلى الله.

قَصُّ الأَظْفَارِ: يعني تقليمها، والمراد بذلك أظافر اليدين والرجلين، ولا ينبغي أن نقص حتى يصل إلى اللحم لأن هذا يضر، لكن نقصها قصًّا معتدلًا.

نَتْفُ الإِبْطِ: إذا كان فيه شعر، فإنها تنتف ولا تقص ولا تحلق، لأن النتف يزيلها بالكلية ويضعف أصولها حتى لا تنبت فيها بعد، وهذا أمر مطلوب شرعًا.



[١٢٠٥] وعن ابن عمر ﵄، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَحْفُوا الشَّوَارِبَ وَأَعْفُوا اللِّحَى**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أَحْفُوا الشَّوَارِبَ: أحفوا ما طال منها على الشفتين.

أَعْفُوا اللِّحَى: وفّروا. قال النووي: ورد في هذا اللفظ في الصحيحين خمس روايات: «أعفوا» و«أوفوا» و«أرخوا» و«أرجوا» و«وفروا»، ومعناها كلها: تركها على حالها.

وعن زيد بن أرقم ﵁ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَأْخُذْ مِنْ شَارِبِهِ فَلَيْسَ مِنَّا**». رواه أحمد، والنسائي، والترمذي.

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأَرْخُوا اللِّحَى، خَالِفُوا المَجُوسَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وعن ابن عمر ﭬ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَالِفُوا الْمُشْرِكِينَ، وَوَفِّرُوا اللِّحَى، وَأَحْفُوا الشَّوَارِبَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وكان ابن عمر إذا حجَّ أو اعتمر قبض على لحيته فما فضل أخذه.

وقيل: إعفاء اللحية معناه لا يقصّ منها شيئًا، وعلى أنها من علامة الرجولة، بل ومن جمال الرجولة، وعلى هذا فلا يجوز للإنسان أن يحلق لحيته.

أما بعد أن استعمر الكفار بلاد المسلمين في مصر والشام والعراق وغيرها، صار الناس لا يبالون بحلقها، بعضهم قال: إن من الكفار اليوم من يعفي لحيته أفلا يليق بنا أن نخالفهم ونحلق اللحى؟ لا ينفع أن نعدل عن الفطرة من أجل أنهم وافقونا فيها، كما أنهم إذا وافقونا في تقليم الأظفار فإننا لا نقول نترك تقليم الأظفار!

وعن عائشة ﭭ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَبْصَرَ رَجُلًا وَشَارِبُهُ طَوِيلٌ، فَقَالَ: «**ائْتُونِي بِمِقَصٍّ وَسِوَاكٍ**»، فجعل السواك على طرفه، ثم أخذ ما جاوزه.

وعن أنس بن مالك ﭬ قال: وَقَّتَ لَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي قَصِّ الشَّارِبِ، وَتَقْلِيمِ الأَظَافِرِ، وَنَتْفِ الإِبْطِ، وَحَلْقِ العَانَةِ، أَنْ لَا تُتْرَكَ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً. رواه الخمسة إلا ابن ماجة.

أما الختان فيفعل مرة واحدة وينتهي أمره، أما الأربع الباقية فإنها لا تترك فوق أربعين يومًا، ولا يحلق الشارب بالموسى حتى إن الإمام مالك ﬀ قال: أرى أن يؤدّب من حلق شاربه لأنه يشوه الخلقة ولأنه خلاف السنة، فالسنة حفه أو تقصيره. وفي الإبط؛ نجد بعض الناس يشق عليه النتف جدًّا، فلا بأس من استخدام الأدهان وشبهها.





## ٢١٨- الزكاة وما يتعلق بها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» [البقرة:٤٣].

الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام لقول النبي ﷺ في حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ،...**»، والله ﷻ يذكرها كثيرًا مع الصلاة في القرآن الكريم، ولهذا اختلف العلماء رحمهم الله هل تاركها يكفر كما يكفر تارك الصلاة أم لا؟ على قولين.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥].

وإخلاص العمل لله: ألا يبتغي الإنسان شيئًا بعمله سوى الله ﷻ، لا يبتغي به دنيا ولا جاهًا ولا رئاسة ولا غير ذلك، لا يريد إلا ثواب الله، وقوله ﴿حُنَفَاءَ﴾: يعني مائلين عن كل دين باطل إلى دين الملَّة المستقيمة وهو الإسلام.

وَقَالَ تَعَالَى: «**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ**﴾ [التوبة:١٠٣]. هذه الآية: نزلت في أبي لبابة وأناس من الصحابة تأخروا عن الجهاد كسلًا، وهي عامة في جميع المؤمنين، وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادعُ لهم، فالصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.



**[١٢٠٦]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ؛ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والزكاة هي: التعبد لله تعالى في دفع مال مخصوص مقدر: ربع العشر، نصف العشر، العشر، يُدفع لطائفة مخصوصة.

والزكاة لها فوائد عظيمة، منها:

- تكميل إسلام العبد لأنها أحد أركان الإسلام، وهي أفضل من الصدقة، يعني أن المائة دينار زكاة أفضل من مائة دينار صدقة.

- أن الإنسان يخرج بها عن دائرة البخلاء إلى دائرة الكرماء.

- مضاعفة الحسنات.

- أن فيها جبرًا لقلوب الفقراء ودفعًا لحاجتهم وحماية من غضبهم، لأن الفقراء إذا لم يعطوا من مال الأغنياء ربما يغضبون ويتجرؤون ويكرهون الأغنياء، ويرون أنهم في واد والأغنياء في واد، والأمة الإسلامية أمة واحدة.

- أنها سبب في شرح الصدر، لأن الإنسان كلما بذل شيئًا من ماله شرح الله له صدره، وهذا شيء مجرب وواقع.

- أنها تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء، وهذه فائدة عظيمة، يعني الإنسان يموت على أحسن حال وحسن الخاتمة.

- أنها تلين القلب، لأن الله إنما يرحم من عباده الرحماء.

ولها فوائد كثيرة أخرى. قال عطاء الخرساني: الزكاة طهور من الذنوب، ولا يقبل الله الإيمان ولا الصلاة إلا بالزكاة.



**[١٢٠٧]** وعن طَلْحَةَ بن عبيد الله ﵁ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرُ الرَّأْسِ نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ، وَلَا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّى دَنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَسْأَلُ عَنِ الإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ**»، وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ**». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ**». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ الزَّكَاةَ، فَقَالَ: هَلْ

عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**»، فَأَدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللهِ لَا أَزِيدُ عَلَى هٰذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية للبخاري قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئًا.

دلّ هذا على أنه لا يجب في اليوم والليلة أكثر من خمس صلوات، فالوتر ليس بواجب لكنه سنة مؤكدة، وتحية المسجد ليست بواجبة لكنها سنة مؤكدة، وصلاة العيدين ليست بواجبة لكنها سنة مؤكدة، وهكذا باقي السنن في الصلاة والصيام والصدقة والعمرة، وقول النبي ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**»، فهذا دليل على أن الإنسان إذا اقتصر على الواجب في الشرع فإنه مفلح، ولكن لا يعني هذا أن لا يأتي بالتطوع، لأن التطوع تكمل به الفرائض يوم القيامة، وكم من إنسان أدى الفريضة وفيها خلل، وفيها خروق، وفيها خدوش تحتاج إلى تكميل.



**[١٢٠٨]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «**ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذٰلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ تَعَالَى افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذٰلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ، وتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

بدأ بالدعاء إلى الشهادتين لأنها أساس الإسلام، ثم الأهم فالأهم، ولم يذكر الصوم والحج في هذا الحديث؛ لأن الكلام في الدعاء إلى الإسلام، فاكتفى بالأركان الثلاثة، لأن كلمة الإسلام هي الأصل، وهي شاقة على الكفار، والصلوات شاقة لتكررها، والزكاة شاقة لما في جبلة الإنسان من حب المال، فإذا أذعن لهذه الثلاثة كان ما سواها أسهل بالنسبة إليها.



**[١٢٠٩]** وعن ابن عمر ﵄، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُم عَلَى الله**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني: إذا فعلوا ذلك فقد استسلموا ظاهرًا فيعصمون دماءهم وأموالهم وحسابهم على الله، لأن من الناس من يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، وقلبه منطوٍ على الكفر، ولهذا قال: حسابهم على الله. والفائدة من هذا الحديث: أن تارك الصلاة ومانع الزكاة وجب على الإمام قتاله إن لم يتب.

وفيه: أن من أتى بالشهادتين والتزم أحكام الإسلام، جرت عليه أحكام المسلمين سواء كان في الباطن كذلك أم لا، لأن الأحكام إنما تجري على الظواهر.



**[١٢١٠]** وعن أَبي هريرة ﵁ قال: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﵁، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقَالَ عُمَرُ ﵁: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى الله**»؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَالله لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَالله لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. قَالَ عُمَرُ ﵁: فَوَالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أهل الردة صنفان: صنف رجعوا إلى عبادة الأوثان، وصنف منعوا الزكاة. وإنما أراد عمر الصنف الثاني، وإنما قاتلهم الصِّدِّيق ولم يعذرهم بالجهل؛ لأنهم نصبوا القتال، فجهَّز إليهم من دعاهم إلى الرجوع، فلما أصروا قاتلهم. وظاهر السياق أن عمر كان موافقًا على قتال من جحد الصلاة فألزمه الصدّيق بمثله في الزكاة، لورودهما في الكتاب والسنَّة موردًا

واحدًا. قال الحافظ: فمن صلَّى عصم نفسه، ومن زكَّى عصم ماله، فإن لم يُصلّ قُوتِل على ترك الصلاة، ومن لم يُزَكِّ أخذت الزكاة من ماله قهرًا، وإن نصب الحرب لذلك قُوتِل.

والمراد بالعقال: الحبل الذي يُربط ويُعقل به البعير، والمراد به المبالغة، والحاصل أنهم متى منعوا شيئًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ ولو قلّ، فقد منعوا شيئًا واجبًا، إذ لا فرق في منع الواجب وجحده بين القليل والكثير.

**[١٢١١]** وعن أَبي أَيُّوب ؓ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الجَنَّة، قَالَ: «**تَعْبُدُ اللهَ، لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في الحديث: أن من وحَّد الله، وقام بأركان الإسلام، ووصل رحمه، دخل الجنة.

الرحم: هم القرابة من جهة الأب أو من جهة الأم، وصلتهم بما جرى به العرف والعادة، لأن النبي ﷺ لم يبيّن كيفية الصلة، وكل شيء جاء في الكتاب والسنة ولم يبين فإن مرجعه إلى عادة الناس وعرفهم، وهذا يختلف باختلاف الأحوال والأزمان والبلدان، ففي حالة الفقر تكون صلتهم بإعطائهم المال، وإذا كان هناك مرضى فإن صلتهم أن تعودهم، وإذا كانت الأمور ميسرة وليست هناك حاجة كما في عرفنا اليوم، فإنه يكفي أن تصلهم بالهاتف.

**[١٢١٢]** وعن أبي هريرة ؓ: أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ، دَخَلْتُ الجَنَّةَ؟ قَالَ: «**تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ**». قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا أَزِيدُ عَلَى هٰذَا، فَلَمَّا وَلَّى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هٰذَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٢١٣]** وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى إِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية قال: بايعت النبي ﷺ على السمع والطاعة، فلقنني: فيما استطعت، والنصح لكل مسلم، واقتصر على ذكر الصلاة والزكاة لشهرتهما، ولم يذكر الصوم وغيره لدخول ذلك في السمع والطاعة، وكانت مبايعة النبي ﷺ لأصحابه بحسب ما يحتاج إليه من تجديد عهد، أو توكيد أمر، فلذلك اختلفت ألفاظهم.



## ٢١٩- صَوْمِ رمضانَ

صوم رمضان: هو التعبد لله ﷻ بترك الأكل والشرب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لا أن يتركها على العادة أو من أجل صحة البدن، أو تخسيس الوزن، ولكنه يتعبد لله بذلك، وهو أحد أركان الإسلام، هذه منزلته، وهو فرض بإجماع المسلمين لدلالة الكتاب والسنة على ذلك، واختلف العلماء فيما لو تركه تهاونًا أو كسلًا هل يكفَّر أم لا؟ والصحيح أنه لا يكفَّر، وأنه لا يكفَّر الإنسان بترك شيء من أركان الإسلام سوى الشهادتين والصلاة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُم الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ إِلَى قَوْله تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُم الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة:١٨٣- ١٨٥].

﴿كُتِبَ﴾: فُرض. ﴿كَمَا كُتِبَ﴾: كما فُرض. ﴿عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾؛ ذكر الله تعالى أنه فرض على من قبلنا، ولم يذكر مثل ذلك في الصلاة، لأن الصيام فيه مشقة وتعب وترك المألوف، ولا يخفى أنه في أيام الحر وطول النهار يكون شديدًا على النفوس، فذكر الله أنه فرضه على من قبلنا تسلية لنا، لأن الإنسان إذا علم أن هذا الشيء له ولغيره هان عليه.
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: لأجل أن تتَّقوا الله، فيقيك الله من المعاصي، ويقيك من النار لأن من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه، وهذه هي الحكمة من إيجاب الصوم، ويدل على هذا قوله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلِ بِهِ، فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»، لأن الله لم يرد أن يعذب العباد بترك ما يشتهون ويألفون، ولكنه أراد أن يدعوا قول الزور والعمل به والجهل.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة:١٨٤]؛ كانوا مخيَّرين في أول الإسلام بين الصيام والإطعام، ثم نسخ بقوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥]، ثم قال: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ ليبيّن أن المسألة ليست شهورًا ولا سنوات، وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ أي من كان يشق عليه الصوم أو سافر فإنه يفطر ويقضي، ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ﴾وهم مقيمون ﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾. هذا في أول الأمر؛ أول ما فرض الله الصوم، قال للذين يطيقونه عليكم فدية طعام مسكين، فخير الله الناس في أول الأمر بين أن يصوم الإنسان أو يطعم عن كل يوم مسكينًا، ثم تعيّن الصيام في الآية التي بعدها، ووجه ذلك أن الصوم أشقّ على كثير من الناس من إطعام المسكين، فلما كان أشق علم أنه أفضل، ليس معنى ذلك أن الإنسان يطلب المشقة في العبادات، هذا من التنطُّع في الدين، لكن إذا كلفك الله بعبادة وشقت عليك صار هذا أعظم، أما أن تتطلب المشقة كما يفعل بعض الجهال في أيام الشتاء مثلًا يذهب فيتوضأ بالماء البارد؛ يقول: لأن إسباغ الوضوء على المكاره مما يرفع الله به الدرجات ويمحو به الخطايا، نقول: لا، ما هذا أراد الرسول ﷺ، لم يقل: اقصد الماء البارد، فإذا منّ الله عليك بالماء الساخن فهذا أفضل. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنكُمْ مَرِيضًا﴾.

والمرض ثلاثة أقسام:

١- مرض لا يرجى برؤه بل هو مستمر، فهنا يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا، كالكبير العاجز عن الصوم مثلًا.

٢- المريض مرضًا يضره الصوم، ويخشى عليه أن يهلك به، فإنه يفطر ويكفّر، كمريض لا يستطيع الاستغناء عن الماء، مثل بعض أنواع مرض السكري والكلى، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.

٣- ومرض يشق معه الصوم لكن لا ضرر فيه، والأفضل أن يفطر ويقضي.

وأما السفر، فإنه ينقسم كالمرض إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم يضره الصوم ويشق عليه، مثل أن يسافر في أيام الحر الطويلة، فهذا يكون عاصيًا إذا صام، والدليل لذلك أن النبي ﷺ لما شكا إليه بعض الناس في السفر، دعا بماء فشربه والناس ينظرون إليه، وكان ذلك بعد العصر، ولكن بعض الصحابة بقوا على صومهم، فقال: أولئك العصاة، أولئك العصاة، لأنهم لم يقبلوا رخصة الله.

القسم الثاني: من يشق عليه مشقة ولكنها محتملة، فهذا يكره له الصوم وليس من البرّ أن يصوم، ودليل ذلك أن النبي ﷺ كان في سفر، فرأى زحامًا ورجلًا قد ظُلل عليه، قال: «**مَا هٰذَا؟**». قالوا: صائم، فقال ﷺ: «**لَيْسَ مِنَ البِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ**».

القسم الثالث: من لا يتأثر بالسفر إطلاقًا، لأن النهار قصير والجو بارد ولا يهمه، فهذا اختلف فيه العلماء: أيهما أفضل؛ يفطر أو يصوم أو يخيّر؟ والصحيح أن الأفضل أن يصوم، لأن الصيام مع الناس أيسر من القضاء، ولأنه أسرع في المبادرة في إبراء الذمة، ولأنه يوافق شهر رمضان، فمن أجل ذلك كان الصوم أفضل.



**[١٢١٥]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ**». متفقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**الصِّيَامُ جُنَّةٌ**» أي: وقاية من النار، إنما كان جُنَّة من النار، لأنه إمساك عن الشهوات، والنَّار محفوفة بها، وفي روايةٍ لَهُ: «**يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا**»، والمعنى أن الصيام يختصه الله ﷻ من بين

سائر الأعمال، لأنه أعظم العبادات إطلاقًا، فإنه سرٌّ بين الإنسان وربه، لأن الإنسان لا يُعلم إذا كان صائمًا أو مفطرًا، ونيته باطنة، فلذلك كان أعظم إخلاصًا، فاختصه الله من بين سائر الأعمال. قال بعض العلماء: إذا كان على الإنسان مظالم للعباد فإنه يؤخذ من حسناته إلا الصيام، فإنه لا يؤخذ منه شيء، لأنه لله ﷻ وليس للإنسان، وهذا معنى جيد؛ أن الصيام يتوفر أجره لصاحبه، ولا يؤخذ منه لمظالم الخلق شيئًا.

ومن فوائد الحديث: الإشارة إلى الحكمة من فرض الصوم، حيث قال ﷺ: «**فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ**»، بل يكون وقورًا مطمئنًّا متأنيًّا، فإن سابّه أحد أو شاتمه فلا يرفع صوته عليه، بل يقول: إني صائم، يقول ذلك لئلا يتعالى عليه الذي سابّه، كأنه يقول: أنا لست عاجزًا عنك، ولكني صائم، يمنعني صومي من الرد عليك، يقول ذلك جهرًا.

وفي رواية لمسلم: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ، الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مَائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فِيهِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ**».

في هذا الحديث: أن الله يجزي الصائم بغير حساب، أي أن عمل ابن آدم يزداد من حسنة إلى عشرة أمثالها إلا الصوم، فإنه يُعطى أجره بغير حساب، يعني أنه يضاعف أضعافًا كثيرة.

قال أهل العلم: لأن الصوم اشتمل على أنواع الصبر الثلاثة؛ ففيه صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله:

النوع الأول: الصبر على طاعة الله؛ فلأن الإنسان يحمل نفسه على الصيام مع كراهته له أحيانًا لمشقّته، فيصبر، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي**».

النوع الثاني: الصبر عن معصية الله، فيتجنب اللغو والرفث وغير ذلك من محارم الله.

النوع الثالث: الصبر على أقدار الله، وذلك أن الإنسان يصيبه في أيام الصوم؛ في الأيام الحارة والطويلة، الكسل والملل والعطش ما يتألم ويتأذى به، ولكنه صابر لأن ذلك في مرضاة الله.

ومن الفوائد: أن للصائم فرحتين؛ الفرحة الأولى عند فطره إذا أفطر فرح بفطره من وجهين: أنه أدى فريضة من فرائض الله، وكم من إنسان في المقابر يتمنى أن يصوم يومًا واحدًا، وكم من إنسان شرع في الصوم ولم يتمّه، ويفرح أيضًا فرحًا آخر وهو أن الله أحل له ما يوافق طبيعته من المآكل والمشارب والمناكح بعد أن كان ممنوعا منها.

**[١٢١٦]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، يَا عَبْدَ الله هٰذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**». قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﵁: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله! مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ**» إلى آخره، أي: صلاة التطوع، وصيام التطوع، وصدقة التطوع.

«**زَوْجَيْنِ**»: أي صنفين، مثل أن ينفق نقودًا وأمتعة أو بقرًا وإبلًا وما أشبه ذلك.

وقوله: «**أَهْلِ الجِهَادِ**»، و«**أَهْلِ الصَّدَقَةِ**»، و«**أَهْلِ الصِّيَامِ**»؛ يعني من كان يكثر من هذه الأشياء، وهذا يعني من صام فقط ولم يكن يصلي فإنه لا يدخل الجنة لأنه كافر، لكن المراد بذلك المسلمون الذين يكثرون من الصلاة أو من الصدقة أو من الصيام، على بقية

الفرائض، أما أن يكون الإنسان كثير الصلاة والصدقة والجهاد فيدعى من الأبواب كلها، وأبواب الجنة ثمانية، وأبواب النار سبعة، أما أبواب النار فذكرها الله في القرآن قال: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾.



**[١٢١٧]** وعن سهل بن سعد رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لَا يَدخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**لَا يَدخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ**»، كرّر نفي دخول غيرهم منه تأكيدًا، وزاد النسائي: «**مَنْ دَخَلَهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا**»، والريان يعني الذي يروي، لأن الصائمين يعطشون ولاسيما في أيام الصيف الطويلة الحارة، فيجازون بتسمية هذا الباب بما يختص بهم باب الريان.



**[١٢١٨]** وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه قَالَ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذٰلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال ابن الجوزي: إذا أطلق ذكر «**سَبِيلِ الله**»، فالمراد به الجهاد، وقال القرطبي: «**سَبِيلِ الله**»: أي طاعة الله، فالمراد من صام قاصدًا وجه الله، لا يبتغي من ذلك إلا الأجر من الله.



**[١٢١٩]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**»أي: مصدقًا محتسبًا ثوابه عند الله تعالى.

**[١٢٢٠]** وعنه ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية للنسائي: «**وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ**».

«**صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»: المردة منهم، كما جاء ذلك في رواية أخرى، والمردة يعني الذين هم أشد الشياطين عداوة وعدوانًا على بني آدم، والتصفيد معناه تغل أيديهم، فإن قيل: كيف ترى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرًا؟ فالجواب: أنها إنما تغلّ عن الصائمين الصوم الذي حوفظ على شروطه، وروعيت آدابه، أو المصفَّد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم، والمقصود تقليل الشرور فيه، وهذا أمر محسوس، فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية؛ لأن لذلك أسبابًا غير الشياطين، كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين الإنسية.



**[١٢٢١]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ، فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وهذا لفظ البخاري. وفي رواية مسلم: «**فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا**».

واختلفت الروايات عن الإمام أحمد فيما إذا حال دون منظر الهلال غيمٌ أو قتر، فعنه: يجب صومه، وعنه: أن الناس تبع للإمام، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال: هو مذهب أحمد المنصوص الصريح عنه، وعنه: صومه منهيّ عنه، وهذا الموافق للأحاديث الصحيحة الصريحة، وقال البخاري: قَالَ ﷺ: «**يَا عَمَّارُ، مَنْ صَامَ يَوْمَ الشَّكِّ فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ**».





## ٢٢٠- الإكثار من فِعل الخير في رمضانَ والعَشر الأواخر مِنْه

**[١٢٢٢]** عن ابن عباس ﵄ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِيْنَ يَلْقَاهُ جِبرِيلُ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِن الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المُرْسَلَةُ: إشارة إلى دوام هبوبها، كما أن الريح تعمّ جميع ما تهب عليه.

الجُودُ: بذل المحبوب من مال أو عمل.

والإنسان يجود بماله فيعطي الفقير، ويهدي إلى الغني، ويواسي المحتاج، ويجود كذلك بعمله فيُعين الإنسان في أموره؛ في سيارته وفي دكانه وفي بيته، وربما يدخل في ذلك أيضًا بذل الجاه بأن يشفع لأحد، أو يتوسط له بماله وبدنه وعلمه ودعوته ونصيحته وكل ما ينفع الخلق، وكان أجود ما يكون في رمضان، أي أنه يسارع إلى الخير أسرع من الريح المرسلة، يعني السريعة العاصفة.



**[١٢٢٣]** وعن عائشة ﵂ قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المِئْزَرَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

معناه: أحيا الليل بالذكر والقرآن والصلاة والعبادة، وأيقظ أهله ليصلوا، وشد المئزر: أي تأهب تأهبًا كاملًا للعمل، وقيل معنى شد المئزر أنه يتجنب النساء لأنه يتفرغ للعبادة، وكلاهما صحيح.



## ٢٢١- تقدُّم صَوْم رمضانَ بصَوْم

**[١٢٢٤]** عن أَبِي هريرة ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُمْ رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَوْمَهُ، فَلْيَصُمْ ذٰلِكَ الْيَوْمَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

معناه: أن لا يتقدّم الرجل رمضان بصوم يوم أو يومين إلا من له عادة، مثل أن يكون من عادته أن يصوم يوم الاثنين فصادف يوم الاثنين قبل رمضان بيوم أو يومين فلا بأس، أو يكون من عادته أن يصوم أيام البيض ولم يتيسر أن يصومها إلا قبل رمضان بيوم أو يومين فلا بأس، فهذا يدل على أن المقصود بالنهي الخوف من أن يحتاط الإنسان لدخول رمضان فيقول: أصوم قبله بيوم أو يومين احتياطًا، فإن هذا الاحتياط لا وجه له.



**[١٢٢٥]** وعن ابن عباس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ، صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَايَةٌ فَأَكْمِلُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الغَيَايَةُ: السحابة، واختلف العلماء ﷺ في هذا النهي؛ هل هو نهي تحريم أو نهي كراهة؟ والصحيح أنه نهي تحريم، وعلى هذا؛ لا يجوز للإنسان أن يصوم قبل رمضان بيوم أو يومين إلا من له عادة، ولا يجوز أن يصوم يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان، إذا كان في الليلة غيم يمنع من رؤية الهلال مطلقًا. قال الترمذي: والعمل على هذا عند أهل العلم، كرهوا أن يتعجل الرجل بصيام قبل دخول رمضان لمعنى رمضان. قال الحافظ: والحكمة في ذلك أن الحكم علق بالرؤية، فمن تقدمه بيوم أو يومين فقد حاول الطعن في ذلك الحكم.



**[١٢٢٦]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا تَصُومُوا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وأما النهي عن الصوم بعد منتصف شعبان، فإنه وإن قال الترمذي حسن صحيح فإنه ضعيف. قال الإمام أحمد إنه شاذ يخالف حديث أبي هريرة، ومفهومه أنه يجوز أن يصوم قبل رمضان بثلاثة أيام وأربعة أيام وعشرة أيام.

**[١٢٢٧]** وعن أَبي اليقظان عمارِ بن يَاسِرٍ ﷺ، قال: مَنْ صَامَ اليَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ، فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في هذا الحديث: تحريم صيام يوم الشك، وهو آخر يوم من شعبان سواء كان في ليلة غيم أو لا، وهو قول أكثر أهل العلم، وخصه بعضهم بغير ما في ليلة غيم، والأول أصح.



## ٢٢٢- ما يُقال عند رُؤْية الهلال

**[١٢٢٨]** عن طلحة بن عبيدِ الله ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأَى الهِلاَلَ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإِيمانِ، وَالسَّلاَمَةِ وَالإِسْلاَمِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، هِلاَلُ رُشْدٍ وخَيْرٍ**».

رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.





## ٢٢٣- السُّحُور

**[١٢٢٩]** عن أنس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَسَحَّرُوا؛ فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فامتثال أمر النبي ﷺ كله خير وأجر وثواب، ومن بركة السحور أنه معونة على العبادة والصيام، فهو يكفي عن ثلاث وجبات يأكلها الإنسان في يومه، هذا عدا الشرب الكثير.

**[١٢٣٠]** وعن زيدِ بن ثابتٍ ﷺ قال: تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى الصَّلَاةِ، قِيلَ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: قَدْرُ خَمْسِينَ آيَةً: من عشر دقائق إلى ربع الساعة، وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يؤخر السحور تأخيرًا بالغًا، وعلى أنه يقدم صلاة الفجر ولا يتأخر، ثم إنه ينبغي للإنسان أن يستحضر أنه يتسحر امتثالًا لأمر الله ورسوله، رجاء البركة في هذا السحور، واستعانة به على طاعة الله. قال المهلب وغيره: كان النبي ﷺ ينظر ما هو الأرفق بأُمّته فيفعله؛ لأنه لو لم يتسحر لاتّبعوه، فيشق على بعضهم، ولو تسحر في جوف الليل لشق أيضًا على بعضهم، وقد يفضي إلى ترك صلاة الصبح.



**[١٢٣١]** وعن ابن عمر ﷺ، قال: كَانَ لِرَسُولِ الله ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلَالٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنْ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ**»، قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ هٰذَا وَيَرْقَى هٰذَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وأما قوله: "وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا أَنْ يَنْزِلَ هٰذَا وَيَرْقَى هٰذَا"، فهذه مدرجة في الحديث

شاذة ليست بصحيحة، لأن أمر النبي ﷺ بالأكل والشرب حتى يؤذن ابن أم مكتوم دليل على أن بينهما فرقًا كبيرًا يتسع للأكل والشرب والسحور، وفيه: جواز الأكل مع الشك في طلوع الفجر؛ لأن الأصل بقاء الليل. وفيه جواز نسبة الرجل إلى أمّه.

**[١٢٣٢]** وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وصِيَامِ أَهْلِ الكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: التصريح بأن السحور من خصائص هذه الأمة، لأن أهل الكتاب يصومون من نصف الليل، فيأكلون قبل منتصف الليل ولا يأكلون بعده.





## ٢٢٤- تعْجِيل الفِطْر

**[١٢٣٣]** عن سهل بن سعد رضي الله عنه، أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

زاد أحمد عن أبي ذر: «**وَأَخَّرُوا السُّحُورَ**». وفي رواية: «**لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى سُنَّتِي مَا لَمْ تَنْتَظِرْ بِفِطْرِهَا النُّجُومُ**». تعجيل الفطر يعني: إذا غاب قرص الشمس فبادِر وأفطِر، وهذه هي السنة القولية والفعلية من الرسول ﷺ، أما إذا تباطأوا ولم يفطروا، فإن ذلك هو الشر، لهذا كان الرافضة المخالفون لسنة الرسول ﷺ يؤخرون الفطور، لا يفطرون إلا إذا اشتبكت النجوم، فيُحرمون من الأجر والثواب، ويُحرمون من تعجيل إعطاء النفوس حظوظها من الأكل والشرب، يعذّبون في الدنيا قبل الآخرة، لأن الإنسان إذ تأخر وهو عطشان أو جائع يتألم أكثر، فهم يؤلمون أنفسهم بتأخير الفطور ويخالفون السنة!

ومن البدع المنكرة إيقاع الأذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان، يفعلونه للاحتياط في العبادة، وقد جرهم ذلك إلى أن صاروا لا يؤذنون إلا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت، فأخّروا الفطر، وعجّلوا السحور، وخالفوا السنَّة. قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].



**[١٢٣٤]** وعن أَبي عطيَّة قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوقٌ: رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ كِلَاهُمَا لَا يَأْلُو عَنِ الخَيْرِ؛ أَحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ، وَالآخَرُ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإِفْطَارَ؟ قَالَ: عَبْدُ اللهِ، يعني ابْنَ مَسْعُودٍ، فَقَالَتْ: هٰكَذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ يَصْنَعُ. رواه مسلم.

لَا يَأْلُو: لَا يُقَصِّرُ فِي الخَيْرِ.

**[١٢٣٥]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسولُ الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْرَاً**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[١٢٣٦]** وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١٢٣٧]** وعن أَبي إبراهيم عبدِ الله بنِ أَبي أوفى ﷺ، قال: سِرْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ، قَالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: «**يَا فُلَانُ انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**»، فَقَالَ: يَا رَسولَ الله، لَوْ أَمْسَيْتَ؟ قَالَ: «**انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**». قَالَ: إِنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا. قَالَ: «**انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**». قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُمْ، فَشَرِبَ رَسُولُ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ اللَّيْلَ أَقْبَلَ مِنْ هَا هُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ المَشْرِقِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

اجْدَحْ: أَيْ اخْلِطِ السَّوِيقَ بِالمَاءِ.

في هذا الحديث: توقف الصحابي احتياطًا واستكشافًا عن حكم المسألة.



**[١٢٣٨]** وعن سلمان بن عامر الضَّبِّيِّ الصحابي ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَى تَمْرٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُفْطِرْ عَلَى مَاءٍ؛ فَإِنَّهُ طَهُورٌ**». رواه أَبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

والحكمة فيه: أنه إن وجد في المعدة فضلة أزالها وإلا كان غذاء، وأنه يجمع ما تفرق من ضوء البصر بسبب الصوم، وكان ﷺ يفطر على رطيبات قليلة لا يكثر، لأنه لا ينبغي الإكثار عند الفطور، فإن المعدة خالية، فإذا أكثرت فهذا يضرك، أعطها شيئًا فشيئًا، قلل عند الفطور.

ولهذا ليس من الطب أن الإنسان إذا أفطر يتعشى مباشرة كما يفعل بعض الناس، بل الطب يقتضي أن تعطي المعدة الشيء القليل لأنها خالية، فإن لم تكن حسا حسوات من ماء.

هكذا ينبغي أن تفطر على الرطب، ثم التمر، ثم الماء، والرطب الآن موجود حتى في غير أيام الصيف، فالناس يدخرونه في الثلاجات ويبقى مدة، فإن قال قائل: ليس عندي رطب ولا تمر ولكن عندي خبز وماء أيهما أفطر عليه؟ نقول: أفطر على الماء لأن النبي ﷺ أرشد إلى ذلك، وقال: إنه طهور يطهر المعدة والكبد، فإن لم تجد كما لو كنت في البرّ وليس عندك شيء، تكفي النية في القلب.

**[١٢٣٩]** وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّي عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ العُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى**». رواه أبو داود. وعن معاذ بن زهرة قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ وَعَلَى رِزْقِكَ أَفْطَرْتُ**». رواه أبو داود مرسلًا.

وورد في بعض الآثار: «**اللَّهُمَّ إِنِّي صُمْتُ لِوَجْهِكَ، وَأَفْطَرْتُ عَلَى رِزْقِكَ، أَسْأَلُكَ يَا وَاسِعَ المَغْفِرَةِ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، وَأَنْ تَعْتِقَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ**».





## ٢٢٥- أمر الصَّائم بحِفظ لسانِه وجوارحِه

**[١٢٤٠]** عن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الرَّفُثُ: الكلام الفاحش، والصَّخَبُ: الخصام والصياح، وهذا ممنوع في كل وقت، ولكنه يتأكد للصائم، والمراد بذلك أنه يجب على الصائم أن يتجنب كل قول محرّم وكل فعل محرّم، لأن الله تعالى إنما فرض الصيام من أجل التقوى، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، أي: من أجل أن تتّقوا الله حتى يكون الصيام مدرسة تتعوّدون فيها على ترك المحرمات والقيام بالواجبات، وإذا كان شهر كامل يمر بالإنسان وهو محافظ على دينه، فإن ذلك سوف يغيّر من مجرى حياته.

ولابن خزيمة: «**فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ، فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، وَإِنْ كُنْتَ قَائِمًا فَاجْلِسْ**»، أي: إن كان في رمضان فليقل بلسانه، وإن كان في غيره فليقله في نفسه، فإن سابّه أحد، يعني: صار يعيبه ويشتمه، أو قاتله، فليقل: إني صائم، حتى يدفع عن نفسه العجز عن المدافعة، ويبين لصاحبه أنه لولا الصيام لقابلتك بمثل ما فعلت بي، فيبقى عزيزًا لا ذليلًا.



**[١٢٤١]** وعنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**». رواه البخاري. وفي رواية: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ والجَهْلَ**».

قول الزور: يشمل الكذب بجميع أنواعه وأشكاله، ويشمل أيضًا الغيبة والنميمة.

والجهل: هو السَّفَه، سواء أكان سفهًا على النفس أو على الآخرين، ويدخل في الجهل جميع

المعاصي؛ لأنها من الجهل بالله وعظيم قدره وشرعه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: مَن عمِل السوء فهو جاهل.

وقد دل الحديث على أنه يتأكَّد على الصائم ترك الذنوب والمعاصي أكثر من غيره، وإلا لم يكن لصيامه معنى.



## ٢٢٦- مَسائِل في الصَّوم

**[١٢٤٢]** عن أَبي هريرة ﷺ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَأَكَلَ، أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: لطف الله بعباده، ورفع المشقة والحرج عنهم، وعند ابن خزيمة وغيره: «**مَنْ أَفْطَرَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ نَاسِيًا فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ وَلَا كَفَّارَةَ**»، وفيه دليل على أن فعل الناسي لا ينسب إليه، وإنما ينسب إلى الله، وكذلك النائم لا يُنسب فعله إلى نفسه وإنما ينسب إلى الله، وكذلك لو كان جاهلًا مثل أن يحتجم وهو لا يدري أن الحجامة تفطر فصومه صحيح، ومثل أن يأكل يظن أن الفجر لم يطلع ثم تبين أنه طالع فصومه صحيح، ومثل أن يأكل يظن أن الشمس قد غربت فأكل ثم تبين أن الشمس لم تغرب فصيامه صحيح، وقد وقعت هذه المسألة في عهد النبي ﷺ حينما كان الناس صائمين في يوم غيم فأفطروا ظنًّا منهم أن الشمس قد غابت ثم طلعت الشمس، ولم يأمرهم النبي ﷺ بقضاء الصوم، لأنهم لا يدرون ولم يتعمدوا، ولكن متى ذكر الإنسان وجب عليه الترك والإمساك حتى لو كانت اللقمة في فمه، وجب عليها لفظها، وكذلك لو كان الماء في فمه وجب عليه لفظه، وكذلك لو كان جاهلًا ثم أُخبر فإنه يجب عليه أن يمسك، فإذا قال قائل: لو رأيت صائمًا يأكل وأعرف أنه ناسٍ فهل عليّ أن أذكره؟ قلنا: نعم يجب أن تذكّره، ولهذا قال النبي ﷺ في الصلاة: «**إِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي**»، كما لو رأيت إنسانًا يصلي منحرفًا عن القبلة وجب عليك أن تخبره.



**[١٢٤٣]** وعن لَقِيط بن صَبِرَةَ ﷺ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنِي عَنِ الوُضُوءِ؟ قَالَ: «**أَسْبغِ الوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابعِ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أسبغ الوضوء: يعني توضأ وضوءًا كاملًا، والإسباغ بمعنى الإتمام. قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾. أكلمها، وخلّل بين الأصابع ولا سيّما أصابع الرجلين لأنها متلاصقة، وربما لا يدخل الماء من بينها، فينتج عن ذلك روائح كريهة، ولا تبالغ في الاستنشاق، لأنك إذا بالغت في الاستنشاق دخل الماء إلى جوفك من طريق الأنف، فدلّ ذلك على أن وصول الأكل أو الشرب عن طريق الأنف كوصوله عن طريق الفم يفطر الصائم، وأما الإبر التي تكون في الوريد أو تكون في اليد أو تكون في الظهر أو في أي مكان فإنه لا يفطر الصائم؛ إلا الإبر المغذّية التي يُستغنى بها عن الأكل والشرب، فهذه تفطر الصائم، ولا يحل له إذا كان صومه فرضًا أن يستعملها إلا عند الحاجة والضرورة، فإذا اضطر إلى ذلك أفطر واستعمل الإبر، وقضى يوما مكانه.

**[١٢٤٤]** وعن عائشة ﵂ قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه دليل على صحة الصوم من الجنب سواءً كان عامدًا أو ناسيًا، وسواء كان صيامه فرضًا أو تطوعًا، وفيه دليل على جواز تأخير الغسل إلى بعد طلوع الفجر، ويقاس على ذلك الحائض والنفساء إذا انقطع دمها ليلًا ثم طلع الفجر قبل اغتسالها صح صومها.



**[١٢٤٥]** وعن عائشة وأم سلمة ﵄ قالتا: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ، ثُمَّ يَصُومُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه جواز تأخير الغسل إلى بعد طلوع الفجر سواء كان من جماع أو احتلام، ويجوز للجنب أن ينوي الصوم وإن لم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر، كما كان النبي ﷺ يفعل ذلك،

وفي حديث عائشة وأم سلمة دليل على أن أفعال النبي ﷺ حجة يحتج بها، ولا يقال هذا من خصائصه لأن الأصل عدم الخصوصية، فإن فعل النبي ﷺ فِعلًا فهو حق، إن كان عبادة فهو عبادة، وإن كان عادة فهو عادة، وليس بمحرّم.





## ٢٢٧- صَوْمِ المحرَّم وشعبان والأشهر الحُرم

[١٢٤٦] عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ صَلَاةُ اللَّيْلِ**». رواه مسلم.

[١٢٤٧] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ. وفي رواية: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إِلَّا قَلِيلًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: كان يصوم شعبان كله أي معظمه، فقد كان النبي ﷺ يصومه كله أو كله إلا قليلًا، كما روت عنه ذلك عائشة رضي الله عنها، لهذا ينبغي للإنسان أن يكثر من الصيام في شهر شعبان.

قال أهل العلم: والحكمة من ذلك أنه يكون بين يدي رمضان كالرواتب بين يدي الفريضة، ومن ذلك أيضًا شهر الله المحرم، قال فيه النبي ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ**». ويتأكد أن يصوم منه التاسع والعاشر والحادي عشر، ومن ذلك أيضًا أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، لكن أيام البيض أفضل وهي يوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، ومن ذلك أيضًا أن يصوم يوم عرفة لأن النبي ﷺ سئل عن صومه فقال: «**إِنَّهُ يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ**»، يعني يكفِّر سنتين.



[١٢٤٨] وعن مُجِيبَةَ البَاهِلِيَّةِ عن أبيها أَوْ عمِّها، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ الله ﷺ، ثُمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بَعْدَ سَنَةٍ، وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَهيئَتُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «**وَمَنْ أَنْتَ؟**» قَالَ: أَنَا البَاهِلِيُّ الَّذِي جِئْتُك عَامَ الأَوَّلِ. قَالَ: «**فَمَا غَيَّرَكَ، وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الهَيْئَةِ؟!**»، قَالَ: مَا أَكَلْتُ طَعَامًا مُنْذُ فَارَقْتُكَ إِلَّا بِلَيْلٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَذَّبْتَ**

**نَفْسَكَ!**»، ثُمَّ قَالَ: «**صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَيَوْمًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**». قَالَ: زِدْنِي، فَإِنَّ بِي قُوَّةً. قَالَ: «**صُمْ يَوْمَيْنِ**». قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: «**صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ**». قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: «**صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتْرُكْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتْرُكْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتْرُكْ**»، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ الثَّلَاثِ فَضَمَّهَا، ثُمَّ أَرْسَلَهَا. رواه أَبُو داود.

وَشَهْر الصَّبر: رَمَضَان، والأشهر الحرم: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

في هذا دليل على أنه ليس من الشرع أن يكلف الإنسان نفسه ما لا تطيقه.



## ٢٢٨- العَشرُ الأُوَل من ذي الحِجَّة

[١٢٤٩] عن ابن عباس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى الله مِنْ هٰذِهِ الأَيَّام**»، يعني أيام العشر. قالوا: يَا رَسُولَ الله، وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «**وَلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذٰلِكَ بِشَيْءٍ**». رواه البخاري. زاد أبو داود: من حديث ابن عمر: «**فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ، فَإِنَّ صِيَامَ يَوْمٍ مِنْهَا يُعَادِلُ صِيَامَ سَنَةٍ، وَالعَمَلُ فِيهَا بِسَبْعِ مَائَةِ ضِعْفٍ**».

وقوله العمل الصالح: يشمل الصلاة، والصدقة، والصيام، والذكر، والتكبير، وقراءة القرآن، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الخلق، وحسن الجوار، وغير ذلك.

في هذا دليل على فضيلة العمل الصالح في هذه الأيام، وفيه دليل على فضيلة هذه الحال النادرة أن يخرج الإنسان مجاهدًا في سبيل الله ثم يقتل ويفقد نفسه وماله.





## ٢٢٩- صوم يوم عَرَفة وتاسوعاء وعاشوراء

**[١٢٥٠]** عن أَبي قتادة ﷺ قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، قَالَ: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ**». رواه مسلم.

ويوم عرفة هو اليوم التاسع من شهر ذي الحجة.معنى يكفِّرها: إذا اجتنبت الكبائر فإنه يكفر الصغائر. ويعدّ هذا اليوم ذو أهمية كبيرة لدى المسلمين، فهم يقومون بالعديد من الأعمال التي تقرّبهم من الله، منذ بدء اليوم وحتى نهايته. وقد اتفق الفقهاء على استحباب صوم يوم عرفة لغير الحاج.

وَرَوَى أَبُو قَتَادَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**صِيَامُ يَوْمِ عَرَفَةَ، أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ، وَالسَّنَةَ الَّتِي بَعْدَهُ**». أخرجه مسلم.

**[١٢٥١]** وعن ابن عباس ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١٢٥٢]** وعن أَبي قتادة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «**يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ**». رواه مسلم.

**[١٢٥٣]** وعن ابن عباس ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَئِنْ بَقِيتُ إِلَى قَابِلٍ لَأَصُومَنَّ التَّاسِعَ**». رواه مسلم.

في الحديث: استحباب صيام تاسوعاء مع عاشوراء مخالفةً لأهل الكتاب، لأنهم كانوا يصومون اليوم العاشر فقط، فصامه الرسول ﷺ، وأمر الناس بصيامه، وقال: «**خَالِفُوا اليَهُودَ، صُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ**».





## ٢٣٠- صَوْم سِتَّة أيَّام من شوَّال

**[١٢٥٤]** عن أَبي أيوب رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**». رواه مسلم.

الحديث فيه دليل على استحباب صوم ستة أيام من شوال سواء كانت متوالية أو متفرقة.

وعن ثوبان رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ فَشَهْرُهُ بِعَشْرٍ، وَمَنْ صَامَ سِتَّةَ أَيَّامِ الفِطْرِ فَذٰلِكَ صِيَامُ السَّنَةِ**». رواه أحمد والنَّسائي.

فسر العلماء ذلك بأن الحسنة بعشر أمثالها، فيكون رمضان شهرًا بعشرة أشهر، ويكون الستة أيام بستين يومًا وهم شهران.

وليعلم أنها لا تصام قبل القضاء، يعني لو كان على الإنسان يوم واحد من رمضان وصام الست فإنه لا يحصل على أجر ذلك، ومن عليه يوم واحد من رمضان فقد صام تسعة وعشرين، ومن كان عليه يومان فقد صام ثمانية وعشرين، فإذا صمت رمضان كاملًا وصمت ستة أيام بعده من شوال فكأنما صمت الدهر كله، وسواء صمتها من ثاني يوم العيد وأتبعت بعضها بعضًا أو صمتها بعد يومين أو ثلاثة أو صمتها متتابعة أو صمتها متفرقة، الأمر في هذا واسع، لكن لو أنك تساهلت حتى خرج شوال وصمت فإنها لا تكون بهذا الأجر، اللهم إلا من كان معذورًا، مثل أن يكون مريضًا، أو امرأة نفساء، أو مسافرًا ولم يصم في شوال وقضاها في ذي القعدة فلا بأس.





## ٢٣١- صَوْمِ يوم الإثنين ويوم الخميس

**[١٢٥٥]** عن أَبي قتادة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: «**ذٰلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ**». رواه مسلم.

وكذلك مات فيه ﷺ، فيوم الاثنين ولد فيه النبي ﷺ، لكن في أي شهر لم يتبين، هل في شهر ربيع الأول أو في غيره؟ وهل هو في اليوم الثاني عشر منه أو في غيره؟ إنما المؤكد أنه ولد في يوم الاثنين.

**[١٢٥٦]** وعن أَبي هريرة ﷺ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

أما صوم يوم الخميس فهو سنة لكنه من دون صوم يوم الاثنين، صوم يوم الاثنين أفضل وكلاهما فاضل، وإنما كان صيامهما فاضلًا، أنه يُروى عن النبي ﷺ أن الأعمال تعرض فيهما على الله، قال: «**فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**»، ولفظ مسلم: «**تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ مَرَّتَيْنِ: يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَمِيسِ، فَيَغْفِرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، إِلَّا عَبْدًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالَ: اتْرُكُوا هٰذَيْنِ حَتَّى يَفِيئَا**».



**[١٢٥٧]** وعن عائشة ﷺ قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَحَرَّى صَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيسِ. رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.





## ٢٣٢- صَوْم ثلاثة أيَّام من كلِّ شهر

الأفضل صومُها في الأيام البيض وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشر والخامسَ عشر، وقِيل: الثاني عشر، والثالِثَ عشر، والرابعَ عشر، والصحيح المشهور هُوَ الأول.

**[١٢٥٨]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: أَوْصَانِي خَلِيلي ﷺ بِثَلَاثٍ: صِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَيِّ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وركعتا الضحى وقتها من ارتفاع الشمس قدر رمح، أي من نحو ثلث ساعة بعد طلوع الشمس إلى قبيل الزوال، أي إلى ما قبل وقت الظهر بنحو عشر دقائق، وتُسنّ كل يوم، لأن النبي ﷺ قال: إن كل عضو من أعضاء بني آدم يصبح كل يوم عليه صدقة مقابلة للأعضاء، والأعضاء ثلاثمائة وستون عضوًا، إذًا عليك كل يوم ثلاثمائة وستون صدقة، لكن ليست بالمال، إنما هي بالأقوال والأعمال الصالحة، وقال النبي ﷺ: «**يُغْنِي عَنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**».

وقوله: "وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ": هذا لمن يخشى أن لا يقوم من آخر الليل، فالذي يخشى ألا يقوم من آخر الليل نقول: أوتر قبل أن تنام، احتط لنفسك، أما الذي يطمع أن يقوم من آخر الليل فليجعل وتره من آخر الليل، هكذا جاءت السنة عن النبي ﷺ. قال العلماء: وإنما أوصى هؤلاء بأن يوتروا قبل أن يناموا لأن مقتضى حالهم يقتضي ذلك، فقد كان أبو هريرة ﷺ في أول الليل يحفظ أحاديث رسول الله وينام في آخر الليل.



**[١٢٥٩]** وعن أَبي الدَّرداءِ ﷺ قال: أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلَاثٍ، لَنْ أَدَعَهُنَّ مَا عِشْتُ: بِصِيَامِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلَاةِ الضُّحَى، وَبِأَنْ لَا أَنَامَ حَتَّى أُوتِرَ. رواه مسلم.



**[١٢٦٠]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أي: لأن الحسنة بعشر أمثالها، وأفضل الصيام صيام داود؛ بأن يصوم الإنسان يومًا ويفطر يومًا، هذا لمن قدر ولم يكن عليه مشقة لأن هناك عبادات أخرى، إذا كانت كثرة الصيام تعجزك عنها فلا تكثر الصيام.

**[١٢٦١]** وعن مُعاذة العدوية: أنها سألت عائشة ﵂: أَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثة أَيَّامٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيِّ الشَّهْرِ يَصُومُ. رواه مسلم.

في الحديث: إيماء إلى أن المراد حصول مثل ثواب صوم الشهر باعتبار تضاعف الحسنة عشرًا، وذلك حاصل بأية ثلاثة كانت.

**[١٢٦٢]** وعن أَبي ذر ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلَاثًا، فَصُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[١٢٦٣]** وعن قتادة بن مِلْحَان ﵁ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ البِيضِ: ثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ. رواه أَبُو داود.

**[١٢٦٤]** وعن ابن عباس ﵄ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ لَا يُفْطِرُ أَيَّامَ البِيضِ فِي حَضَرٍ وَلَا سَفَرٍ. رواه النسائي بإسنادٍ حسنٍ.





## ٢٣٣- مَن فطَّر صائمًا

**[١٢٦٥]** عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ ﵁، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُنْقَصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وفي حديث سلمان: «**يُعْطِي اللهُ تَعَالَى هٰذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، أَوْ مَذْقَةِ لَبَنٍ**».

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: "قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَيْسَ كُلُّنَا يَجِدُ مَا يُفَطِّرُ الصَّائِمَ. قَالَ: «**يُعْطِي اللهُ هٰذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى مَذْقَةِ لَبَنٍ أَوْ تَمْرَةٍ أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ، وَمَنْ أَشْبَعَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مَغْفِرَةٌ لِذُنُوبِهِ، وَسَقَاهُ اللهُ مِنْ حَوْضِي شَرْبَةً لَا يَظْمَأُ حَتَّى يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، وَهُوَ شَهْرٌ أَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَأَوْسَطُهُ مَغْفِرَةٌ، وَآخِرُهُ عِتْقٌ مِنَ النَّارِ**». قيل يُعطى الأجر كاملًا ولو فطر الصائم على أدنى شيء؛ وقال بعض العلماء: المراد أن يشبعه.



**[١٢٦٦]** وعن أُمِّ عُمَارَةَ الأنصاريَّةِ ﵂، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: «**كُلِي**»، فَقَالَتْ: إِنِّي صَائِمَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الصَائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حَتَّى يَفْرَغُوا**»، وَرُبَّمَا قَالَ: «**حَتَّى يَشْبَعُوا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[١٢٦٧]** وعن أنسٍ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَاءَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ ﵁ فَجَاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأَكَلَ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

فيه: استحباب الدعاء من الضيف عند فراغ الأكل.

واختلف العلماء في معنى من فطَّر صائمًا؛ فقيل: إن المراد من فطره على أدنى ما يفطر به الصائم ولو بتمرة، وقال بعض العلماء: المراد بتفطيره أن يشبعه، لأن هذا هو الذي ينفع الصائم طول ليله، وربما يستغني به عن السحور؟ ولكن ظاهر الحديث أن الإنسان لو فطر صائمًا ولو بتمرة واحدة فإنه له مثل أجره، ولهذا ينبغي للإنسان أن يحرص على إفطار الصائمين بقدر المستطاع، لاسيما مع حاجة الصائمين وفقرهم، أو لكونهم لا يجدون من يقوم بتجهيز الفطور لهم.



## ٢٣٤- فَضْلُ الاعْتِكاف

قال الله تعالى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾ [البقرة:١٨٧].

الاعْتِكَافُ؛ مشروع بالكتاب والسُّنة والإجماع، وهو لزوم المسجد لطاعة الله ﷻ، لأن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأخير، ثم كان يعتكف العشر الأوسط يتحرَّى ليلة القدر، ثم قيل له: إنها في العشر الأواخر، فصار يعتكف العشر الأواخر من رمضان، وبهذا عرَفنا أنه لا يشرع الاعتكاف في غير رمضان.

**[١٢٦٨]** عن ابن عمر ﵄ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وأن ما ذكره بعض العلماء، من أنه ينبغي للإنسان إذا قصد المسجد أن ينوي الاعتكاف مدة مكثه فيه قول لا دليل عليه، فإن النبي ﷺ لم يشرعه لأمّته لا بقوله، ولا بفعله، يعني: لم يقل للناس إذا دخلتم المسجد فَانْوُوا الاعتكاف فيه في أي وقت، ولم يكن يفعل ذلك هو بنفسه.



**[١٢٦٩]** وعن عائشة ﵂، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّى تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَى، ثُمَّ اعْتَكَفَ أَزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه استحباب مطلق الاعتكاف، واستحبابه في رمضان بخصوصه، وفي العشر الأواخر بخصوصها، واستواء الرجل والمرأة في هذا الحكم.

والمقصود من الاعتكاف؛ جمع القلب بالخلوة عن الناس، والإقبال على الله تعالى، والتنعم بذكره وعبادته، ولهذا ينبغي للمعتكف ألا يشتغل إلا بالطاعة من صلاة، وقراءة القرآن، وذِكْرٍ، وغير ذلك، حتى تعليم العلم قال العلماء: لا ينبغي للمعتكف أن يشتغل بتعليم العلم، بل يقبل على العبادات الخاصة، لأن هذا الزمن مخصوص للعبادات الخاصة.

ولا يجوز للمعتكف أن يخرج من المسجد إلا لما لا بد منه؛ كأن يخرج ليأكل ويشرب، أو يخرج لقضاء الحاجة، أو يحتاج إلى الخروج من أجل غسل الجنابة وما أشبه ذلك، أو يحتاج للخروج لكونه في مسجد غير جامع فيذهب إلى الجمعة، ثم إنه ينبغي للمعتكف إذا جاءه أحد يريد أن يشغله بالكلام اللغو الذي لا فائدة منه أن يقول له: يا أخي أنا معتكف؛ إما أن تعينني على الطاعة، وإما أن تبتعد عني، والله تعالى لا يستحي من الحق، وأما الجلوس اليسير عند المعتكف والتحدث اليسير فهذا لا بأس به، لأن النبي ﷺ كان يستقبل نساءه وهو معتكف فيتحدث إليهن ويتحدثن إليه.



**[١٢٧٠]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. رواه البخاري.





## ٢٣٥- الحَجُّ

الحجُّ: هو قصد مكة للتعبد لله ﷻ بأداء المناسك، وهو أحد أركان الإسلام بإجماع المسلمين، ودليل فرضه قول الله ﷻ: ﴿وَلِلهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧]. هذه الآية نزلت في العام التاسع من الهجرة، وهو العام الذي يسمَّى عام الوفود، وبه فُرض الحج.

قوله تعالى: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾: مَن استطاع أن يصل إلى مكة، فمن لم يستطع لفقره فلا حج عليه، ومن لم يستطع لعجزه نظرنا إن كان عجزه يرجى زواله أم لا.

السَّبيل: الزَّاد والرَّاحلة.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. قال ابن عباس: مَن جحد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: مَن أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه مات يهوديًّا أو نصرانيًّا.

**[١٢٧١]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٢٧٢]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا**»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ الله؟ فَسَكَتَ، حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ**

**بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**». رواه مسلم.

في الحديث: دليل على أنه لا يجب الحج إلا مرة واحدة في العمر، على كل مكلف مستطيع، وهذا من نعمة الله ﷻ، وذلك لأن غالب الناس يشق عليهم الوصول إلى مكة.

إنك تجد الصلوات الخمس مفروضة كل يوم، والزكاة لم تجب إلا في السنة مرَّة، والصيام لم يجب إلا في السنة مرَّة، والحج لا يجب إلا في العمر مرَّة، وهذا من حكمة الله، حيث جعل هذه الفرائض مناسبة لأحوال العباد.

قوله: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ**»: لا تكونوا كأصحاب البقرة، شدَّدوا فشدَّد الله عليهم، ولا تسألوا عن أشياء أنا ساكت عنها، لأن أعظم الناس جرمًا من سأل عن مسألة حلال فحُرِّمت من أجل مسألته، أو عن مسألة غير واجبة فوجبت من أجل مسألته.

لكن بعد وفاة النبي ﷺ، لا بأس أن يسأل الناس العلماء عن أمور دينهم، لأن الشرع انتهى، وانتهى معه التحليل والتحريم.



**[١٢٧٣]** وعنه قال: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِالله وَرَسُولِهِ**». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فالحج المبرور، هو الذي اجتمعت فيه أمور: أن يكون خالصًا لله، لا يريد رياءً ولا سمعة، وأن يكون من مال حلال، وأن يجتنب فيه الرفث والفسوق والجدال، سواء كان في القول المحرم والغيبة والنميمة والكذب، أو الفعل كالنظر إلى النساء، والجدال والمنازعة، اللهم إلا جدالًا يراد به إثبات الحق، فهذا واجب.



**[١٢٧٤]** وعنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الرَّفَثُ: الجماع ومقدماته بالفعل والقول، وقال عطاء: الرفث: قول الرجل للمرأة في الإحرام إذا أحللت أصبتك، وقال ابن عباس: الفسوق هي المعاصي، وقيل: الرفث: الفحش، والقول القبيح.

**[١٢٧٥]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَينَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**». مُتَّفقٌ عَلَيْهِ.

**[١٢٧٦]** وعن عائشة ﵂ قالت: قُلْتُ يَا رَسُولَ الله، نَرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلا نُجَاهِدُ؟ فَقَالَ: «**لَكُنَّ أَفْضَلُ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ**». رواه البخاري.

**[١٢٧٧]** وعنها، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ**». رواه مسلم.

**[١٢٧٨]** وعن ابن عباس ﵄، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً، أَوْ حَجَّةً مَعِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومثل ذلك، ما ورد من أن الصلاة الواحدة في المسجد الحرام بمكة تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه، فلا يجوز أن يتبادر إلى الذهن أن صلاة يوم فيه تغني عن صلاة مائة ألف يوم! ولا داعي للصلاة بعد ذلك! فالعدل أو المساواة هنا هي في الثواب فقط، فلا تغني العمرة عن الحج أبدًا، ومثل ذلك أيضًا ما روي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّى تَطْلَعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ**». وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «**تَامَّةٍ تَامَّةٍ**».

والمراد من هذه الأحاديث هو الترغيب في الثواب فقط.

**[١٢٧٩]** وعنه: أن امرأة قالت: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَى عِبَادِهِ فِي الحَجِّ، أَدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا، لَا يَثْبُتُ عَلَى الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الحديث دليل على جواز حج المرأة عن الرجل، والحج عن المعضوب: وهو الكبير العاجز أو المريض الذي لا يُرجى برؤه.



**[١٢٨٠]** وعن لقيط بن عامر ﷺ، أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ لَا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ وَلَا العُمْرَةَ وَلَا الظَّعَنَ؟ قَالَ: «**حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



**[١٢٨١]** وعن السائب بن يزيد ﷺ قال: حُجَّ بِي مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، وَأَنَا ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ. رواه البخاري.



**[١٢٨٢]** وعن ابن عباس ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بِالرَّوْحَاءِ، فَقَالَ: «**مَنِ القَوْمُ؟**». قَالُوا: المُسْلِمُونَ. قَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «**رَسُولُ الله**»، فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا، فَقَالَتْ: أَلِهٰذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ**». رواه مسلم.

فيه جواز إحجاج الصبي قبل البلوغ، والحديث يدل على أنه يصح حج الصبي سواء كان مميزًا أم لا، حيث فعل وليّه عنه ما يفعل الحاج، وإلى هذا ذهب الجمهور، ولكنه لا يجزئه عن حجة الإسلام، وصفة إحرام الولي عنه أن يقول بقلبه: جعلته مُحرمًا.



**[١٢٨٣]** وعن أنسٍ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَجَّ عَلَى رَحْلٍ وَكَانَتْ زَامِلَتهُ. رواه البخاري.

الزَّامِلَةُ: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع.

ولابن ماجة: حَجَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ، وَقَطِيفَةٍ لَا تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لَا رِيَاءَ فِيهِ وَلَا سُمْعَةً**».

**[١٢٨٤]** وعن ابن عباسٍ ﵄ قال: كَانَتْ عُكَاظُ وَمَجَنَّةُ وَذُو المَجَازِ أَسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأَثَّمُوا أَن يَتَّجِرُوا فِي المَوَاسِمِ، فَنَزَلَتْ: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ**﴾ [البقرة:١٩٨]، فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ. رواه البخاري.

قوله: "فَتَأَثَّمُوا أَنْ يَتَّجِرُوا فِي المَوَاسِمِ": يعني موسم الحج،لما أسلموا صار عندهم تحرز؛ صاروا يتخوفون من مشابهة أهل الجاهلية في شيء من أعماله.

في الحديث دليل على أن التجارة في الحج جائزة.





## ٢٣٦- الجهاد

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٣٦].

القتال واجب على المسلمين؛ يقاتلون أعداء الله وأعداءهم من اليهود والنصارى والمشركين والملحدين وغيرهم؛ كلِّ مَن ليس بمسلم، حتى تكون كلمة الله هي العليا، وذلك إما بإسلام هؤلاء، وإما بأن يبذلوا الجزية أذلّاء، ونحن لا نُكرههم على الإسلام، ولا نقول لا بد أن تُسلِموا، ولكن نقول: لا بد أن يكون الإسلام هو الظاهر، فإما أن تُسلِموا وحيَّاكم الله، وإما أن تبقوا على دينكم؛ ولكن أعطوا الجزية، فإن أَبَوْا ذلك، وجب علينا قتالهم.

ولكن، يجب قبل قتالهم أن نعد ما استطعنا من قوة؛ والقوة نوعان: قوة معنوية، وقوة مادية حسية؛ فالقوة المعنوية هي الإيمان بالله والعمل الصالح، فالإيمان قبل الجهاد، ثم بعد ذلك الإعداد بالقوة المادية.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]، ولكن مع الأسف أن المسلمين لما كان بأسهم بينهم من أزمنة متطاولة، نسوا أن يعدُّوا هذا وهذا، لا إيمان قوي ولا مادة، سبقنا الكفار بالقوة المادية بالأسلحة وغيرها، وتأخرنا عنهم بهذه القوة، كما أننا تأخَّرنا عن إيماننا، وصار بأسُنا بيننا.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ [التوبة:٤١].

فالقتال واجب، ولكنه كغيره من الواجبات، لا بد من القدرة، والأمة الإسلامية اليوم عاجزة، إنها لا شك عاجزة، ليس عندها قوة معنوية ولا قوة مادية.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذٰلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١]؛ أعظم عقد وأربح تجارة وأصدق وعد وأعظم بشارة وأوفى عهد.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ﴾؛ الجنة التي قال عنها الرسول ﷺ: «**لَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي القَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الحُسْنَى وَفَضَّلَ اللهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا، دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيماً﴾ [النساء:٩٥-٩٦].

أما في قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي﴾، فينبغي التنبيه هنا على كلمة يُطلقها بعض الناس والكتاب المعاصرين؛ قد يريدون بها خيرًا، وقد يريدون بها شرًّا، وهي قولهم: إن الدين الإسلامي دين المساواة! فهذا خطأ كبير! لأن الدين الإسلامي دين عدل، وهو إعطاء كل شخص ما يستحق، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾.

فالمساواة أن نقول مثلًا: لا فرق بين الذكر والأنثى؛ أعطوها من الحقوق مثل ما تعطون الرجل! ولا يمكن أن يتساوى اثنان أحدهما عالم والثاني جاهل، أحدهما نافع للخلق والثاني شرِّير! ومن ذلك أيضًا قول بعضهم: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه! هذه كلمة لا أصل لها ولا تجوز، وأنت إذا قلت ذلك كأنك تقول: ما يهمّني ترفع أو لا ترفع! لكن قل: اللهم إني أسألك العفو والعافية، اللهم اشفني، اللهم اقض عني الدين، وما أشبه ذلك. وقد قال النبي ﷺ: «**لَا يَرُدُّ القَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»؛ والدعاء لا يرد القضاء، لكن من أثر الدعاء إذا دعوت الله تعالى بكشف ضرّ، فهذا قد كتب في الأزل في اللوح المحفوظ، أن الله تعالى يرفع هذا الضر عنك بدعائك.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾؛ وهم ثلاثة أصناف ذكرهم الله تعالى في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾. وكذلك الذين لا يجدون ما ينفقون، أو كانوا ضعفاء في أبدانهم، وكذلك من قعدوا للتَّفقُّه في الدين، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، فهؤلاء معذورون لوجود مصلحة في بقائهم أعلى من مصلحة الجهاد.

أما في قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. هذا النداء من أجل إثارة هممهم، وتنشيطهم على قبول ما يسمعون، وهذا الاستفهام للتشويق، وهذه التجارة ليست تجارة الدنيا، لأن تجارة الدنيا قد تنجي وقد لا تنجي، وقد تكون سببًا للعذاب الأليم، فالرجل الذي عنده مال لا يُزكِّى يكون ماله عذابًا عليه، لكن بالتأكيد هذه التجارة ﴿تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾، فما هي هذه التجارة؟

هذه التجارة هي: الإيمان بالله ورسوله، وهذا يتضمن جميع شرائع الإسلام كلها، لكن نصَّ على الجهاد، وهنا يقول: ﴿تُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾، أي: تبذلوا جهدكم في سبيل الله ببذل المال، وبذل النفس، ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾؛ خير لكم من كل شيء ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، كأنه يقول: فاعلموا ذلك إن كنتم أهلًا للعلم. وإذا كان هذا هو العمل، فما هو الثواب؟

الثواب هو: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

هذه الأنهار ليست كأنهار الدنيا؛ إنها أربعة أصناف: أنهار من ماء غير آسن لم يخرج من نبع أرض ولا يمكن أن يتغير بخلاف ماء الدنيا فإنه إذا بقي يتغير، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يخرج من ضرع بهيمة، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تخرج من زبيب أو تمر أو شعير، وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من حشرة كالنَّحل.

ورد في الحديث أنها أنهار لا تحتاج إلى شقّ ولا إلى سدّ يمنعها من التسرب يمينًا وشمالًا.

وقوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾، قال العلماء: العدن بمعنى الإقامة، ومنه المعدن في الأرض لطول إقامته في مكانه.

وبقي قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقد حصل هذا كله للمؤمنين، حيث فتح الله عليهم فتوحات عظيمة، وغنموا غنائم كثيرة، لأنهم قاموا بما يجب عليهم من الإيمان بالله والجهاد في سبيل الله.

ثم قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، يعني بشِّر بهذه الأمور من كان مؤمنًا حقيقيًّا بالله ورسوله، واتبع الأوامر والنواهي منهما، لا إيمانًا شكليًّا زائفًا!



**[١٢٨٥]** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١٢٨٦]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال الطبري: خص عليه الصلاة والسلام هذه الثلاثة بالذكر؛ لأنها عنوان على ما سواها من الطاعات، فمن قام بها، كان بالأحرى أن يقوم بغيرها من الطاعات.



**[١٢٨٧]** وعن أَبي ذرٍّ ﵁ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ العَمَلِ أَفْضلُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِالله، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ**». مُتَّفقٌ عَلَيْهِ.

**[١٢٨٨]** وعن أنس ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ الله، أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الغُدوة: سير أول النهار، والروحة: سير آخره.

**[١٢٨٩]** وعن أَبي سعيدٍ الخدريِّ ﵁ قال: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ فقَالَ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ الله**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذا أحد الأدلة الدالة على أن العزلة خير من الخلطة مع الناس، ولكن الصحيح في هذه المسألة أن في ذلك تفصيلًا؛ فمَن كان يخشى على دينه بالاختلاط بالناس فالأفضل له العزلة، لأن العزلة في زمن الفتن والشر والخوف من المعاصي خير من الخلطة، ومن لا يخشى فالأفضل أن يخالط الناس، لقول النبي ﷺ: «**المُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ المُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ**».

**[١٢٩٠]** وعن سهل بن سعد ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى، أَوْ الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المرابطة في سبيل الله: يعني أن يرابط الإنسان على الحدود تجاه العدو في سبيل الله، لإعلاء كلمة الله، وحفظ دين الله وحفظ المسلمين، لقوله ﷺ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**».

«**مَوْضِعُ سَوْطٍ**»: يعني (متر أو نحوه) خير من الدنيا وما فيها! أيّ دنيا؟ هل دنياك هذه؟ لا، قد تكون دنياك مملوءة بالتنغيص والتنفير والعمر قصير، ولكن خير من الدنيا منذ خلقت إلى يوم القيامة بما فيها من السرور والشهوات والنعيم.

**[١٢٩١]** وعن سلمانَ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ فِيهِ أُجْرِيَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفَتَّانَ**». رواه مسلم.

قوله: «**أُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ**»، أي: برزق من الجنة كما يرزق الشهداء.

**[١٢٩٢]** وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْد ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا المُرَابِطَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنَمَّى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في الحديث: أن المرابط لا ينقطع عمله بالموت، فقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾، وهذه الحياة البرزخية لا نعلم بها، وليست كحياتنا، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾. يعني لو فتحت عليه قبره لوجدت الإنسان ميتًا، لكنه عند الله حي يرزق يأكل من الجنة.



**[١٢٩٣]** وعن عثمان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ، خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

لا تنافي بينه وبين حديث خير من صيام شهر، فالقصد من هذا ونحوه؛ الإخبار عن مضاعفة أجر المرابط على غيره، ويختلف ذلك بحسب اختلاف حال الناس نيَّةً وإخلاصًا، وباختلاف الأوقات.

**[١٢٩٤]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَيَّ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلٰكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ**». رواه مسلم، وروى البخاري بعضه.

**[١٢٩٥]** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَكَلْمُهُ يُدْمَى: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. الكَلْمُ: الجَرْحُ.

قال العلماء: الحكمة في بعثه كذلك، أن يكون معه شاهد من نفسه على نفسه.



**[١٢٩٦]** وعن معاذٍ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ فُوَاقَ نَاقَةٍ، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ الله أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغزَرِ مَا كَانَتْ: لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُها كَالمِسْكِ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الفُوَاقُ: ما بين الحلبتين، وهو كناية عن قليل الجهاد.



**[١٢٩٧]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَة، فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هٰذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ الله ﷺ، فذكَرَ ذٰلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**لَا تَفعَلْ؛ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ الله أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ الله، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ الله فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الفُوَاقُ: مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْنِ. فإذا شهد الصف ولو بهذا المقدار، يقاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا، فإنها تجب له الجنة.



**[١٢٩٨]** وعنه قال: قيل: يَا رَسُولَ الله، مَا يَعْدِلُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «**لَا تَسْتَطِيعُونَهُ**»، فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، كُلُّ ذٰلِكَ يَقُولُ: «**لَا تَسْتَطِيعُونَهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ القَانِتِ بِآيَاتِ الله، لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَلَاةٍ، حَتَّى يَرْجِعَ المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية البخاري: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «**لَا أَجِدُهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟**»، فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذٰلِكَ؟!

**[١٢٩٩]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ؛ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ الله، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ وَالمَوْتَ مَظَانَّهُ أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هٰذَه الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هٰذِهِ الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ**». رواه مسلم.

**[١٣٠٠]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مَائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ الله، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**». رواه البخاري.

**[١٣٠١]** وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ**»، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ الله، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مَائَةَ دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»، قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله**». رواه مسلم.

قال القرطبي: الدرجة هي المنزلة الرفيعة، ويراد بها غرف الجنة ومراتبها التي أعلاها الفردوس.



**[١٣٠٢]** وعن أَبي بكر بن أَبي موسى الأشعريِّ، قال: سَمِعْتُ أَبِي ﷺ، وَهُوَ بَحَضْرَةِ العَدُوِّ، يقُول: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى، أَأَنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ هٰذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكُم السَّلَامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى العَدُوِّ فَضَربَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم.

قوله: «**إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، قال القرطبي: هو من الكلام النفيس الجامع الموجز، المشتمل على ضروب من البلاغة مع الوجازة وعذوبة اللفظ، فإنه أفاد الحض على الجهاد، والإخبار بالثواب عليه، والحض على مقاربة العدو، واستعمال السيوف، والاجتماع حين الزحف حتى تصير السيوف تظل المتقاتلين.



**[١٣٠٣]** وعن أَبي عبسٍ عبد الرحمن بن جَبْرٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبيلِ الله فَتَمَسَّهُ النَّارُ**». رواه البخاري.

في الحديث: بشارة للمجاهد بالنجاة من النار، وعند أحمد وغيره من حديث معاذ: «**وَلَا اغْبَرَّتْ قَدَمٌ فِي عَمَلٍ يُبْتَغَى بِهِ دَرَجَات الآخِرَةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ المَفْرُوضَةِ، كَجِهَادٍ فِي سَبِيلِ الله**».



**[١٣٠٤]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيةِ الله حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ عَلَى عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.



**[١٣٠٥]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

معنى الحديث: أن النَّار لا تَمَسُّ عينًا بَكَتْ خوفًا من الله تعالى، فعندما يتذكر الإنسان عظمة الله وقدرته على عباده، ويتذكر حاله وتقصيره، فيبكي رجاء رحمته وخوفًا من عِقَابه وسَخَطه، فهذا موعود بالنجاة من النار، وعين أخرى لا تمسها النار، وهي: من بَاتت تَحرس في سبيل الله في الثغور ومواضع الاقتتال حفاظًا على أرواح المسلمين، فلكل إنسان في بلده أحلام وتطلعات لمستقبل أفضل يسعى لتحقيقه، ولكي يستطيع أن يصل إلى ما يسعى إليه، فعليه أولًا أن يشعر بالأمن والأمان في وطنه ومجتمعه، ليكون مطمئنًا على أفراد أسرته وممتلكاته الخاصة، وكذلك العامة كالمؤسسات التي تخدم المواطنين، والمدارس والجامعات والمستشفيات، فكل ذلك من ثروات الوطن، وقد تكفلت الدولة بالحفاظ عليها من خلال جناحين حملا على عاتقهما مسؤولية الحفاظ على ذلك كله، وهما الجيش والشرطة، ما يستلزم التضحية بالدموع والدماء من أجل القيام بهذه المهمات، فأنت في عملك تأمن على أولادك، وعلى بيتك، وعلى كل غالٍ وثمين، وهذا الشعور بالأمان يرجع إلى ثقتك بأن هناك من يسهر ليرعى مصالحك، وهؤلاء الرجال لن يتوانوا عن التضحية بأرواحهم في سبيل القيام بما عاهدوا الله عليه.

**[١٣٠٦]** وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبيلِ الله فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٣٠٧]** وعن أَبي أُمَامَة الباهلي ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ الله، وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ فِي سَبِيلِ الله، أَوْ طَرُوقَةُ فَحْلٍ فِي سَبِيلِ الله**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

«**ظِلُّ فُسْطَاطٍ فِي سَبِيلِ الله**»: وقْفُ خَيمةٍ وما شابهَ يَستظِلُّ بها المجاهدُ، والمرادُ هنا مُطلَقُ ما لَه ظِلٌّ مِن الأبنيَةِ.

«**مَنِيحَةُ خَادِمٍ فِي سَبِيلِ الله**»: هِبةُ ومنحُ خادمٍ لمُجاهِدٍ، يُساعِدُه ويَخدُمُه.

«**طَرُوقةُ فَحْلٍ فِي سَبِيلِ الله**»: النَّاقةُ الَّتي صَلَحَت لأنْ يَقْرَبَها الفَحلُ، وأقلُّ سِنِّها ثلاثُ سِنينَ، والتَّقييدُ به لِبَيانِ الأفضَليَّةِ، ومِثلُها الفرَسُ يُحمَلُ عليها المجاهِدُ. قيل: ويَجري مَجرَى تلك الصَّدَقاتِ في الأجرِ كلُّ ما يَكونُ فيه نفعٌ للمُجاهِدِ؛ ولعل أفضلية هذه الأشياء لحاجة الناس إليها في ذلك الزمان، فأراد النبي ﷺ أن يُرَغِّبهم فيها، أما الآن فحاجة الناس إليها قد تكون معدومة أو أنها موجودة في بعض النواحي على وجه القلة، والحكم للغالب.



**[١٣٠٨]** وعن أنس ﷺ، أن فتى من أسْلَمَ، قال: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِيَ مَا أَتَجَهَّزُ بِهِ. قَالَ: «**ائْتِ فُلَانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ**». فَأَتَاهُ فَقَالَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ، وَيَقُولُ أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلَانَةُ، أَعْطِيهِ الَّذِي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلَا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَالله لَا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم.

فيه: أن من أخرج شيئًا في وجه من وجوه الخير ثم عرض له ما يمنعه، أنه يُستحب له صرفه في مثله من أبواب الخير.



**[١٣٠٩]** وعن أَبي سعيد الخدري ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ إِلَى بَنِي لَحْيَانَ، فَقَالَ: «**لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا**». رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «**لِيَخْرُجَ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ**»، ثُمَّ قَالَ لِلْقَاعِدِ: «**أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخيرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الخَارِجِ**».

مثال ذلك: أهل بلدة خرج نصف الرجال فيها للمشاركة في المعركة، وبقي النصف الباقي فيها لحماية النساء والأطفال والشيوخ والمرضى، والإقامة على شؤونهم ورعايتهم وما يحتاجون إليه، فيكون الأجر بينهما مناصفة؛ أجر من بقي في البلدة كأجر من غزى. وفي الرواية الأخرى؛ يكون أجر القاعد نصف أجر الغازي، وإلَّا لو كان الخروج إلى المشاركة في الحرب يؤدي إلى ضياع الأولاد والأهل والأموال لما خرج أحد، فهم بحاجة إلى أن يبقى أهلهم بأمان وحماية ورعاية، مما يدعو إلى الطمأنينة، فهذا كله يدل على معنى هذه الأحاديث؛ وهو التعاون على البر والتقوى، وأن من أعان غيره على خير وفتح الباب أمامه، فإنه يكون له كأجره.

**[١٣١٠]** وعن البَراءِ ﷺ قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ: «**أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ**»، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي الصحيح عن أبي هريرة أنه كان يقول: أخبروني عن رجل دخل الجنة لم يصل صلاة؟ ثم يقول: هو عمرو بن ثابت، قيل: كيف كانت قصته؟ قال: كان يأبى الإسلام، فلما كان يوم أُحد بدا له، فأخذ سيفه حتى أتى القوم، فدخل في عرض الناس، فقاتل حتى وقع جريحًا، فوجده قومه في المعركة، فقالوا: ما جاء بك؟ أشفقة على قومك، أم رغبة في الإسلام؟ قال: بل رغبة في الإسلام، قاتلت مع رسول الله ﷺ حتى أصابني ما أصابني، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**». وفي هذه الأحاديث أن الأعمال بالخواتيم.



**[١٣١١]** وعن أنس ﵁، أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ؛ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ**». وفي رواية: «**لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: فضل الشهادة، وحقارة الدنيا، وعبّر بالتمني لأن الرجوع إلى الدنيا محال.



**[١٣١٢]** وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص ﵄، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَغْفِرُ اللهُ لِلْشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ**». رواه مسلم.

وفي روايةٍ له: «**القَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ**»، فلا ينبغي للإنسان أن يتساهل في الدين، ولا يستدين إلا عند الضرورة القصوى، لأن النبي ﷺ لم يأذن للرجل الذي طلب الزواج وليس عنده مهر، فقال له: «**التَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ**»، فلم يجد، فقال: «**زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ**». ولم يقل استدنْ من الناس! مع أن الزواج حاجة ملحة، بل لم يرشده إلى الاستدانة، لأن الدَّين خطير جدًّا، فلا تستهن الدَّين؛ الدَّين همّ في الليل وذلّ في النهار، فالإنسان يجب أن يتحرز من الدَّين، وأن لا يكثر في الإنفاق، لأن كثيرًا من الناس تجده فقيرًا لأنه يريد أن ينفق على نفسه وأهله كما ينفق الأغنياء، فيستلف من هذا، ويستلف من هذا!

وهنا مسألة: بعض الناس يكون عليه دَين ثم يتصدق، وهذا حرام! كيف تتصدق وأنت مدين؟ أدّ الواجب أولًا، ثم التطوع ثانيًا، لأن الذي يتصدق ولا يوفي الدين كالذي يبني قصرًا ويهدم مصرًا. وفي حديث ابن مسعود: القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها، إلا الأمانة، والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع.



[١٣١٣] وعن أَبي قتادة ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ فِيهِمْ فَذَكَرَ أَنَّ الجِهَادَ فِي سَبيلِ الله، وَالإِيمَانَ بِالله، أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيت إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبيلِ الله، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ الله وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**»، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبيلِ الله، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**نَعَمْ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبِرٍ، إلَّا الدَّيْنَ فَإنَّ جِبْرِيلَ ﵇ قَالَ لِي ذٰلِكَ**». رواه مسلم.

فيه: فضيلة عظيمة للمجاهد، وهي تكفير خطاياه كلها، إلا حقوق الآدميين.

[١٣١٤] وعن جابر ﵁ قال: قَالَ رَجُلٌ: أَيْنَ أَنَا يَا رَسُولَ الله إنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: «**فِي الجَنَّةِ**»، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم.

كان ذلك يوم أُحُد، أجابه ﷺ بالبتِّ؛ لأنه علم منه الإخلاص في الجهاد.

[١٣١٥] وعن أنس ﵁ قال: انْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا المُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ، وَجَاءَ المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يَقْدِمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ**»، فَدَنَا المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**». قَالَ: يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الحُمَامِ الأَنْصَارِيُّ ﵁: يَا رَسُولَ الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**». قَالَ: بَخٍ بَخٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَولِكَ بَخٍ بَخٍ؟**»، قَالَ: لَا وَالله يَا رَسُولَ الله إلَّا رَجَاءَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا. قَالَ: «**فَإنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**». فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هٰذِهِ إنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ. رواه مسلم.

القَرَنُ: جُعْبَةُ النَّشَّابِ؛ الوعاء الذي توضع به السهام.

**[١٣١٦]** وعنه قال: جَاءَ نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُمْ الْقُرَّاءُ، فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيؤونَ بِالْمَاءِ، فَيَضَعُونَهُ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ، وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِي ﷺ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا الْمَكَانَ، فَقَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا، وَأَتَى رَجُلٌ حَرَامًا خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّى أَنْفَذَه، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١٣١٧]** وعنه قال: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ، وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هٰؤُلَاءِ- يَعْنِي: أَصْحَابَهُ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هٰؤُلاءِ- يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا سَعدَ بْنَ مُعَاذٍ، الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ! قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ الله مَا صَنَعَ! قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ! قَالَ أَنَسٌ: كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هٰذِهِ الآيَةَ نَزَلتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ**﴾ إِلَى آخِرِهَا [الأحزاب:٢٣]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



[١٣١٨] وعن سَمُرَة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، قَالَا: أَمَّا هٰذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ**». رواه البخاري.



[١٣١٩] وعن أنس ﷺ، أَنَّ أُمَّ الرُّبيعِ بِنْتَ البَرَاءِ، وَهِيَ أُمُّ حارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ، أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ -وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ- فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذٰلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، فَقَالَ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**». رواه البخاري.

كان قولها قبل تحريم النوح؛ لأن تحريمه كان بعد غزوة أُحد.



[١٣٢٠] وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: جِيءَ بِأَبِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ، فَنَهَانِي قَوْمِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَا زَالَتِ المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

تظليل الملائكة تشريف له. وفي رواية للبخاري: «**مَا زَالَتِ المَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ**».



[١٣٢١] وعن سهل بن حنيف ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ**». رواه مسلم.

**[١٣٢٢]** وعن أنس ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ**». رواه مسلم.

**[١٣٢٣]** وعن أَبي هريرة ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

أي: قرصة نحو النملة مؤلم ألمًا خفيفًا، لأن الله تعالى يُسهّل عليه القتل كما أنه يُسهّل عليه خروج الروح، لأن الروح تبشَّر برضوان من الله ﷻ وبالجنة، فيسهل عليها الخروج كما في غيرها من الأموات.

**[١٣٢٤]** وعن عبد الله بن أَبي أَوْفَى ﵄، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّى مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُموهُمْ فَاصْبِرُوا؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وحكمة النهي، أنه لا يعلم ما يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن.

**[١٣٢٥]** وعن سهل بن سعد ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ البَأْسِ حِيْنَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعْضًا**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

قوله: «**يُلْحِمُ**»: يتقاربون. وروي بالجيم، أي كأن كلًّا يلجم صاحبه بالسلاح.



**[١٣٢٦]** وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا غَزَا، قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: الخروج من حول العبد وقوته، والاعتماد على الله ﷻ.

**[١٣٢٧]** وعن أَبي موسى رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قومًا، قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

فيه: التحصن بالله تعالى، والالتجاء إليه فيما ينزل بالإنسان.

**[١٣٢٨]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**الخَيْلُ مَعقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

سمِّيتْ خيلًا لاختيالها، وهو إعجابها بنفسها مرحًا.

**[١٣٢٩]** وعن عروة البارِقيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الخَيْلُ مَعقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ؛ الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعند الطبراني من حديث جابر: «**الخَيْلُ مَعقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ وَاليُمْنُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَأَهْلُهَا مُعَانُونَ عَلَيْهَا، قَلِّدُوهَا، وَلَا تُقَلِّدُوهَا الأَوْتَارَ**». زاد أحمد: «**فَامْسَحُوا بِنَوَاصِيهَا، وَادْعُوا لَهَا بِالبَرَكَةِ**». وعند البرقاني: «**وَالإِبِلُ عِزٌّ لِأَهْلِهَا، وَالغَنَمُ بَرَكَةٌ**». والمعنى العام: قلدوها إشارات طلب إعلاء الدين والدفاع عنه عن المسلمين، ولا تقلدوها إشارات وأوتار الجاهلية وهي رايات الدم وطلب الثأر. في هذا الحديث مع وجيز لفظه، من البلاغة والعذوبة، ما لا مزيد عليه في الحسن، مع الجناس السهل الذي بين الخيل والخير.



**[١٣٣٠]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللهِ، إِيمَانًا بِاللهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ، وَرَوْثَهُ، وَبَوْلَهُ، فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه البخاري.

**[١٣٣١]** وعن أَبي مسعود ﷺ قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هٰذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ سَبْعُ مَائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ**». رواه مسلم.

مَخْطُومَةٌ: أي مَشْدُودةٌ بِحَبْلٍ.



**[١٣٣٢]** وعن أَبي حمادٍ- ويقال: أَبُو سعاد، ويقال: أَبُو أسدٍ، ويقال: أَبُو عامِرٍ، ويقال: أَبُو عمرو، ويقال: أَبُو الأسود، ويقال: أَبُو عبسٍ- عُقبة بن عامِرٍ الجُهَنيِّ ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى المِنْبَرِ، يَقُولُ: «﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال:٦٠]، **أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ**». رواه مسلم.

أي: إن الرمي هو أعظم أنواع القوة نكايةً في العدو، وأنفعها في الحرب، والرمي في كل وقت بحسبه؛ ففي عهد الرسول ﷺ يكون الرمي بالقوس بالسهام، وفي وقتنا الآن يكون الرمي بالقنابل والصواريخ والطائرات، لأن كل رمي بحسب الوقت الذي يكون فيه الإنسان.

**[١٣٣٣]** وعنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرْضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلَا يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ أَنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ**». رواه مسلم.

وفي هذه الأحاديث، الحثُّ على تعلم الرمي والتمرن عليه، وعلى أن الإنسان ينبغي له أن يتعلم كيف يرمي، ولو بالأسلحة الخفيفة، لأنه لا يدري ماذا يحدث له، حتى إن

النبي ﷺ أجاز العوض في المسابقة في الرمي، يعني مثلًا: رمى اثنان بالبندقية أو شبهها من السلاح، ويجعلون بينهما عوضًا من يرمي منهم يأخذه، هذا أيضًا لا بأس به وجائز، لما في ذلك من الحث على تعلم الرمي.

**[١٣٣٤]** وعنه: أنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ ثُمَّ تَرَكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ فَقَدْ عَصَى**». رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة مرفوعًا: «**مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ وَنَسِيَهُ فَهِيَ نِعْمَةٌ جَحَدَهَا**».

**[١٣٣٥]** وعنه رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ؛ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِي بِهِ، وَمُنْبِلَهُ، وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا، وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَ مَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا**»، أَوْ قَالَ: «**كَفَرَهَا**». رواه أبو داود. وآخر الحديث: «**لَيْسَ مِنَ اللَّهْوِ ثَلَاثَةٌ؛ تَأْدِيبُ الرَّجُلِ فَرَسَهُ، وَمُلَاعَبَتُهُ أَهْلَهُ، وَرَمْيُهُ بِقَوْسِهِ وَنَبْلِهِ**». أي: ليس ذلك من اللهو المكروه.

**[١٣٣٦]** وعن سَلَمة بن الأَكْوعِ رضي الله عنه قال: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ يَنْتَضِلُونَ، فَقَالَ: «**ارْمُوا بَنِي إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا**». رواه البخاري.

**[١٣٣٧]** وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قوله: «**عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ**»، أي مثل رقبة معتقة.



**[١٣٣٨]** وعن أبي يحيى خُرَيْم بن فاتِكٍ ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ الله كُتِبَ لَهُ سَبْعُ مَائَةِ ضِعْفٍ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وروى أحمد وغيره عن أبي عبيدة عن النبي ﷺ: قال: «**مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ الله فَسَبْعُ مَائَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ عَلَى أَهْلِهِ، أَوْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ أَمَاطَ أَذًى عَنِ الطَّرِيقِ، فَهِيَ حَسَنَةٌ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا، وَمَنِ ابْتَلَاهُ اللهُ فِي جَسَدِهِ فَهُوَ لَهُ حِطَّةٌ**».

**[١٣٣٩]** وعن أبي سعيد ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذٰلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الخريف هنا العام، والفضل المذكور محمول على من لم يضعفه الصوم عن الجهاد.



**[١٣٤٠]** وعن أبي أُمَامَة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ الله جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ أخرج أحمد وغيره.

وعن العباس بن عبد المطلب، قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**أَتَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ؟**». قُلْنَا: اللهُ أَعْلَمُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: «**بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مَائَةِ سَنَةٍ**». الحديث.



**[١٣٤١]** وعن أبي هريرة ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ**». رواه مسلم.

قال القرطبي: في الحديث: إن من لم يتمكن من عمل الخير ينبغي له العزم على فعله إذا تمكن منه، ليكون بدلًا عن فعله، فأما إذا خلا عنه ظاهرًا وباطنًا، فذلك شأن المنافق الذي لا يعمل الخير ولا ينويه، خصوصًا الجهاد الذي أعز الله به الإسلام، وأظهر به الدين.

[١٣٤٢] وعن جابر رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ**». وفي رواية: «**حَبَسَهُمُ العُذْرُ**». وفي رواية: «**إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الأَجْرِ**». رواه البخاري

[١٣٤٣] وعن أَبي موسى رضي الله عنه، أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ؟ وفي رواية: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وفي رواية: وَيُقَاتِلُ غَضَبًا، فَمَنْ فِي سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ذهب المحققون إلى أنه إذا كان الباعث الأول قصد إعلاء كلمة الله، لم يضره ما انضاف إليه.

[١٣٤٤] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إِلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ وَتُصَابُ إِلَّا تَمَّ أُجُورُهُمْ**». رواه مسلم.

معناه: أن الغزاة إذا سلموا أو غنموا يكون أجرهم أقل من أجر من لم يسلم، أو سلم ولم يغنم، كما قال بعض الصحابة: فمنّا من سلم ولم يأكل من أجره شيئًا، ومنّا من أينعت له ثمرته فهو يهديها.

[١٣٤٥] وعن أَبي أُمَامَة رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عز وجل**». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ.

السياحة: مفارقة الوطن والذهاب في الأرض، وقال ابن المبارك: عن ابن لهيعة: أخبرني عمارة بن غزية، أن السياحة ذكرت عند رسول الله ﷺ فقال: «**أَبْدَلَنَا اللهُ بِذٰلِكَ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ**».

ليس المراد من السياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبد بمجرد السياحة في الأرض، والتفرد في شواهق الجبال والكهوف والبراري، فإن هذا ليس بمشروع إلا في أيام الفتن، والزلازل في الدين، كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الرَّجُلِ غَنَمٌ، يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ القَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ**».



**[١٣٤٦]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ**». رواه أَبُو داود بإسنادٍ جيدٍ.

القَفْلَةُ: الرُّجُوعُ مِنَ الغَزْوِ بَعدَ فَرَاغِهِ؛ أَنَّهُ يُثَابُ فِي رُجُوعِهِ بَعْدَ فَرَاغِهِ مِنَ الغَزْوِ.

في هذا الحديث: أن أجر المجاهد في انصرافه إلى أهله بعد غزوه، كأجره في إقباله إلى الجهاد، كما يكتب أثر الماشي إلى المسجد، ورجوعه إلى أهله.



**[١٣٤٧]** وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوك تَلَقَّاهُ النَّاسُ، فَتَلَقَّيْتُهُ مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ. رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح، ورواه البخاري قال: ذَهَبْنَا نَتَلَقَّى رَسُولَ الله ﷺ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَى ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ. ثنية الوداع: موضع بقرب المدينة، سمّيت بذلك لأن المسافر كان يشيّع إليها ويودّع عندها.



**[١٣٤٨]** وعن أَبي أُمَامَةَ ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

**[١٣٤٩]** وعن أنس ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ**». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح.

وقال الله تعالى: ﴿**وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾ [التوبة:٤١].

**[١٣٥٠]** وعن أَبي عمرو- ويقالُ: أَبُو حكيمٍ- النُّعْمَانِ بن مُقَرِّن ﵁ قال: شَهِدْتُ رَسُولَ الله ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ مَنْ أَوَّلِ النَّهَارِ، أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّى تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ. رواه أَبُو داود والترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فيه: أن أحسن أوقات القتال أول النهار وبعد زوال الشمس لبرد الوقت، وحربه عند هبوب الرياح استبشار بها نصره الله من الرياح، وهذا مفهوم من قوله: «**نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادٌ بِالدَّبُورِ**».

**[١٣٥١]** وعن أَبي هريرة ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وقال الصدِّيق: لأن أُعافى فأشكر، أحب إليَّ من أن أُبتلى فأصبر.

وكان عليٌّ يقول: لا تدعُ إلى المبارزة، فإذا دُعيت فأجب تُنصر، فإن الداعي باغٍ.



**[١٣٥٢]** وعنه وعن جابرٍ ﵄، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الحَرْبُ خِدْعَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فالخِدَاع في الحرب جائز كيفما أمكن، إلا بالأيمان والعهود والصريح بالأمان، فلا يحل شيء من ذلك.





## ٢٣٧- الشُّهَداء

[١٣٥٣] عن أَبي هريرة ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ، وَالمَبْطُونُ، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ الله**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الأول: المطعون؛ من مات بالطاعون، وهو وباء فتاك مُعدٍ، إذا وقع في أرض فإنه يهلك، ولهذا قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهَا، وإِذَا وَقَعَ وَأَنْتُمْ فِيهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ، وَمَنْ مَاتَ بِالطَّاعُونِ كَانَ شَهِيدًا**».

الثاني: المبطون؛ هو الذي أصابه داء في البطن، ثم يموت فإنه يكون شهيدًا.

الثالث: الغريق الذي يغرق إما في النهر أو في البحر أو ما أشبه ذلك، فإنه يكون من الشهداء في الآخرة، ولهذا أمر الإنسان أن يتعلم السباحة.

الرابع: من مات بهدم؛ يعني رجل انهدم عليه بيت أو جدار، فإنه يكون شهيدًا، لأن هؤلاء كلهم ماتوا بحوادث مميتة بريئة، وهل يقاس عليهم كالذي يموت في حادث أو اصطدام أو ما أشبه ذلك؟ قد يقاسون على هذا، ويقال لا فرق بين أن ينهدم الجدار أو أن تنقلب السيارة، لأن كل حادث مات به الإنسان فهو شهيد، لكننا لا نجزم به.

الخامس: الشهيد في سبيل الله؛ المقتول في سبيل الله هو أعلى أنواع الشهداء، أما الشهداء الآخرون فهم شهداء في أحكام الآخرة لا في أحكام الدنيا، ويتبين ذلك بأن الشهيد المقتول في سبيل الله شهيد في الدنيا والآخرة، فهو شهيد في الدنيا إذا قتل ومات فإنه لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ويدفن، ولا يأتيه الملكان اللذان يسألانه عن ربه وعن دينه وعن نبيه، فلا يغسل من أجل أن يبقى أثر الدم الذي قتل في سبيل الله من أجله، فيأتي يوم القيامة وجرحه يثغب دمًا، اللون لون الدم والريح ريح المسك، لذلك قال العلماء: يحرم أن يغسل دمه، بل يبقى على ما هو عليه، ولا يكفن، وإنما يكفن في ثيابه التي قتل فيها حتى يأتي يوم القيامة بهذه الثياب، ولا يصلى عليه لأن الصلاة شفاعة، كما قال

النبي ﷺ في الصلاة على الميت: «**مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ**»، فالمقتول في سبيل الله لا يحتاج لأن يشفع له أحد، لأن الشفاعة له كونه يعرض رقبته لأعداء الله إعلاء لكلمة الله.

الحاصل أن هناك شهداء غير المقتولين في سبيل الله، ومن ذلك أيضًا من مات في سبيل الله وإن لم يقتل فهو شهيد، ولكنه شهيد في الآخرة؛ كرجل خرج مع المجاهدين ومات في الطريق موتة طبيعية، فهذا أيضًا من الشهداء، لكن شهيد الآخرة، أما في الدنيا فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه ويدفن مع الناس، كالشهداء الذين ذكرهم الرسول ﷺ، وهو من مات بهدم، أو غرق، أو طاعون، أو بطن.

**[١٣٥٤]** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: «**إِنَّ شهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ**»! قَالُوا: فَمَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**مَنْ قُتِلَ فِي سَبيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهِيدٌ**». رواه مسلم.

قوله: «**مَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ الله فَهُوَ شَهِيدٌ**»: أي مات بسبب غير القتال. قال الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [آل عمران:١٥٧].



**[١٣٥٥]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وعند النسائي: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مالِهِ مَظْلُومًا فَلَهُ الجَنَّةُ**».



**[١٣٥٦]** وعن أَبِي الأَعْوَر سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل، أَحَدِ العَشَرَةِ الْمَشْهُودِ لَهُمْ بِالجَنَّةِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

حتى لو أن أحدًا أراد أن يعتدي على دينك أو عرضك أو ما أشبه ذلك، فقاتلته، فقتلك، فأنت شهيد، وإن قتلته أنت فهو في النار، ولهذا قال العلماء: إن دفع الصائل، ولو أدى إلى قتله جائز، لأنه إذا صال عليك فلا حرمة له، لكن إذا اندفع بما دون القتل فلا تقتله.

**[١٣٥٧]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «**فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «**قَاتِلْهُ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «**فَأَنْتَ شَهِيدٌ**». قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**». رواه مسلم.

وجميع من ذكر من الشهداء يُغَسَّلون ويُصلَّى عليهم، إلا شهيد المعركة.





## ٢٣٨- العِتقُ

بدأت قصة تملُّك أسرى الحروب، وتحويلهم إلى عبيد، وبيعهم وشرائهم على مدار التاريخ، وكان العبيد يعملون في الري والتعدين والرعي والجيش، والقرآن والحديث ينظر إلى تملك العبيد على أساس أنه أمر استثنائي، يمكن استخدامه في ظل ظروف معينة ومحدودة، فقط الأطفال من العبيد أو من غير المسلمين من أسرى الحرب يمكن أن يصبحوا عبيدًا، لكن يمُنَع تمامًا أن يكون أي طفل مسلم حديث الولادة عبدا لأي شخص، كما أن الإسلام وضع قانون العتق من العبودية ليكون واحدًا من الأفعال الفاضلة العديدة المتاحة لتكفير الذنوب، ووفقًا للشريعة يعتبر العبيد بشرًا، ويمتلكون الحقوق على أساس إنسانيتهم، إضافة إلى ذلك، المسلمون العبيد يتساوون مع الأحرار المسلمين في القضايا الدينية، ويتفوقون على غير المسلمين سواء كانوا أحرارًا أو عبيدًا، فالعبيد لعبوا أدوارًا اجتماعية واقتصادية مختلفة، وانتقلوا من عمال إلى أمراء، حتى أن بعض الحكام اعتمدوا على العبيد في المجالات العسكرية والإدارية إلى درجة أنهم استولوا على السلطة.

أما العتق في الإسلام فهو: تحرير الرقاب، يعني أن يكون هناك إنسان مملوك فيأتي شخص فيعتقه ويحرره ابتغاء وجه الله ﷻ، فهذا من أفضل الأعمال.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا العَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١١-١٣].

﴿اقْتَحَمَ العَقَبَةَ﴾: الصعود إلى المرتفعات بصعوبة ومشقة، جعل الأعمال الصالحة عقبة، وعملها اقتحامًا لها، لما فيه من مجاهدة النفس، وكذلك إعتاق الرقاب صعب على النفوس لأن فيه إخراج المملوك عن ملكه.

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: تخليصها من الرق، ويشمل فك الأسير من العدو.

وما ثبت عن النبي ﷺ؛ أن من أعتق عبدًا أعتق الله بكل عضو منه عضوًا منه، حتى الفرج بالفرج؛ يعني أنك إذا أعتقت عبدًا أعتق الله كل بدنك من النار[1]

﴿مَسْغَبَةٍ﴾: مجاعة.

**[١٣٥٨]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْها عُضْوًا مِنْهُ فِي النَّارِ، حَتَّى فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في الحديث: أنه ينبغي أن يكون العتق كاملًا ليحصل الاستيعاب، وعتق الذكر أفضل، للحديث: «**أَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرِءًا مُسْلِمًا كَانَ فِكَاكُهُ مِنَّ النَّارِ، وَأَيُّمَا امْرِئٍ مُسْلِمٍ أَعْتَقَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ كَانَتَا فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ**». رواه الترمذي.

ولأبي داود: «**أَيُّمَا امْرَأَةٌ مُسْلِمَةٌ أَعْتَقَتْ امْرَأَةً مُسْلِمَةً كَانَتْ فِكَاكَهَا مِنَ النَّارِ**».



**[١٣٥٩]** وعن أَبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، أَيُّ الأَعمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**». قَالَ: قُلْتُ: أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا دليل على أنَّ ما كثرت قيمته، واغتبط به سيِّده، فعتْقهُ أفضل من غيره. وقد قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].



## ٢٣٩- الإِحسان إلى المَمْلُوك

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء:٣٦].

يوصينا الله ﷻ بالإحسان إلى خلق الله ممن ذكرهم في الآية، والشاهد هنا قوله: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾، وهم الأرقاء؛ لأن الرقيق ضعيف الحيلة أسير في أيدي الناس.



**[١٣٦٠]** وعنِ المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ قال: رَأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ وَعَلَى غُلَامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ سَابَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَعَيَّرَهُ بِأُمِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أيديكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: فعيّره بأمه، أي قال له: يا ابن السوداء. قوله: «**فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»: أي خُلق من أخلاق الجاهلية، وهي ما قبل الإسلام. وقوله: «**هُمْ إِخْوَانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ**»: أي لأنكم وهم أولاد آدم، وخولكم، أي: خدمكم.



**[١٣٦١]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَتَى أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ؛ فَإِنَّهُ وَلِيَ عِلَاجَهُ**». رواه البخاري.

الأُكْلَةُ بضمّ الهمزة: هِيَ اللُّقْمَةُ.





## ٢٤٠- المَمْلُوك الذي يؤدِّي حقَّ اللّه وحقَّ مواليه

**[١٣٦٢]** عن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ الله، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١٣٦٣]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**لِلْعَبْدِ المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أَجْرَانِ**»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ لَوْلَا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله وَالحَجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَمُوتَ وَأَنَا مَمْلُوكٌ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وإنما استثنى أبو هريرة هذه الأشياء؛ لأن الجهاد والحج يُشترط فيهما إذن السيد، وكذلك برّ الأم، فقد يحتاج فيه إلى إذن السيد في بعض وجوهه، بخلاف بقية العبادات البدنية.

**[١٣٦٤]** وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَى سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ، وَالنَّصِيحَةِ، وَالطَّاعَةِ، لَهُ أَجْرَانِ**». رواه البخاري.

**[١٣٦٥]** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَهُمْ أَجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالعَبْدُ المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّى حَقَّ الله، وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأْدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا فَتَزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



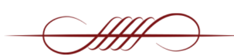



المقصود من هذا، أنه ما ينبغي للمؤمن أن يتدخّل في أشياء تصده عن الحق؛ من قيل وقال، أو اختلاف بين أهل بلد أو عائلات وقبائل، أو تنظيمات وأحزاب، أو قتال بينهم، بل ينبغي له إن استطاع أن يحل المشكلة فليفعل، وإلا فليستقم على دين الله وليعتزل الفتنة، ولا يدخل فيها، بل يكون مشغولًا بطاعة الله، وألا يشغله عن ذلك هذه الفتن التي تقع بين الناس والاختلاف والأهواء، بل ينبغي له أن يهتم بأمر دينه، وأن يتحرز من الدخول في هذه الفتن.

**[١٣٦٦]** عن مَعْقِلِ بن يسار رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**العِبَادَةُ فِي الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ**» رواه مسلم.

وسبب ذلك أنَّ الناس يغفلون ويشتغلون عنها، ولا يتفرَّغ لها إلا الأفراد.

قال القرطبي: المتمسك في ذلك الوقت، والمنقطع إليها، والمنعزل عن الناس، أجره كأجر المهاجر إلى النبي ﷺ؛ لأنه ناسبه من حيث أن المهاجر فرَّ بدينه ممن يصده عنه للاعتصام بالنبي ﷺ، وكذا هذا المنقطع للعبادة فرَّ من الناس بدينه إلى الاعتصام بعبادة ربّه، فهو في الحقيقة قد هاجر إلى ربّه، وفرّ من جميع خلقه.





## ٢٤٢- السَّماحة في البَيْع والشِّراء

البيع والشراء أمران ضروريان، لا تقوم حياة بني آدم إلا بهما، وذلك لأن الإنسان قد يحتاج إلى شيء عند غيره فكيف يصل إليه؟ إن استجداه، وقال: هَبْه لي، أذلّ نفسه، وإن استعاره بقي في قلق، وإن أخذه غصبًا صار خلاف، فكان من حكمة الله ﷻ أن شرع البيع والشراء.

قال تَعَالَى: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود:٨٥].

﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾، أي تنقصوا، فالإنسان كلما كان أسمح في بيعه وشرائه، وتأجيره واستئجاره، ورهنه وارتهانه، وغير ذلك، فإنه أفضل.

وقال تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين:١- ٦].

﴿وَيْلٌ﴾: كلمة وعيد يتوعد الله ﷻ المطففين، يعني إذا كان الحق لهم فإنهم يستوفون حقهم كاملًا، وإذا كان الحق عليهم وكالوا لهم أو وزنوا لهم فإنهم يبخسون، فيظلمون من الوجهين، وهذا دليل على أن الوفاء في العقود مما جاء في الشرائع السماوية السابقة واللاحقة.

إلا أن العامل وحتى الموظف؛ إذا كان يريد أن يأخذ راتبه كاملًا، لكنه يتأخر في الحضور أو يتقدم في الخروج، فإنه من المطففين الذي توعدهم الله بالويل، لأنه لا فرق بين إنسان يكيل للناس، وبين إنسان موظف عليه أن يحضر أو يخرج في ساعة معينة، ثم يتأخر في الحضور، ويتقدم في الخروج، وهذا المطفف في الوظيفة، لو نقص من راتبه ريال واحد من عشرة آلاف لقال: لماذا!

ثم قال تعالى منكرًا عليهم: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾. يعني: هل هؤلاء نسوا يوم الحساب، ونسوا يوم القيامة؟ فالإنسان في هذه الدنيا ليس معه ضمان أن يعيش ولا لحظة واحدة، قد يموت وهو يأكل! قد يموت وهو نائم! أو يموت وهو على مكتبه، قد يموت في أي حال، ثم يأتي اليوم العظيم!

قال الزَّجَّاج: إنما قيل لمن ينقص المكيال والميزان مطفِّف؛ لأنه لا يكاد يسرق إلا الشيء اليسير الطفيف، وكان ابن عمر يمرُّ بالبائع فيقول: اتَّقِ الله، أَوفِ الكيل والوزن، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة، حتى يلجمهم العرق إلى أنصاف آذانهم.



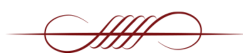
**[١٣٦٧]** وعن أَبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ، فَأَغْلَظَ لَهُ، فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**دَعُوهُ، فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، لَا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ. قَالَ: «**أَعْطُوهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا**»، أي: حقًّا في المطالبة وقوة الحجة.

وفي الحديث جواز المطالبة بالدَّين إذا حل أجله، وفيه جواز الوفاء بما هو أفضل.

**[١٣٦٨]** وعن جابر ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى**». رواه البخاري.

قال البخاري، وأشار بهذا إلى ما أخرجه الترمذي وغيره، عن ابن عمر، وعائشة، مرفوعًا: «**مَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ، وَافٍ أَوْ غَيرِ وَافٍ**».



**[١٣٦٩]** وعن أَبِي قتادة ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**». رواه مسلم.

هذا مقتبس من قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٨٠].

**[١٣٧٠]** وعن أَبِي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وأما إنظار المعسر فإنه واجب على الإنسان، إذا كان صاحبه معسرًا لا يستطيع الوفاء يجب عليه أن ينظره، ولا يحل له أن يطالبه، لقول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾.

**[١٣٧١]** وعن أَبِي مسعود البدريِّ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِرًا، وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ. قَالَ اللهُ ﷻ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذٰلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ**». رواه مسلم.

فالإنظار واجب، والإبراء سنة، ولا شك أن الإبراء أفضل، لأن الإبراء تَبْرأ به الذمة نهائيًّا، والإنظار تبقى الذمة مشغولة، لكن صاحب الحق لا يطالب به حتى يستطيع المطلوب أن يوفي.

هناك بعض الناس تحل لهم الديون على أناس فقراء، فيؤذونهم ويضربونهم، ويطالبونهم ويدفعون بهم إلى المحاكم، ويحبسونهم عن أهليهم وأولادهم وأموالهم، وهذا لا شك أنه منكر، والواجب على القضاة إذا علموا أن هذا معسر لا يستطيع الوفاء، أن

يقولوا للدائن ليس لك حق في مطالبته، لأن الله تعالى هو الحكم بين العباد، لكن يتعلل بعض القضاة في هذه المسألة فيقولون: إن بعض المدينين يتلاعبون بالناس، فيأخذون الأموال ويجحدونهم، فيعاملونهم بهذا تنكيلًا بهم، وهذا نعم إذا ثبت، فإنه لا بأس أن يُحبس ويُضرب حتى يوفّي، فإن لم يفعل، فإن الحاكم يتولى بيع ما شاء من ماله ويوفي دينه.



**[١٣٧٢]** وعن حذيفة ﷺ قال: أُتِيَ اللهُ تَعَالَى بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللهَ حَدِيثاً﴾ [النساء:٤٢]. قَالَ: يَا رَبِّ آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ، فَقَالَ الله تَعَالَى: «**أَنَا أَحَقُّ بِذَا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**»، فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ ﷺ: هٰكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِيِّ رَسُولِ اللهُ ﷺ. رواه مسلم.



**[١٣٧٣]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا، أَوْ وَضَعَ لَهُ، أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَضَعَ لَهُ: أي وضع دَيْنه.



**[١٣٧٤]** وعن جابر ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى مِنْهُ بَعِيرًا، فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا الحديث له قصة: أن النبي ﷺ اشترى من جابر بعيرًا، فأمر بلالا أن يَزِن لي أوقية، فأرجح في الميزان، أي: زاد في الوزن أكثر مما يستحقه جابر من ثمن البعير، وكانوا فيما سبق يتعاملون بالنقود وزنًا لا عددًا، وإن كانوا يتعاملون أيضًا بها عددًا، لكن الكثير وزنًا.

في الحديث: جواز الزيادة على الثمن عند الأداء، والرّجْحان في الوزن.



**[١٣٧٥]** وعن أَبي صَفْوَان سُويْدِ بنِ قيسٍ ﵁ قال: جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا مِنْ هَجَرَ، فَجَاءَنَا النَّبِيُّ ﷺ فَسَاوَمَنَا بسَرَاوِيلَ، وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بالأَجْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: «**زِنْ وَأَرْجِحْ**». رواه أَبُو داود، والترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾ [طه:١١٤]. هذه الآية من أعظم أدلّة شرف العلم، إذ لم يؤمر ﷺ أن يسأل ربه الزيادة إلا منه.

وروى الترمذي وغيره، عن أبي هريرة ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَارْزُقْنِي عِلْمًا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْمًا، الحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ**».

وإذا الإنسان سأل الله أن يزيده من العلم فلا بدّ أن يسعى في الأسباب التي يحصل بها العلم، أما أن يطلبه ويقول: رب زدني علما وهو لم يفعل الأسباب، فهذا ليس من الحكمة ولا من الصواب، هذا كمن قال: اللهم ارزقني ولدًا ولا يتزوج! من أين يأتي هذا الولد؟!

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر:٩]. هذا استفهام إنكار، والجواب مفهوم لا استواء بينهم، لا أحد يقول بذلك، ولا يمكن أن يستويان أبدًا، حتى في أمور الدنيا، وهذا أمر منتف بمقتضى طبيعة الإنسان وفطرته، والمراد بالعلم الذي وردت به النصوص إنما هو علم الشريعة؛ عقيدة وعملًا، وليس علم ما يتعلق بالدنيا كالحساب والهندسة وما أشبه ذلك.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة:١١]، ولم يعين الله ﷻ الدرجات، لأن هذه الدرجات بحسب ما مع الإنسان من الإيمان والعلم، كلما قوي الإيمان وكلما كثر العلم وانتفع الإنسان به ونفع غيره، كان أكثر درجات.

وجعل الله تعالى الفقه في دين الله معادلًا للجهاد في سبيل الله، بل أولى منه، لأنه لا يمكن أن يجاهد المجاهد، ولا أن يصلي المصلي، ولا أن يزكي المزكي، ولا أن يصوم الصائم، ولا أن يحج الحاج، ولا أن يعتمر المعتمر، ولا أن يأكل الآكل، ولا أن يشرب الشارب، ولا أن ينام النائم، ولا أن يستيقظ المستيقظ، إلا بالعلم الشرعي؛ فالعلم الشرعي هو أصل كل شيء، ولا فرق بين المجاهد في المعركة وبين طالب العلم الذي يستخرج المسائل العلمية من بطون الكتب، كل منهم يعمل للجهاد في سبيل الله وبيان شرعه لعباده.

ومن الناس من يكون الجهاد في حقه أفضل، ومن الناس من يكون طلب العلم في حقه أفضل، فإذا كان الرجل قويًّا شجاعًا لكنه قليل الفهم، فهنا نقول: الجهاد في حقه أفضل، وإذا كان بالعكس رجل ليس عنده تلك القوة البدنية أو الشجاعة القلبية، لكن عنده حفظًا وفهمًا واجتهادًا، فهذا طلب العلم في حقه أفضل.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

مَن هم أهل الخشية حقًّا؟ أهل الخشية حقًّا: هم العلماء بالله وأسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه، الذين يعرفون ما لله ﷻ، والأسرار في مقدوراته ومشروعاته، فلهذا يخشون الله، والإنسان إذا خشي الله عصم من الذنوب، وإن أذنب استغفر وتاب.



**[١٣٧٦]** وعن معاوية ؓ قال: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: بيانٌ ظاهرٌ لفضل التفقُّه في الدين على سائر العلوم الأخرى، ومفهوم الحديث أن من لم يتفقَّه في الدين، ويتعلم قواعد الإسلام وما يتصل بها من الفروع، فقد حُرِمَ الخير.

والعلم الشرعي ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: فرض عين؛ يجب على كل إنسان أن يتعلمه، فيما يحتاج إليه في أمور دينه الواجبة، كأن يتعلم ما يتعلق بتوحيد الله كله، كذلك أيضًا الصلاة المفروضة، فهي لا تسقط عن المسلم أبدًا ما دام عقله ثابتًا، فلا بد أن يتعلمها، ويتعلم ما يلزم لها من طهارة وغيرها، حتى يعبد الله على بصيرة، أما الزكاة فيجب تعلمها على كل أحد عنده مال، وما مقدار نصاب الزكاة، ومن هم مستحقوها، فإذا كان فقيرًا فلماذا نوجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة وهو ليس عنده مال؟ أما الصوم يجب تعلمه على كل أحد؛ ما هي المفطرات؟ وما هي نواقض الصوم؟ والحج يجب أن يتعلمه من استطاع إليه سبيلًا حتى يحج على بصيرة، ومع الأسف أن كثيرًا من الناس لا يتعلمون ما يجب عليهم من أحكام دينهم، فيقعون في المتاعب ولاسيما في الحج، وما أكثر الذين يسألون عن الحج، وتجدهم قد وقعوا في خلل كبير لأنهم لم يتعلموا قبل أن يعملوا، وأحكام البيع لا تجب على كل إنسان، لكن من أراد أن يتجر ويبيع ويشتري، حتى يكون على بصيرة من أمره، والفقه في الدين ليس هو العلم فقط، بل العلم والعمل، ولهذا حذر السلف من كثرة القراء وقلة الفقهاء؛ فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كيف بكم إذا كثر قرّاؤكم وقل فقهاؤكم، فإذا علم الإنسان، ولكن لم يعمل به فليس بفقيه، حتى لو كان يحفظ أكبر كتاب في الفقه ويفهمه، بل يسمى قارئًا.

القسم الثاني: فرض كفاية؛ إذا قام به من يكفي سقط عن بقية الناس، كالعلماء المتخصصين في علوم الشريعة المختلفة من أجل حفظ الدين والشريعة، فهذا متخصص في علوم العقيدة، وهذا في علوم الفقه، وهذا في علوم القرآن، وهذا في علوم الحديث، وهذا في العلوم كلها، كما كان حال سلفنا الصالح.



**[١٣٧٧]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والمراد بالحسدِ: الغِبْطَةُ، وهو أن يتمنَّى مِثله، والحسد المذكور في الحديث هو الغبطة، وليس من الحسد المذموم الذي هو تمنّي زوال النعمة عن المنعم عليه، والمراد بالحكمة هنا: القرآن، وقيل: كل ما منع من الجهل، تجد إنسانًا عنده مال أو علم أو أولاد، فتكره ذلك، وتتمنى أن الله لم يرزقه، وهو من خصال اليهود، أما النوع الثاني من الحسد فهو حسد الغبطة، وهو الفرح والسرور، فيقول: ما شاء الله، ويتمنى ذلك لنفسه.

لكن لا غبطة إلا في شيئين:

الأول: العلم النافع يقضي به في نفسه وعلى نفسه ويعلم الناس، وهو أنفع شيء؛ أنفع من المال والولد والجاه، لأن المال يحتاج إلى خزائن وإلى محاسبين وإلى حسابات وإلى تعب، لكن العلم خزينته قلبك وهو معك أينما كنت فلا تخشى أن يسرق أو يحرق.

الثاني: فهو رجل آتاه الله مالًا فسلطه في الحق، يعني صار يبذل ماله فيما يرضي الله، ونحن لا نغبط من عنده مال عظيم لكنه بخيل، ونقول هذا المسكين كيف يستطيع الجواب على حساب يوم القيامة على هذا المال، من أين اكتسبه وفيما أنفقه؟ على القصور والديكورات والسيارات الفخمة!؟



**[١٣٧٨]** وعن أَبي موسى ﷺ قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَى وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ؛ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كلأً، فَذٰلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ**

**فِي دِينِ اللهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذٰلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أجادب: هي الأرض الصلبة التي لا ينضب منها الماء، فالوحي كالغيث، نزل على الأرض فصارت ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قبل المطر، وأنبت العشب الكثير، فانتفع الناس بذلك، وحفظ الشريعة ووعاها وفهمها وعلمها واستنبط منها الأحكام الكثيرة.

القسم الثاني: قيعان لا تنبت، لكن أمسكت الماء لم تشربه، فسقى الناس منه وارتووا وزرعوا.

القسم الثالث: أرض قيعان بلعت الماء ولم تنبت.

فالأول: من فقه في دين الله فعلم وعلم، ونفع وانتفع.

والثاني: راويه، لكنه ليس عنده فقه، وما أكثر رجال الحديث الذين رووا الحديث لكنهم ليس عندهم فقه، ما هم إلا أوعية يأخذ الناس منهم!

الثالث: أرض لم تنتفع بالغيث، قيعان لا تمسك الماء، هؤلاء ما فيهم خير، لم ينتفعوا بوحي الله، ولم يرفعوا به رأسًا، يكذبون بالخبر، ويستكبرون عن الأمر، فهؤلاء هم شر الأقسام، فانظر أنت في نفسك؛ من أي الأقسام الثلاث أنت؟

في الحديث: حسن تعليم الرسول ﷺ، حيث يضرب الأمثال بالمعاني المعقولة بأشياء محسوسة، لأن إدراك المحسوس أقرب من إدراك المعقول، فضرب الأمثال تقريب للعلم وترسيخ له وإعانة على الفهم، لهذا ينبغي لك إذا حدثت عاميًّا ولم يفهم، أن تضرب له مثلًا بشيء يعقله ويعرفه، حتى يعرف المعاني المعقولة بوساطة الأشياء المحسوسة.



**[١٣٧٩]** وعن سهل بن سعد ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ ﷺ: «**فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الحمْر: جمع حمراء، وأما الحمُر فهي جمع حمار، ولهذا يخطئ بعض الطلبة فيقول: خير لك من حمُر وهذا غلط، كما قال الله تعالى: ﴿**كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ**﴾. لكن هنا جمع حمْراء وهي الناقة الحمراء، وكانت أعجب وأحب المال إلى العرب في ذلك الزمان.



**[١٣٨٠]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». رواه البخاري.

قوله: «**حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ**»، أي لا ضيق عليكم في الحديث عنهم؛ لأنه كان تقدم منه ﷺ الزجر عن الأخذ عنهم والنظر في كتبهم، ثم حصل التوسع في ذلك، وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية خشية الفتنة، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك؛ لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار، وبنو إسرائيل اليهود والنصارى إذا قالوا قولًا فحدِّث عنهم ولا حرج عليك، بشرط أن لا تعلم أنه مخالف للشريعة، لأن بني إسرائيل عندهم كذب وتحريف، إذا حدث به ليبين أنه باطل وكذب.

وقوله: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**». يعني بلغوا الناس بما أقول وبما أفعل، ولو آية من كتاب الله، ولو هنا للتقليل، يعني لا يقول الإنسان أنا لا أبلغ إلا إذا كنت عالمًا كبيرًا! لا. قال الله تعالى: ﴿**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**﴾ [الأنعام:١٩].

وقوله: «**وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» لأن الكذب على الرسول ﷺ ليس كالكذب على واحد من الناس؛ إنما هو كذب على الله، ثم هو كذب على الشريعة.

وكذلك يقال: الكذب على العالم ليس كالكذب على عامة الناس؛ يعني مثلًا تقول فلان قال هذا حرام وهذا حلال وأنت تكذب، هذا أيضًا أشد من الكذب على عامة الناس، لأن العلماء ورثة الأنبياء يبلغون شريعة الله إرثًا لرسول الله ﷺ، وهذا إثمه عظيم، وما أكثر من ينشر من النشرات التي بها الترغيب أو الترهيب وهي مكذوبة على الرسول ﷺ لأن بعض المجتهدين الجهال ينشرون هذه النشرات ويوزعونها بكمية كبيرة، يقولون: نعظ الناس بهذا. كيف تعظونهم بشيء كذب؟! ولهذا يجب الحذر من هذه المنشورات التي تنشر في المساجد أو تعلق على أبوابها، يجب الحذر والتحذير منها، وربما يكون الذي نشرها قد تبوّأ مقعده من النار.

**[١٣٨١]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**». رواه مسلم.

الطريق هنا نوعان:

الطريق الحسي: مثل أن يأتي الإنسان من بيته إلى مسجد أو مدرسة أو كلية أو غير ذلك، أو أن يرتحل الإنسان من بلده إلى بلد آخر يلتمس العلم. وقد رحل جابر بن عبد الله الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ مسيرة شهر كامل على الإبل من أجل حديث واحد.

الطريق المعنوي: وهو أن يلتمس العلم من أفواه العلماء، ومن بطون الكتب، فالذي يراجع الكتب للعثور على حكم مسألة شرعية وإن كان جالسًا على كرسيه، فإنه قد سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، لأن العلم الشرعي تعرف به حكم ما أنزل الله وأوامره ونواهيه، ويوصلك إلى الجنة.

والعلم أفضل بكثير من المال، حتى لو تصدق بأموال عظيمة طائلة.

أضرب لكم مثلًا: في عهد أبي هريرة خلفاء ملكوا الدنيا، وفي عهد الإمام أحمد

أغنياء ملكوا أموالًا عظيمة وتصدقوا وأوقفوا، وفي عهد من بعدهم كشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أناس أغنياء تصدقوا وأنفقوا وأوقفوا، أين ذهب المال؟ أين ذهب ما أنفقوه؟ أين ذهب ما وقفوه؟ راح، لا يوجد له أثر الآن، لكن أحاديث أبي هريرة تتلى في كل وقت، وهكذا شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم من العلماء ماتوا، لكن ذكرهم حيّ باق، يعلمون الناس وهم في قبورهم، ينالهم الأجر وهم في قبورهم، وهذا يدل على أن العلم أفضل وأنفع بكثير من المال.

**[١٣٨٢]** وعنه ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذٰلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**». رواه مسلم.

**[١٣٨٣]** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ؛ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**». رواه مسلم.

الأول: الصدقة الجارية، أن يتصدق الإنسان بشيء ويستمر، وأحسن ما يكون بناء المساجد، ما دام هذا المسجد قائمًا، أو يوقف الإنسان وقفًا من عقار أو بستان على الفقراء والمساكين، أو على طلبة العلم، أو على المجاهدين في سبيل الله، أو أن يطبع الإنسان كتبًا نافعة للمسلمين يقرؤون فيها وينتفعون بها، سواء كانت من مؤلفين في عصره أو من مؤلفين سابقين، أو إصلاح الطرق. والقاعدة في الصدقة الجارية: كل عمل صالح يستمر للإنسان بعد موته.

الثاني: علم ينتفع به، وهذا أعمها وأشملها وأنفعها، أن يترك الإنسان وراءه علمًا سواء بالتعليم الشفوي أو بالكتابة، ما دام مستمرًا.

الثالث: ولد صالح يدعو له، يشمل ذكرًا وأنثى، وأبناء وبنات أبنائك وبناتك.

وانظر كيف قال الرسول ﷺ: ولد صالح يدعو له، ولم يقل: ولد صالح يصلي له أو يقرأ له القرآن أو يتصدق عنه أو يصم عنه، مع أن هذه كلها أعمال صالحة، وفي هذا دليل على أن الدعاء أفضل من الصدقة والصلاة والصيام، والعجيب أن العوام وأشباه العوام يظنون أن الإنسان إذا تصدق عن أبيه أو صام أو قرأ القرآن لأبيه، يرون أنه أفضل من الدعاء، ومصدر هذا هو الجهل، قال الإمام مالك، أنه حصلت قضايا أعيان يسأله الصحابة هل يتصدق عن أبيه وهو ميت وعن أمه وهي ميتة فيقول: نعم، لكنه لم يحث الأمة على ذلك.



**[١٤٨٤]** وعنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ الله تَعَالَى، وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قَوْله: «**وَمَا وَالَاهُ**»: أيْ طَاعة الله، فالملعون من الدنيا، ما ألهى عن طاعة الله. قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ الله وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [المنافقون:٩].



**[١٣٨٥]** وعن أنسٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ كَانَ فِي سَبيلِ الله حَتَّى يَرْجِعَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قال البخاري: رحل جابر بن عبد الله مسيرة شهرٍ إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد، وذكر حديث ابن عباس في سفر موسى ﷺ إلى الخضر، قيل لأحمد: رجل يطلب العلم، هل يلزم رجلًا عنده علم كثير، أو يرحل؟ قال: يرحل يكتب عن علماء الأمصار، ويتعلّم منهم. والعلم جهاد في سبيل الله، وعليه يُبنى الجهاد وسائر الإسلام، لأن من لا يعلم لا يمكن أن يعمل على الوجه المطلوب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ**

لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. يعني: لولا نفر بالجهاد من المؤمنين من كل فرقة منهم طائفة وقعدت طائفة أخرى ليتفقهوا في الدين ﴿وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾، أي رجعوا من الغزو.

**[١٣٨٦]** وعن أبي سعيدٍ الخدري ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: «**لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّى يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ**». رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

قوله: «**لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ**»، أي من كل مُقَرَّبٍ إلى الله، وأشرفها العلم الديني. وفي بعض الآثار: اثنان لا يشبعان ولا يستويان: طالب علم، وطالب دنيا.

**[١٣٨٧]** وعن أبي أُمَامَة ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

ولا تستغرب أن تكون هذه الحيوانات تستغفر الله للعالِم، لأن الله قال على لسان موسى ﵇: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾. فالبهائم والحشرات تعلم ربها وتعرفه: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾؛ كل شيء يسبِّح بحمد الله حتى الحصى، إلا الكفرة من بني آدم والجن، والملائكة الكرام تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يصنع، أترون فضلًا أعظم من هذا؟



[١٣٨٨] وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**». رواه أَبو داود والترمذي.

وقال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة.



[١٣٨٩] وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قوله: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَءًا**» أي: نعَّمه، والنضارة في الأصل: حُسن الوجه والبريق، وإنما أراد حسن خلقه وقدره. وروى الشافعي وغيره: «**نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَحَفِظَهَا وَوَعَاهَا وأَدَّاهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»، لأنه ربما يكون الإنسان يسمع الحديث ويبلغه ويكون أوعى من السامع، يعني أفقه وأفهم وأشدّ عملًا من الإنسان الذي سمعه وأدّاه، وهذا معلوم، تجد مثلًا من العلماء من هو راوي الحديث يحفظه لكنه لا يعرف معناه، فيبلغه إلى شخص آخر من العلماء يعرف المعنى ويفهمه، ويستنتج منه أحكامًا كثيرة فينفع الناس.



**[١٣٩٠]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**». رواه أَبُو داود والترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في الحديث: تهديد ووعيدٍ لمن كتم العلم الشرعي لغرض دنيوي.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلا النَّارَ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة:١٧٤]. فإذا علمت أن السائل يسأل لاسترشاد فلا يجوز لك أن تمنعه، أما إذا علمت أنه يسأل امتحانًا فأنت بالخيار، إن شئت فعلّمه وإن شئت فلا تعلّمه، كذلك إذا علمت أنه يحصل من الفتوى مفسدة كبيرة فلا بأس أن ترجئ الإفتاء، لا تكتم، ولكن تُرجئ إلى وقت يكون فيه المصلحة، لأنه أحيانًا تكون الفتوى سببًا للشر والفساد، فإذا رأيت أنها كذلك فلا حرج عليك أن ترجئ.



**[١٣٩١]** وعنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح.

قال الله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ، أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [هود:١٥- ١٦].

والعلوم تنقسم إلى قسمين:

قسم يراد به الدنيا: كعلم الهندسة والميكانيكا، فالمشتغل بهذه العلوم يأخذ راتبًا وأجرة، كما لو نوى نفع المسلمين بما تعلم لكان ذلك خيرًا له، وينال بذلك الدين والدنيا، يعني لو قال أنا أريد تعلم الهندسة من أجل أن أكفي المسلمين أن يجلبوا مهندسين كفارًا،

أو يتعلم الميكانيكا من أجل أن يسد حاجة المسلمين، فهذا خير وله أجر على ذلك، ولو لم يرد إلا الدنيا، فله ذلك، ولا إثم عليه، وهو كالذي يبيع ويشتري.

وقسم آخر يراد به وجه الله: وهو العلوم الشرعية وما يساندها من علوم اللغة العربية، فهذا علم لا يبتغي به إلا وجه الله، فإذا أراد به الدنيا فقط، فإنه لا يجد ريح الجنة يوم القيامة، وهذا وعيد شديد، يدل على أن من قصد بتعلم الشرع شيئًا من أمور الدنيا فقط، فإنه قد أتى كبيرة من كبائر الذنوب، ولا يبارك له في علمه، يعني مثلًا قال: أريد أن أتعلم من أجل الناس كي يحترموني ويعظموني، أو أكون مدرسًا فآخذ راتبًا، هذا لا يجد ريح الجنة يوم القيامة، وقد أشكل على هذا وروّع بعض الذين يدرسون في المعاهد والكليات من أجل أن ينالوا الشهادة، فيقال: نيل الشهادة ليس للدنيا وحدها؛ قد يكون للآخرة أيضًا، كي يتمكن هؤلاء من وظائف التدريس، ونفع الناس بذلك، فهذا خير ونية طيبة، فإذا قال: أنا أريد أن أنفع الخلق، لأن الأمور الآن لا يمكن الوصول إليها إلا بالشهادات، وأنا أريد أن أصل إلى هذا، قلنا: هذه نية طيبة، وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

ومع الأسف، في الوقت الحاضر، صار المقياس في كفاءة الناس هذه الشهادات، فأنت توظف وتولي قيادة على حسب هذه الشهادة، ممكن يأتي إنسان يحمل شهادة دكتوراة فيولى التدريس في الكليات والجامعات وهو من أجهل الناس، وهذا مشاهد، ويوجد الآن من يحمل شهادة دكتوراة لكنه لا يعرف من العلم شيئًا أبدًا، ربما حصل على هذه الشهادة بطريقة ما، لكن يوظف لأن معه شهادة دكتوراة. نقول لهذا: خبت وخسرت ما دمت تريد الدنيا، بينما يأتي إنسان جيد هو خير للناس منه ألف مرة، لكن لا يوفق، لماذا؟ لأنه لا يحمل شهادة دكتوراة!

فاحذر أخي طالب العلم، احذر من النيات السيئة، فالعلم الشرعي أعز وأرفع وأعلى من أن تريد به عرضًا من الدنيا، لماذا تجعل العلم الشرعي الذي هو من أجل العبادات وأفضلها؛ سلمًا لتنال به عرضًا من الدنيا، هذا سفه في العقل وضلال في الدين.

**[١٣٩٢]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلٰكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في الحديث: أن الفتوى هي الرياسة الحقيقية، وذم من يقدم عليها بغير علم، وقد قال البخاري: قال ربيعة: لا ينبغي لأحدٍ عنده شيء من العلم أن يضيّع نفسه، وذكر حديث أنس، قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُرْفَعَ العِلْمُ، وَيَثْبُتَ الجَهْلُ، وَيُشْرَبُ الخَمْرُ، وَيَظْهَرُ الزِّنَا**»، وفي هذا الحديث إشارة إلى أن العلم سيقبض ولا يبقى في الأرض عالم يرشد الناس إلى دين الله، فتتدهور الأمة وتضل، بعد ذلك ينزع منهم القرآن من الصدور ومن المصاحف، كما قال أهل السنة: إن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، قالوا: معنى وإليه يعود أي يرجع إلى الله في آخر الزمان، حين يهجره الناس هجرًا تامًّا، لا يقرؤونه ولا يعملون به، ونظير ذلك الكعبة المشرفة في آخر الزمان، إذا انتهك الناس حرمة هذا البيت وأكثروا فيه من المعاصي، مما يُعدّ امتهانًا، سلّط الله عليهم رجلًا من الحبشة يهدمها حجرًا حجرًا، حتى تهدم عن آخرها، ولا أحد يعارض هذا الرجل!

فالعلم لا ينتزع من صدور الرجال، لكنه يقبض بموت العلماء، فيتخذ الناس من يترأسهم ويستفتونه، لكنهم جهال يفتون بغير علم، فيَضلُّون ويُضلُّون، وتبقى الشريعة

بين هؤلاء يحكمون بها بين الناس وهم جهلة، وحينئذ لا يوجد الإسلام الحقيقي الذي يكون مبنيًّا على الكتاب والسنة، لأن أهله قد قبضوا، وليس المعنى أنه أخبرنا لنستسلم فقط، والإخبار بالواقع لا يعني إقراره، يعني إذا أخبر الرسول ﷺ عن شيء ليس معناه أنه يقره ويسمح فيه، كما أخبر وأقسم قائلًا: «**لَتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: «**نَعَمْ**». إخبار تحذير لا إخبار تقرير، فيجب أن نعلم الفرق بين ما يخبر به الرسول ﷺ مقررًا له ومثبتًا له، وما يخبر به محذرًا عنه، ويعني ذلك أن نحرص حتى ندرك هذا الوقت الذي يموت به العلماء ولا يبقى إلا هؤلاء الرؤساء الجهال الذين يفتون بغير علم، فيضلون بأنفسهم ويضلون غيرهم.

حمد الله: يعني وصفه بالمحامد والكمالات، وتنزيهه عن كل ما ينافي ذلك، فهو ﷻ أهل الحمد، يُحمد على جميل إحسانه وكمال صفاته مع المحبة والتعظيم، والحمد أعم من الشكر، وقيل: الحمد باللسان قولًا، وبالأركان فعلًا، فهو ﷻ محمود في ابتداء الخلق وانتهاء الخلق واستمرار الخلق، ومحمود على ما أنزل على عبده من الشرائع، ومحمود على كل حال، ولهذا كان النبي ﷺ إذا أتاه ما يسرّه قال: «**الحَمْدُ لله الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ**»، وإذا أتاه ما يخالف ذلك قال: «**الحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ**»، وما يقوله بعض الناس اليوم: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه؛ فهو خطأ، لأنك إذا قلت ذلك فهو إشارة على أنك كاره لما قدّره عليك، ولكن قل كما قال النبي ﷺ: «**الحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ**»، هذا هو الصواب.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ**﴾ [البقرة:١٥٢].

قال ابن عباس: معناه: اذكروني بطاعتي، أذكركم بمعونتي. وعن زيد بن أسلم: أن موسى عليه السلام قال: يا رب كيف أشكرك؟ قال له ربه: تذكرني ولا تنساني، فإذا ذكرتني فقد شكرتني، وإذا نسيتني فقد كفرتني. وعن ابن عباس في قوله: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾. قال: ذكر الله إيَّاكم أكبر من ذكركم إياه. وفي الحديث الصحيح يقول الله تعالى: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**».

واعلم أن ذِكر الله ﷻ هو ذكر القلب، وأما ذكر اللسان مجردًا عن ذكر القلب فإنه ناقص، ويدلّ لهذا قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾، ولم يقل من أمسكنا لسانه عن ذكرنا، فالذكر النافع هو ذكر القلب، وذكر القلب يكون في كل شيء. معنى ذلك: أن الإنسان وهو يمشي؛ وهو قاعد؛ وهو مضجع؛ إذا تفكَّر في آيات الله ﷻ فهذا من ذكر الله، ومن ذِكر الله أيضًا ما جاء في السنة مثل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله، وما أشبه ذلك، ومن ذكر الله أيضًا الصلاة، فإنها من ذكر الله.

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧]. أي: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم فيها.

والشكر لله له فائدتان عظيمتان: الاعتراف بالله تعالى في حقه وفضله وإحسانه، والثانية أنه سبب لمزيد النعمة كلما شكرت زادت.

وقد أمرنا ﷻ أن نحمده، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الحَمْدُ للهِ﴾ [الإسراء:١١١]. وقال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠]، بل جعل حمدنا إياه من أركان الصلاة لا تتم إلا به، فالفاتحة أولها: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، لو أسقطت هذه الآية من الفاتحة ما صحَّت صلاتك.

وعن كثير من السلف: أن أهل الجنة كلما اشتهوا شيئًا قالوا: سبحانك اللَّهُمَّ، فيأتيهم الملك بما يشتهون، ويسلِّم عليهم، فيردُّون عليه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [يونس:١٠]، فإذا أكلوا حمدوا الله، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥].

قال ابن عباس: افتتح الله الخلق بالحمد، وختمه بالحمد.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص:٧٠].

وينبغي للإنسان عند ذكر الله باللسان أن يكون ذاكرًا لله بقلبه، حتى يتطابق القلب واللسان وتحصل الفائدة، لأن مجرد الذكر باللسان ينفع الإنسان لكنه ناقص، لكن الذكر بالقلب هو الأصل، واعلمْ أن الله تعالى يقول: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أن الله قال: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ».

هذا يدل على فضل الذكر وأهميته، فإذا أنعم الله عليك بمال فليكن عليك أثر هذا المال، في لباسك، وبيتك، وفي سيارتك، وفي صدقاتك، وفي نفقاتك، وفي العلم؛ إذا أنعم الله عليك بعلم فليُرَ عليك أثر هذا العلم، من نشره وتعليمه بين الناس والدعوة إلى الله.



[١٣٩٣] وعن أَبي هريرة ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، فَأَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبرِيلُ: الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَاكَ لِلفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ. رواه مسلم.

قال النووي: فسَّرُوا الفطرة هنا بالإسلام والاستقامة. ومعناه: اخترت الإسلام والاستقامة، وجعل اللَّبَن علامة ذلك، لكونه صافيًا أبيض اللون، تظهر فيه أية شائبة، سهلًا طيبًا طاهرًا سائغًا للشاربين، سليم العاقبة، والخمر أم الخبائث، جالبة لأنواع من الشر، حالًا ومآلًا.



**[١٣٩٤]** وعنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدأُ فِيهِ بِالحَمْدُ لله فَهُوَ أَقْطَعُ**». حديث حسن، رواه أَبُو داود وغيره.

قوله: «**ذِي بَالٍ**»: ذي شأن يُهتم به شرعًا. «**فَهُوَ أَقْطَعُ**»: ناقص البركة.

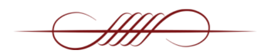
ومن فوائد الحمد، أن الإنسان إذا ابتدأ الشيء بحمد الله فإن الله تعالى يجعل فيه البركة، يعني أراد أن يأكل أو يشرب أو يتكلم في خطبة أو غير ذلك، وكل أمر لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع، يعني منزوع البركة، لكن قد ينوب عن الحمد غيره كالبسملة، مثلًا يبارك الله فيها بأشياء كثيرة، فإذا ذبح الذبيحة إن قال بسم الله حلّت وكانت طيبة، وإن قال الحمد لله لم تحلّ، وإذا قال عند الذبح الله أكبر ولم يقل بسم الله لم تحل، فكل أمر يبدأ فيه بالحمد لله فهو خير وبركة، لكن قد ينوب عن الحمد ما سواه، كالبسملة عند الأكل والشرب والذبح والوضوء وإتيان الرجل أهله.



**[١٣٩٥]** وعن أَبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الولد هنا شامل للبالغ وغيره، والذكر والأنثى، وسمي ثمرةً لكونه بمنزلة خلاصة الخلاصة.

في الحديث: كمال فضل الصبر على فقد الصفيّ، كما في حديث الآخر: «**مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنَ الدُّنْيَا فَاحْتَسَبَ إِلَّا الجَنَّةَ**».



**[١٣٩٦]** وعن أنس ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَيَرْضَى عَنِ العَبْدِ يَأْكُلُ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا**». رواه مسلم.

وكان الإمام أحمد بن حنبل ﵀ كلما أكل لقمة قال الحمد لله، فقيل له: يا أبا عبد الله ما هذا؟ قال: أكلٌ وحمدٌ خير من أكل وسكوت. وعلى هذا يكون حمد الإنسان على طعامه كثيرًا، لكن أكثر العلماء يقولون إن الأكلة هي الوجبة، تجلس على الطعام، وإذا انتهيت تقول: الحمد لله.





## ٢٤٥- الصَّلاة على النَّبيِّ ﷺ

الأمر بالصلاة على النبي ﷺ، يكون تارة للوجوب، وتارة يكون للاستحباب، فالذي للوجوب يعني أن الإنسان إذا تركه فهو آثم عاص مستحق للعقوبة، ومعنى للاستحباب أن الإنسان إذا فعله فله أجر، وإذا تركه فليس عليه إثم. واختلف العلماء ﷺ: هل تجب الصلاة على النبي ﷺ في العمر مرة؟ أو بأسباب؟ أو لا تجب؟ والصحيح أنها تجب بأسباب، وإلا فالأصل أنها مستحبة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [الأحزاب:٥٦]. أمر الله كل مؤمن بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، وأخبر عنه تعالى وعن ملائكته الكرام، بأنهم دائمون على ذلك، وصلاة الله تعالى: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء. وروي عن سفيان الثوري، وغير واحد من أهل العلم قالوا: صلاة الرب: الرحمة، وصلاة الملائكة: الاستغفار. قال ابن كثير: والمقصود من هذه الآية، أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيّه في الملأ الأعلى، بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلّي عليه، ثم أمر الله تعالى أهل العالم السُّفْلي بالصلاة والتسليم عليه، ليجتمع الثناء عليه من أهل العَالَمَيْن: العلوي والسفلي جميعًا.



**[١٣٩٧]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**». رواه مسلم. ورواه أحمد أيضًا عن أبي موسى بلفظ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ**».

فما معنى الصلاة على النبي؟ أي ما معنى قول القائل اللهم صل على محمد؟ أكثر الناس يقرأ هذا أو يدعو بهذا الدعاء وهو لا يدري معناه، وهذا غلط، فالأولى بك أن تعرف معنى كل شيء تدعو به حتى لا تدعو بإثم، فقولك اللهم صل على محمد، يعني اللهم اثن عليه في الملأ الأعلى، ومعنى اثن عليه يعني اذكره بالصفات الحميدة، والملأ الأعلى هم الملائكة.

**[١٣٩٨]** وعن ابن مسعود ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قوله: «**أَوْلَى النَّاسِ بِي**» أي: أخص أمتي بي، وأقربهم مني، وأحقهم بشفاعتي يوم القيامة، أكثرهم عليَّ صلاة.

**[١٣٩٩]** وعن أوس بن أوس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟! قَالَ: يَقُولُ: بَلِيتَ. قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح.

أرمت: بليت.

في هذا الحديث: استحباب كثرة الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة. انظر فضل الله واسع، أعطى هذا الرسول هذه الفضيلة العظيمة التي لا ينالها أحد: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**﴾. هذا خبر أراد الله منَّا أن نتشجع، ولهذا قال بعدها: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**﴾، وجّه الخطاب لنا، يعني بمقتضى إيمانكم صلُّوا عليه، لأن الإيمان هو الذي يحمل

الإنسان على امتثال الأمر ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾، أي ادعوا الله أن يثني عليه في الملأ الأعلى، ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي ادعوا الله أن يسلمه تسليمًا تامًّا في حياته من الآفات الجسدية والمعنوية، وبعد موته، بمعنى أن تسلم شريعته، وجسده، لأنه ربما يُعتدى عليه في قبره بعد موته كما حصل في عصور سابقة.

**[١٤٠٠]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

فيه ذمُّ من لم يصلِّ عليه إذا ذُكِرَ عنده، واختلف العلماء ﷺ، هل يصلى على غير النبي أم لا؟ يعني هل يجوز أن تقول اللهم صل على فلان؟ العالم الفلاني؟ أو الشيخ الفلاني؟ أو اللهم صل على أبي؟ والصحيح أن في ذلك تفصيلًا، فإن كان ذلك تابعًا للصلاة على النبي ﷺ فلا بأس، ولهذا قال الرسول ﷺ حين سألوه كيف يصلّون عليه، قال: «**قُولُوا اللَّهُمَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ**»، وإن كان مستقلًّا، فإن كان لسبب فلا بأس، ومن ذلك إذا أتى الإنسان إليك بصدقته لتوزعها فقل: اللهم صل عليه، ويسمع هذا منك، لقول الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾. قال عبد الله بن أبي أوفى: فأتيت بصَدقتي، أو قال: أتاه أبي، فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى، من دون أن تجعل ذلك شعارًا له، كلما ذكرته صليت عليه، يعني حتى لو قلنا اللهم صلّ على أبي بكر أو على عمر أو على عثمان أو عليّ فلا بأس، ولكن لا تجعل هذا شعارًا كلما ذكرت هذا صليت عليه، لأنك إذا فعلت ذلك جعلته كأنه نبي.



**[١٤٠١]** وعنه ﷺ: قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح.

أول الحديث: «**لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا**»، أي: لا تعطّلوها عن الصلاة فيها، فتكونَ بمنزلة القبور، فأمر بتحرِّي العبادة في البيوت، ونهى عن تحرِّيها عند القبور، عكس ما يفعله المشركون من النصارى، ومَن تشبَّه بهم من هذه الأمة. وقيل: لا تجعلوا القبر عيدًا تكرمونه بالمجيء إليه كل سنة مرة أو مرتين أو ما أشبه ذلك، وفيه دليل على تحريم شدِّ الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ، وأن الإنسان إذا أراد الذهاب إلى المدينة لا يقصد أن يسافر من أجل زيارة قبر الرسول، ولكن يسافر من أجل الصلاة في مسجده، لأن الصلاة في مسجده خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، فإذا صليت على الرسول ﷺ، فإن صلاتك تبلغه حيثما كنت في بر أو بحر أو جو، قريبًا كنت أو بعيدًا، يدل على ذلك قوله ﷺ: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ مَا كُنْتُمْ**».



**[١٤٠٢]** وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ** عليه السلام». رواه أَبُو داود بإسنادٍ صحيح.

عن سهيل بن أبي صالح، قال: رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند القبر، فناداني، وهو في بيت فاطمة رضي الله عنها يتعشَّى، فقال: هَلُمَّ إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتك عند القبر؟ فقلت: سلَّمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ مَا كُنْتُمْ**»، ما أنتم ومَن بالأندلس إلا سواء. رواه سعيد بن منصور.

ثم اعلم أن الرسول ﷺ بشر لا يملك النفع لك ولا الضر، فلا تسأله، لا تقل: يا رسول الله افعل كذا، يا رسول الله استغفر لي، يا رسول الله أغثني، يا رسول الله سهّل أمري، هذا حرام وشرك أكبر، لأنه لا يجوز أن تدعو مع الله أحدًا، فالدعاء خاص بالله ﷻ.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

**[١٤٠٣]** وعن عليٍّ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ. وفي روايةٍ: «**البَخِيلُ كُلُّ البُخْلِ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**».

**[١٤٠٤]** وعن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ ﷺ قال: سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ الله تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النبي ﷺ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**عَجِلَ هٰذَا**»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ- أَوْ لِغَيْرِهِ: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ**». رواه أَبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

معنى صلاة الله على العبد: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، والمراد بآل محمَّد هنا كل أتباعه على دينه، فإن آل الإنسان قد يراد بهم أتباعه على دينه وقد يراد بهم قرابته، لكن في مقام الدعاء ينبغي أن يراد بهم العموم، لأنه أشمل، فإن قال قائل: هل تأتي الآل بمعنى الأتباع؟ قلنا نعم. قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾. قال العلماء معناه: أدخلوا أتباعه.



**[١٤٠٥]** وعن أَبي محمدٍ كعبِ بن عُجْرَة ﷺ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قولهم: قد علمنا كيف نسلم عليك، أي: بما علمهم في التشهد من قولهم: السَّلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، كذلك أيضًا التبريك، تقول: اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، أي أنزل فيهم البركة، والبركة هي الخير الكثير الواسع الثابت، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، هذه هي الصلاة على النبي ﷺ وعلى آله وسلم، وهذه هي الصفة الفضلى، وإذا اقتصرت على قولك اللهم صل على محمد، هذا يُجزئ.

**[١٤٠٦]** وعن أَبي مسعودٍ البدري رضي الله عنه قال: أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ بَشْيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا الله تَعَالَى أَنْ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا رَسُولَ الله، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**». رواه مسلم.



**[١٤٠٧]** وعن أَبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قال: قالوا: يَا رَسُولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى أَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: «**عَلَى أَزْوَاجِهِ**»: أي زوجاته ﷺ، إحدى عشرة، توفي منهن اثنتان على عهده، ومات عن تسع، «**ذُرِّيَّتِهِ**»، أي: جميع أولاده وبناته وذريتهن.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت:٤٥]. أي ذكر الله أفضل الطاعات.

قال ابن عباس: يقول: ﴿**وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ**﴾، إذا ذكروه، من ذكرهم إياه.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٢]. قال ابن عباس: اذكروني بطاعتي أذكركم بمعونتي، وفي الحديث الصحيح: يقول الله تعالى: «**مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**».

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

ذكر الله تعالى يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالجوارح، أما ذكر الله تعالى بالقلب؛ أن يتفكر الإنسان في أسماء الله، وصفاته، وأحكامه، وأفعاله، وآياته، وأما الذكر باللسان فظاهر، ويشمل كل قول يقرب إلى الله ﷻ من التهليل والتسبيح والتكبير وقراءة القرآن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة السنة، وقراءة العلم، وكل قول يقرّب إلى الله فهو ذكرٌ لله.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

أما ذكر الله بالأفعال فهو بالجوارح، وهو كل فعل يقرب إلى الله كالقيام في الصلاة والركوع والسجود والقعود وغير ذلك، لكن يطلق عرفًا على ذكر الله تعالى، كالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾، فخاطب الله المؤمنين وأمرهم أن يذكروا الله في كل وقت وفي كل حال وفي كل مكان.

قال مجاهد: أَمَرَ أن يذكروه في الصدور، وبالتضرع إليه في الدعاء والاستكانة، من دون رفع الصوت والصياح بالدعاء.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

يخبر الله ﷻ أنه هيَّأ لهؤلاء المذكورين مغفرة منه لذنوبهم، وثوابًا عظيمًا، وهو الجنة.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْرًا كَثِيرًا، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

وما اشتمل عليه من صلاة الله وملائكته على الذاكرين، هو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا، تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣-٤٤].

وكثرة الآيات في هذا المجال تمنع من استيعابها، دفعًا للتطويل.



**[١٤٠٨]** وعن أبي هريرة ﵁ قال، قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمٰنِ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العظيمِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فهاتان الكلمتان من أسباب محبة الله للعبد، وأن الله تعالى يحبهما، وإذا أحب الله العمل أحب العامل به.

ما معنى سبحان الله وبحمده؟ المعنى أنك تنزّه الله تعالى عن كل عيب ونقص، وأنه الكامل من كل وجه ﷻ مقرونًا هذا التسبيح بالحمد الدال على كمال إفضاله وإحسانه إلى خلقه، وتمام حكمته وعلمه.



**[١٤٠٩]** وعنه ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**». رواه مسلم.

يعني أحبّ عليّ من كل الدنيا، وهما أيضًا كلمات خفيفة؛ الناس الآن يسافرون ويقطعون الفيافي والصحارى والمهالك والمفاوز من أجل أن يربحوا شيئًا قليلًا من الدنيا، قد يتمتعون به وقد يحرمون منه، وهذه الأعمال العظيمة يتعاجز الإنسان عنها، لأن الشيطان يكسّله ويخذله ويثبطه عنها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧].

وإذا فرضنا أن عندك مُلك الدنيا، ثم متّ، ماذا تستفيد؟ لا تستفيد شيئًا، لكن سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر؛ هي الباقيات الصالحات.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾. فينبغي لنا أن نغتنم الفرصة بهذه الأعمال الصالحة.

**[١٤١٠]** وعنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مَائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مَائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مَائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِي، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ**»، وَقَالَ: «**مَنْ قَالَ سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، فِي يَوْمٍ مَائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وهذه سهلة؛ يمكن وأنت تنتظر صلاة الفجر، بعد أن تأتي للمسجد، تقولها في طريقك، أو بعد طلوع الفجر، تقولها تنتفع بها، وهذا أيضًا من الأمور التي ينبغي للإنسان أن يداوم عليها، وينبغي أن يقولها في أول النهار لتكون حرزًا له من الشيطان، فيا أخي انتهز الفرصة، العمر يمضي ولا يرجع، وهذه أعمال خفيفة مفيدة، عملها قليل ثوابها عظيم.

**[١٤١١]** وعن أَبي أيوب الأنصاريِّ ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

خص ولد إسماعيل عليه السلام لشرفهم، فأشرف الناس نسبًا هم بنو إسماعيل، لأن أشرف الناس نسبًا هم العرب، وهم بنو إسماعيل، وأما العجم فلهم أباء آخرون، ولكن ذرية إسماعيل هم العرب، وهذا دليل على فضل هذا الذكر.

**[١٤١٢]** وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ؟ إِنَّ أَحَبَّ الكَلَامِ إِلَى اللهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ**». رواه مسلم.

أي: أسبّحه متلبسًا بحمدي له من أجل توفيقه لي، فكانت سبحان الله وبحمده أحب الكلام إلى الله، لاشتمالها على التقديس والتنزيه، والثناء بأنواع الجميل.



**[١٤١٣]** وعن أَبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال، قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلَآنِ- أَوْ تَمْلَأُ- مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**». رواه مسلم.

قوله: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ**»أي: نصفه؛ لأن خصال الإيمان قسمان: ظاهرة، وباطنة، فالطهور من الخصال الظاهرة، والتوحيد من الخصال الباطنة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**».

قوله: «**الحَمْدُ للهِ تَمْلَأُ المِيزَانَ**»، أي: عِظَمُ أجرِها يملأ ميزان الذي يحمد الله تعالى، وأما ما يقوله بعض الناس: الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه! فهذه كلمة خاطئة لم ترد، ومعناها غير صحيح، وإنما يقال: الحمد لله على كل حال.



**[١٤١٤]** وعن سعد بن أَبي وقاصٍ ﷺ قال: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ: فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: «**قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ لله كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ الله رَبِّ العَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله العَزِيزِ الحَكِيمِ**». قَالَ: فَهٰؤُلَاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي**». رواه مسلم.

الذكر ثناء ودعاء، كما في سورة الفاتحة؛ ولهذا قال الأعرابي للجُمل الأُولى: فهؤلاء لربي، فما لي؟ أي: فأي شيء أدعو به مما يعود لي بنفعٍ ديني أو دنياي؟ فأمره أن يطلب من الله المغفرة، والرحمة، والهداية، والرزق.

**[١٤١٥]** وعن ثَوبانَ ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**».

قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ، وَهُوَ أَحَدُ رُوَاةِ الحَدِيثِ: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم.

وكان النبي ﷺ إذا انصرف من صلاته قال: استغفر الله، استغفر الله استغفر الله، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، وإنما يستغفر الإنسان إذا فرغ من صلاته من أجل ما يكون فيها من خلل ونقص، ويقول: اللهم أنت السلام، يعني: اللهم إني أتوسل إليك بهذا الاسم الكريم من أسمائك أن تُسلّم لي صلاتي حتى تكون تكفرة للسيئات ورفعة للدرجات.



**[١٤١٦]** وعن المغيرة بن شعبة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلَاةِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الجَدُّ: الحظ والغنى. أي: لا ينفع صاحب الغنى عندك غناه، إنما ينفعه عنايتك به، وما قدمه من صالح العمل.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

ونحن مأمورون بأن نشكر من صنع إلينا معروفًا، كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**»، لكن نعلم أن الذي يسّر لنا هذا العطاء وصيره لنا هو الله ﷻ.

والإنسان المحظوظ الذي له حظ، وعنده مال، وعنده أولاد، وعنده زوجات، وعنده كل ما يشتهي من الدنيا، فإن هذا لا ينفعه من الله، لا يمنع ذا الجد منك الجد، وكم من إنسان تراه مسرورًا في أهله، وعنده المال والبنون وجميع ما يناله من الدنيا ولا ينفعه شيء من الله، يصاب بمرض ولا يقدر أن يرفعه عنه، يُصاب به غم وهم وقلق لا ينفعه إلا الله.



**[١٤١٧]** وعن عبدِ الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما أنه كان يقول دبر كل صلاة، حين يسلم: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ**». قال ابن الزبير: وكان رسول الله ﷺ: يهلِّل بِهنَّ دبرَ كل صلاة. رواه مسلم.

والترتيب بين الأذكار ليس بواجب، يعني لو قدمت بعضها على بعض فلا بأس، لكن الأفضل أن تبدأ بالاستغفار ثلاثًا واللَّهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام، ثم تذكر الله تعالى بالأذكار الواردة.



**[١٤١٨]** وعن أَبي هريرة ﷺ، أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَى، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَكُون أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا منْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**». قَالَ أَبُو صَالِحِ الرَّاوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ، قَالَ: يَقُولُ: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، وَاللهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**ذٰلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**».

«**الدُّثُورُ**»: جمعُ دَثْر، وهو: المال الكثير.

ومن صفات الذكر بعد الصلاة أن تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، خمسًا وعشرين، فيكون الجميع مائة.

ومن صفاته أيضًا أن تقول: سبحان الله ثلاثًا وثلاثين، والحمد لله ثلاثًا وثلاثين، والله أكبر أربعًا وثلاثين، فهذه مائة. ومن صفاته أن تقول: سبحان الله عشر مرات، والحمد لله عشر مرات، والله أكبر عشر مرات، تفعل هذا مرة وهذا مرة، لأن الكل ثبت عن النبي ﷺ.

من فوائد الحديث: حرص الصحابة ﷺ على التسابق إلى الخير، وأن كل واحد منهم يحب أن يسبق غيره، وأن هذا الذكر سبحان الله والحمد لله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين مشروع خلف الصلوات. وقد ورد في حديث آخر أنه تكمل المائة بقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير.

ومن فوائد الحديث أن الله ﷻ إذا منّ على أحد بفضل فإنما هو فضله يؤتيه من يشاء، ولن يجور بهذا الفضل على أحد، فإذا أغنى هذا وأفقر هذا فهو فضله يؤتيه من يشاء، وكذلك من رزقه الله علمًا ولم يرزق الآخر فهذا من فضله، وأن الأغنياء من الصحابة كالفقراء، حريصون على فعل الخير والتسابق فيه، ولهذا صنعوا مثل ما صنع الفقراء، فصاروا يسبحون ويحمدون ويكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين.

**[١٤١٩]** وعنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَقَالَ تَمَامَ المَائَةِ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ**». رواه مسلم.

**[١٤٢٠]** وعن كعب بن عُجْرَةَ ﵁، عن رسول الله ﷺ قال: «**مُعَقِّبَاتٌ لَا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلَاثٌ وثَلَاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلَاثُونَ تَكْبِيرَةً**». رواه مسلم.

سمِّيت مُعَقِّبَات؛ لأنها تفعل مرة بعد مرة.

**[١٤٢١]** وعن سعد بن أَبِي وقاص ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ بِهٰؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ**». رواه البخاري.

دُبُر؛ القاعدة فيها إذا كان المذكور أذكارًا فإنه يكون بعد السلام، وإذا كان المذكور دعاءً فإنه يكون قبل السلام، لأن ما قبل السلام وبعد التشهد هو دبر الصلاة.

«**الجُبْن**»: أن يشحّ الإنسان بنفسه، لا يقدم في جهاد يخشى أن يقتل، ولا يتكلم بكلام حق يخشى أن يسجن، وما أشبه ذلك فهذا جبن.

«**البُخْل**»: أن يمنع الإنسان ما يجب عليه بذله من ماله من زكاة أو نفقات أو إكرام ضيف أو غير ذلك. أرذل العمر: الهرم، وعن عليٍّ ﷺ، أنه خمس وسبعون سنة، ففيه ضعف القوى، وسوء الحفظ، وقلة العلم، فيختل مخه أو إعاقة في جسده، أو أن يكون ذلك عن كبر في السن، لأن الإنسان كلما كبر وبلغ أربعين سنة بدأ يأخذ في النقص، حتى يصل أرذل العمر في قواه الحسية وقواه العقلية، فيضعف بدنه، ويحتاج إلى من يحمله ويوضعه، ثم إن الإنسان إذا وصل إلى هذه الحال، فإن أهله يملّونه ويتعبون منه، وربما يتركونه في مكان تتكفل به الحكومة، وفي هذا الحال؛ إذا فقد قواه العقلية؛ تسقط أيضًا عنه الصلاة، ويسقط عنه الصوم، وتسقط عنه الواجبات، لأنه وصل إلى حد يرتفع عنه التكليف.

«**فِتْنَة الدُّنْيَا**»: الابتلاء بالغنى أو الفقر المشغل عن طاعة الله تعالى، وما أعظم فتنة الدنيا، وما أكثر المفتونين في الدنيا، لا سيما في عصرنا هذا، وعصرنا هذا هو عصر الفتنة، كما قال النبي ﷺ: «**وَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُم، وَإِنَّمَا أَخْشَى أَنْ تُفْتَحَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسَهَا مَنْ قَبْلَكُمْ، فَتُهْلِكَكَمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**»، وهذا هو الواقع في الوقت الحاضر، فُتحت علينا الدنيا من كل جانب؛ منازل، وقصور، وسيارات، وملابس، ومطاعم، ومشارب، فصار الناس الآن ليس لهم همٌّ إلا البطون والفروج.

«**فِتْنَة القَبْرِ**»:سؤال منكر ونكير، فيثبت الله المؤمن ويضل المنافق، قال الله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم:٢٧].



**[١٤٢٢]** وعن معاذ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَالله إِنِّي لَأُحِبُّكَ**»، وَقَالَ: «**أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: دبر الشيء من الشيء، كما يقال دبر الحيوان المؤخرة، وعليه فيكون هذا الدعاء قبل أن تسلِّم إذا انتهيت من التشهد.

**[١٤٢٣]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ**». رواه مسلم.

هذه أربعة أمور، أمر النبي ﷺ أن نستعيذ بالله منها إذا فرغنا من التشهد يعني قبل التسليم، أن تتعوذ بالله من عذاب النار، لأن القبر فيه عذاب دائم للكافرين وعذاب قد ينقطع للعاصين، وقد ثبت ذلك عن النبي ﷺ أنه مرّ بقبر رجلين وذكر حالهما.

«**فِتْنَة المَحْيَا**»: ما يُفتتن به الإنسان في حياته، إما من جهل وإما من شهوة أي هوى، بحيث يعلم الإنسان الحق لكنه لا يريده.

«**فِتْنَة المَمَاتِ**»: قيل إنها فتنة القبر وهي سؤال الملكين للإنسان، وقيل: هي ما يكون عند موت الإنسان، وذلك أن الشيطان يأتي للإنسان عند موته ويوسوس له ويشككه، وربما يأمره بأن يكفر بالله.

«**فِتْنَة المَسِيحِ الدَّجَّالِ**»: هو من يبعثه الله عند قيام الساعة، يمكث في الأرض أربعين يومًا باختلاف طولها، يدعو الناس إلى أن يكفروا بالله، يقول: أنا ربكم، ومعه جنة ونار فيما يرى الناس، والحقيقة خلاف بعضها البعض، وهذه الأربع يذكرها الإنسان قبل أن يسلم، واختلف العلماء هل هذا واجب أو سنة؟ فأكثر العلماء على أنه سنة، وأن الإنسان لو تركه

لم تبطل صلاته، وقال بعض أهل العلم إنه واجب، لو ترك ذلك فصلاته باطلة وعليه أن يعيدها، فينبغي للإنسان ألا يدعها وأن يحرص عليها.

[١٤٢٤] وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**».رواه مسلم.

[١٤٢٥] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[١٤٢٦] وعنها، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ**». رواه مسلم.

«**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ**»: يُرويان بالضم والفتح، والضم أكثر استعمالاً، وهما اسمان وُضعا للمبالغة في النزاهة والطهارة عن كل ما لا يليق بجلاله تعالى وكبريائه وعظمته وأفضاله، أي: ركوعي وسجودي لمن هو البالغ في النزاهة والطهارة المبلغَ الأعلى، وهذه مبالغة في التنزيه، وأنه جل وعلا سبوح قدوس رب الملائكة وهم جند الله عز وجل، عالم لا نشاهدهم، وأما الروح فهو جبريل، وهو أفضل الملائكة، فينبغي للإنسان أن يكثر في ركوعه وسجوده من قوله ذلك تأسّيًا برسول الله ﷺ.



**[١٤٢٧]** وعن ابن عباس ﭬ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﻷ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**».رواه مسلم.

وهذا طرف من حديث أوله: «**أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا**».

قوله: «**فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ**»، أي: حريٌّ أن يستجاب لكم، لأن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، ولا يجوز لأحد أن يقرأ القرآن وهو راكع ولا يجوز أن يقرأ القرآن وهو ساجد، فهذا حرام، لكن له أن يدعو، يقول: سبحان ربي الأعلى، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، ويكثر من الدعاء الذي يوافق القرآن، مثل أن يقول: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وثبِّت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين.



**[١٤٢٨]** وعن أَبي هريرة ﭬ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ:«**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**». رواه مسلم. لأن السجود من مواطن الإجابة، ولأن الإنسان إذا سجد فإنه يضع أشرف ما به من الأعضاء في أماكن وضع الأقدام، وكذلك أيضًا يضع وجهه وهو أعلى ما في جسده مستوى قدميه تواضعًا لله ﮋ.



**[١٤٢٩]** وعنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ؛ دِقَّهُ وَجِلَّهُ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعَلَانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**». رواه مسلم.

ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف، وهذا من باب التبسط في الدعاء والتوسع فيه، لأن الدعاء عبادة، فكلما كرره الإنسان ازداد عبادة لله ﮋ، ثم إنه في تكراره هذا يستحضر الذنوب كلها السر والعلانية، وكذلك ما أخفاه، وكذلك دقه وجله، وهذا هو الحكمة في أن النبي ﷺ فصّل بعد الإجمال، فينبغي للإنسان أن يحرص على الأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ، لأنها أجمع الدعاء وأنفع الدعاء.



[١٤٣٠] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَتَحَسَّسْتُ، فَإِذَا هُوَ رَاكِعٌ- أَوْ سَاجِدٌ- يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**». وفي روايةٍ: فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**». رواه مسلم.

قوله: «**لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ**» أي: لا أطيق أن أحصره. قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا**﴾ [إبراهيم:٣٤].

«**كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**»، كما ورد بقوله: ﴿**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الجاثية:٣٦-٣٧]، وغيرها من الآيات، والأحاديث القدسية.

قالت عائشة: ووقعت يدي على بطن قدميه وهو ساجد؛ استدل العلماء بذلك على أن الساجد ينبغي له أن يضم قدميه بعضهما إلى بعض ولا يفرقهما، لأنه لا يمكن أن تقع اليد الواحدة على قدمين متفرقتين.

كذلك هو أيضًا في صحيح ابن خزيمة أن النبي ﷺ كان يضم رجليه في السجود، أما الركبتان فهما على طبيعتهما لا يفرقهما ولا يضمهما على طبيعتهما.

قول عائشة: "وَهُوَ فِي المَسْجِدِ" دلّ هذا على أن النبي ﷺ كان يصلي أحيانًا النافلة في المسجد، مع أن الأفضل أن تكون في البيت، كما قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ صَلَاةِ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ**».



[١٤٣١] وعن سعد بن أبي وقّاصٍ رضي الله عنه قال: كُنا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**أَيَعْجَزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ فِي كلِّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ؟!**»، فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ أَلْفَ

حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «**يُسَبِّحُ مَائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحَطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: سعة فضل الله ورحمته.

قال الله تعالى: ﴿**مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام:١٦٠].

**[١٤٣٢]** وعن أَبي ذر ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ؛ فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وأَمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذٰلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**». رواه مسلم.

السُّلامى: هي المفاصل والأعضاء. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**خَلَقَ اللهُ ابْنَ آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِ مَائَةِ مَفْصَلٍ**».

قوله: «**يُجْزِئُ مِنْ ذٰلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى**»: يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان، فإن الصلاة عملٌ لجميع أعضاء الجسد.

**[١٤٣٣]** وعن أم المؤمنين جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِيْنَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: «**مَا زِلْتِ عَلَى الحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**». رواه مسلم. وفي روايةٍ لَهُ: «**سُبْحَانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**».

«**زِنَةَ عَرْشِهِ**»: لا يعلم ثقلها إلا الله ﷻ، لأن العرش أكبر المخلوقات التي نعلمها، فإن النبي ﷺ يروى عنه أنه قال: «**إِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي الكُرْسِيِّ كَحَلْقَةٍ أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، وَإِنَّ فَضْلَ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الفَلَاةِ عَلَى هٰذِهِ الحَلْقَةِ**».

إذًا فهو مخلوق عظيم لا يعلم قدره إلا الله.

«**رِضَا نَفْسِهِ**»يعني: أنك تسبح الله وتحمده حمدًا يرضى به الله، وأي حمد يرضى به الله إلا وهو أفضل الحمد وأكمله.

«**مِدَادَ كَلِمَاتِهِ**»: المداد ما يكتب به الشيء، وكلمات الله تعالى لا يقارن بها شيء. قال الله تعالى: **﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ الله إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**. وقال تعالى: **﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾**، فكلمات الله تعالى لا نهاية لها.



**[١٤٣٤]** وعن أَبي موسى الأشعري ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**». رواه البخاري. ورواه مسلم فقال: «**مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لَا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ**».

وذلك لأن الذي يذكر الله تعالى قد أحيا الله قلبه بذكره وشرح له صدره فكان كالحي، وأما الذي لا يذكر الله فإنه لا يطمئن قلبه ولا ينشرح صدره للإسلام فهو كمثل الميت، وهذا مثلٌ ينبغي للإنسان أن يعتبر به، وأن يعلم أنه كلما غفل عن ذكر الله ﷻ فإنه يقسو قلبه.



**[١٤٣٥]** وعن أَبي هريرة ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني: إذا ذكرت ربك في نفسك، إما أن تنطق بلسانك سرًّا ولا يسمعك أحد، أو تذكر الله في قلبك، فإن الله تعالى يذكرك في نفسه، وإذا ذكرته في ملأ أي عند جماعة فإن الله تعالى يذكرك في ملأ خير منهم، أي في ملأ من الملائكة، ويعلي ذكرك ويثني عليك، ففي

هذا دليل على الإنسان إذا ذكر الله عند ملأ كان هذا أفضل مما إذا ذكره في نفسه، إلا أن يخاف الإنسان على نفسه الرياء فلا يجهر، ولكن لا يكون في قلبه وساوس بأن يقول إذا ذكرت الله جهرًا فهذا رياء، فليدع هذه الوساوس ويذكر الله عند الناس.

[١٤٣٦] وعنه، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**». قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ**». رواه مسلم.

وَرُوِي: «**الْمُفَرِّدُونَ**» بتشديد الرَّاءِ وتخفيفها، والمشهُورُ الَّذِي قَالَهُ الجمهُورُ: التَّشْديدُ، أي تفقّه واعتزل الناس. وفي رواية: «**طُوبَى لِلْمُفَرِّدِينَ**». قيل: وما المفرِّدون؟ قال: «**الَّذِينَ اهْتَزُّوا فِي ذِكْرِ الله تَعَالَى**». وقيل: هم الهرمى الذين هلك أقرانهم من الناس، وبقوا يذكرون الله. وقيل: هم الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات، فهذا دليل على أن الذاكرين الله كثيرًا لهم السبق على غيرهم لأنهم عملوا أكثر من غيرهم، فكانوا أسبق إلى الخير.

[١٤٣٧] وعن جابر رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

لا إله إلا الله، هي أفضل ما قاله النبيون، وهي كلمة التوحيد والإخلاص. وقيل: هي اسم الله الأعظم، وهذه كلمة عظيمة، فهي التي يدخل بها الإنسان في دين الإسلام وهي مفتاح الإسلام، كما جاء في الحديث: «**أَنَّ مِفْتَاحَ الجَنَّةِ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**».

[١٤٣٨] وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ. قَالَ: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله**

**تَعَالَى**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

رطوبة اللسان بالذكر، عبارة عن مداومته.

قال الحسن: أحب عباد الله إلى الله أكثرهم له ذكرًا، وأتقاهم قلبًا، وقيل لبعض الصالحين: ألا تستوحش وحدك؟ قال: كيف أستوحش وهو يقول: أنا جليس من ذكرني.

وهذا الحديث: «**لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ الله تَعَالَى**» فيه ضعف، لكن إن صح فالمعنى أن هذا الرجل كثرت عليه النوافل، أما الفرائض فلا يغني عنها قول لا إله إلا الله ولا غيره، ولا بدّ منها، أما النوافل إذا شق على الإنسان بعضها، فالذكر قد يسدّ ما يحصل به الخلل، ومنها أن الرسول ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ**».



**[١٤٣٩]** وعن جابر رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ الله وبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

يشهد لهذا الحديث قوله ﷺ: في حديث الإسراء عن إبراهيم عليه السلام: «**إِنَّ الجَنَّةَ قِيعَانٌ، وَإِنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، ولَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**».

هذه غراس الجنة، إذا قالها يغرس له في الجنة غرسًا في كل كلمة.

**[١٤٤٠]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَقِيْتُ إِبْرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ الله، والحَمْدُ لله، وَلَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

تراب الجنة المسك والزعفران، وإذا طابت التربة وعذب الماء كان الغرس أطيب وأفضل. القيعان: جمع قاع، وهو المكان الواسع المستوي من الأرض.

**[١٤٤١]** وعن أَبي الدرداءِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟**». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «**ذِكْرُ الله تَعَالَى**». رواه الترمذي، قَالَ الحاكم أَبُو عبد الله: إسناده صحيح.

**[١٤٤٢]** وعن سعد بن أَبي وقاص ﷺ، أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَى امْرَأَةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوَىً – أَوْ حَصَىً – تُسَبِّحُ بِهِ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هٰذَا، أَوْ أَفْضَلُ؟**»، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأَرْضِ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذٰلِكَ، وَسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَاللهُ أَكْبَرُ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَالحَمْدُ لله مِثْلَ ذٰلِكَ؛ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله مِثْلَ ذٰلِكَ**». رواه التِرمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

فيه: دليل على أن التسبيح بغير الأصابع جائز، لأن النبي ﷺ لم ينهها عن ذلك، لكنه دلّها على ما هو أفضل منه.

**[١٤٤٣]** وعن أَبي موسى ﷺ قال: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟**»، فَقُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال النَّووي: المعنى أنَّ قائلها يحصِّل ثوابًا نفيسًا يُدَّخر له في الجنة، وهي كلمة استسلام وتفويض، وأن العبد لا يملك من أمره شيئًا، ولا له حيلة في دفع شر ولا في جلب خير إلا بإرادة الله تعالى.

وقوله: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟**»، الاستفهام هنا للتشويق كي يستمع إلى

ما يقول، فالإنسان لا يتحول من حال إلى حال ولا يقوى على ذلك إلا بالله، فهي كلمة استعانة، فإذا أعياك الشيء وعجزت عنه قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإن الله تعالى يعينك عليه، وليست هذه الكلمة كلمة استرجاع كما يفعله كثير من الناس إذا قيل له: حصلت المصيبة الفلانية، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولكن كلمة الاسترجاع أن تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.



## ٢٤٧- ذِكْرُ الله تعالى كلِّ الأحوال

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

يعني: يتفكَّرون في ذات السماوات وذات الأرض، بما فيهما من عجائب مخلوقات الله تعالى من علامات وآيات لأولي العقول الذين يدركون ما بها من الحكم والأسرار، فالسماء واسعة عالية، والأرض مسطحة مذللة للخلق، فيها من البحار والأنهار والأشجار والجبال، وغير ذلك ما يستدل به على خالقها ﷻ، وأما اختلاف الليل والنهار، أي في الطول والقصر والحر والبرد والرخاء والشدة، والأمن والخوف والبؤس والعافية وغير ذلك، فيها أيضًا آيات عظيمة، والإنسان إذا طالع التاريخ ورأى تقلبات الليل والنهار واختلافهما رأى من آيات الله العجيبة ما يزداد به إيمانه.



**[١٤٤٤]** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ. رواهُ مسلم.

فيه: دلالة على مشروعية الذكر على كل حال، أي كل الأحيان والأحوال والأزمان، قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا، حتى أن النبي ﷺ ندب الإنسان أن يذكر الله عند جماع أهله، إلا أن العلماء قالوا لا ينبغي أن يذكر الله تعالى في الأماكن القذرة مثل أماكن قضاء الحاجة كالمراحيض ونحوها، تكريمًا لذكر الله ﷻ عن هذه المواضع.



**[١٤٤٥]** وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ، لَمْ يَضُرَّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية: «**لَمْ يَضُرُّهُ الشَّيْطَانُ أَبَدًا**»، أي: لم يسلّط عليه لأجل بركة التسمية، بل يكون من جملة العباد الذين قال الله فيهم: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الإسراء:٦٥]، وقد قال الله تعالى: ﴿**وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ**﴾ [الإسراء:٦٤].

قال مجاهد: إن الذي يجامع ولا يسمّي، يلتف الشيطان على إحليله فيجامع معه.

وفيه: إشارة إلى أنّ الشيطان ملازم لابن آدم لا ينطرد عنه إلا إذا ذكر الله.





## ٢٤٨- ما يقوله عند نومه واستيقاظه

**[١٤٤٦]** عن حُذَيفَةَ وأبي ذرٍ رضي الله عنهما قالا: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ**»، وَإِذَا اسْتَيقَظَ قَالَ: «**الحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**». رواه البخاري.

النوم أخو الموت، قال الله تعالى: «**اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**» [الزمر:٤٢].

والله شرع لنا أذكارًا عند النوم والاستيقاظ والأكل والشرب ابتداء وانتهاء، بل حتى عند دخول الخلاء وعند اللباس، وهذا الذكر عند النوم هو أن النوم موت، لكنه موت أصغر كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ**﴾، ولهذا كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور، فتتذكر بعثك من موتتك الصغرى ومن موتتك الكبرى، وفي هذا دليل على الحكمة العظيمة في هذا النوم الذي جعله الله راحة للبدن؛ أنه يذكّر بالحياة الأخرى، تذكُر بذلك إذا قمت من قبرك حيًّا، وهذا يزيدك إيمانًا بالبعث، ولولا أن الإنسان يؤمن بأنه سوف يُبعث ويُجازى على عمله ما عمل.



## ٢٤٩- حِلَقُ الذِّكر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٢٨]، أي: اجلس مع الذين يذكرون الله، ويسألونه من عباد الله، سواء كانوا فقراء أو أغنياء.

عن سعد بن أبي وقاص قال: كُنَّا مع النبي ﷺ ستَّة، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترؤون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدَّث نفسه، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:٥٢]. أخرجه مسلم.

ومن ذلك الاجتماع على صلاة الفجر والعصر، لأن الأولى في الصباح والثانية في المساء ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾، وهذا دليل على إخلاصهم لله، وأنهم لا يريدون من هذا الاجتماع والدعاء أن يُمدحوا بذلك، أو يقال ما أعظم عبادتهم وما أكثرها، لا يريدون هذا كله، ولا تفارقهم من أجل الدنيا، تطلب بدلهم أصحاب الشرف والثروة، ولا تطع من اتَّبَعَ هَوَاهُ في طلب الشهوات، وانشغل عن الدِّين بالدنيا، فضاعت عليه دنياه وأُخراه.

**[١٤٤٧]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولِ الله ﷺ: «**إِنَّ لله تَعَالَى مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإذا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ، وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، ويُمَجِّدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لَا والله مَا رَأَوْكَ، فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا**

**أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وَأَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا، فَيَقُولُ: فَمَاذَا يَسْأَلُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَا واللهِ مَا رَأَوْهَا، فَيَقُولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ المَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلمٍ عن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَؤُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعدُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ عز وجل وَهُوَ أَعْلَمُ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟! قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ؟ فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ، فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**».

الذكر يتناول الصلاة، وقراءة القرآن، والدعاء، وتلاوة الحديث، ودراسة العلم الديني، والملائكة عالم غيبي فاضل، خلقهم الله من النور وجعلهم لا أجواف لهم، فلا

يأكلون ولا يشربون ولا يحتاجون إلى هذا، ولا يراهم البشر، ولكن أحيانًا كما جاء جبريل عليه السلام على هيئة رجل لا يعرفه أحد من الصحابة، والملائكة كلهم خير، ولهذا لا يدخلون الأماكن التي فيها ما يغضب الله تعالى.

**[١٤٤٨]** وعنه وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنهما قالا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذكُرُونَ اللهَ عز وجل إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**». رواه مسلم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمْ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**».

السَّكِينة: الطمأنينة والوقار.

قوله: «**وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»، أي: في الملأ الأعلى، كما في الحديث الآخر: «**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**»، وهذا يدل على فضل الاجتماع على ذكر الله، ولا يلزم من هذا أن يذكروا الله بصوت واحد، بل الحديث مطلق، ولم يعهد عن السلف أنهم يذكرون ذكرًا جماعيًّا، كما يفعله بعض أهل الطرق من الصوفية وغيرها.



**[١٤٤٩]** وعن أَبي واقدٍ الحارث بن عوف رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ والنَّاسُ مَعَهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ، فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، وَذَهَبَ وَاحِدٌ؛ فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَأَمَّا أَحَدُهُما فَرَأَى فُرْجَةً فِي الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ**

**النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللهِ فآوَاهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الآخَرُ، فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ»**. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: الثناء على المستحيي، والجلوس حيث ينتهي به المجلس. وفيه: جواز الإخبار عن أهل المعاصي وأحوالهم للزَّجر عنها، وأن ذلك لا يعد من الغيبة. وفيه: إثبات الحياء لله، ولكنه ليس كحياء المخلوقين، بل هو حياء يليق بالله ﷻ، وقد قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ**»، وقال الله تعالى: ﴿**وَاللهُ لَا يَسْتَحِي مِنَ الْحَقِّ**﴾، فكلما مر عليك صفة من صفات الله مشابهة لصفات المخلوقين في اللفظ، فاعلم أنهما لا يستويان في المعنى، لأن الله: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، وإذا مر بك مثلًا أن الله استوى على العرش، فلا تظن أنه كاستوائك أنت على ظهر البعير الذي قال فيه ﴿**إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ**﴾، وإذا قال الله تعالى: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾، فلا تظن أن يدي الله ﷻ مثل يديك، لأن الله ليس كمثله شيء.



**[١٤٥٠]** وعن أَبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خَرَجَ مَعَاوِيَةَ رضي الله عنه عَلَى حَلْقَةٍ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ، قَالَ: آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟ قَالُوا: مَا أَجْلَسَنَا إِلا ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَدِيثًا مِنِّي، إِنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «**مَا أَجْلَسَكُمْ؟**»، قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ وَنَحْمَدُهُ عَلَى مَا هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ؛ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا، قَالَ: «**آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟**»، قَالُوا: وَاللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: «**أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَلٰكِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ المَلَائِكَةَ**». رواه مسلم.



## ٢٥٠- الذِّكْر عند الصَّباح والمساء

فضيلة الذكر في الصباح والمساء، يعني: أول النهار، وآخر النهار، وأول الليل، ويدخل الصباح من طلوع الفجر وينتهي بارتفاع الشمس ضُحى، ويدخل المساء من صلاة العصر وينتهي بصلاة العشاء أو قريبًا منها.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

الآصَالُ: جَمْعُ أَصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ العَصْرِ وَالمَغْرِبِ.

﴿تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾، أي: رغبة ورهبة.

﴿وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾، وهكذا يستحب أن يكون الذكر، لا يكون نداءً وجهرًا بليغًا.

وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ: فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هٰذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه:١٣٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [غافر:٥٥]. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: العَشِيُّ: مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وَغُرُوبِهَا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ الآية [النور:٣٦-٣٧].

قال ابن عباس: المساجد بيوت الله في الأرض، وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض.

**﴿أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ﴾**، قال مجاهد: أي تُبنى، وقال الحسن: أي تعظم لا يذكر فيها الخنا من القول.



**[١٤٥١]** وعن أَبي هريرة ﵁ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، مَائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ**». رواه مسلم.

**[١٤٥٢]** وعنه قال: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَا لَقِيْتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ! قَالَ: «**أَمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ تَضُرَّكَ**». رواه مسلم.

قال القرطبي: منذ سمعت هذا الخبر عملت عليه، فلم يضرني شيء إلى أنْ تركته، فلدغتني عقرب ليلًا، فتفكرت في نفسي فإذا بي قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات.

**[١٤٥٣]** وعنه، عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه كَانَ يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا، وَبِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**»، وَإِذَا أَمْسَى قَالَ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحْيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.



**[١٤٥٤]** وعنه: أن أَبا بكرٍ الصديق ﵁ قال: يَا رَسُولَ الله مُرْني بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ**

وَشِرْكِهِ»، قَالَ: «**قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ، وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

**[١٤٥٥]** وعن ابن مسعودٍ ﵁ قال: كَانَ نَبِيُّ الله ﷺ إِذَا أَمْسَى قَالَ: «**أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لله، وَالحَمْدُ لله، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ**». قَالَ الراوي: أَرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «**لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبَرِ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي القَبْرِ**»، وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذٰلِكَ أَيضًا: «**أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لله**». رواه مسلم.

**[١٤٥٦]** وعن عبد الله بن خُبَيْب ﵁ قال: قَالَ لِي رَسولُ الله ﷺ: «**اقْرَأْ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِيْنَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، سميت بذلك لأن الله تعالى أخلصها لنفسه، فلم يذكر فيها شيئًا إلا يتعلق بنفسه ﷻ، ما فيها ذكر لأحكام الطهارة أو الصلاة أو البيع، وقد بين النبي ﷺ أنها تعدل ثلث القرآن، ولكنها لا تجزئ عنه، ولهذا لو قرأ الإنسان ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ في الصلاة ثلاث مرات ما أجزأت عن الفاتحة، مع أنه لو قرأها ثلاث مرات كأنما قرأ القرآن كله.

وأما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ فهما السورتان اللتان نزلتا على رسول الله ﷺ حين سحره اليهودي، فأنزل الله هاتين السورتين، فرقاه بهما جبريل،

فأحلّ الله عنه السحر. الفلق: فلق الإصباح، وهو فالق الحب والنوى ﷻ. ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، كل ما خلق. ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الليل إذا دخل لأن الليل تكثر فيه الهوام والوحوش واللصوص والشرور وغير ذلك، وأن البلاء يكون فيه خفيًّا، والسحر كذلك خفي، والعين كذلك خفية. ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ أي الساحرات اللاتي يعقدن عقد السحر وينفثن فيها بالطلاسم والتعوذات والاعتصام بالشياطين والاستعانة بهم. ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ هو العائن يصيب بعينه، لأن الساحر يؤثر والعائن يؤثر، فأُمرت أن تستعيذ ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.

أما ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ يعني الاستعاذة بالله ﷻ. ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ فهو الرب الملك ذو السلطان الأعظم. ﴿إِلَٰهِ النَّاسِ﴾ أي معبودهم الذي يعبد بحق. ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾، وما أكثر ما يلقي الشيطان في هذا العصر من الوساوس العظيمة التي تقلق الإنسان.

فالدنيا دنيئة، لا تتم من وجه إلا نقصت من وجوه، تَرَفُنا في هذه الأيام في هذا العصر لا يوجد له نظير فيما سبق، فالنعم والأموال والبنون وكل شيء، والترف الجسدي ظاهر، وكثرت في الناس الآن الوساوس والأمراض النفسية والبلاء، حتى لا تتم الدنيا، لأن الدنيا لو تمت من كل وجه أنست الآخرة.

والوسواس يقع في الإنسان، أحيانًا في أصول الدين، وفي ذات الرب تعالى، وفي القرآن، وفي الرسول ﷺ، وأيضًا في الطهارة؛ بعض الناس يدخل الحمام للوضوء الذي لا يستغرق خمس دقائق يبق خمس ساعات! وفي الصلاة تجده يكرر تكبيرة الإحرام؛ يكرر الكاف عشرين مرة! حتى إن بعضهم يقول إني ما أستطيع أن أصلي إطلاقًا! فيؤدي به الوسواس إلى ترك الصلاة! يقع الوسواس في معاملة الأهل حتى إن بعضهم يخيّل إليه أن أهله وضعوا له سحرًا في أكله وشربه! فيلجأ إلى المطاعم!

فالوساوس عظيمة، لكن طردها سهل جدًّا، بيّنه النبي ﷺ فقال: «**إِذَا وَجَدَ أَحَدُكُمْ ذٰلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ**»، كلمتان؛ يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولكن يقولها بصدق وإخلاص، وأنه ملتجئ إلى الله حقًّا لا مفر له من الله إلا إليه، ولينتهي، يعرض عن هذا، ثم بعد ذلك يزول بالكلية.

قال العلماء: ﴿**الْخَنَّاسِ**﴾ الذي يخنس، أي يختفي عند ذكر الله، ولهذا جاء في الحديث: «**إِذَا تَغَوَّلَتِ الغِيلَانُ فَبَادِرُوا بِالأَذَانِ**»، والغيلان: الأوهام والخيالات التي تعرض للإنسان في سفره، أو الإنسان الذي يسافر وحده، فتتهول له الشياطين وتتلون بألوان مزعجة، مثل أسد أو ذئب أو ضبع، فبادروا بالأذان، يعني قولوا: الله أكبر، فتتلاشى، لأن الشيطان يخنس عند ذكر الله تعالى. و﴿**الجِنَّةِ**﴾ الجنُّ، والمراد بهم الشياطين توسوس في الصدور.

والناس أيضًا شياطين بني آدم، وما أكثر الشياطين في زماننا، وقبل زماننا، وإلى يوم القيامة، يأتون إلى الناس يوسوسون هذا كذا وهذا كذا، ربما يوسوسون على السذّج من العوام، سواء في مذاهب باطلة وملل كاذبة، وأحزاب وتنظيمات فكرية وسياسية للطعن في العقائد وتعاليم الدين، وأمور يزينونها في نفسك.



**[١٤٥٧]** وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، إِلَّا لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

رُوي أن أبان بن عثمان راوي الحديث، عن أبيه، كان قد أصابه طرف فالج، فجعل رجل ينظر إليه، فقال له أبان: أما إن الحديث كما حدثتك، ولكني لم أقله يومئذٍ ليمضي الله عليّ قدره.



## ٢٥١- ما يقولُه عند النّوم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ، الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآيات [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

**[١٤٥٨]** وعن حُذَيْفَةَ وأبي ذرٍّ ﭬ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ، قَالَ: «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وَأَمُوتُ**». رواه البخاري.

وهذه كلمات يسيرة لكن فائدتها عظيمة، أن الله ﻷ بيده ملكوت السماوات والأرض، واسمه مبارك إذا ذكر على الشيء، ولهذا يسنّ إذا أردت أن تأكل تقول بسم الله، وإذا أردت أن تشرب تقول بسم الله، وإذا أردت أن تأتي أهلك تقول بسم الله، فالتسمية مشروعة في أماكن كثيرة، ولكنها على القول الراجح على الأكل والشرب واجبة، لأن النبي ﷺ ذكر أن من لم يسمّ الله على أكله شاركه الشيطان في ذلك.

**[١٤٥٩]** وعن عليٍّ ﭬ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ وَلِفَاطِمَةَ ﭭ: «**إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا- أَوْ إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا- فَكَبِّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ**»، وفي روايةٍ: «**التَّسْبِيحُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ**»، وفي روايةٍ: «**التَّكْبِيرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال بعض العلماء: بلغنا أنه مَن حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه، من شغل ونحوه، ويشهد لهذا سبب هذا الحديث، وهو أن فاطمة سألت النبي ﷺ خادمًا، فذكر لها هذا الذكر، وقال: «**إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**».



**[١٤٦٠]** وعن أَبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا أَوَى أَحَدُكُمْ إِلَى فِرَاشِهِ فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في الحديث: استحباب نفض الفراش قبل الاضطجاع، لئلا يكون دخل فيه حية، أو عقرب، أو غيرهما من المؤذيات وهو لا يشعر.

**[١٤٦١]** وعن عَائِشَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بِالْمُعَوِّذَاتِ، ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا، فَقَرَأَ فِيهِمَا: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾، وَ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**﴾، وَ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ**﴾، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ، وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذٰلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: النَّفْثُ: نَفْخٌ لَطِيفٌ بِلَا رِيقٍ.

الْمُعَوِّذَاتُ: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ والمعوذتين، كما فسره في الرواية الأخرى.



**[١٤٦٢]** وعن البراءِ بنِ عازبٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِليكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»، وفي رواية: أنَّه قرأها البراء فقال: «**وَبِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قُلْ: وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ**»، وسبب ذلك أن قوله: رسولك، يقصد به جبريل ﵇، أما نبيك، فهو محمد ﷺ.

**[١٤٦٣]** وعن أنس ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وَكَفَانَا وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لَا كَافِيَ لَهُ وَلَا مُؤْوِيَ**». رواه مسلم.

**[١٤٦٤]** وعن حذيفة ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ، وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَى تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ. ورواه أبو داود؛ من رواية حَفْصَةَ ﵂.

فيه: أنه كان يقوله ثلاث مراتٍ. هذا منه ﷺ خضوع لمولاه، وتنبيه للأمة أنْ لا يأمنوا مكر الله، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.





## ٢٥٢- فَضْلُ الدُّعاءِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

والمراد بالدعاء هنا دعاء العبادة ودعاء المسألة، أما دعاء العبادة؛ لأن القائم بعبادة الله، لو سألته: لماذا أقمت الصلاة؟ لم آتيت الزكاة؟ لماذا صمت؟ لماذا حججت؟ لماذا جاهدت؟ لماذا بررت الوالدين؟ لماذا وصلت الرحم؟ لقال: أريد بذلك رضا الله ﷻ، وهذه عبادة متضمنة للدعاء، أما دعاء المسألة فهو أن تسأل الله الشيء فتقول: يا رب اغفر لي، يا رب ارحمني، يا رب ارزقني، وما أشبه ذلك، وهذا أيضا عبادة كما جاء في الحديث: «**الدُّعَاءُ عِبَادَةٌ**».

﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾: الاستجابة هي قبولها، وهذا وعد من الله، لكن لا بد من أمور؛ منها الإخلاص، أن تخلص لله، فتكون داعيًا له حقًّا، لا تعبده رياء ولا سمعة، ولا من أجل أن يقال: فلان حاج، أو فلان سخي وكريم، أو فلان كثير الصوم، إذا قلت هذا أحبط عملك. قال البغوي: أي اعبدوني أجبكم وأغفر لكم، وساق بسنده حديث النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر: «**إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ العِبَادَةُ**».

وروى أبو يعلى عن الحسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ، قال: «**أَرْبَعُ خِصَالٍ، وَاحِدَةٌ مِنْهُنَّ لِي، وَوَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ، وَوَاحِدَةٌ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِي، فَأَمَّا الَّتِي لِي: فَتَعْبُدُنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، وَأَمَّا الَّتِي لَكَ عَلَيَّ: فَمَا عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ جَزَيْتُكَ بِهِ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ: فَمِنْكَ الدُّعَاءُ وَعَلَيَّ الإِجَابَةُ، وَأَمَّا الَّتِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ عِبَادِي: فَارْضَ لَهُمْ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ**».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

أي: المتجاوزين. قال أبو مجلز: هم الذين يسألون منازل الأنبياء، وقال ابن جريج: من

الاعتداء رفع الصوت، والنداء بالدعاء والصياح، وقال ابن جرير: ﴿تَضَرُّعًا﴾ أي تذلُّلاً واستكانة لطاعته، و﴿خُفْيَةً﴾ أي: بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين بواحدنيته وربوبيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاة.

وَقَال تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦]. يعني: هل أني قريب أم لست بقريب؟ فالجواب ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾، وقربه ﷻ قرب يليق بجلاله وعظمته، ليس قرب مكان، لأنه فوق كل شيء، فوق السماوات السبع وفوق العرش، فهو مع علوه العظيم الذي لا منتهى له، فهو مع ذلك قريب. قال النبي ﷺ ذات يوم لأصحابه: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَهُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»، ولكنه فوق سماواته.

ويُشترط أن يكون الدعاء لا عدوان فيه، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾. فلو دعا الإنسان بإثم أو سأل ربَّه شيئًا محرَّمًا، أو سأل ما لا يمكن شرعًا مثل أن يقول: اللهم اجعلني نبيًّا! اللهم اجعلني أطير في السماء! أو دعا على مظلوم، أو دعت المرأة على ابنها لأنه يحب زوجته، فإنه لا يقبل، وكذلك الأب لو دعا على ابنه لأنه صاحب أناسًا طيبين فإنه لا يقبل.

عن معاوية بن حيدة، أن أعرابيًّا قال: يا رسول الله أقريبٌ ربنا فنناجيه؟ أم بعيد فنناديه؟ فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

وعن أبي سعيد، أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللهَ ﷻ بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ، وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا»، قالوا: يا رسول الله! إذًا نكثر، قال: «اللهُ أَكْثَرُ». رواه أحمد.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢].

أما الدعاء عند غير الله فقد يجيب وقد لا يجيب، ربما تستغيث بإنسان في ضيق أو حريق ولا يجيبك ولا ينقذك، لكن الله ﷻ إذا اضطررت إليه ودعوته أجاب، وفي هذا رد وإبطال لما يدعيه الوثنيون وعُبّاد أصحاب القبور من الأولياء وغيرهم، فإن هذا لا حقيقة له، فأيّ أحد تدعوه من دون الله لا يجيب، حتى الرسول ﷺ لو دعوته، وقلت: يا رسول الله أنقذني من الشدة، فإنك مشرك كافر، والرسول ﷺ متبرئ منك، ويقاتلك لو كان حيًّا، لأنه لا أحد يُدعى إلا الله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدعُو مِنْ دُونِ الله مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾.

ويشترط أيضًا، أن يدعو الله تعالى وهو موقن بالإجابة، لا دعاء تجربة! لأن بعض الناس قد يدعو ليجرب ليرى هل يقبل الدعاء أم لا؟! فإن كنت دعوته وأنت في شك فإن الله لا يقبله منك، ويُشترط اجتناب الحرام، والدليل على هذا قول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!**».

وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾، الاستفهام هنا للإنكار والنفي؛ يعني لا أحد يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله، فالله يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرًا.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

فالمضطر الذي تلجئه الضرورة إلى دعاء الله ولو كان كافرًا، يجيب الله دعوته، فما بالك إذا كان مؤمنًا؟!



**[١٤٦٥]** وعن النعمان بن بشيرٍ ﭬ، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

يعني: أن الدعاء هو خالص العبادة، كما في حديث أنس عند الترمذي، أن النبي ﷺ: قال: «**الدُّعَاءُ مخُّ العِبَادَةِ**»، والمعنى أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء، كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخِّ، ويشهد لهذا قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾. لم يقل يستكبرون عن دعائي، بل قال: ﴿**عَنْ عِبَادَتِي**﴾، فدل هذا على أن الدعاء هو العبادة، ووجه ذلك أن الإنسان إذا دعا ربه فقد اعترف لله ﷻ بالكمال وإجابة الدعاء، ثم إنه لم يلجأ إلى غيره؛ لا ملكًا، ولا نبيًّا، ولا وليًّا، ولا قريبًا، ولا بعيدًا، وهذا هو حقيقة العبادة.

والصحيح، هذه هي الأدلة الأربعة التي بنى المسلمون عليها أحكام شريعة الله: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس، وكلها تدور على القرآن الكريم، وهو الأصل، فلولا أن الله ﮋ جعل طاعة رسوله ﷺ من طاعته، وأمر باتباع رسوله ﷺ، ما كانت السنة دليلًا، ولولا أن الله جعل إجماع هذه الأمة على حق، ولا يمكن أن تجتمع على ضلالة، ما كان الإجماع دليلًا، ولولا أن الاعتبار والنظر وإلحاق النظير بالنظير من أدلة الشرع دل عليه القرآن ما كان القياس أيضًا دليلًا، ولكن كل هذا قد دلّ عليه القرآن بأنه دليل تثبت به الأحكام الشرعية.

**[١٤٦٦]** وعن عائشة ﭫ، قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذلِكَ. رواه أَبُو داود بإسناد جيدٍ.

يعني أنه إذا دعا يختار من الدعاء أجمعه، كلمات جامعة عامة ويَدَع التفاصيل، وذلك لأن الدعاء العام أبلغ في العموم والشمول من التفاصيل، فمثلًا إذا أراد أن يدعو الإنسان

ربه أن يدخله الجنة قال: اللهم أدخلني الجنة، ولا يحتاج أن يفصل ويقول فيها كذا وكذا، لأنه قد يكون هناك أشياء لا يعلمها.

[١٤٦٧] وعن أنس ﷺ قال: كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وزاد مسلم في روايته فقال: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ.

«**فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**»: يشمل كل حسنات الدنيا؛ من زوجة صالحة، ومركب مريح، وسكن مطمئن، وغير ذلك.

«**فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً**»: يشمل حسنة الآخرة كلها من الحساب اليسير وإعطاء الكتاب باليمين والمرور على الصراط بسهولة، والشرب من حوض الرسول ﷺ، ودخول الجنة، إلى غير ذلك من حسنات الآخرة، فهذا الدعاء من أجمع الأدعية بل هو أجمعها لأنه شامل، ولهذا كان الرسول ﷺ يختم به أشواط الطواف، يقوله بين الركن اليماني والحجر الأسود في آخر كل شوط.

وأما تكرار الدعاء، فإن النبي ﷺ كان يكرر الدعاء، فإذا دعا دعا ثلاثًا، ومن أجمع ما يكون من الدعاء ما ذكره في حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ، كان يكثر أن يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**»، فإن هذا الدعاء أجمع الدعاء، فيدخل في الحسنة كل خير ديني ودنيوي، وصرف كل شرٍّ.

[١٤٦٨] وعن ابن مسعودٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى، وَالتُّقَى، وَالعَفَافَ، وَالغِنَى**». رواه مسلم.

هذه أربع كلمات يسألها النبي ﷺ:

الأولى: الهدى، والهدى نوعان: هدى علم وهدى عمل، وبعضهم يقول: هدى دلالة وهدى توفيق، فإذا سأل الإنسان ربه الهدى فهو يسأل الأمرين، يعني يسأل الله أن يعلمه العلم وأن يعمل به، وهذا داخل في قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، يعني دُلَّنا على الخير ووفقنا إلى القيام به، لأن الناس ينقسمون إلى أربعة أقسام في هذا الباب: قسم علمه الله ووفقه للعمل وهذا أكمل الأقسام، وقسم حرم العلم والعمل، وقسم أوتي العلم وحرم العمل، وقسم أوتي العمل لكن من دون علم فضلّ كثيرًا، وخير الأقسام الذي أوتي العلم والعمل معا. والثانية: التُّقى: فالتقى بمعنى التقوى، والتقوى اسم جامع لفعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه، لأنه مأخوذ من الوقاية، ولا يقيك من عذاب الله إلا فعل أوامره واجتناب نواهيه. الثالثة: العفاف: يعني العفاف عن الزنا، ويشمل كل أنواع الزنا؛ زنا النظر، وزنا اللمس، وزنا الفرج، وزنا الاستماع، لأن الزنا من الفواحش؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾، وهو مفسد للأخلاق والأنساب والقلوب والأديان. والرابعة: الغنى: فالمراد به الغنى عن الخلق، بأن يستغني الإنسان بما أعطاه الله عما في أيدي الناس، سواء أعطاه الله مالًا كثيرًا أو قليلًا، والقناعة كنز لا ينفد، وكثير من الناس يعطيه الله تعالى ما يكفيه لكن يكون في قلبه الشح؛ فتجده دائما في فقر.

**[١٤٦٩]** وعن طارق بن أَشْيَمَ ﷺ قال: كَانَ الرَّجُلُ إِذَا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلَاةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهٰؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**». رواه مسلم. وفي روايةٍ له عن طارق: أَنَّه سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، وَأَتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ أَقُولُ حِيْنَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، فَإِنَّ هٰؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ**». بدأ بالمغفرة لكونها كالتخلية، وعقبها بالرحمة لكونها كالتحلية، سأل الله

العافية ليقدر على الشكر، وطلب الرزق لتستريح نفسه عن الهم بتحصيله، وطلب المغفرة يستمر حتى بعد الإسلام، لأن الإنسان لا يخلو من الذنوب. والهداية: أي هداية علم وعمل. والعافية: أي من كل مرض، والأمراض نوعان: مرض قلبي ومرض جسمي في البدن، ومرض القلب أعظم، لأن مرض البدن إذا صبر الإنسان واحتسب الأجر من الله، رفع في درجاته وكفر سيئاته، والنهاية فيه الموت ولا بد منه، لكن مرض القلب بالشك والشرك والنفاق والشهوات؛ فيه فساد في الأرض، وخسر الإنسان الدنيا والآخرة.

**[١٤٧٠]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ**». رواه مسلم.

وأول الحديث قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ**»، فكل قلب من قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبه حيث يشاء وكيف شاء، وإنما خص القلب لأن القلب إذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله، كما صح ذلك عن النبي ﷺ.



**[١٤٧١]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ القَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الجهد: المشقة، وكل ما أصاب الإنسان من شدة، وما لا طاقة له بحمله، ولا يقدر على دفعه عن نفسه، فهو من جهد البلاء، كقوله تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾ [البقرة:٢٨٦]. قيل: إن التي زاد فيها سفيان هي شماتة الأعداء، وهذا دعاء جامع للتعوذ من شر الدنيا والآخرة.

والبلاء نوعان: بلاء جسمي كالأمراض وبلاء معنوي بأن يُبتلى الإنسان بمن يتسلط عليه، وهذا من البلاء الذي يشق على الإنسان، وربما يكون أبلغ من مشقة جهد البدن، أما البلاء البدني فأمره ظاهر؛ قد تكون أوجاع في البطن أو في الصدر أو في الرأس أو في الرقبة أو في أي مكان، وربما يكون أيضًا من البلاء قسم ثالث: وهو ما يبتلي الله به العبد من المصائب العظيمة، فمن الناس من يعبد الله على حرف، فإن أصابه خير اطمأن به، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، تجد إيمانه متزعزعًا، تجده لا يصبر ويتسخط على قضاء الله وقدره، ومن شماتة الأعداء، وقد ذكر الفقهاء ضابطًا للعدو، فقالوا: كل إنسان يسره ما ساءك أو يغمه فرحك فهو عدو لك، فأنت تستعيذ بالله من شماتة هؤلاء، وتلجأ إليه من شرهم وشرورهم.

**[١٤٧٢]** وعنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**». رواه مسلم.

«**اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي**»، بدأ بالدين؛ لأنه كلما صلح أمر الدين اعتصم الإنسان به من كل شر، وصلاح الدين يكون بالإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، فمن أشرك بالله، وصلى رياء، أو تصدق رياء، أو صام رياء، أو قرأ القرآن رياء، أو ذكر الله رياء، أو طلب العلم رياء، أو جاهد رياء، فكل هذا عمله غير صالح وهو مردود عليه، وقد يزيّن الشيطان للإنسان عبادة فيخشع ويبكي، ولكن ذلك لا ينفعه إذا كان بدعة، بل هو مردود عليه؛ ألم تر إلى النصارى يأتون الكنيسة ويبكون ويخشعون أشد من خشوع بعض المسلمين، ومع ذلك لا ينفعهم هذا، لأنهم على ضلالة، مثلًا أهل البدع ولا سيما الصوفية، نجد عندهم أذكارًا كثيرة، ويبكون ويخشعون، وتلين قلوبهم، لكن هذا

كله لا ينفعهم، لأنه على غير شرع الله، قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»، أي مردود عليه.

«**وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي**»: لأن الدنيا معاش تقيم وتسكن فيها إلى أن تموت، ولكنها ليست دار قرار، وأين الذين استقروا فيها؟ أين الملوك؟ وأبناء الملوك؟ أين الأغنياء؟ أين الأثرياء؟ أين الفقراء؟ أين الأسياد؟ كلهم ذهبوا فصاروا أحاديث! وأنت في يوم من الأيام ستكون أحاديث، هذه الدنيا يعيش فيها الإنسان ثم يتركها، نحن الآن نتحدث عن مشايخنا، عن زملائنا، عن إخواننا، عن آبائنا، صاروا خبرًا من الأخبار، كأن لم يوجد بالدنيا، كأنهم أحلام، فالدنيا ذكريات انقضت، كانت وانتهت، وهكذا أنت أيضًا، ولكنها يمكن أن تكون صفقة رابحة، إن وفق الإنسان فيها إلى العمل الصالح وجعلها طريقا للآخرة.

«**وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ**»: فالإنسان إذا وفّق في هذه الحياة وصار يزداد خيرًا، كل يوم يكتسب عملًا صالحًا، ويحسّ ذلك بنفسه، كل يوم يصلّي، ويسبّح، ويقرأ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويلقى أخاه بوجه طلق، فكلما ازداد الإنسان في حياته خيرًا كانت حياته خيرًا، ولهذا جاء في الحديث: «**خَيْرُكُمْ مَنْ طَالَ عُمْرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**».

«**وَاجْعَلِ المَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ**»: لأن الإنسان لا يدري ما يصيبه في هذه الدنيا، قد يبقى في الدنيا طويلًا لكنه ينتكس، أو تحدث فتن عظيمة يتعب فيها، يقول: ليت أمي لم تلدني، يا ليتني مت قبل هذا، لكن قد يكون الموت الذي عجله الله له راحة له من كل شر.



**[١٤٧٣]** وعن علي رضي الله عنه قال: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي**»، وفي رواية: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَى وَالسَّدَادَ**». رواه مسلم. وفي مسلم زيادة: «**وَاذْكُرْ بِالهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَبِالسَّدَادِ سَدَادَ السَّهْمِ**».

السداد، فهو تسديد الإنسان في قوله وفعله، بأن يوفق الإنسان إلى الصواب بحيث لا يضل، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

﴿قَوْلًا سَدِيدًا﴾ أي صوابًا. وقد ذكر الله تعالى في القول السديد فائدتين؛ الأولى: صلاح الأعمال، والثانية: مغفرة الذنوب.

**[١٤٧٤]** وعن أنس ﵁ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: يقولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، وَالهَرَمِ، وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ**». وفي رواية: «**وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ**». رواه مسلم.

العجز: عدم القدرة. الكسل: التثاقل. الجبن: الخوف وضعف القلب. الهرم: الكِبَر والضعف في العقل. البخل: ضد السخاء. عذاب القبر: معناه أن القبر قد يكون روضة من رياض الجنة، أو يكون حفرة من حفر النار. وَضَلَعِ الدَّيْنِ: ثقله وشدته. قال بعض السلف: ما دخل همُّ الدين قلبًا إلا ذهب من العقل ما لا يعود إليه، فالدّين همّ بالنهار وسهر بالليل، والإنسان المدين يقلق ويتعب، ولكن بشرى للإنسان أنه إذا أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه؛ إما في الدنيا يعينك حتى تسدد وإما في الآخرة، صح ذلك عن النبي ﷺ، وإذا أخذها يريد إتلافها أتلفه الله، كالمتلاعب بأموال الناس فإن الله يتلفه. وقوله غلبة الرجال: فيه إشارة إلى التعوذ من أن يكون مظلومًا أو ظالمًا.



**[١٤٧٥]** وعن أَبي بكر الصديق ﵁، أَنَّه قَالَ لِرَسُولِ الله ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاَتِي. قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ**

**لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**». مُتَّفَق عَلَيْهِ. وفي روايةٍ: «**وَفِي بَيْتِي**». وَرُوِيَ: «**ظُلْمًا كَبِيرًا**». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الأحسن أن يؤتى بالدعاء على إحدى الروايتين، ويعاد ثانيًا باللفظ الآخر.

وأنت الآن انتبه: من السائل ومن المسؤول؟ السائل أبو بكر أحب الناس إلى الرسول ﷺ، فالسؤال من حبيب إلى حبيبه، ولا بد أن يكون الجواب من أفضل الأجوبة. وقوله "في صلاتي"، يُحتمل في السجود أو بعد التشهد الأخير، وهذا دعاء جامع نافع، فلو اجتمع الناس كلهم على أن يغفروا لك ذنبًا واحدًا ما استطاعوا، وإنما الذي يغفر لك هو الله.

**[١٤٧٦]** وعن أَبي موسى رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّه كَانَ يدْعُو بِهٰذا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي؛ وَخَطَئِي وَعَمْدِي؛ وَكُلُّ ذٰلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال بعض السلف: حسنات الأبرار سيئات المقربين، وقال بعض السلف أيضًا: هفوات الطبع البشري لا يسلم منها أحد، والأنبياء وإنْ عصموا من الكبائر لم يعصموا من الصغائر، والتفصيل في مقام الدعاء أمر مطلوب لأنه يؤدي إلى أن يتذكر الإنسان كل ما عمل مما أسر وأعلن، وما علم وما لم يعلم، ولأنه كلما تمادى في سؤال الله ﷻ، ازداد تعلقًا به ومحبة له وخوفًا منه.



**[١٤٧٧]** وعن عائشة ﵂: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ**». رواه مسلم.

استعاذ ﷺ من أن يعمل في المستقبل من الزمان ما لا يرضاه الله، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وقيل: استعاذ من أن يصير معجبًا بنفسه في ترك القبائح.



**[١٤٧٨]** وعن ابن عمر ﵄، قال: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رسُولِ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**». رواه مسلم.

خص فجاءة النقمة بالاستعاذة؛ لأنها أشد من أن تصيبه تدريجيًّا.



**[١٤٧٩]** وعن زيد بن أرقم ﵁ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالهَرَمِ، وَعَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ؛ وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ؛ وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجابُ لَهَا**». رواه مسلم. العلم الذي لا ينفع، هو الذي لا يُعمل به.



**[١٤٨٠]** وعن ابن عباس ﵄، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ**». زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: «**وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بالله**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: كمال الرجوع إلى الله تعالى، والركون إليه في الأحوال كلها، والاعتصام به والتوكل عليه، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣].

**[١٤٨١]** وعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، كَانَ يَدْعُو بِهٰؤُلَاءِ الكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَى وَالفَقْرِ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح؛ وهذا لفظ أبي داود.

**[١٤٨٢]** وعن زياد بن عِلَاقَةَ عن عمِّه، وهو قُطْبَةُ بن مالك رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ، وَالأَعْمَالِ، وَالأَهْوَاءِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الأخلاق المنكرة: كالإعجاب بالنفس، والكبرياء والخيلاء، والفخر، والحسد، والتطاول، والبغي. والأعمال المنكرة: كالزنى وشرب الخمر، وسائر المحرمات. والأهواء المنكرة: كالاعتقادات الفاسدة، والمقاصد الباطلة.

وقد زاد الترمذي: (والأدواء)؛ جمع داء وهي الأدواء المنكرة: كالبرص، والجنُونِ والجذام، وسيِّء الأسقام، وسيئات الأعمال هي المعاصي، وسيئات الأخلاق، هي سوء المعاملة مع الخلق والأهواء، والإنسان له أهواء، ومن الناس من يكون هواه تبعًا لما جاء به الرسول ﷺ، ومنهم من يكون هواه تبعًا لنفسه وما تهواه.



**[١٤٨٣]** وعن شَكَلِ بن حُمَيدٍ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله علِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ، قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي**». رواه أَبُو داود والترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**شَرِّ سَمْعِي**»: أنْ لا يكونَ في مَعصيتِكَ؛ كتنَصُّتٍ وتجسُّسٍ فيما حرَّم اللهُ. «**شَرِّ بَصَرِي**»: غَضّ البصرِ. «**شَرِّ لِسَانِي**»: الكلامُ الَّذي لا يكونُ إلا بما أباحه اللهُ. «**شَرِّ قَلْبِي**»: مِن أن يعتقِدَ اعتقادًا فاسدًا، أو يكونَ به حِقْدٌ أو حسَدٌ أو حبٌّ للمعاصي وأهلِها. «**شَرِّ مَنِيِّي**»: الفَرْجُ: أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُوقِعَهُ فِي غَيرِ مَحَلِّهِ أَوْ يُوقِعَنِي فِي الزِّنَا، أَوْ أَنْ يَغلِبَ عَلَيَّ حَتَّى أَقَعَ فِي الزِّنَا أَوْ مُقَدِّمَاتِهِ. وقيل: المرادُ الاستعاذةُ مِن شَرِّ شِدَّةِ الشَّهوةِ إلى الجِماعِ؛ فإنَّه بالإِفراطِ ربَّما أَوْقَعَ في الزِّنا أو مُقدِّماتِه، وتخصيصُ هذِه المذكوراتِ بالاستعاذةِ منها؛ لأنَّها أصلُ كلِّ شرٍ.

**[١٤٨٤]** وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، وَالجُنُونِ، وَالجُذَامِ، وَسَيِّءِ الأَسْقَامِ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيحٍ.

الجذام: هو مرض يصيب الإنسان في أطرافه، أحيانًا إذا بدأ بالطرف يتآكل حتى يقضي على البدن كله، ولهذا قال العلماء إنه لا يجوز أن يخالط الجذماء الناس، وإنه يجب على ولي الأمر أن يجعلهم في مكان خاص، وهو ما يعرف الآن عند الناس بالحجر الصحي، لأن هذا المرض من أشد الأمراض عدوى يسري سير الهواء، وسيء الأسقام يشمل هذا كل الأمراض السيئة، ومنها ما عرف الآن بالسرطان، فإنه من أسوأ الأسقام.



**[١٤٨٥]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

**[١٤٨٦]** وعن عليٍّ ﷺ، أَنَّ مُكَاتِبًا جَاءَهُ، فَقَالَ: إِنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي فَأَعِنِّي. قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ الله ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قَالَ: قُلْ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

مكاتبًا: أي أحد الرقيق يكاتب سيده على مبلغ من المال يدفعه له على أقساط معلومة مقابل أن يعتقه.

**[١٤٨٧]** وعن عِمْرَانَ بن الحُصَينِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَ أَبَاهُ حُصَيْنًا كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بِهِمَا: «**اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

أعذني: أعصمني من شر نفسي، فإنها الداعية لحتفي. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٣].

**[١٤٨٨]** وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ تَعَالَى. قَالَ: «**سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ**». فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللهَ تَعَالَى. قَالَ لِي: «**يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ الله، سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

في هذا الحديث: ينبغي لكل أحد سؤال العافية في الدنيا بالسلامة من الأسقام، والمحن، والآلام، وفي والآخرة بالعفو عن الذنوب. وروى الترمذي عن أنس: أَنَّ رجلًا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ**». ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله، أي الدعاء أفضل؟ فقال له مثل ذلك. ثم أتاه في اليوم الثالث، فقال له مثل ذلك، قال: «**فَإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا، وَأُعْطِيتَهَا فِي الآخِرةِ، فَقَدْ أَفْلَحْتَ**». العافية: هي السلامة من كل شر؛ من شر الأبدان والقلوب والأهواء وغيرها.

**[١٤٨٩]** وعن شَهْرِ بن حَوشَبٍ قال: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: إيماء إلى أن العبرة بالخاتمة، وزاد الترمذي في آخره، قالت: فقلت: يا رسول الله، ما أكثرَ دعائك: يا مقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك، فقال: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمٰنِ، مَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**».

قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾ [آل عمران:٨].



**[١٤٩٠]** وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَأَهْلِي، وَمِنَ الْمَاءِ البَارِدِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

هذا أيضًا من الأدعية المهمة؛ إذا أحبك الله وأحببت من أحبه الله؛ كنت من أوليائه،

وكذلك إذا أحببت العمل الذي يحبه الله، كما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾.

وخصّ الماء البارد بالذكر، لشدة ميل النفس ونزعها إليه زمن الصيف، فهو أحب المستلذات إليها.

**[١٤٩١]** وعن أنس ﷺ قال، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلِظُّوا بِـ(يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ)**». رواه الترمذي والنسائي، وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد.

أَلِظُّوا: الزَمُوا هٰذِهِ الدَّعْوَةَ وَأَكْثِرُوا مِنْهَا. وقيل: إن اسم الله الأعظم هو: (يا ذا الجلال والإكرام).

وعن معاذ بن جبل قال: قد سمع النبي ﷺ رجلاً يقول: يا ذا الجلال والإكرام، فقال: «**قَدِ اسْتُجِيبَ لَكَ فَسَلْ**». رواه الترمذي.



**[١٤٩٢]** وعن أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قال: دَعَا رسُولُ اللهِ ﷺ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ، لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذٰلِكَ كُلَّهُ؟ تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ البَلَاغُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

في هذا الحديث: مشروعية رفع الصوت بالدعاء بما يسمعه الجليس، وأنه لا يدخل في الجهر المنهي عنه.



**[١٤٩٣]** وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ**، وَعَزَائِمَ **مَغْفِرَتِكَ، وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالفَوْزَ بِالجَنَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ**». رواه الحاكم أَبُو عبد الله، وقال: حديث صحيح عَلَى شرط مسلمٍ.

موجبات رحمة الله: وهي امتثال أمره واجتناب نهيه.

قال تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**﴾ [الأعراف:١٥٦].

هذا الدعاء إيماءٌ إلى أن المطلوب من الأدعية كغيرها من الأعمال، وهو أداء العبودية لحق الربوبية، وطلب النجاة من النار، ودخول الجنة.



## ٢٥٣- الدُّعاء بظَهر الغيب

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر:١٠]. هذه دعوة لإخوانهم بظهر الغيب، لما ذكر الله تعالى السابقين من المهاجرين والأنصار، أثنى على التابعين منهم بإحسان، بدعائهم للمؤمنين الغائبين عنهم حال الدعاء.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:١٩]. أَمَرَهُ الله تعالى بالاستغفار للجميع منهم الحاضرين والغائبين، والدعاء للمؤمنين بظهر الغيب من طرق الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن ذلك أننا نحن كلنا ندعو لإخواننا في صلاتنا بظهر الغيب، كلنا يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وهذا دعاء، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ ذٰلِكَ فَإِنَّكُمْ قَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ».

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١]. كان استغفاره لأبيه أولاً. كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لله تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤]. فالدعاء بظهر الغيب يعني في حال غيبته، وذلك أن الدعاء بظهر الغيب يدل دلالة واضحة على صدق الإيمان، لأن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، فإذا دعوت لأخيك بظهر الغيب من دون وصية منه، كان هذا دليلًا على محبتك إياه، وأنك تحب له من الخير ما تحب لنفسك.

**[١٤٩٤]** وعن أَبي الدرداء رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَدْعُو لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ إِلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ». رواه مسلم.



**[١٤٩٥]** وعنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: دليل على أن الدعاء للمسلم بظهر الغيب يحصل للداعي مثله، وأن دعوته لا ترد، وكان بعض السلف إذا أراد الواحد منهم أن يدعو لنفسه دعا لأخيه المسلم بتلك الدعوة، فالملك يؤمن على دعائك إذا دعوت لأخيك بظهر الغيب، ويقول لك مثله، لكن هذا فيمن لم يطلب منك أن تدعو له، أما من طلب منك أن تدعو له، فدعوت له فهذا كأنه شاهد، لأنه يسمع كلامك، لأنه هو الذي طلب منك، لكن إذا دعوت له بظهر الغيب من دون أن يخبرك، ومن دون أن يطلب منك، فهذا هو الذي فيه الأجر والفضل.





## ٢٥٤- مَسائلُ في الدُّعاء

**[١٤٩٦]** وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فإذا صنع إليك إنسان معروفًا بمال أو مساعدة أو علم أو جاه فكافئه، والمكافأة تكون بحسب الحال، فمن الناس من تكون مكافأته أن تدعو له ولا يرضى أن تكافئه بالمال، فإن الإنسان الكبير الذي عنده أموال كثيرة وله جاه وشرف في قومه، إذا أهدى إليك شيئًا فأعطيته مثل ما أهدى إليك رأى في ذلك قصورًا في حقه، لكن مثل هذا ادع الله له، حتى تروا أنكم قد كافأتموه، ومن ذلك أن تقول له: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغت في الثناء وكان ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة.

**[١٤٩٧]** وعن جابر رضي الله عنه قال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَموَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ**». رواه مسلم.

وهذا يقع كثيرًا عند الغضب؛ إذا غضب الإنسان ربما يدعو على نفسه، وربما يدعو على ولده، حتى إن بعضهم يدعو على ولده باللعنة، وكذلك نجد بعضهم يدعو على أهله وعلى زوجته وعلى أخته، وربما دعا على أمه، وكذلك أيضًا يدعو على ماله، يقول مثلًا على سيارة اختلفوا عليها: الله لا يبارك في هذه السيارة، أو في هذه الدار، كل ذلك نهى النبي ﷺ أن ندعو عليه، لأنه ربما صادف ساعة إجابة، فإذا صادف ساعة إجابة فإنه يستجاب له.



**[١٤٩٨]** وعن أَبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**». رواه مسلم.

أقرب ما يكون الإنسان من ربه وهو ساجد، وذلك لأن في السجود كمال الخضوع لله، لأنك تضع أشرف أعضائك وأعلاها في الأسفل، في موضع الأقدام، تعظيمًا للرب، فيأبى الله إلا أن يقرب منك في هذا الحال وأنت تقرب من ربك، فأكثروا من الدعاء وأنتم سجود، في الفرائض والنوافل، أكثروا من الدعاء في أمور الدنيا وأمور الآخرة، كله خير، لأن الدعاء نفسه عبادة، لو قلت: اللَّهم كثّر مالي، اللهم هيّئ لي سكنًا جميلًا، اللَّهم هيّئ لي سيارة مريحة، وما أشبه ذلك فلا بأس، كذلك أكثر من الاستغفار، فإن الرسول ﷺ يقول: «**وَإِنِي أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مَائَةَ مَرَّةٍ**»، ولا تغفل هذا في اليوم، وهو يسير، يعني لو قلت أستغفر الله وأتوب إليه مائة مرة، فإنك تنهي في عشر دقائق أو أقل، فالأمر بسيط وبه تحصل على خير كثير.

**[١٤٩٩]** وعنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ: يَقُولُ: قَدْ دَعوتُ رَبِّي، فَلَمْ يستَجِبْ لِي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي روايةٍ لمسلمٍ: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «**يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذٰلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ**».

الاستحسار: الإعياء والملل، والله سبحانه يجيب دعوة الداع إذا دعاه، فإمّا أن يعجلها في الدنيا، وإمّا أن يدّخرها له في الآخرة، وإمّا أن يصرف عنه من السوء مثلها.

قال ابن جريج: إنَّ دعوة موسى وهارون على فرعون لم تظهر إجابتها إلا بعد أربعين سنة، وهذا من جهل الإنسان، لأن الله ﷻ لا يمنعك ما دعوته به إلا لحكمة، أو لوجود مانع يمنع من إجابة الدعاء، ولكن إذا دعوت فادع الله تعالى وأنت مغلب للرجاء

على اليأس، حتى يحقق الله لك ما تريد، ثم إن أعطاك الله ما سألت فهذا المطلوب، وإن لم يعطك ما سألت فإنه يدفع عنك من البلاء أكثر وأنت لا تدري، أو يدّخر ذلك لك عنده يوم القيامة، فلا تيأس ولا تستحسر، ادع ما دام الدعاء عبادة، فلماذا لا تكثر منه؟ بل أكثر من الدعاء، استجاب الله لك أو لم يستجب، ولا تستحسر، ولا تسئ الظن بالله، فإن الله تعالى حكيم؛ يَقُولُ: ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ**﴾.

**[١٥٠٠]** وعن أَبي أمامة رضي الله عنه قال: قِيلَ لِرَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «**جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ**»: وذلك لأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول:«**مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرْنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**». فينبغي للإنسان أن يجتهد بالدعاء في هذا الجزء من الليل رجاء الإجابة، والثانية: أدبار الصلوات المكتوبات، يعني أواخرها، وليس المراد ما بعد السلام، لأن ما بعد السلام هو ليس محل دعاء، إنما هو محل ذكر، لقول الله تعالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللهَ**﴾.

**[١٥٠١]** وعن عُبَادَةَ بنِ الصَّامت رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللهَ تَعَالَى بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذاً نُكْثِرُ. قَالَ: «**اللهُ أَكْثَرُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه الحاكم من روايةِ أَبي سعيدٍ وزاد فِيهِ: «**أَوْ يَدَّخِرَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهَا**».



**[١٥٠٢]** وعن ابن عباس ﵄: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «**لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. في هذا الحديث: إن الدواء من الكرب توحيد الله ﷻ، وعدم النظر إلى غيره أصلًا، وقال الحسن البصري: أرسل إليّ الحجاج فقلتهن، فقال: والله ما أرسلت إليك إلا وأنا أريد أنْ أقتلك، فلأنت اليوم أحب إليّ من كذا وكذا، فَسَلْ حاجتك.





## ٢٥٥- كرامات أولياء الله

الكرامات معناها: كل أمر خارق للعادة غير معتاد، يظهره الله على يد متّبعي الرسول، إما تكريمًا له وإما نصرة للحق، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والواقع.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ﴾ أي: لا تغيير لقوله، ولا مخلف لوعده، فالولي هو المطيع لله، فكل من كان تقيًّا كان لله وليًّا.

لكن مَن هم الأولياء؟ الأولياء هم من بيّنهم الله في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾. جمَعوا بين الإيمان والتقوى، وليس أولياء الله الذين يدّعون أنهم أولياؤه وهم من أعدائه، كما يُفعل في بعض البلاد؛ يأتي الرجل يدّعي أنه ولي وهو عاص فاسق، يدعو الناس إلى أن يعبدوه ويطيعوه في كل شيء، ويدّعي أن الله قد أحل له كل شيء حتى المحرمات، لأنه بلغ الغاية!

عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ»، قيل: من هم يا رسول الله، لعلّنا نحبّهم؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ مِنْ غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، ثم قرأ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. رواه ابن جرير وغيره.

والفرق بين آية النبي وبين كرامة الولي وبين شعوذة الكاذب، أن آية النبي أمر خارق للعادة، يظهره الله تعالى على يد النبي تأييدًا له وتصديقًا له، مثل إحياء عيسى للموتى، بل

يخرجهم من القبور بعد الدفن، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾، فيقف على القبر ويدعو مَن فيه، فيخرج من قبره حيًّا، ويُبرئ الأكمة والأبرص، ويخلق من الطين على صورة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طائرًا؛ كل هذا بإذن الله ﷻ.

أما كرامات الأولياء، فهي أمور خارقة للعادة، ولكنها لا تكون للأنبياء، بل تكون لمتّبعي الأنبياء، مثل ما حدث لمريم بنت عمران ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا، وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٣-٢٥]. امرأة في المخاض تحت نخلة تهز الجذع! وهز الجذع صعب، ثم يتساقط الرطب من النخلة جنيًّا، كذلك ما حدث لها من الحمل والولادة، كلها من آيات الله كرامة لها، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.

أما الذي يظهره الله على يد المشعوذين؛ الذين يستخدمون الجن؛ يظهرها الله فتنة لهم وفتنة بهم، فإنه يوجد من الناس من يأتي بأشياء خارقة للعادة، ولكنه ليس وليًّا، ومعلوم أيضًا أنه ليس بنبيٍّ، لأنه لا نبيَّ بعد محمد ﷺ، إذن فهي من الشياطين.

أما ما يكون خارقًا للعادة؛ يظهره الله على يد الكاذب تكذيبًا له، مثل ما يذكر عن مسيلمة الكذاب؛ وهو رجل ادعى النبوة في آخر حياة النبي ﷺ، وتبعه من تبعه من الناس، وفي يوم من الأيام أتاه قوم يشكون إليه أن بئرهم قد غار ماؤها، ولم يبق فيه إلا القليل، فطلبوا منه أن يأتي إلى البئر ويمجّ فيه من ريقه لعل الماء يعود، ولما مجّه في البئر غار الماء كله. هذا خارق للعادة، ولكن الله جعله إهانة لذلك الرجل الكذاب وإظهارًا لكذبه.

واعلم أن كل كرامة لوليّ فهي آية للنبي الذي اتبعه، لأن هذا الوليّ الذي اتّبع هذا النبي إذا أُكرم بكرامة فهي شهادة من الله على صحة طريقته، وعلى صحة الشرع الذي اتّبعه.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

عن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤]، قال: «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ**». رواه أحمد.

والبشارة في الحياة الدنيا أنواع:

منها: الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له؛ أي يرى أحد له في المنام ما يسره. قال النبي ﷺ في الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**».

ومنها: إن الإنسان يُسَرَّ في الطاعة ويفرح بها، فإن هذا يدل على أنه من أولياء الله. قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذٰلِكَ الْمُؤْمِنُ**». فإذا رأيت من نفسك أن صدرك ينشرح بالطاعة، وأنه يضيق بالمعصية؛ فهذه بشرى لك أنك من أولياء الله المتقين.

ومنها: أن أهل الخير يحبونك ويثنون عليك بالخير، فهذه بشرى للإنسان، ولا عبرة بثناء أهل الشر ولا قدحهم، لأنهم لا ميزان لهم، ولا تقبل شهادتهم عند الله.

ومن البشرى في الحياة الدنيا: ما يبشَّر به العبد عند فراق الدنيا، حيث تتنزَّل عليه الملائكة: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾.

ومنها: أن الإنسان عند موته بشارة أخرى، فيقال لنفسه: اخرجي أيتها النفس الطيبة التي كانت في الجسد الطيب، اخرجي إلى رحمة من الله ورضوان، فتفرح وتُسرُّ. ومن ذلك أيضاً البشارة في القبر؛ فإن الإنسان إذا سُئِل عن ربه ودينه ونبيه وأجاب بالحق، نادى مناد من السماء أن صدق عبدي؛ فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا من الجنة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا، فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا﴾ [مريم:٢٥-٢٦]. وهذا من خوارق العادة، وهي كرامة لمريم عليها السلام، وأشار بقوله: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم:٢٩-٣٠]، إلى تكلم عيسى ومخاطبته لقومها، ومحاورته عنها، من ولادته إرهاصًا لنبوَّته، وكرامةً لها. قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧].

قيل: كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء.

وفي قصة مريم عدة كرامات، منها: حملها من غير ذَكَر، وحصول الرطب الطري من الجذع اليابس، ودخول الرزق عندها في غير أوان حضور أسبابه، وهي لم تكن من الأنبياء، فزكريا إذا دخل على مريم المحراب؛ أي مكان صلاتها، وجد عندها رزقًا،أي طعامًا لم تجر العادة بوجوده في ذلك الوقت، ولا يُشترى من السوق، قالت: هو من عند الله؛ لم تقل جاء به فلان، وعندئذ دعا زكريا ربه؛ وكان قد بلغه الكبر ولم يأته أولاد، واستدل بقدرة الله الذي جاء بهذا الرزق إلى مريم من دون سبب بشريٍّ، فدعا ربَّه أن يأتيه ولدًا، فجاءه الولد، وفيه أيضًا كرامات.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا، وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٦-١٧].

قال بعض المفسرين: صرف الله عنهم الشمس بقدرته، وحال بينهم وبينها؛ لأنَّ باب الكهف على جانب لا تقع الشمس إلا على جنبه، فيكون كرامة لهم، وفي لبثهم ثلاث مائة سنينًا وأكثر، نيامًا أحياء من غير آفة، مع بقاء القوة العادية بلا غذاء ولا شراب من

جملة الخوارق، وكان هؤلاء سبعة رجال، رأوا ما عليه أهل بلدتهم من الشرك والكفر، ولم يرضوا بذلك، فاعتزلوا قومهم، وهاجروا من بلدهم ولجأوا إلى غار وجهُه إلى الشمال الشرقي، بحيث لا تدخل عليه الشمس دخولًا كاملًا فيصيبهم الحر، لكنها تقرضه شيئًا بسيطًا، يعني يأتيهم من الشمس بقدر الحاجة فقط، وألقى الله عليهم النوم فناموا، كم ناموا؟ يومًا؟ يومين؟ ثلاثة؟ سنة؟ سنتين؟ لا، ناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنين، لا يستيقظون من حر ولا برد، ولا من جوع ولا عطش، ولم يتغير منهم ظفر ولا شعر ولا غيره، وكأنهم ناموا بالأمس، وهذا من كرامات الله.

**[١٥٠٣]** وعن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنهما: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ مَرَّةً: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ فَلْيَذْهَبْ بِثَالِثٍ، وَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ أَرْبَعَةٍ فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ...**»، أَوْ كَمَا قَالَ. والشاهد في هذا الحديث قوله:... فَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ وَأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لَا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرُ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هٰذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةِ عَيْنِي إِنَّهَا الآنَ لَأَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ، فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: كرامة ظاهرة لأبي بكر رضي الله عنه.



**[١٥٠٤]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ**». رواه البخاري.

وفي هذا الحديث: كرامة ظاهرة لعمر رضي الله عنه، ومحدَّثون يعني: ملهمون للصواب، يقولون قولًا فيكون موافقًا للحق، وهذا من كرامة الله للعبد، أن الإنسان إذا قال قولًا، أو

أفتى بفتوى، أو حكم بحكم تبين له بعد ذلك أنه مطابق للحق. قد يقول قائل: كيف يكون عمر ملهمًا وأبو بكر ليس كذلك، فيقال: إن أبا بكر ﷺ يوفق للصواب من دون إلهام من ذات نفسه بتوفيق الله، ويدل على هذا عدة مسائل منها: موقفه المؤيد للرسول ﷺ في صلح الحديبية، وقوله يوم وفاة الرسول ﷺ يوم قال: أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾، فقال عمر: فوالله ما إن تلاها أبو بكر حتى عقرتُ فما تحملني رجلاي؛ يعني من الخوف والشدة. وأيضًا إصراره على قتال المرتدين من العرب؛ جاء عمر لأبي بكر وقال: لا ترسل الجيش، نحن في حاجة، فقال له أبو بكر: والله لا أحلنّ راية عقدها رسول الله ﷺ، فكان هو الصواب، حيث امتنع بسبب ذلك كثير من الناس عن الردة، وعلى كل حال؛ كلا الرجلين موفق إلى الصواب.



**[١٥٠٥]** وعن جابر بنِ سُمْرَةَ ﷺ، قال: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا، يَعْنِي: ابْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، إِلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاق، إِنَّ هٰؤُلَاءِ يَزْعَمُونَ أَنَّكَ لَا تُحْسِنُ تُصَلِّي، فَقَالَ: أَمَّا أَنَا وَاللهِ فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَا أُخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلَاةَ العِشَاءِ فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ، قَالَ: ذٰلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا، أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ، فَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ، يُكَنَّى أَبَا سَعْدَةَ، فَقَالَ: أَمَا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لَا يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هٰذَا كَاذِبًا قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدَ ذٰلِكَ إِذَا

سُئِلَ، يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبدُ الملكِ بْنُ عُمَيْرٍ الرَّاوِي عَنْ جَابرِ بْنِ سَمُرَةَ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوارِي فِي الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: كرامةٌ ظاهرة لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وفيه: أن من تولى أمرًا في الناس فإنه لا يسلم منهم مهما كانت منزلته، لا بد أن يناله السوء.

وفيه: أن الله تعالى حكم عدل يستجيب دعاء المظلوم حتى ولو كان كافرًا، فكيف إذا كان مسلمًا؟

ومن فوائد الحديث: أنه يجوز للإنسان أن يستثني في الدعاء، فيقول: اللهم إن كان كذا فافعل به كذا.



**[١٥٠٦]** وعن عروة بن الزبير: أن سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيلٍ رضي الله عنه، خَاصَمَتْهُ أَرْوَى بِنْتُ أَوْسٍ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ، وَادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟! قَالَ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ**»، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هٰذَا، فَقَالَ سَعِيدٌ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا، قَالَ: فَمَا ماتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَمَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لِمُسْلِمٍ عن محمد بن زيد بن عبد الله بن عُمرَ بِمَعْنَاهُ؛ وَأَنَّهُ رَآهَا عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ، تَقُولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدٍ، وَأَنَّهَا مَرَّتْ عَلَى بِئْرٍ فِي الدَّارِ الَّتِي خَاصَمَتْهُ فِيهَا، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فَكَانَتْ قَبْرَهَا.

في هذا الحديث: كرامةٌ ظاهرةٌ لسعيد بن زيد ﵁، هذا دليل على أن اغتصاب الأرض أو أخذ شيء منها بغير الحق من كبائر الذنوب، وأنه يحمل به يوم القيامة، فما بالك بقومٍ اليوم يأخذون أميالًا بل أميال الأميال بغير الحق، يضيّقون بها مراعي المسلمين، ويحرمونهم من طرقهم، كأودية الأمطار، وهي للمسلمين عمومًا، وليست ملكًا لفلان أو علان، ولا يخصّ أحدًا بمصالح المسلمين من دون أحد، وهذه المسألة خطيرة للغاية، ولهذا لما ارتفعت قيم الأراضي صار الناس يعتدي بعضهم على بعض؛ يدّعي أن الأرض له وهي ليست له، يكون جارًا لشخص ثم يدخل شيئًا من أرضه إلى أرضه، وهذا على خطر عظيم، إن العلماء قالوا: لو أن الإنسان بنى جدارًا ثم زاد في لياصته ودخل على السور سنتيمترًا واحدًا، فإنه يكون ظالمًا؟



**[١٥٠٧]** وعن جابر بن عبد الله ﵄، قال: لَمَّا حَضَرَتْ أُحُدٌ دَعَانِي أَبِي مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ، وَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذُنِهِ، فَجَعَلْتُهُ فِي قَبْرٍ عَلَى حِدَةٍ. رواه البخاري.

في هذا الحديث: كرامة ظاهرة لعبد الله أبي جابر ﵄، واعلمْ أن الإنسان إذا دفن فإن الأرض تأكله لا يبقى إلا عجب الذنب، وهذا يكون كالنواة لخلق الناس يوم القيامة، تنبت منه الأجساد، إلا الأنبياء فإن الأرض لا تأكلهم، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**»، أما غير الأنبياء فإن الأرض تأكل أجسادهم، ولكن قد يمنع الله الأرض أن تأكل أحدًا كرامة له.



**[١٥٠٨]** وعن أنس ﷺ، أَنَّ رَجُلَينِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، فَلَمَّا افْتَرَقَا، صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ. رواه البخاري مِنْ طُرُقٍ. وَفِي بَعْضِهَا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ ﷺ.

في هذا الحديث: كرامة ظاهرة لأسيد بن حضير، وعبّاد بن بشر ﷺ، خرجا من عند النبي ﷺ في تلك الليلة المظلمة، فجعل الله بين أيديهما مثل المصباحين، يعني مثل لمبة الكهرباء تضيء لهما الطريق، وليس هذا من فعلهما ولا بسبب منهما، ولكن الله تعالى خلق نورًا يسعى بين أيديهما حتى تفرَّقا، وتفرَّق النور مع كل واحد منهما، حتى بلغا بيوتهما، وهذه كرامة من الله ﷻ. ومن كرامة الله تعالى أنه يضيء للعبد الطريق، الطريق الحسي وفائدته الحسية.

وهناك أيضًا نور معنويٌّ يقذفه الله تعالى في قلب المؤمن كرامة له؛ تجد بعض العلماء يفتح الله عليه من العلوم العظيمة الواسعة في كل فن، ويرزقه الفهم والحفظ والمجادلة، ومن هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية، فإن هذا الرجل منَّ الله به على الأمة الإسلامية، وهي لا تزال تنتفع بكتبه إلى يومنا هذا، وقد توفي ﷺ سنة ٧٢٨هـ.



**[١٥٠٩]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ عَشْرَةَ رَهْطٍ عَيْنًا سَرِيَّةً، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ ﷺ... وَالشَّاهِدُ فِي قَوْلِهِ:... فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا... فَوَالله لَقَدْ وَجَدْتُهُ يومًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ...، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ حِيْنَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ، أَنْ يُؤْتَوا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللهُ لِعَاصِم مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ...، فَلَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا. رواه البخاري.

الظُّلَّةُ: السَّحَابُ، وَالدَّبْرُ: نَحْلٌ عَظِيمٌ، يحميه الله به من هؤلاء القوم، فعجزوا أن يقربوه، ورجعوا خائبين. وفي هذا الحديث: كرامة ظاهرة لخبيب وعاصم بن ثابت رضي الله عنهما، وهذا كقصة مريم؛ قال تعالى: **﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا، قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هٰذَا، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ الله، إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**. وأحاديث كثيرةٌ صَحيحةٌ، مِنْهَا حديثُ الغُلامِ الَّذِي كَانَ يأتِي الرَّاهِبَ والسَّاحِرَ، ومِنْها حَدِيثُ جُرَيْج، وحديثُ أَصْحابِ الغَارِ الَّذين أَطْبِقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ، وَحديثُ الرَّجُلِ الَّذِي سَمِعَ صَوْتًا في السَّحَابِ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، وَغَيْرُ ذَلِكَ. قال النُّووي: اعلمْ أن مذهب أهل الحق إثبات كرامات الأولياء، وأنها واقعة موجودة مستمرة على مر العصور.

**[١٥١٠]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: مَا سَمِعْتُ عُمَرَ رضي الله عنه يَقُولُ لِشَيْءٍ قَطُّ: إِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذَا، إِلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ. رواه البخاري.

قيل للإمام أحمد بن حنبل: ما بال الكرامات في زمن الصحابة قليلة بالنسبة لما يروى عمن بعدهم من الأولياء؟! فقال: أولئك كان إيمانهم قويًّا فما احتاجوا إلى زيادة تُقوِّي بها إيمانهم، وغيرهم ضعيف الإيمان في عصره، فاحتاج إلى تقويته بإظهار الكرامة.





## ٢٥٦-الغِيبَة

الغِيبَة بيَّنها النبي ﷺ حين قال لأصحابه: «**أَتَدْرُونَ مَا الغِيْبَةُ؟**»، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**الغِيْبَةُ ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، فقالوا: يا رسول الله أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**»، يعني مع الغيبة، فالغيبة من كبائر الذنوب التي لا تكفِّرها الصلاة ولا الصدقة ولا الصيام، ولا غيرها من الأعمال الصالحة، إلا أنها كغيرها من الكبائر يوازن بينها وبين الحسنات، وقوله: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، يشمل كل شيء يكرهه، فإنك إذا ذكرته به فهي غيبة، أما لو كان ذلك في وجهه، فإنه يسمَّى سبًّا وشتمًا، ولا يسمَّى غيبة.

واعلمْ أن الغيبة تزداد قبحًا وإثمًا بحسب ما تؤدي إليه؛ فغيبة العامة من الناس ليست كغيبة العالم، أو كغيبة الأمير أو المدير أو الوزير، لأن غيبة ولاة الأمور صغيرًا كان الأمر أو كبيرًا أشد من غيبة غيرهم من عامة الناس، لأنك إذا اغتبت عامة الناس إنما تسيء إليه شخصيًّا فقط، أما إذا اغتبت من له أمر فقد أسأت إليه وإلى ما يتولاه من أمور المسلمين، فمثلًا لو أنك اغتبت عالمًا من العلماء، هذا لا شك أنه عدوان عليه شخصيًّا كغيره من المسلمين، لكنك أيضًا أسأت إساءة كبيرة إلى ما يحمله من الشريعة، إذا اغتبته سقط من أعين الناس، وإذا سقط من أعين الناس لن يقبلوا قوله في أمور دينهم، وصار مشكوكًا فيه لأنك اغتبته، فهذه جناية عظيمة على الشريعة. كذلك الأمراء، إذا اغتبت أميرًا أو ملكًا أو رئيسًا، ليس هذه غيبة شخصية له فقط؛ لأنك إذا اغتبت أحد هؤلاء معناها أنك تشحن قلوب الرعية على ولاتهم، وهذا سبب لنشر الفوضى بين الناس، وتمزُّقهم، وتفرُّقهم.

قد يظن بعض الناس أن هذا يشفي من غليله وغليانه، لكن يقلب هذا الأمن إلى خوف، وهذا الاستقرار إلى قلق، أو يقلب هذه الثقة بالرئيس أو الوزير إلى سحب الثقة. إذا كنت ذا غليان، أو إذا كان صدرك مملوءًا غيظًا، فصبّه على نفسك قبل أن تصبّه على غيرك، انظر مساوئك أنت، هل أنت ناجٍ من المساوئ؟ أول عيب فيك أنك تسبّ وتغتاب ولاة الأمور. قد يقول: أنا أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. نقول: حسنًا، ولكن البيوت تؤتى من أبوابها. والعجب أن بعض المفتونين بهذا الأمر؛ لا يأتون بحسنات هؤلاء الذين يغتابونهم، والعجب أيضًا أنك لا تكاد تجد في مجالسهم أو في أفواههم يومًا من الدهر أنهم يقولون: يا أيها الناس اتقوا كذا، اتقوا الغش، اتقوا الكذب، لا تكاد تجد أنهم يصبُّون غضبهم على إصلاح العامة ويحذرونهم. ومن المعلوم أن العامة إذا صلحت فالشعب هو العامة، إذا صلح الأفراد صلح الشعب، وإذا صلح الشعب فلا بد أن تصلح الأمة كلها.

واعلمْ أن من تتبَّع عورة أخيه تتبَّع الله عورته، وأن من تتبَّع الله عورته فضحه ولو في بيت أمه. واعلمْ أن كل كلمة تكون غيبة لشخص فإنما تكون نقصًا من حسناتنا وزيادة في حسنات هذا الشخص، كما جاء في الحديث: «**أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ فِيكُمْ؟**»، قالوا: من لا درهم عنده ولا متاع. قال: «**لَا، الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَأْتِي وَقَدْ ظَلَمَ هٰذَا، وَشَتَمَ هٰذَا، وَأَخَذَ مَالَ هٰذَا، فَيَأْخُذُ هٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهٰذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ بَقِيَ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْءٌ وَإِلَّا أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ وَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**».

وعن بعض السلف أنه سمع عن شخص يغتابه، فأرسل إليه بهدية. من الذي أرسل؟ الذي اغتيب أرسل إلى الذي اغتابه بهدية، وقال له: أنت أهديتني حسنات أنتفع بها يوم القيامة، وأنا أهديك هذه الهدية طعامًا وشرابًا تنتفع بها في الدنيا، وآخر أمرها أن تكون خراءة أو بولًا.

ثم اعلمْ يا أخي، هل غيبتك هذه للعلماء أو الأمراء تُصلح من الأمور شيئًا؟ أبدًا، بل هي إفساد الواقع، لا تزيد الأمر إلا شكًّا، ولا ترتفع بها مظلمة، ولا يصلح بها فاسد. قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾. لو قُدّم لك أخوك المسلم ميتًا هل تحب أن تأكل لحمه؟ الجواب: لا. الكل يقول: لا، ولا يمكن.، فإذا قال قائل: ما هي مناسبة الغيبة لهذا المثل؟ قلنا: لأن الذي تغتابه غائب لا يمكن أن يدافع عن نفسه، كالميت إذا قطعت لحمه لا يمكن أن يقوم ليدافع عن نفسه، ولهذا إذا ذكرت أخاك بما يكره في حال وجوده فإن ذلك لا يسمى غيبة، فإن بل يسمى سبًّا وشتمًا، ﴿وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]، وهذا إشارة إلى أن الذين يغتابون الناس لم يتَّقوا الله ﷻ. واعلمْ أنك إذا سُلطت على عيب أخيك ونشرته وتتبعت عورته، فإن الله تعالى يقيد لك من يفضحك ويتتبع عورتك حيًّا كنت أو ميتًا؛ لأن النبي ﷺ قال: «مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ فَضَحَهُ وَلَو فِي بَيْتِ أُمِّهِ».

إلا أن الغيبة إذا كانت للنصح والبيان فإنه لا بأس بها؛ كما لو أراد إنسان أن يعامل شخصًا من الناس، وجاء إليك يستشيرك، يقول: ما تقول؟ هل أعامل فلانًا؟ وأنت تعلم أن هذا سيئ المعاملة، ففي هذا الحال يجب عليك أن تبين ما فيه من العيب من باب النصح.

وقد شاع عند الناس كلمة غير صحيحة وهي قولهم: (لا غيبة لفاسق)، هذا ليس حديثًا وليس قولًا مقبولًا؛ بل الفاسق له غيبة مثل غيره، فإذا ذكرنا فسقه على وجه العيب والسب فإن ذلك لا يجوز، وإذا ذكرناه على سبيل النصيحة والتحذير منه فلا بأس، بل قد يجب.

قال ابن كثير: والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة، كقوله صلى الله عليه سلم لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «ائْذَنُوا لَهُ بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ»، وكقوله صلى الله عليه سلم لفاطمة

بنت قيس رضي الله عنها، وقد خطبها معاوية، وأبو الجهم، فقال: «**أَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٍ، وَأَمَّا أَبُو جَهْمٍ فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ**». وكذا ما جرى مجرى ذلك، ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبَّهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال جل جلاله: ﴿**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**﴾ [الحجرات:١٢]. أي: كما تكرهون هذا طبعًا، فاكرهوا ذاك شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا.

وقال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ [الإسراء:٣٦]. قال قتادة: يعني لا تقل رأيتُ ولمْ ترَ، وسمعتُ ولم تسمعْ، وعلمتُ ولم تعلمْ، فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله، وهذا إذا كان بالنسبة لما تنسبه إلى الله ورسوله، كان محرمًا من أشد المحرمات إثمًا، إذا قلتَ مثلًا: قال الله تعالى كذا وكذا والله لم يقله، أو تفسّر الآية بما تهواه لا بما تدل عليه، فقد قلت على الله ما لا تعلمه، وقد شهدت على الله أنه أراد كذا وكذا، وهذا أمر خطير عظيم، وكذلك بالنسبة للآدميين؛ بأن تنقل عن شخص أنه قال كذا وكذا وهو لم يقله، حتى لو قيل لك: إنه قال كذا وكذا، فلا تعتمد حتى تتيقَّن، لا سيما إذا كثر القول بين الناس في الأمور، فإنه يجب التحرُّز أكثر؛ لأن الناس إذا كثر فيهم القيل والقال فإنهم يبنون من الحبّة قبّة، ومن الكلمة كلمات، فيكون لهم هوى، ولا يتحرزون في النقل.

وقال تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٨]. أي: ما يتكلم من كلام إلا وله حافظ يكتبه، وقال ابن عباس: يكتب كلما يتكلم به من خير أو شر، حتى إنه ليُكْتَبُ قوله: أكلت، شربت، ذهبت، جئت، رأيت، حتى إذا كان يوم الخميس عُرِض قوله وعمله، فأقرّ منه ما كان فيه من خير أو شر، وألقي سائره، وذلك قوله تعالى: ﴿**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾ [الرعد:٣٩]. وأنت الآن لو جعلت في جيبك مُسجّلًا يُسجّل ما تقول، لوجدت العجب العجاب مما يصدر منك؛ وأنت لا تفكر فيه، كما قال

رسول الله ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**». ولهذا ينبغي على الإنسان أن يقلّل من الكلام ما استطاع؛ إلا كلامًا فيه خير، لما يؤدي إليه من الألفة بين الجلساء والمحبة؛ لأنك إذا حضرت مجلسًا ولم تتكلم فيه لم يستحب الناس الجلوس معك، فإن كان لا بد من الكلام، فقل خيرًا أو اصمت، واحذر أن تُكتب عليك الغيبة؛ لأنك إذا اغتبت أحدًا فإنه يوم القيامة يأخذ من حسناتك التي هي أغلى ما يكون عندك في ذلك الوقت، فإن بقي من حسناتك شيء، وإلا أخذ من سيئات الذين اغتبتهم وطرحت عليك، ثم طُرِحْتَ في النار.

والله تعالى يعلم بأحوالنا ونيّاتنا ومستقبلنا وكل ما يتعلق بنا، ولهذا قال: ﴿**وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**﴾. والشيء الذي تحدّث به نفسك يعلمه الله قبل أن تتكلم، ولكن هل يؤاخذك به؟ في هذا تفصيل، إن ركنت إليه وأثبتّه في قلبك عقيدة، فإن الله يؤاخذك به، وإلا فلا شيء عليك؛ لقول النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**». فمثلًا لو أن إنسانًا صار يوسوس ويفكر؛ هل يطلق زوجته أو لا؟ ومثل هذا كثير بين الناس، فإنها لا تطلق، حتى ولو عزم على أن يطلقها، إلا بالقول أو بالكتابة الدالة على القول، أو بالإشارة الدالة على القول؛ لأن الله تجاوز عن هذا الأمة ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم.

قال الحسن البصري: وتلا هذه الآية: ﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**﴾ [ق:١٧]، يا ابن آدم، بُسطتْ لك صحيفة، ووُكّل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، أما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيّآتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا متّ طُوِيَتْ صحيفتك، وجعلت في عنقك معك

في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا، اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء:١٣-١٤]، ثم يقول: عدل والله من جعلك حسيب نفسك.

قيل: اعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلَامِ إِلَّا كَلَامًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، وَمَتَى اسْتَوَى الكَلَامُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فَالسُّنَّةُ الإِمْسَاكُ عَنْهُ، لِأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلَامُ المُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وَذٰلِكَ كَثِيرٌ فِي العَادَةِ، وَالسَّلَامَةُ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.



**[١٥١١]** وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**». مُتَّفَق عَلَيْهِ.

يعني: من كان يؤمن الإيمان الكامل المنجِّي من عذاب الله، فليقل خيرًا أو ليصمت، فإذا استوى الأمران، أن يسكت أو يتكلم، فالسلامة أفضل، يعني لا يتكلم إذا كان يشك هل في كلامه خيرًا أو لا، لأن السلامة لا يعدلها شيء، والساكت سالم إلا إذا اقتضت الحال أن يتكلم فليتكلم، مثلًا لو رأى منكرًا فهنا لا يسكت، يجب أن يتكلم وينصح وينهى عن هذا المنكر.

والكلام الخير نوعان: خير في ذات الكلام، كقراءة القرآن والتسبيح والتكبير والتهليل وتعليم العلم وما أشبه ذلك، وخير لغير الكلام، بمعنى أن الكلام مباح لكن يجرّ إلى مصلحة وإلى تأليف القلب وانبساط الإخوان وسرورهم بمجلسك، هذا أيضاً من الخير؛ لأن الإنسان لو بقي ساكتًا من أول المجلس لآخره ملّه الناس وكرهوه، وأما من تكلم بكلام يضحك الناس وهو كذب فإنه قد ورد فيه الوعيد: «**وَيْلٌ لِمَنْ حَدَّثَ وَكَذَبَ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ**»، وهذا يفعله بعض الناس ويسمَّونها النكت! وهذا غلط.



**[١٥١٢]** وعن أبي موسى ﷺ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا الحديث: أن من سَلِم المسلمون من أذاه فهو من أفضلهم، وخصّ اللسان واليد بالذكر لغلبة صدور الأمر عنهما، فالقول باللسان والفعل باليد، واحفظ لسانك لا تتكلم في عباد الله إلا في الخير، واحفظ يدك لا تعتدي على أموالهم ولا على حقوقهم، مادية أو معنوية، بل كن سالمًا يسلم منك، وهذا هو خير المسلمين.



**[١٥١٣]** وعن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فالذي بين لحييه هو اللسان، والذي بين الرجلين هو الفَرج، سواء للرجل أو المرأة، يعني من حفظ لسانه عن القول المحرم من الكذب والغيبة والنميمة والغش وغير ذلك، وحفظ فرجه من الزنا واللواط ووسائل ذلك، فإن النبي ﷺ يضمن له الجنة، فزلّة اللسان كزلة الفرج، خطيرة جدًّا، وإنما قرن النبي ﷺ بينهما لأن في اللسان شهوة الكلام، فكثير من الناس يتنطَّع ويتلذَّذ إذا تكلم في أعراض الناس.

ومن الناس من يهوى الكذب، والكذب من كبائر الذنوب، لا سيما إذا كذب بالكلمة ليضحك القوم، وكذلك شهوة النساء، فإن الإنسان مجبول على ذلك، ولا سيما إذا كان شابًّا، فإذا حفظ هاتين الشهوتين، ضمن النبي ﷺ له الجنة.



**[١٥١٤]** وعن أبي هريرة ﷺ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا إِلَى النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الكلمة ما يتبين فيها: يعني لا يتأكد، ينقل ما سمع، وكفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكل ما سمع، فتجده يتكلم بالكلمة ولا يتبيّن ولا يتثبت ولا يدرس معناها، ولا يدرس ماذا توصل إليه، فإنه يزلّ بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب، والمسافة ما بينهما بعيدة جدًّا، نصف الكرة الأرضية، وهذا يدلّ على وجوب التأكد مما تتكلم به، سواء نقلته إلى غيرك أو نقلته عن غيرك.



**[١٥١٥]** وعنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَى مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلَمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ تَعَالَى لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ**». رواه البخاري.

قوله: «**مَا يُلْقِي لَهَا بَالًا**»: لا يُصغى إليها.

والكلمة من رضوان الله، ويعني كلمة ترضي الله، من قرآن، وتسبيح، وتكبير، وتهليل، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وتعليم علم، وإصلاح ذات البين، وما أشبه ذلك، يتكلم بالكلمة ترضي الله ﷻ ولا يلقي لها بالًا، يعني أنه لا يظن أنها تبلغ به ما بلغ، وإلا فهو قد درسها وعرفها وألقى لها البال، لكن لا يظن أن تبلغ ما بلغت، يرفع الله له بها درجات في الجنة، بينما رجل يتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بها بالًا يهوي بها في النار، لأنه تكلم بها ولا يظن أن تبلغ ما بلغت، وهذا يقع كثيرًا؛ كثيرٌ من الناس تجده يسأل عن فلان، فيقول: هذا اتركه، هذا والله ما يغفر الله له. هذه كلمة خطيرة. ومن ذلك، إذا قال شخص: يا فلان، إن جارنا لا يصلي لعلك تنصحه، قال له: هذا ما يمكن أن يهتدي أبدًا! هذا طاغ! هذا فاسق! أعوذ بالله، القلوب بيد الله ﷻ؛ هذا القلب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء، إن شاء أزاغه وإن شاء هداه، ألا يوجد في هذه الأمة من كان من ألدّ أعدائها وأشد خصومها؟ أما كان عمر بن الخطاب ثاني اثنين في زعامة الأمة

بعد نبينا محمد ﷺ، أما كان مناوئًا للدعوة الإسلامية؟ فهداه الله، فصار الخليفة الثاني للمسلمين، وكذلك خالد بن الوليد، وعكرمة بن أبي جهل، ماذا فَعلا في أُحد؟ كرًّا على المسلمين من الخلف وحدثت الهزيمة، وفي النهاية كانا قائدين عظيمين في جيش الإسلام!

**[١٥١٦]** وعن أبي عبد الرحمن بِلالِ بن الحارثِ المُزَنِيِّ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تَعَالَى مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**». رواه مالك في المُوَطَّأ، والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

كثير من الناس يدعو على نفسه بشرٍّ وهو لا يشعر؛ يدعو على ولده، أو يدعو على ماله، أو يدعو على صديقه، أو يدعو على قريبه، فربما يصادف ذلك بابًا مفتوحًا فيصبه الدعاء.

قال ابن عبد البر: لا أعلم خلافًا في قوله ﷺ في هذا الحديث: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ**»، إنها الكلمة عند السلطان الجائر الظالم يرضيه بها فيسخط الله عز وجل، ويزيّن له باطلًا يريده من إراقة دم، أو ظلم مسلم ونحوه، مما ينحط به في حبل هواه، فيبعد من الله وينال سخطه، وكذا الكلمة التي يرضى بها الله عند السلطان ليصرفه عن هواه، ويكفه عن معصيته التي يريدها، يبلغ بها أيضًا رضوانًا من الله.

**[١٥١٧]** وعن سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله حَدِّثْنِي بِأَمْرٍ أَعْتَصِمُ بِهِ. قَالَ: «**قُلْ: رَبِّيَ اللهُ ثُمَّ اسْتَقِمْ**». قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا أَخْوَفُ مَا تَخَافُ عَلَيَّ؟ فَأَخَذَ بِلِسَانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**هٰذَا**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الاستقامة: هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، والحديث مقتبس من مشكاة قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت:٣٠].

فيه: أن أعظم ما يهلك الإنسان لسانه.

**[١٥١٨]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُكْثِرُوا الكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ! وَإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ تَعَالَى القَلْبُ القَاسِي**». رواه الترمذي.

الذِّكر: هو الثناء على الله تعالى، ودعاؤه، وأشرف الذكر: القرآن، وقسوة القلب: غلظته وعدم تأثره بالمواعظ، فلا يأتمر بخير ولا ينزجر عن شر.

**[١٥١٩]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخَلَ الجَنَّةَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

**[١٥٢٠]** وعن عقبة بن عامرٍ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

قال بعض السلف: تعلمت الصمت بحصاة جعلتها في فمي ثلاثين سنة؛ كنت إذا هممت بالكلمة تلجلج بها لساني فيسكت. وقال بعضهم: جعلت على نفسي بكل كلمة أتكلم بها فيما لا يعنيني صلاة ركعتين فلم أنته، ثم جعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فلم أنته، حتى جعلت على نفسي بكل كلمة أن أتصدق بدرهم فانتهيت.

ومن فوائد لزوم المسلم بيته، أن فيه أمان من كثير من الذنوب والمعاصي، فمن ذلك النظر إلى الحرام، لا سيما في كثير من المجمعات التي يكثر فيها الاختلاط، ومن ذلك الوقوع في الغيبة، والنميمة، والبهتان، لا سيما في كثير من المجالس.

[١٥٢١] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسَانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ؛ فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وَإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا**». رواه الترمذي.

«**تُكَفِّرُ اللِّسَانَ**»: أَيْ تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ، فاللسان خطره عظيم، وآفاته كثيرة من الغيبة والنميمة والسب والشتم.

«**فَإِنَّمَا نَحْنُ بِكَ**»: أي مجازون بما يصدر عنك، فاللسان يقودها في بعض الأحيان إلى هلاكها، فالواجب الحذر من شره وأن تحسب حسابك قبل أن تتكلم.

قال الطيبي: الجمع بين هذا الحديث وحديث: «**إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ**»، أن اللسان خليفة القلب وترجمانه، وأن الإنسان عبارة عن القلب واللسان، والمرء بأصغريه.



[١٥٢٢] وعن مُعَاذٍ رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَخبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «**لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ: تَعْبُدُ اللهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ البَيْتَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ**»، ثُمَّ تَلَا: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿**يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة:١٦-١٧]، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سِنَامِهِ؟**»، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةِ**

**سِنَامِهِ الجِهَادُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذٰلِكَ كُلِّهِ؟**»، قُلْتُ: بلَى يَا رَسُولَ الله، فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ وَقَالَ: «**كُفَّ عَلَيْكَ هٰذَا**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

**[١٥٢٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ مَا الغِيبَةُ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**». رواه مسلم.

فالواجب على الإنسان الحذر من إطلاق اللسان، وألا يتكلم إلا بخير، إن كان يؤمن بالله واليوم الآخر. قال النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».

**[١٥٢٤]** وعن أَبِي بَكْرة رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ فِي خُطْبَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ بِمِنًى فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ، وَأَمْوَالَكُمْ، وَأَعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ**». مُتَّفَق عَلَيْهِ.

إعلان رسول الله ﷺ في حجة الوداع، في أكبر مجتمع حصل بين النبي ﷺ والصحابة؛ لأن الذين حجُّوا معه قريب من مائة ألف، أعلن وقال ما قال، ثم قال: «**أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قالوا: نعم. قال: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**».



**[١٥٢٥]** وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت للنبي ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا- قَالَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: تَعْنِي قَصِيرَةً-، فَقَالَ: «**لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ**». قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «**مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَإِنَّ لِي كَذَا وَكَذَا**». رواه أَبُو

داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

«لمَزَجَتْهُ»: لخَالَطَتْهُ مُخَالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتْنِهَا وَقُبْحِهَا، وَهٰذَا مِنْ أَبلَغِ الزَّواجِرِ عَنِ الغِيْبَةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤].

قولها: " وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا"، أي: قلَّدت له بالفعل حركة إنسان يكرهها، وفعلت مثل فعله، وأكثر ما استعمل المحاكاة في القبيح، وهو في الغيبة المحرمة، كأن يمشي متعارجًا أو مطأطئًا، وغير ذلك من الهيئات يقلّد بذلك صاحبها.

**[١٥٢٦]** وعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ بِهَا وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هٰؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ!**». رواه أَبُو داود.

فائدة: روى الإمام أحمد أنه قيل: يا رسول الله، إن فلانة وفلانة صائمتان، وقد بلغتا الجهد، فقال: «**ادْعُهُمَا**»، فقال لإحداهما: «**قِيئِي**»، فقاءت لحمًا ودمًا عبيطًا وقيحًا، والأخرى مثل ذلك، ثم قال: «**صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ، وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِمَا، أَتَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، فَلَمْ تَزَالَا تَأْكُلَانِ لُحُومَ النَّاسِ حَتَّى امْتَلَأَتْ أَجْوَافُهُمَا قَيْحًا**».



**[١٥٢٧]** وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ؛ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ**». رواه مسلم.





## ٢٥٧- سَماعُ الغِيبَة

أَمَرَ اللهُ تَعَالَى مَنْ سَمِعَ غِيبَةً مُحَرَّمَةً بِرَدِّهَا، وَالإِنْكَارِ عَلَى قَائِلِهَا، فَإِنْ عَجِزَ أَوْ لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، فَارَقَ ذٰلِكَ المَجْلِسَ إِنْ أَمْكَنَهُ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص:٥٥]. أي: إذا سمعوا القبيح من القول أعرضوا عنه تكرُّمًا وتنزُّهًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٣]. أي: معرضون عن كل ما لا يعنيهم من قول أو فعل.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء:٣٦]. قال ابن كثير: أي يُسأل العبد عنها يوم القيامة وتسأل عنه، وعما عمل فيها، وفي الدعاء المأثور: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَشَرِّ بَصَرِي، وَشَرِّ لِسَانِي، وَشَرِّ قَلْبِي، وَشَرِّ مَنِيِّي**».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨].

قال قتادة: نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذّبون بها، فإن نسي فلا يقعد بعد أن يتذكر. وقال السدي: فإذا تذكرت فقم. وقال ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قال المسلمون: كيف نقعد في المسجد الحرام، ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدًا؟! فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٦٩]. أي: من إثم الخائضين، ﴿وَلَٰكِنْ ذِكْرَى﴾ [الأنعام:٦٩]. أي: ذكِّروهم وعظوهم بالقرآن ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوضَ إذا وعظتموهم، فرخَّص في مجالستهم على الوعظ.



**[١٥٢٨]** وعن أبي الدرداء ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

**[١٥٢٩]** وعن عِتبَانَ بنِ مَالكٍ ﷺ في حديثه الطويل المشهور الذي تقدَّمَ في بابِ الرَّجاء قال: قَامَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي، فَقَالَ: «**أَيْنَ مَالِكُ بْنُ الدُّخْشُمِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: ذٰلِكَ مُنَافِقٌ لَا يُحِبُّ اللهَ وَلَا رَسُولَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَقُلْ ذٰلِكَ، أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، يُرِيدُ بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ! وَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ يَبْتَغِي بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: رد الغِيبة والإنكار على قائلها، وأن العمل الصالح لا ينفع منه إلا ما أريد به وجه الله تعالى، والتقرب به إليه، فحينما تكلم الرجل في عرض أخيه عند النبي ﷺ، نهاه عن ذلك، وقال: «**أَلَا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، يُرِيدُ بِذٰلِكَ وَجْهَ اللهِ**». وهذا يدل على أن الإنسان إذا لم يكن كذلك فإنه لا غيبة له، فالكافر مثلًا ليس محترمًا في الغيبة، لك أن تغتابه، إلا أن يكون له أقارب مسلمون يتأذون بذلك فلا تغتبه، وإلا فلا غيبة له، أما الفاسق فإنه محترم، إلا إذا كانت المصلحة تقتضي بيان فسقه فلا بأس؛ لأن هذا من باب النصيحة.



**[١٥٣٠]** وعن كعب بن مالك ﷺ في حديثه الطويل في قصةِ تَوْبَتِهِ وقد سبق في باب التَّوْبَةِ، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللهِ، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

عِطْفَاهُ: جَانِبَاهُ، وهو إشارةٌ إلى إعجابِهِ بنفسِهِ.

في هذا الحديث: إقرار النبي ﷺ لإِنكار معاذ على من فعل غيبة، أو تلبّس بها، وتشريعًا لمثله بالرد على المغتاب، وأن الواجب على الإنسان إذا سمع من يغتاب أحدًا أن يكفّ غيبته، وأن يسعى في إسكاته، إما بالقوة إذا كان قادرًا، كأن يقول: اسكت، اتق الله، خاف الله، وإما بالنصيحة المؤثرة، فإن لم يفعل فإنه يقوم ويترك المكان؛ لأن الإنسان إذا جلس في مجلس يغتاب فيه الجالسون أهل الخير والصلاح، فإنه يجب عليه أولًا أن يدافع، فإن لم يستطع فعليه أن يغادر، وإلا كان شريكًا لهم في الإثم.





## ٢٥٨- ما يُباح منَ الغِيبَة

اعْلَمْ أَنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحِيحٍ شَرْعِيٍّ لَا يُمْكِنُ الوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أَسْبَابٍ:

الأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلْمَظْلُومِ أَنْ يَتَظَلَّمَ إِلَى السُّلْطَانِ وَالقَاضِي وَغَيرِهِمَا مِمَّنْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى إِنْصَافِهِ، فَيَقُولُ: ظَلَمَنِي فُلَانٌ بِكَذَا.

الثَّانِي: الاسْتِعَانَةُ عَلَى تَغْيِيرِ المُنْكَرِ، وَرَدِّ العَاصِي إِلَى الصَّوَابِ، فَيَقُولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَى إِزَالَةِ المُنْكَرِ: فُلَانٌ يَعْمَلُ كَذَا فَازْجُرْهُ عَنْهُ وَنَحْوَ ذٰلِكَ، وَيَكُونُ مَقْصُودُهُ التَّوَصُّلُ إِلَى إِزَالَةِ المُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ يَقْصِدْ ذٰلِكَ كَانَ حَرَامًا.

الثَّالِثُ: الاسْتِفْتَاءُ، فَيَقُولُ لِلْمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبِي، أَوْ أَخِي، أَوْ زَوْجِي، أَوْ فُلَانٌ بِكَذَا فَهَلْ لَهُ ذٰلِكَ؟ وَمَا طَرِيقِي فِي الخَلَاصِ مِنْهُ، وَتَحْصِيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْو ذٰلِكَ، فَهٰذَا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، وَلٰكِنَّ الأَحْوَطَ وَالأَفضَلَ أَنْ يَقُولَ: مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ، أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَذَا؟ فَإِنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينٍ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَالتَّعْيِينُ جَائِزٌ.

الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ المُسْلِمِينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وذٰلِكَ مِنْ وُجُوهٍ مِنْهَا: جَرْحُ المَجْرُوحِينَ مِنَ الرُّوَاةِ وَالشُّهُودِ، وَذٰلِكَ جَائِزٌ بِإِجْمَاعِ المُسْلِمِينَ، بَلْ وَاجِبٌ لِلْحَاجَةِ، وَمِنْهَا: المُشَاوَرَةُ فِي مُصَاهَرَةِ إِنْسَانٍ، أَوْ مُشَارَكَتِهِ، أَوْ إِيدَاعِهِ، أَوْ مُعَامَلَتِهِ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، وَيَجِبُ عَلَى المُشَاوِرِ أَنْ لَا يُخْفِيَ حَالَهُ، بَلْ يَذْكُرُ المَسَاوِئَ الَّتِي فِيهِ بِنِيَّةِ النَّصِيحَةِ. وَمِنْهَا: إِذَا رَأَى مُتَفَقِّهًا يَتَرَدَّدُ إِلَى مُبْتَدِعٍ أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وَخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ المُتَفَقِّهُ بِذٰلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بِبَيَانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ. وَمِنْهَا: أَنْ يَكُونَ لَهُ وِلَايَةٌ لَا يَقُومُ بِهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَيَجِبُ ذِكْرُ ذٰلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ وِلَايَةٌ عَامَّةٌ لِيُزِيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يَصْلُحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذٰلِكَ مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَى حَالِهِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِهِ.

الخَامِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجَاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ، كَالمُجَاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، وَجِبَايَةِ الأَمْوَالِ ظُلْمًا، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجَاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ.

السَّادِسُ: التَّعْرِيفُ، فَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ، كَالأَعْمَشِ، وَالأَعْرَجِ، وَالأَصَمِّ، وَالأَعْمَى، وَالأَحْوَلِ، وَغَيْرِهِمْ، جَازَ تَعْرِيفُهُمْ بِذٰلِكَ، وَيَحْرُمُ إِطْلَاقُهُ عَلَى جِهَةِ الإِهَانَةِ وَالتَّحْقِيرِ.

هٰذِهِ سِتَّةُ أَسْبَابٍ ذَكَرَهَا العُلَمَاءُ، وَأَكْثَرُهَا مُجْمَعٌ عَلَيْهِ، وَدَلَائِلُهَا مِنَ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.



[١٥٣١] عن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ!**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

احتَجَّ به البخاري في جوازِ غيبَة أهلِ الفسادِ وأهلِ الرِّيبِ، وكان هذا الرجل من أهل الفساد والغيّ، فدل هذا على جواز غيبة من كان من أهل الفساد والغيّ، وذلك من أجل أن يحذر الناس فساده حتى لا يغتروا فيه، فإذا رأيت شخصًا ذا فساد وغيّ لكنه قد سحر الناس ببيانه وكلامه، يأخذ الناس منه ويظنون أنه على خير، فإنه يجب عليك أن تُبيِّن أن هذا الرجل لا خير فيه، وأن تثني عليه شرًّا؛ لأجل ألا يغتر الناس به، فكم من إنسان طليق اللسان فصيح البيان إذا رأيته يعجبك جسمه، وإن يقول تسمع لقوله، ولكنه لا خير فيه، فالواجب بيان حاله.



[١٥٣٢] وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا**». رواه البخاري.

قال اللَّيْثُ بن سعدٍ أحد رواة هذا الحديث: هذان الرجلان كانا من المنافقين، فأثنى عليهما شرًّا، لأن المنافق لا يعرف من دين الله شيئًا، وإن كان يعرف بأذنه، لكن لا يعرف

بقلبه، فهو منافق يُظهر أنه مسلم ولكنه كافر. قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

[١٥٣٣] وعن فاطمة بنت قيس ﵂، قالت: أتيت النبي ﷺ، فقلت: إِنَّ أَبَا الجَهْمِ وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِي؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَمَّا مُعَاوِيَةُ، فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، وَأَمَّا أَبُو الجَهْمِ، فَلَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية لمسلم: «**وَأَمَّا أَبُو الجَهْمِ فَضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ**»، وَهُوَ تفسير لرواية: «**لَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**»، وقيل: معناه: كثيرُ الأسفارِ، وهما بمعنى واحد، يعني أنه سيئ العشرة مع النساء ويضربهن، أما معاوية فصعلوك فقير لا مال له؛ لكنه ﵁ بقي حتى صار خليفة للمسلمين، وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا جاء يستشيرك في شخص فذكرت عيوبه فلا بأس؛ لأن هذا من باب النصيحة وليس من باب الفضيحة، وفرق بين من يغتاب الناس ليظهر مساوئهم ويكشف عوراتهم وبين إنسان يتكلم بالنصيحة.

والمرأة لا يجوز ضربها إلا لسبب بيَّنه الله في قوله: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾، أما أن تضرب امرأتك كلما خالفت أية مخالفة فهذا غلط ولا يحل، لقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، لكن إذا خفت نشوزها، وترفّعها عليك، وعدم قيامها بواجبك، فاستعمل معها هذه الرتب:

أولًا: عِظْها وخوِّفها بالله.

الثانية: اهجرها في المضجع، لا تنام معها، ولك رخصة أن تهجرها في الكلام ثلاثة أيام.

الثالثة: فاضربوهن، لكن ضربًا غير مبرح، يعني ليس شديدًا، بل ضرب يحصل به التأديب فقط.

[١٥٣٤] وعن زيد بن أرقم ﷺ قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ: لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ حَتَّى يَنْفَضُّوا، وَقَالَ: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَأَخْبَرْتُهُ بِذٰلِكَ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الله بْنِ أُبَيِّ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ: مَا فَعَلَ، فَقَالُوا: كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ الله ﷺ، فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ تَصْدِيقِي: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون:١]، ثُمَّ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ، فَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: "حَتَّى يَنْفَضُّوا" يعني: لا تعطوهم شيئًا من النفقة حتى يجوعوا، ويتركوا النبي ﷺ. وقوله: "فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ"، أي: حلف وأكَّد الأيمان بتكراره أنه ما قال ذلك، فأرسل إليه النبي ﷺ، أي عبد الله بن أبيّ، وكان ﷺ يقبل علانيتهم ويترك سريرتهم إلى الله، فلما بلغ ذلك زيد بن الأرقم اشتد عليه الأمر؛ حتى أنزل الله تصديقه، فالواجب رفع الكلام إلى ولي الأمر، لكن لا بدّ من التثبت، وألا يقع الإنسان في حرج، ففي عهد الرسول ﷺ لما أنكر عبد الله بن أبيّ ما قيل عنه، نزل الوحي بتصديق زيد؛ أما في وقتنا الحاضر لا يوجد وحي يؤيد أو يفنّد، فإن سمعت كلامًا يؤدي إلى الشر والفساد، وجب عليك أن تبلّغ به ولي الأمر حتى لا يستشري هذا الشر أكثر.

[١٥٣٥] وعن عائشة ﷺ، قالت: قَالَتْ هِنْدُ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ. قَالَ: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الشُّحُّ: البخل مع حرص.

في هذا الحديث: جواز ذكر الإنسان بما لا يعجبه إذا كان على وجه الاستفتاء والاشتكاء، وجواز غيبة الإنسان للتظلم منه، لكن بشرط أن يكون ذلك عند من يمكنه أخذ الحق لصاحبه، وأما إذا لم يكن كذلك فلا فائدة من التظلم.

وفيه: أنه يجب على الإنسان أن ينفق على أهله وزوجته وولده بالمعروف، حتى لو كانت الزوجة غنية، فإنه يجب على الزوج أن ينفق، ومن ذلك: ما إذا كانت الزوجة تدرّس، وقد شرط على الزوج تمكينها من الوظيفة، فإنه لا حق له فيما تأخذه من راتب، لا نصف ولا أكثر ولا أقل، فالراتب لها ما دام قد شُرط عليه عند العقد أنه لا يمنعها من التدريس ورضي بذلك. وللمرأة مثلًا أن تأخذ من جيب زوجها ما يكفيها ويكفي أولادها، وكذلك أيضًا تأخذ من شنطته ما يكفيها ويكفي أولادها، سواء علم أم لم يعلم، وأن ذلك مقدر بالكفاية باعتماد العرف، وذلك في قوله: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ**»، فإن قال قائل: إذا كان لي حق على إنسان وجحد وأنكر، وقدرت على أخذ شيء من ماله، فهل يجوز أن آخذ مقدار حقي من ماله؟ يعني مثلًا: إنسان عنده لي مائة ريال وجحد قائلًا: ما لك عندي شيء. فإذا قدرت على شيء من ماله، يجوز أن أخذ من ماله مائة ريال؟ الجواب: لا، لا يجوز. والفرق بين هذا وبين النفقة، أن النفقة لإنقاذ النفس وسببها ظاهر، كلنا يعرف أن هذه زوجة فلان وأن الزوجة لها نفقة، بخلاف الدين فإنه أمر خفي لا يقاس عليه، وقد قال النبي ﷺ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»، وهذا هو القول الراجح، ويعبر عنها عند العلماء بمسألة الظفر، يعني من ظفر بمال من له حق عليه، هل يأخذ منه أم لا؟ والجواب بالتفصيل أنه إذا كان في مقابل النفقة الواجبة فلا بأس، وأما إذا كان في مقابل دين واجب، فإنه لا يجوز لعموم قول الرسول ﷺ: «**وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**».





## ٢٥٩- النَّمِيمَة

**النَّمِيمَة**: نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد، والنَّمُّ: نقل الحديث إشاعة له وإفسادًا وتزيين الكلام بالكذب.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾[القلم:١١].

﴿**هَمَّازٍ**﴾: قال البغوي: مغتاب يأكل لحوم الناس بالطعن والغيبة، وقال الحسن: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس.

﴿**مَّشَّاء بِنَمِيمٍ**﴾: قتات يسعى بالنميمة بين الناس ليفسد بينهم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق:١٨]. أي: حافظ حاضر أينما كان. قال الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائط، وعند جِمَاعِهِ.



**[١٥٣٦]** وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٥٣٧]** وعن ابن عباسٍ ﷺ: أن رسول الله ﷺ مرَّ بِقَبْرَيْنِ فقال: «**إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ! بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قَالَ العلماءُ معنى: «**وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» أَيْ: كَبشيرٍ فِي زَعْمِهِمَا، وَقِيلَ: كَبِيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

في هذا الحديث: إثبات عذاب القبر، ووجوب إزالة النجاسة مطلقًا، والتحذير من ملابستها، وفيه: أن النميمة من الكبائر.



**[١٥٣٨]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال«**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هِي النَّمِيمَةُ؛ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**». رواه مسلم.

العَضْهُ: وزن وَجْهِ، وهو: الكذب والبُهتان، والقالة: كثرة القال والقيل وإيقاع الخصومة بين الناس، بما يحكى للبعض عن البعض، وهذا من أساليب التعليم الجيدة، وهي أن يلقي المعلم السؤال للتنبيه، حتى يستثيرهم ويعطوا الكلام انتباهًا، «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟**» قال: هي النميمة بين الناس، وهي من كبائر الذنوب، وذلك أن بعض الناس يكون شغوفًا بنقل الكلام، يتزين به عند الناس، يقول لفلان: فلان قال فيك كذا وكذا، قد يكون صادقًا وقد يكون كاذبًا، حتى إن كان صادقًا فإنه حرام، ومن كبائر الذنوب، وقد نهى الله تعالى أن يطاع مثل هذا الرجل. قال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾، وقال أهل العلم: من نمَّ إليك الحديث نمَّه منك، فاحذره، ولا تلتفت إليه، ولكن له أن يتكلم فيه ويقول: يا فلان احذر هذا الشخص فإنه ينقل كلامك ويفضي أسرارك، ويقول فيك كذا وكذا، لأن هذا من باب النصيحة، ليس غرضه أن يفرق بين الناس، والله تعالى يقول: ﴿**وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ**﴾.





## ٢٦٠- نقلُ كلامِ النَّاسِ إلى وُلاةِ الأُمور

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].

إذا كان أحد من الناس يتكلم في ولاة الأمور في المجالس ويسبّهم، فإن الأولى ألا ينقل هذا الكلام إلى ولاة الأمور؛ لئلا يحصل العدوان على هذا الشخص، وتصور ولاة الأمور أن الناس يكرهونهم، فيكرهون الناس، أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك؛ ورأينا رجلًا يتكلم في ولاة الأمور بما فيهم من المعاصي والفسوق، وينشرها بين الناس، فإنه لا بد أن تعلم ولاة الأمور بهذا؛ لئلا يتمادى في طغيانه وهجومه على ولاة الأمور، وألا يحمل الناس في قلوبهم على ولاة الأمور، فهذا خلاف النصيحة، فلو ترك الناس يتكلمون كما يشاؤون لحصل في هذا مفسدة كبيرة.



**[١٥٣٩]** وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**». رواه أبو داود والترمذي.

وهذا من حكمة الرسول ﷺ؛ أنه لا أحد ينقل إليه كلام الناس، لكي لا يقع في قلبه شيء على هذا المتكلم، فيحب أن يخرج إليهم وهو سليم الصدر، ولهذا كثيرًا ما يكون الإنسان محبًّا لشخص يقدِّره، ويرى أنه رجل كريم، ثم إذا نقل إليه شيء عن هذا الرجل كرهه ونفر منه وصار يبغضه. في هذا الحديث الحث على الستر، وإقالة ذوي الهيآت عثراتهم، وذلك إنما يتحقق عند عدم سماع ما يؤثر في النفس بحسب الطبع البشري.



## ٢٦١- ذو الوَجْهَين

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨].

مثل ذلك مَن يعمل المعصية خفاءً، ولا يعملها أمام الناس حياءً منهم وخجلًا، وأما الله فلا يستحي منه ولا يخجل، وهذا يدخل في الآية الكريمة، وشرّ الناس ذو الوجهين، يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، وهذا من كبائر الذنوب؛ والواجب على الإنسان أن يكون صريحًا، لا يقول إلا ما في قلبه، فإن كان خيرًا حُمد عليه، وإن كان سوى ذلك وُجِّه إلى الخير، ويظهر فيما يتعلق بمعاملته مع الشخص أنه ناصح له، ويثني عليه ويمدحه، ثم إذا غاب عنه عقره.



**[١٥٤٠]** وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَجِدُونَ النَّاسَ مَعَادِنَ؛ خِيَارُهُم فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا، وَتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هٰذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ، الَّذِي يَأْتِي هٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**». مُتَّفق عَلَيْهِ.

يَختلِفُ النَّاسُ فيما بيْنهم في دَرَجاتِ الفَهمِ والفِقهِ، كما يَتَمايَزُ بَعضُهم على بَعضٍ في المَكانةِ وقوَّةِ التَّأثيرِ في الآخَرينَ، وكَثرةِ الأتْباعِ، وفي هذا الحَديثِ يُبيِّنُ النَّبيُّ ﷺ أصْنافَ النَّاسِ، فيُخبِرُ أنَّ النَّاسَ مَعادِنُ، أي: أُصولٌ مُختلِفةٌ ما بيْن نَفيسٍ وخَسيسٍ، كما أنَّ المَعدِنَ كذلك، وكلُّ مَعدِنٍ يَخرُجُ منه ما في أَصْلِه، وكذا كُلُّ إنْسانٍ يَظهَرُ منه ما في أَصْلِه مِن شَرفٍ أَو خِسَّةٍ، وإذا كانتِ الأُصولُ شَريفةً؛ كانتِ الفُروعُ كذلك غالبًا، والفَضيلةُ في الإِسْلامِ بالتَّقْوى، لكنْ إذا انضَمَّ إليها شرَفُ النَّسبِ؛ ازْدادَتْ فَضلًا؛ وعلى هذا فخِيارُ النَّاسِ

وأَشْرافُهم في حِقْبةِ ما قبْلَ الإِسْلامِ، همْ خِيارُ النَّاسِ وأَشْرافُهم في ظلِّ الإِسْلامِ إذا أَسْلَموا وتَفقَّهوا أُصولَه وأَحْكامَه؛ فإنَّ الأَفضَلَ هو مَن جَمَع بيْن الشَّرفِ في الجاهليَّةِ والشَّرفِ في الإِسْلامِ، ثمَّ أَضافَ إلى ذلك التَّفقُّهَ في الدِّينِ.

قوله: «**وَتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ فِي هٰذَا الشَّأْنِ أَشَدَّهُمْ لَهُ كَرَاهِيَةً**»: بيَّنَ ﷺ أَنَّ خيرَ النَّاسِ في هذا الشَّأْنِ- أَي: تولِّي الإمارَةِ- أَشَدُّهم لها كَراهيةً؛ خَوفًا مِن أَنْ تثقُلَ عليه الحُقوقُ والواجِباتُ، وإِعْطاءُ حقِّ اللهِ وحقِّ النَّاسِ فيها. وقيلَ: الشَّأْنُ هنا هو الإِسْلامُ، والنَّاسُ همْ مَن كانوا أَشَدَّ النَّاسِ كَراهيَةً له، كما كان مِن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وخالدِ بنِ الوَليدِ، وعَمرِو بنِ العاصِ، وعِكرِمةَ بنِ أَبي جَهلٍ، وسُهَيلِ بنِ عَمرٍو، رضي الله عنهم، وغَيرِهم ممَّن كان يَكرَهُ الإِسْلامَ كَراهيَةً شَديدةً، فلمَّا دخَلَ فيه أَخلَصَ له وأَحبَّه، وجاهَدَ فيه حقَّ جِهادِه!



**[١٥٤١]** وعن محمد بن زيدٍ: أن ناسا قالوا لجَدِّهِ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنَا، فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ هٰذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ. رواه البخاري.





## ٢٦٢-الكَذِبُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. أي: لا تقلْ: رأيتُ ولم ترَ، وسمعتُ ولمْ تسمعْ ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ الإسراء:٣٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

فالكذب هو أن يخبر الإنسان بخلاف الواقع، فيقول: حصل كذا، وهو كاذب، أو قال فلان كذا، وهو كاذب، واعلم أن الكذب نوعان:

النوع الأول: الكذب على الله ورسوله، وهذا أعظم أنواع الكذب، فإنه بافترائه على الله كذبًا يضل الناس بغير علم، يقول: قال الله كذا، وهو يكذب، أو أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله، لكن إذا كان عن اجتهاد وأخطأ في تفسير الآية، فإن الله تعالى يعفو عنه؛ وأما إذا تعمد أن يفسر كلام الله بغير ما أراد الله، اتِّباعًا لهواه أو إرضاء لمصالح، فإنه كاذب على الله ﷻ، وهكذا من بعده الكذب على رسول الله ﷺ بأن يقول: قال رسول الله كذا، ولم يقله، وكذلك أيضًا إذا فسر حديث رسول الله ﷺ بغير معناه، فقد كذب على رسول الله ﷺ، وأكثر الناس كذبًا على رسول الله هم الرافضة الشيعة، كما نصّ على هذا علماء مصطلح الحديث، لما تكلموا على الحديث الموضوع قالوا: إن أكثر من يكذب على الرسول هم الرافضة الشيعة، وهذا شيء مشاهد ومعروف لمن تتبع كتبهم.

النوع الثاني:الكذب على الناس، يظهر الإنسان فيه أنه من أهل الخير وهو ليس كذلك، فهذا هو النفاق الأكبر، ومن أشد أنواع الكذب، والكذب في الحديث بين الناس، يقول: قال فلان كذا وهو لم يقله، كما قال النبي ﷺ: آية المنافق ثلاث، منها أنه إذا حدّث كذب.



**[١٥٤٢]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ، وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: حذّر النبي ﷺ من الكذب؛ وهذا يعمّ الكذب في كل شيء، ولا يصح قول من قال: إن الكذب إذا لم يتضمن ضررًا على الغير فلا بأس به، فإن هذا قول باطل؛ لأن النصوص ليس فيها هذا القيد، النصوص تحرّم الكذب مطلقًا، ثم بيّن الرسول ﷺ أن الكذب يهدي إلى الفجور وهو التمرد والعصيان، والفجور يهدي إلى النار، وإذا اعتاده الإنسان صار يكذب في كل شيء، فكُتب عند الله كذابًا، وأما الصدق، فحث عليه النبي ﷺ فقال: إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، فإذا صدق الإنسان وعوّد لسانه على الصدق، هداه إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صدّيقًا، وهي منزلة عالية تلي منزلة النبوة.

واعلمْ أن الكذب يتضاعف جرمه بحسب ما يؤدي إليه؛ فالكذب في المعاملات أشد من الكذب في مجرد الإخبار، فإذا صار الرجل يكذب في بيعه وشرائه، وأخذه وعطائه، صار هذا أشد؛ لأنه يمحق بركة بيعه، ومن ذلك ما يفعله بائعو السيارات، فإنه لا يظهر العيب الحقيقي.



**[١٥٤٣]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّى يَدَعَهَا؛ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فالنبي ﷺ ذكر في هذا الحديث جميع الأعمال التي يتّصف بها المنافقون، والمراد بالنفاق هنا النفاق

العملي وليس نفاق الاعتقاد؛ لأن نفاق الاعتقاد نفاق كفر؛ وهو الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر، أما هؤلاء الذين يتصفون بهذه الصفات فإنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر إيمانًا حقيقيًّا، ولكنهم يستعملون هذه الصفات وفيها شيء من النفاق.

«**إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»، أي إذا ائتمنه إنسان على شيء؛ نقود أو ساعة أو قلم ذهب يستعملها لنفسه أو يتركها فلا يحفظها، كذلك إذا اؤتمن على حديث سري وقيل له: لا تخبر أحدًا ذهب يخبر، وبعض الناس يُبتلى بحب الظهور والشهرة، إذا ائتمنه أحد من كبراء القوم ووجهائهم ذهب يتحدث؛ قال لي الوزير كذا؛ قال لي الشيخ كذا؛ يتجمّل عند الناس بأنه ممن يحادثه الكبراء والشرفاء، وهذه من خيانة الأمانة، ومن ذلك أيضًا الأمانات في الولايات يكون الإنسان وليًّا على مال؛ يستقرضه لنفسه، ولا يدري هل يستطيع الوفاء فيما بعد أم لا؟ ومنها لا يقوم بواجب التربية في أهله وأولاده وقد ائتمنه الله عليهم، فقال ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾.

ومن خيانة الأمانة أن يكون الإنسان إمامًا للناس يصلي بهم الجمعة والجماعات؛ تجده مرة يتأخر، ومرة يطيل ولا يهتم بمن وراءه. إن خيانة الأمانة تكون في جميع الأحوال وفي كل شيء.

«**إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ**»: من الناس من يُبتلى بالكذب لأجل أن يضحك الحاضرين، وقد قال النبي ﷺ: «**وَيْلٌ لِمَنْ حَدَّثَ فَكَذَبَ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمُ، وَيلٌ لَهُ ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ**»، وأعظم الكذب على الله ورسوله، ثم الكذب على العلماء؛ بأن قال: قال فلان هذا حرام، أو هذا حلال، وهو يكذب عليه، صار هذا كاذبًا على الشرع.

«**إِذَا عَاهَدَ غَدَرَ**»، وهذا يشمل المعاهدة مع الكفار، كما فعل النبي ﷺ مع قريش حين عاهدهم في صلح الحديبية على ترك القتال لمدة عشر سنوات، فإذا عاهدنا هؤلاء المشركين فَلَنَا معهم ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن ينقضوا العهد، فحينئذ يبطل العهد الذي بيننا وبينهم، فإنها لم تمض ثماني سنوات إلا ونقضت قريش، حيث أعانوا حلفاءهم على حلفاء النبي ﷺ.

الحالة الثانية: أن يستقيموا على العهد، فحينئذ يجب علينا أن نستقيم، وأن نبقى حتى تنتهي المدة؛ لقول الله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾.

الحالة الثالثة: أن نخشى أن ينقضوا العهد، فهنا نقول لهم صراحة: إنه لا عهد بيننا وبينكم، دليل ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبُذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾. أما العهود التي بين المسلمين؛ بأن تعاهد شخصًا على أن تفعل كذا، أو أن تكتم سرَّه، فيجب الوفاء به وجوبًا، وإن أخلفت هذا الوعد فإنك تأثم، إلا لعذر شرعي أو ضرورة، مثلًا تعطلت السيارة ولم تتمكن من الوصول إليه في موعده، فإن هذا عذر.

«**إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»، والفجور في الخصومة ينقسم إلى قسمين؛ الأول: أن يجحد ما كان عليه، والثاني: أن يدَّعي ما ليس له.

**[١٥٤٤]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**». رواه البخاري. يعني من كذب في الرؤيا، قال: رأيت في المنام كذا وكذا وهو كاذب، والمعلوم أن الإنسان لو حاول مهما حاول أن يعقد بين شعيرتين فإنه لا يستطيع، ولكن لا يزال يُعذّب، ويقال: لا بد أن تعقد بينهما، وهذا وعيد، وهذا يقع من بعض السفهاء، يتحدث ويقول: رأيت البارحة كذا وكذا؛ لأجل أن يضحك الناس، وأشد من ذلك أن يقول: رأيت النبي ﷺ، وقال لي كذا وكذا؛ وهو كاذب. وينبغي أن يُعلم؛ أن ما يراه الإنسان في منامه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يكون خيرًا ويستبشر به الإنسان ويفرح به، فهذا لا يحدث به إلا من يحب، لأن الإنسان له حسّاد كثيرون، ويكيدون له، كما فعل إخوة يوسف ﷺ.

القسم الثاني: رؤيا شرّ تزعج وتخوّف، هذا لا تخبر به أحدًا أبدًا، لا صديقك ولا عدوك، وإذا قمت من منامك فاتفلْ عن يسارك ثلاثًا، وقل: أعوذ بالله من شرّ الشيطان ومن شرّ ما رأيت، فإذا قمت فنم على الجنب الآخر، فإنها لا تضرّ، وكثير من الناس مبتلى، يبحث عن الشرّ لنفسه؛ يرى الرؤيا يكرهها، ثم يقصّها على الناس، وهذا غلط.

القسم الثالث: رؤيا أضغاث أحلام، يرى الإنسان أشياء متناقضة وغريبة، وهذه لا تحدّث بها أحدًا ولا تهتم بها، وقد حدّث رجل رسول الله ﷺ حديثًا، قال: يا رسول الله، رأيت في المنام أن رجلًا قد قطع رأسي، فذهب الرأس شاردًا، فذهبت وراءه لاحقًا له، فقال له النبي ﷺ: «**لَا تُحَدِّثْ النَّاسَ بِمَا يَتَلَاعَبُ بِكَ الشَّيْطَانُ**».

أما من رأى الرسول ﷺ على الوصف المعروف على هيئة حسنة، فهذا يدل على خير، وإن رآه على خلاف ذلك، فليحاسب نفسه، فإنه مقصّر في اتّباعه.

الآنك: هو الرصاص المذاب بنار جهنم، وهو أعظم من نار الدنيا بتسع وستين مرة، وسواء كانوا يكرهون أن يسمع لغرض صحيح أو لغير غرض؛ لأن بعض الناس يكره أن يسمعه غيره، تجده مثلًا إذا رأى اثنين يتكلمون، يأخذ المصحف، ويجلس قريبًا منهم كأنه يقرأ، وهو يستمع إليهم،وهم يكرهون ذلك، هذا الرجل يُصَبُّ في أذنيه الآنك يوم القيامة، فيُعذَّب هذا العذاب.

«**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ**»، اعلمْ أن الصورة تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: صور مجسَّمة، بأن يصنع الإنسان تمثالًا على صورة إنسان أو حيوان، فهذا محرّم، بل هو من كبائر الذنوب، لأن النبي ﷺ لعن المصورين، وبيّن أن أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله.

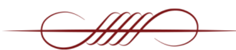
القسم الثاني: الملوّن، يعني ليس له جسم بل هو بالتلوين، فهذا قد اختلف العلماء فيه؛ فمنهم من أجازه، إلا إذا قصد به التعظيم؛ أي تعظيم المصور- فإنه يخشى إذا طال بالناس زمن أن يعبدوه كما جرى لقوم نوح، واستدل بعض العلماء بحديث زيد بن خالد، وفيه: إلا رقمًا في ثوب، قالوا: ما له روح فقط. وأما الصور التي تلتقط بآلة التصوير الفوتوغرافية، فهذه من المعلوم أنها لم تكن معروفة في عهد الرسول ﷺ، إنما المعروف في عهده هو التصوير باليد، وهذه لا يصورها بيده، لكنه يلقي ضوءًا معينًا فتنطبع هذه الصورة في ورقة، لم يصورها إطلاقًا، ولكن يبقى النظر؛ لماذا صور الإنسان هذه الصور الفوتوغرافية؟ إذا كان لغرض محرّم فهو حرام، كما لو اشترى الإنسان سلاحًا في فتنة؛ هذا مباح، ولكن لغرض محرّم فلا يجوز، أما إذا كان الغرض مباحًا لاستخراج رخصة السيارة أو البطاقة الشخصية فهذا لا بأس به، والناس اليوم ابتلوا بها بلوى عظيمة وصارت منتشرة في كل شيء.

وقال بعض العلماء: ما كان ناميًا كالشجر والزرع فإنه لا يجوز تصويره، لأنه جاء في الحديث: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**»، وهذا نامٍ، فيشبه ما كان له روح، لكن هذا خلاف قول جمهور العلماء، والصحيح أنه لا بأس به، أما ما يصنعه الإنسان بيده، مثل السيارات والقصور والأبواب وما أشبه ذلك، وما هو خلق الله ﷻ وليس بنامٍ، لا ينمو كالشمس والقمر والنجوم والجبال والأقمار، فهذا لا بأس من تصويره، وهذا محل اتفاق.



**[١٠٤٥]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ: «**أَفْرَى الفِرَى أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا**». رواه البخاري.

«**أَفْرَى الفِرَى**»: أعظم الكذب.



**[١٥٤٦]** وعن سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟**»، فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وَإِنَّهُ قَالَ لَنَا ذَاتَ غَدَاةٍ: «**إِنَّهُ أَتَانِيَ اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وَإِنَّهُمَا قَالَا لِي: انْطَلِقْ، وَإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا... فَأَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَمَنْخَرَهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَى الجَانِبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ بِالجَانِبِ الأَوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذٰلِكَ الجَانِبِ حَتَّى يَصِحَّ ذٰلِكَ الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلَ فِي المَرَّةِ الأُولَى**»، قَالَ: «**قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هٰذَانِ؟ قَالَا لِي:... الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالكِذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**»... وفي رواية: «**وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَى قَفَاهُ، ومِنْخَرُهُ إِلَى قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَى قَفَاهُ، فَإِنَّهُ الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الكِذْبَةَ تَبْلُغُ الآفاقَ**».

قيل: لما كان الكاذب يساعد أنفه وعينه ولسانه على الكذب بترويج باطله، وقعت المشاركة بينهم في العقوبة.



## ٢٦٣- ما يجوز من الكذب

اسْتَدَلَّ العُلَمَاءُ بِجَوَازِ الكَذِبِ بِحَدِيثِ أُمِّ كُلْثُومٍ ﵂، أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. زاد مسلم في رواية: قَالَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا. وفي رواية عند البخاري: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا**».

يَنْمِي: يبلّغ.

واتفقوا على جواز الكذب عند الاضطرار، كما لو قصد ظالم قتل رجل وهو مختفٍ عنده، فله أن ينفي كونه عنده، ويحلف على ذلك، ولا يأثم، ولكن الأفضل أن يورّي؛ يعني: ينوي معنى صحيحًا ليس فيه كذب، وإن كان ظاهر اللفظ أنه كذب.

يُذكر أن الإمام أحمد ﵀، جاءه رجل يسأل عن أحد التلاميذ: أين فلان؟ فقال الإمام أحمد: ليس فلان ها هنا ويلمس يده، يعني ليس في يدي، وما يصنع في يدي؟ هذه تورية.



## ٢٦٤- التَّثبُّت فِيما يقولُه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، ولا سيما إذا كثرت الأهواء وصار الناس يتخبطون ويكثرون من القيل والقال بلا تثبت، فإنه يكون التثبت أشد وجوبًا.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].



**[١٥٤٧]** عن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**». رواه مسلم.

يدخل فيه مَنْ يحدّث بكل ما هبّ ودبّ، ما يبالي، فالمؤمن ينتقي، لا يحدّث إلا بشيء ينتقيه، كما ورد في الحديث الصحيح: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»، وهذا الكلام الجامع.



**[١٥٤٨]** وعن سَمُرَةَ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ**». رواه مسلم.

وحديث أنسٍ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ تَعَمَّد عَلَيَّ كَذِبًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**». وقد اغتر قوم من الجهلة فوضعوا أحاديث في الترغيب والترهيب، وقالوا: نحن لم نكذب عليه، بل فعلنا ذلك لتأييد شريعته، وما دروا أن تقويله ﷺ ما لم يقل، يقتضي الكذب على الله تعالى.



**[١٥٤٩]** وعن أسماء رضي الله عنها أن امرأةً قالت: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ إِنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِينِي؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**الْمُتَشَبِّعُ**»: الَّذِي يُظْهِرُ الشَّبَعَ وَلَيْسَ بِشَبْعَان، وَالْمُتَزَيِّنُ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ يَتَكَثَّرُ بِذٰلِكَ. وَمَعْنَاهُ هُنَا: أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ فَضِيلَةٌ وَلَيْسَتْ حَاصِلَةً.

«**كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»: أَيْ ذِي زُورٍ، وَهُوَ الَّذِي يُزَوِّرُ عَلَى النَّاسِ، بِأَنْ يَتَزَيَّى بِزِيِّ أَهْلِ الزُّهْدِ أَو العِلْمِ أَو الثَّرْوَةِ، لِيَغْتَرَّ بِهِ النَّاسُ، وَلَيْسَ هُوَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ.

فالواجب أن الإنسان يتثبت فيما ينقل ويتكلم به، لا سيما في زمن الأهواء وكثرة القيل والقال، والتحدث بما كان أو لم يكن، وهذا هو الواقع، ولهذا يجيء إليك بعض الناس يقولون: صار كذا وكذا، ثم إذا بحثت وجدت أنه لم يكن، أو يأتي إليك ويقول: قال فلان كذا وكذا، فإذا بحثت وجدته لم يقل، وأعظم شيء أن يكون هذا فيما يتعلق بحكم الله وشريعته، ويزداد إثم التقول إذا تشبع الإنسان بما لم يعط، كما في حديث المرأة، أنها يكون لها ضرة فتقول: إن زوجي أعطاني كذا وهي كاذبة، لكن تريد أن تراغم (تغيظ) ضرتها وتفسدها على زوجها.



## ٢٦٥- شهادة الزُّور

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤]. قال ابن عباس: يعني يرصد خلقه فيما يعملون، وسيُعرض الخلائق كلهم عليه، فيحكم فيهم بعدله، ويقابل كلًّا بما يستحقه.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان:٧٢]. يعني شهادة الزور، وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة، ويسخم وجهه، ويطوف به في السوق.



**[١٥٥٠]** وعن أَبي بَكْرَةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**»، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ وَشَهَادَةُ الزُّورِ**». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

"كَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ": شعر بأنه اهتم لذلك حتى جلس، وسبب الاهتمام بذلك كونه أسهل وقوعًا على الناس، والتهاون به أكثر، والدوافع عليه كثيرة، كالعدواة والحسد وغيرهما. وقوله: "لَيْتَهُ سَكَتَ"، أي: شفقة عليه وكراهية لما يزعجه. قال القرطبي: شهادة الزور هي الشهادة بالكذب ليتوصل بها إلى إتلاف نفس أو أخذ مال أو تحليل حرام أو تحريم حلال، فلا شيء من الكبائر أعظم ضررًا منها. وقيل: أن يشهد بما يعلم أن الأمر بخلافه، وهو يعلم أنه كاذب، مثل ما يفعله بعض الناس عند الحكومة؛ يشهد لفلان أنه فقير يستحق الزكاة، وهو يعلم أنه غير مستحق لها، أو أن فلانًا له عائلة عدد أفرادها كذا وكذا وهو كاذب، ويظن هذا المسكين أنه نافع لأخيه، والواقع أنه ظالم لنفسه وظالم لأخيه.



## ٢٦٦- لعنُ إنسانٍ بعَيْنِه أودابَّةٍ

**[١٥٥١]** عن أبي زيد ثابت بن الضَّحَّاك الأنصاري ﷺ، وهو من أهل بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيْرِ الإِسْلَامِ كَاذِبًا مُتَعَمِّدًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُهُ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المِلَّة: الدين والشريعة، والحالف المتعمد إن كان مطمئن القلب بالإيمان، وهو كذاب في تعظيم ما لا يعتقد تعظيمه لم يكفر، وإن قال معتقدًا لليمين بتلك المِلّة لكونها حقًّا فقد كفر.

وجاء في رواية، قال ﷺ: «**مَنْ قَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلَامِ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا لَمْ يَعُدْ إِلَى الإِسْلَامِ سَالِمًا**». أخرجه النَّسائي وصححه.

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: «**لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةٍ، وَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**». رواه الخمسة.

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ نَذَرَ نَذْرًا وَلَمْ يُسَمِّهِ فَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ، وَمَنْ نَذَرَ نَذْرًا لَمْ يُطِقْهُ، فَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**». رواه أبو داود، وابن ماجة.

وقوله: «**لَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»: أي لأنه إذا لعنه فكأنه دعا عليه بالهلاك.

وقوله: « **وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». مثلًا: رجل أكل سمًّا ليموت فمات، فإنه يحتسي هذا السم في جهنم خالدًا مخلدًا فيها، أو صعد إلى السقف فأسقط نفسه حتى هلك، فإنه يعذب بمثل ذلك في جهنم، أو قتل نفسه بسكين فإنه يعذب بها في جهنم، أو قتل نفسه بعصا فإنه يعذب بها في جهنم، أو قتل نفسه بقنابل فإنه يعذب بها في جهنم، ومن ذلك فعل بعض الناس الذين ينتحرون، يلبس الإنسان قنابل يحزمها على بطنه ثم

يذهب إلى العدو ويطلقها، فيكون هو أول من يموت، هذا يعتبر قاتلًا لنفسه، ويعذب بما قتل به نفسه في جهنم، وهؤلاء يطلقون على أنفسهم الفدائيين، وليسوا بشهداء، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾.

لكننا نقول: هؤلاء الذين نسمع عنهم يفعلون ذلك، نرجو ألا يعذبوا، لأنهم جاهلون متأولون، لكنهم ليس لهم أجر، وليسوا بشهداء، فإن قال قائل: أليس الصحابة يغامرون فيدخلون صف الأعداء من الروم وغير الروم؟ قلنا: بلى، لكن هل هذا قتل لأنفسهم؟ صحيح أنهم على خطر، لكن فيه احتمال النجاة، ولهذا يدخلون صفوف الروم فيقتلون من شاء الله ثم يرجعون إلى الجيش، وكذلك ما فعله البراء بن مالك رضي الله عنه في وقعة اليمامة، فإنهم لما وصلوا إلى حائط مسيلمة الكذاب وجدوا الباب مغلقًا، ولم يتمكنوا من دخوله، فطلب من الجيش أن يلقوه من وراء الجدار ليفتح لهم الباب، فألقوه، وفعلًا فتح لهم الباب ونجا، فلا يمكن أن نستدل بمثل هذه الوقائع على جواز الانتحار الذي يفعله هؤلاء.

واعلمْ أنه قد ورد فيمن قتل نفسه بشيء، أنه يعذب به في جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، فهل يعني ذلك أنه كافر؟ الجواب: لا، ليس بكافر، بل يغسل ويكفن ويصلى عليه، ويُدعى له بالمغفرة، كما فعل النبي ﷺ في الرجل الذي قتل نفسه بمشاقص، فقدم إلى الرسول ﷺ ليصلي عليه، لكنه لم يصلّ عليه، وقال: صلوا عليه، فصلوا عليه بأمر الرسول ﷺ، وهذا يدل على أنه ليس بكافر، وما ذكر في الحديث من ذكر التأبيد، فالمراد به شدة التهديد والتنفير من هذا العمل.

«**لَعْنُ الْمُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**»: إذا قلت للمؤمن: لعنك الله، فكأنما قتلته، لأن اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ومن طرد وأبعد عن رحمة الله صار كالمقتول الذي عدم الحياة الدنيا.

واعلمْ أن لعن المؤمن من كبائر الذنوب، وأن من لعن مؤمنًا، فإن اللعنة تذهب إلى الملعون، إن كان أهلًا لها فقد استحقها، وإن لم يكن أهلًا لها رجعت إلى قائلها؛ فصار هو الملعون المطرود عن رحمة الله.

«**لَيْسَ عَلَى رَجُلٍ نَذْرٌ فِيمَا لَا يَمْلِكُهُ**»: لو قال: لله عليّ نذر أن أتصدق بدار فلان! فهذا لا ينعقد لأن دار فلان ليس ملكًا له. وليعلمْ أن النذر مكروه، نهى عنه النبي ﷺ، فقال: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَلَا يَرُدُّ قَضَاءً، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخِيلِ**». وكثير من الناس يُنذر إن شُفي الله مريضه أن يصوم أو يتصدق أو يفعل شيئًا من الطاعات، ثم إذا قدر الله الشفاء، ذهب يسأل العلماء؟ يريد أن يتخلص مما نذر به، وربما يكسل ويترك ما نذر، وهذا خطر عظيم.

والنذر أقسام:

القسم الأول: نذر الطاعة؛ أن ينذر الإنسان أن يصلي أو يصوم أو يتصدق أو يحج أو يعتمر، فهذا يجب الوفاء به.

القسم الثاني: نذر المعصية؛ أن ينذر الإنسان أن لا يكلم فلانًا من المؤمنين بسبب وجود سوء فهم بينه وبينه، أو نذر أن لا يزور أخاه أو قريبه، فهذا لا يجوز الوفاء به، لقول النبي ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»، ويجب عليه كفارة اليمين.

القسم الثالث: ما يسمى عند العلماء بنذر اللجاج والغضب؛ أن يقول: لله عليّ نذر أن لا أفعل كذا وكذا، يريد الامتناع، ما أراد النذر لكن أراد معنى النذر، فهذا يخيّر بين فعله إن كان فعلًا، أو تركه إن كان تركًا، وبين كفارة اليمين، مثاله أن يقول لله عليّ نذر لا ألبس هذا الثوب، نقول: أنت الآن بالخيار، إن شئت تلبسه وكفِّر كفارة اليمين، وإن شئت لا تلبسه ولا كفارة عليك.

القسم الرابع: النذر المطلق؛ ليس في شيء محدد، قال إنسان: لله عليّ نذر؛ فقط، فهذا عليه كفارة يمين، لقول النبي ﷺ: «كَفَّارَةُ النَّذْرِ إِذَا لَمْ يُسَمِّ كَفَّارَةُ يَمِينٍ». وكفَّارة اليمين: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، من أوسط ما تأكل أو تلبس أنت وأهلك، تغديهم أو تعشيهم. وقيل: تدفع لهم قيمة الطعام أو الكسوة، فإن عجزت عن ذلك فعليك صيام ثلاثة أيام، وهذه الكفارة مذكورة في كتاب الله القائل: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٨٩].

والحاصل: أنه لا ينبغي للإنسان أن ينذر، كما قال النبي ﷺ: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ وَلَا يَرُدُّ قَضَاءً**».

كم من أناس الآن يسألون، يقول بعضهم: نذرت إن شفى الله مريضي لأصومنّ شهرين متتابعين، نقول: من حثك على هذا؟ بعض الناس يقول: نذرت إن شفى الله مريضي أن أذبح سبعًا من الإبل ويتصدق بها ولا يأكل منها شيئًا! أو نذر إن رد الله غائبه فإنه يذبح شاة، ما الداعي؟ لكن لو حصل ما قال، وجب عليه أن يذبح سبعًا من الإبل كما قال، أو شاة، ويتصدق بها ولا يأكل منها شيئًا.



**[١٥٥٢]** وعن أبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا**». رواه مسلم. أي: ليس من شأنه كثرة اللَّعن، وعند الترمذي بلفظ: «**لَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ لَعَّانًا**».



**[١٥٥٣]** وعن أَبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَكُونُ اللَّعَانُونَ شُفَعَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه مسلم.

قيل: لأنهم فَسَقَة، والفاسق لا تقبل شفاعته ولا شهادته.

**[١٥٥٤]** وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللهِ، وَلَا بِغَضَبِهِ، وَلَا بِالنَّارِ**». رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ينهى الحديث المؤمنين على أن يدعو بعضهم على بعض بأنواع من الدعاء، وهي لعنة الله وغضب الله وبالنار، ذلك لعظم شأن هذه الأدعية عند الله تعالى، فاللعن هو الطرد من رحمة الله، يعني لا يلعن بعضكم بعضًا بلعنة الله فيقول لصاحبه: لعنك الله، ولا بغضبه فيقول: غضب الله عليك، ولا بالنار فيقول: أدخلك الله النار، كل هذا حذر منه النبي ﷺ، لأنه قد يقال لمن لا يستحقه.

**[١٥٥٥]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيِّ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الطَّعَّان: الوقَّاع في أعراض الناس بالذم والغيبة ونحوهما، والفَاحِشُ: ذو الفحش في كلامه وفعاله، فلا يكون المسلم طعَّانًا يطعن في الناس بأنسابهم أو بأعراضهم، أو بشكلهم وهيئاتهم وأوصافهم، ولا باللَّعَّان الذي ليس له هم إلا اللعنة، يقول لأولاده: لعنكم الله، هاتوا هذا؟ لماذا تقول هذا؟ هذا يدل على أن هذه الأمور تسلب عن المؤمن حقيقة الإيمان وكماله.



**[١٥٥٦]** وعن أبي الدرداء ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ أَهْلًا لِذٰلِكَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا**». رواه أَبُو داود.

**[١٥٥٧]** وعن عمران بن الحُصَيْنِ ﵄، قال: بَيْنَمَا رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، وَامْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصارِ عَلَى نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ، فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذٰلِكَ رَسُولُ الله ﷺ فقالَ: «**خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ**». قَالَ عِمْرَانُ: فَكَأَنِّي أَرَاهَا الآنَ تَمْشِي فِي النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أَحَدٌ. رواه مسلم.

**[١٥٥٨]** وعن أَبي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيِّ ﵁ قَال: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَى نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ القَوْمِ، إِذْ بَصُرَتْ بِالنَّبِيِّ ﷺ، وَتَضَايَقَ بِهِمُ الجَبَلُ، فَقَالَتْ: حَلْ، اللَّهُمَّ الْعَنْهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ**». رواه مسلم.

كانت فتاة صغيرة السن على ناقة عليها بعض الأمتعة والأغراض، فرأت النبي ﷺ وقد تضايق بالقوم الذين فيهم النبي ﷺ الجبل، ربما بسبب الزحام، فأرادت أن تسرع الناقة، فقالت لها: حل: وهي كلمة زجر للإبل، لتسرع في السير، ثم لعنتها. ومتاع: كلمة تطلق على كل ما ينتفع به من عروض الدنيا، قليلها وكثيرها، والمُرَادُ النَّهْيُ أَنْ تُصَاحِبَهُمْ تِلْكَ النَّاقَةُ، وَلَيْسَ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ بَيْعِهَا وَذَبْحِهَا وَرُكُوبِهَا فِي غَيْرِ صُحْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ. وحديث المرأة هذا من باب التعزير، فلا تلعن دابة لا تستحق اللعن، ولهذا قال: «**لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ**». والملعون لا ينبغي أن يستعمل.





## ٢٦٧- لعنُ أصحابِ المعاصِي

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:١٨].

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيقولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّه هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فيقولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾**. [هود:١٨]. رواه البخاري ومسلم.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:٤٤]، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ**»، وَأَنَّهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا**»، وَأَنَّهُ لَعَنَ الْمُصَوِّرِينَ، وَأَنَّهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ غَيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ**» أَيْ حُدُودَهَا، وَأَنَّهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ**»، وَأَنَّهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ**»، وَأَنَّهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ**»، وَأَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»، وَأَنَّهُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ؛ عَصَوُا اللهَ وَرَسُولَهُ**»- هذه ثلاث قبائل من العرب-، وَأَنَّهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، وَأَنَّهُ «**لَعَنَ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**». جميع هذه الألفاظ في الصحيح، وكلها تدل على جواز لعن أهل المعاصي على سبيل العموم، ولا يجوز أن تلعن شخصًا معيَّنًا ولو كان كافرًا ما دام حيًّا، لأنك لا تدري، فلعل الله أن يهديه فيعود إلى الإسلام إن كان مرتدًّا، أو يسلم إن كان كافرًا أَصْلِيًّا، ويجوز أن تلعن أصحاب المعاصي على سبيل العموم، إذا كان ذلك لا يخص شخصًا بعينة.

ولا يجوز مثلًا، أننا نشهد لكل من قتل شهيدًا أنه في الجنة، لكن لو قتل الإنسان في المعركة، في جهاد في سبيل الله، لا نقول هذا الرجل شهيد، أو نشهد أنه في الجنة، لأن الشهادة في الجنة لها شأن آخر. وكذلك لعن المعيّن، فلا يجوز إذا رأيت شخصًا يبيع بالرِّبا أن تقول لعنك الله، بل تقول على سبيل العموم لعن الله آكل الربا وموكله وشاهديه وكاتبه، ولمّا لعن القبائل العربية الثلاث، لم يلعن شخصًا معيَّنًا، بل لعن القبيلة كلها.

وفي قوله: «**اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، ولو صلى الإنسان فيه لله لا لصاحب القبر، فإن صلاته باطلة يجب عليه إعادتها، وهذا المسجد الذي بني يجب هدمه، ولو كان المسجد قائمًا ثم دفن به أحد من الصالحين أو الأمراء أو الوزراء أو الرؤساء، فإنه يجب أن ينبش القبر، وأن يدفن خارج المسجد، فإن قال قائل: ما الجواب عن قبر النبي ﷺ؟ فإنه الآن في المسجد؟ فالجواب أنه لم يدفن في المسجد، وإنما دفن في بيته، ولكنهم لمّا احتاجوا لزيادته، زادوه من جانب القبر، فبقى القبر منفصلًا عن المسجد بينه وبينه جدار.

ولعن النبي ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، والتشبه يكون بالأقوال والأفعال والهيئات واللباس، ومن ذلك أن يضع الباروكة على رأسه كأنه امرأة، أو يضع الماكياج، ولكن إذا رأينا رجلًا معيَّنًا متشبهًا بامرأة، هل نقول لعنك الله؟ لا، بل نعظه، وكذلك المرأة، لأن لعن المعيّن لا يجوز، حتى لو كان كافرًا، فإنه لا يجوز لعنه.



## ٢٦٨- سبُّ المُسْلِم بغير حقٍّ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

والعجب أن كثيرًا من المسلمين اليوم يؤذون جيرانهم، وهذا من أعظم ما يكون من الإثم، فقد قال النبي ﷺ: «**وَالله لَا يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ، وَالله لَا يُؤْمِنُ- قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ- قَالُوا: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»، يعني ظُلمه.

وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾، يُفهم منه أنك لو آذيت إنسانًا ردًّا على أذيّته فلا بأس.

وعن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله، ما الغيبة؟ قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ**». رواه الترمذي.

**[١٥٥٩]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

هذا يدل على أن الفسق أهون من الكفر، وعلى هذا؛ إذا سبّ المسلم أخاه صار فاسقًا لا تقبل شهادته، ولا يُجعل له ولاية على أهله؛ ولا يصح أن يكون إمامًا للمسلمين، ولا مؤذنًا، وفي بعض هذه المسائل خلاف، أما من قاتله فإنه يكفر إن استحل مقاتلته بغير حق، كفرًا مخرجًا عن الملة، وإن لم يستحلها، ولكن لهوى في نفسه، فإن يكون كافرًا لكنه كفر لا يخرج من الملة، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ الله فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، فجعل الله الطائفتين المقتتلتين إخوة، وهذا يدل على أنهما لا يخرجان من الإيمان، لكنه كفر من دون

كفر. وإذا قلت لإنسان: أنت فاسق، أو يا فاسق، صرت أنت الفاسق، إلا إذا كان هو كذلك، وهكذا من كفّر أحدًا وقال: أنت كافر أو يا كافر وليس كذلك، صار القائل هو الكافر، وفي هذا دليل على أن هذا من كبائر الذنوب، وفيه التحذير من تكفير المسلمين بغير دليل شرعي خلافًا لما يتجاسر به بعض الناس؛ يكفّر على أدنى شيء.

**[١٥٦٠]** وعن أَبي ذرٍّ ﵁ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كَذٰلِكَ**». رواه البخاري.

**[١٥٦١]** وعن أَبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**الْمُتَسَابَّانِ مَا قَالَا، فَعَلَى البَادِي مِنْهُمَا، حَتَّى يَعْتَدِي المَظْلُومُ**». رواه مسلم. معناه: أن إثم السباب الواقع بينهما يختص بالبادئ منهما، إلا أن يجاوز الثاني فيؤذي الظالم بأكثر مما قاله، فكل ما صَدر من الْمُتَسَابَّين فإن إثم ذلك على البادئ منهما؛ لأنه هو المعتدي بفعله، أما الآخر فلا شيء عليه؛ لأنه مأذون له بالرَّد على من ظلمه، فإن اعتدى المظلوم على الظالم؛ وذلك بأن جاوز الحدَّ المأذون له فيه، صار إثم المظلوم أكثر من إثم البادئ.

**[١٥٦٢]** وعنه قال: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِرَجُلٍ قَدْ شرِبَ، قَالَ: «**اضْرِبُوهُ**»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بِيَدِهِ، وَالضَّارِبُ بِنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أَخْزَاكَ اللهُ! قَالَ: «**لَا تَقُولُوا هٰذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ**». رواه البخاري. وزاد أبو داود في رواية: ثم قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**بَكِّتُوهُ**»، فأقبلوا عليه يقولون له: ما اتقيت الله ﷻ؟ ما خشيت الله جل ثناؤه؟ ما استحييت من رسول الله ﷺ؟ ثم أرسلوه.

والإسكار: هو تغطية العقل على وجه اللذة والطرب ليس مجرد تغطية العقل، ولهذا كان البنج ليس مسكرًا، وإن كان يغطي العقل، والمبنّج لا يدري ماذا حصل له، لكن الخمر

يجد الإنسان من السكر لذة وطربًا ونشوة، حتى يتصور أنه ملك من الملوك، وعقوبة الشارب ليست حدًّا لكنها تعزير، ولهذا جيء برجل شرب الخمر، فقال النبي ﷺ اضربوه، ما قال أربعين ولا ثمانين ولا مائة ولا عشرة، وفي عهد عمر بن الخطاب، جمع ذوي الرأي من الصحابة، وشكا لهم انتشار شرب الخمر، فاستشارهم ماذا يصنع؟ فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانون جلدة، فرفع عمر عقوبة شارب الخمر إلى ثمانين، وهذا كالنص الصريح؛ من أجل أن يرتدع الناس، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: فإن لم يرتدع بعد الرابعة فإنه يجب قتله، لأنه أصبح عنصرًا فاسدًا لم ينفع فيه الإصلاح، وقال جمهور العلماء لا يقتل، بل يكرر عليه الجلد، وليت ولاة الأمور اليوم يعملون هذا العمل.

**[١٥٦٣]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَى يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ يَوْمَ القِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية: «**مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ وَهُوَ بَرِيءٌ مِمَّا قَالَهُ جُلِدَ يَوْمَ القِيَامَةِ حَدًّا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كَمَا قَالَ**».

في هذا الحديث: إظهار كمال العدل، والمملوك كالسلعة يباع ويشترى، إلا أن أحكام الله على حدٍّ سواءٍ هو والحر، فإذا قال للعبد: يا زاني أو يا لوطي، فإنه لن يُحدّ في الدنيا؛ لأنه سيد، لكن يُقام عليه في دار عذابها أشد وهي الدار الآخرة، وعلى هذا فيكون قذف المملوك من كبائر الذنوب، وأعلم أن الرقيق إذا زنى فإن عليه نصف حد الحر، فيكون على الرقيق إذا زنى خمسون جلدة فقط، قال العلماء ويسقط عنه التغريب عامًا كاملًا، لأن التغريب إضرار بسيده، وللسيد أن يقيم على عبده الحد إذا زنى، بخلاف الحر، فإن الحدود يقوم بها الإمام أو نائبه، أما لو سرق العبد فالسرقة فيها قطع اليد، ولا يتولى قطع اليد إلا الإمام أو نائبه.





## ٢٦٩- سبُّ الأموات

**[١٥٦٤]** عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**». رواه البخاري.

وروى الترمذي عن المغيرة نحوه، لكن قال: «**فَتُؤْذُوا الأَحْيَاءَ**».

والحديث دليل على تحريم سبِّ الأموات. قال ابن رشد: إن سبّ الكافر محرم، إذا تأذى به الحيُّ المسلم، ويحلّ إذا لم يحصل به أذية، وأما المسلم فيحرم، إلا إذا دعت إليه الضرورة.

الأموات: يعني من المسلمين، أما الكافر فلا حرمة له، إلا إذا كان في سبّه إيذاء للأحياء من أقاربه فلا يُسبّ، والأصل في النهي التحريم، فلا نسبّ الأموات، ثم علل وقال: «**فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا**»، وسبّكم إياهم لا يغني شيئًا، وانقطع عمله وقامت قيامته، ولم يبق له حظ من العمل إطلاقًا، وفي هذا دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يحفظ لسانه عما لا فائدة منه، فإن هذا طريق أهل التقى، وإن عباد الرحمن إذا مرّوا باللّغو مرّوا كرامًا.





## ٢٧٠- الإيذاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

قوله تعالى: ﴿إِثْمًا مُبِينًا﴾، هو العقوبة العظيمة، وقوله تعالى: ﴿بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾، دليل على أنه لو أوذي الإنسان باكتسابه اعتداء على غيره، فحق أن يُؤذي عليه، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا﴾، وكان هذا في أول الأمر، أن اللوطي يُؤذى حتى يتوب، ثم بعد ذلك ثبت أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الفَاعِلَ وَالمَفْعُولَ بِهِ**»، ولكنهم اختلفوا كيف يقتل؟ فبعضهم قال: يُرجم، وبعضهم قال: يُلقى من أعلى شاهق في البلد ثم يلقى بالحجارة، وبعضهم قال: يُحرق بالنار.



**[١٥٦٥]** عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

أي: المسلم الكامل؛ من كفَّ لسانه ويده عن المسلمين، والمهاجر الكامل من ترك المعاصي.



**[١٥٦٦]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**». رواه مسلم.

هذا الحديث كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

أي: استمروا واستقيموا على الإسلام.

وبناء على هذا؛ ينبغي للإنسان أن يكون دائمًا على ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر، لأنه لا يدري متى يأتيه الموت.

وقوله: «**وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»، أي: يحسن معاملتهم ويكف الأذى عنهم، كما يحبّ ذلك منهم له، وهذه قاعدة؛ لو أن الناس مشوا عليها في التعامل فيما بينهم لنالوا خيرًا كثيرًا، ويشبه هذا قول الرسول ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّهُ لِنَفْسِهِ**».



## ٢٧١- التَّباغض والتَّقاطع والتَّدابر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]. نعم، كلهم إخوة حتى الطائفتين المقتتلتين، هم إخوة للذين أصلحوا بينهما، وفي هذه الحال، يجوز أن يكذب أهل الإصلاح للمصلحة، فيقولون مثلًا لأحدهم: إن فلانًا لم يقصد شيئًا يضرّك، أو ويتأولوا شيئًا آخر غير الذي أظهره لهذا الرجل حتى يتم الصلح بينهما؛ ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾، والخطاب لمن له الأمر، ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى﴾، وأبت أن تصالح ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾، يعني كونوا مع الطائفة العادلة التي ليست باغية، ثم قاتلوا الباغية حتى ترجع إلى الله، ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾، أي فيما جرى بينهم من إتلاف أنفس أو أموال، ﴿وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾، فيقال مثلًا: كم قتلتم من نفس؟ لطائفة منهما، وللأخرى كذلك، كم أتلفتم من مال؟ ويمضي فيعادل بينهما ويصلح بينهما.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤]، وهذا هو وصف المؤمن حقًّا، أنه بالنسبة لإخوانه المسلمين ذليل متواضع متهاون ومتسامح، أما على الكافرين فهم أعزة، يعني أنهم أقوياء لا يلينون لهم ولا يداهنونهم ولا يوادّونهم، فلا يجوز للمؤمن أن يوادّ الكافر أو يذلّ له؛ لأن الله جعل للمسلم دينًا يعلو على الأديان كلها، بل يجب علينا أن نبغض الكفار وأن نعتبرهم أعداء لنا، وأن نعلم أنهم لن يفعلوا بنا شيئًا هو لمصلحتنا إلا لينالوا ما هو أشد مما نتوقع من الإضرار بنا، لأنهم أعداء، والعدو ماذا تريد أن يفعل بك؟ يريد أن يفعل بك كل سوء، وإن تظاهر بأنه صديق فهو كاذب، إنما يفعل لمصلحته، لأنه لا أحد أصدق من الله. يقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، ويقول ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، ويقول ﷻ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، فمُحال أن يرضوا

عن المسلمين، ولهذا هم الآن يحاولون بكل ما يستطيعون أن يصدوا الناس عن دينهم؛ بالأخلاق السافلة، والمجلات، والدعاية الخبيثة، وتارة بالصراحة.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩]، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار، رحيمًا برًّا بالأخيار، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، وهذا هو حال المؤمنين، من لا يرحم إخوانه فإن ذلك نقص في إيمانه، وربما يُحرم الرحمة، لأن من لا يَرحم لا يُرحم، بعض الناس يبغض أخاه من أجل مال! احرص على أن تزيل كل سبب للبغضاء يكون بينك وبين أخيك المسلم بقدر المستطاع.



**[١٥٦٧]** وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

بعض الناس ينظر إلى السيئات فيحكم بها وينسى الحسنات، وبعض الناس ينظر للحسنات وينسى السيئات، والعدل أن يقارن الإنسان بين هذا وهذا، فانظر إلى محاسنه حتى تمحو سيئاته، وأن تميل إلى الصفح والعفو والتجاوز؛ أما التباغض بالقلوب فهو حرام، لأي شيء تبغضه؟! قد يقول: أبغضه لأنه يعصي الله ﷻ، فنقول: وإذا عصى الله لا تبغضه بغضًا مطلقًا، فالذي أبغضه بغضًا مطلقًا هو الكافر، أما المؤمن وإن عصى وإن أصرّ على معصية، فإنك يجب أن تحبه على ما معه من الإيمان، وأن تكرهه على ما معه من الفسق والعصيان.

وأما التَّقاطع: حق عليك أن تصله لأنه أخوك، حتى وإن كان عاصيًا، ولذلك تجد الإنسان يكرم جاره ولو كان عاصيًا، أكرمه ولكن انصحه، وكذلك بعض الناس يقاطع

أقاربه لأنهم قطعوه، صل أقاربك ولو كانوا عصاة، صلهم ولو كانوا يقاطعونك، كما جاء رجل للرسول ﷺ قال: يا رسول الله إن لي رحمًا أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيؤون إلي، وأحلم عليهم، فقال النبي ﷺ: «**إِنْ كَانَ الأَمْرُ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ**»، يعني كأنما تدخل في قلوبهم الرماد أو التراب الحار، فاستمر على صلتهم ولو كانوا يقطعونك، ولو كانوا يسيئون إليك، ولو كانوا يعتدون عليك.

أما التَّدابر: هل هو التدابر في القلوب أو التدابر في الأبدان أو هذا وهذا؟ إنه هذا وهذا، حتى لو وجدت من أخيك أنه أدبر عنك بقلبه فاقترب منه وأقبل عليه، فالله تعالى يقول: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾، لو طبقنا هذه التوجيهات الإلهية والنبوية لحصل لنا خير كثير، لكن الشيطان يلعب بنا؛ يقول: كيف تصله وهو يقطعك؟ كيف تقبل عليه وهو يدبر عنك؟ بعض الناس كالبهائم؛ ليس عندهم تربية إسلامية، تجدهم جلوسًا في مكان واحد، يدير للثاني دبره وظهره، هذا ليس أدبًا شرعيًّا ولا أدبًا عربيًّا ولا خُلقًا، تجلسون معًا كل واحد يدابر الثاني! ومما يشبه هذا الفعل؛ ما يفعله بعض الناس إذا سلم من الصلاة وهو في الصف تقدم وجعل الناس وراءه، وفي ظني أنه يتخيل في تلك اللحظة أنه ذو عظمة وأن الناس وراءه، وإن كان من غير قصد.



**[١٥٦٨]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**تُفْتَحُ أَبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هٰذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا! أَنْظِرُوا هٰذَينِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**». رواه مسلم.

أَنظروا: أي أخّروا غفرانهم، وكرره للتأكيد اهتمامًا بأمره، دلّ ذلك على أنه يجب على الإنسان أن يبادر بإزالة الشحناء والعداوة والبغضاء بينه وبين إخوانه، حتى وإن رأى في نفسه غضاضة وثقلًا في طلب إزالة الشحناء فليصبر وليحتسب، لأن العاقبة في ذلك

حميدة، والإنسان إذا رأى ما في هذا العمل من الخير والأجر والثواب سهل عليه، وكذلك إذا رأى الوعيد على تركه سهل عليه فعله، وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يذهب إلى الشخص ويقول: تعال نتصالح، فبإمكانه أن يوسّط رجلًا بينهما.





## ٢٧٢- الحَسَد

الحسد: هو تمنِّي زوال النعمة عن صاحبها؛ سواء كانت نعمة دين أو دنيا، وأن يكره الإنسان ما أنعم الله به على غيره من علم أو مال أو أهل أو جاه أو غير ذلك.

والحسد من كبائر الذنوب، وفيه اعتراض على قضاء الله وقدره؛ لأن الحاسد لم يرض أن الله أعطى هذا الرجل مالًا أو أعطاه أهلًا أو أعطاه علمًا.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:٥٤]، والمراد بالناس العرب، حَسَدَهم اليهود على النبوة.



**[١٥٦٩]** عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ**»، أو قال: «**العُشْبَ**». رواه أبو داود.

ثم إن الحسد جمرة في القلب، كلما أنعم الله على عبده نعمة احترق، فتجده دائمًا في نكد، ودائمًا في قلق، وربما يشوه سمعته عند الناس، ثم إن الحسد لا يرد نعمة الله على عبده مهما حسدت ومهما بغيت، فإنك لن تمنع قدر الله على عباده، فالواجب على الإنسان إذا رأى من نفسه حسدًا لأحد أن يتَّقي الله، وأن يوبِّخ نفسه، ويقول لها: كيف تحسدين الناس على ما آتاهم الله من فضله؟ كيف تكرهين نعمة الله على عباده؟

يقول: أرأيت لو كانت هذه النعمة عندك، أتحبين أن أحدًا يحسدك عليها؟ يوبخ نفسه، وحينئذ يطمئن ويستريح.





# ٢٧٣- التَّجسُّس

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات:١٢].

التَّجسُّسُ هو: أن يتتبع الإنسان أخاه ليطلع على عوراته سواء كان ذلك عن طريق مباشر بأن يذهب هو بنفسه يتجسس لعله يجد عثرة أو عورة، أو كان عن طريق الآلات المستخدمة في حفظ الصوت، أو كان عن طريق الهاتف، فكل شيء يوصل الإنسان إلى عورات أخيه فهو محرَّم، لأن التجسس أذية يتأذى به المتجسس عليه، ويؤدي إلى البغضاء والعداوة، ويؤدي إلى تكليف الإنسان نفسه ما لم يلزمه، فإنك تجد المتجسس مرة هنا، ومرة هنا، ومرة هناك، ومرة ينظر إلى هذا، ومرة ينظر إلى هذا، فقد أتعب نفسه في أذية عباد الله، ومن ذلك أيضًا، أن يتجسس على البيوت ويستمع لما يقال، ثم يبني عليه الظن الكاذب، والتهم التي ليس لها أصل.



**[١٥٧٠]** وعن أبي هريرة ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ، المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَا هُنَا، التَّقْوَى هَا هُنَا**» **وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ** «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُهُ، وَمَالُهُ، إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلٰكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأَعْمَالِكُمْ**».وفي رواية: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**».

قوله: «**التَّقْوَى هَا هُنَا**»: بعض الناس تنهاهم مثلًا عن معصية، فيقول لك التقوى هاهنا، أين التقوى؟ لو اتَّقى ما هاهنا لأتَّقى ما هاهنا، يعني لو اتَّقى القلب اتَّقت الجوارح، لو كان عندك تقوى في قلبك، لاتَّقيت الله تعالى في قولك وفعلك.

«**لَا تَنَاجَشُوا**»: المناجشة: الزيادة في الثمن بغير إرادة الشراء، مثلًا رأيت سلعة ينادى عليها في السوق، ثمنها مثلًا مائة ريال، وأحد يريد شراءها، فناجشت عليه وقلت: بمائة وعشرة، وأنت لا تريدها، ولكن تريد أن يزيد الثمن على المشتري، هذا حرام، قصدك أن تنكد على المشتري وتزيد عليه الثمن. وفي رواية: «**لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**». وفي رواية: «**لَا تَهَاجَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ**». رواه مسلم بكلِّ هذه الروايات. وروى البخاريُّ أكثرَها.

قوله: «**كُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»؛ يعني أنه يجب على الإنسان أن يكون أخًا لأخيه، بالمعنى المطابق للأخوة، فإن بعض الناس إذا صار بينه وبين أخيه معاملة وساء الظن بينهما، اتخذه عدوًّا!

قوله: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ**». قال القرطبي: أي: التهمة التي لا سبب لها، كمن يُتَّهم بفاحشة من غير ظهور مقتضيها، ولذا عطف عليه: «**وَلَا تَجَسَّسُوا**»، وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة، فيريد تحققه، فيتجسس، ويبحث، فنهي عن ذلك، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ**﴾ [الحجرات:١٢]، ودل سياق الآية على الأمر بصَوْن عِرض المسلم غاية الصيانة، لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال: أبحث لأتحقق، قيل له: ﴿**وَلَا تَجَسَّسُوا**﴾، فإن قال: تحققت من غير تجسس، قيل له: ﴿**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضًا**﴾.

قوله: «**وَلَا تَنَافَسُوا**»، أي: في أمور الدنيا، فأما أمور الآخرة فقد أمر الله بالتنافس في أعمالها؛ قال تعالى: ﴿**وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ [المطففين:٢٦].

«**وَلَا يَخْذُلُهُ**»، أي: لا يترك نصرته وإعانته.

«**وَلَا يَحْقِرُهُ**»، أي: يهينه.

وفي رواية عند مسلم: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».



**[١٥٧١]** وعن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «**إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ**». حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

والإنسان إذا تتبع عورات المسلمين أهلكهم، لأن كثيرًا من الأمور تجري بين الإنسان وبين ربه، لا يعلمها إلا هو، فإذا لم يعلم بها أحد، وبقي عليه ستر الله ﷻ، وتاب إلى ربه وأناب، حسنت حاله، ولم يطلع على عورته أحد، ولكن إذا كان الإنسان كل يوم يتتبع عورات الناس؛ ماذا قال فلان، وماذا فعل، إما أن يصرح وإما أن يلمح، فيقول مثلًا: قالوا إن فلانًا قال كذا وكذا أو فعل كذا وكذا، فينشر ما عنده عند الخلق ليفضحهم، تتبع الله عورته حتى يفضحه، ولا تُغنيه جدران ولا أبواب. وكذلك حديث ابن مسعود ﷺ لما قال: من أبدى لنا عورته أو عيبه أخذناه به، ومن استتر بستر الله فلا نؤاخذه.

**[١٥٧٢]** وعن ابن مسعود ﷺ: أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ: هٰذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ نُهِيْنَا عَنِ التَّجَسُّسِ، وَلٰكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ، نَأْخُذْ بِهِ. حديث حسن صحيح، رواه أبو داود بإسنادٍ على شَرْطِ البخاري ومسلم.





## ٢٧٤- سُوءِ الظَّنِّ بالمسلمينَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢].

لماذا يأمرنا الله باجتناب الكثير من الظن؟ حتى نمتنع عن القليل، فهل أدركنا هذا المعنى؟ وهل تأملنا النتيجة؟ من أجل أن يختفيَ سوء الظن بيننا، وحتى ندرك أن الله يعالجنا وهو أعلم بنا.



**[١٥٧٣]** عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

إن كثرة الظن السيئ له آثاره على الفرد، قد تؤدي إلى المرض النفسي والسلوكي، فأحسنوا النية بالآخرين، وعلى نياتكم ترزقون، فإذا حسن ظننا في الناس، وحسن ظن الناس فينا، تسير الحياة، فلا تفسر كل شي، ولا تدقق بكل شيء، ولا تحلل كل شي، ولا تتسرع في الحكم على الناس، استمع، ثم ابتسم، ثم تجاهل، ليس من الضروري أن تأخذ كل شيء بعين الاعتبار!





# ٢٧٥- احتقار المسلمين

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات:١١].

﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، من المعلوم أن الإنسان لن يعيب نفسه، لكنه لما كان المؤمنون إخوة، صار أخوك كنفسك، يعني لا تعيبوا إخوانكم، فكما أنك تكره أن تلمز نفسك، تكره أن تلمز أخاك.

﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾، ينبز بعضكم بعضًا باللقب سخرية به، إما أن يُعزَى إلى قبيلة فيها شيء من اللقب المكروه أو المضحك.

﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾، فالإنسان إذا لمز أخاه أو سخر منه، فإنه يكون بذلك فاسقًا، واحتقار المسلم، وازدراؤه، والسخرية به، والاستهزاء به، والحط من قدره، فهذا كله محرّم؛ لما فيه من العدوان على أخيك المسلم الذي يجب أن تحترمه، والسخرية قد تكون في شكله وهيئته؛ في خلقته، قصرًا أو طولًا أو ضخامة أو نحافة، وقد يكون كذلك سخرية بكلامه، وكذلك بالمشية، وتقليد كلامه، كما يفعل بعض السفهاء.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ [الهمزة:١]؛ فاللمز باللسان، والهمز بالجوارح، وكلاهما توعدهما الله بالويل. قال ابن كثير: ينهى الله تعالى عن السخرية بالناس، واحتقارهم، والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»، والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم، وهذا حرام، فإنه قد يكون المحتَقَر أعظم قَدْرًا عند الله تعالى وأحب إليه من الساخر منه والمحتقر له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، والهمز بالفعل، واللمز بالقول، كما قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١١]، أي: يحتقر الناس، ويهمزهم، ويمشي بينهم بالنميمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ [الحجرات:١١]، التي يسوء الشخص سماعها.



**[١٥٧٤]** عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ**». رواه مسلم.

«**بِحَسْبِ**» أي: كافي، وهذا تعظيم لاحتقار المسلم، وأنه شر عظيم، فلو لم يأت الإنسان من الشر إلا هذا لكان كافيًا، فلا تحقرن أخاك المسلم؛ لا في خلقته، ولا في ثيابه، ولا في كلامه، ولا في خلقه، ولا غير ذلك، أخوك المسلم حقّه عليك عظيم، فعليك أن تحترمه، وأما احتقاره فإنه محرّم.



**[١٥٧٥]** وعن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ!**»، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**». «**الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**». رواه مسلم.

«**بَطَرُ الحَقِّ**»: دَفْعُه. «**غَمْطُ النَّاسِ**»: احْتِقَارُهُمْ. وكلما كان الإنسان متجمّلًا، كان ذلك أحب إلى الله إذا كان هذا التجمل مما يسعه، يعني ليس فقيرًا يذهب يتكلف الثياب الجميلة، لكنه قد أنعم الله عليه، والله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.



**[١٥٧٦]** وعن جُندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؟! إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**». رواه مسلم.

قال رَبُّ العزَّةِ: «**مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ؟!**» أي: يَحْلِفُ بِاسْمِهِ عز وجل أَنَّهُ لَا يَغْفِرُ لفُلَانٍ، «**فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**»، أي: أَذْهَبْتُه سُدًى وَأَبْطَلْتُهُ؛ وَذٰلِكَ لِأَنَّهُ قَالَ مَا قَالَ إِعْجَابًا بِعَمَلِهِ، وَإِعْجَابًا بِنَفْسِهِ، وَاسْتِكْبَارًا عَلَى عِبَادِ اللهِ عز وجل.

وفي هذا الحديث: التحذير من احتقار أحد من المسلمين، وإن كان من الرعاع، فإن الله تعالى أخفى سرّه في عباده.





## ٢٧٦- إظهار الشَّماتة بالمُسلِم

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

أي: وشأن الإخوة أن يتحرك الأخ لما يلحق أخاه من الضّرر.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور:١٩].

عن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تُؤْذُوا عِبَادَ الله، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ، وَلَا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ طَلَبَ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ**».



**[١٥٧٧]** وعن وَاثِلَةَ بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ**». رواه الترمذي.

الشَّمَاتَةُ: التَّعيير بالذنب أو بالعمل أو حادثة تقع على الإنسان، فيشيعها الإنسان ويبيّنها ويظهرها، ومن حكمة الله تعالى في خلقه، إذا عيّر الإنسان أخاه في شيء ربما يرحمه الله من هذا الشيء ويزول عنه، ثم يبتلى به هذا الذي عيّره، وهذا يقع كثيرًا، ولهذا جاء في حديث آخر موافق لهذا الحديث: «**مَنْ عَيَّرَ أَخَاهُ بِذَنْبٍ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَعْمَلَهُ**»، فإيّاك وإيّاك من الشّماتة بالناس، فربما يرتفع عنهم ما شمتهم به ويحلّ فيك.



# ٢٧٧- الطَّعنُ في الأنساب

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].



**[١٥٧٨]** عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**». رواه مسلم.

«**الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**»: التعيير في النسب، أو أن ينفي نسبه، فمثلًا يقول في التعيير: أنت من القبيلة الفلانية ويذكر فيها العيوب، أو مثلًا يقول: أنت تدّعي أنك من آل فلان ولست منهم.

«**النِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**»: أن تبكي عليه النساء، أو الرجال أيضًا، لكن النساء أكثر، على شبه ما تنوح الحمامة، يعني برنة معروفة، وقد لعن النبي ﷺ النائحة والمستمعة.

ومن النياحة ما يفعله بعض الناس اليوم؛ يجتمعون في بيت الميت، ويؤتى إليهم بالطعام أو يصنعون هم الطعام ويجتمعون عليه، فإن هذا محرّم، لحديث جرير بن عبد الله البجلي ﵁ قال: كنا نعد الاجتماع في بيت الميت، وصنع الطعام من النياحة، فالصحابة يرون أن هذا من النياحة، ولهذا يُنهى أهل الميت أن يفتحوا أبوابهم للعزاء، لأن ذلك منكر وبدعة، فالصحابة ما كانوا يفعلون ذلك، والواجب على الإنسان الرضا والتسليم، وأن يبقي بابه مغلقًا، ومن أراد أن يعزّيه يجده في السوق أو في المسجد بالنسبة للرجال، وأما النساء فلا حاجة إلى فتح الباب لهن واجتماعهن، فإن قيل: المدار ما هو على عمل الناس اليوم، وإن هذه عادة! نقول: المدار الحقيقي على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين، وعمل الصحابة ﵃، ما منهم أحد فتح بابه للمعزين أبدًا، وما اجتمعوا على الأكل، بل كانوا يعدّون هذا من النياحة، ويبتعدون عنه أشد البعد.

## ٢٧٨- الغِشُّ والخِداعُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

الواجب على المؤمن أن ينصح لأخيه المسلم، وأن يؤدي الأمانة، وأن يحب له الخير كما يحبه لنفسه، وأن يبين له الحقيقة، وأن يكون معه في السلعة على جلية من الأمر حتى يشتريها على بصيرة أو يدعها على بصيرة، فإذا كان في السلعة عيب فأخفاه، أو جعل الرديء أسفل وجعل الطيب أعلى، فإن هذا من الخداع، لأن بعض الناس قد لا يفطن لما تحت الظاهر، وقد لا يبين له العيب، فيُخدع بذلك، ويشتري ما يساوي الثمن القليل بالثمن الكثير، ظنًّا منه أن هذا المبيع جيدًا، وأنه لا عيب فيه. ثم إن الخيانة والغش من صفات أهل النفاق والفسق والجشع والطمع، أما المؤمن فإن من صفته الأمانة والنصح ومحبة الخير لإخوانه، وترك الضرر الذي يضرهم ويؤدي إلى بخسهم حقهم، فهل ترضى يا أخي أن يغشك الناس؟ هل ترضى أن يقول لك أخوك إن السلعة قد سيمت بكذا وهو كاذب؟ أو أنه اشتراها بكذا وهو كاذب؟ لا ترضى بذلك، لأن هذا يضرّك، وهكذا لا ترضى به لإخوانك، فلا تقل إن السلعة عليّ بمائة وأنت كاذب، إنما هي عليك بثمانين أو خمسين، ولا تقل إنها سيمت بمائة وأنت كاذب.

كثير منا يتعاطى الخيانة في أشياء كثيرة؛ تجد المقاول يتفق مع صاحب العمارة، أو صاحب البيت، أو صاحب الدكان، أو صاحب المصنع، على شروط وأعمال، ثم هو يحاول أن يغش، وأن يخون حتى يتوفر له بعض المال، فلا يفي الشروط، ويحاول أن يبخس ذلك حتى يتوفر له شيء من المال وينزع بركته.

وهاهنا مسألة يتخذها بعض الناس اليوم؛ يبيع الشيء ويعرف أن فيه عيبًا، ثم يقول للمشتري: ما بعت عليك إلا أمامك، وهذا ما يعرف عندهم في أسواق السيارات، يعلم

أن فيها العيب الفلاني لكن لا يذكره، لأنه لو ذكره لنقصت القيمة، فإذا لم يذكره صار المشتري مترددًا، يحتمل فيها عيب ويحتمل لا، فيدفع ثمنًا أكثر مما لو علم بالعيب المعين، والواجب إذا علمت في السلعة عيبًا أن تبيّن ما فيها، وهذا الشرط لا يبرأ منه صاحب السلعة يوم القيامة.



**[١٥٧٩]** عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا**». رواه مسلم.

فالإنسان الذي يحمل السلاح ويقاتل المسلمين لكونهم مسلمين، فهو كافر، وليس مسلمًا حتى وإن زعم أنه مسلم، وأما من حمل السلاح على المسلمين على وجه التهديد والسطو عليهم ليأخذ أموالهم، فيدخل تحت «**فَلَيْسَ مِنَّا**»، أي: ليس على طريقتنا، ولا يُنسب إلينا، وإن كان الأول أشد شرًّا من هذا الثاني.



**[١٥٨٠]** وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَنَاجَشُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

النَّجْشُ: أن يأتي الرجل إلى المزاد في السوق، ويزيد في ثمن السلعة، وهو لا يريد شراءها، بل لأن يسمعه غيره فيزيد لزيادته من أجل ينافس المشتري ليرفع من قيمة السلعة، فيشوش عليه، ويسبب له نكدًا، وهو نوعٌ من الخديعة والمكر.



**[١٥٨١]** وعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ نهى عن النَّجْشِ. مُتَّفَق عَلَيْهِ.



**[١٥٨٢]** وعنه قال: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ يُخْدَعُ فِي البُيُوعِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ: لَا خِلَابَةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الخِلَابَةُ: الخديعة، وزاد الدارقطني والبيهقي: «**ثُمَّ أَنْتَ بِالخِيَارِ فِي كُلِّ سِلْعَةٍ ابْتَعْتَهَا ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَضِيتَهَا فَأَمْسِكْ**»، فبقي حتى أدرك زمن عثمان، فكان إذا اشترى شيئًا، فقيل له: إنك غُبنت فيه، رجع، فيشهد له الرجل من الصحابة، أن النبي ﷺ قد جعله بالخيار ثلاثًا فيرد له دراهمه.

الغدر والخديعة: خيانة الإنسان في موضع الاستئمان، بمعنى أن يأتمنك أحد في شيء ثم تغدر به، سواء أعطيته عهدًا أم لم تعطه، وذلك لأن الذي ائتمنك اعتمد عليك ووثق بك، فإذا خنته فقد غدرت به؛ قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**﴾ [المائدة:١]. العقود: يعني العهود، وهذا يشمل كل العقود.

وقال تعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا**﴾ [الإسراء:٣٤]. أي: مسؤولًا عنه يوم القيامة، يعني إذا عاهدت أحدًا وقلت: عليك عهد الله ألا أفعل كذا، أو ألّا أخبر بما أخبرتني به، فإنه يجب عليك أن تفي، لأن العهد سوف تسأل عنه يوم القيامة.

ومن الوفاء بالعقود ما يحصل بين الزوجين عند العقد؛ بعض النساء لا ترغب في أن تسكن مع أهل الزوج لكونهم أهل نكد، فيجب عليه أن يوفّي بذلك، وألا ينكد عليها حتى تملّ وتتعب، كما لو اشترطت عليه أن تطلق زوجتك الأولى فهذا لا يقبل، وذلك لأن النبي ﷺ قال: «**لَا تَسْأَلِ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا**»، لأنه عدوان على الغير، أما لو اشترطت ألا يتزوج عليها وقبل، فشرط صحيح، لأنه ما فيه عدوان على أحد، فإذا تزوج فلها أن تفسخ رضي أم أبى، لأنه خالف الشرط.



**[١٥٨٣]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ، أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ مِنَّا**. رواهُ أَبُو داود.

خَبَّبَ: أفسدَ وخدعَ.

جاء الوعيد الشديد في حق من يفسد الزوجة على زوجها، فقد جاء في الحديث: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا**». معناه: أفسد أخلاقها عليه، وتسبب في نشوزها عنه. والواجب على أهل الزوجة أن يحرصوا على صلاح ما بينها وبين زوجها؛ لأن ذلك من مصلحتها ومصلحتهم، ولا يشترط أن يقصد بذلك أن يتزوج منها بعده، فهو مذموم سواء تزوج منها أم تزوج منها غيره. ويشمله الوعيد الذي وردت به السنة الصحيحة، فالإفساد بين الزوجين جرم عظيم من كبائر الذنوب، وهو من جنس عمل الساحر، لقول الله تعالى: ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾ [البقرة:١٠٢].



**[١٥٨٤]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٥٨٥]** وعن ابن مسعودٍ وابن عمر وأنس ﷺ قالوا: قال النبي ﷺ: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ: هٰذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث دليل على أن الغدر من كبائر الذنوب، لأن فيه هذا الوعيد الشديد، كما أن الناس يُدعون يوم القيامة بآبائهم، كما يدعى به في الدنيا لا بأمهاتهم، وأن ما ذكر من أن الإنسان يوم القيامة يدعى باسم أمه، فيقال: يا فلان بن فلانة، فليست الحقيقة.



**[١٥٨٦]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ إِسْتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُرْفَعُ لَهُ بِقَدَرِ غَدْرِهِ، أَلَا وَلَا غَادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: بيان تغليظ تحريم الغدر، ولا سيما من صاحب الولاية العامة؛ لأن غدره يتعدى ضرره إلى خلق كثير.

**[١٥٨٧]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ**». رواه البخاري.

قوله: «**رَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ**»، من ذلك ما يفعله بعض الناس اليوم في العمال الذي يأتون بهم من الخارج، تجده يستأجره بأجرة معينة، مثلًا ستمائة ريال في الشهر، ثم إذا جاء به إلى هنا ماطل به وآذاه ولم يؤت له حقه، هذا يكون الله خصمه يوم القيامة، وما أكلوه فإنه سُحت، وكل جسد نبت من السُّحت فالنار أولى به، وهؤلاء لا تقبل لهم دعوة؛ يدعون الله، فلا يستجيب لهم.



# ٢٧٩- المَنُّ بالعطيَّة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة:٢٦٤]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾ [البقرة:٢٦٢]. أي: إذا أعطى مِنَّا أحدًا من الناس عطاء، فإن كان صدقة فقد أعطاها لله ﷻ، فإذا كان كذلك فإنه لا يجوز للإنسان أن يمنّ بالعطية، فيقول: أنا أعطيتك كذا، أنا أعطيتك كذا، سواء قاله في حضوره أو في غيابه، مثل أن يقول بين الناس: أعطيت فلانا كذا، وأعطيت فلانا كذا ليمنّ بذلك عليه، فإنّ الصدقة تبطل، ولا ثواب له فيها، وهو من كبائر الذنوب.

**[١٥٨٨]** وعن أبي ذر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**». قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ثَلَاثَ مِرَارٍ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ**». رواه مسلم.

المسبل إزاره: يعني الذي يجرّ إزاره وثوبه خيلاء وتبخترًا.

المنان: أي بما أعطى؛ إذا أعطى أحدًا شيئًا صار يمنّ به.

المنفق سلعته بالحلف الكاذب: يعني الذي يحلف لأجل أن تزيد قيمتها.





## ٢٨٠- الافتخار والبغي

الافتخار: أن يتمدح الإنسان في نفسه ويفتخر بما أعطاه الله من نعمة، سواء نعمة الولد أو المال أو العلم أو الجاه أو قوة البدن، وذلك فخرًا وعلوًّا على الناس.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢].

أي: لا تبرئوها عن الآثام، ولا تمدحوها بحسن أعمالها، وأما التحدث على وجه إظهار نعمة الله على العبد مع التواضع، فإن هذا لا بأس به، لقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾، ولقول النبي ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ».

قوله ﷺ: «وَلَا فَخْرَ»: لا أفتخر بذلك وأزهو بنفسي.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ أن يمدحوها افتخارًا على الخلق، فيقول مثلًا لصاحبه: أنا أعلم منك، أو أنا أكثر منك مالًا أو جاهًا أو قوة، فهذا تزكية للنفس ونوع من الافتخار.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الشورى:٤٢].

أي: إنما السبيل بالمعاقبة على الذين يبدؤون بالظلم، ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾. أي: يعملون فيها بالمعاصي.



**[١٥٨٩]** وعن عياضِ بن حمارٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**». رواه مسلم.

أي: أنزل نفسك وحط من قدرها يرفعك الله، ويعطيك من فضله، أما الإنسان المستكبر؛ فمهما استكبر؛ فقد أبى الله أن يرتفع شيئًا إلا وضعه، فهذا يترفع ويرفع نفسه على الخلق فيضعه الله.

تواضعْ أنت حتى لا تفخر على أحد، وحتى لا تقول: أنا كذا وأنت كذا، وحتى لا ترى لنفسك فضلًا على أحد من الناس، ولكن انظر للجميع على أنهم بمستواك، وإن جعل الله بعضكم قويًّا وبعضكم ضعيفًا، لكن يحتاج القوي إلى الضعيف، فجعل بعضكم عاملًا وبعضكم موظفًا وبعضكم طبيبًا، يحتاج بعضكم إلى بعض، فلو جعل الجميع شيئًا واحدًا ولم يحتج أحد إلى أحد، لتعطلت كثير من خصائص الكون، ولكن الله أحوج بعضهم إلى بعض؛ لتكون الألفة، ويكون التعارف والمحبة بينهم، والاحتياج يولّد ذلك؛ فأنا إن احتجت لفلان من الناس، فإني أتلطف معه لكي يعمل الشيء الذي أريده ولا أستطيع أن أعمله، حتى نتخذ بعضنا بعضًا سخريًّا، يعني أنا أستخدمك وأنت تستخدمني، فيحتاج بعضنا إلى بعض، ونتعارف، ونتحاب فيما بيننا.

قال أهل اللغة: البَغْيُ: التَّعَدِّي وَالاسْتِطَالَةُ. وفي هذا الحديث: الأمر بالتواضع والنهي عن التفاخر؛ يفتخرون بآبائهم الفجّار والفسقة الذين كانوا أصحاب ثروات ومناصب في يوم من الأيام، يقول: كان أبي كذا وكان كذا، مع أن أباه لم يكن يدخل المسجد.



**[١٥٩٠]** وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ**». رواه مسلم.

وهوَ الرَّجلُ يُولعُ بعيبِ النَّاسِ، ويَذهبُ بنَفسِه عُجبًا، ويَرى له فَضلًا عَليهِم.

والرواية المشهورة: «**أَهْلَكُهُمْ**»، بِرَفعِ الكافِ وروي بنصبها؛ أكثرُهم هلاكًا، وذلكَ النهيُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِهِ، وتَصَاغُرًا للنَّاسِ، وارْتِفاعًا عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا مَنْ قَالَهُ لِما يَرَى في النَّاسِ مِنْ نَقْصٍ في أَمرِ دِينِهم، وقَالَهُ تَحَزُّنًا عَلَيْهِمْ وعَلَى الدِّينِ فَلا بَأْسَ بِهِ، هكَذَا فَسَّرَهُ العُلَماءُ.





## ٢٨١- الهجْران بين المسلمين

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات:١٠].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢].



**[١٥٩١]** عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المشاحنات بين الناس، وخصوصًا الخلافات بين الأقارب، مع الأسف صارت ظاهرة منتشرة، وخطيرة للغاية.

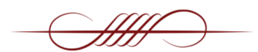
وللخلافات أسباب: منها ذلك الحسد، فيحسد أخاه على نعمة أعطاه الله إياها، وهذه السيدة تحسد الأخرى بأن راتب زوجها أعلى من راتب زوجها هي، ونحو ذلك من الأشياء، وجناح في العائلة يحسد الجناح الآخر، وأولاد العم من هؤلاء يناكف أولاد العم من الطرف الآخر، وهكذا!

يا عباد الله: هذه قسمة الله بين عباده؛ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [سورة الزخرف: ٣] ابتلاءً، ما ذنبه أن رزقه الله أكثر مما رزق الآخر، هذه قسمة ربنا، وأحيانًا تكون الخلافات بسبب النميمة؛ نقل الكلام من هذا الطرف إلى هذا الطرف، وزوجة هذا الأخ تفسد ما بينه وبين أمه، وأمُّ هذا تفسد ما بينه وبين زوجته، وهكذا تكون الفرقة.



**[١٥٩٢]** عن أَبي أيوبَ ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هٰذَا، وَيُعْرِضُ هٰذَا، وَخَيْرُهُما الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وأهم ذلك الأرحام، والرحم: أقرباؤك من جهة أبيك وأمك، وكل من تناسل من جدك الرابع فنازلًا كما ضبطه بعض أهل العلم، فعليك صلتهم بحسب المستطاع، وهناك من الناس من صلته سنوية، ومنهم شهرية، ومنهم أسبوعية، ومنهم يومية، ومنهم بالزيارة إلى البيت أو مكان العمل، ومنهم بالاتصال بالهاتف، أو بأية وسيلة تستطيعها، المهم أن تصل قريبك، قد يكون ذلك شاقًّا وصعبًا على بعض النفوس، لكن لو أنت عوّدت نفسك، لوجدت ذلك شيئًا سهلًا وعظيمًا عند الخالق، وعند الخلق، في الدنيا والآخرة.



**[١٥٩٣]** وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِي كُلِّ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلَّا امْرَءًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيَقُولُ: اتْرُكُوا هٰذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا**». رواه مسلم.

وأكثر ما يكون بين الأقارب، ومن أسباب الخلافات بين الأقارب؛ زواج البنت لابن عمها مثلًا، أو ابن خالتها، أو أي قريب كان، فما بالكم لو كانت لا تريده، أو لا تطيقه، أو كان مدمنًا صاحب مخدرات، أو انحراف خلقي وسلوكات غير سليمة، فما ذنبها؟ قال العلماء: إذا كان الأب لا يوجب على ولده أكلة لا يريدها، فمن باب أولى أن لا يوجب عليه امرأة لا يريدها، أو يوجب عليها رجلًا لا تريده. ومن الأسباب أيضًا في الخلافات بين الأقارب؛ عدم العدل بين الأولاد يؤدي إلى الخصومة فيما بينهم، وأحيانًا يكون السبب في الخلاف بين الأقارب شراكة مالية، وقد ذكر ربنا ﷻ في كتابه أن الشركاء يظلم بعضهم بعضًا في العادة، الكثير منهم هكذا، قال سبحانه: ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [ص:٢٥] ﴿**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾، كم هم؟ كم

نسبتهم؟ قال: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾، فيدخلون أحيانًا بلا كتابة شروط ولا كتابة نِسَب ولا كتابة بنود بينهم، ويقولون: لن نختلف ثم يختلفون، وقد يكون الميراث سببًا للخلاف بين الأقارب. قال الله ﷻ: ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر:١٩].

﴿تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: يعني الميراث، فتحدث الخلافات وتحدث القطيعة، وأحيانًا، يكون العناد هو السبب.

الخلافات بين الأقارب تكون على أسباب تافهة أحيانًا، كما قد تكون على أسباب عظيمة، والعجيب أن أكثر الخلاف بين بعض الأقارب قد يكون على ولدها الصغير ضرب ولد الأخرى، ويتدخل هذا من هذا الطرف، وهذا من هذا الطرف، ويغضب لكل واحدة منهن زوجها، فهذه تستثيره من هنا، وتلك تستثير الآخر من هناك، وربما نسي الولدان وتسامحا وأكملا اللعب، والكبار ما زالوا يتصارعون! وأحيانًا تعصب لنادي كروي، كما يكون الخلاف أيضًا بسبب مزحة ثقيلة، أو مزحة سخيفة، كلمة! لكن جرحت! كلمة آلمت! كلمة، لكن كانت سببًا في إيغال الصدور!



**[١٥٩٤]** وعن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**». رواه مسلم.

ومعناه: أيس أن يعبده أهل جزيرة العرب، ولكنه سعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن، والأحقاد في قلوبهم على بعضهم البعض، ونحوه. ومن أهل العلم من قال: إن كلام رسول الله ﷺ يخص المصلين، أي: «**أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ**»، أما غير المصلين فلا، أولئك الذين ارتدوا على أدبارهم وخرجوا من الدين، وأصبحوا من غير المسلمين ومن غير المصلين، وهذا دليل على عظم شأن الصلاة.

وقد رأينا اليوم في هذه البلاد وفي غيرها، من رفعوا رؤوسهم في إحياء شعائر الجاهلية الأولى، مصداقًا لما أخبر به نبينا ﷺ، فقد عاد الأمل إلى الشيطان أن يعبده الناس في هذه الجزيرة وفي غيرها، وكل هذه الاحتمالات وغيرها تتفق على أنه سيوجد في هذه الأمة، وهذه الجزيرة بالذات، وفي غيرها من باب أولى؛ من ينساق وراء نزغات الشيطان، ويقع حتى في لونٍ من ألوان العبادة له.

الحديث من معجزات النبوة لكونه وقع كما أخبر ﷺ.



**[١٥٩٥]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ دَخَلَ النَّارَ**». رواه أَبُو داود بإسناد عَلَى شرط البخاري ومسلم.

أسباب الخلاف متنوعة، والمتأمل في أحوال الجيران مثلًا، يجد فرقًا شاسعًا بين ما هو سائد الآن وما كان في الماضي؛ من تكاتف ومحبة ووئام، فبعد أن كان يتقاسم الجيران أفراحهم وأتراحهم، وصلت الحال إلى التقاضي في ساحات المحاكم، وكثرت الشكاوى، والتي ينتهي بعضها إلى جرائم بشعة يذهب ضحيتها أبرياء، وقد ينتهي ذلك كله بإلقاء السلام من أي طرف منهما، أو ابتسامة، أو تقديم فنجان قهوة وتنتهي المشكلة، والأغرب أن أغلب الخلافات يكون سببها تافهًا، فقد يتعلق الخلاف بشقاوة أطفال، أو غيرة نساء، فأمثلة الخلاف بين الجيران كثيرة، منها ما وصل إلى حد القتل، ففي إحدى القرى؛ انهال عامل على جاره بالسكين فأرداه قتيلًا بسبب خلاف بسيط، فالمشكلة مهما صغرت هي مثل النار، إذا فقدنا السيطرة عليها فإنها تقضي على كل شيء، ولذلك ينبغي أن نعمل على السيطرة على المشكلة، قبل أن تتسع لتصبح مشكلة ضخمة.



**[١٥٩٦]** وعن أبي خِراشٍ حَدْرَدِ بنِ أَبي حَدْرَدٍ الأسلميِّ، ويقالُ: السُّلمِيُّ الصحابي ﵁، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ**». رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

لا شك بأن الخلافات تحدث يوميًّا بين الناس، ولكن تكمن المشكلة الحقيقة؛ ليست في الخلافات بحد ذاتها، بل في استمرارية الخلافات لتتحول إلى قطيعة، فدِينُنا يسعى إلى الصلح وينادي به، وليس ثَمَّ خطوة أحب إلى الله ﷻ من خطوة يصلح فيها العبد بين اثنين، ويقرب فيها بين قلبين؛ ربما يبدأ هذا بطرح السلام، أو التنازل بإلقاء ابتسامة جميلة، أو تقديم فنجان قهوة، وذلك لأن الناس بَشَر يخطئون ويصيبون، كما ويصعب أن يتفق البشر على شيء معين، فمسألة الخلاف على اختلاف مستوياتها، بدءًا من مرحلة المشاحنة والمجادلة، ومرورًا بالهجر والتباعد، وانتهاءً بمرحلة الاعتداء والقتل. لو قيل لأحدنا: إن راتبه سيتم إيقافه لمدة شهر! ماذا سيفعل؟ وماذا سيفعل لو قيل له: إن الراتب سيتوقف لمدة سنة؟! ماذا سيتخذ من إجراءات؟ فلا شك أن هذا الشخص سيفعل المستحيل، ويطالب وينادي ويوسّط وجهاء الناس لكي لا يوقف عنه راتبه، إذن ما رأيكم فيمن يُرفعُ عمله أيامًا وشهورًا فلا يُغفر له؟! فيُحرمُ المغفرة؛ لأنه متشاحن مع قريب له، أو مع زميل له، أو مع جار له؟ هل هناك أعظم من هذا الحرمان؟



**[١٥٩٧]** وعن أَبي هريرة ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ، فَلْيَلْقَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ** عليه السلام **فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ، وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ**». رواه أبو داود بإسناد حسن. قال أبو داود: «**إِذَا كَانَتِ الهِجْرَةُ للهِ تَعَالَى فَلَيْسَ مِنْ هٰذَا فِي شَيْءٍ**».

إن إصلاح ذات البَين أفضل من نوافل الصلاة والصدقة والصيام، وهو من العبادات التي تركها كثير من الخلق، لمعالجة الخصومات العديدة التي تقع بين الأزواج، أو بين الأقارب والأرحام، أو بين الأفراد والجماعات، في شتى مناحي الحياة، وله أسباب كثيرة؛ منها الشيطان، العدو الأول للإنسان، الذي يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء، والنفس الأمَّارة بالسوء، والهوى المضلّ، والشّح المهلك، والنّميمة المفسدة، واشتباه الأمور، والشكوك والأوهام، إلى غيرها من الأسباب التي تجتمع حينًا، وفي كثير من الأحيان تفترق، فينتج منها الخلاف.

وحذَّرَ رسول الله ﷺ من السَّبِّ، والمعايرة، وسوء المعاملة، والغيبة، والنَّميمة، وسوء الظن، والتجسس، والتناجي بين اثنين بحضور ثالث، والقطيعة، والتهاجر، والتدابر، والتشاحن، وكثير من الناس يجهلون إثم التَّهاجر بين الناس، وأنه قد يصل إلى أن يكون كبيرة من كبائر الذنوب، إذ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام، وإذا رد الآخر على السلام وقَبِلَ التصالح اشتركا في الأجر، وأما إذا لم يردّ عليه، ردّت على الأول الملائكة وفاز بالأجر، وباء الآخرُ بالإثم والحرمان من المغفرة.





## ٢٨٢- تناجِي اثْنينِ دون الثَّالث

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ [المجادلة:١٠].

التَّناجي، يعني في الكلام السِّر، يتناجون فيما بينهم، لأجل أن يحزن المؤمنون، ويقولون: هؤلاء أرادوا بنا شرًّا؛ وذلك أن أعداء المؤمنين يحرصون دائمًا على ما يحزنهم ويسوؤهم؛ وهذا هو ما يريده الشيطان على كل حال. قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ﴾، فمن توكّل على الله واعتمد عليه فإنه لا يضرّه أحد.



**[١٥٩٨]** عن ابن عمر ﭭ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ**». مُتَّفَق عَلَيْهِ. ورواه أبو داود وزاد: قال أبو صالح: قُلْتُ لِابْنِ عُمَرَ: فَأَرْبَعَةً؟ قَالَ: لَا يَضُرُّكَ.

يعني: إذا كانوا ثلاثة فإنه لا يحل لاثنين أن يتناجيا دون الثالث، لأن الثالث يحزن، ويقول لماذا ما كلّموني؟ أنا ليس لي قيمة؟ يتناجيان دوني؟ فلذلك نهى النبي ﷺ عن هذا، ولا شك أن هذا من الآداب.



**[١٥٩٩]** وعن ابن مسعود ﭬ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذٰلِكَ يُحْزِنُهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فإن قال قائل: إذا كانت بيني وبين صاحبي مسألة لا أحب أن يطلع عليها أحد، مسألة خاصة؟ قلنا: افعل كما فعل عبد الله بن عمر ﭭ؛ ادعُ واحدًا لتكونوا أربعة، فيتناجى اثنان، واثنان يتكلمان فيما بينهما، كما دل عليه الحديث، فإذا اختلطا بالناس زالت المشكلة. ومن ذلك؛ إذا كانوا ثلاثة واثنين يجيدان لغة أجنبية، والثالث لا يجيدها، فجعلا

يتحدثان بلغتهما، والثالث يسمع ولا يفهم ما يقولان، هذا الشيء نفسه، لأن ذلك يحزنه، لماذا تركاني وصارا يتحدثان وحدهما؟ أو ربما يسيء الظن بهما، مثل أن يتكلم واحد مع آخر باللغة الإنجليزية والثالث لا يعرفها، فهذا كالمتناجيين، فيُنهى عن ذلك، فإذا قال قائل: إذا كان له حاجة في أخيه؟ قلنا: يستأذنان منه، يقولان له أتأذن لنا أن نتكلم؟ وحينئذ لا يحزن ولا يهتم بالأمر.



## ٢٨٣- النّهي عن التّعذيب

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء الآية:٣٦]. أي مختالًا في نفسه، معجبًا متكبرًا فخورًا على الناس، يرى أنه خير منهم، فهو في نفسه كبير، وهو عند الله حقير، وعند الناس بغيض، وقيل: يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمة، وهو قليل الشكر لله.

**[١٦٠٠]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ سَجَنَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ؛ لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ هِيَ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

خَشَاشُ الأَرْضِ: هَوَامُّهَا وَحَشَرَاتُهَا. فُهِمَ من هذا الحديث، أنها لو جعلت عندها طعامًا وشرابًا يكفي، فإن ذلك لا بأس به، ومن هذا الطيور التي تُحبس في الأقفاص، إذا وُضع عندها الطعام والشراب ولم يقصّر عليها، وحفظها من الحر والبرد، وأما إذا قصر، وماتت بسبب تقصيره، فإنه يُعذَّب بها.



**[١٦٠١]** وَعَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هٰذَا؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هٰذَا، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الغَرَضُ: هُوَ الهَدَفُ وَالشَّيْءُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ.

فيه: أن تعذيب الحيوان من غير سبب شرعي من الكبائر، لأنه يتألم؛ إذ إن هذا يضربه على جناحه، وهذا يضربه على صدره، وهذا يضربه على ظهره، وهذا على رأسه، أما بعد ما مات فقد مات، لا يحس بشيء.

[١٦٠٢] وعن أنس رضي الله عنه قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ تُصْبَرَ البَهَائِمُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

ومعناه: تُحْبَسُ لِلْقَتْلِ، وهو أن يمسك الحي، ثم يرمي بشيء حتى يموت، فإن هذا لا يجوز، وذلك لأنه إذا حبس كان مقدورًا على ذبحه وتزكيته، فلا يحل أن يُرمى، ورميه إيلامًا له من وجه، وإضاعة للفائدة منه من وجه آخر.

[١٦٠٣] وعن أبي عليٍّ سويدِ بن مُقَرِّنٍ رضي الله عنه قال: لَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابعَ سَبْعَةٍ مِنْ بَنِي مُقَرِّنٍ مَا لَنَا خَادِمٌ إِلَّا وَاحِدَةٌ لَطَمَهَا أَصْغَرُنَا، فَأَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُعْتِقَهَا. رواه مسلم.

وفي روايةٍ: سَابعَ إِخْوَةٍ لِي.

حكمة الأمر بعتق الخادمة، ليكون كفارة لضربها.

[١٦٠٤] وعن أَبي مسعودٍ البَدْرِيِّ رضي الله عنه قال: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي بِالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ**»، فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رَسُولُ الله ﷺ، فَإِذَا هُوَ يَقُولُ: «**اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، أَنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَى هٰذَا الغُلَامِ**»، فَقُلْتُ: لَا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا. وَفِي رِوَايَةٍ: فَسَقَطَ مِنْ يَدِي السَّوْطُ مِنْ هَيْبَتِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله تَعَالَى، فَقَالَ: «**أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ**». رواه مسلم بهذه الروايات.

ذلك أن المقصود بالتأديب هو الإصلاح، وليس المقصود بالتأديب الإيلام والإيجاع، ولذلك لا يجوز للإنسان أن يضرب الولد ما دام يمكن أن يتأدب من دون الضرب، وإذا ضرب فإنه يضرب ضربًا غير مبرح، لأن المقصود من الضرب هو التأديب، لا أن يصل إلى حد الإيلام والإيجاع.

**[١٦٠٥]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فَإِنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**». رواه مسلم.



**[١٦٠٦]** وعن هِشام بن حكيم بن حِزَامٍ رضي الله عنهما، أَنَّه مَرَّ بِالشَّامِ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ، وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، وَصُبَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الزَّيْتُ! فَقَالَ: مَا هٰذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ فِي الخَرَاجِ، وفي رواية: حُبِسُوا فِي الجِزْيَةِ، فَقَالَ هِشَامٌ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «**إِنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا**»، فَدَخَلَ عَلَى الأَمِيرِ، فَحَدَّثَهُ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُّوا. رواه مسلم.

الأنباط: الفلاحون من العَجَم.

في الحديث: تحريم تعذيب الناس حتى الكفار بغير موجب شرعي، وسمُّوا أنباطًا لأنهم يستنبطون الماء، أي يستخرجونه، وهم فلاحون في الشام عليهم خراج، وكأنهم لم يؤدّوه، فعاقبهم الأمير هذه العقوبة العظيمة، جعلهم في الشمس في الحر الشديد، وصب على رؤوسهم الزيت، لأن الزيت تشتد حرارته مع الشمس، وهذا عذاب عظيم مؤلم موجع، فدخل هشام رضي الله عنه إلى الأمير فأخبره، ففكّ الأمير أسرهم وأطلقهم، وفي هذا دليل على حسن سيرة السلف في مناصحة الحكام، فإن اهتدى فهذا المطلوب، وإن لم يهتد برأت ذمته، وصارت المسؤولية على الحاكم.



**[١٦٠٧]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رَأَى رَسُولُ الله ﷺ حِمَارًا مَوْسُومَ الوَجْهِ، فَأَنْكَرَ ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: وَالله لَا أَسِمُهُ إِلَّا أَقْصَى شَيْءٍ مِنَ الوَجْهِ، وَأَمَرَ بِحِمَارِهِ فَكُوِيَ فِي جَاعِرَتَيْهِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَى الجَاعِرَتَيْنِ. رواه مسلم.

الجَاعِرَتَانِ: نَاحِيَةُ الوَرِكَيْنِ حَوْلَ الدُّبُرِ.

فيه: تحريم الوسم في الوجه.

وكذلك أيضًا وسم الحيوانات في الوجه فإنه حرام ومن كبائر الذنوب؛ لأن النبي ﷺ لعن من فعل هذا.

والوسم: عبارة عن كيّ الحيوان ليكون علامة، ولهذا هو مشتق من السّمة، وهي العلامة، يتخذ أهل المواشي علامة لهم، كل قبيلة لها وسم معين؛ إما شرطتان أو شرطة مربعة، أو دائرة أو هلال، والوسم هذا يحفظ الماشية إذا وُجدت ضالة يعني ضائعة، عرف الناس أنها لهؤلاء القبيلة فذكروها لهم، وكذلك أيضًا هي قرينة في مسألة الدعوى، لو أن إنسان وجد بهيمة عليها وسمٌ في يد إنسان وادّعى أنها له، فإن هذه قرينة تدل على صدق دعواه.



**[١٦٠٨]** وعنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ**». رواه مسلم. وفي رواية لمسلم أيضًا: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ فِي الوَجْهِ، وَعَنِ الوَسْمِ فِي الوَجْهِ.

فالوجه لا يُضرب ولا يُوسم، هو جمال البهيمة، أين يكون الوسم؟ يكون في الرقبة، أو في العضد، أو في الفخذ، أو في أي موضع من الجسم إلا الوجه، وفي هذا دليل على أن الإنسان إذا رأى شيئًا مما يُلعن فاعله، فقال: اللهم العن من فعل هذا فلا إثم عليه، لو وجدنا بهيمة موسومة في الوجه وقلنا اللهم العن من وسمها فلا بأس، لكن لا نقول فلان ابن فلان.



## ٢٨٤- التّعذيب بالنّار

[١٦٠٩] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْثٍ، فَقَالَ: «**إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا**»، لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا، «**فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّارِ**»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ حِيْنَ أَرَدْنَا الخُرُوجَ: «**إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحَرِّقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا**». رواه البخاري.

وحديث عكرمة: أن عليًّا رضي الله عنه حرَّق قومًا، فبلغ ابن عباس، فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللهِ**»، ولقتلتهما كما قال النبي ﷺ: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**».

[١٦١٠] وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الحُمَّرَةُ فَجَعَلَتْ تَعرِشُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «**مَنْ فَجَعَ هٰذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا**»، وَرَأَى قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: «**مَنْ حَرَّقَ هٰذِهِ؟**»، قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّارِ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَزَلَ عَلَى قَرْيَةِ نَمْلٍ، فَقَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ؟!**». وعلى هذا، إذا كان عندك نمل فإنك تضع شيئًا يطردها مثل المبيدات الحشرية، فإنها تنفر ولا ترجع، وإذا لم يمكن اتِّقاء شرِّها إلا بمبيد يقتلها نهائيًّا فلا بأس.





# ٢٨٥- مَطْلُ الغنيِّ

المطل هو التأخير، فإذا كان لك حق على إنسان وطلبته منه، ولكنه صار يماطل فإن ذلك ظلم وحرام وعدوان، ومن ذلك ما يفعله الكفلاء لمكفوليهم، فإنهم يماطلونهم ويؤذونهم ولا يؤتوهم حقوقهم، فهؤلاء خصماء الله يوم القيامة، وكل ساعة بل كل لحظة تمرّ عليهم لا يوفون هذا حقه، لا يزدادون من الله إلا بعدًا، ولا يزدادون إلا ظلمًا، والظلم ظلمات يوم القيامة.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

ذكر كثير من المفسّرين، أن هذه الآية نزلت في شأن عثمان بن طلحة، حين أخذ منه النبي ﷺ مفتاح الكعبة يوم الفتح، وهي عامة في جميع الأمانات، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. ومن هذه الأمانات ثمن الأشياء، إذا باع عليك إنسان شيئًا وبقي ثمنه في ذمتك فهو يشبه الأمانة، يجب أن تؤديها ولا يحل لك أن تماطل بها.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة:٢٨٣].

أي: فإن أمن بعضكم من غير رهن ولا إشهاد، فليؤد الذي اؤتمن أمانته مقابلة لائتمانه، والأمر بأداء الأمانة حكم عام، يدخل فيه ما ذكر وغيره، كالودائع وغيرها.



**[١٦١١]** عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**أُتْبِعَ**»: أُحِيلَ. «**مَلِيءٌ**»: غَنِيٌّ.

قال الحافظ: ومناسبة هذه الجملة للتي قبلها، أنه لما دل على أن مطل الغني ظلم، عقبه بأنه ينبغي قبول الحوالة على المليء، لما في قبولها من دفع الظلم الحاصل بالمطل، فإنه قد

تكون مطالبة المحال عليه سهلة، وهذا يتضمن الأمر بالمبادرة إلى إيتاء الحق وألا يتأخر، فإن فعل فهو ظالم، وما أكثر الذين يُطلب منهم الثمن أو الأجرة ويقول: غدًا أو بعد غد، والنقود عنده، ولكن يلعب به الشيطان، ثم يتلاعب بالناس، وكأنه إذا بقيت عنده تزيد، أو كأنها تنقص على صاحب الحق؟ وعجبًا لهؤلاء الذين سفهوا في عقولهم وضلّوا في دينهم! هل يظنون أنهم إذا ماطلوا يسقط عنهم الحق أو ينقص؟! أبدًا، فالحق باق، سواء أعطاه اليوم أو بعد عشرة أيام، أو بعد عشر سنين.

وقوله ﷺ: «**مَطْلُ الغَنِيِّ**» يدل على أن مطل الفقير ليس بظلم؛ بل الظالم الذي يطلبه، ولهذا: إذا كان صاحبك فقيرًا وجب عليك أن تنظره، لقول الله تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾، وكثير من الناس يكون له الحق عند الفقير، ويعلم أنه فقير، يطالبه ويشدد عليه، ويرفع بشكواه إلى القضاء ويحبسه، فهذا حرام وعدوان، ويجب على القاضي إذا علم أن هذا فقير؛ أن ينهر صاحب الحق، وأن يوبّخه لأنه ظالم، فإن الله أمره بالانتظار.

وقوله: «**إِذَا أُتْبِعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيءٍ فَلْيَتْبَعْ**»، يعني: إذا كان إنسان له حق على أحد الناس، وقال له أحيلك على شخص آخر، فليس للطالب أن يقول لا أقبل، إلا إذا كان المحول عليه فقيرًا أو مماطلًا أو قريبًا للشخص؛ لا يستطيع أن يرافعه عند الحاكم، أو إذا وجد أي مانع آخر فلا بأس أن يرفض الحوالة.

وقد اختلف العلماء: هل هذا على سبيل الوجوب أو على سبيل الاستحباب؟ فذهب الحنابلة إلى أن هذا على سبيل الوجوب، وأنه يجب على الطالب أن يتحول إن حُوّل، وقال أكثر العلماء إنه على سبيل الاستحباب، أيهما أهون وأسهل وأقرب للوفاء.



## ٢٨٦- عَودُ الإِنسانِ في هِبَةٍ

يُكره أن يعود الإنسان في هبة لَمْ يُسلِّمها إلى الموهوب له، لأنها بعد التسليم لا يحل الرجوع فيها، إلا الوالد فيما يعطي ولده، وكراهة شرائه شيئًا تصدّق بِهِ من الذي تُصُدِّق عليه، أو أخرجه عن زكاة أو كفارة ونحوها، ولا بأس بشرائه من شخص آخر قد انتقل إليه.

**[١٦١٢]** وعن ابن عباس ﵄: أن رسول الله ﷺ قال: «**الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي روايةٍ: «**مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ فَيَأْكُلُهُ**». وفي روايةٍ: «**العَائِدُ فِي هِبَتِهِ كالعَائِدِ فِي قَيْئِهِ**». التشبيه بالكلب للاستقذار والتنفير. وفي روايةٍ: «**لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السُّوءِ، الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قِيئِهِ**»، وهذا أبلغ في الزجر عن ذلك، وهذا تشبيه قبيح.

ولا فرق بين أن يكون الذي وهبته من أقاربك أو من الأباعد عنك، فلو وهبت لأخيك شيئًا؛ ساعة أو قلمًا أو سيارة أو بيتًا؛ فإنه لا يحل لك أن ترجع فيه، إلا أن ترضى لنفسك أن تكون كلبًا، ولا أحد يرضى لنفسه أن يكون كذلك، أمّا لو أن الرجل وهب ابنه شيئًا فلا بأس أن يرجع فيه، لقول النبي ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِوَاهِبٍ أَنْ يَرْجِعَ فِيمَا وَهَبَ إِلَّا الوَالِدَ فِيمَا يُعْطِي وَلَدَهُ**»، ما لم يضرّه.



**[١٦١٣]** وعن عمر بن الخطاب ﵁ قال: حَمَلْتُ عَلَى فَرَسٍ فِي سَبِيلِ الله، فَأَضَاعَهُ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِيَهُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَبِيعُهُ بِرُخْصٍ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَا تَشْتَرِهِ وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ؛ فَإِنَّ العَائِدَ فِي صَدَقَتِهِ كَالعَائِدِ فِي قَيْئِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

حَمَلْتُ: تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَى بَعْضِ الْمُجَاهِدِينَ. سُمِّي الشراء عودًا في الصدقة؛ لأن العادة جرت بالمسامحة من البائع، وفي مثل ذلك، قوله: «**لَا تَشْتَرِهِ وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ وَإِنْ أَعْطَاكَهُ بِدِرْهَمٍ**»، لأنك أخرجته لله، ولا يمكن للإنسان أن يشتري صدقته، لأن ما أخرجه الإنسان لله لا يعود فيه، هذا إذا قبض الإنسان الهبة، أما قبل قبضها فهذا لا يحرم عليه أن يعود، لكن يوفي بوعده، كما لو قال شخص لآخر: سوف أعطيك ساعة مثلًا، ولكنه لم يُسلّمها له، فله أن يرجع لكن ينبغي أن يفي بوعده، لأنه إن لم يفِ تحلى بخصلة من خصال المنافقين.





## ٢٨٧- مالُ اليتيم

اليَتامَى: هم الذين مات آباؤهم قبل البلوغ سواء كانوا ذكورًا أو إناثًا، وهؤلاء محل الرفق والعناية والرحمة والشفقة، لأنهم كسرت قلوبهم بموت آبائهم، وليس لهم عائل إلا الله.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠].

روى ابن مردوديه عن أبي برزة مرفوعًا: «**يُبْعَثُ يَوْمَ القِيَامَةِ القَوْمُ مِنْ قُبُورِهِمْ تَأَجَّجُ أَفْوَاهِهِمْ نَارًا**». قِيلَ: يَا رَسُولَ الله، وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾**». وروى أيضًا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُحَرِّجُ مَالَ الضَّعِيفَيْنِ؛ المَرْأَةُ وَاليَتِيمُ**».

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢]. أي: كحفظهِ وتثميره.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠]. عن ابن عباس قال، لما نزلتْ: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وَ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء:١٠]، انطلق من كان عنده يتيم، فعزل طعامه من طعامه، وشرابه من شرابه، فجعل يفضل له الشيء من طعامه، فيحبس له حتى يأكله أو يفسد، فاشتد عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فأنزل الله ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠]، فخلطوا طعامهم بطعامهم، وشرابهم بشرابهم. فإذا كان أمامك مشروعان: تريد أن تشغل

مال اليتيم في واحد منهما، فانظر أيهما أقرب إلى المصلحة والربح والسلامة، ولا يحل لك أن تفعل ما هو أسوأ لحظ نفسك، بل انظر للذي هو أحسن، فإن أشكل عليك، هل فيه مصلحة لليتيم أم لا، فأمسك النقود ولا تتصرف، ولا يحل لك أن تُقرض أحدًا من مال اليتامى، لأنه قد يعجز المدين عن الوفاء، كما أنه لا مصلحة لليتيم في ذلك، ومن باب أولى أن لا تستقرضه أنت لنفسك، وبعض أولياء اليتامى يتجرؤون على مال اليتيم لنفسه، ويتصرف فيه، والكسب له، والربح له!



**[١٦١٤]** وعن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ!**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المُوبِقَاتُ: المُهْلِكَاتُ. قال النووي: هذا الحديث فيه: أن أكبر المعاصي الشرك بالله وهو ظاهر لا خفاء فيه، يليه القتل بغير حق، وما سواهما فلها تفاصيل وأحكام تعرف مراتبها، ويختلف أمرها باختلاف الأحوال، والإشراك بالله أنواع كثيرة منها: أن يعظّم الإنسان المخلوق كما يعظم الخالق، وهذا موجود؛ تجده يعظّم رئيسه، أو يعظّم ملكه أو وزيره أكثر من تعظيم الله، إذا قال وزيره أو سيده: افعلْ كذا، وكان وقت الصلاة، ترك وفعل، حتى لو خرج وقتها لا يبالي، وهذا يعني أنه جعل تعظيم المخلوق أعظم من تعظيم الخالق.

من ذلك؛ أن يحب أحدًا من المخلوقين كمحبة الله أو أعظم، وهذا يوجد في المفتونين بالعشق؛ سواء كان عشق نساء أو شبان مردان، تجد قلبه مملوءًا بمحبة هؤلاء. ومن ذلك الرياء، وهو أمر خفي فإنه من الشرك بالله، يقوم الإنسان يصلي ويزين صلاته لأن فلانًا يراه، أو يتصدق ليراه الناس. ومن ذلك أيضًا أن تأخذ الدنيا لبَّ الإنسان؛ تجد عقله

وفكره وبدنه ونومه ويقظته كلها في الدنيا، تجده دائمًا يفكر ويحسب ماذا كسب اليوم؟ وماذا خسر؟ ولا يبالي بالعبادات وأوقاتها، وكم بقي لصلاة العصر؟ أو صلاة المغرب؟ لأن الدنيا استعبدته! فالحاصل أن من الناس من يشرك بالله وهو لا يعلم، وأنت إذا رأيت الدنيا قد ملأت قلبك، وأنه ليس لك هم إلا هي، تنام عليها وتستيقظ عليها، فاعلم أن في قلبك شِركًا.

والنفس التي حرم الله قتلها أربع نفوس: المسلم، والذّميّ، والمعاهد، والمستأمن، أما المسلم فظاهر. وأما الذمي فهو الذي يعيش بيننا في بلدنا من أهل الكتاب أو غيرهم يدفع الجزية لنا ونحميه ونحترمه. وأما المعاهد فهو الذي بيننا وبينهم عهد وإن كانوا في بلادنا، كما جرى بين النبي ﷺ وبين قريش في صلح الحديبية. وأما المستأمن فهو الذي يدخل لبلادنا بأمان إما لكونه تاجرًا أو لأنه يريد أن يبحث عن الإسلام ويعرفه. أما الحربي فهو الذي بيننا وبينه حرب وليس بيننا وبينه عهد ولا ذمة ولا أمان، فهذا يحل قتله، وهذا لا عهد له ولا ذمة.

وقد يكون من الحق أن تُقتل النفس وهي محترمة؛ مسلم أو ذمي أو معاهد أو مستأمن، مثل قول الرسول ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ؛ الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**». الأول: الزَّاني: إذا زنى الإنسان وهو ثيب قد تزوج فإنه يرجم بالحجارة، لا تكون كبيرة تقضي عليه بسرعة ولا صغيرة تشق عليه، يرجمونه حتى يموت. والثاني: النفس بالنفس؛ إذا قتل الإنسان شخصًا عمدًا. والثالث: التارك لدينه المفارق للجماعة، قيل إن هذا هو المرتد، يعني بعد أن كان مسلمًا ترك الدين.

«**قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**». يعني: أن يقذف المرأة المؤمنة بأن يقول إنها زانية أو قحبة أو عاهرة وما أشبه ذلك، والقائل يُجلد ثمانين جلدة ولا تقبل شهادته، ويكون من الفاسقين، ومثلها أيضًا قذف المؤمن كالذي يقذف المرأة.





## ٢٨٨- الرِّبا

الرِّبا: هو الزيادة أو التأخير، لأنه إما زيادة في شيء على شيء وإما تأخير قبض. والربا حرام بالكتاب والسنة والإِجماع، وهو أنواع، بعضها أشد من بعض، وهو من أكبر الكبائر، ومن استحله فهو كافر، مخلد في النار. قال ابن عباس: يقال يوم القيامة لآكل الربا: خذ سلاحك للحرب. ويعتقد كثيرٌ من الناس أن الرِّبا لا يشمل من الأموال إلا النّقود التي يتعاملون بها، إلا أنَّ هذا الاعتقاد خاطئٌ؛ حيث تتنوّع الأموال الربويّة بتنوُّع التّعاملات البشريّة بين الناس، حتّى إنّها ربّما تشمل غالب ما يجري التّعامل فيه بينهم. وذكر النبي ﷺ أن الربا يكون في ستة أصناف: الذهب، والفضة، والبر (القمح)، والشعير، والتمر، والملح. والنّقود الورقيّة تشترك مع الذّهب والفضّة في كون اسمها نقدًا،فإذا بعت شيئًا بجنسه فلا بد من أمرين: التساوي والتقابض قبل التفرق، فإذا بعت ذهبًا بذهب لا بد أن يكون سواء في الميزان، وأن يكون القبض من الجانبين قبل التفرق، وكذلك إذا بعت الفضّة والبرّ والشعير والتمر والملح، وإن بعته بغير جنسه فلا بد من التقابض قبل التفرق، ولا يشترط التساوي.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة:٢٧٥-٢٧٨]. فالشيطان يسلط عليه، ويبقى الإنسان يبطش بيديه ورجليه ويتخبط. والمعنى الآخر أنهم يقومون من القبور كأنهم مجانين، أو أنهم يقومون في الدنيا وكأنهم مجانين من شدة طمعهم وجشعهم. والصحيح أن الآية تحمل عليها جميعًا، يعني أنهم في الدنيا يتخبطون وفي الآخرة كذلك.

تجد الفقير المسكين يهون عليه أن يستدين فتتراكم عليه الديون، حتى إن بعض السفهاء يستدين من أجل كماليات غير الضرورية، بعضهم يستدين من أجل أن يشتري سيارة جديدة لا يملك ربع ثمنها! أو يفرش درج العمارة بالسجاد! هل هناك ضرورة؟

لكن الشيطان يُغريه، ولم يعلم هذا المسكين أن الذي له الدين لا يرحمه إذا حل الأجل، وسوف يطالبه بالوفاء أو بالحبس، كما هو الواقع عند كثير من الناس، يكون عنده سيارة تساوي عشرين ألفًا وقد مشّت حاله، يقول: أنا أشتري سيارة بثمانين ألفًا! يقول آخذها بالتقسيط! أو يتحيّل كما يفعل بعض الناس، يأتي المعرض يقول: بكم السيارة الفلانية؟ يقول له: بكذا وكذا، ويذهب إلى التاجر أو البنك ويقول له اشتريها وبعها عليّ! فما الفائدة؟ كذب على الله، يخادعون الله، لو سألنا هذا التاجر ماذا تقصد؟ هل تقصد الإحسان لهذا الرجل؟ قال أبدًا ولا بيني وبينه معرفة! أنا أقصد الربح والزيادة، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾، هؤلاء قاسوا قياسًا فاسدًا، فقالوا: لا فرق! فبيّن الله أنه لا قياس مع الحكم الشرعي، وأنهما ليسا سواء، ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ﴾، أي: يغفر له كل ما سلف، أما ما بقي فليس له، ولهذا أعلن الرسول ﷺ في حجة الوداع، أعلن إعلانًا إلى يوم القيامة قال: رِبَا الجاهلية موضوع، ولهذا وضع وأسقط أول ربًا وهو ربا العباس بن عبد المطلب عمّه، هكذا الحكم، فأول ما يبدأ السلطان بأقاربه خلاف عادة الناس اليوم، نجد أقارب السلطان عندهم حماية دبلوماسية، كذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا نهى الناس عن شيء جمع أهله وأقاربه، وقال: نهيت الناس عن كذا وكذا، وإن الناس ينظرون إليكم نظر الطير إلى اللحم، والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه فعله لأضعفنّ عليه العقوبة، يعاقبه مرة ومرتين؛ حتى لا يقال هذا الرجل استغل الحكم كي يقي أقاربه، ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد أن تبين له الحكم ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، هذه عقوبتهم في الآخرة، أما العقوبة في الدنيا فإنه: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا﴾، أي يتلفه، لكن التلف نوعان: تلف حسي كأن يسلط على ماله آفة أو مرض، أو يمرض أهله، أو يُسرق أو يحترق، أو محق معنوي، يكون المال عنده أكياسًا لكنه كالفقير لا ينتفع به، هذا أسوأ حالًا من الفقير، لأن ماله يدّخره

لورثته، أما هو فلم ينتفع به، وهذا نسميه محقًا معنويًّا، ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ أي ينمّيها ويزيدها، ويُضاعف له فيها، وينزل البركة فيما بقي من ماله، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ أي: كفور القلب، أثيم القول والفعل، وأن المرابي لا يرضى بما قسم الله له من الحلال، ولا يكتفي بالمباح، بل يسعى في أكل أموال الناس.

وقد ابتلي بعض الناس بالقياس الفاسد مع النص فقال: إذا أودعت مالك في بنوك أجنبية في أمريكا أو في إنجلترا أو في فرنسا أو في أي بلد، فإنك تأخذ الربا وتتصدق به! سبحان الله، يلطخ الإنسان يده بالدم والنجاسة ثم يذهب ويغسلها! لماذا لا يتجنب النجاسة من الأول؟ ما حجتنا عند الله يوم القيامة في قوله: ﴿فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ﴾، ولم يقل: خذوا الربا وتصدقوا به! وإذا اتبعنا الشرع جعل الله لنا من كل همٍّ فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا، أما إذا ذهبنا نقيس بعقولنا فهذا غلط عظيم.

**[١٦١٥]** وعن ابن مسعود ﵁ قال: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ. رواهُ مسلم، وزاد الترمذي وغيره: وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ.

في هذا الحديث: تغليظ شديد؛ لأنه لعن الكاتب والشاهدان، مع أنه لا يصيبهما منه شيء، حتى موكله الذي يُعطي الربا مع أنه مظلوم، وذلك لأنه أعانه على الإثم. واللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ثم إن اللعنة تلحق شاهدي الربا وكاتبه، مع أنهما ليس لهما منفعة، لكن أعانوا على تثبيت الربا، فهؤلاء الخمسة كلهم ملعونون، وفي هذا الحديث دليل أن المعين على الإثم مشارك فيه.





## ٢٨٩- الرِّيَاء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة:٥].

﴿حُنَفَاءَ﴾: أي مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾، أي: المِلَّة والشريعة المستقيمة، فالحذر الحذر من الرياء، والحذر الحذر من ترك العبادة خوفًا من الرياء، لأن بعض الناس يأتيه الشيطان يقول له: لا تقم تصلي، لا تقرأ، من أجل ماذا؟ من أجل أن يصدّه عن هذا العمل، فعلينا ألا ندع للشيطان مجالًا، ولا يضرّنا هذا، عليك أن تدحض الشيطان، وأن تستعيذ بالله منه، وأن تمض في سبيلك وألا تفتر، وفي النهاية فإنه يخنس ويتراجع، وكون الناس يثنون على الإنسان، هذا من عاجل بشرى المؤمن، لكن هذا بعد أن ينتهي من العبادة، يقول الحمد لله الذي جعلني محل الثناء، ولو أن الإنسان فعل العبادة ولما انتهى منها سُرَّ بها، فهل نقول هذا السرور إعجاب يبطل العمل؟ لا، هذا لا يضرُّه، ولهذا جاء في الحديث: «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَٰلِكَ الْمُؤْمِنُ».

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤].

المراد بالرياء هنا: أن يتعبد الإنسان لربه، ولكن يحسن العبادة من أجل أن يراه الناس، فهو يريد أن يمدحوه في عبادته، فيقولون: فلان كثير الصوم، وكثير الصدقة، والأصل أن يصلي إخلاصًا لله، ويتصدق، ويصوم ويحجّ إخلاصًا لله، ويساعد الناس إخلاصًا لله، لأنه إنما يريد بعبادته وجه الله والجنة، فإذا أعطيت الفقير صدقة فلا تمنّ عليه، وتبقى كل ساعة تقول: أنا أعطيتك، لأن هذا يبطل الأجر. والأذى بأن تؤذي الفقير، تتسلط عليه، وترى أنك فوقه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

قال ابن كثير: ﴿يُرَاؤُونَ النَّاسَ﴾: أي: لا إخلاص لهم، ولا معاملة مع الله، بل إنما يشهدون الناس تقية لهم ومصانعة، ولهذا يتخلَّفون كثيرًا عن الصلاة التي لا يُرون فيها غالبًا، كصلاة العشاء، وصلاة الصبح.

**[١٦١٦]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**». رواه مسلم.

هذا الحديث يسمى عند العلماء حديث قدسي، وهو الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه، فيقول: قال الله تعالى كذا.

والمرائي في الحقيقة جعل العبادات وسيلة لتحصيل أغراض نفسه الدنيئة، وهو تلاعب بالشريعة، واستهانة بمقام الألوهية، ووضع للأمور في غير مواضعها، فالنفوس مجبولة على حب الثناء عند الناس، وقد يرائي الإنسان بإظهار بعض الأمور التي تدل على مبالغته واجتهاده في العبادة، فربما بإظهار الضعف والنحول واصفرار الوجه وذبول الشفتين، ليستدل بذلك على الصيام، وقد يحرص مثلًا على إبراز أثر السجود في جبهته.

وأما عن أمثلة الشرك الأكبر في واقعنا المعاصر، فلعلّ من أكثرها ظهورًا: تحكيم القانون الوضعي المناقض للشريعة، وجعله شرعًا عامًّا ومنهاجًا يسير عليه الناس.

ومن أهم صور ومظاهر الشرك الأكبر المنتشرة في بلاد المسلمين:

أولًا: التعبد لغير الله، وأكثرها انتشارًا دعاء غير الله تعالى من الأموات سواء كانوا أولياء صالحين أو غير ذلك.

ثانيًا: عبادة القبور بالاستغاثة بمن فيها من الموتى، أو الطواف بها، وما يلحق بذلك أثناء الطواف من التمسح بها أو تقبيل أعتابها وتعفير وجه بعضهم بالتراب أو السجود لها

أو عندها، فتراهم يقفون عندها متذللين متضرعين خاشعين سائلين حاجاتهم من شفاء مريض أو تيسير حاجة أو الحصول على وظيفة أو ولد، وكل ذلك من الشرك الأكبر، لأن هذه حاجات لا يقدر عليها الأموات.

ثالثًا: من مظاهر الشرك الأكبر: الذبح لغير الله، سواء ذبح لولي أو لقبر أو لنبي أو لجني أو لغيرهم، فمن ذبح لغير الله؛ لا يجوز الأكل منها، وهناك أناس يذبحون للجن حيث أنهم إذا اشتروا سيارة أو سكنوا بيتًا جديدًا، ذبحوا عنده أو على أعتابه ذبيحة خوفًا من أن يؤذيهم الجن فيتقربون لهم بها، لأن الضار والنافع هو الله وحده.

رابعًا: ومن أهم مظاهر الشرك الأكبر التي ظهرت وانتشرت بين كثير من الناس في العصر الحديث، ظهور التشريعات والقوانين الأوربية بدلًا من التشريعات الإسلامية، أو اعتقاد أن أحدًا يملك الحق في التحليل والتحريم غير الله، أو قبول التحاكم إلى المحاكم والقوانين الوضعية عن رضًا واختيار، مستحلًّا لذلك أو معتقدًا بجواز ذلك.

خامسًا: ومن مظاهر الكفر التي استهان بها الناس: السحر والكهانة والعرافة. قال ﷻ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيَمانُ وَلٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]. وكسب الساحر حرام، وحكم الساحر القتل، ويشارك الساحر في الإثم الذين يذهبون إليه ليعمل لهم سحرًا، يعتدون به على الآخرين أو ينتقمون منهم، وكذلك لا يُلجأ للسحرة لفك الذي عمله ساحر آخر، بل الواجب طلب الشفاء واللجوء إلى الله، مثل المعوذات وغيرها من كلام الله في القرآن والأدعية الثابتة الصحيحة.

سادسًا: من أخطر صور الشرك؛ شرك المحبة أو الغلو في محبة المخلوقين.

قال ﷻ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُم كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

فمَن أحب إنسانًا أو عملًا أو وظيفة أو نظامًا أو غيره، حتى أصبح يذلّ له ويقدّم طاعته وحبّه على حب الله وطاعته، ويقدم أمره ونهيه على أمر الله ونهيه، وقع في هذا النوع من الشرك من دون أن يشعر، فليحذر المسلم الغلو في محبة أي شيء كان، وليعلم أن كل طاعة وكل محبة يجب أن تكون مقيدة بأن لا تتعارض مع طاعة الله تعالى ومحبته.



**[١٦١٧]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ:**

**رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلٰكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلٰكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ! وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ؛ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ.**

**وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ**». رواه مسلم.

فمثلًا لو أن إنسانًا تعلّم علم العقائد لأجل أن يقال فلان عالم في العقيدة، أو لأجل أن يوظف في منصب أو ما أشبه ذلك، أو تعلّم علم الفقه أو علم التفسير أو علم الحديث ليرائي به الناس، ويظهر أمامهم بأنه رجل عالم، فإنه لا يجد ريح الجنة، يعني يحرم دخولها، وأما العلوم التي ليست مما يبتغى بها وجه الله، كعلوم الدنيا، كعلوم الحساب والهندسة

والبناء، لو تعلّمه الإنسان يريد عرضًا من الدنيا فلا شيء عليه، لأن هذا العلم دنيوي يراد للدنيا، وهذا دليل على أنه يجب على طالب العلم ألا يبالي، أقال الناس أنه عالم أو شيخ أو أستاذ أو مجتهد، لا يهمه هذا الأمر، لا يهمه إلا رضا الله، وحفظ الشريعة وتعليمها، ورفع الجهل عن نفسه وعن عباد الله، وأما من تعلم ليقال إنه عالم، وإنه مجتهد، وإنه علامة، وغيرها من الألقاب، فهذا عمله حابط، وهو أول من يقضى عليه ويسحب على وجهه في النار، ويُكذّب يوم القيامة ويوبّخ.

والمقاتل في سبيل الله له نوايا متعددة، فمن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله، ومن قاتل وطنية وحمية على قومية، أو لينال دنيا، فهو في سبيل الطاغوت، لكن لو قاتل الإنسان قومية أو وطنية، ولكن من أجل حماية وطنه المسلم أن يعتدي عليه الكفار فهذا في سبيل الله، ولو أن الإنسان قاتل ليُقتل فقط، هل يكون في سبيل الله؟ الجواب: لا، وهذا نيّة كثير من الشباب يذهبون لأجل أن يُقتلوا ويقولوا نحن نقتل شهداء، فيقال لا، لا تذهبون لأجل أن تقتلوا، لكن لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا، وحينئذ إن قتلتم فأنتم في سبيل الله.

**[١٩١٨]** وعن ابن عمر ﵄، أَنَّ نَاسًا قَالُوا لَهُ: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَى سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ! قَالَ ابْنُ عُمَرَ ﵄: كُنَّا نَعُدُّ هٰذَا نِفَاقًا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ. رواه البخاري.

وحديث أبي هريرة ﵁: «**إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ، وَهٰؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**».

أما كتمان حال الناس في مجلس ولي الأمر فهذا لا يجوز، لأن الحاكم ليس شمسًا تدخل كل بيت، ومن حقّه أن يعرف ما يجري من واقع ما يحدث، وكذلك أيضًا مدير

المدرسة أو عميد الكلية يجب إذا رأينا طالبًا منحرفًا في أخلاقه أو سلوكه أن تنصحه أولًا، وإلا يجب أن ترفع أمره، لأن مثل هذا جرثومة فاسدة يفسد المدرسة والمجتمع.



**[١٦١٩]** وعن جُندب بن عبد الله بن سفيان ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**سَمَّعَ**»: أظهر عمله للناس رِياءً. «**سَمَّعَ اللهُ بِهِ**»: فَضَحَهُ يَومَ القِيامَةِ. «**مَنْ يُرَائِي**»: مَنْ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيَعْظُمَ عِنْدَهُمْ. «**يُرَائِي اللهُ بِهِ**»: يُظْهِرُ سَرِيرَتَهُ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ. ومن حديث ابن مسعود زاد فيه: «**وَمَنْ تَطَاوَلَ تَعَاظُمًا خَفَضَهُ اللهُ، وَمَنْ تَوَاضَعَ تَخَشُّعًا رَفَعَهُ اللهُ**». وفي الحديث: استحباب إخفاء العمل الصالح، لكن قد يستحب إظهاره لمن يقتدى به، ومنه حديث: «**لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعْلَمُوا صَلَاتِي**». ومن حديث أنس قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يقرأ ويرفع صوته بالذكر، فقال: «**إِنَّهُ أَوَّابٌ**»، قال: فإذا هو المقداد بن الأسود. أخرجه الطبري. وحديث أبي هريرة قال: قام رجل يصلي فجهر بالقراءة، فقال له النبي ﷺ: «**لَا تُسْمِعْنِي وَأَسْمِعْ رَبَّكَ**». أخرجه أحمد.



**[١٦٢٠]** وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أبو داود بإسنادٍ صحيحٍ.

في الحديث: وعيد شديد لمن تعلّم العلم الشرعي لأجل الدنيا فقط، فإن قال قائل: كثير من الطلبة الآن يدرسون في الكليات يريدون الشهادات العليا. فيقال: إنما الأعمال بالنيات، إذا كان يريد الوظيفة والمرتبة فقط فهذا أراد به عرضًا من الدنيا، وإن أراد بذلك

أن يتبوَّأَ مكانًا ليكون مدرسًا أو مديرًا ينفع الناس فهذا خير، لأن الناس أصبحوا الآن لا يقدّرون الإنسان بعلمه، وإنما يقدرونه بشهادته، ولو بقي من دون شهادة مهما بلغ من العلم لن يجعلوه معلمًا.



## ٢٩٠- ما يتوهَّم أنَّه رِياءٌ وما هو برِياءٍ

**[١٦٢١]** وعن أبي ذر ﵁ قال: قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ**». رواه مسلم.

وصورة المسألة التي في الحديث، أن الرجل يعمل عملًا صالحًا لله لا يبالي أَعِلم به الناس أم لم يعلَموا، أَرَأوه أم لم يروه، أَسَمعوه أم لم يسمعوه، لكنه يعمل خالصًا لله، ثم إن الناس يحسدونه على ذلك يقولون: فلان كثير الخير، كثير الطاعة، كثير الإحسان إلى الخلق، فقال تلك عاجل بشرى المؤمن، وهو الثناء عليه، لأن الناس إذا أثنوا على الإنسان خيرا فهم شهداء الله في أرضه، ومَنْ أخلص العمل لله أطلق الله الألسنة بالثناء عليه، وأنه من جملة أولياء الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [يونس:٦٢-٦٤].



## ٢٩١- النَّظر إلى المرأة الأجنبيَّة والشَّابِّ الأمرد

المرأة الأجنبية، هي التي لا يحرم عليك نكاحها، سواء أكانت قريبة أم بعيدة، والأمرد الحسن هو الشاب الذي لم تنبت لحيته، ولم يكن على شاربه شعر ثخين، فيحرم النظر مطلقًا، مثلًا لا ينظر إلى بنت عمه ولا بنت خاله، وكذلك لا ينظر إلى أخت زوجته، ولا ينظر إلى زوجة أخيه وهلمّ جرَا، أمر بغض البصر عنها وحفظ الفرج، وهذا يدل على أن عدم غض البصر سبب لعدم حفظ الفرج، وأن الإنسان إذا أطلق بصره تعلق قلبه بهذه الأشياء، ولهذا يقال إن النظر بريد الزنا، والإنسان مسؤول عن السمع أيضًا، هل استمع إلى امرأة أجنبية يتلذذ بصوتها؟ وكذلك البصر، وكذلك الفؤاد، فالواجب على الإنسان حفظ نفسه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور:٣٠].

قال ابن كثير: هذا أمر من الله لعباده أن يغضُّوا من أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع البصر على مُحَرَّم من غير قصد، فليصرف بصره عنه سريعًا، كما رواه مسلم في صحيحه، من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرني أنْ أصرف بصري.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الرجل يدخل على أهل بيت وفيهم المرأة الحسناء، فإذا غفلوا لحظ إليها، فإذا فطنوا غض بصره عنها، وقد اطلع الله من قلبه، أنه ودَّ أنْ لو اطلع على فرجها.

أما المرأة إذا كانت من محارمك، التي يحرم عليك نكاحها، فالنظر إليها جائز؛ كالنظر إلى وجهها وإلى رأسها وإلى كفيها وذراعيها وساقيها وقدميها؛ إلا أن يخاف الإنسان الفتنة على نفسه، فإنه لا ينظر.



**[١٦٢٢]** عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكُ ذٰلِكَ لَا مَحَالَةَ: العَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِناهُ الكَلَامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، وَالقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذٰلِكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

يعني أن الرجل إذا نظر إلى امرأة ولو لغير شهوة، وهي ليست من محارمه، فهذا نوع من الزنا وهو زنا العين، والأذن زناها الاستماع، يستمع إلى كلام المرأة ويتلذذ به، وكذلك اليد زناها البطش، يعني العمل باليد من اللمس، والرِّجل زناها الخطا، يمشي إلى محل الفواحش، وزنا القلب يهوى ويميل إلى هذا الأمر، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه، يعني أنه إذا زنى بالفرج فقد صدق زنا هذه الأعضاء، وإن لم يزنِ بفرجه وحفظ نفسه، يكون تكذيبًا لزنا هذه الأعضاء كلها.



**[١٦٢٣]** وعن أَبي سعيد الخُدريِّ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**»، قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عنِ المُنْكَرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

كانوا يجلسون على أفنية البيوت كما يفعل كثير من الناس اليوم، ويجتمع إليه جيرانه يتحدثون، وكلما مرّ إنسان صار يراقبه من حين أن يقبل إلى أن يدبر، ولا سيما إذا مرت امرأة، إن التركيز على المارّ يوجب عليه أن يخجل ويتأذى، فنهى الرسول عن ذلك.



**[١٦٢٤]** وعن أبي طلحة زيد بن سهل ﵁ قال: كُنَّا قُعُودًا بِالأَفْنِيَةِ نَتَحَدَّثُ فِيهَا، فَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقَامَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**مَا لَكُمْ وَلِمَجَالِسِ الصُّعُدَاتِ؟ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ**»، فقُلْنَا: إِنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيْرِ مَا بَأْسٍ، قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ وَنَتَحَدَّثُ، قَالَ: «**إِمَّا لَا، فَأَدُّوا حَقَّهَا: غَضُّ البَصَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الكَلَامِ**». رواه مسلم.

الصُّعُدَاتُ: أَيْ الطُّرُقَاتُ.

في هذا الحديث: من جلس فعليه القيام بها ذكر، وإذا رأى ما يعجبه فليقل: ما شاء الله، وجعل الرسول الكريم غض البصر مقدمًا على حفظ الفرج لأن كل الحوادث مبدؤها من النظر.



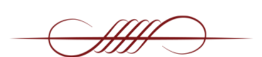
**[١٦٢٥]** وعن جرير ﵁ قال: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفَجْأَةِ فقال: «**اصْرِفْ بَصَرَكَ**». رواه مسلم. وروى أبو داود عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعليٍّ: «**لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى، وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةُ**».

فقد يسير الإنسان في طريق، أو يكون في مكان به آخرون، فيقع بصره على ما حرّم الله تعالى بغير قصد منه، فهذا ما يسمى بنظر الفجأة، والواجب في هذه الحالة أن يصرف بصره، وهذا أنفع علاج له وأسرعه؛ أن يصرف العبد بصره، ولا يستديم النظر، فإن مَن استدام النظر أثم. وقال بعضهم: من حفظ بصره أورثه الله نورًا في بصيرته، ولما قال رجل للحسن ﵀: إن نساء العجم يكشفن صدورهن ورؤوسهن، قال: اصرف بصرك. وذكر الإمام ابن القيم ﵀ عدة فوائد، ومنها: تخليص القلب من ألم الحسرة؛ فإن من أطلق نظره دامت حسرته، وأنه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويسهّل عليه أسبابه، وذلك بسبب نور القلب، وأنه يورث القلب سرورًا وفرحة وانشراحًا أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، فلذة العفة أعظم من لذة الذنب، كما أنه يسد عن العبد بابًا من أبواب جهنم، فإن

النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفاحشة، فمتى غض بصره سلم من الوقوع في الفاحشة، ومتى أطلقه كان هلاكه أقرب، وأنه يخلص القلب من ذكر الشهوة ورقدة الغفلة، فإن إطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدار والآخرة، ويوقع في سكرة العشق، وأنه يقوي العقل ويزيده ويثبته.

**[١٦٢٦]** وعن أُمِّ سَلَمَةَ ﵂ قالت: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَة، فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَذٰلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بِالحِجَابِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**احْتَجِبَا مِنْهُ**»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، أَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى، لَا يُبْصِرُنَا، وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا؟ أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟!**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

فيه مبالغة في الستر لأمهات المؤمنين، أما غيرهن من النساء فلا يجب عليها الحجاب لحضور الأعمى، وإنما حرّم عليها النظر إليه إذا كان أجنبيًّا منها، ونظرُ عائشة إلى لعب الحبشة في المسجد، لم يكن لأبدانهم إنما هو للعبهم وآلاتهم. قال الإمام أحمد: هذا الحديث لا يصح عن النبي ﷺ، وعلى هذا فلا يحرم على المرأة أن تنظر إلى الرجل ولو كان أجنبيًّا، بشرط ألا يكون نظرها بشهوة أو لتمتّع، يعني نظر عادي، ولذلك نجد الرجال يمشون في الأسواق كاشفين وجوههم، والنساء ينظرون إلى الوجوه، وكذلك النساء في عهد النبي ﷺ يحضرن إلى المسجد، ولا يحتجب الرجال عنهن، فالصحيح أن المرأة لها أن تنظر إلى الرجل، لكن بغير شهوة ولا استمتاع أو تلذذ، وأما الرجل فيحرم عليه ذلك.



**[١٦٢٧]** وعن أبي سعيد ﵁: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا المَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ المَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي المَرْأَةُ إِلَى المَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الوَاحِدِ**». رواه مسلم.

يعني لو انكشفت عورة المرأة بريح أو بقضاء حاجة، فإنه لا يحل للأخرى أن تنظر إلى عورتها وهي ما بين السرة والركبة، وكذلك الرجل مع عورة الرجل، وهذا الحديث تشبّث به بعض النساء، فقلن: إن المرأة لا يلزمها أن تستر من بدنها أمام المرأة إلا ما بين السرة والركبة، وهذا فهم خاطئ، أما الرجل يجوز له أن يكشف الصدر والكتف.



## ٢٩٢- الخَلْوَةُ بالأجنبيَّة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب:٥٣]. قال البغوي: أي من وراء ستر، فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله ﷺ منتقبة أو غير منتقبة، وأما غيرهن من النساء، فالحجاب في حقهن مستحب لا واجب، فالحجاب واجبٌ على المؤمنة البالغة، تستُر به كامل جسدها ما عدا الوجه والكفَّين على قول جمهور الفقهاء، ولا يحلُّ لها نزع حجابها وكشف عورتها على غير المحارم إلّا لضرورةٍ، مثل: التَّداوي والعلاج، أو إدلاء الشَّهادة أمام القاضي، وما أشبه ذلك.

**[١٦٢٨]** وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ!**»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «**الحَمْوُ المَوْتُ!**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«**الحَمُو**»: قَرِيبُ الزَّوجِ؛ كَأَخِيهِ وَابْنِ أَخِيهِ وَابْنِ عَمِّهِ، مما جرت العادة بالتساهل فيه، فيخلو الأخ بامرأة أخيه! يعني كما أن الإنسان يفرّ من الموت، فيجب أن يفر من دخول أقاربه على زوجته وأهله بلا محرم، وهذا يدل على التحذير الشديد، فشبّهه بالموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي، فإن الخلوة بقريب الزوج أكثر خطرًا من الخلوة بغيره، والشر يتوقع منه أكثر من غيره، والفتنة به أمكن، لتمكنه من الوصول إلى المرأة والخلوة بها، فلا يستنكرهم أحد، وإذا وقفوا عند الباب يستأذنون لم ينكر عليهم أحد، بخلاف الأجنبي، وبعض الناس يتهاون في هذا الأمر؛ تجد عنده زوجة وله أخ بالغ فيذهب الرجل إلى العمل ويترك زوجته وأخاه في البيت وحدهما، وهذا لا يجوز، لأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولكن كيف الخلاص إذا كان البيت واحدًا؟ يجب أن يفصل البيت ويجعل له

بابين، ولا يجوز أن تبقى الأبواب متصلة، لأنه قد يدخل عليها فيغتصبها، وربما يُغريها حتى توافق، وتكون كأنها زوجة له، يدخل عليها ويخرج ولا يبالي.

**[١٦٢٩]** وعن ابن عباس ﵄: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية الطبراني والبيهقي: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا رَجُلٌ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**». وأخرجه الطبراني من حديث أبي هريرة بلفظ: «**لَا يَخْلُوَنَّ رَجَلٌ بِامْرَأَةٍ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا**».

والخلوة في السيارة أقوى من الخلوة في البيت، فهو يستطيع أن يتفاهم معها، ثم يذهبان إلى أي مكان، ويفعل بها الفاحشة، فمن الذي يمنعه؟ ويُخشى أن يكون الذي يمكّن أهله من ذلك أن ينطبق عليه شيء من وصف الدَّيُّوث، وهو الذي يقر أهله على الفاحشة.



**[١٦٣٠]** وعن بُريدَةَ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِيْنَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ حَتَّى يَرْضَى**»، ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «**مَا ظَنُّكُمْ؟!**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: تغليظ إثم الخالف للمجاهد في أهله بالخيانة، وأنه يأخذ من حسناته ما شاء، وطبعُ الإنسانِ الحرصُ، والظن أنه لا يترك من حسناته شيئًا.





## ٢٩٣- تشبُّه الرِّجالِ بالنِّساء

الرجال يختلفون عن النساء في الخلقة والخلق والقوة والدين وغير ذلك، والنساء كذلك، فمن حاول أن يجعل الرجال مثل النساء، أو أن يجعل النساء مثل الرجال، فقد حادّ الله في قدره وشرعه، لأن الله له حكمة فيما خلق وشرع، ولهذا جاءت النصوص بالوعيد الشديد.

**[١٦٣١]** عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ المُخَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ. وفي رواية: لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ. رواه البخاري.

المُخَنَّثِين: من يشبه خَلْقه النساء في حركاته وكلماته، فإنْ كان ذلك خَلْقيًّا فلا لوم عليه، وعليه تكلف إزالته، فإن تمادى عليه ولم يتكلف إزالته ذُمَّ، وإنْ كان بقصد منه وتكلف له فهو المذموم.

اللَّعن: يدل على أن ما ذُكر من الكبائر، والحكمة في لعن من تشبّه؛ إخراجه الشيء عن الصفة التي وضعها عليه الله، كما أشار إليه ﷺ في لعن الواصلات بقوله: «**المُغَيِّرَاتُ خَلْقَ الله**».

**[١٦٣٢]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَعَنَ رسُولُ الله ﷺ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ المَرْأَةِ، والمَرْأَةَ تَلْبسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ. رواه أبُو داود بإسناد صحيح.

فإذا تشبّه الرجل بالمرأة في لباسه أو في كلامها أو في مشيتها أو في غير ذلك، فإنه ملعون على لسان الرسول محمد ﷺ، ونحن نلعن من لعنه رسول الله ﷺ، كذلك المرأة إذا تشبّهت بالرجال فهي ملعونة، ومن ذلك البنطلون، فإن به تتبين أفخاذها وسيقانها وما

أشبه ذلك، فلهذا نقول: لا يحل للمرأة أن تلبس البنطلون حتى عند زوجها، لأن العلة التشبه وليست العلة العورة.

**[١٦٣٣]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**». رواه مسلم.

«**كَاسِيَاتٌ**»: قِيلَ مَعْنَاهُ: تَسْتُرُ بَعْضَ بَدَنِهَا، وَتَكْشِفُ بَعْضَهُ إِظْهَارًا لِجَمَالِهَا وَنَحْوِهِ، وَقِيلَ: تَلْبَسُ ثَوْبًا رَقِيقًا يَصِفُ لَوْنَ بَدَنِهَا.

«**مَائِلَاتٌ**»: أَيْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَمَا يَلْزَمُهُنَّ حِفْظُهُ.

«**مُمِيلَاتٌ**»: أَيْ يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ المَذْمُومَ، وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشِينَ مُتَبَخْتِرَاتٍ، مُمِيلَاتٌ لِأَكْتَافِهِنَّ.

«**رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ**»: أَيْ يُكَبِّرْنَهَا وَيُعَظِّمْنَهَا بِلَفِّ عِمَامَةٍ أَوْ عِصَابَةٍ أَوْ نَحْوِهَا.

قال النووي: وهذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان في هذا الزمان، أي في زمانه في القرن الثامن عشر، فماذا نقول في زماننا نحن، أي بعد سبعمائة سنة؟!

«**يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ**»: قال العلماء: وهؤلاء هم (الشرطة) معهم سياط كأذناب البقر، يعني سوط طويل يضربون بها الناس بغير حق، أما بحق فإنه يُضرب؛ ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ**﴾، اجلدوهما تمامًا لا ترأفوا بهما.



**[١٦٣٤]** عن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِالشِّمَالِ**». رواه مسلم.

**[١٦٣٥]** وعن ابن عمر ﵄: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا**». رواه مسلم.

ومن مشابهة الشيطان؛ الأخذ بالشمال والإعطاء بالشمال، ومع الأسف أن كثيرًا من الناس ومن طلبة العلم الشرعي ومن أهل الخير والعبادة، يأخذ بشماله ويعطي بشماله، وهو خلاف المروءة وخلاف الأدب، اللَّهم إلا إذا كانت اليمين مشغولة؛ تحمل فيها شيئًا ثقيلًا لا يمكن أن تنقله إلى اليد اليسرى.

**[١٦٣٦]** وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارَى لَا يَصْبُغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المُرَادُ: خِضَابُ شَعْرِ اللِّحْيَةِ وَالرَّأْسِ الأَبْيَضِ بِصُفْرَةٍ أَوْ حُمْرَةٍ، وَأَمَّا السَّوَادُ، فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ.

في الحديث: استحباب صبغ الشعر، وكان النبي ﷺ يصبغ شعره بالحناء.



## ٢٩٥- خِضابُ الشَّعرِ بسَوادٍ

**[١٦٣٧]** عن جابر ﷺ قال: أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ وَالِدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ بَيَاضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غَيِّرُوا هٰذَا وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ**». رواه مسلم.

«**الثَّغَامَةُ**»: نوع من النبات أبيض يسمى العرسج أو العوسج.

«**اجْتَنِبُوا السَّوَادَ**»: دليل على أنه يمنع اللون الأسود، لأن السواد يعيد الإنسان شابًّا، فكان ذلك مضادة لفطرة الله ﷻ وسنّته في خلقه، وأما بقية الأصباغ فلا بأس بها، وفي هذا دليل على أن الأفضل أن الإنسان يغيّر الشّيب، يصبغه، لكن بغير الأسود، إما بالأصفر كالحناء أو بالأصفر إذا مزج بالأسود ظهر لون بني، إلا السواد.

قال الحافظ: الخضاب تغيير لون مشيب الرأس واللحية.

ولأحمد بسندٍ حسنٍ عن أبي أمامة قال: خرج رسول الله ﷺ على مشيخة من الأنصار بيضٌ لحاهم، فقال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، حَمِّرُوا وَصَفِّرُوا، وَخَالِفُوا أَهْلَ الكِتَابِ**»، إلى أن قال: «**وَالأَوْلَى كَرَاهَةُ الصَّبْغِ بِالسَّوَادِ**». ومنهم من فرَّق في ذلك بين الرجل والمرأة، فأجازه لها من دون الرجل.





## ٢٩٦- القَزَعُ

القَزَعُ: حَلْقُ بعض الرأس من دون بعض، سواء كان من جانب واحد أو من كل الجوانب، وإباحة حَلْقِهِ كُلِّهِ للرجل من دون المرأة.

**[١٦٣٨]** عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ عن القَزَعِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



**[١٦٣٩]** وعنه قال: رأى رسُولُ الله ﷺ صَبِيًّا قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعْرِ رَأْسِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذٰلِكَ، وَقَالَ: «**احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أَوِ اتْرُكُوهُ كُلَّهُ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

قال النووي: وقد أجمع العلماء على كراهة القزع، إلا أنْ يكون لمداواة ونحوها، وقال الحافظ: واختلف في علّة النهي، فقيل: لكونه يشوّه الخلقة، وقيل لأنه زيّ الشيطان، وقيل: لأنه زيّ اليهود، وقد جاء هذا في رواية لأبي داود.

**[١٦٤٠]** وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَر ثَلَاثًا، ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: «**لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ اليَوْمِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُوا لِي بَنِي أَخِي**»، فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: «**ادْعُوا لِي الحَلَّاقَ**»، فَأَمَرَهُ، فَحَلَقَ رُؤُوسَنَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم.

في هذا الحديث: إباحة حلق رؤوس الصبيان، ودليل على أن اتخاذ الشعر حتى يكثر ويكون ضفرة أو لمة، فهو عادة من العادات ليس بسنة، ولو كان سنة لقال النبي ﷺ اتركوه، لا تحلقوه في الصبي، ولما حلق رؤوس أولاد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، أما لو اعتاده الناس فاتخذه لئلا تشذ على العادة، وإن كانوا لا يتخذونه كما هو معروف الآن في

أهلنا فلا تتخذه، أما شعر البنات لا يحلق لا صغارًا ولا كبارًا، إلا لحاجة أو جروح يجب التداوي منها، كما في الحديث الآتي:

**[١٦٤١]** عن عليٍّ ﷺ قال: نَهَى رسُولُ الله ﷺ أَنْ تَحْلِقَ المَرْأَةُ رَأْسَهَا. رواه النسائي.

وخلاصة الكلام:أنه يحرم على المرأة أن تحلق رأسها من غير ضرورة؛ لأنه مُثْلة، وتغيير لخلق الله، وفيه تشبّه بالرجال.



## ٢٩٧- وَصْلُ الشَّعرِ والوَشْمِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا، لَعَنَهُ اللهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا، وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ﴾ [النساء:١١٧-١١٩].

قال قتادة: ﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ﴾ يعني: تشقيقها، وجعله سِمَةً وعلامة للبحيرة والسائبة والوصيلة. وقال عكرمة: فليغيرن خلق الله بالخصاء، والوشم، وقطع الآذان، وحرم بعضهم الخصاء، وأجازه بعضهم في البهائم؛ لأنَّ فيه غرضًا ظاهرًا. وعن عياض بن حمار قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ، فَجَاءَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ**». رواه مسلم.



**[١٦٤٢]** وعن أسماءَ ﵂: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ ابْنَتِي أَصَابَتْهَا الحَصْبَةُ، فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا، وَإِنِّي زَوَّجْتُهَا، أَفَأَصِلُ فِيهِ؟ فَقَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي روايةٍ: «**الوَاصِلَةَ وَالمُسْتَوْصِلَةَ**».

تَمَرَّقَ: انْتَثَرَ وَسَقَطَ. الوَاصِلَةُ: الَّتِي تَصِلُ شَعْرَهَا، أَو شَعْرَ غَيْرِهَا بِشَعْرٍ آخَرَ. المَوْصُولَةُ: الَّتِي يُوصَلُ شَعْرُهَا. المُسْتَوْصِلَةُ: الَّتِي تَسْأَلُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ لَهَا.

وعن عائشة ﵂ نَحوهُ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: أنَّ وصل الشَّعر من الكبائر.



**[١٦٤٣]** وعن حُمَيدِ بنِ عبد الرَّحْمنِ: أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ ﵁، عَامَ حَجَّ عَلَى المِنْبَرِ، وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعْرٍ كَانَتْ فِي يَدِ حَرَسِيٍّ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ المَدِينَةِ، أَيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟! سَمِعتُ

النَّبِيَّ ﷺ يَنْهَى عَنْ مِثْلِ هٰذِهِ، ويقُولُ: «**إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هٰذِهِ نِسَاؤُهُمْ**». متفق عليه.

قال الحافظ: قوله: وتناول قُصَّة من شعر، القُصَّة: الخصلة من الشعر، وفي رواية قتادة عند مسلم: نهى عن الزور، قال قتادة: يعني ما تكثر به النساء أشعارهن من الخِرَق، وهذا الحديث حجة للجمهور، ويؤيده حديث جابر: زجر رسول الله ﷺ أن تصل المرأة بشعرها شيئًا آخر، أخرجه مسلم، وذهب الليث، ونقله أبو عبيدة عن كثير من الفقهاء: أن الممتنع من ذلك وصل الشعر بالشعر، وأما إذا وصلت شعرها بغير الشعر من خرقة وغيرها، فلا يدخل في النهي.

وفي هذا الحديث: اعتناء الخلفاء وسائر ولاة الأمور بإنكار المنكر، وإشاعة إزالته، وتوبيخ من أهمل إنكاره ممن يتوجه عليه، وفيه: حسن التحذير، فإن السعيد من وُعظ بغيره، وفيه: معاقبة العامة بظهور المنكر.



**[١٦٤٤]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، لَعَنَ الوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالوَاشِمَةَ وَالْمُسْتَوشِمَةَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: أن الوشم من الكبائر، والرجل في ذلك كالمرأة.



**[١٦٤٥]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَعَنَ اللهُ الوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ فِي ذٰلِكَ، فَقَالَ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَهُوَ فِي كِتَابِ الله؟ قَالَ اللهُ تَعَالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر:٧]. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

المُتَفَلِّجَةُ: الَّتِي تَبْرُدُ مِنْ أَسْنَانِهَا لِيَتَبَاعَدَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ قَلِيلًا، وتُحَسِّنُهَا وَهُوَ الوَشْرُ. النَّامِصَةُ: الَّتِي تَأْخُذُ مِنْ شَعْرِ حَاجِبِ غَيْرِهَا، وتُرَقِّقُهُ لِيَصِيرَ حَسَنًا. المُتَنَمِّصَةُ: الَّتِي تَأْمُرُ مَنْ يَفْعَلُ بِهَا ذٰلِكَ.

إِنَّ هذه المذكورات من الكبائر؛ قال النووي: هذا الفعل حرام على الفاعلة وعلى المفعول بها، ولأنه تغيير لخلق الله، ومحله إن فعلته للحُسْن، أما لو احتاجت إليه لعلاج فلا بأس.





## ٢٩٧- وَصْلُ الشَّعرِ والوَشْم

**[١٦٤٦]** عن عمرو بن شعيب، عن أبيهِ، عن جَدِّهِ ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «**لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ نُورُ الْمُسْلِمِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه أبو داود، والترمذي، والنسائي بأسانيد حسنة، قال الترمذي: حديث حسن. وعند أحمد: «**لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ فَإِنَّهُ نُورُ الإِسْلَامِ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَشِيبُ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ، إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا حَسَنَةً، وَرَفَعَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً**».

**[١٦٤٧]** وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**». رواه مسلم.

قال النووي: هذا الحديث مما ينبغي أنْ يُعتنى بحفظه، واستعماله في إبطال المنكرات، وإشاعة الاستدلال به كذلك.





## ٢٩٩- الاستِنْجاءِ ومسُّ الفَرْجِ باليمين

**[١٦٤٨]** عن أبي قتادة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا بَالَ أَحَدُكُمْ، فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعن عائشة ﷺ قالت: كانت يد النبي ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى. رواه أبو داود.

الاستنجاء: تطهير القبل والدبر من الحدث؛ من البول أو الغائط، ويكون بالاستجمار؛ بالحجارة، أو ما ينوب عنها، ويكون بالماء.

في الحديث النهي عن إمساك الذكر باليمين عند البول، وعن إزالة الأذى باليمين، والنهي عن التنفس في الإناء، أي: داخله؛ لأن التنفس فيه مستقذر، وأما إذا أبانَ الإِناء، وتنفس خارجه فهو السنّة، يعني يشرب أولًا ثم يقطع، ثم يشرب ثانيًا، ثم يقطع، ثم يشرب ثالثًا، هكذا هي السنّة، وهو أنفع للبدن وأنفع للمعدة، لأن العطش التهاب في المعدة وحرارة، فإذا جاءها الماء دفعة واحدة أثر عليها، وإذا كان يمصّه مصًّا ويتنفس ثلاثًا فهو أهنأ وأبرأ وأمرأ، يعني إذا تنفس لا يتنفس في الإناء، يزيل فمه عن الإناء ثم يتنفس، لأن التنفس بالإناء فيه ضرر على الشارب، لأن النفس يكون صاعدًا والماء يكون نازلًا فيلتقيان فيحصل الشرق، وفيه أيضًا أذى لمن بعده، لأنه يخرج مع نفسه أمراض التي يسمونها ميكروبات، فتكون في الماء، فتؤثر على من شرب من بعده.



## ٣٠٠- المشي في نعل واحدة

**[١٦٤٩]** عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَمْشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيَنْعَلْهُمَا جَمِيعًا، أَو لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا**». وفي رواية: «**أَو لِيُحْفِهِمَا جَمِيعًا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في هذا الحديث: النهي عن المشي في النعل الواحدة؛ لما فيه من مخالفة الوقار، ولأن المتنعلة تغاير الأخرى، فيعسر مشيه، وربما كان سببًا لعثاره، وليعلم أن لبس النعال من السنة، والاحتفاء من السنة أيضًا، ولهذا نهى النبي ﷺ عن كثرة الإرفاه، وأمر بالاحتفاء أحيانًا، وكذلك أيضًا إذا أردت دخول المسجد بنعليك فامسحهما، ثم صلِّ بهما، فإن هذا من السنة؛ قال النبي ﷺ: «**خَالِفُوا اليَهُودَ، صَلُّوا فِي نِعَالِكُمْ**»، لأن اليهود لا يصلون في النعل، هذا إذا كانت المساجد مفروشة بالحصباء أو الرمل، أما الآن لا يدخل بنعليه في المساجد لأنها مفروشة بالسجاد.



**[١٦٥٠]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا انْقَطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَمْشِ فِي الأُخْرَى حَتَّى يُصْلِحَهَا**». رواه مسلم.

شسع النعل: أي جزء في مقدمة النعل يدخل بين أصابع القدم كي يتماسك توازن الرجل في مشيته. ومعنى الحديث: إذا انقطع نعله ولم يمكنه المشي فيه، فلا يمشي في نعل واحدة، بل عليه أن يصلحها أو يخلع الأخرى، ويمشي حافيًا، وسبب ذلك ما فيه من التشبه بالشيطان، كما جاء في أحاديث أخرى، ويدخل في ذلك كل لباس مثله، مثل إخراج اليد الواحدة من الكم من دون الأخرى.



**[١٦٥١]** وعن جابر ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يَنْتَعِلَ الرَّجُلُ قَائِمًا. رواه أبو داود بإسناد حسن.

هذا الحديث: محمول على ما إذا احتاج في الانتعال إلى الاستعانة باليد في إدخالها في الرِّجل، لئلا يصير حينئذٍ على هيئة قبيحة، بل يجلس وينتعل براحته، أما إذا لم يحتج فيه إلى الاستعانة بها، فلا كراهة في ذلك.



## ٣٠١- تركُ النّار في البيتِ عند النّوم

**[١٦٥٢]** عن ابن عمر ﵄، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

في الحديث: النهي عن ترك النار مشتعلة في البيت عند النوم، لئلا يشتعل البيت على صاحبه، وكراهية ترك النار مشتعلة حال النوم؛ لأن ذلك ربما يؤدي إلى الاحتراق، سواء كانت النار للإضاءة كالمصباح والشمعة والسِّراج أم للاستدفاء، كالمدفأة والموقِد وغيرها، وتنتفي الكراهة إذا كانت العاقبة مأمونة.

وحكمة النهي: خشية الاحتراق في رواية البخاري: «**إِنَّ هٰذِهِ النَّارَ إِنَّمَا هِيَ عَدُوٌّ لَكُمْ**»، فالنائم لا يدري ما يحدث حوله، لربما أزاح فراشه أو غطاءه وهو نائم فيحترق البيت على من فيه، ويقاس على ذلك الموقدة الكهربائية، أو التي تستخدم على الغاز، ربما يعبث الأطفال فيها وهو نائم، فيحترق البيت، كما أن سببًا آخر، وهو استعمال الناس اليوم ما يسمى الفحم الصناعي فينتج عنه ثاني أكسيد الكربون السام، وقد يؤدي في الغالب إلى فقدان الوعي وموت النائمين في الغرفة وهم لا يشعرون، وهذا الأمر يحصل كثيرًا في أيامنا، وخطره عظيم، فالأولى والأفضل التخلص من هذه النار المشتعلة قبل النوم.



**[١٦٥٣]** وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: احْتَرَقَ بَيْتٌ بالمَدِينَةِ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رَسُولُ الله ﷺ بِشَأْنِهِمْ، قَالَ: «**إِنَّ هٰذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ، فَأَطْفِئُوهَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي رواية البخاري: «**إِنَّ هٰذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ**»، قال الحافظ: هكذا أورده بصيغة الحصر مبالغة في تأكيد ذلك.

كانت السُّرُج من النار توقد في الزمان الأول بالزيت وشبهه، ثم صارت توقد بالكاز وكلها مواد سائلة مشتعلة، فإذا جاءت الفأرة وعبثت بها؛ اشتعلت النار وحصل الحريق، ولكن في الوقت الحاضر نستعمل الكهرباء واللمبة، فلو نام الإنسان وهي مشتعلة فلا بأس، لأن العلة التي من أجلها النهى غير موجودة في الكهرباء، نعم هناك أشياء تشبه ذلك كالدفايات، هذه لا شك أنها خطر، ولا سيما إذا قربها الإنسان من فراشه فإنه ربما تنقلب، فلهذا يُنهى أن تبقى هذه الدفايات موقدة إلا في مكان آمن بعيد لئلا يحصل الحريق.



**[١٦٥٤]** وعن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكِئُوا السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحُلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَى إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَل، فَإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ**». رواه مسلم. الفُوَيْسِقَةُ: الفَأْرَةُ. تُضْرِمُ: تُحْرِقُ. وفي رواية البخاري: «**خَمِّرُوا الآنِيَةَ، وَأَجِيفُوا الأَبْوَابَ، وَأَطْفِئُوا المَصَابِيحَ، فَإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الفَتِيلَةَ فَأَحْرَقَتِ أَهْلَ البَيْتِ**»، ثم أورد حديث ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ: «**إِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوا سِرَاجَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدُلُّ مِثْلَ هٰذِهِ عَلَى هٰذَا فَيَحْرِقَكُمْ**»، مما يدلّ على أن العالم الذي نعيشه مليء بالمخلوقات اللامرئية، وهذه قد تضر الإنسان، فيجب التنبيه إليها والحذر منها، وكذلك أيضًا الأمر بإغلاق الأبواب من المصالح الدينية والدنيوية، من حراسة الأنفس والأموال من هذه المخلوقات الغيبية وأهل العبث والفساد، ولا سيما الشياطين، وفيه: أن ذكر اسم الله تعالى يطرد الشيطان، كما ورد في الرواية الأخرى: «**خَمِّرْ إِنَاءَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ، وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَاذْكُرِ اسْمَ اللهِ**».





## ٣٠٢- التَّكلُّف

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]. أي: ما أزيد على ما أرسلني الله به.

**[١٦٥٥]** عن عمر رضي الله عنه قال: نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّفِ. رواه البخاري.

والتَّكَلُّفُ: كل فعل أو قول لا مصلحة فيه، يحاول صاحبه الظهور به أمام الآخرين وليس فيه، يعني محاولة الظهور بمظهر غير حقيقي، وهو مضرٌّ بالعقل أو البدن أو الدِّين.

فمثال القول: كثرة السؤال، والتكلف في البحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها. ومثال الفعل: كأن ينزل به ضَيف فيتكلف له بما يَشق عليه، بل وربما يحمله ذلك على الاستدانة، وقد لا يجد لهذا الدين وفاء فيلحق بنفسه الضرر، وقد نهى الشرع الحنيف عن التكلف والتصنع، وإظهار الإنسان وجهًا آخر غير حقيقته.



**[١٦٥٦]** وعن مسروقٍ، قال: دَخَلْنَا عَلَى عبدِ الله بْنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]. رواه البخاري.

فالقول فيما لا يعلم من التكلف، لأن الذي يقول لا أعلم وهو لا يعلم، هو العالم حقيقة، هو الذي علم قدر نفسه، ثم إن الإنسان إذا قال لما لا يعلم الله أعلم ولم يُفْتِ به، يثق الناس به، ويعلمون أن ما أفتى به فهو عن علم، وما لم يعلمه يمسك عنه، وأيضًا إذا قال الإنسان لما لا يعلم: الله أعلم، عوَّد نفسه الرضوخ للحق وعدم التَّصدُّر للفتوى، وهذا خلاف لبعض الناس اليوم؛ يفتي بعلم وبغير علم، وإذا سألته عن أمر أجابك عن عشرة أمور تكلفًا! ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله: كانوا يقولون: ما أفسد الدنيا والدين إلا أربعة: نصف متكلم، ونصف فقيه، ونصف لغوي، ونصف طبيب.



## ٣٠٣- النّياحة على الميّت ولَطْم الخدّ

**[١٦٥٧]** عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ**». وفي روايةٍ: «**مَا نِيحَ عَلَيْهِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

النِّيَاحَةُ: هي البكاء على الميت برنَّة ينوح فيها كما تنوح الحمام، والبكاء على الميت نوعان: نوع اقتضته الطبيعة فهذا لا بأس به، ومنه ما حصل للنبي ﷺ حين رفع إليه صبي ونفسه تقعقع، فبكى رحمة به، وقال: ما هذا إلا رحمة، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء، وكما حصل للنبي ﷺ حين مات ابنه إبراهيم من مارية القبطية التي أهداها إليه ملك القبط، جاءت منه بولد، وترعرع الصبي، وبلغ نحو سنة وأربعة أشهر، ثم توفاه الله، فقال النبي ﷺ: «**العَيْنُ تَدْمَعُ، وَالقَلْبُ يَحْزَنُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا عَلَى فِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ**». هذا النوع من البكاء لا يضر، لأنه شيء تقتضيه الطبيعة والجبلة، ولا يدل على سخط الإنسان، أما النوع الثاني فهو البكاء الذي ينوح فيه الإنسان؛ هذا البكاء يعذب به الميت في قبره.



**[١٦٥٨]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والمراد بدعوى الجاهلية: ما يقولونه عند موت الميت، كقولهم: واجبلاهُ، واسنداهْ، واسيّداه، والدعاء بالويل والثبور، والسبب في ذلك مَا تَضَمَّنَهُ من عدم الرضا بالقضاء، فإن وقع التصريح بالاستحلال، فلا مانع من حمل النفي على الإخراج من الدين.



**[١٦٥٩]** وَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ قَالَ: وَجِعَ أَبُو مُوسَى، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَأَقْبَلَتْ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رَسُولُ الله ﷺ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ، والحَالِقَةِ، والشَّاقَّةِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

الصَّالِقَةُ: الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا بِالنِّيَاحَةِ والنَّدْبِ. الحَالِقَةُ: الَّتِي تَحْلِقُ رَأْسَهَا عِنْدَ المُصِيبَةِ. الشَّاقَّةُ: الَّتِي تَشُقُّ ثَوْبَهَا.

وقد جرت عادة النساء في الجاهلية، أن المرأة إذا أصيبت بميت تحلق شعر رأسها كأنها غاضبة، والرأس يُتّخذ زينة عند النساء، أما الشاقة فهي التي تشق جيبها عند المصيبة، وكذلك كل فعل يدل على التضجر فإنه داخل في هذه البراءة.

فالواجب على الإنسان أن يتصبّر، ويحتسب الأجر عند الله، ويعلم أن عظم الثواب من عظم المصاب، وأنه كلما عظمت المصيبة كثر الثواب، أما شق الجيوب وضرب الخدود، فهذا شيء يفعله الناس في الجاهلية إذا أصابتهم مصيبة، يقول: يا ويلاه، يا انقطاع ظهراه، وهو يعلم أنه لا يمكن أن تتغير الحال، وأن هذا أمر قضى وانتهى، هذا أمر كُتب قبل أن تخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، جفت الأقلام وطويت الصحف، إذًا ما الفائدة من الجزع؟ ما الفائدة من السخط؟ ما هو إلا أمر أو وحي من الشيطان ليحرمك الأجر من جهة، وليعذب به الميت من جهة أخرى.



**[١٦٦٠]** وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال البخاري: قوله: «**يُعَذَّبُ المَيِّتُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»، إذا كان النوح من سنته، لقوله تعالى: ﴿**قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا**﴾ [التحريم:٦]، فإذا لم يكن من سنته، فهو كما قالت أم المؤمنين عائشة ﷺ: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ [الأنعام:١٦٤].

**[١٦٦١]** وعن أُمِّ عَطِيَّةَ نُسَيْبَةَ ﵂، قالت: أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ البَيْعَةِ أَنْ لَا نَنُوحَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال البخاري: وذكر حديث عائشة في قصة قتل جعفر، وحديث أم عطية، ولفظه: أخذ علينا النبي ﷺ عند البيعة أن لا ننوح، فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة.



**[١٦٦٢]** وعن النعمان بن بشير ﵄، قال: أُغْمِيَ عَلَى عَبدِ الله بْنِ رَوَاحَةَ ﵁، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ تَبْكِي، وَتَقُولُ: وَاجَبَلَاهُ، وَاكَذَا، وَاكَذَا، تُعَدِّدُ عَلَيْهِ، فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ: مَا قُلْتِ شَيْئًا إِلَّا قِيلَ لِي أَنْتَ كَذٰلِكَ. رواه البخاري.

فيه: بيان صورة تعذيب من لم يرض بالنوح، بل يُقال له ذلك على سبيل التقريع والتوبيخ.



**[١٦٦٣]** وعن ابن عمر ﵄، قال: اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﵁ شَكْوَى، فَأَتَاهُ رَسُولُ الله ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وقَّاصٍ وَعَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ ﵃، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشْيَةٍ، فَقَالَ: «**أَقَضَى؟**»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ الله، فَبَكَى رَسُولُ الله ﷺ، فَلَمَّا رَأَى القَوْمُ بُكَاءَ النَّبِيِّ ﷺ بَكَوْا، قَالَ: «**أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلٰكِنْ يُعَذِّبُ بِهٰذَا**»، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ، «**أَوْ يَرْحَمُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فيه: أن البكاء والحزن الخاليين عن التضجر والتسخط بالقدر لا عقاب فيهما، وأن العقاب والثواب يتعلق باللسان.



**[١٦٦٤]** وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ**». رواه مسلم.

**[١٦٦٥]** وعن أَسِيد بن أبي أَسِيدٍ التَّابِعِيِّ، عن امْرَأَةٍ مِنَ المُبَايِعَاتِ، قالت: كَانَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فِي المَعْرُوفِ الَّذِي أَخَذَ عَلَيْنَا أَنْ لَا نَعْصِيَهُ فِيهِ: أَنْ لَا نَخْمِشَ وَجْهًا، وَلَا نَدْعُوَ وَيْلًا، وَلَا نَشُقَّ جَيْبًا، وَأَنْ لَا نَنْشُرَ شَعْرًا. رواه أبو داود بإسناد حسن.

قولها: لَا نَدْعُ وَيْلًا، أَيْ: كَأَنْ تَقُولَ: يَا وَيْلَاهُ.

**[١٦٦٦]** وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِمْ فَيَقُولُ: وَاجَبَلَاهُ، وَاسَيِّدَاهُ، أَوْ نَحْوَ ذٰلِكَ، إِلَّا وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ: أَهٰكَذَا كُنْتَ؟**».

رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

اللَّهْزُ: الدَّفْعُ بِجُمْعِ اليَدِ فِي الصَّدْرِ.

قوله: أهكذا كنت؟ يقولان له ذلك تقريعًا وتوبيخًا. أما إذا أصيب الإنسان بمصيبة، وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون مؤمنًا بها قلبه، وأننا ملكه، وراجعون إليه في أمورنا كلها، إذا آمن بهذا، وقال: اللهم آجرني في مصيبتي واخلفني خيرًا منها، فهذه يؤجر، أما إذا جعل يقول: واجبلاه، واويلاه، واثبوراه، فإن هذا يُعذَّب به.

**[١٦٦٧]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ**». رواه مسلم.



## ٣٠٤- إِتيانُ الكُهّانِ والمنجّمين والعُرَّاف

**[١٦٦٨]** عن عائشة ﵂، قالت: سَأَلَ رَسُولَ الله ﷺ أُنَاسٌ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ: «**لَيْسُوا بِشَيْءٍ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ، فَيَكُونُ حَقًّا! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخْطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مَائَةَ كَذْبَةٍ**». مُتَّفَقٌ عليه.

وفي رواية للبخاري عن عائشة ﵂، أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه سلم يقول: «**إِنَّ المَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ، وَهُوَ السَّحَابُ، فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ، فَيَسْتَرِقُ الشَّيْطَانُ السَّمْعَ، فَيَسْمَعُهُ، فَيُوحِيَهُ إِلَى الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مَائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ**».

يَقُرُّهَا: أي يُلْقِيها. الكاهن: من يخبر عن المغيبات. التنجيم: نوع من الكهانة. العرافة: نوع من التنجيم، وأصحاب الرمل من الكهان، وقد كذّبهم الشرع، ونهى عن تصديقهم وإتيانهم.

والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أُذن الكاهن، والكاهن لفظ يطلق على العرّاف، والذي يضرب بالحصا، والمنجم والكهنة قوم لهم أذهان حادة، ونفوس شريرة، وطباع نارية، فأَلِفَتْهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، وساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل، يقول للإنسان ستكون سعيدًا في اليوم الفلاني، أو سيصيبك حادث في اليوم الفلاني، فهم يفزعون إلى الجن في أمورهم، ويستفتونهم في الحوادث، فيلقون إليهم الكلمات.

قوله: «**لَيْسَ بِشَيْءٍ**»: أي ليس قولهم بشيء يُعتمد عليه، فلا تعبأوا بهم ولا تأخذوا بكلامهم ولا يهمكم أمرهم. وقوله: «**فَيُقُرُّهَا**»، وفي رواية: «**فَيُقَرْقِرُهَا**»، أي: يرددها.



**[١٦٦٩]** وعن صَفِيَّةَ بِنتِ أبي عُبيدٍ، عن بعض أزواجِ النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**». رواه مسلم.

العَرَّاف: من جملة أنواع الكُهَّان، وقيل: الذي يتعاطى معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة.

قوله: «**لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا**»، قال العلماء: لأنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئةً في سقوط الفَرْضِ عنه. والجن أعطاهم الله قدرة عظيمة على الأشياء، سرعة وقوة فهم، يصعدون إلى السماء يسترقون السمع من الملائكة، ثم يخطفون شيئًا فينزلون إلى أوليائهم من الكهان، ثم يضيف هذا الكاهن إلى هذا الذي سمعه مائة كذبة، هؤلاء الكهان؛ من أتاهم وسألهم وصدقهم فقد كفر بما أُنزل على النبي محمد ﷺ، ووجه كفره أن الله تعالى قال: ﴿**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ**﴾.



**[١٦٧٠]** وعَنْ قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**العِيَافَةُ، وَالطِّيَرَةُ، وَالطَّرْقُ، مِنَ الجِبْتِ**». رواه أبو داود بإسناد حسن.

الطَّرْقُ: هُوَ الزَّجْرُ: أَيْ زَجْرُ الطَّيْرِ، وَهُوَ أَنْ يَتَيَمَّنَ أَو يَتَشَاءَمَ بِطَيَرَانِهِ. العِيَافَةُ: الخَطُّ. الجِبْتُ: كَلِمَةٌ تَقَعُ عَلَى الصَّنَمِ وَالكَاهِنِ وَالسَّاحِرِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ. الطِّيَرَةُ: اسْتِعْمَالُ الطُّيُورِ.

كانوا في الجاهلية يطيّرون الطير، فإن اتجه للأمام مضى في سفره، وإن طار ثم رجع، رجع من سفره، وإن طار فذهب يمينًا قال هذا سفر طيب، وإن ذهب يسارًا يعتقد أن السفر شاقًّا! هذه عادتهم لا تغني شيئًا، وهذا كله أبطله النبي ﷺ، لئلا يتعلق الإنسان بأحد سوى الله، وأمرَ الإنسان إذا همَّ بأمر ولم يتبين له أن يستخير؛ يصلي ركعتين من غير الفريضة، ويقول الدعاء المعروف للاستخارة.



**[١٦٧١]** وعن ابن عباس ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحْرِ زَادَ مَا زَادَ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

قوله: «**اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ**»: أي ما ينشأ من الحوادث عن سَيْرها، أمّا علمُ الوقت والقبلة فليسا مرادين هنا. وقوله: « **اقْتَبَسَ شُعْبَةً**» أي: قطعة من السحر، وهو من باب الكبائر، وقد يكون كفرًا. وقوله: «**زَادَ**» أي: من السحر «**مَا زَادَ**» أي: من علوم النجوم. وعلم النجوم المنهيّ عنه: هو ما يدّعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع، وستقع في مستقبل الزمان، كأوقات هبوب الرياح، ومجيء المطر، وتغير الأسعار، وما في معناها مما يزعمون، وهذا منهم تعاطٍ لعلم قد استأثر الله تعالى به، لا يعلم الغيب سواه، وأما علم النجوم الذي يدرك بالمشاهدة والخبر، كالذي يعرف به الزوال، وجهة القبلة، فغير داخل فيما نهي عنه. وعلم النجوم قسمان: قسم جائز، وهو ما يسمى علم سير النجوم، يُستدل به على الفصول، وطول النهار وقصره، وعلى القِبلة، والجهات الأربع والفصول. والقسم الثاني: علم التأثير؛ بأن يتخذ من علم النجوم سببًا يدّعي به أن ما حصل في الأرض فإنه من سبب النجم، كالذين يقولون في الجاهلية: مطرنا بنوء كذا. فالأنواء (أي النجوم) ليس لها تصرّف في نزول المطر، وإنما خلقها الله زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يُهتدى بها في البر والبحر.



**[١٦٧٢]** وعن مُعاوِيَةَ بنِ الحَكَمِ ﭬ قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِالجَاهِلِيَّةِ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ تَعَالَى بِالإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ؟ قَالَ: «**فَلَا تَأْتِهِمْ**». قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: «**ذٰلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ، فَلَا يَصُدُّهُمْ**». قُلْتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ؟ قَالَ: «**كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ فَذَاكَ**». رواه مسلم.

قوله: «ذَٰلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ» أي أمر خلقي بحسب الطبع، لا يكلّفون برفعه، إنما يكلّفون أن لا يعملوا به، فإن الفاعل هو الله ﷻ، ولا أثر لغيره في شيء. وقوله: "وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ؟" الخط: هو أن يخط ثلاثة خطوط، ثم يضرب عليهن بشعير أو نوى، ويقول: يكون كذا وكذا، وهو ضرب من الكهانة، وقيل: الكهانة على أصناف؛ منها ما يتلقّونه من الجن، إلى أنْ قال: ثالثها: ما يستند إلى ظن وتخمين وحدث، فهذا قد يجعل الله فيه لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه، ورابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، وكل ذلك مذموم شرعًا.

**[١٦٧٣]** وعن أَبي مَسعودٍ البدريِّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ، وَحُلْوَانِ الكاهِنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قوله: " نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ"، وهو عام في كل كلب؛ معلمًا كان أو غيره، مما يجوز اقتناؤه أو لا يجوز، ومن لازمِ ذلك أنْ لا قيمة على متلفه، وبذلك قال الجمهور، وقيل: يجوز بيع كلب الصيد من دون غيره، لما روى النسائي عن جابر، قال: نهى رسول الله ﷺ عن ثمن الكلب إلا كلب صيد، وقوله: "مَهْرِ البَغِيِّ": هو ما تُعْطاه على الزنى، وسُمِّي مهرًا على سبيل المجاز، وهو حرام، وقوله: "حُلْوَانِ الكاهِنِ": وهو ما يعطاه على كهانته، وهو حرام بالإجماع، وفي معناه التنجيم، والضرب بالحصا، وغير ذلك مما يتعاطاه العرّافون من استطلاع الغيب. ولا يجوز اقتناء الكلب ووضعه عنده في بيته إلا في ثلاث حالات: كلب الحرث يعني الزرع، وكلب الماشية ليحرسها، وكلب الصيد، وما عدا ذلك فاقتناؤه حرام، لأن نجاسته مغلظة، وثمنه عليه حرام، إذا انتهى منه لا يبيعه، يعطيه أحدًا يحتاج له، والبغيُّ امرأة تزني، يستأجرونها لمدة يوم أو يومين أو ثلاثة ويعطونها مالًا، وهذا حرام، وإذا حرّم الله شيئًا حرَم ثمنه، فإذا قال قائل: لو أن الكاهن قد تاب إلى الله وقد كسب مالًا من الناس هل يردّه عليهم، نقول: لا، ولكن يتصدق به تخلّصًا منه، وكذلك يُقال فيمن باع كلبًا، وكذلك في مهر البغيِّ.



## ٣٠٥- التَّطَيُّر

الطِّيَرَة: التَّشَاؤُمُ بِالشَّيْءِ؛ يطلقون الطائر، فإن طار واتجه يمينًا تفاءل، وإن اتجه شمالًا تشاءم، وليس في شيء من هذا ما يقتضي ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له، وما أكثرهم في هذا الزمان، يتطيَّرون ويعتمدون على أشياء تشبه ذلك.

وأخرج عبد الرازق عن النبي ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الطِّيَرَةُ، وَالظَّنُّ، وَالحَسَدُ، فَإِذا تَطَيَّرْتَ فَلَا تَرْجِعْ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلَا تَبْغِ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلَا تُحَقِّقْ**».



**[١٦٧٤]** عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ**»، قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والتطير: هو التشاؤم بمرئي أو مسموع، أو زمان أو مكان، وإنما سُمّي تطيرًا لأن العرب في الجاهلية كانوا يتشاءمون إذا طار الطير يسارًا، وربما يتشاءمون بالغراب والبومة، ومن يتشاءم بالزمان، لقد شاع عندهم أن المرأة إذا تزوجت في شوال لم توفق، ومنهم من يتشاءم بالسفر في يوم الأربعاء، يقولون: لا بد من حدوث حادث أو خسارة أو بلاء!



**[١٦٧٥]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَإِنْ كَانَ الشُّؤْمُ فِي شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، وَالفَرَسِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وحديث أبي هريرة: «**لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**»، وحديثه أيضًا: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا عَدْوَى**»، فقام أعرابي، فقال: أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الظباء، فيأتيها البعير الأجرب فتجرب؟ قال النبي ﷺ: «**فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟!**».

وخصّ هذه الثلاث بالذِّكر: الدَّار، وَالمَرْأَة، والفَرَس؛ لأنها أكثر ما يتطيّر به الناس، فمن وقع في نفسه منها شيء تركه، واستبدل به غيره، وأحيانًا يتزوج الرجل ولا يجد إلا النكد والتعب، وأحيانًا ينزل الدار يضيق صدره ويملّ منها، أيضًا الفرس، والآن مركوبنا السيارات، بعض السيارات يكون فيها شؤم، وتكثر حوادثها وخرابها، ويسأم الإنسان منها، فإذا أصيب الإنسان بمثل هذا فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ويقل: اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك، فيزيل الله ما في نفسه.

**[١٦٧٦]** وعن بُرَيْدَةَ ﵁، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ. رواه أَبُو داود بإسناد صحيح. وأخرج أبو داود بسند حسن عن بريدة، أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، بل يتوكل على الله، وإذا بعث عاملًا يسأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رؤي كراهة ذلك في وجهه.

**[١٦٧٧]** وعن عُروة بن عامر ﵁ قال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «**أَحْسَنُهَا الفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ**». حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح. وذكر البخاري حديث أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**لَا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الفَأْلُ**»، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟! قال: «**الكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**».

والفرق بين الفأل والطيرة، أن الفأل من طريق حُسن الظن بالله، والطيرة لا تكون إلا في السوء، فلذلك كُرهت، وقيل: جعل الله في فطرة الناس محبة الكلمة الطيبة والأنس بها، كما جعل فيهم الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافي، وإنْ كان لا يملكه، ولا يشربه.





## ٣٠٦- حُكم التَّصوير

ينقسم التصوير إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: متفق على تحريمه؛ وهو أن يصور ما فيه روح على شكل تمثال، فهذا حرام بالاتفاق.

القسم الثاني: تصوير ما لا روح فيه مثل الأشجار والأنهار والجبال، هذا جائز، لكن ما كان ينمو كالنبات فمن العلماء لم يجزه، لما جاء في الحديث الصحيح أن الله قال: «**فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ شَعِيرَةً**»، ولكن الذي عليه جمهور العلماء أن الذي لا روح فيه لا بأس أن يصوره، سواء كان مما ينمو كالأشجار أو مما لا ينمو كالشمس والبحار.

القسم الثالث: تصوير ما فيه روح، لكن بالرسم والتلوين، فهذا قد اختلف فيه العلماء، فمنهم من يقول إنه جائز، إذ إن ما خلق الله جسم ملموس، وأما هذا فهو مجرد رقم وتلوين فيجوز ولو باليد، ولكن جمهور العلماء على أنه لا يجوز وهو الصحيح، أما الصور الفوتوغرافية لا تدخل في النهي، لأن غاية ما هنالك أن المصور يلقي هذا الضوء الشديد على جسم أمامه فيلتقط صورته في لحظة، فلا يخطط العين والرأس والأنف والأذن، وهذا القول هو الراجح.

هل النظر إلى الصور الفوتوغرافية حلال؟

يُنظر إلى هذا التصوير ماذا قُصد به، قد يُقصد قصدًا سيِّئًا، يصور امرأة ليتمتع بالنظر إليها ويتلذذ بذلك! أو يصور شابًّا أمردًا جميلًا من أجل أن يتمتع بالنظر إليه زمنًا بعد زمن! يصور عظماء أو سلاطين من أجل أن يعظمهم ويعلقهم على حائط البيت! يصور عبّادًا قانتين لله من أجل أن يجعلهم في بيته تبرّكًا بهم! هذا كله حرام.

وأشدّ من ذلك الاحتفاظ بصور الأموات، كلما تراها تتذكره فيتجدد الحزن، وأما

إذا قصد في التصوير الفوتوغرافي إثبات الشخصية أو إثبات وقائع لغرض صحيح، مثلًا تصوير قوم جياع عراة مجروحين من الأعداء وما أشبه ذلك، ليعرضهم على الناس ليستعطفهم عليهم، فهذا لا بأس به.

[١٦٧٨] عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الَّذِينَ يَصْنَعُونَ هٰذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

[١٦٧٩] وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قَدِمَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وقال: «**يَا عَائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ اللهِ!**»، قَالَتْ: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنْهُ وِسَادَةً أَوْ وِسَادَتَيْنِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

القِرَامُ: السِّتْرُ. السَّهْوَةُ: الصُّفَّةُ تَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ البَيْتِ، وَقِيلَ: هِيَ الطَّاقُ النَّافِذُ فِي الحائِطِ.

[١٦٨٠] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ فَيُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ**». قال ابن عباس: فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَاصْنَعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا رُوحَ فِيهِ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.



[١٦٨١] وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا، كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

لكن استثنى من الصور ما دعت الضرورة إليه، مثل الصورة في الدرهم وفي الدينار، مثل ما يوجد الآن في نقودنا صور الملوك، وهذا يخاطب به من وضع هذه الصورة، أما عامة الناس فلا يخاطبون، ماذا يصنعون؟ هل يلقونها؟ كل هذا مما دعت الضرورة إليه والحاجة الملحة، و﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وما جعل الله علينا في الدين من حرج.



**[١٦٨٢]** وعن ابن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

قال الخطابي: إنما عظمت عقوبة المصور؛ لأن الصور كانت تعبد من دون الله، ولأن النظر، إليها يفتن، وبعض النفوس تميل إليها.



**[١٦٨٣]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والمراد بالذرة أي النملة، والغرض تعجيزهم، تارة بتكليفهم خلق حيوان، وهو أشد، وأخرى بتكليفهم خلق الجماد وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم على ذلك، فلو اجتمع أهل الأرض كلهم، بل وأهل السماء، على أن يخلقوا حبة من حنطة فإنهم لا يستطيعون، حتى لو صنعوا من العجين شيئًا على صورة الحبة تمامًا فإنهم لا يستطيعون أن تكون حبة، لو أنهم بذروها في الأرض ما نبتت لأنها ليست حبة.



**[١٦٨٤]** وعن أبي طلحة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

والصورة التي لا تدخل الملائكة البيت الذي هي فيه، ما يحرم اقتناؤه، وهو ما يكون من الصور التي فيها روح، مما لم يقطع رأسه أو لم يمتهن.

**[١٦٨٥]** وعن ابن عمر ﷺ قال: وَعَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبْرِيلُ فَشَكَا إِلَيهِ، فَقَالَ: إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ. رواهُ البُخاري. رَاثَ: أَبْطَأَ.

والصور للصبيان يلعبون بها، أيضًا مما يرخص فيه، ولا تمتنع الملائكة من دخول البيت الذي فيه هذه الصور، لأن عائشة ﷺ كان لها صورة تلعب بها في بيت الرسول ﷺ، ولم ينه عن ذلك، وينبغي أن لا تكون تامة.



**[١٦٨٦]** وعن عائشة ﷺ، قالت: وَاعَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِبْرِيلُ ﷺ فِي سَاعَةٍ أَنْ يَأْتِيَهُ، فَجَاءَتْ تِلْكَ السَّاعَةُ، وَلَمْ يَأْتِهِ! قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصًا، فَطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**مَا يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ**»، ثُمَّ التَفَتَ، فَإِذَا جَرْوُ كَلْبٍ تَحْتَ سَرِيرِهِ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، مَتَى دَخَلَ هٰذَا الكَلْبُ؟**»، فَقُلْتُ: وَاللهِ مَا دَرَيْتُ بِهِ، فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ، وَلَمْ تَأْتِنِي؟**»، فَقَالَ: «**مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كَانَ فِي بَيْتِكَ، إِنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ**». رواه مسلم.

وحديث أبي هريرة في السُّنن، صحَّحه الترمذي، وابن حبَّان، ولفظه: أتاني جبريل فقال: أتيتك البارحة فلم يمنعني أنْ أكون دخلت، إلا أنه كان على الباب تماثيل، وكان في

البيت قرام ستر فيه تماثيل، وكان في البيت كلب، فَمُرْ برأس التمثال الذي على الباب يقطع فيصير كهيئة الشجرة، ومُرْ بالستر فيقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن، ومر بالكلب فليخرج، ففعل رسول الله ﷺ.

**[١٦٨٧]** وعن أبي الهَيَّاجِ حَيَّانَ بنِ حُصَيْنٍ، قال: قال لي عَلِيُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَى مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ أَنْ لَا تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا، وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ. رواه مسلم.





## ٣٠٧- اتّخاذ الكلب

**[١٦٨٨]** عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ**». متفق عليه. وفي رواية: «**قِيرَاطٌ**».

فاليهود والنصارى في الشرق والغرب، كل واحد له كلب يتخذه معه، وكل يوم ينظفه بالصابون والمنظفات الأخرى، مع أنه لو نظفه بماء البحار كلها وصابون العالم كله ما طهر، لأنه نجاسته عينية، والنجاسة العينية لا تطهر إلا بتلفها وزوالها بالكلية، لكن حكمة الله ﷻ أن يألف هؤلاء الخبثاء ما كان خبيثًا.



**[١٦٨٩]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ**». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «**مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ، وَلَا مَاشِيَةٍ، وَلَا أَرْضٍ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ**».

قال ابن عبد البر: في هذا الحديث إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية والزرع، وكراهة اتخاذها لغير ذلك، إلا أنه يدخل في معنى الصيد غيره مما ذكر لجلب المنافع ودفع المضار قياسًا، فتتمحض كراهة اتخاذها لغير حاجة، لما فيه من ترويع الناس، وامتناع دخول الملائكة للبيت الذي هو فيه.





## ٣٠٨- تعليق الجرس على البعير

الجرس معلوم، يعلّق على الدّواب، ويكون له رنّة معينة تجلب النّشوى والطّرب، والتمتّع بصوته، فهذا نهى عنه النبي ﷺ بالتحذير منه.

**[١٦٩٠]** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَصْحَبُ الْمَلَائِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ**». رواه مسلم.

**[١٦٩١]** وعنه: أن النبي ﷺ قال: «**الْجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ**». رواه مسلم.

وروى مسلم عن أبي هريرة رفعه: «**الْجَرَسُ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ**»، وهو دالٌّ على أن الكراهة فيه لصوته؛ لأن فيها شبهًا بصوت الناقوس وشكله. قال النووي وغيره: الجمهور على أن النهي كراهة تنزيه، وقيل: للتحريم.

أما ما يكون في المنبّهات من الساعات وشبهها فلا يدخل في النهي، لأنه لا يعلق على البهائم وإنما هو للتنبيه، وكذلك ما يكون على الأبواب، لا يحصل به الطرب الذي يكون مما نهى عنه الرسول ﷺ، ويوجد في بعض التليفونات عند الانتظار إذا رننت عليه ولم يكن حاضرًا قال انتظر، ثم تسمع موسيقى، هذا هو الحرام والإثم على من وضعه، وأما ما يجعل في الانتظار في الهاتف من قراءة القرآن، فهذا فيه ابتذال لكلام الله عز وجل، حيث يُجعل كأداة، والقرآن نزل لما هو أشرف من هذا وأعظم، أما إذا جعل في هذا الانتظار حكمة مأثورة، أو حديثًا مأثورًا عن النبي ﷺ، فهذا لا بأس به.





# ٣٠٩- ركوب الجَلَّالة

الجَلَّالَةُ: البعير أو الناقة التي تأكل الجلّة أي العذرة، يعني تأكل نجاسة الآدمي وروث الحمير، فإذا كانت تأكل هذا يتلوث بدنها.

**[١٦٩٢]** عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الجَلَّالَةِ فِي الإِبِلِ أَنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح. وفي رواية: نهى رسول الله ﷺ الجلّالة وألبانها. قيل: حتى تعلف أربعين ليلة.

في الحديث: دليل على تحريم الجلّالة سواء كانت من الإبل، أو البقر، أو الغنم، أو الدجاج، وكان ابن عمر يحبس الدجاجة ثلاثة أيام، ولم يرَ مالك بأسًا بأكلها من غير حبس، وحمل الجمهور النهي على التنزيه، وقال أحمد: يُحرم، إلا أنْ يحبس الطير ثلاثة أيام؛ رواية واحدة عنه، واختلفت الرواية عنه في الإبل، والبقر، والغنم، فروي عنه ثلاثة أيام، كالطير وهو الأظهر، والثانية: أربعون يومًا، وعامة أجوبة أحمد ليس فيها تحريم.





## ٢١٠- البصاق في المسجد

**[١٦٩٣]** عن أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**الْبُصَاقُ فِي الْمَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**». متفق عليه.

الْمُرَادُ بِدَفْنِهَا إِذَا كَانَ الْمَسْجِدُ تُرَابًا أَوْ رَمْلًا وَنَحْوَهُ فَيُوَارِيهَا تَحْتَ تُرَابِهِ، أَمَّا إِذَا كَانَ الْمَسْجِدُ مُبَلَّطًا أَوْ مُجَصَّصًا، فَدَلَكَهَا بِمَدَاسِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الْجُهَّالِ، فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِدَفْنٍ، بَلْ زِيَادَةٌ فِي الخَطِيئَةِ وَتَكْثِيرٌ لِلْقَذَرِ فِي الْمَسْجِدِ، وَعَلَى مَنْ فَعَلَ ذٰلِكَ أَنْ يَمْسَحَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَوْ يَغْسِلَهُ.



**[١٦٩٤]** وعن عائشة ﵂: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَأَى فِي جِدَارِ الْقِبْلَةِ مُخَاطًا، أَوْ بُزَاقًا، أَوْ نُخَامَةً، فَحَكَّهُ. متفق عليه.

وفي حديث أنس: أن النبي ﷺ رأى نخامةً في القبلة، فحكها بيده، ورؤي منه كراهة، وقال: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّمَا يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلَا يَبْزُقَنَّ فِي قِبْلَتِهِ، وَلٰكِنْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ**»، ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه، قال: «**أَوْ يَفْعَلُ هٰكَذَا**».

**[١٦٩٥]** وعن أنس ﵁، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ هٰذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هٰذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ الله تَعَالَى، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**»، أو كما قال رسول الله ﷺ. رواه مسلم.

فالتَّنخُّع في المسجد خطيئة، لأنه إيذاء للمصلين؛ قد يسجد المصلي عليه وهو لا يشعر به، وقد يتقزز إذا رآه، وأن فيه إهانة لبيوت الله ﷻ، الذي أمر أن ترفع ويذكر فيها اسمه، لكن لو فرض أنه فعل، فكفارتها دفنها أو حكّها إن كانت على الجدار، أما مساجدنا

الآن فكما ترون مفروشة، كفارة ذلك أن يمسحها بمنديل حتى تزول، وعلى المؤمن أن يحترم بيوت الله فلا يلق فيها الأذى ولا القذر، ولا يرفع الصوت فيها، وإنما يكون متأدبًا، لأن المساجد بيوت الله ومأوى الملائكة.



## ٣١١- الخصومة في المسجد

بيّن الله ﷻ أن هذه المساجد بيوت يذكر فيها اسم الله، وأذن الله أن ترفع، وأنها محل التسبيح: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾.

**[١٦٩٦]** عن أبي هريرة ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقولُ: «**مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً فِي المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهٰذَا**». رواه مسلم.

مثلًا: يجيء رجل ويقول ضاع مني محفظة النقود، فهذا حرام، حتى وإن غلب على ظنك أنه سُرق في المسجد لا تقل هذا، بل اجلس خارج المسجد وقل ضاع كذا، فإذا سمعتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا: لا ردها الله عليك، فإن المساجد لم تبن لهذا، وإن أراد الإنسان أن ينشد شيئًا وجده في المسجد، وجد مفاتيح مثلًا، هذا أجازه بعض العلماء لأن هذا إحسان، وبعض العلماء كرهه، بل يجلس عند باب المسجد.



**[١٦٩٧]** وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فَقُولُوا: لَا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

والمساجد بما أن الله أضافها إلى نفسه، لها حرمة ولها أحكام واحترام وتعظيم.

ومن أحكام المساجد أنه لا يجوز بها البيع والشراء، سواء كان قليلًا أو كثيرًا، لا تبع شيئًا بقرش واحد فإن ذلك حرام عليك، وكذا إن قال له: عندك أرز؟ قال نعم، قال أرسل لنا كيسًا وهو في المسجد فهذا حرام، لكن بالنسبة للذي يسمع إنسانًا يبيع ويشتري ماذا

عليه؟ قولوا له: لا أربح الله تجارتك، ادعوا عليه بأن يخسر، لأن المساجد لم تُبن لهذا، إنما بُنيت للصلاة والذكر وقراءة القرآن وطلب العلم، فإذا كان في قولك: إن المساجد لم تُبن لهذا تطييبٌ لقلبه، فقلها حتى لا يغضب عليك.

**[١٦٩٨]** وعن بُرَيْدَةَ ﵁، أَنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الجَمَلِ الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا وَجَدْتَ؛ إِنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ**». رواه مسلم.

**[١٦٩٩]** وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّهِ ﵁، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَى عَنِ الشِّرَاءِ وَالبَيْعِ فِي المَسْجِدِ، وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ ضَالَّةٌ، أَوْ يُنْشَدَ فِيهِ شِعْرٌ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وأما إنشاد الأشعار في المسجد، فالمراد بذلك أشعار اللغو التي لا خير فيها، وكان حسان بن ثابت ﵁ ينشد الشعر في مسجد النبي ﷺ، والنبي يسمع، وكان يقرّه ولم ينكر عليه.

**[١٧٠٠]** وعن السائبِ بن يزيد الصحابي ﵁ قال: كُنْتُ فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ ﵁، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهٰذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ فَقَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ! رواه البخاري.

وحديث كعب بن مالك: أنه تقاضى ابن أبي حدرد دَيْنًا له عليه في عهد رسول الله ﷺ في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله ﷺ وهو في بيته، فخرج إليهما

رسول الله ﷺ حتى كشف سجف حجرته، ونادى: «**يَا كَعْبَ بْنَ مَالِك، يَا كَعْبَ**»، قال: لبيك يا رسول الله**!** فأشار بيده أنْ ضع الشطر من دَيْنِك، قال كعب: قد فعلت يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: «**قُمْ فَاقْضِهِ**».





# ٣١٢- مَن أكل ثومًا أو بصلًا

**[١٧٠١]** عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ- يَعْنِي: الثُّومَ- فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وفي روايةٍ لمسلم: «**مَسَاجِدَنَا**».

**[١٧٠٢]** وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ فَلَا يَقْرَبَنَّا، وَلَا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

**[١٧٠٣]** وعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلْنَا، أَوْ فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي روايةٍ لمسلم: «**مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ، وَالثُّومَ، وَالكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**».

وقد توهّم بعضهم أن أكل البصل والثوم عذر في التخلف عن الجماعة، لا، إنما هو عقوبة لآكله على فعله، إذا حُرِم فضلُ الجماعة، ولا تعارض بين امتناعه ﷺ من أكل الثوم وغيره مطبوخًا، وبين إذنه لهم في ذلك، فقد علل ذلك بقوله: «**إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْكُمْ**».



**[١٧٠٤]** وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه خطب يوم الجمعة فقال في خطبته: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجَرَتَيْنِ مَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ: البَصَلَ وَالثُّومَ، لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ إِذَا وَجَدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي الْمَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إِلَى البَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا، فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا. رواه مسلم.

يُبعده إلى البقيع توبيخًا له، وإلا فيكفي أن يخرجه من باب المسجد، لكن من أجل التوبيخ كان يخرجه إلى هذا المكان الذي هو بعيد نوعًا ما، ولكن عمر رضي الله عنه قال: من فليمتهما طبخًا، يعني فليطبخهما، فإنه إذا طبخهما زالت الرائحة.

قال العلماء: من كان به رائحة أسنان أو بخر في الفم أو رائحة كريهة، فإنه لا يقرب المسجد حتى يزيل هذه الرائحة، لأن العلّة قائمة، وهي تأذي الملائكة بالروائح الكريهة، فإن قال قائل: لو أن الإنسان استعمل شيئًا تذهب به الرائحة فهل يجوز أن يدخل؟ نقول نعم يجوز، لأن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا، فإن قيل: هل يجوز للإنسان أن يأكلهما لئلا يحضر المسجد؟ قلنا لا يجوز أن يتوصل إلى إسقاط الفرض بأي سبب كان، لكن لو أكلهما لأنه يشتهيهما، فإننا نقول: الأكل مباح، ولكن لا تقرب المسجد حتى تزول رائحتهما.





## ٣١٣- الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب

الاحتباء: أن يضمّ الإنسان رجليه إلى بطنه ويربط نفسه بثوب أو عمامة، يجمعهما فيه مع ظهره، ويشده عليه، وقد يكون الاحتباء باليد عوض الثوب.

**[١٧٠٥]** عن مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الحِبْوَةِ يَوْمَ الجُمعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ. رواه أَبُو داود والترمذي، وقالا: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

وقد نهى النبي ﷺ عنها لسببين؛ الأول: أنه ربما تكون سببًا لجلب النوم عن سماع الخطبة، والثاني: أنه ربما لو تحرك لبدت عورته، لأن غالب لباس الناس فيما سبق الثوب الواحد، ولو تحرك أو انقلب لبدت عورته، وأما إذا أمن ذلك فإنه لا بأس بها، لأن العلة إذا زالت فإنه يزول النهي.



## ٣١٤- عشرُ ذي الحِجَّة

**[١٧٠٦]** عن أُمِّ سَلَمَةَ ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ مِنْ شَعْرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّى يُضَحِّيَ**». رواه مسلم.

إذا دخل العشر من ذي الحجة، وأنت تريد أن تضحّي عن نفسك أو عن غيرك، فلا تأخذ شيئًا من شعرك، لا من الإبط ولا من العانة، ولا من الشارب، ولا من الرأس حتى تضحّي، ولا من ظفر القدم أو ظفر اليد، لأجل أن ينال غير المحرمين ما ناله المحرمون في الحج من احترام الشعور.





## ٣١٥- الحلفُ بِمَخلُوق

الحلف معناه: تأكيد الشيء بذكرٍ معظّم، والإنسان لا يحلف بشيء إلا لأنه عظيم في نفسه، ولهذا كان الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو بأي اسم من أسمائه.

قال الله تعالى: ﴿**وَلِلهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾.

**[١٧٠٧]** عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ، أَوْ لِيَصْمُتْ**». متفق عليه. وفي رواية في الصحيح: «**فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِاللهِ، أَوْ لِيَسْكُتْ**».

وعن عكرمة قال: قال عمر: حدثت قومًا حديثًا، فقلت: لا وأبي، فقال رجل من خلفي: «**لَا تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**»، فالتفتُّ، فإذا رسول الله ﷺ يقول: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ حَلَفَ بِالْمَسِيحِ هَلَكَ، وَالْمَسِيحُ خَيْرٌ مِنْ آبَائِكُمْ**». رواه ابن أبي شيبة.

قال العلماء: السر في النهي عن الحلف بغير الله، أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة في الحقيقة إنما هي لله وحده.



**[١٧٠٨]** وعن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ**». رواه مسلم.

الطَّوَاغِي: الأَصْنَامُ. وَمِنْهُ الحَدِيثُ: «**هٰذِهِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ**» أَيْ: صَنَمُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ. وَرُوِيَ في غير مسلم: «**بِالطَّوَاغِيتِ**»، جَمْعُ طَاغُوت، وَهُوَ الشَّيْطَانُ وَالصَّنَمُ.

ومن حلف بغير الله مطلقًا لم تنعقد يمينه، سواء كان المحلوف به يستحق التعظيم كالأنبياء والملائكة، والعلماء والصلحاء، والملوك، والآباء، والكعبة، أو كان لا يستحق التعظيم كالآحاد، أو يستحق التحقير والإذلال كالشياطين، والأصنام.

**[١٧٠٩]** وعن بُرِيدَةَ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا**».
حديث صحيح، رواه أَبُو داود بإسناد صحيح.

سَبَبُهُ أن اليمين لا تنعقد إلا بالله تعالى، أو بصفاته، وليست منها الأمانة، فنُهوا عنه لما يوهمه الحلف بها من مساواتها لأسماء الله وصفاته.

**[١٧١٠]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إِنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإِسْلَامِ، فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا، فَهُوَ كَمَا قَالَ، وَإِنْ كَانَ صَادِقًا، فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَى الإِسْلَامِ سَالِمًا**». رواه أَبُو داود.

**[١٧١١]** وعن ابن عمر ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: لَا وَالكَعْبَةِ، قَالَ ابنُ عُمَرَ: لَا تَحْلِفْ بَغَيْرِ الله، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله، فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ**».
رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

والحلف بغير الله قد يكون كفرًا أكبر، وقد يكون كفرًا أصغر، وقد يكون شركًا أكبر، وقد يكون شركًا أصغر، تبعًا لما يعتقد الحالف به من التعظيم، فإن قال القائل: نسمع بعض الناس يقول أقسم بآيات الله، هل هذا حلف بغير الله؟ وهل هذا كفر أو شرك؟ نقول: ماذا يريد بآيات الله؟ إن أراد الشمس والقمر والليل والنهار، فهذا حلف بغير الله، فيكون مشركًا أو كافرًا، لأن الله يقول: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، وإن قال أريد بآيات الله القرآن، لأن القرآن آيات الله، فهذا ليس بمشرك، لماذا؟ لأن القرآن الكريم كلام الله، وهو من صفاته، وهذا قَسَمٌ صحيح، وفي ظني أن العوام إذا قال أقسم بآيات الله؛ أنهم يريدون القرآن، وقيل: الحلف بغير الله من الشرك الأصغر الذي لا يخرج عن الإسلام، وما ورد في القرآن من القَسَم بغير الله فذلك يختص بالله ﷻ، فالخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا يقسم إلا بالخالق.



# ٣١٦- اليمين الكاذبة عمدًا

**[١٧١٢]** عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقِّهِ، لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ جل جلاله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا**﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ [آل عمران:٧٧]. متفق عليه.

**[١٧١٣]** وعن أَبي أُمَامَة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ**»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**». رواه مسلم. قوله: «**قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ**»: أي عودًا من سواك.



**[١٧١٤]** وعن عبد اللهِ بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**الكَبَائِرُ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ**». رواه البخاري. وفي رواية له: أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ**»، قَالَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**اليَمِينُ الغَمُوسُ**»، قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: «**الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ**». يعني بِيَمِينٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ، سُمِّيت اليمين الكاذبة غموسًا، لأنها تغمس الحالف في الإثم ثم تغمسه في النار.





## ٣١٧- من حلف على يمينٍ فرأى غيرها خيرًا منها

**[١٧١٥]** عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ**». متفق عليه.

**[١٧١٦]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ**». رواه مسلم.

**[١٧١٧]** وعن أَبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ أَرَى خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ**». متفق عليه.

مثلًا لو قال: والله لا أصلي في جماعة! والله لا أدخل المسجد! وهذا ربما يقع، هكذا يقول بعض السفهاء، فإذا حلف، قلنا: هذا لا يجوز، ويجب أن تحنث وتكفر عن يمينك، وإذا حلف فقال: والله لا أكلم ابن عمي، نقول: يجب أن يكفر عن يمينه، وهو بالخيار إن شاء فعل ثم كفر أو إن شاء كفر ثم فعل، هذا إذا كان يمينه معصية، أما إذا لم يكن كذلك، فالأفضل أن يبقى عليها وألا يحنث، لقول الله تعالى: ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾.



**[١٧١٨]** وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَلَجَّ أَحَدُكُمْ فِي يَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنْ أَنْ يُعْطِي كَفَّارَتَهُ الَّتِي فَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ**». متفق عليه.

«**يَلَجّ**»: يَتَمَادَى في يمينه ولا يكفّر، ولو تبيّن له خطؤه. «**آثَمُ**»: أَكْثَرُ إِثْمًا.

المراد أنَّ الرجل إذا حلف على شيء يتعلق بأهله وأصرّ عليه، فإنَّ الحنث في اليمين أفضل من التمادي فيه، إذا كان في الحنث مصلحة. ويستنبط من معنى الحديث: أن الحكم يتناول غير الأهل إذا وجدت العلة.



## ٣١٨- لغو اليمين

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِيَ أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٥]، وقال تعالى ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾ [المائدة:٨٩].

لغو اليمين: هو ما يجري على اللسان بغير قصد اليمين، كقوله على العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذلك، ولا كفارة فِيهِ، وقد عفا الله تعالى عن ذلك لأنه يحصل كثيرًا.



**[١٧١٩]** وعن عائشة ﵂ قالت: أُنْزِلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾، فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: لَا وَاللهِ، وَبَلَى واللهِ. رواه البخاري.

وعنها: لغو اليمين، القوم يتدارؤون، يقول أحدهم: لا والله، وبلى والله، وكلا والله، ولا يقصد الحلف، أما إذا عقد الإنسان اليمين عقدًا جازمًا ولم يفعل لزمته الكفارة، وهي عتق رقبة أو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم، بدأ الله تعالى بالإطعام لأنه أهون الثلاثة، والإطعام كيلو للنفر الواحد من الأرز يكفي، فإن لم يجد فإنه يصوم ثلاثة أيام متتابعة لا يفطر بينها، وهذا من سعة رحمة الله تعالى أن هذه الأيمان التي تتكرر على الألسن ولا يقصدها الحالف، ليس فيها إثم، وليس فيها كفارة، لأن ذلك يقع كثيرًا.





## ٣١٩- الحَلِفُ في البيع وإِن كان صادقًا

**[١٧٢٠]** عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**». متفق عليه.

**[١٧٢١]** وعن أبي قتادة ﵁: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ**». رواه مسلم.

فمثلًا يُكره أن يقول: والله لقد اشتريتها بمائة ولو كان صادقًا، فإن كان كاذبًا صار ظلمًا على ظلم، وإن قال: والله لقد اشتريتها بمائة ولم يشترها إلا بثمانين صار أشد، لأنه يكون بذلك كاذبًا، ومع أنه يزيد في البيع لكنه يمحق البركة، وكثير من الناس يُبتلى في هذا الأمر، تجده مثلًا يقول للزبون: والله إني اشتريته بكذا وكذا، سواء كان صادقًا أو كاذبًا، فهو منهيّ عنه.





## ٣٢٠- أن يسأل الإِنسانُ بوجهِ الله غير الجنّة

**[١٧٢٢]** عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إِلَّا الجَنَّةُ**».

رواه أبو داود.

هذا النّهي يدل على أن السؤال بالله يختلف، فإن كان السائل ظنَّ أن المسؤول إذا سأله بالله تعالى اهتزّ لإعطائه، واغتنمه، جاز له سؤاله بالله تعالى، وإنْ كان ممن يتلوى ويتضجر، ولا يأمن أنْ يرد، فحرام عليه أنْ يسأله، وأما المسؤول فينبغي إذا سئل بوجه الله أنَّ لا يمنع ولا يرد السائل، وأن يعطيه بطيب نفس.

**[١٧٢٣]** وعن ابن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اسْتَعَاذَ بِالله فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِالله فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ، فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ**». حديث صحيح رواه أبو داود والنسائي بأسانيد الصحيحين.

فلا تسأل بوجه الله شيئًا من أمور الدنيا. يمكن أني أسألك بوجهك أن تعطيني بيتًا أسكنه أو سيارة أركبها، لكن لا تسأل أحدًا بوجه الله، لأن وجه الله أعظم من أن يُسأل به شيء من الدنيا، لأن الدنيا كلها دنيئة، لا تسأل بوجه الله إلا الجنة.





## ٣٢١- قول: شاهان شاه للسُّلطان

**[١٧٢٤]** وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: قال: «**إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ ﷻ، رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاكِ**». متفق عليه.

مَلِكُ الأَمْلَاكِ: مثل شَاهِنشَاهِ. أخنع من الخنوع، وهو الذل. وفي رواية: أخنى: من الخنا، وهو الفحش في القول.

وعند الطبراني: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَلِكُ الأَمْلَاكِ**»، واستدل بهذا الحديث على تحريم التسمي بهذا الاسم، لورود الوعيد الشديد، ويلتحق به ما في معناه، مثل: خالق الخلق، وأحكم الحاكمين، وسلطان السلاطين، وأمير الأمراء، وهل يلتحق به من تسمَّى قاضي القضاة؟ أو حاكم الحكام؟ اختلف العلماء في ذلك، ومن النوادر: أن القاضي عز الدين رأى أباه في المنام، فسأله عن حاله؟ فقال: ما كان عليّ أضرّ من هذا الاسم، فأمر الموقعين أنْ لا يكتبوا له في السجلات قاضي القضاة، بل قاضي المسلمين.





## ٣٢٢- مُخاطَبة الفاسق: يا سيِّد

**[١٧٢٥]** عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ** عز وجل». رواه أبو داود بإسنادٍ صحيح.

الفاسق: من أصرَّ على معصية صغيرة، أو أتى كبيرة، والمبتدع: الخارج عن اعتقاد الحق الذي جاء به الكتاب والسنَّة إلى ما يزينه الشيطان.





# ٣٢٣- سَبُّ الحُمَّى

الحُمَّى هي السخونة، وهي نوع من الأمراض، وهي أنواع متعددة، ولكنها تكون بقدر الله ﷻ، فهو الذي يقدّرها وقوعًا ويرفعها، وكل شيء من أفعال الله فإنه لا يجوز للإنسان أن يسبّه، لأن سبّه سبًّا لخالقه، ولهذا قال النبي ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الدَّهْرَ فَإِنَّ اللهَ هُوَ الدَّهْرُ**».

[١٧٢٦] عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: دَخَلَ عَلَى أُمِّ السَّائِبِ، أَوْ أُمِّ المُسَيَّبِ فَقَالَ: «**مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ- أَوْ يَا أُمَّ المُسَيَّبِ- تُزَفْزِفِينَ؟**»، قَالَتْ: الحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا! فَقَالَ: «**لَا تَسُبِّي الحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيْرُ خَبَثَ الحَدِيدِ**». رواه مسلم.

«**تُزَفْزِفِينَ**»: تَتَحَرَّكِينَ حَرَكَةً سَرِيعَةً. وَمَعْنَاهَا: تَرْتَعِدِين.

في الحديث: النَّهي عن سبِّ الحُمَّى، لما فيه من التبرُّم والتضجُّر من قدر الله تعالى، مع ما فيها من تكفير السيئات، وإثبات الحسنات.

وقد ذكر البخاري حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَاطْفِئُوهَا بِالمَاءِ**»، وقد اعترض بعض سخفاء الأطباء قديمًا على هذا الحديث بأنْ اغتسال المحموم بالماء خطر، ويحتمل أن يكون لبعض الحميات من دون بعض في بعض الأماكن والأشخاص، ولهذا أقرّ الأطباء في الوقت الحاضر، بأن من أفضل علاج الحمى البرودة، حتى إنهم يجعلون الإنسان إذا أصابته الحمى حول المكيفات الباردة التي لا تضرّه، وأن يجعلوا خرقة مبلولة بالماء يغطونه بها.





## ٣٢٤- سَبُّ الرِّيح

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف:٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾ [الروم:٤٦].

هذه الريح تنقسم إلى قسمين: ريح عادية لا تخيف، وريح أخرى عاصفة، هذه تخيف، فإذا عصفت الريح فإنه لا يجوز لك أن تسبَّها، لأن هذه الريح أرسلها الله، فسبُّك إياها سب لله.

**[١٧٢٧]** عن أبي المنذِرِ أُبي بن كعب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هٰذِهِ الرِّيحِ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا، وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هٰذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

واعلمْ أنه لا يجوز للإنسان أن يتعلّق بالريح في حصول المطر، لأن هذا من جنس الاستسقاء بالأنواء، الذي نهى عنه النبي ﷺ، كثير من الناس يعلّق رجاءه بالريح الجنوبي، يقول: إذا هب الجنوب حصل الغيث، وتجد قلبه متعلقًا بها، لأنها قد تهب ريح الجنوب كثيرًا ولا يأتي أمطار ولا غيوم، وقد يكون بالعكس!



**[١٧٢٨]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الرِّيحُ مِنْ رَوحِ اللهِ، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا**». رواه أبو داود بإسناد حسن.

قوله ﷺ: «مِنْ رَوْحِ اللهِ» بفتح الراء: أَيْ مِنْ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ.

[١٧٢٩] وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَصَفَتِ الرِّيحُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ**». رواه مسلم.





## ٣٢٥- سَبُّ الدِّيك

الديك له صوت يؤذن به فيوقظ النائم، وقد أمر النبي ﷺ من سمع صوت الديك أن يسأل الله من فضله، فإنه رأى ملكًا، وبعض الديكة يكون أذانه قرب دخول الوقت فيوقظ الناس للصلاة، فيسبّه ويشتمه، فنهى النبي ﷺ عن سبّه لهذه المزية.

**[١٧٣٠]** عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وفي هذا الحديث دليل على أنه ينبغي للإنسان أن يتخذ ما يوقظه للصلاة، وذلك مثل الساعات المنبهة، وكثير من الناس يتهاون في هذا الأمر، ينام معتمدًا على أنه سيقوم في الوقت الذي يريده، ولكن يغلبه النوم.





## ٣٢٦- قولُ الإنسان: مُطِرنا بنَوْء كذا

[١٧٣١] عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ فِي إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**»، قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي، وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذٰلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوَاكِبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذٰلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوَاكِبِ**». متفق عليه.

السَّماءُ هُنَا: المَطَرُ.

قوله: «**فَذٰلِكَ كَافِرٌ بِي**» أي: كفرًا حقيقيًّا إنِ اعتقد أنَّ النجم موجد للمطر حقيقة، وإلا فكافر للنعمة إنْ لم يعتقد ذلك؛ لأنه أسند ما لله لغيره.





## ٣٢٧- قولُ المسلم لأخيه: يَا كافر

المسلم والكافر حكمهما إلى الله، فليس لنا أن نكفّر من ليس بكافر في حكم الله، ومسألة التكفير مسألة خطيرة جدًّا فُتح بها أبواب شرّ كبيرة على الأمة الإسلامية، فإن أول من انتحل هذه النحلة الخبيثة، هم الخوارج الذين أخبر النبي ﷺ أنهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، وأنهم يصلّون ويتصدّقون، لكنهم كفّروا المسلمين واستحلّوا دماءهم وأموالهم ونساءهم، ولا يزال هذا الحكم موجودًا إلى يومنا هذا.

[١٧٣٢] عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**». متفق عليه.

هؤلاء الخوارج اجتمعوا مع عليّ بن أبي طالب الخليفة الرابع على حرب أهل الشام، وجرت بينهم حروب عظيمة ودماء كثيرة، ثم اصطلح عليّ رضي الله عنه مع أهل الشام حقنًا لدماء المسلمين، فقالت الخوارج لعليّ بن أبي طالب: أنت كافر! لماذا تصالحهم؟ كفرت كما كفروا! فخرجوا عليه وقاتلوه، لكنه انتصر عليهم، وقتلهم وقضى عليهم جميعًا، ولا يزال هذا المذهب موجودًا، فيقولون مثلًا: من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شرب الخمر فهو كافر، كل ذنب من كبائر الذنوب فهو عندهم كفر يُخرِج من الملّة، فهؤلاء الذين يكفّرون المسلمين لا شك أنهم هم الكفار.



[١٧٣٣] وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذٰلِكَ، إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**». متفق عليه.

«**حَارَ**»: رَجَعَ.

في هذا وعيد عظيم لمن كفَّر أحدًا من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنَّة وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلّظوا وشدّدوا على مخالفيهم وحكموا بكفرهم، والحق أنه لا يكفّر أحد من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها، فإنه حينئذ يكون مكذبًا للشرع.





## ٣٢٨- الفُحش وبذاء اللِّسان

**[١٧٣٤]** عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيِّ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

«**الطَّعَّان**»: العيَّاب للناس. «**اللَّعَّان**»: كثير اللَّعن. «**الفَاحِش**»: يقول السَّيئ. «**البَذِيّ**»: يقول السَّفَه والفُحشَ وإن كان صادقًا.

**[١٧٣٥]** وعن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.



## ٣٢٩- التَّقعُّر في الكلام والتَّشدُّق فيه

التَّقعُّر والتَّشدُّق: هو تكلُّف الفصاحة، واستعمال وحشيِّ اللُّغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم، والتقعر في الكلام والتشدق فيه، هو أن يتكلم الإنسان عند العامة في غرائب اللغة العربية، فالإنسان ينبغي أن يكون كلامه ككلام الناس؛ الكلام الذي يُفهم حتى وإن كان بالعامية ما دام يخاطب العوام، أما إذا كان يخاطب طلبة علم في مجلس التعلم فهنا ينبغي أن يكون كلامه بما يقدر عليه من اللغة العربية.

**[١٧٣٦]** عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ**»، قَالَهَا ثَلَاثاً. رواه مسلم.

المُتَنَطِّعُونَ: هم المُبَالِغُونَ فِي الأمُورِ، والمتنطع هو المتقعر في الكلام مما يعده الناس خروجًا عن المألوف، وقيل: هم المتعمقون في الشيء المتكلف البحث عنه، الداخلون فيما لا يعنيهم، الخائضون فيما لا تبلغه عقولهم.



**[١٧٣٧]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ. قيل: أي الذي يتشدَّق بلسانه في الكلام ويلفه، كما تَلُفُّ البقرة الكلأ بلسانها لفًّا.



**[١٧٣٨]** وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ**

**القِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

الثرثار: كثير الكلام. المتشدق: المتكلم بملء فمه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه. المتفيهق: المتكبر.





## ٣٣٠- قَولهُ: خَبُثَتْ نفْسي

**[١٧٣٩]** عن عائشة ﵂، عن النبي ﷺ قال: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلَكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ نَفْسِي**». متفق عليه.

أحيانًا يصيب الإنسان حالة نفسية يسميها الناس كتمة، فتضيق عليه الدنيا من دون أن يعرف سببًا، فيقول: خبثت نفسي، وخبثت يعني صارت خبيثة، وهذه كلمة مكروهة، ولكن يقول: لقست، وهي بمعنى خبثت، لكنها أهون في اللفظ.





## ٣٣١- تسمية العنب كَرْمًا

[١٧٤٠] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، فَإِنَّ الكَرْمَ المُسْلِمُ**». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري ومسلم: «**يَقُولُونَ: الكَرْمُ، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ**».

[١٧٤١] وعن وائلِ بنِ حُجرٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُولُوا: الكَرْمُ، وَلٰكِنْ قُولُوا: العِنَبُ، وَالحَبَلَةُ**». رواه مسلم.

قيل: إنَّ المراد بالنهي تأكيد تحريم الخمر بمحو اسمها، ولأن في بقاء هذا الاسم لها تقرير لما كانوا يتوهمونه من تكريم شاربها، فنهى عن تسميتها كَرْمًا، وقال: «**إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ**»، لما فيه من نور الإيمان، وهدى الإسلام.





## ٣٣٢- وصفُ محاسِنِ المرأة لرَجل

**[١٧٤٢]** عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، فَتَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا**». متفق عليه.

ومن ذلك ما يفعله بعض السفهاء، بحيث يفتخر عند أصحابه وزملائه فيقول: امرأتي جميلة، يعني يفتخر بجمالها، ووجهها كذا، وعينيها كذا، وفمها كذا، وما أشبه ذلك، فإن هذا من المحرّم، والحكمة في النهي خشية أنْ يُعجب الرجل الآخر بالوصف المذكور، فيُفضي ذلك إلى تطليق الواصفة، أو إلى الافتتان بالموصوفة.



## ٣٣٣- قولُ الإنسان: اللَّهمَّ اغْفِرْ لي إن شِئْتَ

[١٧٤٣] عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ**». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «**وَلٰكِنْ لِيَعْزِمْ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ**».

«**لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ**»: أن يجتهد ويَلِحّ.

لا يقل: إن شئت ولا يستثني، كدعاء البائسِ، لأن قول القائل إن شئت: كأنه يقول: إن شئت اغفر لي وإلا ما يهمني! كأنه يقول: أنا في غنى عنك! كما تقول لصاحبك: إن شئت فزرني، يعني وإن شئت فلا تزرني! فأنا لست في حاجة إليك! ولهذا لا يقول: اللهم ارحمني إن شئت، بل يعزم؛ لأنه يسأل كريمًا غنيًّا، وكذلك لا يقول: اغفر لي إن شاء الله، أو يقول: غفر الله لك إن شاء الله، هداك الله إن شاء الله، كأنه يتعاظم الشيء، والله تعالى لا يتعاظمه شيء، كل هذا لا يقال وإنما يجزم. ومن ذلك أيضًا: ما يقوله بعض الصوفية: اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه، فإن هذا حرام، وكأنك تقول: يا ربي عذبني ولكن ارفق بي! كيف لا تسأل الله رد القضاء؟ والدعاء يرد القضاء، كما جاء في الحديث: «**لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ**».



[١٧٤٤] وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ**». متفق عليه.

في الحديث: أنه ينبغي للداعي أنْ يجتهد في الدعاء، ويكون على رجاء الإجابة، ولا يقنط من الرحمة، فإنه يدعو كريمًا، ولا يمنعنّ أحد الدعاء ما يعلم في نفسه من التقصير.





## ٣٣٤- قولُ: ما شاء اللهُ وشاء فلانٌ

**[١٧٤٥]** عن حُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ؛ وَلَٰكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

وذلك أن الواو تقتضي التسوية، فإذا قلت ما شاء الله وشاء فلان، كأنك جعلت فلانًا مساويًا لله ﷻ في المشيئة، ولكن أرشد النبي ﷺ أن نقول: ما شاء الله ثم شاء فلان، لأن ثم تقتضي الترتيب بمهلة، وأما أن تقول ما شاء الله فشاء فلان بالفاء، فهذه محل نظر، ولهذا لم يرشد إليها النبي ﷺ.





## ٣٣٥- الحديث بعد العشاء الآخرة

[١٧٤٦] عن أبي بَرْزَةَ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا. متفق عليه.

وروى الحافظ المقدسي من حديث عائشة مرفوعًا: «**لَا سَمَرَ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ؛ مُصَلٍّ، أَوْ مُسَافِرٍ، أَوْ عَرُوسٍ**».

والحديث بعد صلاة العشاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم مكروه محرّم، وقسم مندوب مستحب، وقسم مباح:

الأول: المكروه والمحرّم؛ مثل الحديث في الغيبة والنميمة والاستماع إلى اللهو والغناء ومشاهدة الأفلام وغيرها، فهذا حرام في كل وقت، ويزداد إثمًا إذا كان بعد العشاء، والكلام اللغو، وهو أكثر كلام الناس، فهذا يطول به المجلس ثم يتأخر نومه، فيكسل عن قيام الليل وعن صلاة الفجر، وكان النبي ﷺ يكرهه.

الثاني: المندوب أي المستحب؛ فهو التشاغل بالعلم مطالعة أو حفظًا أو مذاكرة.

الثالث: المباح؛ الحديث مع الضيف ليؤنسه، والحديث مع الأهل، والشاهد من هذا الحديث قوله: «**وَالحَدِيثُ بَعْدَهَا**»، فإن الحديث بعد العشاء كرهه النبي ﷺ، وأما إذا كان في خير فإنه لا بأس به.



[١٧٤٧] وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ، صَلَّى العِشَاءَ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «**أَرَأَيْتَكُمْ لَيْلَتَكُمْ هٰذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مَائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ على ظَهْرِ الأَرْضِ اليَوْمَ أَحَدٌ**». متفق عليه.

فيه: معجزة للنبي ﷺ؛ فقد أجمع العلماء على أنَّ أبا الطفيل، عامر بن واثلة آخر الصحابة موتًا، وغاية ما قيل فيه: أنه مات سنة مئة وعشر، وذلك رأس مائة سنة من مقالته ﷺ.

**[١٧٤٨]** وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّهُمُ انْتَظَرُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَجَاءَهُمْ قَرِيبًا مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّى بِهِمْ- يَعْنِي: العِشَاءَ- ثُمَّ خطَبَنَا، فَقَالَ: «**أَلَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا، ثُمَّ رَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلَاةَ**». رواه البخاري.



## ٣٣٦- امتناعُ المرأة من فِراش زوجِها

**[١٧٤٩]** عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**». متفق عليه. وفي رواية: «**حَتَّى تَرْجِعَ**».

الفِراش: كناية عن الجماع.

وفي رواية عند مسلم: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ، إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا**».

ولابن خزيمة من حديث جابر رفعه: «**ثَلَاثَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ صَلَاةٌ، وَلَا يَصْعَدُ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَسَنَةٌ؛ العَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَالسَّكْرَانُ حَتَّى يَصْحُو، وَالمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّى يَرْضَى**».



## ٣٣٧- صومُ المرأة تطوعًا من دُون إِذن زوجِها

الواجب على الزوجة إذا دعاها زوجها إلى حاجته أن تجيبه، إلا إذا كان هناك عذر شرعي، كما لو كانت مريضة، وكذلك ينبغي للزوج إذا رأى من زوجته أنها تريد التمتع عليه أن يجيبها، ليعاشرها كما تعاشره.

**[١٧٥٠]** عن أَبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**». متفق عَلَيْهِ.

والصيام نوعان: نوع واجب؛ فلها أن تصوم بغير إذن زوجها، ونوع تطوع؛ فلا تصوم إلا بإذنه، لأنه ربما يدعوها إلى حاجته وهي صائمة فيقع في حرج، وتقع هي كذلك في حرج، أما إذا كان في صوم الواجب، كما لو كان عليها أيام من رمضان، ولم يبق على رمضان الثاني إلا بمقدار ما عليها، فهنا يجب عليها أن تصوم، سواء إذن أم لم يأذن، فمثلًا إذا كانت المرأة عليها من رمضان عشرة أيام، ولم يبق على رمضان الثاني إلا عشرة أيام، فهنا تصوم سواء أذن أم لم يأذن، وإن كان تطوعًا فله أن يجامعها فيه ولو فسد الصوم. وأما قوله: «**وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»: إن منعها أن تُدخل أحدًا معيّنًا حرِّم عليها أن تدخله، وأما إذا كان رجلًا واسع الصدر لا يهمّه، فلا يلزمها أن تستأذنه لكل واحد.





## ٣٣٨- رَفْعُ المأْموم رأسَه من الرُّكوع أو السُّجود قبل الإِمام

**[١٧٥١]** عن أبي هريرة ﵁ أنَّ النبي ﷺ قال: «**أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ؟! أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ**». متفق عَلَيْهِ.

المأموم مأمور بأن يتابع الإمام، فلا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ولا يوافقه، فإن سابقه في تكبيرة الإحرام لم تنعقد الصلاة، يعني لو كبّر في الإحرام قبل أن يكبر إمامه، ولو كان ناسيًا أو ساهيًا، فإن صلاته لا تنعقد وعليه أن يعيدها، وإن سبق الإمام في الركوع والسجود وهو متعمد فصلاته باطلة، وأما الموافقة؛ مثلًا يركع مع ركوع الإمام ويسجد مع سجوده ويقوم مع قيامه، فهذا إن كان في تكبيرة الإحرام لم تنعقد صلاته، وإن كان في غيرها فهو منهيّ عنه.

قال بعضهم: مكروه، وقال بعضهم: حرام، وأما المسابقة قبل الإمام في الركوع والسجود، فقد حذر منه النبي ﷺ منهما، فقال: أما يخشى أحدكم إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار، وهذا وعيد، وإنما اختار النبي ﷺ الحمار من دون سائر البهائم، لأن الحمار أبلد ما يكون من البهائم، ولهذا مثّل به اللهُ تعالى اليهودَ، فقال: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾، وهذا يدل على تحريم سبق الإمام في الرفع من الركوع والسجود، وأما التأخر عن الإمام كما يفعله بعض الناس، إذا قام الإمام يبقى ساجدًا، يزعم أنه يدعو الله، نقول نعم أنت في دعاء لو كنت وحدك، أما وأنت مع الإمام فإنك مخالف لهدي النبي ﷺ.





## ٣٣٩- وَضْعُ اليد على الخاصِرة في الصَّلاة

**[١٧٥٣]** عن أَبي هريرة رضي الله عنه قال: نُهِيَ عَنِ الخَصْرِ فِي الصَّلَاةِ. متفق عليه.

والحكمة في النهي عن الاختصار أنه فِعْلُ اليهود، وقد نُهينا عن التشبّه بهم. وقيل: لأنه ينافي الخشوع، وقيل: لأنه فعل المتكبرين، وذلك لأن الإنسان مأمور إذا كان في صلاته، أن يضع يده اليمنى على ذراعه اليسرى، أو على الرّسغ، ويرفعهما على صدره، هذه هي السنة، يفعل ذلك في القيام قبل الركوع وبعد الركوع، وأما وضعهما على الخاصرة، فإن النبي ﷺ نهى عن ذلك، أما أن يضع اليد اليمنى على اليسرى كما يفعله بعض الناس، ويجعل اليدين على القلب فهذا غلط.





## ٣٤٠- الصَّلاة بحَضرة الطَّعام أو مع مُدافعة الأخبثَيْن

**[١٧٥٣]** عن عائشة ﵂، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا وَهُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ**». رواه مسلم. وفي رواية: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، وَحَضَرَ العَشَاءُ، فَابْدَؤُوا بِالعَشَاءِ**»، وفيه دليل على تقديم فضيلة الخشوع في الصلاة على فضيلة أول الوقت، ولو فاتته الجماعة، ولا يجوز اتخاذ ذلك عادة، أما الصلاة بحضرة الطعام الذي يشتهيه أو حال مدافعة الأخبثين، هذا يُكره حتى ولو سمع الناس يصلون في المسجد، فَلَهُ أن يبقى ويأكل حتى يشبع، فقد كان ابن عمر ﵄ يسمع قراءة الإمام يصلي وهو يتعشى ولا يقوم حتى يفرغ، وذلك لأن الإنسان إذا دخل في الصلاة وهو مشغول القلب، فإنه لا يطمئن في صلاته، ولا يخشع فيها، لكنه لا ينبغي أن يجعل ذلك عادة له، بحيث لا يأكل إلا عند إقامة الصلاة.

أما أن يصلي وهو يدافعه الأخبثان؛ البول والغائط، فإن هذا أيضًا يُذهب الخشوع، ولأن حبس البول أو الغائط يضرّ البدن، فإذا قال قائل: لو ذهبت أقضي الحاجة فاتتني الصلاة مع الجماعة؟ قلنا: لا بأس، اذهب واقض حاجتك ولو فاتتك الصلاة، ولو قال: إذا ضاق الوقت وهو حصران في بول أو غائط، هل يقضي حاجته ثم يصلي؟ أو يصلي في الوقت ولو كان مشغول القلب؟ ففي هذه خلاف بين العلماء؛ ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀ تعالى إلى أنه يقضي حاجته ولو خرج الوقت، لأن هذا ضرورة، وفيه ضرر على بدنه، وقال أكثر العلماء: بل يصلي ويخفف ولعله لا يتضرر بذلك.





## ٣٤١- رفعُ البَصرِ إلى السَّماءِ في الصَّلاة

**[١٧٥٤]** عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا بَالُ أَقْوامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فِي صَلاَتِهِمْ!**»، فَاشْتَدَّ قَوْلُهُ فِي ذٰلِكَ حَتَّى قَالَ: «**لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذٰلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ**». رواه البخاري.

في هذا الحديث: دليل على تحريم رفع البصر إلى السماء في الصلاة؛ لأنه ينافي الخشوع. قال القاضي عياض: واختلفوا في غير الصلاة في الدعاء، فكرهه قوم، وجوزه الأكثرون، وبعض الناس إذا رفع من الركوع وقال سمع الله لمن حمده، رفع بصره ووجهه، وهذا حرام عليه، حتى إن بعض العلماء قال: إن فعل بطلت صلاته، والمطلوب أن يخشع ويطأطئ رأسه، كما أن الإنسان مأمور بأن يستقبل القبلة بجميع بدنه، فإذا رفع بصره إلى السماء صار وجهه إلى السماء لا إلى القبلة فتبطل صلاته، فالمسألة على خطر، فإذا قال قائل: إذا أين أضع بصري؟ قلنا ضع بصرك حيث كان سجودك، إلا في حال رفع السبابة في الدعاء في التشهد، فانظر إلى السبابة، واستثنى بعض العلماء من ذلك النظر إلى الإمام ليقتدي به، لأن الصحابة كانوا يفعلون ذلك، واستثنى بعض العلماء أيضًا؛ إذا كان الإنسان في المسجد الحرام والكعبة أمامه، فإنه يجعل بصره إلى الكعبة، ولكن هذا الاستثناء ضعيف، ثم إن قول بعضهم: إن النظر إلى الكعبة عبادة؛ هذا خطأ ليس بصحيح.





## ٣٤٢- الالتفات في الصَّلاة

[١٧٥٥] عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سَأَلْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الالتِفَاتِ فِي الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «**هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ**». رواه البخاري.

إذا قام الإنسان يصلي فإنه بين يدي الله، فلا يلتفت لا بقلبه ولا بوجهه، أما الالتفات في القلب فهو أن الإنسان يفكر في غير ما يتعلق بالصلاة، مثل الهواجس التي تعتري كثيرًا من المصلين، وهو أشد إخلالًا للصلاة من الالتفات بالبدن، لأنه ينقص من الصلاة، حتى إن الإنسان ينصرف من صلاته ما كتب له إلا عُشرها أو حسب حضور قلبه، وأما الالتفات بالوجه، فهو أن يلوي عنقه يمينًا أو شمالًا لا تلقاء القبلة، فقال ﷺ: «**هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ**».

الاختلاس: أخذ الشيء بخفية، يعني أن الشيطان يتسلط على الإنسان في صلاته، فيتلفت يمينًا أو شمالًا لأجل أن ينقص أجره.



[١٧٥٦] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالالتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الالتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ، فَفِي التَّطَوُّعِ لَا فِي الفَرِيضَةِ**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قوله: «**فَإِنَّ الالتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ**»، أي: سبب الهلاك، وذلك لأن من استخفّ بالمكروهات وقع في المحرمات، فأهلك نفسه بتعريضها للعقاب، ولكن إذا كان هناك حاجة فلا بأس، كما لو سمعت صوت حيوان يريد أن يعتدي عليك، بشرط أن يكون الالتفات بالرأس فقط، وأما الالتفات بالبدن فإنه يبطل الصلاة، لأنه انحراف عن القِبلة، لأنها من شروط الصلاة، بعض الناس تجده يجعل بصره يحوم يمينًا وشمالًا، إن قام أحد نظر إليه، وإن تحرك نظر إليه، وهذا لا شك ينقص أجر الصلاة.

## ٣٤٣- الصَّلاةُ إلى القبور

**[١٧٥٧]** عن أَبِي مَرْثَدٍ كَنَّازِ بْنِ الحُصَيْنِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُصَلُّوا إِلَى القُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا**». رواه مسلم. والحكمة من ذلك قوله ﷺ: «**أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذٰلِكَ**». رواه مسلم. فلا يجوز أن يصلى إلى القبور، ولا أن تتخذ مساجد يصلى بينها، لكن لو كان بينكم وبين القبور حاجز جدار يمنعكم منها فالصلاة صحيحة، أو بينكم وبينها بيت أو مسكن أو شيء يمنع منها، مثل وادٍ بينكم وبينها، أو ما أشبه ذلك، لكن بعدكم عنها أسلم.

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ حَرِيصًا عَلَى إِرْشَادِ المُسْلِمِينَ لِمَا فِيهِ إِظْهَارُ تَكْرِيمِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، فِي المَحْيَا وَبَعْدَ المَمَاتِ، فَنَهَى عَنِ القُعُودِ وَالجُلُوسِ عَلَى القُبُورِ، وَشَدَّدَ النَّهْيَ عَنْ هٰذَا الأَمْرِ. وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: كَأَنَّ الجَالِسَ عَلَى القَبْرِ جَالِسٌ عَلَى جَمْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَلْيُسْرِعْ إِلَى القِيَامِ، وَالمَعْهُودُ مِنَ القُبُورِ لَيْسَ إِلَّا زِيَارَتُهَا وَالدُّعَاءُ عِنْدَهَا قَائِمًا، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ رَسُولُ الله ﷺ فِي الخُرُوجِ إِلَى البَقِيعِ، وَيَقُولُ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لِي وَلَكُمُ العَافِيَةَ**».



## ٣٤٤- المرورُ بين يدَي المصلِّي

**[١٧٥٨]** عن أَبي الجُهَيْمِ عبد الله بن الحارِثِ بن الصِّمَّةِ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ؟ لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ**»، قال الراوي: لَا أَدْرِي قَالَ: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. متفق عليه.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَجْعَلْ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيَنْصِبْ عَصًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ عَصًا فَلْيَخُطَّ خَطًّا، ثُمَّ لَا يَضُرُّهُ مَنْ مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ**». رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجة.



## ٣٤٥- شروع المأموم في نافلةٍ بعد إقامة الصَّلاة

[١٧٥٩] عن أَبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ**». رواه مسلم.

إذا أقيمت الصلاة لا يشرع المأموم في نافلة، سواء كانت تحية مسجد أو تطوّعًا، مثل أن تحضر لصلاة الفجر وتقام الصلاة، فلا يجوز أن تصلي سنة الفجر، لأنه إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة، حتى لو كان على الإنسان فريضة فائتة نسيها ولم يذكرها إلا حين أقيمت الصلاة فإنه لا يصلّيها، ولكن يدخل مع الإمام بنية تلك الفريضة التي فاتته، ولا ينفرد عن الناس، ولكن، إذا أقيمت الصلاة وقد شرعت في النافلة، فهل تكملها أو تخرج منها؟ للعلماء قولان: الأول: اقطعها ولا تكملها، الثاني: أكملها ولو فاتتك ركعة أو ركعتان، والصحيح أن نقول: إن كنت في الركعة الأولى فاقطعها، وإن كنت في الركعة الثانية فأتمها خفيفة، وهذا هو الصحيح.

وذكر البخاري حديث ابن بحينة، أن رسول الله ﷺ رأى رجلًا وقد أقيمت الصلاة، يصلي ركعتين، فلما انصرف رسول الله ﷺ لاث به الناس، وقال له: «**آلصُّبْحَ أَرْبَعًا؟! آلصُّبْحَ أَرْبَعًا؟!**»، قوله: فلمَّا انصَرَفَ لاثَ به النَّاسُ، أي: أحاطُوا به، وسَألوه: ماذا قال له رسولُ الله ﷺ؟ فأَخبَرَهم أَنَّه وَبَّخه بأَنْ قال له: أَتُصلِّي الصُّبحَ أَربعَ رَكعاتٍ؟! لأَنَّ الرَّجُلَ ترَكَ الصَّلاةَ المفروضةَ الَّتي أُقِيمَتْ، وبدَأَ في صَلاةِ النَّفلِ، فكأَنَّه يُساوي بيْن الفَريضةِ والنَّفلِ ويَعُدُّهما واحدًا.





## ٣٤٦- تخصيص يوم الجمعة بصيام أو صلاة

**[١٧٦٠]** عن أَبِي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يَوْمَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأَيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَوْمٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ**». رواه مسلم.

يوم الجمعة هو عيد الأسبوع، ونهى النبي ﷺ عن صومه، لكنه ليس نهي تحريم، لأنه يتكرر كل عام أكثر من خمسين مرة، وأما النهي عن صوم العيدين؛ عيد الأضحى وعيد الفطر، فهو نهي تحريم، لأنه لا يتكرر في السنة إلا مرة واحدة؛ عيد الفطر مرة وعيد الأضحى مرة، ولهذا كان النهي عنه أخصّ، كان نهي كراهة، وتزول الكراهة إذا ضممت إليه يومًا قبله أو يومًا بعده.

**[١٧٦١]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَّا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ**». متفق عليه. فإذا كان يوم الجمعة يوم عرفة فصمه ولا تُبالِ وإن لم تكن صائمًا قبله، وإذا صادف يوم عاشوراء فصم ولا تبالِ، لكن ينبغي أن نخالف اليهود فيه؛ فنصوم يومًا قبله أو يومًا بعده.

وقد ورد عن النبي ﷺ حديث: لا تصوموا يوم السبت، لكن هذا الحديث ضعيف شاذّ لا يُعمل به، ومنهم من قال إنه منسوخ، وعلى كل حال، الأفضل ألا يصومه إلا مضمومًا إليه يوم الجمعة أو يوم الأحد.



**[١٧٦٢]** وعن محمد بن عبَّاد، قال: سَألت جابرًا ﷺ: أَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. متفق عليه.

**[١٧٦٣]** وعن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ: «**أَصُمْتِ أَمْسِ؟**»، قَالَتْ: لَا، قَالَ: «**تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَداً؟**»، قَالَتْ: لَا، قَالَ: «**فَأَفْطِرِي**». رواه البخاري.



## ٣٤٧- تحريمُ الوِصَال في الصَّوم

[١٧٦٤] عن أَبي هريرة وعائشة ﭫ، أن النبي ﷺ نهى عن الوِصَالِ. متفق عليه.

الوِصَالُ: أن يصوم يومين أَو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما، والله ﷻ قد حدد الصيام في قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾، فحدد الله ابتداء الصيام وانتهاءه، وعلى الإنسان يبادر بالفطور ولا يتأخر، ولا يحل له أن يواصل بين يومين لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك، وقال: «أَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحَرِ»، يعني ليتسحّر في آخر الليل، وبهذا تبين أن للصائم ثلاث حالات؛ الأولى: أن يبادر بالإفطار بعد غروب الشمس وهذه هي السنة والأفضل والأكمل، والحالة الثانية: أن يتأخر إلى السحر وهذا جائز لكنه خلاف الأولى، والحالة الثالثة: ألا يفطر بين يومين بل يواصل وهذه حرام.



[١٧٦٥] وعن ابن عمر ﭭ، قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الوِصَالِ، قَالُوا: إِنَّكَ تُواصِلُ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى». متفق عليه.

في الحديث: دليل على كراهة الوصال، وهو أن لا يفطر بين اليومين، ولمسلم عن أبي سعيد: «أَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَى السَّحَرِ»، وفيه دليل على جوازه إلى السحر إذا لم يشقّ عليه، ولم يضعفه عن العبادة. وقوله: «إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى»، أي: يعطيني الله قوة الآكل والشارب، ويفيض عليَّ ما يسدَّ مسدَّ الطعام والشراب.





## ٣٤٨- الجلوس على القبر

**[١٧٦٦]** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ**». رواه مسلم.

في هذا الحديث: كراهة الجلوس على القبر، وكذا الاتكاء عليه، وأما التغوُّط والبول عليه فحرام.





## ٣٤٩- تجصيص القبر والبناء عليه

[١٧٦٧] عن جابر رضي الله عنه قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُجَصَّصَ القَبْرُ، وَأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. رواه مسلم.

في هذا الحديث: النهي عن تجصيص القبور والبناء والجلوس عليها وإهانتها، ولا تعظّم بالبناء والتجصيص؛ يعني تفخيمه وتعظيمه، لأن ذلك يجرّ إلى اتخاذها مساجد وعبادتها، وأما الكتابة التي تشبه ما كانوا يفعلونه في الجاهلية، يكتب اسم الشخص ويكتب الثناء عليه، وأنه فعل كذا وكذا، وغيره من المديح، أو تكتب الأبيات، فهذا حرام، ومن هذا ما يفعله بعض الجهّال؛ أنه يكتب على الحجر الموضوع على القبر سورة الفاتحة أو غيرها من الآيات فكل هذا حرام، وعلى من رآه في المقبرة أن يزيل هذا الحجر، لأن هذا من المنكر الذي يجب تغييره.





# ٣٥٠- إِباقُ العبد من سيِّدِهِ

**[١٧٦٨]** عن جرير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ**». رواه مسلم.

قال النووي: الذِّمة: أي العهد والأمانة، ومنه قوله ﷺ: «**يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ**»، وَ«**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ ﷻ**»، وَ«**لَهُمْ ذِمَّةُ اللهِ وَرَسُولِهِ**».



**[١٧٦٩]** وعنه، عن النبي ﷺ: «**إِذَا أَبَقَ العَبْدُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ**». رواه مسلم. وفي روايةٍ: «**فَقَدْ كَفَرَ**».

إباقه: يعني هربه من سيده، وقد ورد الوعيد في هذا بأنه يكون كافرًا، وأن الذمة بريئة منه، وأنه لا تقبل صلاته، فهذه ثلاث عقوبات.

## ٣٥١- الشَّفاعة في الحدود

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور:٢].

قال مجاهد: إقامة الحدود إذا رفعت إلى السلطان فإنها تقام ولا تعطَّل. وقيل: قدّم المؤنث على المذكر عكس ما في قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾، [المائدة:٣٨]؛ لأنَّ مدار الزِّنى على الشهوة منهنّ، ومدار السرقة على الأغلب فيهم، فقدم ما هو أليق بهن وبهم.

والعقوبات تنقسم إلى قسمين:

العقوبات الأخروية: هذه أمرها إلى الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ فكل ذنب سوى الشرك، فإنه قابل أن يغفره الله بفضله ورحمته.

العقوبات الدنيوية: فهي أقسام كثيرة؛ فمثلًا السارق تقطع يده ولا يجوز أن تقطع رجله مع يده ولا أن تقلع عينه، لا يجوز أن يتعدّى فيها ما حده الله ورسوله، أيضًا الزنا إذا كان الزاني أعزبًا فحدّه مائة جلدة وتغريب عام، أي طرده من البلد، ولا تجوز الزيادة فيه ولا النقص منه، ومثل المحاربين لله ورسوله فهؤلاء جزاؤهم أن يقتّلوا، أو يصلّبوا، أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض.

وهناك عقوبات أخرى ترجع إلى رأي الحاكم؛ يعني القاضي الشرعي، هذه أمرها واسع؛ تارة تكون بالمال، وتارة بالعزل عن منصبه، وتارة بالحبس، وتارة بالتشهير؛ بأن يُعلن اسمه ومخالفته بين الناس، وتارة بالجلد، فأمّا العقوبات المحددة كالزنى والسرقة مثلًا، فإنه إذا بلغت الحاكم فلا يجوز لأحد أن يشفع فيها، وإن لم تصل إلى الحاكم؛ فهنا قد يجوز الشفاعة والتوسط، مثلًا: لو أن أحدًا رأى شخصًا يزني وشاهده وعنده أربع شهود، ورأى أن من المصلحة أن يُستتاب، فإذا تاب ستر عليه، أما بعد أن تبلغ السلطان فلا يجوز.

وأما القتل بالردة فليس من الحدود، لأن المرتد إذا تاب ولو بعد أن رُفع إلى الحاكم فإنه يسقط عنه القتل، إذا تاب قبل أن يقدر عليه، لقول الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

**[١٧٧٠]** عن عائشة ﵂: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعَالَى؟!**»، ثُمَّ قَامَ، فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**». متفق عليه. وفي روايةٍ: فَتَلَوَّنَ وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟!**»، فَقَالَ أُسَامَةُ: اسْتَغْفِرْ لِي يَا رَسُولَ الله، قَالَ: ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ الْمَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

هذه القصة وقعت في غزوة الفتح.

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله فَقَدْ ضَادَّ اللهَ فِي أَمْرِهِ**». رواه أحمد، وأبو داود.

وهكذا يجب على ولاة الأمر أن يكون الناس عندهم سواء في إقامة الحدود، وألا يُحابوا أحدًا لقربه أو لغناه أو لشرفه في قبيلته، الحد لله تجب إقامته لله، لا تشفع لأحد في حد ولا ترفق به ولا ترحمه، لا تقل: هذا عنده أولاد، يعني لو زنى إنسان وثبت عليه الحد وله أولاد صغار وزوجة، أقم الحد عليه، ارجمه حتى يموت، ولا تأخذك في الله لومة لائم، ولما تخلت الأمة الإسلامية عن إقامة حدود الله، وصارت المحسوبيات والوساطات في إسقاط هذه الحدود، انتشرت الجرائم بشتى أشكالها، وازدادت، وتدهورت الأمة الإسلامية إلى الحد الذي ترونه الآن.



## ٣٥٢- التَّغوُّط في طريق النَّاس

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب:٥٨].

قد تكون الأذية بالقول: مثل التعيير والتوبيخ والسب، وبالفعل: مثل أن يتبول في طريقه أو يتغوط، وكذلك لا يجوز البول في الماء الراكد، أما الماء الجاري؛ يمشي ولا يتأثر؛ إلا إذا كان جاريًا نحو بستان يستقي منه، أو أناس يتطهرون أو يشربون منه، فهذا لا يجوز.



**[١٧٧١]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ**»، قَالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ؟ قَالَ: «**الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ**». رواه مسلم.

«**اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ**»: الأمرَيْن الجالبَيْن للَّعن. ولفظ أبي داود: «**اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبُرَازُ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ**». ولفظ أحمد: «**اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: أَنْ يَقْعُدَ أَحَدُكُمْ فِي ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ بِهِ أَوْ فِي طَرِيقٍ، أَوْ نَقْعِ مَاءٍ**».

يقعد: يعني لقضاء الحاجة.

كما ورد النهي عن قضاء الحاجة تحت الأشجار المثمرة، وضفة النهر الجاري، وأنْ يُبال بأبواب المساجد.



## ٣٥٣- البولُ في الماءِ الرَّاكد

**[١٧٧٢]** عن جابر رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي المَاءِ الرَّاكِدِ. رواه مسلم.

في الحديث: دليل على النهي عن البول في الماء الراكد؛ لأنه ينجسه إنْ كان قليلًا، ويقذرهُ إنْ كان كثيرًا. وفي رواية: «**لَا يَغْتَسِلْ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ، وَهُوَ جُنُبٌ**». قال الحافظ: النهي عن البول في الماء لئلا ينجسه، وهذا كله محمول على الماء القليل.



## ٣٥٤- تفضيلُ الوالدِ بعضَ أولادهِ في الهبَة

[١٧٧٣] عن النعمان بن بشير ﵄: أَنَّ أَبَاهُ أَتَى بِهِ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي نَحَلْتُ ابْنِي هٰذَا غُلَامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هٰذَا؟**»، فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**فَأَرْجِعْهُ**». وفي روايةٍ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفَعَلْتَ هٰذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ**»، فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ. وفي روايةٍ: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**يَا بَشِيرُ أَلَكَ وَلَدٌ سِوَى هٰذَا؟**»، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هٰذَا؟**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ**». وفي روايةٍ: «**لَا تُشْهِدْنِي عَلَى جَوْرٍ**». وفي رواية: «**أَشْهِدْ عَلَى هٰذَا غَيْرِي**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي البِرِّ سَواءً؟**»، قَالَ: بَلَى، قَالَ: «**فَلَا إِذًا**». متفق عليه.

هذا الحديث دليل على وجوب التسوية بين الأولاد، وفيه الندب على التآلف بين الإخوة، وترك ما يورث العقوق للآباء.

وفي الحديث: مشروعية استفسار الحاكم والمفتي، وجواز تسمية الهبة صدقة، قوله: «**أَشْهِدْ عَلَى هٰذَا غَيْرِي**»، المراد به التوبيخ، قيل: أمّا لو فضّل البارّ به على العاصي أو العاق فلا كراهة، وإنما كره عند عدم العذر.

وهذا يشمل الذكور والإناث، فإذا قدر أن أحدهم يطلب العلم ويحتاج إلى كتب فلا بأس، أو يحتاج إلى ثياب، وكذلك لو مرض فاحتاج إلى نقود ودواء فأعطاه فلا بأس، وكذلك لو بلغ أحدهم سن الزواج فزوجه فإنه يزوجه، فالتسوية فيه أن يعطي كل إنسان ما يحتاجه، أما إذا كان تبرعًا محضًا فلا بد من العدل بينهم.

واختلف العلماء: هل العدل أن يعطي الذكر والأنثى سواء، أم يعطيهم كما أعطاهم الله للذكر مثل حظ الأنثيين؟ وهذا القول هو الراجح، لأنه لا قسمة أعدل من قسمة الله، أو يستحلهم عن رضا وقناعة لا عن حياء وخجل.

كذلك أيضًا، بعض الناس يكون ولده يشتغل معه في تجارته فيعطيه على إخوانه، وهذا أيضًا لا يجوز، وإن كان يريد أن يشتغل مع أبيه فليفرض له أجره كل شهر كما يعطي الغريب، وأما أن يخصه من بين أولاده فلا يجوز، وإن قال لأولاده: من حفظ القرآن أعطيته مثل أخيه، فحفظ بعضهم وترك بعض، فهؤلاء الذين تركوا بأنفسهم لا حق لهم، وهذا إنما ورد في الأبناء فقط، وأما قول بعض العلماء: إنه يجب عليه التعديل بين جميع الورثة بقدر ميراثهم، فهذا قول لا دليل عليه.





## ٣٥٥- إِحدادُ المرأة على ميّتٍ فوق ثلاثة أيَّامٍ

الإحداد: امتناع المرأة المتوفّى عنها زوجها من الزّينة كلها، من لباس وطيب ونحوه، مما يُعدّ بهجة وسرورًا، وكل ما كان من دواعي الجماع، وأباح الشرع للمرأة أنْ تحدّ على غير زوجها ثلاثة أيام لما يغلب من لوعة الحزن.

**[١٧٧٤]** عن زينب بنت أبي سلمة ﵄، قالت: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ﵁، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**»، قَالَتْ زَيْنَبُ: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَى زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﵂ حِينَ تُوُفِّيَ أَخُوهَا، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فَمَسَّتْ مِنْهُ، ثُمَّ قَالَتْ: أَمَا وَاللهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عَلَى المِنْبَرِ: «**لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**». متفق عليه.

مثلًا: رجل مات ابنه فحزن عليه، يخرج إلى دكانه وإلى فلاحته وإلى مكتبه وإلى مدرسته، فلا تتأثر أعماله بشيء، هذا هو المشروع، وهذا هو السنة، وهذا هو الأوفق والأرفق بالشخص، فلا يحدّ على أحد أكثر من ثلاثة أيام فقط، لا بأس أن يبقى في بيته، ولكن لا بد من صلاة الجماعة، وكذلك بالنسبة للنساء لو مات ابنها أو أبوها أو أخوها فلا حرج عليها أن تحد لمدة ثلاثة أيام فأقل، أما ما زاد فلا يجوز، إلا على زوج، تحدّ أربعة أشهر وعشرًا، أما الحامل فتحدّ إلى وضع الحمل فقط، حتى لو وضعت قبل أن يغسّل الزوج، انتهت العدة وانتهى الإحداد، ولها أن تتزوج قبل أن يدفن.

ولا تخرج من البيت الذي مات فيه زوجها أبدًا إلا للضرورة، وإن مات زوجها في بلد للعلاج الذي هو غير بلدها نقول: ارجعي إلى بلدك، وما اشتهر عند العوام أنها لا تكلم أحدًا إلا من محارمها، هذا غلط، تكلم من شاءت، وإلى من يتكلم في الهاتف، ومن يدخل البيت من أقارب الزوج وأقاربها ولا حرج، يعني هي كغيرها من النساء لا يحرم عليها الكلام، لكنها كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾.





## ٣٥٦- بيع الحاضر للبادي والبيع على بيع أخيه وعلى خِطْبته

[١٧٧٥] عن أنس ﵁ قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ وَإِنْ كانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ. متفق عليه.

بيع الحاضر للبادي: أن يأتي إنسان قادم من البادية بغنمه أو سمنه أو لبنه، ليبيعه في السوق، فيأتي الإنسان إليه وهو من أهل البلد ويقول: يا فلان أنا أبيع لك، هذا لا يجوز، دع البدوي يبيع، ربما يريد أن يبيع برخص لأنه يريد أن يرجع إلى أهله، والغالب أن البدوي يبيع برخص، أما إذا جاء البادي إلى الحاضر وقال: يا فلان بع هذه السلعة لي فإنه لا بأس.

[١٧٧٦] وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَتَلَقَّوُا السِّلَعَ حَتَّى يُهْبَطَ بِهَا إِلَى الأَسْوَاقِ**». متفق عليه.

في هذا الحديث: النهي عن تلقي الركبان لما يحصل به من الغرَرِ على الجالب وعلى أهل السوق.

وروى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَلَقَّوْا الجَلَبَ، فَمَنْ تَلَقَّاهُ فَاشْتَرَى مِنْهُ، فَإِذَا أَتَى سَيِّدُهُ السُّوقَ فَهُوَ بِالخِيَارِ**». يعني: إذا وجد صاحب السلعة نفسه مغبونًا في السعر الذي باعه للحاضر، فلَهُ الخيار؛ إما أن يمضي في بيعه، وإما أن يتراجع فيه.



[١٧٧٧] وعن ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ**»، فَقَالَ لَهُ طَاووسٌ: مَا قَوْلُهُ: «**لَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ**»؟ قَالَ: لَا يَكُونُ لَهُ سِمْسَارًا. متفق عليه.

السِّمسار: الدَّلال. تلقِّي الركبان؛ كانوا فيما سبق يعرفون أن البادية تأتي بالسلع في أول النهار يوم الجمعة، فتجد بعض الناس يخرج من البلد، ثم يتلقّى الركبان ويشتري منهم قبل أن يصلوا إلى السوق، فيقطع الرزق على أهل البلد الذين ينتظرون الركبان، وكذلك يغبن الركبان بأن يشتروا منهم برخص، لأنهم لم يصلوا إلى السوق حتى يعرفوا السعر.

وعن جابر مرفوعًا: «**دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقُ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا اسْتَنْصَحَ الرَّجُلُ فَلْيُنْصَحْ لَهُ**». رواه البيهقي.



**[١٧٧٨]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، وَلَا تَسْأَلُ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إِنَائِهَا.

وفي رواية قال: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ التَّلَقِّي، وَأَنْ يَبْتَاعَ الْمُهَاجِرُ لِلْأَعْرَابِيِّ، وَأَنْ تَشْتَرِطَ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا، وَأَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ، وَنَهَى عَنِ النَّجْشِ وَالتَّصْرِيَةِ. متفق عليه.
النَّجْشُ: الزيادة في ثمن السلعة ممن لا يريد شراءها ليقع غيره فيها. التَّصْرِيَةُ: ترك حَلْبِ الدابة ليجتمع اللبن في ضرعها فيتوهم كثرة لبنها، حرُم لما فيه من الغش والخديعة.



**[١٧٧٩]** وعن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَخْطُبْ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ**». متفق عليه.

وبيع المسلم على بيع أخيه بأن يقول: من اشترى سلعة بعشرة أنا أبيع مثلها بثمانية، لأن المشتري سوف يفسخ العقد من أجل أن يأخذ السلعة برخص، وكذلك الخطبة على

خطبة أخيه؛ فمثلًا لو سمعت أن فلانًا خطب من أناس ابنتهم، ولكنك لم تتأكد هل ردّوه أم لا، فإنه لا يحلّ لك أن تخطب، أما إذا ردّوه فلا بأس.



[١٧٨٠] وعن عقبة بن عامر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَبْتَاعَ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبَ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ حَتَّى يَذَرَ**». رواه مسلم.

## ٣٥٧- إِضاعة المال في غير وجُوهِه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾، فالمال أمر مهم، ولا يجوز للإنسان إضاعته في غير فائدة، لقوله تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾، وإذا قلنا إن الإسراف مجاوزة الحد، تبين لنا أن إنفاق المال يختلف، فالغني مثلًا قد يشتري سيارة فخمة التي لا تعد من حقه إسرافًا، لأنه لم يتجاوز بها حد الغنى، لكن لو أن فقيرًا فعل ذلك، قلنا إن هذا إسراف وحرام، ولهذا يغلط كثير من الناس الآن من الفقراء أن يلحقوا أنفسهم بالأغنياء، وكما قال العوام: يمدّ رجله على قدر لحافه، وبعض الناس ذهب إلى أكثر من هذا، فذهب يستدين ويرهق نفسه من أجل بناء بيته كما بنى جاره الغني بيته، وهذا مما حرم الله، هو مجاوزة الحد.

**[١٧٨١]** عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً، ويَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ**». رواه مسلم.



**[١٧٨٢]** وعن ورَّادٍ كاتب المغيرة بْنُ شُعْبَةَ، قال: أَمْلَى عَلَيَّ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدُّ**»، وَكَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ كَانَ يَنْهَى عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَكَانَ يَنْهَى عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ. متفق عليه.

قوله: «**وَإِضَاعَةِ المَالِ**»: من ذلك تعدد الملابس من دون حاجة؛ كثير من النساء الآن كلما ظهر شكل من أشكال اللباس ذهبت تشتريه حتى تملأ بيتها من الثياب من دون حاجة، ربما ظهر شيء يختلف عن الأول، تقول: لا ألبسه وألبس الجديد، ثم بعض النساء تلعب بعقول الرجال، تقول: اشترِ كذا كذا، فصارت القوامة الآن للنساء على الرجال!



## ٣٥٨- الإِشارة إلى مُسْلِم بسِلَاح

**[١٧٨٣]** عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يُشِرْ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعُ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ**». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَنْزَعَ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ**».

يَنْزَع: يَرْمِي. ومن ذلك أيضًا، ما يفعله بعض السفهاء؛ يأتي بالسيارة مسرعًا نحو شخص واقف أو جالس، ثم ينحرف بسرعة إذا قرب منه حتى لا يدهسه، هذا أيضا يُنهى عنه، كالإشارة بالحديدة، لأنه لا يدري لعل الشيطان ينزع في يده فلا يتحكم في السيارة، وحينئذ تقع كارثة فيقع هو في حفرة من النار، ومن ذلك يكون الإنسان عنده كلب ويأتيه زائر فيغريه به، فإنه ربما ينطلق الكلب فيؤذي هذا الرجل، ولا يتمكن من فضّه بعد ذلك، الحاصل: أن جميع أسباب الهلاك يُنهى الإنسان أن يفعلها، سواء أكان جادًّا أم هازلًا.



**[١٧٨٤]** وعن جابر ﷺ قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُتَعَاطَى السَّيْفُ مَسْلُولًا. رواه أبو داود والترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ. وفي معناه البندقية إذا كانت الرصاصة فيها، وفي معناه السكين فلا يرميها والحدّ من جهته.



## ٣٥٩- الخروج من المسجد بعد الأذان

**[١٧٨٥]** عن أبي الشَّعْثَاءِ قال: كُنَّا قُعُوداً مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ فِي المَسْجِدِ، فَأَذَّنَ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي، فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرَيرَةَ بَصَرَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَمَّا هٰذَا فَقَدْ عَصَى أَبَا القَاسِمِ ﷺ. رواه مسلم.

ذلك أن المؤذن إذا أذن فإنه يقول للناس حي على الصلاة؛ يعني اقبلوا إليها، والخروج من المسجد بعد ذلك معصية، فإنه يُقال له أقبلْ، ولكنه يدبر، واستدل العلماء بهذا الحديث على أنه يحرم الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر؛ كمن يكون حاقنًا يحتاج إلى إخراج بول أو غائط أو ريح محتبسة، أو أصابه مرض، أو كان إمامًا لمسجد آخر، وأما إذا خرج من هذا المسجد ليصلي في مسجد آخر فهذا لم يفر من صلاة الجماعة.





## ٣٦٠- رَدُّ الرَّيْحَان

[١٧٨٩] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ، فَلَا يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ**». رواه مسلم.



[١٧٨٧] وعن أنس بن مالكٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ. رواه البخاري.

وأخرج الترمذي: «**إِذَا أُعْطِيَ أَحَدُكُمْ الرَّيْحَانَ فَلَا يَرُدَّهُ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنَ الْجَنَّةِ**». وروى الترمذي عن ابن عمر مرفوعًا: «**ثَلَاثٌ لَا تُرَدُّ: الْوَسَائِدُ، وَالدُّهْنُ، وَاللَّبَنُ**».

الريحان والدهن نوعان من الطيب لا شك أنهما يفتحان النفس، ويشرحان الصدر، ويوسعان القلب، ويسرّان الجليس، فإذا أهدى إليك الطيب فلا ترده، لأنه لا يضرك شيء، لكن لو خفت أن هذا الذي أهدى إليك سيتكلم في المجالس، أو أن يمنّ عليك في المستقبل ويقول: أنا أهديت إليك كذا وهذا جزائي، ويريد أن يستخدمك بما أهدى إليك، فهنا لا تقبل الهدية، لأن هذا يبطل أجره بالمنّ والأذى.



## ٣٦١- المدحُ في الوجهِ

**[١٧٨٨]** عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَى رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي المِدْحَةِ، فَقَالَ: «**أَهْلَكْتُمْ- أَوْ قَطَعْتُمْ- ظَهْرَ الرَّجُلِ**». متفق عليه.

الإِطْرَاءُ: المُبَالَغَةُ فِي المَدْحِ.

إذا رأيت من رجلٍ الكرمَ والشجاعة، وبذلَ النفس والإحسان إلى الغير، فذكرته بما هو فيه أمامه، من أجل أن تشجعه حتى يستمر على ما هو عليه، فهذا حسن، أما أن يمدح غيره ويغلو في إطرائه ويصفه بما لا يستحق، فهذا محرم وهو كذب وخداع، مثل أن يذكر أميرًا أو وزيرًا ويصفه بما ليس فيه، فهذا حرام عليك، وهو أيضًا ضرر على الممدوح، أو أن يمدحه بما هو فيه، لكن يُخشى أن يغترّ بنفسه، ويزهو، ويترفّع على غيره، فهذا أيضًا لا يجوز.



**[١٧٨٩]** وعن أبي بكرة رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ**»، يَقُولُهُ مِرَارًا: «**إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا، إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ كَذٰلِكَ وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلَا يُزَكَّى عَلَى اللهِ أَحَدٌ**». متفق عليه. المعنى: فليقلْ أحسب أن فلانًا كذا إن كان يحسب ذلك منه، والله يعلم سرّه؛ ولا يقلْ: أتيقّن، ولا يزكّى على الله أحد. قال الله تعالى: ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾ [النجم:٣٢].



**[١٧٩٠]** وعن همام بن الحارث عن المِقْدَادِ رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَعَمِدَ المِقْدَادُ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ، فَجَعَلَ يَحْثُو فِي وَجْهِهِ الحَصْبَاءَ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟

فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ**». رواه مسلم.

وقيل: آفة المدح في المادح أنه قد يكذب، وقد يرائي، ولا سيما إن كان فاسقًا أو ظالمًا، فقد جاء في حديث أنس رفعه: «**إِذَا مُدِحَ الفَاسِقُ غَضِبَ الرَّبُّ**».

وقال بعض السلف: إذا مُدِحَ الرجل في وجهه، فليقل: اللَّهُمَّ اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون.





## ٣٦٢- الخروجُ من بَلدٍ وقعَ فيها الوَباءُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ [النساء:٧٨].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

في هاتين الآيتين: شاهد لقوله ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**».



**[١٧٩١]** عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه خَرَجَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّامِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ لِي عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحمنِ بْنُ عَوفٍ رضي الله عنه، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي مِنْ هٰذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ**»، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَى عُمَرُ رضي الله عنه، وَانْصَرَفَ. متفق عليه.



**[١٧٩٢]** وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ فِيهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا**». متفق عليه.

الطاعون اسم لكل وباء عام ينتشر بسرعة كالكوليرا وغيرها، فإنه لا يجوز للإنسان أن يقدم على البلد الذي حلّ فيها هذا الوباء، وإذا وقع وأنتم فيها فلا تخرجوا منها، ولا بأس أن يستعمل الإنسان من الأدوية والحبوب والإبر ما يمنع الوباء، لأن ذلك من الوقاية قبل نزول البلاء، كما أن الإنسان إذا نزل به وباء وعالجه فلا حرج، ولا يعدّ ذلك

من نقص التوكل بل هذا من التوكل، لأن الذي يدّعي أنه متوكل ولا يأخذ بالأسباب ليس بمتوكل في الحقيقة، بل إنه طاعن في حكمة الله، لأن حكمة الله تأبى أن يكون الشيء إلا بالسبب الذي قدّره الله تعالى له.





## ٣٦٣- السِّحْرُ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

قال العلماء: السحر يطلق على معان، منها ما يقع بخداع وتخيلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعوذ بخفة يده، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦]، ومنه ما يحصل بمعاونة الشياطين، ومن ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

واختُلف في السحر، فقيل: هو تخيل فقط ولا حقيقة له، وقال النووي: والصحيح أن له حقيقة، وبه قطع الجمهور، وعليه عامة العلماء.



**[١٧٩٣]** وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «**الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ؛ وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ**». متفق عليه.

الموبقات: المهلكات. والسحر: هو عبارة عن عُقَد وقراءات ونفثات يتوصل بها الساحر إلى الإضرار بالمسحور، فمنه ما يقتل، ومنه ما يُمرض، ومنه ما يُذهب العقل، ومنه ما يوجب تعلق الإنسان بغيره تعلقًا شديدًا، ومنه ما يوجب انصرافه عن غيره انصرافًا كاملًا، وكلّه محرّم، ويجب على ولي الأمر أن يقتل الساحر قتلًا من دون توبة، يعنى وإن تاب، درءًا لمضرته.

ويحميك منه، قراءة الأوراد الشرعية مثل: آية الكرسي، و﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وما أشبه ذلك مما جاء في الآيات والأحاديث، فإن هذا أكبر واقٍ يقي الإنسان من السحر.

الخلاصة: إن السحر من كبائر الذنوب، وقد يؤدي إلى الكفر، وإن عقوبة الساحر أن يُقتل سواء كفر بسحره أم لم يكفر، لقول النبي ﷺ: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبُهُ بِالسَّيْفِ**».





## ٣٦٤- السَّفر بالمصحف إِلى بلاد الكفَّار

**[١٧٩٤]** عن ابن عمر ﭬ قال: نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بِالقُرْآنِ إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ. متفق عليه.

يعني أنه لا يجوز للإنسان أن يسافر بالمصحف إلى بلاد الكفار، وذلك لأنه يخشى أن يقع في أيديهم فيستهينوا به ويذلّوه، أما إذا لم يُخف عليه كما في وقتنا الحاضر فلا بأس.



## ٣٦٥- استعمال إِناء الذَّهب والفضَّة

[١٧٩٥] عن أُمِّ سلمة ﵂، أن رسول الله ﷺ قال: «**الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «**إِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ**».

هذا يدل على أن الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة من كبائر الذنوب. أما استعمال الذهب والفضة في غير ذلك، فهذا موضع خلاف بين العلماء؛ جمهور العلماء يقول: لا يجوز أن يستعمل أواني الذهب والفضة، لا في الأكل والشرب ولا في غيرها، فلا يجوز أن تجعلهما مستودعًا للدواء أو مستودعًا للنقود، لأن النبي ﷺ نهى عن الأكل والشرب فيهما وما سوى ذلك فهو مثله. ومن العلماء من أباح ذلك وقال: نقتصر على ما جاءنا به النص والباقي ليس حرامًا، لأن الأصل الحل، فأمّ سلمة ﵂، وهي ممن روى حديث النهي عن الأكل والشرب في آنية الفضة، كانت تستعمل الفضة في غير الأكل والشرب، وهذا أقرب إلى الصواب؛ أن استعمال الذهب والفضة في غير الأكل والشرب جائز، لكن الورع تركه احتياطًا لموافقة جمهور العلماء.

[١٧٩٦] وعن حُذَيفَةَ ﵁ قال: إِنَّ النبيَّ ﷺ نَهَانَا عَنِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ وَالشُّرْبِ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَقَالَ: «**هُنَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ**». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين عن حُذيْفَةَ ﵁ قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَلْبسُوا الحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا**».

الديباج: صنف نفيس من الحرير.

في الحديث: تحريم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة على المسلم رجلًا كان أو امرأة، ولا يلتحق ذلك بالحلي للنساء؛ لأنه ليس من التزين الذي أبيح لهن في شيء.



**[١٧٩٧]** وعن أنس بن سِيرين قال: كُنْتُ مَعَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عِنْدَ نَفَرٍ مِنَ المَجُوسِ، فَجِيءَ بفَالُوذَجٍ عَلَى إِنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَأْكُلْهُ، فَقِيلَ لَهُ: حَوِّلْهُ، فَحَوَّلَهُ عَلَى إناءٍ مِنْ خَلَنْجٍ وَجِيءَ بِهِ فَأَكَلَهُ. رواه البيهقي بإسناد حسن.

فَالُوذَجٍ: حلوى كانت تُعمل من الدقيق والماء والعسل. الخَلَنْج: الجفْنَةُ.





## ٣٦٦- لبس الرَّجل ثوبًا مزعفرًا

**[١٧٩٨]** عن أنس ﷺ قال: نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَتَزَعْفَرَ الرَّجُلُ. متفق عليه.



**[١٧٩٩]** وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: رَأَى النَّبِيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ، فَقَالَ: «**أُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهٰذَا؟**»، قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ: «**بَلْ أَحْرِقْهُمَا**»، وفي رواية، فَقَالَ: «**إِنَّ هٰذَا مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا**». رواه مسلم.

الثوب المزعفر: يعني الذي صبغ بالعصفر، وهو نوع من النبات يشبه الزعفران، فدل ذلك على أنه يكره أو يحرم على الرجل أن يلبس مثل هذه الثياب الصفراء التي تميل إلى الحمرة قليلًا، وكذلك الثوب الأحمر، وأخبر أن هذا من لباس الكفار، فإنا قد نهينا أن نتشبه بهم.





## ٣٦٧- صَمْتُ يَومٍ إِلى اللَّيل

**[١٨٠٠]** عن عليٍّ ﷺ قال: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: «**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَى اللَّيْلِ**». رواه أبو داود بإسناد حسن.

قال الخَطَّابِيُّ في تفسير هذا الحديث: كَانَ مِنْ نُسُكِ الجَاهِلِيَّةِ الصُّمَاتُ، فَنُهُوا فِي الإِسْلاَمِ عَن ذٰلِكَ، وَأُمِرُوا بِالذِّكْرِ وَالحَدِيثِ بِالخَيْرِ.



**[١٨٠١]** وعن قيس بن أبي حازم، قال: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ عَلَى امْرأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ يُقَالُ لَهَا: زَيْنَبُ، فَرَآهَا لَا تَتَكَلَّمُ، فَقَالَ: مَا لَهَا لَا تَتَكَلَّمُ؟ فَقَالُوا: حَجَّتْ مُصْمِتَةً، فَقَالَ لَهَا: تَكَلَّمِي، فَإِنَّ هٰذَا لَا يَحِلُّ، هٰذَا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ، فتَكَلَّمَتْ. رواه البخاري.

وكانوا في الجاهلية يدينون لله بالصمت إلى الليل، فنهى المسلمون عن ذلك، لأن هذا يؤدي إلى ترك التسبيح والتهليل والتحميد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقراءة القرآن وغير ذلك، وأيضًا هو من فعل الجاهلية، وإذا قُدر أن أحدًا نذر هذا فإنه لا يفي بنذره، فليحلّ النذر ويكفّر كفارة يمين.



## ٣٦٨- انتساب الإِنسان إِلى غير أبيه

**[١٨٠٢]** عن سعد بن أبي وقاص ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**». متفق عليه.

**[١٨٠٣]** وعن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ، فَهُوَ كُفْرٌ**». متفق عليه.



**[١٨٠٤]** وعن يزيد بن شريكِ بن طارقٍ، قال: رَأَيتُ عَلِيًّا ﵁ عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: لَا وَاللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ، وَمَا فِي هٰذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الجِرَاحَاتِ، وَفِيهَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا، وَمَن ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا**». متفق عليه.

أَسْنَانُ الإِبِلِ: أَيْ أَعْمَارُهَا مِنْ أَجْلِ الزَّكَاةِ. ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ: عَهْدُهُمْ وأَمَانَتُهُمْ.

الصَّرْفُ: التَّوْبَةُ، وَقِيلَ الحِيلَةُ. العَدْلُ: الفِدَاءُ. أَخْفَرَهُ: نَقَضَ عَهْدَهُ.

فمثلًا إذا دخل كافر إلى البلد في أمان رجل من أهلها، ثم قتله أحد، استحق اللعنة من الله والملائكة والناس أجمعين، وفي هذا دليل على حماية الدين الإسلامي لمن دخل بأمانه وجواره، وأن الدين الإسلامي لا يعرف الغدر والاغتيال والجرائم، أما الذي يدخل من دون أمان من المسلمين، يدخل مستخفيًا ليكون جاسوسًا للعدو، هذا يُقتل، لأنه لا أمان له.

وقول علي ﵁: "لَا وَاللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ، المراد به ما يقرؤه المسلمون اليوم من أولهم إلى آخرهم صغارًا وكبارًا، لم يزد فيه أحد ولم ينقص منه أحد، وفي هذا رد على الرافضة الشيعة الذين يدّعون أن القرآن الكريم قد حُذف منه ثلثه، وحذفت منه سورة الولاية، فخرجوا عن إجماع المسلمين.

**[١٨٠٥]** وعن أبي ذرٍّ ﵁: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ، وَلَيْسَ كَذٰلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ**». متفق عليه.

فمثلًا: الرجل إذا كان أبوه من قبيلة، ورغب بالانتماء إلى قبيلة ثانية أعلى حسبًا ونسبًا، فإن هذا ملعون، عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وأما إذا انتمى الإنسان إلى جده أو أجداده لأنهم أشهر من أبيه، من دون أن ينتفي من أبيه، فلا بأس، فقد قال النبي ﷺ: «**أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ**»، مع أنه محمد بن عبد الله، لأن عبد المطلب أشهر، وهو عند قريش في المكانة العليا، فالذي عليه الوعيد هو الذي ينتمي إلى غير أبيه، لأنه غير راض بحسبه ونسبه، ويوجد الآن أناس ينتسب إلى عمّه أو إلى خاله لينال بذلك شيئًا من الدنيا، هذا أيضًا حرام، والواجب أن يعدّل بطاقته.



## ٣٦٩- ارتكاب ما نهى اللهُ أو رسولُه عنهُ

بعض الناس يغرّه الشيطان، يقول: افعل المعصية واستغفر الله، افعل المعصية ورحمة الله تعالى سبقت غضبه، افعل المعصية فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة، فالواجب الحذر مما نهى الله ورسوله عنه، ثم استدل العلماء بآيات من كتاب الله منها قول الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وقال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج:١٢]، وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢]. فالحذر الحذر من التهاون بمعصية الله، حتى إن من أهل العلم من قال: إن الرجل إذا فعل المعصية متهاونًا بها ولو كانت صغيرة صارت كبيرة، لما قام في قلبه من التهاون بها.

**[١٨٠٦]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَغَارُ، وَغَيْرَةِ اللهِ، أَنْ يَأْتِيَ الْمَرْءُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ**». متفق عليه.

قال الحافظ: على قوله ﷺ: «**يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ**»، والمعنى: ما أحد أكثر زجرًا عن الفواحش من الله، ولا يجوز لك أن تغتر بإمهال الله لك، ربما يُمهل الله العبد على معاصيه ويستدرجه من حيث لا يعلم، حتى إذا أخذه، أخذه أخذ عزيز مقتدر، فإياك أن تتهاون، راقب الله وتذكّر واتعّظ، فأما أن يصرّ على الذنب ويرجو التوبة! هذا من الأماني الكاذبة، بعض الناس يقول أستغفر الله وأتوب إليه من الغيبة وهو يغتاب الناس! يأكل الربا ويقول أستغفر الله! يأكل حقوق الناس ويماطل في الحق ويقول أستغفر الله! وغير ذلك من الأمور التي يكذب بها الإنسان على نفسه في أنه تائب وهو لم يتب.

## ٣٧٠- ما يقوله ويفعله مَن ارتكبَ منهيًّا عنه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ [فصلت:٢٠٠]. قال البغوي: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ﴾، يصيبك ويعتريك، والنزغ: الوسوسة، ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ﴾ استَجِرْ بِالله.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١]. قال سعيد بن جبير: هو الرجل يغضب الغضبة، فيذكر الله تعالى، فيكظم الغيظ، وقال مجاهد: هو الرجل يهمّ بالذنب، فيذكر الله فيدعه، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ مُّبْصِرُونَ﴾ أي: يبصرون مواقع خطاياهم بالتذكر والتفكر، وقال مقاتل: إنَّ المتَّقي إذا أصابه نزغ من الشيطان، تذكَّر وعرف أنه معصية. وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ، أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾ [آل عمران:١٣٥-١٣٦]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١]، أي: توبوا من التقصير في أوامره ونواهيه. قال النبي ﷺ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**».



**[١٨٠٧]** وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلفِهِ: بِاللَّاتِ وَالعُزَّى، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرُكَ فَلْيَتَصَدَّقْ**». متفق عليه.

وجاء في الحديث: لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم، ولكن ماذا يصنع؟ يجب عليه إذا أذنب أن يتوب ويندم ويستغفر، فإذا هممت

بمعصية سواء كانت فيما يتعلق بحق الله أو فيما يتعلق بحق المخلوق ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ بإخلاص، فإن الله يعينك ويعصمك منه، ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾، يعني لم يستمروا في معصيتهم وذنوبهم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم على ذنب، أما لو أنهم فعلوا ذنبًا وأصرّوا عليه وهم لا يعلمون أنه ذنب، فإن الله تعالى لا يؤاخذهم به.





## ٣٧١- المَنثُوراتُ والمُلَحُ - الدَّجَّال وأشراط السَّاعة

المَنْثُورَاتُ: الأحاديث التي لا تتقيَّد بباب خاص، والمُلَحُ: جمع مُلحة: ما يُستملح ويُستعذب من الأحاديث.

**[١٨٠٨]** عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخلِ، فَلَمَّا رُحنَا إِلَيْهِ، عَرَفَ ذٰلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُكُمْ؟**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الغَدَاةَ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فقالَ: «**غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفَنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِيَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ العُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا لُبْثُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «**أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمْعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ**». قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، فَذٰلِكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قَالَ: «**كَالغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى القَوْمِ، فَيَدْعُوهُم فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي القَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ.**

ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ.

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى قَومًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ، وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمُرُّ أَوائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهٰذِهِ مَرَّةً مَاءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مَائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ اليَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ ﷺ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى عليه السلام وَأَصْحَابُهُ ﷺ إِلَى الأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتَنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى عليه السلام وَأَصْحَابُهُ ﷺ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَى طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ.

ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإِبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَى رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ؛ وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». رواه مسلم.

«**ظَنُّوا أَنَّهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ**»: ظنوا أنه قد جاء. «**خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ والعِرَاقِ**»: طَرِيقًا بَيْنَهُمَا. «**عَاثَ**»: أَشَدُّ الفَسَاد. «**الذُّرَى**: أَعَالِي الأَسْنِمَةِ. **اليَعَاسِيبُ**: ذُكُورُ النَّحْلِ. «**جِزْلَتَيْنِ**»: قِطْعَتَيْنِ. «**الغَرَضُ**»: الهَدَفُ الَّذِي يُرْمَى إِلَيْهِ بِالنَّشَّابِ. «**المَهْرُودَةُ**: الثَّوْبُ المَصْبُوغُ. «**لَا يَدَانِ**: لَا طَاقَةَ. «**النَّغَفُ**»: دُودٌ. «**فَرْسَى**»: القَتِيلُ. «**الزَّلَقَةُ**»: المِرْآةُ. «**العِصَابَةُ**»: الجَمَاعَةُ، «**الرِّسْلُ**: اللَّبَنُ. «**اللِّقْحَةُ**»: النَّاقَةُ اللَّبُونُ. «**الفِئَامُ**»: الجَمَاعةُ. «**الفَخِذُ مِنَ النَّاسِ**»: دُونَ القَبِيلَة. «**يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ**»: هما أُمَّتان عظيمتان يخرجون حين يفتح الله سدَّهم، ويجعله دكًّا.

ثم سأله الصحابة عن سيره في الأرض؟ هل هو كالسير المعتاد كالسير بالأرجل؟ قال: كالغيث اجتذبته الريح! هل يحدث الله له آلات وطائرات؟ أو غيرها؟ ما تدري؟ لكنه هذا الذي أخبر به النبي ﷺ، ثم ينزل عيسى ابن مريم فيقتله، ولا يحلّ لكافر يجد ريح عيسى إلا مات! نَفَسُ عيسى يقتل الكافر، ونفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفه، وهذا أيضًا من آيات الله، يعني أنفاسنا نحن لا تعدو إلا شبرًا أو نحوه، لكن نفس عيسى ينتهي حيث ينتهي طرفه، ومعنى ذلك أنه يقتل أناسًا كثيرين من الكفار، لأن هذا النفس يطير في الهواء، ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، هكذا وصفه النبي ﷺ، فيدركه عند باب اللد، واللد الآن في فلسطين، استعمرها اليهود، عليهم لعائن الله، يدرك عيسى المسيح الدجال فيقتله هناك، وبهذا انتهى المسيح الدجال ويبقي المسيح رسول الله عيسى عليه السلام.

ويأجوج ومأجوج من بني آدم، شكلهم شكل بني آدم، لا يختلفون عنهم، لكنهم أمم عظيمة كما قال الله تعالى ﴿وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، أي من كل مرتفع، لأن الأرض السهلة لا تسعهم من كثرتهم.

﴿يَنْسِلُونَ﴾: يسرعون كأنهم مسلَّطون على بني آدم، فيقول ﷻ لعيسى إني قد بعثت عبادًا لا يدان لأحد بقتالهم من قوة، فحرّز عبادي إلى الطور، يعني احترزوا فيه، والطور

جبل معروف، فيصعد عيسى ومن معه إلى الطور، ويُحاصرون فيه، حتى إنهم يلحقهم من الجوع وشدة المؤنة ما يكون رأس الثور أحب إلى أحدهم من كذا وكذا من الدنانير، وحينئذ يرغب عيسى وقومه إلى الله ﷻ يدعونه بأن يصرف عنهم هذه الأمم التي حاصرتهم في هذا الجبل، فيرسل الله تعالى النغف، وهو عبارة عن دود في أعناقهم، فيصبحون فرسى، جمع فريسة، يعني موتى كنفْسٍ واحدة، كل هذه الأمم التي لا يحصيها إلا الله تموت في ليلة واحدة، هذا النغف من حين ما يدخل في أعناقهم يموتون على الفور، ثم ينزل عيسى ابن مريم وقومه إلى الأرض، وإذا الأرض مملوءة من هذه الجثث نتنًا ورائحة خبيثة، فيرغب عيسى وقومه إلى الله ﷻ أن يفكهم من هذا، فيرسل الله تعالى طيورًا كأعناق البخت، يعني مثل أعناق الإبل، طيورًا كبيرة قوية تأخذ الواحد منهم وتلقيه في البحر، ومعنى هذا أنها طيور عظيمة لا يعلم عددها إلا الله، لا تستغرب؟! لا تقل من أين جاءت الطيور؟ وكيف توالدت؟ والله على كل شيء قدير، لكن كما تعلمون، لا بد أن يبقى في الأرض شيء من القذر والأذى والرائحة بعد هذه الجثث، فيرسل الله تعالى مطرًا عظيمًا يغسل الأرض، لا يكن منه مدر ولا وبر، كل الأرض تمتلئ ماء، حتى تكون كالزلقة، أي ملساء تنظف تنظيفًا تامًّا، ويأمر الله الأرض أن تخرج بركاتها وثمراتها.



**[١٨٠٩]** وعن رِبعِيِّ بنِ حِرَاشٍ، قال: انطلقت مع أبي مسعود الأنصاري إلى حُذَيفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما، فقال له أبو مسعود: حَدِّثْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ فِي الدَّجَّالِ، قَالَ: «**إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ، وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ**»، فقال أبو مسعود: وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. متفق عليه.



[١٨١٠] وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ، لا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يومًا أَو أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَو أَرْبَعِينَ عامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ تَعالَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَيطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيس بَينَ اثْنَينِ عَدَاوةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيرٍ أَو إِيمَانٍ إِلا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لو أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ، لَدَخَلَتْهُ عَلَيهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ، فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وأَحْلامِ السِّبَاعِ، لا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ فَيُصْعَقُ ويُصْعَقُ النَّاسُ حولَهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ- أو قال: يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقالُ: يا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وتِسْعِينَ؛ فَذٰلِكَ يَومٌ يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا، وَذٰلِكَ يَومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». رواه مسلم.

اللِّيتُ: صَفْحَةُ العُنُقِ، وَمَعْنَاهُ يَضَعُ صَفْحَةَ عُنُقِهِ وَيَرْفَعُ صَفْحَتَهُ الأُخْرَى. قال الحافظ: والجزم بأنها أربعون يومًا.



[١٨١١] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ؛ وَلَيسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ تَحْرُسُهَا، فَيَنْزِلُ بِالسَّبَخَةِ، فَتَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللهُ مِنْهَا كُلَّ كافِرٍ وَمُنَافِقٍ». رواه مسلم.

أرض سبخة تدعى "سبخة الجرف"، ثبت أن هذه الأرض السبخة خارج المدينة،

وليست بداخلها، وَهِيَ الْأَرْضُ الرَّمِلَةُ الَّتِي لَا تُنْبِتُ لِمُلُوحَتِهَا، بِطَرِيقِ المَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ، عَلَى مِيلٍ، وَقِيلَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ.

[١٨١٢] وعنه ﷺ أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «**يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ**». رواه مسلم.

«**الطَّيَالِسَةُ**»: جمع طيلسان، وهو الثوب الذي له علم، وقد يكون كساءً.

[١٨١٣] وعن أم شريكٍ ﷺ: أنها سمعت النبي ﷺ يقولُ: «**لَيَنْفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ**». رواه مسلم.



[١٨١٤] وعن عمران بن حُصينٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ**». رواه مسلم. ومعناه: أن فتنته من أعظم الفتن التي تمرُّ على البشرية عبر تاريخها، وذلك أنه لا ينجو من فتنته إلا النذر اليسير، وأخرج أبو نعيم بسند صحيح قال: لا ينجو من فتنة الدجال إلا اثنى عشر ألف رجل، وسبعة آلاف امرأة، وهذا لا يقال بالرأي، فيحتمل أن يكون مرفوعًا أرسله، ويحتمل أن يكون أخذه من بعض أهل الكتاب.



[١٨١٥] وعن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤمِنِينَ فَيَتَلَقَّاهُ المَسَالِحُ: مَسَالِحُ الدَّجَّال فَيقُولُونَ لَهُ: إِلى أَيْنَ تَعْمِدُ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلى هذَا الَّذِي خَرَجَ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ! فَيَقُولُونَ:**

**اقْتُلُوهُ، فَيقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أنْ تَقْتُلُوا أحَدًا دُونَهُ؟ فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إلى الدَّجَّالِ، فَإذَا رَآهُ المُؤْمِنُ قالَ: يا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ هذَا الدَّجَّال الَّذي ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ؛ فَيَأمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ؛ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْباً، فَيقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ! فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بِالمِنْشَارِ مِنْ مَفرِقِهِ حَتَّى يُفَرِّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: ما ازْدَدْتُ فِيكَ إلا بَصِيرَةً، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَيَأخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ اللهُ مِا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلا يَسْتَطِيعُ إلَيهِ سَبيلًا، فَيَأخُذُهُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ قَذَفَهُ إلَى النَّارِ، وَإنَّمَا أُلْقِيَ فِي الجَنَّةِ»**، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**هٰذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ**». رواه مسلم، وروى البخاري بعضه بمعناه.

المَسَالِحُ: هُمُ الخُفَرَاءُ وَالطَّلَائِعُ.

قوله: «**هٰذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ**»، أي: لأنه قال الحق عند الظالم الكاذب الجائر.

وروى البخاري بعضه بمعناه، ولفظه: «**يَأْتِي الدَّجَّالُ- وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ- بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي بالمَدِينَةِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ- أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ- فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا عَنْكَ رَسُولُ الله ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُ هٰذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ؛ هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَقْتُلُهُ فَلَا أُسَلَّطُ عَلَيْهِ**».



**[١٨١٦]** وعن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: مَا سَأَلَ أَحَدٌ رَسُولَ الله ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي: «**مَا يَضُرُّكَ**»، قُلْتُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهَرَ مَاءٍ، قَالَ: «**هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ**». متفق عليه.

**[١٨١٧]** وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ ﷻ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر**». متفق عليه.

قوله: «**مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر**»، هذا لفظ رواية مسلم. ولفظ البخاري: «**وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبًا كَافِر**». وفي رواية: «**يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ**».



**[١٨١٨]** وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا عَنِ الدَّجَّالِ مَا حَدَّثَ بِهِ نَبِيٌّ قَوْمَهُ؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ بِمِثَالِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا الجَنَّةُ هِيَ النَّارُ**». متفق عليهِ.

**[١٨١٩]** وعن ابن عمر ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلَا إِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ**». متفق عليه.

«**طَافِيَةٌ**»: أي بارزة، وهي التي ذهب ضوؤها.



**[١٨٢٠]** وعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ اليَهُودَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هٰذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ؛ إِلَّا الغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ**». متفق عليه.

قال النووي: الغرقد نوع من شجر الشوك، معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود. وقيل: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدًا.

وتأمل كلمة: يا مسلم؟ لم يقل يا فلسطيني، أو يا أردني، أو يا مصري، أو يا كويتي، عراقي، سعودي، سوري...، حتى إن اليهودي يختبئ وراء الحجر والشجر، فينطق بأمر الله الذي أنطق كل شيء، فيقولان يا مسلم هذا يهودي تحتي فاقتله، أحجار وأشجار تنطق؟ لماذا؟ لأن القتال بين المسلمين وبين اليهود، أما بين العرب واليهود من ينتصر؟ القوي فقط من دون المؤمن، لأن الذي يقاتل اليهود من أجل العروبة فقد قاتل حمية وعصبية ليس لله، فلا ينتصر، ولا يمكن أن ينتصر ما دام قتاله من أجل العروبة، لا من أجل الدين والإسلام، لكن إذا قاتلناهم من أجل الإسلام ونحن على الإسلام حقيقة فإننا غالبون بإذن الله، ولهذا لا يمكن أن يقوم للعرب قائمة على أساس العروبة، والدليل على هذا، الواقع، فقد طحنوا وخبزوا عليها ولم نستفد شيئًا، بل بالعكس، صارت النكبات العظيمة من اليهود على العرب شيئا عظيمًا.



**[١٨٢١]** وعنه ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِالقَبْرِ، فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هٰذَا القَبْرِ، وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ، مَا بِهِ إِلَّا البَلَاءُ**». متفق عليه.

«**فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ**»: يتقلّب على القبر مما أصابه من الأنكاد الدنيوية، وذلك لاستراحة الميت من نصب الدنيا وعنائها.



**[١٨٢٢]** وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يُقْتَتَلُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مَائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ أَنَا أَنْجُو**». وفي رواية: «**يُوشِكُ أَنْ يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا**». متفق عليه.

وذلك لأنه لا يصل إليه أحد إلا بعد التقاتل، فلا يصل إليه حتى يقتل عددًا، وقد يقتل هو، وإذا لم يتوجه إليه، سلم في نفسه وسلم منه غيره، ومن أشراط الساعة، والذي لا بد أن يكون، أن الفرات وهو النهر المعروف يَحسر عن جبل من ذهب أو كنز من ذهب، فالذهب يسلب العقول، كل إنسان يقاتل غيره ويقول: لعلّي أنا الذي أنجو، ويقاتل من أجل أن يحصل على الذهب؛ إنه البترول، لأجل أن يحصل على البترول، وصاروا يسمونه الذهب الأسود، فالله أعلم بما أراد رسول الله، ووراءنا أجيال، فالدنيا لم تنته بعد حتى نوقف الحديث على الواقع الذي نحن فيه الآن، بل ننتظر، ولا بدّ أن يقع ويقتتل الناس عليه، وقد وقع، وهذا من أشراط الساعة.



**[١٨٢٣]** وعنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِي يُرِيدُ، عَوَافِي السِّبَاعِ وَالطَّيْرِ، وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ، يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا فَيَجِدَانِهَا وُحُوشًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا عَلَى وُجُوهِهِمَا**». متفق عليه.

«**لَا يَغْشَاهَا**»: لا يقصدها ويسكنها. «**ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ**»: الطريق في الجبل، يخرج إليه المشيعون للمسافر يودعونه عنده، وهو طريق في المدينة النبوية.

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث، أن المدينة النبوية يخرج عنها ساكنوها، ولا يبقى فيها إلا السباع والطيور ليس فيها أحد، وأن هذا سيحصل في آخر الزمان، وأنه سيأتي راعيَا غنم

من مزينة إلى المدينة يصيحان بغنمهما، فيجدانها ذات وحشة لخلائها، وهما آخر من يحشر، فإذا بلغَا ثنية الوداع سقطَا ميتين، يعني في آخر الزمان، وقيل: إنه جرى في العصر الأول، فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت، حين نقلت الخلافة إلى الشام والعراق.

في هذا الحديث: أن الناس قرب قيام الساعة سوف يهجرون المدينة النبوية، ويهاجرون إلى غيرها من البلدان؛ طلبًا لشهواتهم، وهي يومئذ خير البلاد. وفيه: الإخبار عن أمر مستقبل وهو أمر غيبي، وهذا من أعلام النبوة ودلائلها.

[١٨٢٤] وعن أبي سعيد الخدري ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**يكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو المَالَ وَلَا يَعُدُّهُ**». رواه مسلم.

ذكر الرسول ﷺ أن المدينة النبوية يخرج منها أهلها ولا يبقى فيها إلا السباع والطيور، ليس فيها أحد، لكن هذا لم يأت بعد، ولكن ما أخبر به الرسول ﷺ فسوف يقع، لأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، ومنها كثرة المال، حيث أخبر أنه يقوم في آخر الزمان خليفة يحثو المال ولا يعده، يعني أنه ينفق إنفاقًا بلا عدد.

[١٨٢٥] وعن أبي موسى الأشعريِّ ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بِالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنهُ، وَيُرَى الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ**». رواه مسلم.

فهذا يدل على كثرة الأموال والزهد في الاستكثار منها، وهذا عند نزول عيسى ابن مريم وما يقع بعد ذلك، أمّا «**مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ**»، هذا والله أعلم من أسباب كثرة الحروب والفتن التي تقع في كثير من البلدان وكثير من الأوقات، يُقتل الرجال ويكثر النساء.



**[١٨٢٦]** وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَشْتَرِ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: لِي غُلَامٌ، وقالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحَا الغُلَامَ الجَارِيَةَ، وَأَنْفِقَا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا**». متفق عليه.

هذا دليل على أنه يوجد من الناس من هو ورع إلى هذا الحد، أما حكم هذه المسألة فقال العلماء: إن المشتري إذا وجد في الأرض شيئًا مدفونًا فيها من حقيبة نقود أو جرة ذهب أو غيره، فإنه لا يملكه بملك الأرض، ولكنه للبائع، لأنه مدفون فيها وليس منها، بخلاف المعادن المتأصلة في ذات الأرض، فإنه يتبع الأرض.



**[١٨٢٧]** وعنهُ ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**كَانَتِ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتِ الأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَا إِلَى دَاوُدَ عليه السلام فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عليهما السلام، فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا، فَقَالَتِ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ رَحِمَكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى**». متفق عليه.

وأما الصغرى فأبت، أدركتها الشفقة لأنه ابنها حقيقة، ولكن الكبرى لم تبال، لأنه ابن غيرها، لا يهمها أن يذهب كما ذهب ولدها الذي أكله الذئب، فقضى به للصغرى، لأن بقاءه حيًّا ولو كان عند غيرها أهون من شقه نصفين، أخذ العلماء من هذا الحديث العمل بالقرائن.



**[١٨٢٨]** وعن مِرداس الأسلمي ﵁ قال: قال النبي ﷺ: «**يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَتَبْقَى حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً**». رواه البخاري.

أخبر النبي ﷺ أنه يذهب الصالحون الأول فالأول، ثم يبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر، لا يبالي الله بهم بالًا، يعني لا ينزل عليهم الرحمة، وهذا الحديث يشبه حديث أنس بن مالك ﵁، حين جاء الناس إليه يشكونه ما وجدوا من الحجاج بن يوسف الثقفي، فأخبرهم أن النبي ﷺ قال: «**لَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ إِلَّا وَمَا بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**»، ولذلك تجد الناس يتردّون كل عام عن العام الذي قبله، يذهب الصالحون الأول فالأول، تجد الناس تغيروا من سنة إلى أخرى إلى أردى من قبل؛ سهروا في الليل على غير طاعة الله، ونوم في النهار، أو لهو، أو بيع وشراء يشتمل على الغش والكذب والخيانة، فالناس إلى أردأ، لكن مع ذلك يوجد أناس مستقيمين على دين الله، والعبرة بالعموم.



**[١٨٢٩]** وعن رفاعة بن رافع الزُّرَقِيِّ ﵁ قال: جاء جبريل إلى النبيّ ﷺ قال: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قال: «**مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ**»، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، قَالَ: وَكَذٰلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ. رواه البخاري.



**[١٨٣٠]** وعن ابن عمر ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى بِقَوْمٍ عَذَابًا، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ**». متفق عليه.

يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]. فإذا نزل العذاب، عمّ البر والفاجر، وشمل الجميع، لكنهم يبعثون يوم القيامة على نياتهم، ولذلك يجب الحذر من أن يكون الإنسان من الحثالة التي كحثالة الشعير أو التمر، وأن يحرص على أن يستقيم على أمر الله، حتى لو كان الناس قد هلكوا.



**[١٨٣١]** وعن جابر رضي الله عنه قال: كَانَ جِذْعٌ يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ- يَعْنِي فِي الخُطْبَةِ- فَلَمَّا وُضِعَ المِنْبَرُ سَمِعْنَا لِلْجِذْعِ مِثْلَ صَوْتِ العِشَارِ، حَتَّى نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فوضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَسَكَنَ. وفي روايةٍ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ. وفي رواية: فصَاحَتْ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ، قَالَ: «**بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ**». رواه البخاري. وقصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي نقلها الخلف عن السلف.

في الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكًا كالحيوان، وفيه تأكيد لقول من يحمل: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ**﴾ [الإسراء:٤٤] على ظاهره.



**[١٨٣٢]** وعن أبي ثعلبة الخُشَنِيِّ جُرثوم بنِ ناشر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا**». حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره.

هذا الحديث أصل كبير من أصول الدين وفروعه، من عمل به فقد حاز الثواب وأمن من العقاب؛ لأن من أدى الفرائض، واجتنب المحارم، ووقف عند الحدود، وترك البحث عما غاب عنه، فقد استوفى أقسام الفضل وحقوق الدين.

وأخرج البزار في (مسنده) والحاكم من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**مَا أَحَلَّ اللهُ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ حَلَالٌ، وَمَا حَرَّمَ فَهُوَ حَرَامٌ، وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ، فَاقْبَلُوا مِنَ اللهِ عَافِيَتَهُ، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَكُنْ لِيَنْسَى شَيْئًا**»، ثُمَّ تَلَا هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا**﴾ [مريم:٦٤].



**[١٨٣٣]** وعن عبد الله بن أبي أَوْفَى ﵄، قال: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سَبْعَ غَزَوَاتٍ نَأْكُلُ الجَرَادَ. وَفِي رِوَايةٍ: نَأْكُلُ مَعَهُ الجَرَادَ. متفق عليه.

**[١٨٣٤]** وعن أبي هريرة ﵁، أن النبي ﷺ قال: «**لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ [وَاحِدٍ] مَرَّتَيْنِ**». متفق عليه.

**[١٨٣٥]** وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنِ ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا بِسِلْعَة بَعْدَ العَصْرِ فَحَلَفَ بِالله لأَخَذَهَا بِكذَا وَكَذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ ذٰلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا لَا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَى، وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ**». متفق عليه.

هؤلاء الثلاثة، يعني ثلاثة أصناف، ليس المقصود ثلاثة رجال، وإنما قد يكونون أممًا عظيمة اتّصفوا بهذه الأوصاف، وخص العصر لعظيم الإثم فيه، واليمين الفاجرة محرمة في كل وقت، وكان السلف يحلفون بعد العصر تغليظًا لليمين، وقد قال الله تعالى: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ١٠٦].

ولم يقل أحد من المسلمين إنه لا تجب الطاعة إلا إذا كان الخليفة واحدًا لجميع بلاد الإسلام، لأنه لو قيل بهذا ما بقى للمسلمين الآن إمام، ولمات الناس كلهم ميتة جاهلية، فالإمام في مكان وفي كل منطقة بحسبها. قد يقول قائل: نحن لم نبايع الإمام؟ ليس كل واحد منا يبايع الإمام؟ فيقال: هذه شبهة باطلة، هل الصحابة كل واحد منهم بايع أبا بكر؟ حتى العجوز والشاب والبعيد والمغترب؟ أبدًا، المبايعة لأهل الحل والعقد، ومتى بايعوا ثبتت الولاية على كل واحد من أهل هذه البلاد.

**[١٨٣٦]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**»، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ «**وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ، ثُمَّ يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ**». متفق عليه.

قوله: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ**» أي: نفخة الصعق ونفخة البعث، قال الله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر:٦٨].

وقوله: «**أَبَيْتُ**»، قال النووي: مراده الامتناع من الجزم بل الذي يجزم به أنها أربعون، وقد جاءت مفسرة من رواية غيره في غير مسلم: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً**».

قوله: «**إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ**»: أي العظم الصغير الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصعص.

**[١٨٣٧]** وعنه قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَوْمَ، جَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ الله ﷺ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**»، قَالَ: هَا أَنا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**». رواه البخاري.

قوله: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»، لأن الساعة تقوم على شرار الخلق، فالنفخة الأولى يكون بها الفزع والصعق، يعني الموت والفناء، والنفخة الثانية يكون فيها القيام، ﴿**فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ قيامٌ من قبورهم ينظرون ماذا حدث، وذلك أن الله تعالى يرسل عليهم قبل ذلك مطرًا غليظًا كمنيِّ الرجال، ثم ينبتون في قبورهم كما ينبت حمى

السيل، يعني حبّة تنبت في الأرض ثم تخرج، وهم كذلك ينبتون، ثم يُنفخ في الصور النفخة الثانية فيخرج كل نفوس العالم، وتذهب كل نفس إلى جسدها الذي كانت تعمره في الدنيا لا تخطئه، بينهما أربعون، والله أعلم بها، ثم يقوم الناس إلى يوم الحساب لرب العالمين، وحسابه دائر ما بين الفضل والعدل، لا ظلم فيه.

**[١٨٣٨]** وعنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وَإِنْ أَخْطَأُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**». رواه البخاري.

«يُصَلُّونَ»: أي الأئمة. وفي رواية أحمد: «**فَإِنْ صَلُّوا الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَأَتَمُّوا الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، فَهِيَ لَكُمْ وَلَهُمْ**»، وهذا الحديث يردّ على من زعم أن صلاة الإمام إذا فسدت، فسدت صلاة من خلفه.

**[١٨٣٩]** وعنه ﷺ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾، قَالَ: خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ يَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ.



**[١٨٤٠]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**عَجِبَ اللهُ ﷻ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ**». رواهما البخاري.

معناه: يُؤْسَرُونَ وَيُقَيَّدُونَ ثُمَّ يُسْلِمُونَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾، قال ابن كثير: المعنى خير الأمم، وأنفع الناس للناس. وفي حديث درة بنت أبي لهب مرفوعًا: «**خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَفْقَهُهُمْ فِي دِينِ اللهِ، وَأَتْقَاهُم للهِ، وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ**».



**[١٨٤١]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا**». رواه مسلم.

فالمساجد أحب البقاع إلى الله لأنها محل ذكره وعبادته وقراءة القرآن وغير ذلك، ولهذا كان بذل المال فيها من الصدقة الجارية، أما الأسواق فإنها مأوى الشياطين، فيها باض الشيطان وفرخ، ونصب رايته وخيمته، والغالب فيها الكذب والغش والخيانة والحلف، فلهذا كانت أبغض البلاد إلى الله.

**[١٨٤٢]** وعن سلمان الفارسي ﷺ من قوله، قال ﷺ: «**لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ**». رواه مسلم هكذا. وفي رواية: «**لَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ**»، أي: استوطنها وأحبها لكونه محل المعاصي من الغش، والخداع، والأيمان الكاذبة، والأفعال المنكرة ونحوها.

**[١٨٤٣]** وعن عاصمٍ الأحوَلِ، عن عبدِ الله بن سَرْجِسَ ﷺ قال: قُلْتُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ، غَفَرَ اللهُ لَكَ، قَالَ: «**وَلَكَ**»، قَالَ عَاصِمٌ: فَقُلْتُ لَهُ: أَسْتَغْفَرَ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكَ، ثُمَّ تَلَا هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿**وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [محمد:١٩]. رواه مسلم. فدل هذا على أن الاستغفار من موانع دخول النار، فعليك يا أخي بكثرة الاستغفار، قل: أستغفر الله، اللهم اغفر لي وارحمني، وهو كلام يسير لا يضرك ولا يشق عليك، وفي هذا دليل على أن النبي ﷺ يُسأل منه الدعاء، وهذا في حياته، أما بعد موته فلا يجوز، فمن سأل الرسول أن يستغفر له بعد وفاته فهو مشرك كافر.



**[١٨٤٤]** وعن أبي مسعودٍ الأنصاري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**». رواه البخاري.

والمعنى: إذا لم يكن عندك حياء فاعمل ما شئت والله مجازيك على فعلتك، ومن لم يكن عنده حياء فعل كل ما يُستنكر، ومن كان عنده حياء منعه عن كل قبيح.

**[١٨٤٥]** وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ**». متفق عليه.

أي: الدماء التي وقعت بين الناس في الدنيا، وعند النسائي: «**أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ عَلَيْهِ العَبْدُ صَلَاتُهُ، وَأَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فِي الدِّمَاءِ**»، معناه: أول ما يحاسب عليه العبد من حقوق الله الصلاة، فإن كان قد ضيعها فهو لما سواها أضيع، أما فيما بين العباد، فأول ما يُقضي بينهم في الدماء؛ القتل بغير حق، ثم الأموال والأعراض.



**[١٨٤٦]** وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**». رواه مسلم. قال ابن عباس: المارج هو اللهب الذي يعلو النار، فيختلط بعضه ببعض: أحمر، وأصفر، وأخضر.

**[١٨٤٧]** وعنها ﷺ قالت: كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللهِ ﷺ القُرْآن. رواهُ مسلم في جملة حديث طويل. قال الله تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤].

عن جبير بن نفير قال: حججت، فدخلت على عائشة ﷺ، فسألتها عن خُلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلق رسول الله ﷺ القرآن. قال ابن كثير: ومعنى هذا أنه ﷺ صار

امتثال القرآن أمرًا ونهيًا، فمهما أمره القرآن فَعله، ومهما نهاه عنه تَركه، هذا مع ما جَبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء، والكرم، والشجاعة، والصفح، والحلم، وكل خلق جميل.

[١٨٤٨] وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ، فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوتَ؟ قَالَ: «**لَيْسَ كَذٰلِكَ، وَلٰكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ الله وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ الله فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ الله وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ الله وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**». رواه مسلم.

هذا الحديث رواه الطبراني عن معاوية، وزاد: قالوا: يا رسول الله، كلنا نكره الموت، قال: «**لَيْسَ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ المَوْتِ، وَلٰكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَ جَاءَهُ البَشِيرُ مِنَ الله، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ لَقِيَ اللهَ فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الفَاجِرَ أَوِ الكَافِرَ إِذَا حَضَرَ جَاءَهُ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ مِنَ الشَّرِّ، أَوْ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّرِّ فَكَرِهَ لِقَاءَ الله فَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

ذلك أن المؤمن يؤمن بما أعد الله للمؤمنين في الجنة، فيُحبّ ذلك، وترخص عليه الدنيا ولا يهتم بها، فحينئذ يحب لقاء الله ولاسيما عند الموت، أما الكافر فإنه إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه، ولهذا جاء في حديث المحتضر، أن نفس الكافر إذا بُشّرت بالغضب والسخط تفرقت في جسده، وأبت أن تخرج.

[١٨٤٩] وعن أُمِّ المُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ ﵂، قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ، ثُمَّ قُمْتُ لِأَنْقَلِبَ، فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصَارِ ﵄، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ ﷺ أَسْرَعَا، فَقَالَ ﷺ: «**عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**»، فَقَالَا: سُبْحَانَ الله يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا**». متفق عليه.

في هذا الحديث: جواز زيارة المرأة زوجها في الاعتكاف، حتى لو فرض أنه تلذذ بالنظر إليها فإنه لا يضر.

وفيه: أنه ينبغي للإنسان أن يزيل أسباب الوساوس من القلوب، فإذا خشي أن أحدًا يظن به شرًّا فإنه يجب أن يخبره بالواقع حتى لا يحدث في قلبه شيء.

وفيه: أنه إذا حدث للإنسان ما يتعجب منه فليقل: سبحان الله.



**[١٨٥٠]** وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمَ حُنَيْن، فَلَزِمْتُ أَنَا وَأَبُو سُفْيَانَ بِنُ الحَارِثِ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَسُولَ الله ﷺ فَلَمْ نُفَارِقْهُ، وَرَسُولُ الله ﷺ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضَاءَ، فَلَمَّا التَقَى المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ، وَلَّى المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ الله ﷺ يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ الله ﷺ أَكُفُّهَا إِرَادَةَ أَنْ لَا تُسْرِعَ، وَأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ**». قالَ العَبَّاسُ، وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ فَوَالله لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالكُفَّارُ، وَالدَّعْوَةُ فِي الأَنْصَارِ يَقُولُونَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، ثُمَّ قَصُرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَى بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ: «**هٰذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ**»، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَى بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**»، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلَى هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَى، فَوالله مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلًا وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. رواه مسلم.

حَمِيَ الوَطِيسُ: اشْتَدَّتِ الحَرْبُ. حَدُّهُمْ: أيْ بَأْسَهُمْ وَشِدَّتَهُمْ.

في الحديث: معجزة له كما قال تعالى في قصة بدر: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]. حُنَيْن: اسم مكان غزا به النبي ﷺ ثقيفًا، وكان الصحابة ﭫ قد فتحوا مكة في رمضان في السنة الثامنة من الهجرة، ومعهم عشرة آلاف من خارج مكة، وألفان من أهل مكة، فالجميع اثنا عشر ألفًا، فجعل بعضهم يقول لبعض: لن نغلب اليوم من قلة؛ أُعجبوا بكثرتهم، ولكن الله تعالى أراهم أن النصر من عند الله، وأن الكثرة والقوة لا تحولان بين قضاء الله وقدره، وكانت ثقيف ثلاثة آلاف وخمسمائة نفر، فكمنت لهم ثقيف في وادِ حُنَيْن، ومعلوم أنه إذا كمنوا لهم سوف تحدث الهزيمة، انهزم الصحابة ﭫ، وولّوا، ولم يبق مع الرسول ﷺ من اثني عشر ألفًا إلا نحو مائة رجل، ولكن محمدًا ﷺ الذي أعطاه الله الشجاعة العظيمة، جعل يُركض بغلته نحو العدو، وأمر العباس ﭬ، وكان رجلًا جهوري الصوت، أن ينادي الصحابة ليرجعوا، فجعل ينادي يا أصحاب السّمُرة هلمّوا، والسّمُرة هي الشجرة التي بايع الصحابة عليها في الحديبية على ألا يفروا، وهم فروا الآن، فأقبلوا مسرعين جدًّا، فقاتلوا العدو، وأخذ النبي ﷺ حصيات رمى بها وجوه القوم وانهزموا، وغنم منهم النبي ﷺ غنائم كثيرة جدًّا.

الحاصل: أن الأمرَ أمرهُ ﷻ، ليس بالكثرة ولا بالقوة ولا بالعزيمة، ولكن النصر من عند الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾.



**[١٨٥١]** وعن أبي هريرة ﭬ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾** [المؤمنون:٥١]، **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** [البقرة:١٧٢]، «**ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ**

**إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذٰلِكَ؟**». رواه مسلم.



**[١٨٥٢]** وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ**». رواه مسلم. العَائِلُ: الفَقِيرُ.

الزنى، والكذب، والكبر، حرام على كل أحد، وخص هؤلاء الثلاثة بالوعيد؛ لأن الشيخ ضعفت شهوته عن الوطء الحلال، فكيف بالحرام! وكمل عقله ومعرفته بطول ما مر عليه من الزمان، وإنما يدعو إلى الزنى غلبة الشهوة، وقلة المعرفة، وضعف العقل الحاصل من الشباب، والإمام لا يحتاج إلى الكذب، والعائل قد عدم المال الذي هو سبب الفخر والخيلاء، فكان إقدامهم على المعصية من المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى.



**[١٨٥٣]** وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ وَالفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ**». رواه مسلم.

أنهار الجنة أربعة: قال الله تعالى: ﴿**فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى**﴾، وهذه الأنهار الأربعة في الجنة لا نعلم كيفيتها ولا طعمها، لأن النبي ﷺ قال عن الجنة عن ربه ﷻ في الحديث القدسي: «**أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»، لكن سيحون وجيحون والنيل والفرات أنهار معلومة، وهي تأسن وتتغير مع طول المدة، وللعلماء فيها تأويلات: إنها من أنهار الجنة حقيقة، لكن لما نزلت إلى الأرض صار لها حكم أنهار الدنيا، وقيل: إنها ليست من أنهار الجنة حقيقة لكنها أطيب الأنهار وأفضلها.

**[١٨٥٤]** وعنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بيدي، فقال: «**خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فِيهَا الجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدَمَ ﷺ بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ، فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ**». رواه مسلم.

هذا الحديث رواه الإمام مسلم، وقد أنكره العلماء عليه، فهو حديث ليس بصحيح ولا يصح عن النبي ﷺ، لأنه يخالف القرآن الكريم، وكل ما خالف القرآن الكريم فهو باطل، سواء نقله الإمام مسلم وغير مسلم، كلهم بشر يخطئون ويصيبون.



**[١٨٥٥]** وعن أَبي سليمان خالد بن الوليد ﷺ قال: لَقَدِ انْقَطَعتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ. رواه البخاري.

مُؤْتَة: موضع بالشام قرب مدينة (الكرك) بالأردن، جنوب شرق البحر الميت.

معركة مؤتة: أعظم حرب دامية خاضها المسلمون في حياة رسول الله ﷺ. وسبب الغزوة:هو قيام شرحبيل بن عمرو الغساني، وهو من حلفاء الروم، بقتل الحارث بن عمير الأزدي، الذي أرسله النبي محمد ﷺ يحمل رسالة إلى ملك بُصرى يدعوه فيها إلى الإسلام، فأراد المسلمون الانتقام له، وكانت هذه أول معركة يخوضها المسلمون خارج جزيرة العرب ضد الروم، وإن لم يحضرها رسول الله، بدأ القتال المرير؛ ثلاثة آلاف رجل من المسلمين يواجهون مائتي ألف مقاتل من الكفار، مائة ألف مقاتل نصراني من الروم، ومائة ألف نصراني من العرب، وهي معركة عجيبة سجلها التاريخ بالدهشة والحيرة، وجاءت بالعجائب، وهي من أهم المعارك التي وقعت بين المسلمين وبين النصارى من عرب وعجم، لأنها أول صدام مسلح بينهما، وأظهرت الروح المعنوية العالية للمسلمين، وضعف الجندي النصراني، ومن ثم، فإن التأمل بعمق في هذه المعركة يساعدنا في معالجة

الهزيمة النفسية التي تمر بها الأمة اليوم، وإقامة الحجة على القائلين بأن سبب هزيمتنا هو التفوق التكنولوجي والعسكري لدى الأعداء! وقد وقعت هذه المعركة في العام الثامن من الهجرة، ثم اتفق المسلمون على إمرة خالد بن الوليدﷺ، فحمل الراية وأخذ يقاتل ويحاول إنقاذ الجيش من هذا المأزق الخطير، بالانسحاب المنظم من أرض المعركة، وقتال الانسحاب شاق ومن أصعب العمليات العسكرية، حتى دخل الليل فكان هدنة مؤقتة، فأعاد خالد فيها تنظيم جيشه، وهجم على الروم بعد الفجر وقتل منهم الكثير، واستُشهد من المسلمين اثنا عشر رجلًا فقط، ورجع خالدﷺ بجيشه إلي المدينة، ويمكن القول إن خالدًا بخطته وشجاعته، قد أنقذ جيش المسلمين من هزيمة ماحقة، ومن ثم كان انسحابه قمة النصر بالنسبة لظروف المعركة، وكانت مقدمة لفتح بلدان النصارى.

نتائج المعركة: غزوة مؤتة أول غزوة يخوضها المسلمون خارج حدود الجزيرة العربية، صمد فيها ثلاثة آلاف مقاتل مسلم أمام مائتي ألف من الروم، لمدة ستة أيام كاملة، انتهت المعركة في اليوم السابع، بعد قيام قائد الجيش خالد بن الوليد بانسحاب تكتيكي ناجح وبأقل الخسائر، استُشهد من المسلمين اثنا عشر رجلًا، أما الرومان فقتل منهم ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمسون رجلًا، ويعد الانسحاب بالجيش الإسلامي وخروجه سالما بالنسبة لظروف المعركة انتصارًا عظيمًا للمسلمين، مما رفع من شأن الدولة الإسلامية الناشئة، وكانت هذه المعركة بداية لسلسلة معارك كثيرة بين المسلمين والرومان، انتهت بانهيار الدولة البيزنطية على يد الدولة العثمانية فيما بعد، وذلك عند سقوط مدينة القسطنطينية (اسطنبول) على يد محمد الثاني في العام ١٤٥٣م.



**[١٨٥٦]** وعن عمرو بن العاص ﷺ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ وَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ**». متفق عليه.

قوله: «**فَلَهُ أَجْرَانِ**» أي: أجر لاجتهاده، وأجر لإصابته.

وقوله: «**وَإِذَا حَكَمَ وَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ**»، أي: لاجتهاده، والمراد بالحاكم هنا القاضي، والظاهر أن المفتي مثله، يعني أن الإنسان إذا اجتهد في طلب الحق وتحرّي ذلك وبذل وسعه فيه، وتبين له شيء ثم أفتى به أو حكم به، فهو على خير، إن أصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد.

**[١٨٥٧]** وعن عائشة ﵂: أن النبي ﷺ قال: «**الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ**». متفق عليه.

والحمى هي المرض الذي يصيب الإنسان بالحرارة في جسمه، هذه من فيح جهنم كما قال النبي ﷺ، أما كيف وصل فيح جهنم إلى بدن الإنسان فهذا أمره إلى الله، ولا نعرفه، فأبردوها بالماء، وهذا من أسباب الشفاء لمن أصيب بالحمى، وقد شهد الطب الحديث بذلك، وقيل: الخطاب خاص بأهل الحجاز وما والاهم، إذ كانت أكثر الحميات تعرض لهم من شدة الحرارة، وهذه ينفعها الماء البارد شربًا واغتسالًا، وأخرج ابن أبي شيبة عن الأسود قال: سألت عائشة عن النشرة (أي التمائم والرقى)، فقالت: "ما تصنعون بهذا؟ فهذا الفرات إلى جانبكم من أصابه نفس، أو سم، أو سحر، فليأت الفرات، فليستقبل، فينغمس فيه سبع مرات".



**[١٨٥٨]** وعنها ﵂، عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَوْمٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ**». متفق عليه.

المُرَادُ بالوَلِيِّ: القَرِيبُ وَارِثًا كَانَ أَوْ غَيْرَ وَارِثٍ.

في هذا الحديث: مشروعية الصيام عن الميت، فيتخيّر الوليّ بين الصيام والإطعام، فإذا قدر أن رجلًا أفطر في رمضان لأنه مسافر، ثم تهاون بعد رمضان ولم يقض، ولكنه

مات قبل القضاء، فإن وليّه أي وارثه يصوم عنه، وهذا ليس على سبيل الوجوب بل الاستحباب، فإن لم يصم وليه أطعم عنه عن كل يوم مسكينًا.



**[١٨٥٩]** وعن عوف بن مالِك بن الطُّفَيْلِ: أنَّ عائشة رضي الله عنها، حُدِّثَتْ أنَّ عبدَ الله بن الزبير رضي الله عنهما، قَالَ في بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أعْطَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عنها: والله لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، قالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟! قالوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لله عَلَيَّ نَذْرٌ أنْ لا أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِيْنَ طَالَتِ الهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لا، والله لا أشْفَعُ فِيهِ أبدًا، وَلا أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعبدَ الرحْمَنِ بْنَ الأسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوث وقَالَ لَهُمَا: أَنْشُدُكُمَا اللهَ لَمَا أدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها، فَإنَّهَا لا يَحِلُّ لَهَا أنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي، فَأقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ، وَعبدُ الرحْمَنِ حَتَّى اسْتَأذَنَا عَلَى عَائِشَةَ فَقَالا: السَّلامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، أنَدْخُلُ؟ قالت عَائِشَةُ: ادْخُلُوا،

قالوا: كُلُّنَا؟ قالتْ: نَعَمْ ادْخُلُوا كُلُّكُمْ، وَلا تَعْلَمُ أنَّ معَهُمَا ابْنَ الزُّبَيرِ، فَلَمَّا دَخلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيرِ الحِجابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْوَرُ، وَعَبدُ الرَّحْمَنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، وَيَقُولانِ: إنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الهِجْرَةِ؛ وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فوقَ ثَلاثِ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَة مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيرِ، وأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أرْبَعِينَ رَقَبَةً، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعدَ ذَلِكَ فَتَبكِي حَتَّى تَبلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا. رواه البخاري.

قوله: "أَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً"، وذلك من مزيد ورعها، وإلا فالواجب رقبة واحدة، وعائشة رضي الله عنها، أم المؤمنين، وكانت من كانت في العلم والعبادة والرأي والتدبير، وكان عبد الله بن الزبير وهو ابن أختها أسماء بنت أبي بكر، سمع عنها أنها تبرعت وأعطت

عطايا كثيرة، فاستكثر ذلك منها وقال: لئن لم تنته لأحجرنّ عليها، وهذه كلمة شديدة بالنسبة لأم المؤمنين عائشة، لأنها خالته، وعندها من والعلم والحكمة ما لا ينبغي أن يقال فيها ذلك، والحجر عليها يعني منعها من التصرف في مالها، أخبرها بذلك الواشون، فنذرت ألا تكلمه أبدًا، وهجرته، وذلك لشدة ما حصل لها من الانفعال على ابن أختها، فحاول أن يسترضيها، ولكنها رفضت، فاستشفع إليها برجلين من أصحاب رسول الله ﷺ، وفَعَلا حيلة، لكنها حيلة حسنة، استأذنا على عائشة بالدخول فقالا: ندخل؟ قالت: نعم، قالوا: كلنا، قالت: كلكم ولم تعلم أن عبد الله بن الزبير معهما، فدخلوا ودخل عبد الله بن الزبير، فأكبّ عليها يقبلها ويبكي.



**[١٨٦٠]** وعن عُقْبَةَ بن عامرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ إِلَى قَتْلَى أُحُدٍ، فَصَلَّى عَلَيْهِمْ بَعْدَ ثَمانِ سِنينَ كَالمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وَإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هٰذَا، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا، وَلٰكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**»، قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ. متفق عليه. وفي رواية: «**وَلٰكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**»، قَالَ عُقْبَةُ: فَكَانَ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ عَلَى المِنْبَرِ. وفي رواية: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَالله لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، أَوْ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَإِنِّي وَالله مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلٰكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**».

المُرَادُ بِالصَّلَاةِ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، لَا الصَّلَاةُ المَعْرُوفَةُ.

في الحديث: النهي عن التنافس في الدنيا، فإن التنافس فيها سبب للهلاك الديني

والدنيوي، ولا يفهم من هذا ألا يقع، فإن الشرك وقع، وهو موجود الآن، من المسلمين من يقول إنه مسلم وهو يطوف بالقبور ويسأل الأموات ويذبح لهم وينذر لهم، ويدل لهذا أنه صح عن الرسول ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ فئام مِنْ أُمَّتِهِ الأَوْثَانَ**»، أي جماعات كبيرة، ولكن الرسول ﷺ في تلك الساعة لا يخشى على أمته الشرك، لكن خشي شيئًا آخر؛ الناس أسرع إليه، وهو: أن تفتح الدنيا على الأمة، فيتنافسوها، ويتقاتلوا عليها، فتهلكهم كما أهلكت مَن قبلهم، وهذا هو الذي وقع الآن؛ فقد فتحت الدنيا، وصار فيها ما لا يخطر على البال مما سبق، ولو أن أحدًا حدّث به لم يصدق، لكن وقع، فصار الناس الآن يتنافسون فيها، ويتقاتلون عليها، فأهلكتهم كما أهلكت من كان قبلهم، والذين لم يقاتلوا عليها صارت همهم في المنام واليقظة، حتى أصبح المثل المشهور واقعًا على كثير من الناس وهو: الحلال ما حل باليد من حرام أو حلال، والعجب أن الإنسان يسعى وراء الدنيا التي خلقت له، فيكون كأنه هو الذي خلق لها، يخدمها خدمة عظيمة، يرهق فيها بدنه وعقله وفكره، ثم ماذا؟ قد يفقدها في لحظة، وهذا مشاهد، نجد أناسًا معهم بطاقات دعوة زواجهم، ثم يموتون وهم في سياراتهم، وهذا هو الواقع، فاحذر يا أخي، لا تغرّنك الحياة الدنيا، ولا يغرّنك بالله الغَرور.



**[١٨٦١]** وعن أَبي زيد عمرِو بن أخْطَبَ الأنصاريِّ ﷺ، قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ الفَجْرَ، وَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ حَتَّى حَضَرَتِ العَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا. رواه مسلم.

قوله: "فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا" يعني: منّا من علم وحفظ وبقى ذلك في ذهنه، ومنّا من لم يحفظ.

في الحديث: معجزة له ﷺ، يعني يومًا كاملًا من صلاة الفجر إلى غروب الشمس

وهو يخطب، ولم يُذكر أنه خرج إلى البيت ليأكل أو نحو ذلك.



**[١٨٦٢]** وعن عائشة ﷺ قالت: قال النبي ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ**». رواه البخاري. ولأبي داود من حديث ابن عباس مرفوعًا: «**مَنْ نَذَرَ نَذْرًا لَمْ يُسَمِّهِ، فَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ، وَمَنْ نَذَرَ نَذْرًا فِي مَعْصِيَةٍ، فَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ، وَمَنْ نَذَرَ نَذْرًا لَا يُطِيقُهُ فَكَفَّارَتُهُ كَفَّارَةُ يَمِينٍ**».

النذر: هو أن يلزم الإنسان نفسه شيئًا لله، مثل أن يقول: لله عليّ نذر أن أصوم، أن أصلي، أن أقرأ القرآن، أن أتصدق، والنذر إما حرام وإما مكروه؛ فبعض العلماء يرى أن النذر حرام لأنه يكلف نفسه ما هو في غنى عنه، وكم من إنسان نذر ولم يوف! وكم من إنسان نذر وذهب إلى أبواب العلماء يستفتيهم لعله يجد رخصة! فالنبي ﷺ نهى عن النذر، وهذا النهي منهم من قال إنه للتحريم، ومنهم من قال إنه للكراهة، ولكن إذا نذر في طاعة الله وجب عليه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعص، ولكن ماذا يفعل؟ قال أهل العلم إنه يكفر كفارة يمين: يطعم عشرة مساكين أو يكسوهم أو يعتق رقبة، فإن لم يجد فيصوم ثلاثة أيام متتابعة لحديث ورد في ذلك.



**[١٨٦٣]** وعن أمِّ شَرِيكٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَهَا بِقَتْلِ الأَوْزَاغِ، وَقَالَ: «**كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**». متفق عليه.



**[١٨٦٤]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ**

**ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الأُولَى، وَإِنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً»**.

وفي رواية: «**مَنْ قَتَلَ وَزَغًا فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ كُتِبَ لَهُ مَائَةُ حَسَنَةٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ دُونَ ذٰلِكَ، وَفِي الثَّالِثَةِ دُونَ ذٰلِكَ**». رواه مسلم.

الوزغ: سام أبرص، هذا الذي يأتي في البيوت، يبيض ويفرخ ويؤذي الناس، أمر النبي ﷺ بقتله، وكان عند عائشة رمح، بها تتبع الأوزاغ وتقتلها، وأخبر النبي ﷺ أن من قتله في أول مرة فله كذا وكذا من الأجر، وفي الثانية أقل وفي الثالثة أقل، كل ذلك تحريضًا على المبادرة لقتله، فإنه إذا أراد أن يضربه ضربات، ربما انفلت، وسماه النبي ﷺ فاسقًا، وأخبر أنه كان ينفخ النار على إبراهيم عليه السلام حين ألقاه أعداؤه في النار، من أجل أن يشتد لهبها، مما يدل على عداوته التامة لأهل التوحيد.



**[١٨٦٥]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ رَجُلٌ: لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَى سَارِقٍ وَعَلَى زَانِيَةٍ وَعَلَى غَنِيٍّ! فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَى سَارِقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وَأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ عَنْ زِنَاهَا، وَأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا آتَاهُ اللهُ**».

رواه البخاري بلفظه ومسلم بمعناه.

معروف أن الصدقة على الفقراء والمساكين، لكن وقعت صدقته في يد سارق!

والسارق ينبغي أن يعاقب! ثم وقعت صدقته في يد امرأة زانية بغي وهذا شيء لا يقبله العقل ولا الفطرة، ثم وقعت صدقته في يد غني، والغني ليس من أهل الصدقة، وقد كان يريد أن تقع صدقته في يد غير هؤلاء، فقيل له: إن صدقتك قد قبلت لأنه مخلص.

في الحديث: دليل على أن الإنسان إذا نوى الخير وسعى فيه وأخطأ، فإنه يُكتب له ولا يضرّه، ولهذا قال العلماء ﷺ: إذا أعطى زكاته من يظنه من أهل الزكاة فتبين أنه ليس من أهلها فإنها تجزئة.

**[١٨٦٦]** وعنه قال: كنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، وَقَالَ: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاس مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ إِلى مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ، وَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ:**

**يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغْنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ:**

**يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا بَلَغْنَا، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ:**

يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ؛ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُونَ:

يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُؤْمَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي؛ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى. فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ:

يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ».

وفي روايةٍ: «فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنتَ رَسُولُ اللهِ وَخَاتَمُ الأَنْبِياءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذٰلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ»، ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى». متفق عليه.

قول إبراهيم: "إني كذبت ثلاث كذبات": اثنتان منها في الله، وهي قوله: ﴿**إِنِّي سَقِيمٌ**﴾ [الصافات:٨٩]، وقوله: ﴿**بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هٰذَا**﴾ [الأنبياء:٦٣]، وأما الثالثة فهي قوله لسارة: أختي، يعني في الإسلام، وليست بكذب حقيقة، لكن لما كانت بصورة الكذب سماها كذبًا. قال النووي: الحكمة في أن الله تعالى ألهمهم سؤال آدم، ومن بعده في الابتداء، ولم يلهموا سؤال نبينا محمد ﷺ: إظهار فضيلته، وفيه: تفضيله ﷺ على جميع المخلوقين.

وقوله ﷺ: «**إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى**»، شك من الراوي، أي بينها وبين مكة مسيرة شهر؛ وذلك للدلالة على اتساعها.



**[١٨٦٨]** وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**الكَمْأَةُ مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**». متفق عليه.

الكمأة: نبات لا ورق لها ولا ساق، تعرف عند الناس بالفجع أو الفقع، توجد في الأرض من غير أن تزرع، وهي معروفة لذيذة الطعم، تنبت على الأرض، وإذا كبرت يأخذها الناس من دون كلفة ومن دون مشقة، ولهذا قال النبي ﷺ: إنها «**مِنَ المَنِّ**»: أي مما منّ الله به على عباده، وهي كثيرة بأرض العرب، وتوجد بالشام ومصر، ومنها صنف سامّ قاتل يضرب لونه إلى الحمرة، وهي باردة رطبة رديئة للمعدة، وإدمان أكلها يورث الأمراض الخطيرة، والرطب منها أقل ضررًا من اليابس، ومع ذلك ففيها جوهر مائي لطيف، فلذلك كان ماؤها شفاء للعين، ولكن كيف يستخرج ماؤها؟ قيل إنها تصهر على النار ثم تعصر، لأنها إذا صهرت على النار لانت، وقيل: إنها تقطع قطعًا صغيرة ثم تعصر عصرًا شديدًا فيخرج منها الماء، ولكنه قليل.





## ٣٧٢- الاستغفار

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد:١٩].

وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي، وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي هَزَلِي وَجِدِّي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلَّ ذَٰلِكَ عِنْدِي**».

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء:١٠٦].

وقال النبي ﷺ: «**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**».

الخطأ الذي يصدر من بني آدم؛ إما تقصير في واجب أو فعل لمحرم، ولا يخلو الإنسان من ذلك، ولكن دواء الذنوب الاستغفار، وفي الأثر أن الشيطان يقول: أهلكت بني آدم يعني بالخطايا والذنوب، وأهلكوني بِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ والاستغفار، فالاستغفار سبب للمغفرة، ولذا أمر الله تعالى به في آيات كثيرة من القرآن.

قالت عائشة ﵂: ما صلى رسول الله ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ﴾ إلا يقول فيها: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**».

وقال تعالى: ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾ [آل عمران:١٥: ١٧]. في هذه الآية: فضل الاستغفار في وقت السَّحر؛ لأنه وقت إجابة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء:١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣]. قال ابن عباس: كان فيهم أمانان؛ النبي ﷺ، والاستغفار، فذهب النبي ﷺ، وبقى الاستغفار.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥]. وفي صحيح ابن حبان، من حديث عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: حدثني أبو بكر الصديق، سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ، فَيُحْسِنُ الطَّهُورَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ ﷻ إِلَّا غُفِرَ لَهُ**».

**[١٨٦٩]** وعن الأَغَرِّ المزني ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ**». رواه مسلم.

يعني: يحدث له شيء من الكتمة والغم وما أشبه ذلك، فيكثر الاستغفار في المجلس الواحد مائة مرة أو أكثر، فكيف بنا وقلوبنا قاسية ميتة، ألا يُغان عليها بكثرة الذنوب؟ والواحد منا غير مبال بما فعل أو يفعل، فعليك يا أخي بكثرة الاستغفار، أكثر من قول: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني، استغفر الله وأتوب إليه، وما أشبه ذلك، لعلك تصادف ساعة إجابة من الله ﷻ فيغفر لك فيها.



**[١٨٧٠]** وعن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**». رواه البخاري.



**[١٨٧١]** وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَى، فَيَغْفِرُ لَهُمْ**». رواه مسلم.

في الحديث: أن الله تعالى يحب التوبة والإنابة، ولهذا ابتلي آدم بالذنب، ليتوب وينيب وينكسر، فقد قال الله تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى، ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه:١٢١-١٢٢].

والحديث معناه ظاهر، أن الله سبحانه يحبّ من عباده أن يستغفروه، وأن يغفر لهم، ليظهر بذلك فضله، وآثار صفته الغفّار والغفور، وهذا كما في قوله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٣-٥٤]. وفي الحديث أيضًا كسر العجب من الإنسان، وأن الإنسان لا يُعجب بنفسه وبعمله؛ لأنه محل للخطأ ومحل للزلل ومحل للنقص، فعليه أن يبادر بالتوبة والاستغفار من تقصيره ومن خطئه، فكل بني آدم خطّاء وخير الخطّائين التوّابون، ولا يظن أنه استكمل العبادة! أو أنه ليس بحاجة إلى الاستغفار! هل يمكن للناس أن يُعصموا من الخطأ والذنب والإساءة؟ هل يمكن هذا؟ لا، هذا لا يمكن، فلا بدّ من وقوع الخطأ، فهنا في مثل هذا المقام نقول لهذا الإنسان، أو لمن يظن أنه سيصل إلى مستوى من النزاهة والطهر، بحيث يكون كالمَلَك، لا يقع منه إساءه ولا ذنب ولا خطيئة، نقول: لا، وليس معناه أن الله يحب من عباده أن يُذنبوا، لكن سبق في علمه أنها توجد، وأن هذا لا بد منه، ولكنه يحب من عباده إذا أذنبوا وعصوا أن يتوبوا إليه ﷻ، وأن يستغفروه.



**[١٨٧٢]** وعن ابن عمر ﵄ قال: كُنَّا نَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**». رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث صحيح.



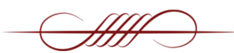
**[١٨٧٣]** وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيثُ لَا يَحْتَسِبُ**». رواه أبو داود.



**[١٨٧٤]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ**».

رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم.

في هذا الحديث: أن من استغفر الله وتاب إليه، غفرت ذنوبه كلها، صغائرها وكبائرها.



**[١٨٧٥]** وعن شَدَّادِ بْنِ أَوسٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**». رواه البخاري.

«**أَبُوءُ**»: أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ. لمَّا كان هذا الدعاء جامعًا لمعاني التوبة كلها، استعير له اسم السَّيِّد.

في قوله: «**مَا اسْتَطَعْتُ**»، إعلام لأمته أن أحدًا لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله، وقد جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق أن يسمَّى به سيد الاستغفار، فاحرص على حفظ هذا الدعاء، وحافظ عليه صباحًا ومساءً، إن متّ من يومك فأنت من أهل الجنة، وإن متّ من ليلتك فأنت من أهل الجنة.



**[١٨٧٦]** وعن ثوبان رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ اللهَ ثَلَاثًا، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ**».

قِيلَ لِلْأَوْزَاعِيِّ - وَهُوَ أَحَدُ رُوَاتِهِ -: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم.

في هذا الحديث: مشروعية الاستغفار بعد الصلاة ثلاث مرات.

وفيه: إشارة إلى أن العبد لا يقوم بحق عبادة مولاه، لما يعرض له من الوسواس والخواطر، فشرع له الاستغفار تداركًا لذلك.

**[١٨٧٧]** وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ: يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ مَوْتِهِ: «**سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**». متفق عليه.

تقدم في باب الازدياد من الخير أواخر العمر، وذلك امتثالًا لقوله تعالى: ﴿**فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**﴾ [النصر:٣].



**[١٨٧٨]** وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً**». رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

عَنَانَ السَّمَاءِ: قِيلَ هُوَ السَّحَابُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أَيْ ظَهَرَ. **قُرَابُ الأَرْضِ**: وَهُوَ مَا يُقَارِبُ مِلْئَهَا.

وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

وقال النبي ﷺ: «**الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ**»، والرجاء يتضمن حسن الظن بالله، والله تعالى يقول: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي**»، وفي الحديث: الحثّ على الاستغفار. قال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقكم، وأسواقكم، ومجالسكم، وأينما كنتم، فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة. وقال قتادة: إن هذا القرآن يدلّكم على دائكم ودوائكم، فأمّا داؤكم: فالذنوب، وأمّا دواؤكم: فالاستغفار. وقال إبليس لعنه الله: أهلكت بني آدم بالذنوب، وأهلكوني بِ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، والاستغفار.

**[١٨٧٩]** وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وَأَكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ**». قَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: مَا لَنَا أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «**تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ**». قَالَتْ: مَا نُقْصَانُ العَقْلِ وَالدِّينِ؟ قَالَ: «**شَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَتَمْكُثُ الأَيَّامَ لَا تُصَلِّي**». رواه مسلم.

«**تَكْفُرْنَ العَشِيرَ**»: تنسين معروف الزوج وجميله. «**لُبٍّ**»: اللُّبُّ: العقل الخالص، وذلك لعظم كيدهنَّ، وقوَّة حيلهنَّ. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾. وفي الحديث الآخر: «**لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ كُلَّهُ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا يَسِيرًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**».



## ٣٧٣- ما أعدَّ اللّه تعالى للمؤمنينَ في الجنّة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٥-٤٨].

قوله تعالى:﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾: سالمين من كل شيء؛ من كل مرض؛ من الهرم، من الموت، وقوله تعالى: ﴿آمِنِينَ﴾: من كل خوف وفزع، ولا تخشوا من إخراج ولا انقطاع، ولا فناء، وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾: الغِلُّ: الشحناء والعدواة، والحقد، والحسد، يعني أنهم إذا دخلوا الجنة فإنهم يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض، حتى إذا هُذّبوا ونقوا وبقيت قلوبهم صافية ليس فيها غل دخلوا الجنة.

وعن أبي أمامة: قال: "لا يدخل الجنة مؤمن، حتى ينزع الله ما في صدره من غل، حتى ينزع منه مثل السبع الضاري".

وفي الصحيح، عن أبي سعيد الخدري ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّار، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ».

وقوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾: يعني أنهم على جانب من الأدب العظيم في جلوسهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: يعني أنه لا يمكن للإنسان أن يحيط علمًا بحقيقة ما أعد الله لأهل الجنة فيها، لأنه فوق ما يتصور الإنسان، وما يوجد من نعيم الدنيا، فإنه أنموذج لا ينسب لشيء من نعيم الآخرة،

لكن الله تعالى أرى عباده شيئًا من النعيم وشيئًا من العذاب في الدنيا حتى يعتبروا به فقط.

وقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾: يعني تعب ومشقة وأذى، كما جاء في الصحيحين: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُبَشِّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ ولَا نَصَبَ**».

وقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾: كما جاء في الحديث: «**يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَمْرَضُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعِيشُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَلَا تَظْعَنُوا أَبَدًا**».

وقوله تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨]، أي تحوّلًا عنها لأي مكان آخر.

وقال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ، يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [الزخرف:٦٨-٧٣].

فإذا كان يوم القيامة، فإن الناس حين يبعثون لا يبقى أحد منهم إلا فزع، فينادي منادٍ: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾، فيرجوها الناس كلهم، فيتبعها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، فييأس الناس منها غير المؤمنين، ثم يقال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ أي: تتنعمون وتسعدون، ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ أي: من ذهب، ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ أي: طيب الطعم والريح، وحسن المنظر.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً إِنَّ لَهُ لَسَبْعَ دَرَجَاتٍ، وَهُوَ عَلَى السَّادِسَةِ، وَفَوْقَهُ السَّابِعَةُ، وَإِنَّ لَهُ لَثَلَاثَ مَائَةِ خَادِمٍ، وَيُغْدَى عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ**

**بِثَلَاثِ مَائَةِ صَحْفَةٍ**»، وَلَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: مِنْ ذَهَبٍ، «**فِي كُلِّ صَحْفَةٍ لَوْنٌ لَيْسَ فِي الأُخْرَى، وَإِنَّهُ لَيَلَذُّ آخِرَهُ كَمَا يَلَذُّ أَوَّلَهُ، وَإِنَّهُ لَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لَوْ أَذِنْتَ لِي لَأَطْعَمْتُ أَهْلَ الجَنَّةِ وَسَقَيْتُهُم لَمْ يَنقُصْ مِمَّا عِنْدِي شَيْءٌ، وَإِنَّ لَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ لَاثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً سِوَى أَزْوَاجِهِ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِنَّ الوَاحِدَةَ مِنْهُنَّ لَتَأْخُذُ مَقْعَدَهَا قَدَرَ مِيلٍ مِنَ الأَرْضِ**».

وقوله تعالى: ﴿**وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ أي: في الجنة، ﴿**خَالِدُونَ**﴾ أي: لا تخرجون عنها، ولا تبغون عنها حولًا، ثم قيل لهم على وجه التفضل والامتنان: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ أي: أعمالكم الصالحة كانت سببًا لشمول رحمة الله إياكم، فإنه لا يُدْخِل أحدًا عملُه الجنة، ولكن برحمة الله وفضله، وإنما الدرجات تُنال تفاوتها بحسب الأعمال الصالحات.

وقوله تعالى: ﴿**لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ**﴾ أي: من جميع الأنواع، ﴿**مِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ أي: مهما اخترتم وأردتم.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ، كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ، يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ، فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [الدخان:٥١-٥٧].

وقوله تعالى: ﴿**يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ**﴾، أي: مهما طلبوا من أنواع الثمار أحضر لهم وهم آمنون من انقطاعه وامتناعه، بل يحضر إليهم كلما أرادوا.

وقوله تعالى: ﴿**لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ**﴾ ومعناه: أنهم لا يذوقون فيها الموت أبدًا، وحديث أنس: «**لَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ بَزَقَتْ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ لَعَذُبَ ذَٰلِكَ المَاءَ، لِعُذُوبَةِ رِيقِهَا**».

وثبت في الصحيحين، أن رسول الله ﷺ قال: «**يُؤْتَى بِالمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُوقَفُ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اتَّقَى اللهَ دَخَلَ الجَنَّةَ، يَنْعَمُ فِيهَا وَلَا يَبْأَسُ، وَيَحْيَا فِيهَا فَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ**». وحديث جابر ﷺ قال: قيل: يا رسول الله، هل ينام أهل الجنة؟ فقال ﷺ: «**النَّوْمُ أَخُو المَوْتِ، وَأَهْلُ الجَنَّةِ لَا يَنَامُونَ**».

وقوله تعالى: ﴿**وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ**﴾، أي: مع هذا النعيم العظيم المقيم، وقد وقاهم وسلمهم ونجاهم وزحزحهم عن العذاب الأليم في دركات الجحيم، قال ﷻ: ﴿**فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾، أي: إنما كان هذا بفضله عليهم، وإحسانه إليهم، وكما ثبت في الصحيح، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اعْمَلُوا، وَسَدِّدُوا، وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُدْخِلَهُ عَمَلُهُ الجَنَّةَ**»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: «**وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ**».

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ**﴾ يوم القيامة، ﴿**عَلَى الْأَرَائِكِ**﴾ وهي السُّرر ﴿**يَنْظُرُونَ**﴾ في ملكهم، وقيل: معناه ينظرون إلى الله ﷻ، ﴿**تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ**﴾ أي: صفة الرأفة والحشمة والسرور والرئاسة، مما هم فيه من النعيم العظيم ﴿**يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ**﴾ أي: يسقون من خمر من الجنة، والرحيق: من أسماء الخمر ﴿**خِتَامُهُ مِسْكٌ**﴾. عن ابن عباس: طيَّب الله لهم الخمر، فكان آخر شيء جعل فيها مسك، «**وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**» أي: وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويتكاثر ويستبق إلى مثله المتسابقون، كقوله تعالى: ﴿**لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**﴾ [الصافات:٦١]. ﴿**وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ**﴾ أي: شراب يقال له: تسنيم، وهو: أشرف شراب

أهل الجنة وأعلاه، ولهذا قال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين:٢٢-٢٨]، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾. وذكر عن أهل الجنة أنهم يباحون النظر إلى الله ﷻ، وهم على سررهم وفرشهم، كما تقدم في حديث ابن عمر: «**إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ مَسِيرَةَ أَلْفَي سَنَةٍ، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، وَإِنَّ أَعْلَاهُمْ لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللهِ ﷻ فِي اليَوْمِ مَرَّتَيْنِ**». وذكر الإمام أحمد، عن أبي سعيد الخدري، أراه قد رفعه إلى النبي ﷺ، قال: «**أَيُّمَا مُؤْمِنٍ سَقَى مُؤْمِنًا شَرْبَةً عَلَى ظَمَأٍ، سَقَاهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُومِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَطْعَمَ مُؤْمِنًا عَلَى جُوعٍ أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمَارِ الجَنَّةِ، وَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ كَسَا مُؤْمِنًا ثَوْبًا عَلَى عُرْيٍ كَسَاهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الجَنَّةِ**».

وقال ابن كثير على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا، عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإنسان:٥-٦]. وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة.

وقوله تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا﴾ يعني الأبرار، كأسًا أي: خمرًا كان مزاجها زنجبيلًا، فتارة يُمزج لهم الشراب بالكافور، وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة، ومن هذا تارة، وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صرفًا، وقد تقدم قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللهِ﴾، وقال ها هنا: ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾، أي: الزنجبيل عين في الجنة، تسمى سلسبيلًا.

وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لَا يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ﴾[الزمر:٢٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا، حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا، وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا، وَكَأْسًا دِهَاقًا، لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا، جَزَاءً مِنْ رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ:٣١-٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ، جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﷺ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة:٧-٨].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ، جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ، مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ، وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ، هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ، إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَفَادٍ﴾ [ص:٤٩-٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦-٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾. [النساء:٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ وَقَالُواْ الْحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:٤٢-٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ، وَقَالُوا الْحَمْدُ للهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ، وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر:٧٣-٧٥].



**[١٨٨٠]** وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلٰكِنْ طَعَامُهُمْ ذٰلِكَ جُشَاءٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**». رواه مسلم.

قال ابن الجوزي: لما كانت أغذية أهل الجنة في غاية اللطافة والاعتدال، لم يكن فيها أذى ولا فضلة تستقذر، بل يتولد عن تلك الأغذية أطيب ريح وأحسنه، وجميع فضلاتهم ليست كفضلات أهل الدنيا، إنما تخرج رشحًا يعني كالعرق أطيب من ريح المسك وجشاء أطيب من رائحة المسك، وكلها تدل على فضل هذا النعيم، والناس في هذه الدنيا، كأن لم يكن إلا الدنيا عند كثير من الناس، كأنما خلقوا لها، مع أن الدنيا هي التي خلقت لهم.

قوله: «**يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»، قال القرطبي: وجه التشبيه أن تنفس الإنسان لا كلفة عليه فيه، ولا بد له منه، فجعل تنفسهم تسبيحًا، وسببه: أن قلوبهم تنورت بمعرفة الرب، وامتلأت بحبه، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره.



**[١٨٨١]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾** [السجدة:١٧]». متفق عليه.

معناه: أن الله تعالى أعد لعباده الصالحين في الجنة نعيمًا غير ما أطلعهم عليه، وأخبرهم به.

المراد بقوله: «**مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ**»، أي عين البشر وآذانهم، وبأن ذلك يتجدد لهم في الجنة كل وقت، وقيل: المراد هنا التجليات الإلهية التي يتفضل بها الحق في الآخرة على خواصه، فإن ما في الجَنَّة أفضل مما خَطر على قلوبهم؛ لأن البَشَر لا يخطر على بالهم إلا

ما يعرفونه ويقرب إلى خَيالهم من الأشياء التي عرفوها، ونعيم الجَنَّة فوق ذلك، تخيّل ما أعده المولى الكريم لعباده من نعم ومراتب لا يتخيلها العقل البشري، فهي إشارات حسية إلى عقولنا ونفوسنا بأن يكون الإخلاص في الأعمال؛ المرتبة الأولى في الاستعداد لتلك المنزلة، ثم التشمير عن السواعد لاستحقاق ما لا يخطر على قلوبنا، ويخفى عن نفوسنا، جهّز حياتك لتكن متوافقة مع أحلامك في الآخرة، والتي تراها في منزلة عالية تتذوق من خلالها حلاوة ما وجدوها في الدنيا، فلا تقبل أن تكون في منزلة شقاء في حياتك، بل في منزلة عظيمة: ﴿جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[١٨٨٢] وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلا يَمْتَخِطُونَ. أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ**- عُودُ الطِّيبِ- **أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَى خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَى صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ**». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري ومسلم: «**آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**».

قوله: «**لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ**»، أي: من بنات آدم سوى الحور.



[١٨٨٣] وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**سَأَلَ مُوسَى عليه السلام رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ:**

أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيقُولُ: رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذٰلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيقُولُ فِي الخَامِسَةِ، رَضِيْتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هٰذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولٰئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ». رواه مسلم.

قوله: «وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ»، هذا شامل لكل أحد من أهل الجنة، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].



**[١٨٨٤]** وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ؛ رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيقُولُ اللهُ ﷻ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ، فَيقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى! فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فيَرْجِعُ، فَيقولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ؟!»، قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَكَانَ يَقُولُ: «ذٰلِكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً». متفق عليه.



**[١٨٨٥]** وعن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمُ المُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا**».

الميلُ: سِتَّةُ آلافِ ذِرَاعٍ.



**[١٨٨٦]** وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مَائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا**». متفق عليه.

في هذا الحديث: بيان سعة الجنة.

قال تعالى: ﴿**سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الحديد:٢١]، وقال تعالى: ﴿**وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٣].

قال البغوي: وإنما ذكر العرض على المبالغة، لأن طول كل شيء في الأغلب أكثر من عرضه، قيل: هذه صفةُ عَرْضِها، فكيف طولها! وقال الزهري: إنما وصف عرضها، فأما طولها فلا يعلمه إلا الله، وهذا على التمثيل، لا أنها كالسماوات والأرض، ولا غير معناه كعرض السماوات والأرضين السبع عند ظنّكم. وسئل أنس بن مالك ﷺ، عن الجنة أفي السماء أم في الأرض؟ فقال: أي أرضٍ وسماء تسع الجنة! فقيل: فأين هي؟ قال: فوق السماوات السبع تحت العرش.

قال قتادة: كانوا يرون الجنة فوق السماوات السبع تحت العرش، وأن جهنم تحت الأرضين السبع، ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيح: «**إِذَا سَأَلْتُم اللهَ الجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى، فَإِنَّهُ أَعْلَى الجَنَّةِ، وَأَوْسَطِ الجَنَّةِ، وَمِنْهُ تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ، وَسَقْفُهَا عَرْشُ الرَّحْمٰنِ**».

وكذلك ما رواه الترمذي، عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الجَنَّةُ مَائَةُ دَرَجةٍ، مَا بيْنَ كلِّ دَرَجَتَيْنِ مِنْهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، الفِرْدَوسُ أَعْلَاهَا**

**دَرَجَةً، وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ الأَرْبَعَةُ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ العَرْشُ، وَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوسَ الأَعْلَى»**.

**[١٨٨٧]** وعنه، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَو المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «**بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِالله وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ**». متفق عليه.

أي: أهل الجنة متفاوتو المنازل بحسب درجاتهم في الفضل، حتى إن أهل الدرجات العلى ليراهم من هو أسفل منهم كالنجوم. قال القرطبي: شبّه رؤية الرائي في الجنة صاحب الغرفة، برؤية الرائي الكوكب المضيء الباقي في جانب الشرق أو الغرب في الاستضاءة مع البعد، وفائدة ذكر المشرق والمغرب بيان الرفعة وشدة البعد، والمراد بالأفق: السماء.

**[١٨٨٨]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ**». متفق عليه.

أي: هذا القدر من الجنة خير مما في الدنيا أجمع، لنفاسته ولدوامه وبقائه، كما في الحديث الآخر: «**وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**».



**[١٨٨٩]** وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ سُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ، وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ حُسْنًا وَجَمَالًا! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا!**». رواه مسلم.

قال النووي: المراد بالسُّوق هنا، مجتمع لهم يجتمعون فيه كما يجتمع الناس في الدنيا في أسواقها، أي: تعرض الأشياء على أهلها، فيأخذ كل منهم ما أراد.

قوله: «**يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمْعَةٍ**»، أي: في مقدار كل أسبوع لفقد الشمس والليل والنهار، يعني في مقدار ذلك، وإلا فالجنة ليس فيها صلاة ولا جمعة ولا غيرها.

وقوله: «**فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ**»، أي ما تحثو به من النعيم.

وقوله: «**رِيحُ الشَّمَالِ**»، المراد تُشبه ريح الشمال في برودتها ولذتها.

كل هذا المذكور في هذه الأحاديث، توجب للإنسان الرغبة في العمل الصالح الذي يتوصل به إلى هذه الدار.



**[١٨٩٠]** وعن سهل بن سعد ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ فِي السَّمَاءِ**». متفق عليه.



**[١٨٩١]** وعنه ﷺ قال: شَهِدْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الجَنَّةَ حَتَّى انْتَهَى، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ حَدِيثِهِ: «**فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾ [السجدة:١٦-١٧]. رواه البخاري.

قوله: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ [السجدة:١٦]. أي: يتهجّدون بالليل يدعون ربهم خوفًا وطمعًا، وعن أبي الدرداء، وأبي ذر، وعبادة بن الصامت ﷺ: هم الذين يصلّون العشاء الآخرة، والفجر في جماعة.



**[١٨٩٢]** وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا**». رواه مسلم.

**[١٨٩٣]** وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيتَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**». رواه مسلم.

**[١٨٩٤]** وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذٰلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**». متفق عليه.

يشهد لهذا الحديث قوله تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة:٧٢].

ورؤية المؤمنين لربهم في الجنة ثابتة بكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الصحابة وأئمة الأمة، وكانت هذه من الأحاديث المتواترة عن النبي ﷺ، وقد وردت خمس آيات في كتاب الله، كلها تدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة، ولا ينكر هذا إلا جاهل.



**[١٨٩٥]** وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرَوْنَ هٰذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**». متفق عليه.

في هذا الحديث: إثبات رؤية المؤمنين لله تعالى في الآخرة، ويشهد لهذا الحديث وغيره قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[القيامة:٢٢-٢٣].

«**عِيَانًا**»: معاينة. «**لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»: لا يصيبكم ضيم من زحام ونحوه حال رؤيته.

**[١٨٩٦]** وعن صُهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ**». رواه مسلم.

يشهد لهذا الحديث وغيره، قول الله تعالى: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس:٢٦]. قال ابن كثير: يخبر الله تعالى أنَّ لمن أحسن العمل في الدنيا بالإيمان والعمل الصالح، الحسنى في الدار الآخرة، كقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن:٦٠].

قوله: ﴿**وَزِيَادَةٌ**﴾ هي تضعيف ثواب الأعمال بالحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وزيادة على ذلك أيضًا، ويشمل ما يعطيهم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنهم، وما أخفاه لهم من قرة أعين، وأفضل من ذلك وأعلاه النظر إلى وجهه الكريم، فإنه زيادة أعظم من جميع ما أعطوه، لا يستحقونها بعملهم بل بفضله ورحمته.

وقد روي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجهه الكريم، عن أبي بكر الصديق، وغيره، وذكر حديث صهيب وغيره، منها ما رواه ابن جرير، وغيره من حديث أُبيّ بن كعب، أنه

سأل رسول الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾، قال: «**الحُسْنَى: الجَنَّةُ، والزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الله ﷻ**».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس:٩-١٠]. قال ابن كثير: هذا إخبار عن حال السعداء الذين آمنوا بالله، وصدقوا المرسلين، وامتثلوا ما أمروا به، فعملوا الصالحات بأنه سيهديهم بإيمانهم، أي: بسبب إيمانهم في الدنيا، يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم حتى يجتازوه، ويخلصوا إلى الجنة.

قال ابن جريج: أخبرت أن قوله: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾، قال: إذا مرّ بهم الطير قالوا: سبحانك اللهم، وذلك دعواهم، فيأتيهم الملك بما يشتهونه، فيسلم عليهم فيردون عليه، فذلك قوله: ﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾، قال: فإذا أكلوا حمدوا الله ربهم، فذلك قوله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، إلى أن قال: وقوله: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، هذا فيه دلالة على أنه تعالى هو المحمود أبدًا، المعبود على طول المدى، ولهذا حمد نفسه عند ابتداء: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ [الكهف:١]، وقوله:﴿الْحَمْدُ لله الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأنعام:١]، إلى غير ذلك من الأحوال التي يطول بسطها، وأنه المحمود في الأولى والآخرة، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، في جميع الأحوال، ولهذا جاء في الحديث: «**أَنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ**»، وإنما يكون ذلك كذلك لما يرون من تزايد نعم الله عليهم، فتتكرر، وتعاد، وتزداد، فليس لها انقضاء ولا أمد، فلا إله إلا هو، ولا ربّ سواه.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**لَمَّا خَلَقَ اللهُ الجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ**

**حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلَّا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا!**». رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي.

﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾


فهرس المحتويات